

مَجَلَّةُ الْأَنْفَرِ

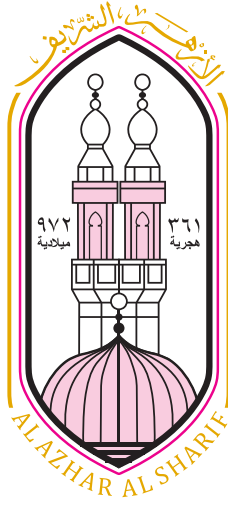
مَجَلَّةُ شَهْرَةِ جَامِعَةِ

تَصَدَّرُ عَنْ شَيْخِ الْأَنْفَرِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرِ عَرَبِي

٣٩

المجلد السابع والثلاثون

السنة ١٣٨٥ هـ



مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www.azhar.eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سَقِيفَةُ الصَّفَا الْعِلْمِيَّةِ

SAQIFAT AL-SAFATRUST

لبوان - ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org



مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

مجلة شهرية جامعة

تَبَدُّدٌ عَنْ شَيْخَةِ الْإِسْلَامِ فِي زَوْنِ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِي

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
٩٠٥٩٤ ت

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
«بدل الاشتراك»
٤٠ في المبرورة العربية
٥٠ ضائع المبرورة
والمدرس الطالب تخفيض خاص

الجزء الأول - السنة السابعة والثلاثون - المحرم سنة ١٣٨٥ هـ - مايو ١٩٦٥ م

سنة ١٤٠٧ هـ

المؤتمر الثاني لجمع البحوث الإسلامية بقيام: الأستاذ عبد الرحيم فودة

ثم نودى: أن الصلاة جامعة، فاجتمع المسلمون إليه، وقال عليه الصلاة والسلام: يا أيها الناس، إن الرب واحد، والآب واحد، وإن الدين واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هي اللسان، فن تكلم بالعربية فهو عربي، وقام معاذ بن جبل فقال: فإنا نأمرني بهذا المنافق يارسول الله؟ قال: دعه إلى النار، ثم كان ما تنبأ به النبي صلى الله عليه وسلم، فقتل قيس في حروب الردة، وذهب إلى النار وبئس القرار.

هذه القصة التي ذكرتها بمضامها وكثير من ألفاظها تذكرتها وأنا أطلع في غبطة وسرور وأمل إلى وجوه أعضاء المؤتمر

مره قيس بن مطاطية - على حلقة من الصحابة رضى الله عنهم، فرأى بينهم بلالا الحبشي، وصهيبا الرومي. ولسان الفارسي وغازله أن نجتذب دهوة الإسلام أناسا من غير العرب، وتولف من المسلمين على اختلاف ألوانهم وحدة قوية. فقال بنفسه عن غيظه وحقه: هؤلاء ينصرون الرجل (يعني محمدا) لأنه منهم. فابان هؤلاء؟ وأشار إلى بلال وصهيب ولسان، ولم يكذب انتهى من كلامه حتى قام إليه معاذ بن جبل رضى الله عنه، وأخذ بتأنيبه. وجره بشيابه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أخبره بمقالته. فقام عليه السلام مضطبا يجر رداءه حتى أتى المسجد،



السلام العالمى ، بل إنهما ترد إليهما كل أسباب التفاف والآرق والكوارث التى يفتق بها العالم . وقد شهدت كثيرا من جلسات المؤتمر ، واستمعنا إلى كثير من المناقشات التى دارت أو أثيرت فيها ، وتحدثت مع كثير من الأعضاء ، فأحسست أن الروح الهى أوحاه الله إلى خاتم أنبيائه ورسله لا يزال حيا فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، وأن الحياة التى قامت عليه أقوى من أن تهدمها أو تهزمها هوامل الهدم والفناء التى صلعت عليها من كل جانب ، وأن ضباب الشرك والإفك والإلحاد والاستعمار والصهيونية والصليبية سينجاب عن هذا النور الذى كتب الله له أن يظهر وبظفر ؛ لأنه نوره ، وبأبى الله إلا أن يتم نوره ، ولأنه الحق ومصير الحق - مهما طال عليه الأمد - أن يدمغ الباطل . كما يقول الله فيه : : بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق .

وإذا كان العالم الإسلامى قد تخلف فى مضمار العمارة والحضارة والعلم والفن عن غيره فإن تخلفه لا يقاس بأمد سبقه ، وقد ازدهرت حضارته فى الأندلس والهند أكثر من ثمانية قرون . وأثرت أشعتها على ربوع أوروبا وآسيا أدنى من ذلك أو أكثر ، أما هذه الحضارة المحدثة التى تحمل فى بنائها عوامل فتاتها فلم تتجاوز ثلاثة قرون . وهى - على ما وصلنا

الثانى لجمع البحوث الإسلامية ، وأرى فى ملاحظتها أئمة الفكر من مختلف الشعوب الإسلامية مجتمعون على كتاب الله وسنة رسوله . ايجدوا فيها للعالم هدى من ضلال ، ورشدا من غي . وأما من خوف ، فإن كتاب الله وسنة رسوله كما يقول الله فيهما : وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا . ما كنت تدري : ما الكتاب ولا الإيمان ؟ ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور .

ولاشك أن البحوث التى قدمها أعضاء الجمع فى هذا المؤتمر ، والمناقشات التى دارت حولها ، والمشكلات التى عالجوها واتمسوا الحل لها ، بما هم العالم كله أن يطلع عليه ، ويفتتح بهده ، لأنها فى المرتبة الأولى من الموضوعات العامة العالمية ، كاستثمار الأموال والمعاملات المصرفية . والتأمين ، ومكانة المرأة وتنظيم الأسرة ، والإيمان والتدين عند الشباب المثقف ، أما الموضوعات التى بحثها المؤتمر كشكلية فلسطين وإسرائيل فإنها - على أنها تمس العرب والمسلمين عامة - تؤثر بطريق مباشر فى أمن العالم وصلامته ، لأن الصهيونية والاستعمار - وهما سند إسرائيل وعونها وأساس تكوينها - يمثلان الخطر الأكبر على

وسلم، وقد كان كما يقول الله فيه : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين .

« وبعد » : فإن ما قدم من بحوث في هذا المؤتمر ، وما دار فيه من مناقشات ، يعد ذخيرة طيبة قيمة في رصيدنا الفكري وتراثنا الثقافي ، بل هو في التقدير الحليم مظهر لمناعة هذا الدين ومتانة بنيانه وسعة اتجاهاته وصلاته لكل زمان ومكان ، واستجابته لدواعي الحياة الطيبة الكريمة ، وإذا كان هذا العدد الخاص لا يسع كل ما هرض في هذا المؤتمر وما دون في جلساته ، فإنه يعطى صورة بجملة عن أحواله ، أما تفصيل كل ما قيل . وتسجيل كل ما كتب . فستتولاه الأمانة العامة وتصدر به كتابا حافلا شاملا . يوزع في جميع الشعوب والمجتمعات العلمية الإسلامية وغيرها ليرى المسلمون على هذه طريقهم إلى الحق والخير والحياة الطيبة الكريمة ، ونسأل الله - جل جلاله وقدرته - أن يثبت خطاهم . ويكمل بالنجاح جهادهم ومساعيهم ، وأن يحفظ لنا وللعرب والمسلمين أجمعين : السيد الرئيس جمال عبد الناصر . الذي تفضل . فشمّل هذا المؤتمر برعايته وكرمه . وأن يؤيده بعونه ونصره في كل ما يطلع به من أعباء لرفع شأن العربية وإعلان كلمة الإسلام . .

عبد الرحمن فودة

إليه من ثراء ورخاء وتقدم في العلوم والفنون - لم تقدم للإنسانية ما تطمح إليه من طمأنينة وسكينة وأمن واستقرار ، بل نكبتها بمر بين عالميتين سالت فيهما الدماء أنهارا وبحارا ، ذهبت فيهما أرواح الأبرياء من الأطفال والرجال والنساء ظلما وعدوانا ، ولا يزال العالم يتوقع حربا فائقة إذا وقعت - لا قدر الله - فلا يعلم إلا الله مداها ومنتهىها ، ولا يزال الذين كفروا تصيهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله .

و أما الحضارة الإسلامية فقد كانت نورا هاديا وخيرا ناعيا ، وأمانا عاما ، وقد قدم في هذا الموضوع بحث مستفيض مجد القراء جانبائمه في هذا العدد ، كما يجدون أمماتنا ولته البحوث الأخرى من مبادئ ونظريات في مختلف الموضوعات التي ذكرناها أو أشرنا إليها ، وقد اختتم المؤتمر أحواله بتوصيات وقرارات نرجو أن يتردد في الآفاق صداها ؛ وبخاصة في الشرق العربي والعالم الإسلامي ، لأنها نابعة من قلوب تحفق بآمال المسلمين في كل بلد يعيش فيه مسلم ، وتحس بالآلام الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق في فلسطين ، وتستهدف في كل ما تشعر به وتتحمس له خير الناس أجمعين ، لأنها ترسم في خطاها - إلى الإصلاح المنشود - هدى محمد صلى الله عليه

الدعوة إلى المؤتمر

على صعيد مصر في رحاب الأزهر ، لقاء
اكتمل به عدد وفير من علماء المسلمين
ومفكرهم من مختلف البلاد الإسلامية
في إفريقيا وآسيا وأوروبا يمثلون خمساً
وثلاثين دولة ، بتطلع سكانها في شغف
وشوق إلى أحكام الإسلام وفقه الدين بعيداً
عن العصبية المذهبية والطائفية ، متحرراً
من التزمّت والجزر ، معصوماً من التحلل
والتفريط .

ففي الساعة العاشرة من صباح يوم الافتتاح
توجهت وفود العلماء إلى القصر الجمهوري
بالقبة وفي مقدمتهم : فضيلة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر ، ووكيل الأزهر ، والأمين
العام لمجمع البحوث الإسلامية ، فقيّدوا
أسماءهم في سجل الزيارات معربين عن مشاعر
المسلمين الصادقة نحو أزهر الإسلام ،
متدربين للجمهورية العربية وقائدها ما يفلون
من غال وفقيس لدعم الأزهر حتى ينهض
برسالته في إمداد المسلمين بإشعاعات لرسالة
المحمدية ، وتنمية طاقاتهم الروحية وتزويدهم
بأحكام الدين وأصوله .

شهد العام الماضي انعقاد أول مؤتمر
لمجمع البحوث الإسلامية بعد صدور قانون
تطوير الأزهر وتشكيل مجمع البحوث
الإسلامية ، واستقبلت القاهرة طلائع
علماء المسلمين الذين وفدوا من قرابة
أربعين دولة إسلامية من شتى أرجاء العالم
ليشاركوا في وضع قواعد البحث
المشترك ، والنظر المتجدد ، والفهم المتطور
في الفقه الإسلامي وعلوم القرآن الكريم
والسنة النبوية المطهرة ؛ لتحقيق التلازم
بين واقع الدنيا وأصول الدين في غير جهود
أو تحلل .

ومع مطلع شهر المحرم من هذا العام
بدأت الأمانة العامة لمجمع البحوث تستقبل
أعضاء المؤتمر الثاني للجمع ، تستضيفهم
وتهيئ لهم وسائل الإقامة والتنقل ، وتقوم
على خدمتهم وراحتهم طوال مقامهم في
ضيافة الأزهر وتحت رعاية الجمهورية
العربية المتحدة .

وفي اليوم الثاني عشر من شهر المحرم
كان موعد افتتاح الدورة الثانية ، وكان اللقاء

الاستعمار الذي قيد خطواتها ، وعطل سيرها مدة كبيرة من الزمن ، داعياً إلى بذل غاية الجهد للنهوض ببقعات الأمانة التي ألقاها العالم الإسلامي على كاهل العلماء .

ثم أعقبه فضيلة الشيخ عبد الله غوشة قاضي القضاة بالأردن فألقى كلمة بالنيابة عن وفرد المؤتمر دعا فيها إلى ضرورة اتحاد المسلمين وتعاونهم على أساس من قوة العقيدة والخلق ، وتنظيم حياة المجتمع الإسلامي على أساس من كتاب الله وسنة رسول الله ، منبها إلى أهمية جمع البحوث الإسلامية في تحقيق هذه العناية ، ومسئولية المؤتمر في حمل هذه التهمة .

واختتم كلمته بشكر المؤتمر للجمهورية العربية المتحدة حكومة وشعباً على تهيئة فرصة العمل الإسلامي المشترك أمام علماء المسلمين ، من أجل إعلاء كلمة الله ونشر دينه .

ثم ألقى الدكتور محمود حب الله الأمين العام للجمع كلمة الأمانة العامة مشيراً إلى ما للأمة الإسلامية من مصيد فكري واجتماعي وسياسي واقتصادي يكفيها وحده لمواجهة مشاكل الحياة ، ويتحدى بعمقه وأصالته وشموله كل المذاهب التي استحدثها البشر

ثم عرض أعمال المؤتمر الأول والبحوث التي ناقشها وصدى الاهتمام التي قام بها لدى الرأي العام الإسلامي ، مؤكداً ضرورة تتبع

وفي الساعة الحادية عشرة والنصف استقبلت تاعة الاجتماعات بمبنى محافظة القاهرة وفرد العلماء ؛ ليشهدوا حفل افتتاح الدورة الثانية لمؤتمر بجمع البحوث الإسلامية .

وقد حضر حفل الافتتاح السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية نائباً عن السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، والسادة : المهندس أحمد عبده الشرباصي نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف وشئون الأزهر ، والاستاذ السيد يوسف وزير التربية والتعليم ، والدكتور رياض زكي وزير البحث العلمي ، والسيد عبد الخالق حسونة الأمين العام لجامعة الدول العربية والشيخ أحمد حسن الباقوري مدير جامعة الأزهر ، والاستاذ صلاح الدسوقي محافظ القاهرة ، وعدد كبير من علماء الأزهر والمشتغلين بالاشئون الإسلامية .

وتدافتح الحفل بتلاوة مباركة من كتاب الله من الشيخ محمود خليل الحصري ، ثم ألقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حمد مأمون شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر كلمته معلناً افتتاح الدورة الثانية لمؤتمر بجمع البحوث الإسلامية ، مرحباً بأعضاء المؤتمر وضيوفه مؤكداً قدرة المسلمين في حاضرم على استخلاص مقومات الارتقاء إلى حضارة إسلامية ذاتية ، بفضل تحرر بلاد إسلامية كثيرة من رقة

تخصيص الجلسة الأولى لكلمات الوفود :

وفي الساعة الخامسة والنصف مساء عقدت الجلسة الأولى للدؤتمر برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر وخصصت للاستماع إلى كلمات الوفود فتحدث السادة : سماحة الشيخ على كاشف الغطاء من علماء الشيعة بالعراق والسيد أحمد النتو زعيم مسلمي الفلبين ، والشيخ نجم الدين الواعظ من علماء السنة بالعراق ، والشيخ عبد الحميد السايح رئيس محكمة الاستئناف الشرعية بالقدس ، والسيد : وان عبد القادر إسماعيل من علماء ماليزيا ، وسماحة الشيخ محمد مهدي الخالصي من علماء الشيعة بالعراق والحاج سوري إبراهيم كانوا رؤساء جمعية الأخوة الإسلامية في سيرايلون ، والفيخ على عبد اللطيف الجسار من علماء الكويت والسيد أبو بكر محمد عزيز زعيم طائفة اللبج بـسيلان ، والشيخ محمد حسن هواد عضو المحكمة الشرعية العليا بغزة .

وقد تضمنت كلمات الوفود جوانب شتى من رسالة الجمع في العمل على دعم الإسلام والهدوء إليه ، ورفع مستوى المسلمين وتوحيد صفوفهم لمواجهة المشاكل والقضايا الإسلامية الراهنة ، كما عكست صورة الآمال التي يعلقها المسلمون في كل مكان على قيام هذه المؤسسة الإسلامية العظيمة .

المشكلات الجزئية التي دخلت حياة المسلم وإيجاد الحلول التي يتأكد بها إيمانه ، ليتحقق التفاعل بين البحث العلمي والواقع العملي ، وختم كلمته بعرض خطة العمل للدؤتمر في دورته الثانية بين أيدي المؤتمرين .

ثم ألقى السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية كلمته ، فخيا العلماء ورحب بهم باسم الرئيس جمال عبد الناصر ، معربا عن تمنياته للمؤتمرين بالتوفيق والصداد لتحقيق مجهودهم آمال المسلمين في نهضة فكرية على مستوى الرسالة التي يعملون في صيقلها ، متخذين من القدوة رباطا يحكم الصلة بين الدعوة والواقع .

ثم تحدث عن ميادين العمل الإسلامي التي خطت فيها الجمهورية العربية المتحدة خطوات واسعة في مجال التنفيذ والتطبيق في مجتمع أساسه الدين والأخلاق والوطنية ، واختتم كلمته بالمديت من مأساة فلسطين ، ومحاولة الدول الاستعمارية تصفيتها على أيدي بعض الخارجين عن الصف العربي ، وضرورة تضافر العالم الإسلامي من أجل هودة الأرض الصليبية إلى أصحابها الشرعيين .

واختتم الحفل بمثل ما افتتح به بتلاوة مباركة من كتاب الله من الشيخ محمود خليل الحصري .

- وقد أكدت كلمات المتحدثين جميعاً
ضرورة العمل الإسلامى الموحد من أجل
تحرير فلسطين بوصفها قضية المسلمين جميعاً
كما أشادوا فى كلماتهم بالدور القيادى الذى
تقوم به الجمهورية العربية المتحدة معقل
العروبة وموطن الأزهر .
- وفى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم
الجمعة ، ثانى أيام المؤتمر توجهت الوفود
إلى الزواق العباسى بالجامع الأزهر حيث كان
فى استقبالهم : فضيلة شيخ الأزهر ، ووكيل
الأزهر ، والأمين العام لمجمع البحوث
الإسلامية ، وكبار العلماء فأدوا فريضة الجمعة
تحيط بهم جموع المسلمين الذين ازدحم بهم
المسجد مرحبين بعلماء المسلمين مؤمنين الخير
الكثير على لقاءاتهم الجادة فى سبيل إهزاز
دين الله . حتى إذا قضوا صلاتهم خرجوا
بين حفاوة المصلين وتكريمهم قاصدين
استراحاتهم استعداداً لجلسات المؤتمر
وتهيئوا لمناقشة بحوثه العلمية التى أعددوا
أعضاء مجمع البحوث لتسكون مجالاً للدراسة
والمناقشة ، وقد تضمنت البحوث
الموضوعات التالية : —
- ١ — العقيدة الإسلامية كما جاءت فى القرآن
الكريم : لفضيلة الشيخ محمد أبى زهرة
- ٢ — الزكاة :
- ٣ — تنظيم الأسرة وتنظيم النفس :
لفضيلة الشيخ محمد أبى زهرة :
- ٤ — استثمار الأموال فى الإسلام :
للدكتور محمد عبد الله العربى
- ٥ — المعاملات المصرفية المعاصرة ورأى
الإسلام فيها .
للدكتور محمد عبد الله العربى
- ٦ — شبابنا المثقف أمام الإيمان والتدين
لفضيلة الشيخ نديم الجسر
- ٧ — تربية الشباب على مبادئ الإسلام :
للأستاذ عبد الحميد حسن
- ٨ — أثر الحضارة الإسلامية فى رقى البشرية
وصعادتها .
للأستاذ محمد خلف الله أحمد
- ٩ — مكانة المرأة فى الإسلام :
للدكتور إبراهيم اللبان
- ١٠ — المعاملات المصرفية :
للأستاذ وفيق القصار
- ١١ — فلسطين وإسرائيل :
للدكتور إسحق الحسينى
- ١٢ — مقومات الحضارة الإسلامية
للدكتور سليمان حزين
- ١٣ — التأمين
لفضيلة الشيخ على الخفيف
- ١٤ — موقف الإسلام من الرقى فى العصر
الحاضر - للأستاذ عبد الله كنون

١٥ - الصدقات في الإسلام

للدكتور محمد مهدي علام
الهيئات العلمية والإسلامية

تكرم أعضاء المؤتمر

هذا وقد حرصت الهيئات العلمية والإسلامية في الجمهورية العربية المتحدة على تكريم وفود المؤتمر والاحتفال بهم ، وتميئة الفرص أمامهم اللقاءات أخوية كثيرة تزيد من قوة الرابطة بينهم والتعرف على مجالات النشاط العلمي والإسلامي في مصر فأقيمت لهم حفلات التكريم من : مشيخة الأزهر ، وجامعة الأزهر ، وجمعية الشبان المسلمين ، والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ونقابة المعلمين ، والحاكم العام لقطاع غزة .

كما هيأت لهم الأمانة العامة لمجمع البحوث زيارة بعض المنشآت الإصلاحية والعمرانية التي حققتها يد الإصلاح منذ قيام ثورة مصر عام ١٩٥٢م فزاروا مديرية التحرير ، وأسوان وقطاع غزة حيث عاشوا مأساة فلسطين وشاهدوا على الطبيعة أشنع جريمة ارتكبت في حق الإنسان بفعل الاستعمار والصهيونية وأعداء الإسلام . وقرأوا في وجوه اللاجئين قصوة الظلم وسرارة الحرمان من الوطن الأم . وفرغوا من زيارتهم ليعقلوا صورة واقعية

لحقيقة المأساة التي يعيشها شعب تواطأت عليه كل قوى البغي - ينقلوها إلى أبناء المسلمين في إفريقيا وآسيا وأوروبا . . .

الدول التي دعيت إلى المؤتمر

من إفريقيا : ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب ، السودان ، الصومال ، نيجيريا ، موريتانيا ، السنغال ، مالي ، غينيا ، سيراليون ، توجو ، أوغندا ، كينيا ، جنوب إفريقيا . ومن آسيا : العراق ، اليمن ، الكويت ، عمان ، الأردن ، لبنان ، فلسطين ، البحرين ، أفغانستان ، باكستان ، الهند ، أندونيسيا ، سيلان ، الفلبين ، ماليزيا ، اليابان ، تركيا ومن أوروبا : المجر ، روسيا ، اليونان . وفيما يلي الكلمات التي أقيمت في حفل الافتتاح .

١ - كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر

٢ - كلمة الوفود لفضيلة الشيخ عبد الله غوشه : قاضي قضاء الأردن

٣ - كلمة الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية .

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمود حب الله الأمين العام

٤ - كلمة السيد حسين الشافعي نيابة عن السيد الرئيس جمال عبد الناصر

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

وقد عرف أولو الأمر في الجمهورية العربية المتحدة ما تحتاجه مرحلة التحول من تخطيط ، وما تستدعيه مرحلة الانطلاق من طاقات ، وعرفوا أيضا أن في رصيدنا الإلهي من الدين الإسلامي مقومات الارتقاء إلى حضارة إسلامية ذاتية لا شرقية ولا غربية فطوروا الأزهر لينهض بدوره الرئيسي في هذا البعث الإسلامي ، وأنشئ مجمع البحوث الإسلامية بمجلسه الدائم ومؤتمره الدوري العالمي الذي يجمع الأفاضل من علماء الإسلام الذين يمثلون الثقافات العالمية في كل نواحيها ، ويجمعون إلى تفوق المواهب وأصالة الملكات عمق البحث ، وغيرة التدين ، وكال الوعي بكل ما تتطلبه الحياة المعاصرة من مبادئ وأحكام .

وحرصا على النقاء الأفهام وتوحيد الأحكام ، مثلت الأقاليم الإسلامية بأعلام علمائها ، وصفوة مبرزها لتضمن للاجتهاد جماهية تستوعب كل أفضية الحياة ، وتضع الحلول الشرعية لجميع مشكلات البيئات .

باسم الله أفتتح الدورة الثانية لمؤتمر مجمع البحوث الإسلامية ، وباسم الأزهر - معهد كل مسلم - أحبيكم يارواد الفكر الإسلامي ، وقادة البحث العلمي تحية من همد الله مباركة طيبة ، يتوجها حمد الله على أن جمعنا تحت راية القرآن ، وفي ظلال سنة محمد عليه الصلاة والسلام .

وإني إذ أرحب بكم في الجمهورية العربية المتحدة - أستوحى عواطف المسلمين في بقاع الأرض ، فهم بفرحة الأمل فيكم يستشفرون إلى ثمار مؤتمركم استشراف الظماء لفيض الدلائل .

وإن المسلمين الذين شقوا طويلا بما أقام الاستعمار بينهم من حواجز وحدود ، وبما أشاع فيهم من خمود وتفرقة - استطاعوا بما وهبهم الله من قيادات ، وبما أشعلوا من ثورات - أن يجمعوا أمورهم بأيديهم ، وأصبح لهم الخيار فيما باتون وفيما يدعون ، ولهم وحدهم أن ينطلقوا إلى آفاق علم وحكم على هدى من ربهم .

أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ أَنْ تُوَفِّقَنَا جَمِيعاً فِي النَّصِيحِ لَكَ
وَالدَّعْوَةِ إِلَيْكَ ، وَالفهم هُناك ، صَبِحَانِكَ
لَا هَلُمَّ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ
الْحَكِيمُ .

(وَأَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ أَنْ تَسُدُّنَا حَاكِمِينَ
مُحْكَمِينَ ، وَأَنْ تَهْدِيَنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ
الَّذِينَ أَعْصَى عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ
وَلَا الضَّالِّينَ) .

أَيُّهَا السَّادَةُ : أَخْتَمُ كَلِمَتِي بِأَنْ أَسْتَأْذِنَكُمْ
فِي أَنْ أَحْيِي بِاسْمِي وَاسْمِكُمْ سِيَادَةَ الرَّئِيسِ
جَمَالِ عَبْدِ النَّاصِرِ رَئِيسِ الْجُمْهُورِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الْمُتَّحِدَةِ ، وَأَنْ أَسْأَلُكُمْ إِلَيْهِ خَالِصَ الْفِكْرِ
عَلَى تَفَضُّلِهِ بِرِعايَةِ مُؤْتَمَرِكُمْ ، وَأَنْ أَشْكُرَهُ مَرَّةً
أُخْرَى عَلَى تَفَضُّلِهِ بِإِنَابَةِ السَّيِّدِ حَسَنِ الْهَافِي
نَائِبِ رَئِيسِ الْجُمْهُورِيَّةِ عَنْهُ لِحُضُورِ حَفْلِ
الافتتاح ، كما أَشْكُرُ كُلَّ مَنْ تَفَضَّلَ بِاسْتِجَابَةِ
دَعْوَتِنَا وَالْحُضُورِ مَعَنَا فِي هَذَا الْخَفْلِ دَائِعِيّاً أَفَّ
لِلْجَمِيعِ بِالتَّوْفِيقِ

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ؟

أَيُّهَا السَّادَةُ : إِنْ فِي أَعْنَاقِنَا جَمِيعاً أَمَانَةٌ
خَطِيرَةٌ نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعِيقَنَا عَلَى أَدَائِهَا أَدَاءً
يُؤَكِّدُ صِلَاحِيَّةَ الْإِسْلَامِ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ،
وَيَقْطَعُ عَلَى الْمَرْجُوفِينَ مَسِيلَ التَّسَلُّلِ إِلَى أَمْتِنَا
الْإِسْلَامِيَّةِ بِمُسْتَوْدِ الْمُبَادِيءِ وَمَعْسُولِ
النَّظَرِيَّاتِ ، وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا أَنْ نَخْلُصَ النِّيَّةَ
وَنُجِصَ بِأَمَانَةٍ ، وَنُدْرَسَ بَعْمَقٍ ، وَنُسْتَوْعَبَ
بِحِذْرِ لِنُوَاكِجِ تَطَوُّرَاتِ الْحَيَاةِ بِدَيْنٍ يَسِرُّ
يَسْمُو بِنَا عَنْ الْجُرُودِ ، وَلَسَكُنْهُ يَعْصَمُنَا
مِنَ التَّحُلُّلِ .

وإِنِ الْبَحْثُ الْقِيَمَةُ الَّتِي أَنْتَهَى إِلَيْهَا مُؤْتَمَرُكُمْ
الْمُؤَفَّقُ فِي دَوْرَتِهِ السَّابِقَةِ فِيهَا مِنَ التَّنَوُّعِ
وَالْجِدَّةِ وَالِاسْتِقْصَاءِ وَالْحَيَوِيَّةِ مَا يُؤَكِّدُ الثَّقَفَ
فِيكُمْ ، وَيَزِيدُ الرِّجَاءَ مِنْكُمْ ، وَفِيهَا مَا يَطْمَئِنُّ
الْغَيْرُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى غِنَى الْإِسْلَامِ بِكَشُورِ
سَمَاوِيَّةٍ يَجْلِي نَفَائِسَهَا إِخْلَاصُ التَّنْقِيبِ ، وَأَمَانَةُ
الْاِكْتِفَاءِ ، وَجَمَالُ الْعَرْضِ ، وَسَمَاحَةُ
الْأَعْلَامِ وَحَزْمُ التَّنْطِيقِ .

كلمة فضيلة الشيخ عبد الله غنوص في فضة الأردن عن وفود المؤتمر

يريد أن يكونوا أمة واحدة متينة الروابط
قوية الخلق هريزة الجانب متساوية في الحقوق
والواجبات، تتعاون على الخير وتدفع الشر،
وتبنى نظمها وقوانينها وتشريعها على أساس
من كتاب الله الكريم وسنة رسوله الأمين .
وإنها الخطوة موفقة حكيمة تلك التي انبثقت
هنا تأسيس مجمع البحوث الإسلامية الذي
يضم صفوة من كبار العلماء في مختلف البلاد
لينظروا في المشاكل التي تواجه المسلمين
وليبحثوا الأنشياء التي واجهتهم أخيراً
وليسنوا لها حكماً صريحاً يبين حكم الله فيها .
أيها السادة : إن مسئوليتكم خطيرة
ورسالكم سامية جليلة فسيروا على بركة الله
وأنيروا للمسلمين طريق الحق والرشاد
واسمعينوا بالله على تحقيق أغراضكم النبيلة .
وأبتل إلى الله العليّ القدير أن يكلل أعمالكم
وجهودكم بالنجاح والتوفيق وأن يوفق الجميع
لما فيه خير الأمة وصلاحها وسيادتها والله
الهادي لأقوم طريق .

وقبل أن أختتم كلمتي أقدم جزيل الشكو
للدولة المضيفة حكومة وشعباً وعلى رأسها
السيد الرئيس جمال عبد الناصر لما لاقيناه
في رحابها من كرم الضيافة والرعاية .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

الحمد لله أسئغفره وأسئغفر به والصلاة والسلام
على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .
سيادة السيد نائب رئيس الجمهورية حضرات
السادة المدعوين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وبعد : فإنه اليوم مبارك يتم فيه هذا اللقاء
الإسلامي الكبير بين عدد وافر من علماء
المسلمين الوافدين من مختلف الأقطار
الإسلامية تلبية للدعوة التي وجهها إليهم
فضيلة الأستاذ الإمام الأكبر شيخ الأزهر
ورئيس مجمع البحوث الإسلامية لحضور
المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية .

وإنها دعوة كريمة جديرة بالتلبية والتقدير،
وإنى بالنيابة عن إخواني أعضاء الوفود
الكرام أرى أن من واجبي أن أندم خالص
الفكر وبالغ الإمتنان لسيادة القائد الكبير
الرئيس جمال عبد الناصر لتفضله برعاية هذا
المؤتمر، وشموله بعنايته، هذه الرعاية التي تضفي
على هذا المؤتمر قوة وامتداداً، كما أنني بالنيابة
عن إخواني أندم جزيل الشكر لفضيلة الإمام
الأكبر ولجميع البحوث الذين أتاحوا لنا هذه
الفرصة الطيبة الكريمة لتحقيق هذا اللقاء .
أيها السادة : إن الإسلام يريد من المسلمين
في مشارق الأرض ومغاربها على تباعد ديارهم
وتعدد أجناسهم واختلاف ألسنتهم وألوانهم

كلمة الدكتور محمد محمود حبيب الله الأمين العام للجمعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، نحمده سبحانه ، ونستهديه ،
ونصلي ونسلم على رسوله الأمين سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه ، ومن اتبع طريقته ، وسار
على سنته .

أيها السادة الأفاضل :

إن روح الإسلام التي شرح الله لها صدورا
وأثار بها بصائر وقلوبا ، واستودعها من
خزائن حكمته سرا - هذه الروح التي شدت
إليها ورثة الرسالة من علماء الإسلام
ومفكرهم ، وجمعت بينهم منذ عام مضى
أو يزيد - على اختلاف الأقطار ، وتباعد
الديار في رحاب الأزهر الشريف ، بيت الله ،
وكمبة العلم ، وملتقى العلماء من قديم الزمان
تلك الروح هي بعينها التي تجدد في ضوئها
لقاء هذا العام في المؤتمر الثاني لجمع البحوث
الإسلامية ، تأكيذا للتعاون الذي أمر الله
به ، وسعيًا في سبيل الخير الذي دعا الإسلام

إليه ، وتوسعا في المعرفة بدين الله الذي
ارتضاه لهم شريعة تنظم سلوكهم في الحياة ،
وتتحقق به خلافتهم له في الأرض .

إن الأمم الإسلامية رصيدا من التاريخ
الفكري ، والاجتماعي والاقتصادي والسياسي
ينمض بها في كل العصور دون أن تشعر بأنها
في حاجة إلى أن تستعير شيئا من خارج
حقيقتها الإسلامية ، وهي بهذا الرصيد وحده
تستطيع أن تواجه مشاكل الحياة ، وأن تجد
الحلول الحكيمة العادلة الرحيمة لما يعترض
طريقها من تلك المشاكل . والشرع الإسلامي
في شتى جوانب الحياة ، يتحدى ، بما فيه
من عمق وأصالة وكثرة تفرعات ، وقوة
صلته بالوقائع والأحداث - يتحدى أقوى
المذاهب الإصلاحية التي استطاعت أن تثبت
وجودها أمام التطور البشري ، ويبقى الشرع
الإسلامي ، بعد ذلك متميزا بخصائصه التي تعتمد
على بقطة الضمير قبل حرفية القانون ، وتجعل
الفرد بالتسالي رقيبا على القانون ، حريصا
على تنفيذها ، وهذه الخاصية هي التي تجعل
لهذا الشرع فاعلية الخلود في أصوله
الفقهية .

عام مضى شهد ميلاد أول مؤتمر لجمع
البحوث الإسلامية - باكورة عمل إسلامي
عظيم يصل حاضر المسلمين بماضيهم وينير

في حياة بعض المسلمين ، وبين أحكام الله وحدود الإسلام ، وكانت الملكية الخاصة في الإسلام وحدودها ، والملك وتحديد ، والموارد المالية وحق الدولة فيها ، وملكية العين أو المنافع ، وحق الفقراء في أموال الأغنياء . كانت هذه كلها مدار دراسات مستقيضة ، ومحو بحث عميق يرى فيها المسلم مواقع المذاهب الاقتصادية الحديثة من دين الله ، حتى لا يقف وسط هذه التيارات ، مسلوب الإرادة أعزل من المعرفة فإن أخذ بها أخذ على بصيرة وبينه ، وإن صد عنها صد عن بينة كذلك ، وكانت العلاقات الدولية بين المسلمين بعضهم وبعض ، وبينهم وبين غيرهم من شعوب الأرض ، وكان التعريف بالإسلام والتبليغ به ، وأسلوب الدعوة في الإسلام . كانت كلها مدار بحث ودراسة كذلك ، تبياناً لسماحة الإسلام ، وسعة أفقه ، وعموم مبادئه ، وتنظيماً للحياة المجتمع الإسلامي إلى جانب المجتمعات الأخرى في النطاق العالمي العام ، وتأكيداً لروابط الأخوة بين المسلمين .

كانت هذه الأبحاث في الدورة الأولى ، وكانت أبحاث أخرى كثيرة ، لا يعنى دعاة الإصلاح سردها والتعريف بها ، قدر ما يعنىهم لإجابتها ، وأن تمتاز واقع الحياة العمل في المجتمع الإسلامي ، وأن تأخذ طريقها

بين أيديهم السبيل إلى مستقبل كريم ، يجمع كلتهم ، ويؤلف بين قلوبهم ، ويعود بهم إلى ما رسمه لهم الدين من طريق في الحياة قويم .
أيها السادة :

شهد المؤتمر الأول حلقات للبحث تجددت بها صور من الأعمال المجيدة ، لسلف صالح وقفوا أنفسهم على النظر في كتاب الله ، وصلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبذلوا من ذواتهم ما وسعهم البذل ، ابتغاء الوصول إلى قواعد الأحكام الشرعية وأصولها ، يجد فيها المسلمون في كل عصر وقطر مرشد إلى صراط الله ، ويتميز بها الحلال من الحرام وتقين مواطن الشبه ، ومزاليق الريب ، وتجلى صلة الدين بالدنيا ، ويستعان بها على حل مشا كل المسلمين ، ما استغلق فهمه منها ، وما استحدثه قطور العصر فيها - معالم على صراط الله تنق بها المداير ، وتصفو المعرفة ويبأ كد الإيمان ، ويستقيم السلوك .

كان ماضى الاجتهاد وحاضره موضوع بحث دعت إليه ضرورة النظر المتجدد فيما أضافته الحضارة إلى حياة المسلم في الاقتصاد والاجتماع ، في السياسة والثقافة ، في المعرفة والفلسفة ، وفي شتى مناحي الحياة ، وكان موضوع التلخيص بين أحكام المذاهب تمككة للاجتهاد ، يفتح الطريق لمواجهة الانحراف ، أو ما يبدو من مفارقة بين ألوان من السلوك

طالما تطلعت إليه النفوس ، يربط بينهم
برباط العقيدة والمسجد ، ووحدة الهدف
والغاية ، ويجسد فيهم الإحساس بضرورة
البحث عن حياتهم المعاصرة ، في دين الله ،
الذي آمنوا به ، بعيداً عن الطائفية والعصية
المنهجية ، بعيداً عن المجاملة والمواربة ،
ويعرفهم بحلول لمشكلاتهم في إطار
على متحرر ، ويقوى الأمل في مستقبل
كريم .

ومن هنا كانت الرغبات الكثيرة الملحة
في الاشتراك في أعمال المؤتمر ، والحرص
على حضور جلساته ولجانه ، مشاركين
أو مراقبين ، ومن هنا كان السيل المنهمر من
مشاكل المسلمين يطلبون لها حلاً ، ويرون
فيها رأياً : مشاكل كلها حاجات ملحة للمسلمين
نجد بينها الرغبة في توحيد مناهج التعليم في
العالم الإسلامي ، وإنشاء فروع للجمع في
سائر أنحاء بلاد المسلمين ، والعمل على أن
يصبح الجمع نواة لجامعة إسلامية ، تتطور
تطوراً طبيعياً إلى وحدة ، أو اتحاد إسلامي
شامل ، وإنشاء محطة للإذاعة طلمية تذيع
صوت الإسلام وتعاليمه ، وإنشاء صندوق
حالي موحد للإتفاق منه على الدعوة
والمشروعات الخيرية العامة ، ووضع موسوعة
إسلامية تكون مرجعاً للقضاء والفتيا بين
المسلمين ، وتوحيد أعياد المسلمين ومواسمهم

إلى التنفيذ في سلوك الأفراد والجماعات ،
وفي سلوك الشعوب والحكومات ، وفي أحكام
النظام العام لحياة المسلمين .
أيها السادة :

لقد شهد العام الماضي فاتحة التفكير
المشترك الجاد على طريق العمل الإسلامي
العظيم ، كما شهد صورا من مشكلات ، تحمل
ملاح شعوبها ومجتمعاتها ، أسهم المؤتمر
في مناقشتها ودراستها سعياً إلى معرفة حكم الله
فيها ، ثم شهد في ختام الدورة نماذج من
الفكر الحر تمثلت فيما انتهى إليه المؤتمر
من توصيات ومقترحات ، ومن تنظيم
وقرارات ، تعتبر بحق خطوة رشيدة للعمل
للمستقبل ، وأحكاماً جديدة تواجه مقتضيات
العصر ، وما جد فيه من أحداث .

وإذا كان التحدث بنعمة الله أحد دلائل
الشكر له ، فإنه لا يطيب لي اليوم أن أقول :
إن أعمال مؤتمر جمع البحوث الإسلامية ،
ومجلسه في الدورة الماضية ، قد لازمها كثير
من توفيق الله ، بفضل الجهد المخلص الذي
بذله السادة العلماء ، سواء في إطار التنظيم
العام للمؤتمر ، أو الاتجاه العلمي في البحث ،
وسواء في الوسيلة الموصلة ، أو الغاية المرجوة
وكان من ثمرات هذا الجهد في الإطار الخارجي
فتح عيون المسلمين على جهاز على مخططي

كل مقومات الحياة وفي إيجاد الحلول السليمة التي تبدأ كد بها إيمان المسلم ، ويرى في ضوئها قوة العلاقة بين العائدة التي يؤمن بها ، والحياة التي يحياها ، فتقوى في نفسه دوافع الخير على عقيدته ودينه ، وتنمو لديه عواطف

الأخوة التي يستشعر بها آلام المسلمين وآلامهم في كل بيئة ومكان ، وإذا كانت الآمال والآلام وإن انحدت في الأصول والأهداف تحمل دائماً ملامح البيئة والظروف التي نشأت فيها ، كان لزاماً أن توجد الوسائل والسبل التي يتيسر بها الوقوف على مشاكل المسلمين وقضايا البحث المسامة من واقع الحياة في المجتمعات الإسلامية أينما كان موطنها ، ومهما يكن عدد أفرادها ؛ ليعتق التفاعل على نطاق واسع بين البحث العلمي والواقع العملي ، فلا تكون النظريات الإسلامية بمعزل ومنأى عن واقع الحياة العملي ، وبين هؤلاء العلماء في شتى مواطن المسلمين ، ليتيسر إمداد العالم الإسلامي بحاجاته الفكرية وحل مشاكله الحيوية على مستوى يرتفع عن التجرد الحرفي ، ولا يهبط إلى التعلل عن قيود التمسك بالنصوص الصريحة ، ويتيسر كذلك ربط شعوب المسلمين بعضهم ببعض على أساس علمي مدروس ، وتهيئة قيادات إسلامية في كل مستوى وفي كل بيئة تتمكن من القيام بدورها في الحياة على نطاق دولي عام ويتسع

الدينية بتوحيد بداية الشهور القمرية ونهايتها في كل بلاد المسلمين وأقطارهم بأسلوب يعتمد على العلم الحديث ويتفق مع الاتجاهات الدينية وما إلى ذلك من مسائل حيوية هامة .
أيها السادة :

ذلك عام مضى ، وتلك بعض ثمراته ، أو ظواهر ثمراته ، خير أن أاما واحداً لا ينض مقياساً للنجاح ، وعمل دورة واحدة لا يكفي معياراً للتقييم ؛ ولهذا يمكن أن أقول : إن المؤتمر الأول كان تجربة عمرها عام ، أعطت نتائج تبشر بالخير : تجربة هي في آفاق التفكير وسيلة للتجديد البناء ، وفي مجال التخطيط طريق موصلة للغاية ، وفي ميدان العمل بداية موفقة ، وفي ميزان التقييم خطوة على الطريق ، وتحقيق لبعض الأهداف والغايات .

ولهذا ؛ فإن صورة التجربة تلقى الضوء على مسالك جديدة إلى أهداف جديدة يستكمل بها المجمع رسالته ، ويزيد فاعليته .

فإذا كانت أهداف المجمع تدور حول البحوث الإسلامية العليا ، ودراسة كل ما يتصل بها خاصة بالعقيدة والشريعة والدين والحياة في إطار علمي أكاديمي .
فإن عوامل النجاح تكمن وراء البحث في جزئيات المشاكل المعاصرة ، التي دخلت حياة المسلم بفعل تطور المجتمعات ، وتجدد

الدورة السابقة فينقسم إلى فترتين: تبدأ الأولى منهما اليوم ، وتنتهى بنهاية الثانى والعشرين من هذا الشهر، ويشترك فيها السادة المدعوون مع السادة الأعضاء ، وتدرس فيها بحوث الزكاة والمصارف المالية والاستثمار والتأمين وتربية الفش ، ويدرس باقى الموضوعات فى الفترة الثانية التى تستمر حتى نهاية الأسبوع الرابع من يوم الافتتاح ، وينفرد بالعمل فيها السادة أعضاء المجمع .

أيها السادة :

إنها بحوث ومشكلات ليس يكفى أن يقال رأى الدين فيها ، وإنما الذى يعنى فى المقام الأول هو تحديد الوسائل إلى الأخذ بها والتزام حدودها ، لتسكون مقررات المؤتمر وتوصياته منهج العمل فى المجتمع الإسلامى وموضع النظر الجاد بين المسلمين .
« وقل اعملوا فـي ربي الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

واقه ولى التوفيق

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يها نطاق الدعوة إلى الله والتعريف بالإسلام .
أيها السادة الأفاضل :

إننا نستقبل بهذا المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية دورة جديدة - هى ، فى واقع الأمر ، امتداد للدورة الأولى ، تواصلون فيها الدراسة والبحث ، لتبيين العقيدة فى جوهرها الخالص ، كإرساء القرآن الكريم تبيين معالمها ورسم طريق حمايتها من ضلال التفكيك وتيار الإلحاد ، ولتبيين حكم الله فيها جدم من معاملات المصارف والتأمين والاستثمار حماية لسلامة المعاملات بين المسلمين من شوائب الجود ، وإثم المعصية والانحراف ، وتبحثون كذلك موضوعات تتعلق بالأسرة والمجتمع ، لمقاومة عوامل الوهن والتفكك التى تسرب إلى كيان الأسرة ، وتضعف بها الروابط فى المجتمع - أبحاث تـنـظـر وتـتـطـلـب التحقيق والتحرير ، ومشكلات تـنـتـظـر كذلك ، تتطلب الحل والرأى .

أيها السادة :

يسير منهج العمل فى هذه الدورة على غرار





في حفلة الافتتاح السادة : الدكتور محمود حب الله الأمين العام للجمع فالسيد / حسين الشافعي نائب الرئيس
فالأستاذ الأكبر شيخ الأزهر ففضيلة الشيخ غوشة



جانب من القاعة في جلسة الانعاج فيعقدده السادة : المهندس أحمد عبد الشرباصي نائب رئيس لوزراء ووزراء
الأوقاف وفضيلة الشيخ كاشف الغطاء و فالحسيد عبد الحاملي حوزة الأديب الامام الجامعة المصرية ، فالحسيد : السيد يوسف
وزير التربية والتعليم

كلمة السيد حسين الشافعي

نائب رئيس الجمهورية

أن تصل إلى القلوب ، يأبها الذين آمنوا
لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتاً عند الله
أن تقولوا ما لا تفعلون .
أرجو لهذا المؤتمر ... النجاح والتوفيق ،
وهو يعقد في مصر ... بلد العروبة والإسلام
بلد الأزهري الشريف .

ولقد عقدت مؤتمرات إسلامية كثيرة ،
ولكن نجاح المؤتمرات لا يقاس بالقدر
الذي يصدر عنها من بيانات رائدة لا يعجزها
مضمر من العمل والمثل والقدرة . .
بل ينبغي أن تكون هذه المؤتمرات لقاءات
جادة تبتغي نصرة الحق ... يحل فيها واقع
المسلمين ، وواقع مجتمعاتهم ، تقوم فيها الأعمال ،
وتدرس فيها التجارب ، وتحسب فيها إمكانيات
العمل لمقاومة التحديات الاستعمارية التي تتخذ
في كثير من الأحيان من الدين سبيلاً للتفرقة
في المعاملة أو طريقاً للسيطرة الاستعمارية
لمد أجل الاستغلال والاستمرار في استنزاف
موارد الشعوب .

ولأنه لمن توفيق الله علينا أن نكون
الجمهورية العربية المتحدة قد تناولت هذه
المبادئ من الوجهة التطبيقية والعملية ، وبدد
من لإجراءات النافذة التي اعتمدت على الرغبة

السلام عليكم ورحمة الله
بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب
العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين
أيها السادة : أعضاء مجمع البحوث الإسلامية
ووزير الجمهورية العربية المتحدة .

يسرني أن أرحب بكم باسم السيد الرئيس
جمال عبد الناصر وأن أؤكد لكم ما نشعر به
جميعاً نحو أعمال هذا المؤتمر الديني الكبير . .
الذي نرجو الله له السداد والتوفيق . .
ومما لا شك فيه . أن المسلمين في مشارق
الأرض ومغاربها يتطلعون إلى النهوض بالفكر
الإسلامي . . ليكون هذا الفكر على مستوى
الرسالة بروحها وأصالتها وسموها ...
فالإسلام دين العزة والحرية والكرامة ...
والنضال من أجل الحق .

أيها السادة : إن دخول الناس في أول
الدعوة في دين الله أفراجاً كان مرتبطاً بالقدرة
والمثل فحينما يدعو الدين إلى العدل . كان
الناس يطمسون العدل ويحمسونه ، ويرى الناس
في رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه
الأصوة الحسنة والقدوة والمثل ... وكذلك
الحال في كل دعوة ما لم ترتبط أفعالها
بأقوالها ، وواقعها بدعوتها . . فلا يمكن

رسول الله . . . يعلم أنه بذلك حر يدخل إلى الحرية من أوسع أبوابها ، فيؤكد أنه لا مجال لأن يكون عبداً لفرد ، أو أن يستعبده مال ، أو تحد من حريته تقاليد ما أنزل الله بها من سلطان .

وقد استشعرت الدولة ضرورة تطبيق التأمين في المجتمع على أساس أنه نظام يشجع ادخار المواطن جزءاً من ماله في أيام قوته يرجع إليه متى انقطعت به أسباب العمل بسبب المرض أو الشيخوخة . .

بل أخذت الدولة بالتأمين كعونة وتراحم من جانب المجتمع بالنسبة للمواطن الذي تنقطع موارده بسبب الكوارث . والعلل المقعدة من العمل جزئياً أو كلياً .

ورعت الدولة الطفولة والأمومة . . . ورسمت السبل لنفشة الشباب على أساس من الدين والفتوة . . . وقامت الدولة باحترام حقوق المرأة في المجتمع ومساواتها بالرجل . . . في حدود الشريعة الغراء . وإسقاطها بالاعلال التي تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع أن تشارك بعمق وإيجابية في صنع الحياة ولتكون في بيتها وفي مجتمعتها قادرة على أن تسهم في بناء المجتمع على أساس من القوة والفضيلة . يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم . .

وبهذا وبغيره من الأعمال . وعلى هدى من

في تحرير الفرد من الاستغلال والظلم ، ومن القلق والخوف من الجهول إجراءات أساسها أن يطلق المواطن ملكاته الخلاقة في عمله ، معتمداً على ربه ، آمناً في سربه متكافلاً في مجتمعه ، متضامناً مع إخوانه . . . في مجتمع أساسه الدين والأخلاق والوطنية .

فلقد قضت الدولة على الإقطاع وسيطرة وأس المال ، وحررت المعاملات من الربا . وذلك بإلغاء سعر الفائدة على القروض الزراعية كلها ، وكرمت في الإنسان جهده وعمله ، وهي المعايير التي تقدم على أساسها قروض الإنتاج الزراعي كلها .

كما أخذت البلاد بأسباب تخطيط الأسرة ، بغرض مواجهة مشكلة تزايد السكان . ودوراً لمخاطر الانفجار ، وإسلاء حق العاملين ، ومشاركتهم في الإدارة والمائد وتشجيع المدخرات ، ومحاربة حبس الأموال واكتنازها والتبديد والإسراف فيها . رغبة في فتح مجالات العمل والاستثمار وإنشاء الصناعات بخلاف للرق لجميع المواطنين . وكفلت الدولة الحرية لكل مواطن .

حرية الكلمة والرأى ، حرية اختيار العمل المناسب ، وحرية الانتخاب بعد أن كان التصويت مرتبطاً برغيف الخبز وبذلك حققت الثورة المصرية المقومات الأساسية للحرية التي يدعو إليها الدين : فإن المسلم حينما يقول : « أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً

أمرى الله تعالى بعبدته من المسجد الحرام ... هذا الاستعمار يؤكد اليوم في جولاته الثانية استهانتهم بالعرب والمسلمين حينما حث ألمانيا الغربية على أن تمد إسرائيل بالصلاح .

فعلينا - نحن المسلمين - وفي مؤتمر هذا أن تصدى لمقابلة هذا التحدي السافر ... وفي الوقت الذي بدأت فيه الإرادة العربية توحيد كلمتها ، وتوحيد قيادتها العسكرية - وتعلن عن قيام منظمة جيش التحرير الفلسطيني ، وإبراز الكيان الفلسطيني ، وتتخذ الخطوات الإيجابية للحفاظ على الحق العربي المياء العربية يخرج من الصف العربي من يقف على الإرادة العربية الواحدة ونحن في معركة مصير ، وهذا الموقف من ذلك الخارج هو موقف الحارب من المعركة .. وجزء الفار من المعركة غضب من الله وخسران مبین .

أيها الإخوة ...

في مؤتمر الثاني هذا لجمع البحوث الإسلامية أحداً بجزء الأزهر الشريف .. قبله العالم الإسلامي ... ومنازة الهدى لدين الحق . أدهو الله لكم .. وأحمل إليكم ، تحية مباركة طيبة من الرئيس جمال عبد الناصر وأمله لكم في النجاح والتوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

حسين الشافعي

نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة

الدين .. فإن اشتراكنا أفعال لا أقوال .. اشتراكية استوحيت تطبيقاتها من الرغبة في الأخذ بيد الشعب كله وخاصة تلك الطبقات التي طال حرمانها في قطاع العمل والزراعة ، اشتراكية ذات كيان مادي ملموس وقيم جديدة هي : العدالة الاجتماعية والكفائية وزيادة الإنتاج، ومضاعفة الطاقات الروحية، والدعوة السلمية ووضوح الرؤية للأهداف ، وحق كل مواطن في الرعاية الصحية والعلم والعمل .

أيها السادة :

من حسن الظالم أن اجتاحكم هذا يتم في شهر فلسطين .. التي انقضت على مأساتها سبعة عشر عاماً ... ونقترب من ذكرها الأليمة . وامل موضوع فلسطين الوارد في جدول أعمال المؤتمر يأتي على رأس الموضوعات التي ستبحثونها لارتباطه المباشر بكيان العربيه وسلامتها .. فهي القاعدة الوطنية للإسلام والمسلمين ... إذ هي تمثل النواة للعالم الإسلامي الكبير لأنها تنطق العربية . وتتكلم بلغة القرآن . وإن ما حدث بالفلسفة لفلسطين ... وإقامة إسرائيل كصورة من صور الاستعمار لم يسبق لها مثيل في التاريخ حيث أقيمت بإحلال شعب مكان شعب استهانة بالعرب وبالمسلمين ... واستهانة بالرأي العام العالمي ... واستهانة بقيم العدل والحق .

إن الاستعمار الذي استهان بالعرب وبالمسلمين فأقام إسرائيل في بلد المسجد الأقصى الذي إليه

(وفيما يلي نذكر عرضاً لبعض البحوث الهامة
التي ألفت في المؤتمر في دورته الثانية)

استثمار الأموال في الإسلام

للدكتور محمد عبد الله العربي

- ١ — مداومة مالك المال على استثماره .
- ٢ — وجوب اتباعه أقوم الطرق في استثماره .
- ٣ — توجيه هذا المال إلى جميع أنواع الاستثمار التي تتطلبها حاجة المجتمع ، وفصل القول في كل منها على الوجه الآتي :
- ١ — مداومة استثمار المالك ماله .

ذكر في هذا القسم أن من الواجب على المالك أن يشكر الله تعالى ما أفاض عليه من نعمة المال ، ومن أنواع الشكر عليه عمله على تنميته وزيادته ففعلاً له ولجتمعه ، والإسلام يبيح الفقر ، ويدعو إلى كفاحه بالجد والعمل ولا يكتفي من المسلم بالعبادات وحدها كما يفهم من قوله تعالى : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » ، ثم قال في هذا الموضوع :

فإذا أبق مالك المال ماله عاطلاً بغير استثمار يعود بالنفع على ذاته وعلى المجتمع ، وكان هذا تعطيل متعمداً من المالك وطال أمده ، وإذا كان تعطيل استثمار المال يؤدي

قدم الدكتور محمد عبد الله العربي لهذا المؤتمر بحثين أحدهما عن : استثمار الأموال في الإسلام ، والثاني وهو أكبرهما وأهمهما عن : المعاملات المصرفية المعاصرة وهو الذي سنذكره عقب هذا البحث ، ويعتبر موضوع استثمار الأموال مقدمة وتمهيداً للموضوع الثاني ...

وقد ذكر بين يدي هذا البحث عناية الفقه الإسلامي بالمعاملات عناية لم يرق إليها تشريع آخر ولكنه لم يعط موضوع استثمار الأموال من العناية ما أعطى غيرها من الاهتمام ، لأن ظروف المسلمين الأول ومقتضيات أحوالهم لم تكن تتطلب هذه التفاصيل ، ولهذا فقد ألقى هو عليها من الضوء ما يكفي لتوضيحها مراعيًا في ذلك ظروف عصرنا الحاضر ، وضروريات حياتنا المستحدثة المتطورة .

وقد حصر التكاليف الخاصة بهذه السياسة في ثلاثة أحوال :

حكمة هذا التطبيق ظاهرة في كل عصر ،
لا سيما في عصرنا هذا الذي عطشنا فيه استثمار
أكثر مواردنا الطبيعية ، تلك الموارد التي
أعدها الله على العالم الإسلامي فأهملتها
استثمارا حتى جاء الاستعمار فأطبق على أراضيها
ومضى يحاربنا بما يستخرجه منها .

فالشارع الإسلامي يحرص على مدارمة
استثمار المالك للمال الذي بين يديه ، لأنه
أصلا مال الله ومال الجماعة ومدارمة استثمار
المالك له تعود بالنفع على ذاته أولا ، وعلى
المجتمع ثانيا باعتبار هذه الثمار زيادة في الدخل
القومي وفي الثروة القومية ، وباعتبار ما يخرج
المالك من ماله في أداء الفرائض الإسلامية
مؤد إلى خدمة المجتمع .

ولما كان ولي الأمر هو المسئول عن نفوذ
التكاليف الإسلامية ، فيسكون له إذن حق
التدخل بكل ما يكفل نفاذ هذا التكليف .
أما كيف يسكون تنفيذ ولي الأمر هذا
التكليف فمما أمر تعالجه السياسة الشرعية
في كل بلد إسلامي على ضوء ظروف هذا
البلد ، وطبيعة الموارد المعطاة ، وتحديد مدة
التعطيل التي تجب تدخل ولي الأمر ، إذ لا بد
أن تتفاوت هذه المدة بحسب طبيعة المورد
من أرض قابلة للزراعة أو منجم أو مصنع
أو متجر ، وعلى ضوء الأسباب التي أدت
إلى التعطيل : هل كانت مجرد عناد واستكبار

إلى فقر صاحبه وبالتالي إلى فقر المجتمع ،
الذي يجوز لولي الأمر أن يتدخل ليحمل
مالك المال على مدارمة استثماره استناداً
إلى أن الإسلام ييغض الفقر ويكافئه ، لا سيما
إذا كان المجتمع الإسلامي في عصر معين
ينوء كاهله تحت أهباء الفقر وأوزاره

نعتقد أن هذا التكليف أجازه المصدر
الأول من الإسلام لولي الأمر ، فقد قال
الرسول عليه الصلاة والسلام : « ليس لمحتجز
حق بعد ثلاث سنين ، والاحتجاز كما هو معلوم
هو وضع اليد على الأرض الموات لمحاولة
إحيائها وتعميرها ، والأرض الموات هي التي
لم تربط ملكيتها لأحد من الناس ، فهي كما
قال الرسول : لله والرسول ثم لكم من بعد .
« أي للمجتمع كله ، وقد ثبت أن عمر رضي الله
عنه قد طبق هذا التكليف عندما قال على المنبر :
« من أحيأ أرضاً ميتة فهي له وليس لمحتجز
حق بعد ثلاث سنين ، ثم تطبقه عندما قال
« من هطل أرضاً ثلاث سنين لم يعمرها فجاء
غيره فعمرها فهي له ، وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد أعطى بلال بن الحارث
المزني جميع أرض العتيق ، فلما كان زمن عمر
قال بلال : « إن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يقطعك لتجزها من الناس إنما
لتعمل ، فخذ منها ما قدرت على عمارته
ورد الباقي . »

في استثمار مواردها الطبيعية الزاخرة ، وأدى ما أنجزته في هذا السبيل إلى قيام فئة ذوى الملايين إلى جانب الأثرية التي لا تملك سوى الكفاف .

هؤلاء الحائزون الملايين فرضت عليهم الدولة ضريبة دخل تصاعدية مرتفعة على هذا الدخل الضخم الذى تنتجه ملايتهم ، وقد تصل إلى تسعين في المائة في الشرائح العليا من دخلهم . فأرادوا التهرب من أداء هذه الضريبة ، وذلك بأن يعطلوا استثمار جزء من ملايتهم بوجهونه إلى شراء تحف أو جواهر أو صور زيتية لمشاهير الرسامين ، فكانوا يتنافسون في اقتنائها ودفع أثمانها الباهظة وبذلك جمدوا جزءا من ملايتهم عن إنتاج مزيد من الدخل يخضع للضريبة ، ومنعوا استثماره في صناعات أو مشروعات تصود بالنفع على العاملين فيها وعلى المجتمع .

أما الحكومة الاتحادية وكثير من حكومات الولايات ، التي تسيطر عليها القوى الغالبة وعلى رأسها القوى المالية اليهودية ، فقد عجزت عن إصدار تشريع يعالج هذا الوضع . ولكن بعض حكومات الولايات نجحت في إصدار تشريع يقضى بأن هذه المنقولات التى جمدت فيها الملايين سوف تؤدي ضريبة من دخل مفترض هو أقل ما كانت تنتجه هذه الملايين لو استثمرت في مشروعات

من المالك ، أو كانت لأصحاب قهريه لا قبل له وحده بالتغلب عليها ؟

وهنا يصح التساؤل : هل قام في التشريع الوضعى المعاصر ، وعلى الأخص في التشريعات المالية الأجنبية - نظير لهذا التكليف الإسلامى ؟ .

أما من جهة استثمار الأرض الزراعية فقد أجمعت التشريعات الوضعية المعاصرة على فرض الضريبة على الأرض الزراعية على أساس قيمة ما قد تنتج من محاصيل ، وذلك بتقدير يوضع مقدما لفترة معينة من السنين ، سواء كان يزرعها المالك بالفعل أو أهمل زراعتها أو تعمد إهمال زراعتها . وهذا يفترض أن على مالك الأرض التزاما ب مداومة استثمارها .

أما في مصا المالك التى ليست أرضا زراعية فلم أجد تشريعا ماليا فى أية دولة معاصرة يفرض على المالك مداومة استثمار ماله (١) ، أى لم أجد فيها نظيرا للتكليف الإسلامى . إلا حالة واحدة وجدت في التشريع الأمريكى ولكنها لم تفرض هذا التكليف إلا بصورة جزئية وبطرين مستقر وغير مباشر .

فى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كانت أمريكا لا زالت جاهدة

(١) هذا إذا استثنينا ضريبة المبانى التى يفرضها مالك البيت فى فترة خلوه من مسأجر بعد اتخاذ الإجراءات التى يفرضها عليها القانون .

٢ - اتباع أرشد السبل في الاستثمار :

ثم ذكر أن العلم الحديث كشف عن أساليب جديدة لاستثمار المال في ميادين الكسب المتعددة ، وأن الإسلام يوجب على المسلم أن يتزود بالعلم ويتدبر أسرار الكون ويدهوه إلى اتقان العمل وإحسانه ، فإذا وقف مالك المال في تنميته عند أسلوب يؤدي إلى ضالة الإنتاج أو تلف المال كان للحاكم أن يرده إلى الأسلوب الرشيد عملاً بالقاعدة الفقهية ، التصرف على الرعية منوط بالمصلحة .

أما كيف يكون تدخل ولي الأمر فقال فيه :

يكون تدخل ولي الأمر في دفع هذه المفسدة حسبما تقتضيه السياسة الشرعية في كل بلد إسلامي على ضوء الواقع فيه .

فقد يكون هذا التدخل ، إما بإلزام هؤلاء

الملاك باتباع الأساليب الرشيدة في استثمار

مصادر الإنتاج التي بين أيديهم ، أو بإبقاء

بعضها بين أيديهم على قدر طاقتهم في الاستثمار

والاستيلاء على باقيها على النحو الذي يفي

بمطالب الجماعة وفاء طيباً ، بعد تعويضهم

عنها نقداً بما يعادل قيمة رأس المال ،

هذا هل افترض أن كل هذه الثروة الضخمة

قد آلت إلى ملاكها بوسائل غير مشروعة

كالسلب أو الاغتصاب ، فلولي الأمر حينئذ ،

إلتاجية . وهي الضريبة المحسنة Personal property Tax أسوة بالضريبة العامة على الممتلكات General Property Tax التي تفرضها جميع الولايات على الممتلكات الثابتة (١) .

ولكن القوى المالية الأمريكية لم تلبث أن نجحت في إلغاء هذه الضريبة الإضافية في بعض الولايات وكانت الولاية البادئة بهذا الإلغاء هي ولاية نيويورك مقر القوى اليهودية . وكان ذلك في سنة ١٩٣٢ م .

فإذا كانت الدول التي سبقتها أشراطاً بعيدة في مراحل الحضارة المادية تحاول الحرص على تسكين مالك المال بمداومة استثمار ماله - تمكيناً للبال من أداء وظيفته في المجتمع - ألا يجب على دول العالم الإسلامي في هذا العصر بالذات أن تنفذ تسكيناً فرضه عليها شرعها الإلهي وطبقه بالفعل مصدر الأمة الإسلامية (٢) .

(١) انظر Public Finance

للأستاذ M.S. Kendric

ص ٨١ وما يليها Public Finance

للأستاذ A. G. Buenler

ص ٣٢٣ وما يليها وص ٣٤٨ وما يليها .

(٢) الإسلام يوجب ضريبة الزكاة على كل مقتني يقصد بصرائه التهرب من الزكاة - كما أن التحف والذهب الذي يشتري للذخيرة ككل مال محمّد تجب فيه ضريبة الزكاة ، فإن لم يعمل صاحب المال على تنميته لسرب من بده بهذه الضريبة ولهذا قالت السيدة عائشة : « اتجروا في أموال اليتامى حتى لا تأكلها الزكاة » .

إلى أمة أخرى ، وهو مبدأ الأمة الإسلامية في تحقيق ما يحتاج إليه من الضروريات ، ويستوى في ذلك الصناعات الثقيلة والخفيفة لأنها عدة الأمم في حروبها ، وقد هزمت روسيا أمام ألمانيا في الحرب العالمية الأولى بسبب تخلفها الاقتصادي - الزراعي والصناعي فلما استكملت نفسها من هذه الجوانب اقتضت في الحرب الثانية ، ثم ساق مثلاً آخر فقال : « ومثل آخر سابق على المثل الرومي : أمة اليابان كانت أمة متخلفة تعيش في غياب لزمان ، دهمتها السفن الحربية الأمريكية ، فأذهلتها هذا الصنيع وأيقظتها من سباتها فأرسلت البعثات ، لاستيعاب فلسفة الغرب وآدابه ، بل على الأخص لدراسة العلوم الطبيعية واقتباس الأساليب الصناعية التي بهرتها . ثم دأبت على تصنيع بلادها وتوجيه استثمارها المالي إلى هذا الميدان حتى بلغت تلك المسكينة الرفيعة في الصناعة الحديثة ، وحق غزت سلعها أسواق الأرض ، واكتسحت في طريقها مصنوعات أوروبا وأمريكا ، وحتى بلغت من القوة الحربية ما مكنها من أن تطاول أمريكا وروسيا وبريطانيا بجمعة ، حتى قهرتها القنبلة الذرية ، ولكن الإجماع الآن عند سياسة الغرب على أنها بفضل ما كسبته من كفاية صناعية ستعود سيرتها الأولى .

بل يجب استرداد هذا البعض أو السكل بغير تعويض .

على أن مشكلة تضخم الثروة في قبضة فئة قليلة واحتباسها بين أيديهم لها أبعاد أخرى في كيان المجتمع : فضررها لا يقتصر على مجرد عجز بعض هذه الفئة أو عدم أكثرها استثمار هذه الثروة بأرشد لأساليب اكتفاء بما توتيه لهم من دخل ضخيم بالرغم من التزامهم بأسوأ أساليب الاستثمار ، إنما مشكلة هذا العصر ، وضررها لا يقتصر على مجرد احتمال ضالة الإنتاج ، بل يمتد إلى إحداث آثار سيئة في كيان المجتمع من الوجهة السياسية والاجتماعية بالإضافة إلى الوجهة الاقتصادية ، كما سجل ذلك تاريخ الدولة الإسلامية في عصور الانحلال ، وكما تشهد الآن بذلك الأوضاع القائمة في الدولة غير الإسلامية المعاصرة التي تركزت ثروتها القومية في قبضة فئة قليلة من أقطاب المال على عكس الهداية القرآنية التي فرضت تداول المال في المجتمع كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم .

٣ - توجيه استثمار المال إلى جميع

المسالك التي يحتاج إليها المجتمع

ثم ذكر أن أموال المسلمين يجب أن تتوزع على مرافق الاقتصاد الهامة كي تحفظ على الأمة كياناتها الاقتصادية ولا تجمعها في حاجة

والكفاية الصناعية تفنيئنا عن أن نكون
عالة على خصومنا في استيراد أو استجداء
ما نفتقر إليه من سلع مصنوعة وتعمصنا
من أذى مواليتهم في الحق وفي الباطل، وتعمصنا
من اضطراب البعض إلى إتخاذهم أولياء .

وأخيرا ، الكفاية الصناعية أصبحت أشد
وجوبا على كل مسلم في عصرنا هذا بعد أن
أصبحت ضرورية للاستعداد الحربي، فدخلت
بذلك في نطاق التكليف الموجه إلى الكفاية :

« وأهدرا لم ما استطعتم من قوة » .

ولا أرى علاجا عمليا للنقص الذي تعانيه
الشعوب الإسلامية في الكفاية الصناعية
إلا أن تتسكفت وتتعاون جميعا - بمواردها
الفنية والمالية والطبيعية المتباينة - على وضع
برنامج شامل للتصنيع يخططون مراحله
ويتعاونون في إعداد وسائله واقتباس أساليبه
من مراكز الصناعة العالمية في كل مكان يتيح لنا
هذا الاقتباس بغير تقيد بشرق أو غرب ،
وأن يعلن هذا البرنامج للرأى العام الإسلامى
فيكون ميثاقا غليظا إلى أجل نفاذه ، تلتزمه
حكومات الشعوب الإسلامية ، ومن ورائها
رأى عام يحاسبها على وسائل التنفيذ وخطواته
وآجاله حسابا عسيرا ؟

وكتبه محمد عبد الله الدربى

ونحن شعوب العالم الإسلامى قد وهبنا
الخالق في أراضينا من الموارد الطبيعية
والمواد الخام ما ميزنا به على أمم كثيرة
ولكننا عكفنا في القرون الأخيرة في جهود
بليد على استثمار جزئى للظواهر منها على سطح
الأرض وقصرت هممتنا عن استغلال ما في
باطنها من معادن مخبوءة ومن قوى كامنة
وهن استثمار هذه الموارد وهذه القوى في
مجالات التصنيع الحديث .

يتضح مما تقدم أن اصطلاح كل مجتمع
إسلامى بهذا التكليف الثالث فيما يقضى به من
توجيه استثمار المال إلى جميع المسالك التي
تقتضيها ضروريات المجتمع واجب حتى
تفرضه ضرورة البقاء في هذا العصر إزاء
القوى العدوانية التي تحدق بالعالم الإسلامى
من كل جانب .

والتصنيع أهم هذه المسالك ، والصناعة
عمل صالح ينعكس نفعه على المجتمع بمرته ،
والإسلام يعتبر كل عمل صالح عبادة وقربى
إلى الله ، والله يحب المؤمن المحترف ، ويجب
العبد إذا عمل عملا أن يتقنه .

والكفاية الصناعية تفتح مغاليق الرزق ،
وتحارب الفقر ، والفقر عدو يكالفه الإسلام
ويعمل دائما على إبراء المجتمع من آثامه .

المعاملات المصرفية المعاصرة

للدكتور محمد عبد الله العزني

وتحدث بعد ذلك عن البديل الإسلامي وبين فائدته .

والبديل الإسلامي هو القراض الذي يسمى أيضا بالمضاربة وهو يؤدي وظيفة المصرف الحديث في القروض الإنتاجية والقروض الاستهلاكية .

البديل الإسلامي في القروض الإنتاجية . أعتقد أن عقد المضاربة الذي أجازته ونظمته الشريعة الإسلامية يكفل لنا بلوغ هذه الغاية .

أعتقد أن عقد المضاربة الذي أجازته ونظمته الشريعة الإسلامية يكفل لنا بلوغ هذه الغاية .

على ضوء هذا العقد ، وعلى ضوء حكم الفقه الإسلامي فيه ، نحدد كيف تكون العلاقة (أر لا) بين المودعين في مجموعهم من جانب وبين البنك من جانب آخر ، و (ثانياً) بين البنك من جانب وبين صاحب المشروع الذي يقسم من البنك مبلغاً من المال من جانب آخر .

ولما كانت أحكام عقد المضاربة التي نالت إجماع الفقه الإسلامي هي التي منطبقتها في تكييف

ينقسم هذا البحث إلى قسمين رئيسيين القسم الأول شرح فيه الباحث نظم المعاملات المصرفية المعاصرة - والقسم الثاني شرح فيه البديل الإسلامي الذي يرى أن يحل محل هذه الأعمال المصرفية ويحل محلها من رباح محرم أو رأسمالية مستغلة .

وقد مهد للبحث بشرح القروض الإنتاجية وهي التي يقترضها صاحبها ليقوم بها مشروعا تجاريا أو زراعيا أو صناعيا أو غيرها مما يدور عليه ربها ، وبين أن الفائدة التي تعطى للقرض زيادة على ما دفعه من الربا الذي حرره الإسلام خلافاً لما أفتى به من الفقهاء ، وقد فند حججهم في هذا ، أما فائدة القرض الاستهلاكي فلم يخالف أحد في حرمتها .

وتحدث بعد ذلك عن وظائف البنوك وآثارها الاقتصادية وما ينتج عن التعامل بالشيكات من خلق قوة نقدية موهومة لا تقبض إلا تهينة فرصة الاستغلال للبنوك - أما القروض الربوية فقد بين أنها أعظم أضرار البنوك خطراً وأشدّها أثراً على الأفراد والأمم وشرح ذلك كله شرحاً واسعاً موضحاً بالأمثلة العديدة .

كان شريكا لرب المال في الربح .
وإذا اشترى المضارب بغير فاحش لا يدخل
ما اشتراه في حساب المضاربة .

ويجوز للمضارب ، إذا كانت المضاربة
مطلقة أن يبيع بالنقد أو الفسيئة وله قبول
الحالة بشئ ما يبيعه وتوكيل غيره بالبيع
والشراء وإيداع مال المضاربة والرهن
والارتهان ، والإيجار والاستئجار ، والسفر
لأجل الأخذ والعطاء إلا إذا كان السفر غروفاً .

وأما إذا كانت المضاربة مقيدة فلا يجوز
للمضارب أن يخالف ما قيد به بل يلزمه
رعايته ، فإذا خالف الشرط كان غاصباً ،
ومضى انقلب غاصباً صار الربح له والخسارة
عليه . وإذا تلف مال المضاربة كان ضامناً له
بحكم الغصب من وقت المخالفة .

هـ — وسبب استحقاق المضارب لحصته
من الربح في المضاربة الصحيحة هو عمله .
فيعطى الربح في مقابلة ما بذله من السعي
والعمل ورب المال يستحق نصيبه من الربح
بسبب ماله وعلى ذلك إذا فسدت المضاربة
كان كل الربح له لأنه ثمرة لرأس ماله ، والفرص
أن عقد المضاربة غير صحيح ولكن يكون
للمضارب أجر المثل بشرط أن لا يتجاوز
ما كان مشروطاً له في عقد المضاربة . هذا
إذا أنت المضاربة بربح ، فإن لم يكن وبيع
فلا أجر له .

هاتين العلاقتين - علاقة المودعين بالبنك
وعلاقة البنك بأصحاب المشروعات الاستثمارية -
فإننا نورد هنا أهم الأحكام التي تحدد
هذا التكليف .

١ — المفروض في عقد المضاربة
أن المتعاقدين - رب المال والمضارب -
يقسمان الربح بالنسبة التي يتفقان عليها ،
بشرط أن تكون حصة كل منهما في الربح
جزءاً شائعاً كالنصف أو الثلث أو الربع
والباقي للآخر .

٢ — فإن كان ما اشترط لأحدهما مقدراً
معيناً فسدت المضاربة لاحتمال أن الربح
لا يأتي زائداً على ذلك المقدار المعين ، فنقطع
بذلك الشركة فيه فيفوت الغرض من المضاربة ،
والقاعدة هي أن كل شرط يوجب قطع الشركة
في الربح أو يوجب جهالة فيه فإنه يفصد
المضاربة .

٣ — ولا نصيب للمضارب إلا من لربح
فقط فلو شرط له شيء من رأس المال
أو منه ومن الربح فسدت المضاربة . واشتراط
الخسارة على المضارب باطل . وذلك لأن
الخسران هو هلاك جزء من رأس المال
فلا يجوز أن يلزم به غير مالك المال .

٤ — والمضارب أمين على رأس المال ،
فهو في يديه كالوديعة . ثم هو من جهة تصرفه
فيه وكيل عن رب المال . وإن رجعت المضاربة

البديل الإسلامى للربا فى القروض
الاستهلاكية :

إلى هنا كنا نعالج « الفائدة » من حيث
فرضها على قروض إنتاجية تقدمها البنوك
إلى عملائها ، لنعارفهم بها فى ميادين الإنتاج
وننقل الآن إلى القروض التى تقدمها البنوك
لبعض المقرضين ، ليستعينوا بها على مطالبهم
المعيشية .

فى هذه الوظيفة المصرفية أقترح أن تكف
البنوك عن ممارستها ، كي يبق نشاطها دائما
فى دائرة التنمية الاقتصادية .

وأرى أن تستأثر بهذه الوظيفة منشآت
حكومية تتولى جباية الزكاة - كلها أو بعضها -
وتوجيه حصيلة ما تجنيه منها إلى مستحق
الزكاة فى مصارفها السبعة المعروفة .

أما غير المستحقين للزكاة ، ممن كانت
تضطرم حاجات معيشية وقيمة إلى الحصول
من البنوك على قروض ربوية قصيرة الأجل ،
فإن منشآت الزكاة تستطيع أن تدمم - بغير
فائدة - بعض قروض ذات آجال قصيرة ،
يستعينون بها على توفير كرامتهم العارضة ،
على أن يبادروا بردها إلى رصيدهم - ونهم
لمستحق الزكاة ، علاوة على ما قد تطلبه منهم
المفشة من ضمانات للوفاء .

كذلك لا نفسى أن رصيده الزكاة - فى بلد
إسلامى - سوف يتغذى بمورد آخر فياض .

٦ - وإذا تلف مقدار من رأس مال
المضاربة فإنه فى أول الأمر يحسب من الربح ،
وذلك لأن الربح يتبع ، ورأس المال أصل ،
فينصرف الهالك إلى التبع . فإذا تجاوز
مقدار الربح ، وسرى إلى رأس المال فلا يضمنه
المضارب سواء كانت المضاربة صحيحة أو فاسدة
وذلك لأن المضارب أمين فلا يضمن إلا
بالتعدي ، وليس من التعدي عمله الجائز له
فى حرف التجارة .

٧ - وبالجملة فالضرر والمسارة هاتدان
على رب المال رحمة ، وإذا شرط كون ذلك
مشاركاً بينه وبين المضارب فالشرط باطل
غاية الأمر أن المضاربة إذا لم تأت بربح
فلا شيء للمضارب ، وذلك لأن نصيبه بعض
شائع فى الربح ، وإذا كان لا ربح فلا
نصيب له ، لأن ما منه ذلك النصيب معدوم .
وبعد فهذه القواعد على إيجازها - والمراجع
الفقهية حافلة بالتفصيل فيها - تلقى الضوء
على ما نريد فى تكييف العلاقة الشرعية
بين المودعين والبنك ، وبين البنك وأصحاب
المشروعات الذين يدمم بالمال .

وواضح أن البنك أمام المودعين يعتبر هو
المضارب أى القائم بالعمل فى القراض ولكنه
من جهة أخرى يعتبر وكيلاً عنهم وله أن يمد
بالمال من يقومون بالمشروعات المنتجة ومن
هذه الوجهة يعتبر البنك هو صاحب المال .

والبنك من جانب آخر - بما فيه مساهميه - سينال ربحه المشروع ، جزاء وفاقا على ما بذل من جهد وفطنة واعية في توجيه مال المساهمين ومال المودعين في استثمارات مجزية .

إن البنك - بهذا الوضع الإسلامى - لن يصير مجرد دائن لأصحاب النشاط الإنتاجى ، لا يهمل إلا أن يسترد قروضه بفوائدها الربوية مهما كان مصير المشروعات ومهما كان مصير المقترضين ، بل يصبح البنك شريكا لهم في نشاطهم الإنتاجى ، يبحث معهم أفضل مجالات الاستثمار ويهديهم إلى أرشد أساليبه ، وبذلك يصبح المال والإنتاج حليفين يتعاونان في تنمية الاقتصاد القومى . هذه الروح التعاونية التى تجمع بين رأس المال والعمل فى تحالف سليم هى روح إسلامية خالصة ، تحقق منهج الله فى سلوك البشر التعاونى عندما أمرهم بقوله : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

ولو نجح تطبيق هذا التنظيم فى بلادنا الإسلامية فإنه سوف يودى إلى إنقاذ العالم الإسلامى من التخلف الاقتصادى الذى طال أمده ، ثم يكون قدوة حية يحتمذها العالم المعاصر ، شرقية وغربية ، بارغم مما سوف يضطدم به من مقاومة ذئاب المال من بنى إسرائيل ؟

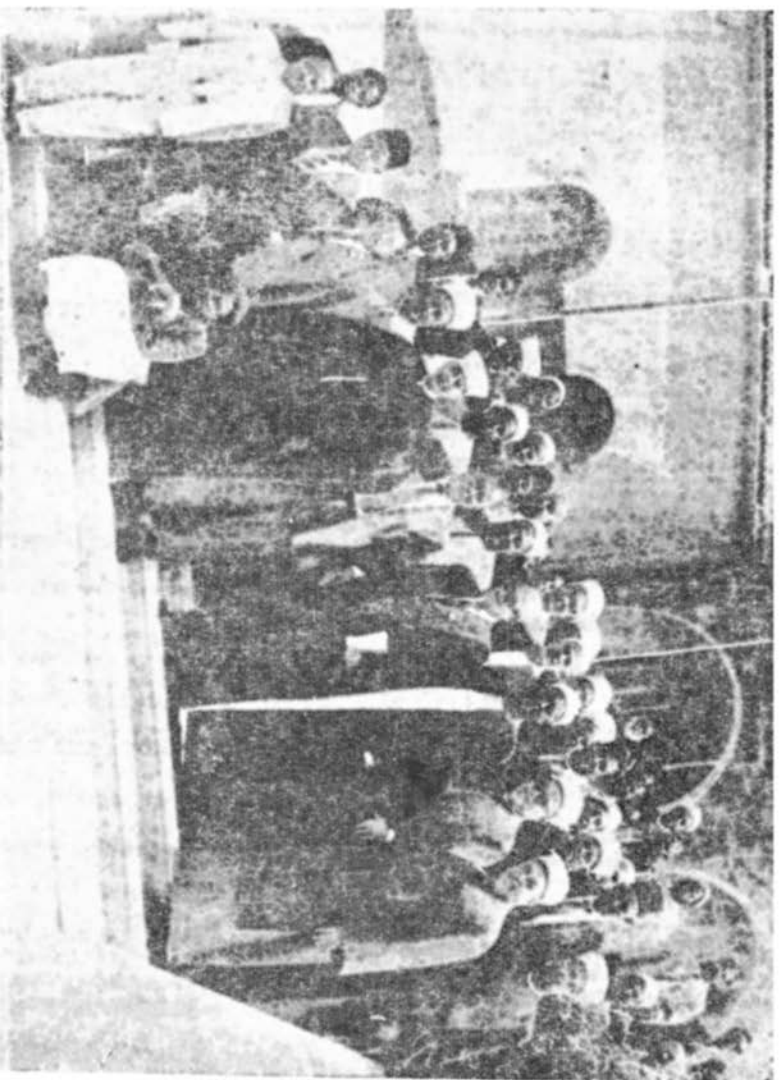
فانه مادام المجتمع الإسلامى قائما بالقسط على فرضه الملكية الفردية من التزمات إيجابية ، فإن رصيد الزكاة سوف يتغذى باستمرار بترهات متوالية من المنفقين فى سبيل الله . وقد يتألف من هذه التبرهات ذخرف ثمين يساعد منشآت الزكاة على مواجهة هذه الوظيفة الثانية : إقراض غير المستحقين للزكاة بغير « فائدة » .

أفضلية البديل الإسلامى :

يتضح مما قدمت فى اقتراحى هذا بشرطيه أن الفكرة الغالبة فيه هى لإحلال التكافل الوثيق بين طبقات المجتمع الإسلامى بالنسبة للقروض الاستهلاكية ، والتعاون المشترك بين رأس المال والعمل بالنسبة للقروض الإنتاجية ، محل بعض وظائف النظام المصرفى السائد فى الاقتصاد الغربى ، والذى انقطعت عدواه إلى البلاد الإسلامية .

فالزكاة ، والإنفاق فى سبيل الله ، سوف يقضيان على الحاجة إلى عقد قروض استهلاكية ربوية .

أما فى القروض الإنتاجية فالمال الذى أودعه صاحبه فى بنك لن ينال عنه « فائدة » ثابتة تقسم بسماوات الربا المنهى عنه ، بل ربما عادلا يتكافأ مع الدرر الذى أداه ماله فى التنمية الاقتصادية . وهذا بلا شك تشجيع كاف لكل مدخر على مولاة الادخار - العنصر الأساسى فى تكوين رأس المال القومى .



صورة تذكارية لإعطاء المؤتمر مع السيد وكيل الأزهر

شبابنا المثقف أمام الإيمان والتدين

للأستاذ نديم الجسر



توجهت الدراسة في هذا البحث إلى الشباب
وخصت نفسيته وما يطرع فيها من عقد ،
وعقليته وما نالها من انحراف ، وحياته
وما عصف بها من تيارات ، وخططت للعلاج
بنفس « موضوعية » الفحص .

تحدث البحث عن ظاهرة الإلحاد ، وتوصل
إلى دراسة لأسباب هذه الظاهرة ، فبين سيادة
الباحث كيف يقع شبابنا بين « عدة تيارات :
سلطان العقل ، أو هام التعقل ، سلطان العلم ،
أو هام العلم ، سلطان الجهل بحقيقة الإسلام ،
عدوى الملحدين ، كيد المستعمرين ، أخطاء
المستشرقين والمؤرخين ، العقدة النفسية ،
فساد المحيط ، .

وبسط فضيلة الباحث هذه التيارات التي هي
أسباب الانحراف الروحي ، وحدد معالمها
وآثارها في نفسية الشباب ، ووضع مع كل
سبب علاجه الميسور ، وطالب في ختام بحثه
أن يقرؤ المؤتمرون توصياته التي تعين الشباب
وترد إليه طريقه الضائع فيستقيم مع الرشاد .
وهذه مقتطفات نصية من ذلك البحث :
قال سماحة الباحث في بيان « سلطان العقل
في الإسلام ، .

« مزية الإسلام هو أنه جعل للعقل السلطان
الأعلى في فهم النصوص المنزلة ، هذا العقل
الذي أمرنا الله في آيات كثيرة من القرآن
أمراً قاطعاً أن نحتسب له عليه عند جدلنا مع
أنفسنا في معركة الشك واليقين ، وهذا جدلنا
مع غيرنا من الملحدّين والمشرّكين ، يشمل
بسلطانه كل معنى في الوجود ابتداء من أبسط
الأمور كيماطة الأذى عن الطريق ، إلى أعظم
معنى في الوجود وهو الألوهية والوحدانية .
فليس في الإسلام إيمان يتناقض مع العقل
ولا نص أو خبر يتناقض مع العقل ، ولا
أمرار ولا خرافات ، ولا أوهام تتناقض
مع العقل والعلم الصحيح .

ويستوعب سماحته بسط ذلك فيقول :

«... ليس أدل على بعد الإسلام وترفعه عن هذه البدع والخرافات من هدى القرآن والسنة الصحيحة، وهما المنبعان الأصيلان للتشريع».

إذا تصفح الشباب القرآن وجدوا أنه في كل سورة، بل في كل صفحة يعلى كلمة الحق، ويجعل العقل إليه هاديا، والعلم إليه دليلا، والعلماء عليه شهداء، ويحذر من الظن الذي لا يغني من الحق شيئا، ويستهزئ بالخرافات والأساطير، ويفصل فصلا صارما بين الألوهية والبشرية، ويخوف أشد التخويف من الشرك الخفي، ويحصل صلة العبد بربه من غير وسيط، ويفتح باب التوبة والاستغفار له من غير شفيح إلا بإذنه، فأين محل الأباطيل والخرافات والبدع من هذا القرآن ؟

وإذا تصفح الشباب السنة الصحيحة - وهي هدى رسول الله قولا وعملا - وجدوا أنه صلى الله عليه وسلم كان أبعد الناس عن أوهم الخرافات والأساطير، وأشداهم إنكسارا للتنجيم والعرافة والشعوذة، والاستجادة بغير الله، وكان أعظم الناس تبرا من معرفة الغيب، ومن كل ما يرفعه عن مستوى البشر والعبودية لله،

ويعطى سماحة الباحث بيانا بالأسباب التي حملت المفكرين في عصر النهضة في الغرب على محاربة الدين ورجاله، تلك الأسباب التي انتهت بالماركسية إلى الإلحاد، ثم ينوه ببراعة رجال الدين في الإسلام منها فيقول :

«... محاربة الدين ورجاله في أوروبا بنفسه على أسباب خمسة :

١ - النزاع الذي قام بين الفرق الدينية من همد أريوس الإسكندري حول الطبيعة الإلهية والبشرية .

٢ - النزاع المسلح الهامى الذي قام بين الكنيسة والحكام من أباطرة وملوك .

٣ - النزاع الذي ظهر في همد الإصلاح الدينى منف قيسام لوثر والبروتستانتية وغيرها من الفرق وأسفرت عنه حروب دامية .

٤ - القسوة التي هو مل بها بعض العلماء والمفكرين من قبل رجال الدين قتلا وإحراقا وتعذيبا لقولهم بأراء علمية فلسفية كشفت الأيام صحتها .

٥ - امتلاك رجال الدين الأرض والثروة على مثال امتلاك الأمراء الإقطاعيين ، وما نتج عن ذلك من نزاع الطبقات أثناء الثورة الفرنسية وما بعدها ، إلى همد الماركسية التي اهتمت رجال الدين ،

نبدأ الكلام في أن الإيمان بالله من ضرورات الحياة الإنسانية . . ؟

لا ريب في أن البداية يجب أن تكون أمرا تتفق نحن والشباب على أنه حق وضرورة فاهو هذا الأمر ؟ إنه «إنسانيتنا» التي يمكن أن يحادل الشباب في كل شيء إلا فيها .

يقول الفيلسوف الإسلامى الكبير «ابن مسكويه» في كتابه الموجز الجليل : «تهذيب الأخلاق» : (إن المزية الوحيدة التي يتميز بها الإنسان عن الحيوانات العديدة كلها هي مكارم الأخلاق) .

ذلك أن كل مخلوق يشترك مع غيره من المخلوقات في بعض الصفات ، ويمتاز عنها لنفسه بصفة ومرتبة خاصة لا يشاركه فيها غيره . كالأسد يمتاز بالقوة ، والفرس بسرعة الجرى ، والبغل والحمار بحمل الأثقال والعنديل والسكنار بالتفريد ، والطاووس بجمال الشكل إلى غير ذلك .

أما الإنسان فإنه يشارك الحيوانات الأخرى بصفات الحركة والتغذى والتناسل ويمتاز عنها بجمزية واحدة وهي : النطق ، أى العقل ، ومن هنا أطلقوا عليه اسم (الحيوان الناطق) أى العاقل .

ولكن التحقيق العلى قد أثبت أن الحيوانات لا تتخلو من عقل تدرك به كثيرا

من هذه الناحية حزبا واحدا مع الإقطاعيين أو الرأسماليين ضد طبقة العمال والفقراء الكادحين ، فأرادت أن تحميلهم مسؤولية الظلم الاجتماعى ، وليس في الإسلام أثر لمثل هذا السبب ، لأن رجال الدين في الإسلام يعيدون من صدر الإسلام إلى اليوم في فقر مدقع ، والقبائل القليل منهم من هو في حدود الكفاف والنادر النادر منهم من بلغ الثراء ، ومن كل هذا يظهر للشباب أن الأسباب التي حملت الغربيين على محاربة الدين ورجالها غير موجودة في الإسلام . فيبقى علينا أن نقنع الشباب بأن الإسلام اتسع ويقنع لحل المشاكل الاقتصادية ، وإزالة انظم الاجتماعى . وهو إقناع يرجى من مجمع البحوث الإسلامية أن يجعله موضع نهاية ليرتاح شبابنا من الفراغ الذى يجعلهم عرضة لامتناس المذاهب الهدامة .

وفي الفصل الأخير الرائع من البحث بين : أن الإيمان بالله حق وضرورة إنسانية . وفيه يقول سماحته :

«إن السنين الطوال سوف تنضج على جمر العذاب تفكير الشباب حتى يصدقوا أن الإيمان حق وضرورة ولصمتنا نريد أن نختصر لهم السنين الطوال ، ونوفر عليهم عذاب الندم والحرة إذا جاءت سكرة الموت بالحق ، كما يقول القرآن . فمن أين

فتتحقيق إنسانيتنا ضرورة اجتماعية ، وإنسانيتنا لا تتحقق إلا بأخلاقيتنا ، وأخلاقيتنا لا تصان إلا بالإيمان ، فالإيمان ، إذا ، أمر ضروري لأنه يمسك أخلاقيتنا التي تثبت بها إنسانيتنا .

وأكرر القول للشباب : إن الإيمان باهـ
هو :

أس الفضائل .

ولجام الرذائل .

وقوام الضمائر .

وسند العزائم في الشدائد .

وبلسم الصبر عند المصائب .

وعمد الرضى والقناعة بالحظوظ .

ونور الأمل في الصدور .

وسكن النفوس إذا أوحشتها الحياة .

وعزاء القلوب إذا نزل الموت أو قربت أيامه .

والعسرة الوثقى بين الإنسانية ومثلها الكريمة .

فلا يخدعنكم ، أيها الشباب ، من يقول لكم : إن مكارم الأخلاق تقضى ، بوازع الضمير ، من الإيمان . لأن مكارم الأخلاق

التي تواضعنا عليها ، للتوفيق بين غرائزنا وحاجات المجتمع لا سند لها ، عند اعتلاج الشهوات ، في الشدائد والازمات ، أن تعتمد على الإيمان ، بل إن هذا الشيء ، الذي نسميه

من أمور معيشتها ، لذلك صار علينا أن نبحث عن مزية أخرى خاصة يمتاز بها الإنسان عن الحيوانات ، وبها يسمى إنسانا . هذه المزية الخاصة هي : « الأخلاقية » التي تتجلى « بالضمير الإنساني » .

فالحيوان يعقل ، وقد ترقى فيه قوة التعقل كما في بعض القرد ، ولكنه لا يفهم معنى الأخلاقية ، ولا يمكن أن يكون له الشعور الذى نسميه « الضمير » .

فأخلاقيتنا ، إذا ، هي المزية الوحيدة التي تثبت بها إنسانيتنا ، وإذا خرجنا عن هذه المزية هدنا إلى مرتبة الحيوانات ، بل كان كل حيوان بمزيمته الخاصة ، خيرا منا ، لأننا فقدنا مزيقتنا الخاصة ، وليس لنا مزاياه .

هكذا قال ابن مسكويه ، وهكذا من بعده بعصور جاء « دارون » ، يقول : إن الضمير أو الحس الأخلاقى هو أظهر فاصل يفرق بين الإنسان والحيوان ، وجاء « كانت » ، يتخذ من هذا « الشعور الأخلاقى » ، منطلقا لإثبات خلود الأرواح ويوم الحساب ، ووجود الله الحكيم العدل القدير .

هذا الضمير الأخلاقى إنما يصونه الصيانة السكاملة الدائمة الساهرة النافذة من وراء حجب الخفاء شيء واحد : هو الإيمان بوجود الله الحكيم العدل القدير .

ضميراً ، إنما يعتمد ، في سويدائه على الإيمان .

وانقياد الناس لمكارم الأخلاق ، إنما يكون بزاجر من السلطان ، أو وازع من القرآن ، أو رادع من المجتمع ، فإذا كنا في نجوة من سلطان القانون والدين والمجتمع ، لم يبق لنا وازع إلا الضمير ، ونحن في معركة الشهوات والغرائز مع الضمائر ، قل أن نرى الضمير منتصراً ، إلا عند القلة من الناس ، وهذه القلة نفسها لا تستمسك بضمائرها ، عند جموح الشهوات إلا إذا كانت تخشى الله .

ولو تركنا مكارم الأخلاق جانباً ، ونظرنا إلى حاجتنا للإيمان من حيث هو سند في الشدائد ، وباسم المصائب ، وسكن للنفوس ، وعزاء للقلوب ، وعلاج لشقاء الحياة ، لوجدنا أننا عند فقد الإيمان نكون أسوأ حظاً في الحياة ، وأدنى مرتبة في سلم المخلوقات ، من أذل البهائم ، وأضعف الحشرات وأشرس الضواري .

فالبهائم تجموع كما نجوع ، ولكنها في نجوة من هم الرزق ، وخوف الفقر ، وكرب الحاجة ، وذل السؤال ... وهي تلد ، وتفقد أولادها كما تفقد ، ولكنها في راحة من هلع المشكلة ، وجزع الميئمة ، وهم اليتامى المستضعفين ...

وهي ، في أجسادها ، تتلذذ كما تلذذ ، وتألم كما تألم ، ولكنها في راحة بما يأكل القلوب ويقرح الجفون ، ويقض المضاجع ، ويقطع الأرحام ، ويفرق الشمل ، ويخرب البيوت ، من المهلكات : كالخسد ، والكذب ، والنميمة ، والفرية ، والغذف ، والنفاق ، والخيانة ، والعقوق ، وكفر النعمة ، ونكران الجميل ...

وهي تعرف ، بنوع من الإدراك ، ما يضرها وما ينفعها ، ولكنها في نجوة من أعباء التكليف ، وأثقال الأوزار ، ومضن الشك وكرب الحيرة ، وعذاب الضمير ...

وهي تمرض كما تمرض ، وتموت كما تموت ولكنها في راحة من التفكير في هتبي المرض وفراق الأحباب ، وسكرات الموت ، ومصير الموتي وراء القبور ...

والضواري تسفك الدماء لتشبع ، بلاسرف ولكنها لا تصفكها أنفها ، ولا جفها ، ولا صلفاً ولا ترفاً ، ولا علواً في الأرض ، ولا استكباراً ...

أما هذا الحيوان الفيلسوف ، الضعيف ، الهلوع ، الجزوع ، المطماع ، الختال ، الفخور ، المترف ، المتكبر ، المتجبر ، السافك الدماء ، الذي لا يأتيه شقاء الحياة ، أكثر ما يأتيه ، إلا من تفكيره ، فإنه لا علاج لشقائه

وعبوديتها وحريتها . . . بل سر خلقها ،
 ووضعها على مفترق النجدين ، وتركيبها
 على هذه الصورة القابلة للضدين ، التي من
 دونها لا يفهم معنى العبودية ولا يستقيم
 معنى العبادة

لذلك كان حقا علينا ، من باب الحاجة
 والضرورة ، إن لم يكن من باب الحق
 والعبادة والتقوى ، ومن أجل سلامة
 قلوبنا ، وسلامة ضمائرنا وسلامة ألساننا
 ومثلها العليا ، وسلامة المجتمع ، أن ندعوا
 إلى الإيمان بالله ، ونيسره للعقول ، ونشرح
 له الصدور .

سيدى الرئيس
 سادق العلماء

إخوانى أعضاء المؤتمر

أرجو أن لا تأخذونى على هذه الإطالة
 وأكرر القول فى ختام هذه الدراسة أننى
 ما فصلتها لكم ، وأنتم أعلم منى بما فيها من
 الصواب ، وأقدر منى على معرفة ما فيها من
 الخطأ ، إلا لأتوصل إلى دراسة أشمل وأنجح
 يقوم بها المؤتمر ، ثم يركزها بجمع البحوث ،
 وينتهى منها إلى تقرير الإجراءات الضرورية
 التي يجب اتخاذها فى سبيل معالجة مشكلة الإيمان
 والتدين عند شبابنا الصاعد الذين ستكون
 مقدرات العرب والإسلام أمانة بين أيديهم ؟
 والسلام عليكم ورحمة الله

إلا بالإيمان ، فالإيمان هو الذى يقويه ، وهو
 الذى يعزّيه ، وهو الذى يسليه ، وهو الذى
 يمنّيه ، وهو الذى يرضيه ، وهو الذى يجعله
 إنسانا يسعى إلى مثله الأعلى لتسجد له الملائكة .
 ومن دون هذا الإيمان يكون هذا الإنسان
 المسكين أقمس الخلائق ، واسوأها حظا ،
 وأعظمها شقاء ، وأشدّها بلاء ، وأحطها
 رتبة ، وأرذلها مصيرا .

وسبيله إلى الإيمان هو ذلك التفكير
 الذى كان سبب شقائه . أنه عبد لتفكيره
 قبل أن يكون عبدا لربه ، ولا يكون عبدا
 لربه ، حق العبد ، إلا بهذا التفكير . . .
 الذى يفسح أكثر خيوط صعوده ونحوه
 فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .

لقد خلق الله هذا الإنسان ، ورفع له
 وكرمه ، وميزه بهذه النفس العاقلة المفكرة التى
 علمه بها الأسماء كلها ، وخلقه بها على الأرض ،
 وصيره بها فوق الملائكة ، وكتب الفلاح لمن
 زكاها ، والخيبة لمن دساها ، ونفس وما سواها
 فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ،
 وقد خاب من دساها ، فكيف نزيها ؟

إننا نزيها بالتفكير حتى تتسامى إلى
 مثلها الأعلى وتصل إلى اليقين ، من الحق
 والخير والجمال ، ترى الله عنده . . . وتجيد
 من حلاوة الإيمان ما تدرك به سر شقائها
 وسعادتها وضعفها وقوتها ، وعجزها وقدرتها

تربية الشباب على مبادئ الإسلام للأستاذ عبد الحميد حسن

الباحث لكي ينظر من هذه الصلة بالشباب على مبادئ الإسلام، سالكا لهذه الغاية مراحل ثلاثا هي :

١ - صلات الإنسان الروحية والاجتماعية .

٢ - الدعائم الثلاث التي ركزها الله سبحانه في الإنسان لتكوين أساساً لتربيته .

٣ - المجالات العامة التي يمكن توجيهها إلى تهذيب الشباب وإرشادهم .

وصلة الإنسان بالله ، والمسلمين ، وغير المسلمين هي دعائم الصلات الروحية والاجتماعية ؛ فالاهتمام بقناعاتها واجب ، ودأسلحة الشباب ضد وساوس الشيطان ، وضد الانحراف ، تنمى بالعقل والإرادة ، والضمير أو القلب السليم . فهذه هي الدعائم الثلاث التي ركزها الله سبحانه في الإنسان لتكوين أساساً لتربيته .

ويجد سيادته في الإذاعة ، والمجالات الإسلامية ، ودروس الجمعة ، ورسالة المساجد ، ودراسة أعلام الإسلام - مجالات عامة يمكن توجيهها إلى تهذيب الشباب وإرشادهم .

وأساس الصلات الروحية والاجتماعية الأول : صلة الإنسان بالله ، ويرى سيادة

الباحث لكي ينظر من هذه الصلة بالشباب على مبادئ الإسلام، سالكا لهذه الغاية مراحل ثلاثا هي :

١ - صلات الإنسان الروحية والاجتماعية .

٢ - الدعائم الثلاث التي ركزها الله سبحانه في الإنسان لتكوين أساساً لتربيته .

٣ - المجالات العامة التي يمكن توجيهها إلى تهذيب الشباب وإرشادهم .

وصلة الإنسان بالله ، والمسلمين ، وغير المسلمين هي دعائم الصلات الروحية والاجتماعية ؛ فالاهتمام بقناعاتها واجب ، ودأسلحة الشباب ضد وساوس الشيطان ، وضد الانحراف ، تنمى بالعقل والإرادة ، والضمير أو القلب السليم . فهذه هي الدعائم الثلاث التي ركزها الله سبحانه في الإنسان لتكوين أساساً لتربيته .

ويجد سيادته في الإذاعة ، والمجالات الإسلامية ، ودروس الجمعة ، ورسالة المساجد ، ودراسة أعلام الإسلام - مجالات عامة يمكن توجيهها إلى تهذيب الشباب وإرشادهم .

وأساس الصلات الروحية والاجتماعية الأول : صلة الإنسان بالله ، ويرى سيادة

ويعتبر سيادة الباحث الإيمان بعد الإخلاص من أهم تلك الوسائل ، يقول : « الإيمان : وهو الدعامة القوية للدين ، وأساس الحياة الصالحة . فالإيمان باق وحده هو النور الذي يضيء فجاج الحياة ، ويرشد إلى أقوم السبل ، وهو الذي يهدي القلب ، ويعصمه من الضلال . وإن القلوب العائرة بالإيمان المتوكله على الله لا يجد الشيطان إلهاماً سديلاً ، وإن الإيمان الصحيح الصادق هو المسيطر القوي على القلب ، وعلى الإرادة التي توجه الإنسان في حياته إلى الخير . والقرآن الكريم في مواطن كثيرة من آياته يستهدف أن يوقظ في الإنسان شعوراً سامياً بما بينه وبين خالقه ، ويذكر الأساس المتين للدين ، وهو الإيمان باق وحده ، ثم يقرن ذلك بتوجيه العقل إلى آيات الله في الكون والسموات والأرض وما بينهما .

هذا وإن القلب الذي يملؤه الإيمان ، ويصطح عليه ضوؤه ، ثم يعتريه ما يحول بينه وبين خالقه ، قد يتناه ما يضعف حيويته ، ويقلل من نشاطه الروحي ، ومرد ذلك إلى ما وكب في الإنسان من ميول وفرائض شهوانية ، ولذا نجده في حياته في كفاح مع نفسه ، ومع غيره ، لسد حاجاته ، وقد تغلبه آماله ، وتتوثر فيه الآثار ، ويطنى حب المال فيغريه بالجرى وراء نزواته ، فتفتريه ، عانى الخير ، فهو شينا إلى درك لا يدرى مداه ، ويظهر هذا الموقف حين تطفئ على الأفراد ،

يتألفون نفوسهم ويختلفون قلوبهم ، وتنجح طرائقهم .

إنما تنجح المقالة في المسألة إذا صادفت هوى في الفؤاد وينبض في هذا الصدد أن نلاحظ أن في قلوب الشباب ناحية صافية مستعدة للخير ، لا أن نفرض أنهم كتلة من الشر فننهال عليهم بالقرم والتسفيه والتجريح .

ويقول سيادته من « التقوى » التي هي من الوسائل الإيجابية لتربية القلب السليم . « التقوى : وهي صيانة النفس من الآثام بترك المحذور واتقائه ، والقرآن الكريم يوضح في جلاء آثار التقوى في حياة الأفراد والجماعات ويرغب فيها بأساليب مختلفة .

يقول سبحانه : فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ويقول جل شأنه : إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، ويزيد الترغيب في التقوى بقوله سبحانه :

« يا أيها الذين آمنوا إن تقوا الله يجعل لكم فرقانا ، ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم ، والغفران يراد به نور البصيرة الذي يهدي الإنسان إلى الصراط السوي ، ويرشده إلى أن يفرق بين الحق والباطل ، والخير والشر ، وفي آية أخرى يبين سبحانه ما للتقوى من أثر في حياة الأمم والشعوب وأنها أساس قوى للفوز في الدنيا والدين ، يقول جل شأنه : إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . »

سمى ومشغلة تمنع من التفرغ للعبادة ، وبين ما ينبغي إزاء ذلك من علاج ، وذلك بذكر الله والتبذل إليه ، ومداومة التسبيح والتحميد وتلاوة القرآن الكريم . ويقول جل شأنه : « وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا » ، لما في هذا الوقت من روائع المظاهر الكونية من بدء النشاط الحيوى بعده هدوء الليل ومن انبثاق الضوء ونحو الظلام ، ومن البهجة التي تعم الناس ، وتشيع في القلوب الرضا والاطمئنان ومن أهم ما يكسبه الإنسان من تلاوة القرآن تطهير قلبه وربطه بخالقه ، وذلك لأن القرآن الكريم مستمد من المعين الصافي للوجود ، وتلاوته أشبه بنفاذ روحية ناطل منها على الحقائق الخالدة في هذا الكون وإن من أهم ما يطهر قلوب الشباب خاصة وقلوب المسلمين عامة ويجمع شملهم ، ويوحد قلوبهم ، ويعيد إليهم مجدهم ، أن يعودوا إلى هذا المنبع الأصيل ليستمدوا منه ما ينشدون من خير وهزة ورشاد .

٢ — توجيه النظر والقلب إلى مشاهد الكون ، وما بث الله فيه من آلائه ودلائل قدوته وبديع حكمته ، فكل هذا إنما يهدف إلى تثبيت الإيمان وإلى الاتجاه إلى الخالق العظيم بقلب سليم . وهذا أسلوب من أقوم أساليب التربية والتوجيه والإرشاد : والقرآن حافل بشرح هذه المشاهد الكونية وتوجيه النظر إليها ، تحقيقاً لقوله تعالى :

وعلى الشعوب مظاهر المدنية وخصائنها ، ويستبد بها الإسراف وألوان البذخ ؛ فيدب إلى القلوب الانحراف والانحلال وحيثما تبدو الحاجة الملحة إلى الإيمان الذي يطهر القلوب ويهديها طريق الرشد والاستقامة . فإذا ما وفق الله الإنسان إلى أن يقلع عن ضلاله ، ويعود إلى صوابه فإنه سيجد في وحاب الدين متقدماً بما تورط فيه ، وسيعلم أن أقوم صليل هو صراط الله المستقيم ، ودينه القويم ، ففيه ما يعيد للقلب اطمئنانه وإيمانه . وهنا يتبدل الحال ، ويشرق نور البصيرة فينتج الإنسان ، إلى ما في الدين من هدى يعيد إلى القلب الصفاء وقوة اليقين .

ولهذا كان لابد للقلب من مداومة الصقل الذي يجلو صداه ، ويصفي معدنه وقد حالج الإسلام ذلك بما يصون للبر وحنانيته ، وبقية شرمادته ، ويزيد ما هسى أن يصيب قلبه من أضرار . والوسائل التي يرشد إليها القرآن الكريم في هذا الصدد كثيرة ومن أهمها ما يأتي :

١ — ذكر الله والتبذل إليه ، حتى لا تنميه مطالب العيش وشئون الحياة الدنيا ما عليه لله ولنفسه من واجب يصل به إلى الخير . استمع إلى قوله تعالى : « إن لك في النهار صبغاً طويلاً » واذكر اسم ربك وتبذل إليه تبشيراً . رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذة وكيلاً . نحمد أن الله سبحانه وتعالى يوضع لرسوله الكريم والباقي عبادته ما في الحياة نهاراً من

فيزداد تضرباً لله وخضوعاً وصفاء نفس
واطمئنان قلب، وتزول عنه المخاوف التي
تساوره، وتزاح الأعباء التي تثقل كاهله
في معترك حياته المادية، وينكشف ما يحسه
من ضرر، ويملا نفسه الأمن والرضا .

وفي الصلاة معنى آخر اجتماعي تتجلى
فيه وحدة العمور للجماعة، ويتحقق ذلك
الغرض السامي الذي يربط بين قلوب المسلمين
وذلك في ركن من أركانها وهو الاتجاه إلى
القبلة شطر المسجد الحرام الذي جعله الله
مثابة للناس وأمناً وكذلك في صلاة الجمعة
والعيدين، ففي هذه المواقف تنتظم صفوف
المسلمين وتتجه قلوبهم جميعاً إلى الخالق
العظيم، فالصلاة هي العبادة الروحية العليا
والاجتماعية المثلى، كما أن الزكاة إلى جانب
ما فيها من تطهير القلوب، هي العبادة
الاجتماعية ذات الأثر في حياة الأمة، وفي
إشاعة التراحم والترابط بين أفرادها، وإذابة
الفروق بين مختلف طبقاتها، فغير بالمربين
أن يشرحوا كل هذا للشباب وأن يوجهوا
أنظارهم أيضاً إلى أن إقامة الصلاة لا تكون
بمجرد أدائها بصورها الظاهرة ورسومها
الآلية، وإنما تتمتع بالإخلاص لله والصدق
في التوجه إليه سبحانه، والخشوع لعظمته
وجلاله، ولا شك أن ذلك له أثره القوي
في تربية القلب السليم ؟

« سنعبرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى
يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه
على كل شيء شهيد . »

٣ - العبادات :

وللعبادات التي فرضها الله سبحانه على
المسلمين كثير من الأسرار النفسية
والاجتماعية والمقاصد الحيوية التي تستهدف
خير الإنسان وتربية قلبه السليم وفي قمة هذه
العبادات « الصلاة » ، ففيها يقضى الإنسان
فترة من يومه بعيداً عن الحياة الآلية الرتيبة
ويخرج إلى ميدان الحرية الفكرية والصفاء
الروحي واقفاً بين يدي ربه يناجيهِ متذكراً
متدبراً ، وفيها يجد الإنسان تحقيقاً لما يشرح
صدوره ويطمئن قلبه ذلك أن الإنسان كما هو
معلوم مدني بطبعه ويجب أن يحمد الأنس
والسرور في مصاحبة بني جنسه والالتقاء
بهم ولكن هذه المصاحبة هي في صميمها على
مستوى إنساني ، وكثيراً ما يكون الغرض
منها مادياً يستهدف مقاصد دنيوية وقد يكون
الجانب الوجداني الخالص ليس متحققاً .
ولذا نرى أن الإنسان يحاول أن يمد لنفسه
رفيقها الأعلى فلا يجد ذلك إلا في العالم المثالي
في رحاب الله وكنفه ، وأن الصلاة فيها هذا
المعنى السامي ، لأنها تتضمن السعي إلى الله
للوقوف بين يديه ، وتنطوي على التعبير
عن الشوق الحكامن إلى من يستجيب لدعائه
ويكشف عنه السوء ويضفي عليه من رحمته

مقومات الحضارة الإسلامية

لدكتور سليمان حزين

الديانة ، أو حتى مصطبغة بالطابع الديني إلى الحد الذي ينسبها إلى تلك العقيدة .

ثم تحدث الأستاذ الدكتور عن مفهوم الحضارة قائلا : « ولا بد لهذا الاختلاف بين الإسلام ومعظم الديانات والعقائد الأخرى سماوية وغير سماوية من أسباب ، ولكننا قبل أن نحاول استجلاء مثل هذه الأسباب والعلل يجدر بنا أن نتفق على مفهوم كلمة الحضارة ، وهو مفهوم تطور مع الزمن ، لاسيما في تاريخ حياتنا العربية والإسلامية » .

ثم تحدث عن المفهوم الأصيل لكلمة الحضارة ، ثم أبان فضل ابن خلدون ، وكيف أنه بلور مفهوم الحضارة عند العرب ، وعالج شئوننا بطريقة علمية تحليلية ، وأبان أنها ذلك النمط من الحياة المستقرة ، الذي يناقض البداوة ، فينشئ القرى والأحصار ، ويضفي على حياته أحجابه فنونا منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والعلم والصناعة وإدارة شئون الحياة والحكم ، ثم بعد أن أفاض فيما ذهب إليه ابن خلدون باعتباره الرجل الذي بلور هذا المعنى التاريخي ، وفصل الفوارق بين البدو والحضر ، واعتبر الحضارة غاية العمران ، انتقل إلى أن مفهوم الحضارة

بدأ الأستاذ الدكتور بحثه بمقدمة عن الدين والحضارة ، تناولت ما أمتاز به الإسلام من أنه دين حضارة ، وأنه أنشأ لنا عرف باسمه وهو الحضارة الإسلامية .

وتحدث عن الديانات الأخرى : « على حين أن غيهره من الديانات السماوية لم يبلغ هذه الدرجة ولا هذا المستوى من الأثر الإنساني والتاريخي ، وضرب مثلا باليهودية والمسيحية .

وكذلك الشأن في الأديان غير السماوية وعقائدها ذات الانقشار الكبير ، لم تقم لأي منها حضارة خاصة مميزة ، وإن كان بعضها قد علق بمحضرات أقدم منها أو معاصرة لها ، وضرب مثلا بالكونفوشية التي اتصلت بالحضارة الصينية ، والبوذية التي اتصلت بحضارة الهند ، بل إن عقائد الهند ذاتها وهي التي اتصلت بألوان من الحضارة الهندية لم تنشأ . لونا متكامل من الحضارة إلا على نطاق محلي محدود لم يستطع أن يعم الهند كلها في يوم من الأيام .

وكذلك الأمر في عقائد إفريقية الفطرية التي لا يمكن أن توصف الحضارة التي صاحبت بعضها بأنها حضارة مشتقة من العقيدة أو

حياة المسلمين على أرضهم ، وفي أوطانهم المتصلة في النطاق الأوسط من الأرض بين المناطق الباردة التي تقامها كثرة من المسيحيين وغيرهم ، وبين المناطق الاستوائية التي يقطن أغلبها كثرة من أصحاب الديانات الأخرى أو من الوثنيين ، ثم قال : « وسيكون بحسبنا عن « الحضارة الإسلامية ، ومقوماتها في نطاق العصر الذي نعيش فيه منعكسا عن الماضي منذ أن ظهر الإسلام وخلع طابعه الإسلامي على حضارة الشعوب التي دخلت فيه ، أي أننا سنغنى أكثر العناية بالعمد الحديث مكتفين من الرجوع إلى الماضي بالقدر الضروري .

ثم أخذ يتكلم على المقومات الدينية والبيئية والتاريخية قائلا : « ولئن كان الإسلام قد يمتاز كما ذكرنا بأنه دين بناء حضارى ، فإن واقع الأمر في الحضارة الإسلامية أنها استحدثت مقوماتها الأولى والأساسية من الإسلام ذاته ، وإذا كان ظهور الإسلام قد سبقته في جزيرة العرب وما جاورها حضارات أقدم منه كما سبقته أيضا في البلاد التي انتشر إليها ألوان من الحضارات القديمة ذات الطابع المحلي أو الإقليمي فإن الإسلام استطاع أن يضيف على البلاد التي شملها جميعا لونا مشتركا من الفكر الديني والحياة والمعاملات والعلاقات الإنسانية الاجتماعية بل والسياسية ، حتى

في عصرنا قد امتد إلى ألوان من المعنى هي أبعد وأوسع مما رآه ابن خلدون في عصره وفي بيئته العربية ، وفي انتقالها الاجتماعي والسياسي والمدنى من البادية إلى الحضر .

ثم استدرك قائلا : « على أن تلك المفاهيم اللغوية إنما نشأت في بيئة عربية كانت حياة الحضر فيها تقابل حياة البادية ولكن هذه الحالة من التقابل لا تمكث توجد بصورتها التقليدية إلا في جهات قليلة جدا خارج عالمنا العربى ، ولذلك فإن لفظ الحضارة في مفهومه العالى ومفهومه الحديث المعاصر بصفة خاصة قد أصبح أكثر اتساعا مما يدل عليه اللفظ في مفهومه اللغوى التقليدى .

ثم رأى أن يقابل في لغتنا الحديثة بين ألفاظ ثلاثة : المدنية ، الثقافة ، الحضارة ، وأن يتفق ولو على سبيل الاصطلاح على مفهوم كل واحد من هذه الألفاظ . فالمدنية قد أقصَل لفظها في مفاهيمنا الجارية بالجانب المادى من الحياة ، والثقافة يمكن أن تشمل ما يقابل المدنية من الناحية المعنوية في حياة الناس ، وأما الحضارة بمفهومها الحديث فهمي الحسيلة الشاملة للدين والثقافة ، وهى مجموع الحياة في صورها وأنماطها المادية والمعنوية . ثم قال : « وعلى هذا الأساس نستطيع أن نتحدث عما يمكن أن نصطلح على أنه الحضارة الإسلامية ، وهى حصيلة تاريخ

الحضارة الإسلامية وتجديدها على مر العصور .

٢ - إن الإسلام كان منذ يومه الأول أيضاً دين دعوة ، أى ديناً تبشيراً له رسالة يجب على المسلم أن يبلغها ، وهو من هذه الناحية يختلف عن ديانة كالمودية لم يعن أصحابها بنشرها بين الناس ، وإن كانوا هم قد انتشروا في الأرض محققين بعقيدتهم لأنفسهم ، وقد ذكر الأستاذ أن العصر الذي أرسل فيه محمد عليه الصلاة والسلام كان أنسب العصور ليمتد فيه على الناس نعمة الدين في شموله العالمى وذلك أن فكرة العالمية لم تكن موجودة في عهد أنبياء بنى إسرائيل ، ولكن صورتها الأولى كانت قد اكتملت قبيل ظهور الإسلام عندما اتصلت حضارات الشرق الأوسط بحضارات الهند والصين ، وكانت حالة الشعوب واتصالاتها قد أهلتها لأن تنلق الرسالة الإلهية .

ومن الخير أن نذكر أيضاً أن فكرة الدعوة ، في الإسلام - وقد واتتها ظروف الانتشار في النطاق العالمى - قد مكنت للإسلام ذاته من أن ينتشر طابعه الحضارى كعقيدة ، وكنمط للحياة الاجتماعية في نظمها المادية والبشرية ، ومن هنا أصبح الدين مقوماً أساسياً من مقومات الطابع المشترك في الحضارة الإسلامية ، .

أصبح هناك قدر حضارى مشترك بين المصلدين في مختلف أقطارهم وديارهم ، وإذا نحن حاولنا أن نستجلي علة قيام هذا الطابع الإسلامى العام للحضارة في بلاد الإسلام فإننا نستطيع أن نورد العوامل الدينية الآتية :

١ - أن الإسلام قد انطوى منذ يومه الأول على طاقة روحية (قوة دفع دينى) جعلت منه ثورة حقيقة ، دفنى ثورة روحية وثورة في العبادة والطقوس ، وثورة في الحياة العملية والمعاملات ، وفي النظم الاجتماعية ، بل وفي نظم الحكم ، وصلة الحاكم بالمحكوم ، وكذلك في تشريعات الأسرة والجماعة ، والشئ المهم في هذا الدفع الثائر أنه كان إصلاحاً جذرياً يمس أساس الأوضاع في حياة الناس ، وأنه لم يكن مستنداً إلى ما جاء به الكتاب وحده وإنما صاحبه السنة ، التى أصبحت هى أيضاً منذ المراحل الأولى للإسلام مصدراً للاسترشاد والتفسير والقياس في حياة المجتمع الإسلامى ، ثم إن الدفع لم يكن يستمد القوة من العقيدة وحدها ، ولامن الإيمان وحده ، وإنما كان يستند بحكم العقيدة ودفعها إلى العمل والله تعالى يقرن العمل بالإيمان : إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . . ومن هنا كان الإيمان وحده غير كاف ، وكانت الإيجابية الدينية في الإسلام لا تتم بغير العمل ، بل من هنا أصبح الدفع الدينى عاملاً أساسياً في بناء

٣ - كان الإسلام ديناً بسيطاً ، غير معقد ولا مركب في عقيدته ونظمه ، وكان في الوقت ذاته ديناً مباشراً ، يتصل فيه العبد بمخالقه دون وساطة كهنية أو كنيسية ، وقد كانت البساطة في العقيدة شاملة للعبادات والمعاملات جميعاً ، وما نظن ديناً يطلب إلى الفرد شهادة أبسط من شهادة الإسلام على حقها وجلالها ، لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ، ولعل المقوم الأساسي الذي لم يجعل البساطة تنقلب إلى مرونة مشوهة هو أن القرآن كان وعاء للعقيدة ، حفظها على مر العصور ، وأضفى عليها الطابع المشترك في مختلف البيئات وتحت مختلف الظروف ، ومن هنا فإن المجتمعات الإسلامية على تباين بيئاتها الطبيعية والاجتماعية استقت كلها من معين روحي وديني واحد ، واستطاعت في تنوعها أن تحقق الحضارة الإسلامية وحدة لا تجد لها نظيراً من الحضارات الأخرى ، التي استمدت طابعها أو بعض مظاهرها المميزة من عقيدة دينية .

٥ - كان الإسلام ديناً للأخرة وللدنيا في آن واحد ، وهو في هذا قد اختلف عن كثير غيره من الديانات والعقائد التي ينبع بعضها في ماديات الحياة ، ثم يضفي عليها مسحة من العبادة أو الفلسفة السطحية ، ويقع بعضها الآخر في مجال الروحيات التجريدية التي يبتعد بنفسه عن معاملات الحياة الواقعية ، وقد ترتب على ما اتصف به الإسلام من جمع بين الروح والمادة أنه أصبح ديناً حياً يلائم الحياة ، مهما اختلفت ظروفها البيئية أو التاريخية ، كذلك أصبح الإسلام أكثر التصاقاً بالحياة في مفهومها الحقيقي ، وصورتهما الواقعة ، ، وكان تقبل الدين أيسر يسراً بالنسبة لكل من الجماعات التي هرفت الحضارة المفرقة في المادية وتلك التي عاشت من قبل في نطاق أقرب إلى الروحيات ، ومن ذلك كله أصبح الإسلام أكثر اتصالاً بالبناء الحضاري في البيئات التي انتشر إليها على اختلاف تلك

٤ - كان الإسلام ديناً رحباً يقبل الاجتهاد . بل ويدعو إليه في حدود أصول العقيدة كما كان إلى ذلك ديناً يدعو إلى سبيل العقل كما يدعو إلى سبيل الضمير والحق ، ، وعندما خرج المسلمون من بلادهم ووجدوا حضارات أخرى لم يجانبوها لمجرد أنها

٤ - كان الإسلام ديناً رحباً يقبل الاجتهاد . بل ويدعو إليه في حدود أصول العقيدة كما كان إلى ذلك ديناً يدعو إلى سبيل العقل كما يدعو إلى سبيل الضمير والحق ، ، وعندما خرج المسلمون من بلادهم ووجدوا حضارات أخرى لم يجانبوها لمجرد أنها

ويجيز التفاوت بينهم على أساس العمل ، ومنها كذلك فكرة السباحة وعدم التمييز على أساس من العنصر أو الجنس أو المال ، ولذلك جعل الناس يدخلون في دين الله أفواجا على أساس التسكافؤ والاندماج ، ومهد لأن يكون نظام الحياة والحضارة في الإسلام نظاما جامعا رحبا راسخا في معايير التي لا يغيرها الزمن ولا تشكلها الظروف ثم منها ما يمكن أن نسميه التسكافل الاشتراكي الإسلامي الذي أرسى للجماعات قواعد الدنيا في ارتباطها بالدين .

ثم أخذ الأستاذ بمحق بحثه بالكلام عن المقومات البيئية والتاريخية ثم بالكلام عن مستقبل الحضارة الإسلامية .

تحدث عن الجزيرة العربية ذاتها ، وعن أنها منطقة « وصل » بين أطراف العالم ، وأن الأمر لم يكن أمر توسط جغرافي فقط ، وإنما كان أوسع وأعمق ، فهو توسط من ناحية الطبيعة البشرية ، ومن ناحية السلوك الإنساني ، ومن ناحية الاعتدال في كل ما يتصل بالمادة والمعنى والحياة .

ثم تحدث عن انتشار الإسلام من هذه البيئة شرقا وغربا .

ثم قال : « على أنه إلى جانب المقومات الدينية والمقومات البيئية للحضارة الإسلامية كانت هناك مقومات تاريخية وبشرية ،

البيئات ، وكان ذلك من العوامل التي حققت ولا تزال تحقق ذلك القدر المشترك من المظهر الحضاري في بلاد المسلمين .

٦ - كذلك كان الإسلام بطبيعته دين « وصل » بين الناس ، ولقد كان النبي عليه الصلاة والسلام تاجرا ، ولم يكن صاحب حرفة أخرى مما يفصل صاحبه عن المجتمع أو يجعله في جانب خاص ، ومن الطريف أن التجارة كان لها دور كبير في انتشار الدين الجديد .

٧ - « وأخيرا ؛ فإن الإسلام كان دين « قيم » وضوابط سلوكية مادية ومعنوية وهذه القيم يتصل بعضها بحياة الأفراد ، ويتصل بعضها الآخر بحياة الجماعات ، وإذا نظرنا إلى الحضارة على أنها لا بد أن تقرر بنمط معين من الحياة فإن الإسلام عاون بقيمه وضوابطه على أن يعطي حياة أهله وحضاراتهم بعض ميزات ذلك النمط المشترك ؛ بل إن الإسلام امتاز بأن أعطى نظاما متكاملا للحياة ، سواء من وجهة نظر الفرد أم وجهة نظر الجماعة ، وهذا النظام شمل علاقات الأفراد ، وكثيرا من نواحي الحكم ذاته ، ثم انتقل إلى الكلام على أبرز القيم التي استند إليها نظام الحياة الإسلامية : فكرة القيمة الدانية للإنسان الفرد ، ثم فكرة الإخاء ، ثم فكرة العدل الذي ينبع من قاعدة المساواة بين الأفراد

وتحدث عن التفرع والمغول وغلبتهم على قواعد المسلمين ، وتحدث عن انتشار الإسلام بينهم وبين قبائل آسيا الداخلية إلى حدود منغوليا في المشرق البعيد .

مستقبل الحضارة الإسلامية :

وإذا كان ذلك تاريخ دين الله ، وما يتصل به من طابع حضارى اتسع نطاقه ، واستمر اتصاله على مر الزمن ، وامتناع بالشمول الإنسانى والاجتماعى ، والتماحك والوحدة الروحية ، رغم كل الظروف المكانية والتاريخية والبشرية ، فها هو المستقبل بالنسبة للحضارة الإسلامية فى عالمنا المعاصر ؟ إن هذا المستقبل مرتبط أشد الارتباط وأقواه بأمرين : هما طبيعة الإسلام الذى أعطى الحضارة طابعها المميز ، ثم طبيعة الحضارة ذاتها وقدرتها على البقاء والاستمرار والتجدد والقوة ، وإذا كان الله تعالى قد قال وهو أحكم القائلين ولما نحن نزلنا الذكر وإناله لحافظون ، فإن المفهوم الشامل لهذه الآية الكريمة أن الله يحفظ الذكر قولا ومدلولا ورسالة ، وما دام هذا المعين باقيا على الأرض ، فإن مصب الحضارة فى حياة الناس لا يمكن أن يحذف أو يغيض ، والواقع أن شريعة الإسلام قد أثبتت قدرتها على البقاء وملاءمة العصور والمراحل الحضارية رغم اختلاف الظروف وهذه الحيوية ذاتها هى سر القوة فى الإسلام

فالإسلام كان ختام الديانات السماوية ، وكان بذلك وباطناً لها من الناحية التاريخية . وكان على الإسلام أن يصححها وينقيها ، ويرد إليها أصالة الفكر التوحيدى . ثم قال : ولنتذكر مرة أخرى أنه عندما ظهر الإسلام كانت فكرة العالمية ، واتصال الشرق بالغرب سواء بالتجارة والوسائل السلمية ، أم بالاحتكاك العنيف والحروب العالمية ، التى بدأها الإسكندر الأكبر لأول مرة فى التاريخ ... كان ظهور فكرة العالمية واستقرارها قبل نزول الإسلام عاملاً مهدداً ، فتح مجال التوسع والانتشار على نطاقه العالمى أمام دين الله الجديد ، وتلك فرصة أتيت غير كاملة للسيحية ، ولم تنح لاليهودية ولا لأديان جنوب آسيا وشرقها التى بقيت محصورة فى نطاقها الجغرافى الآسيوى ، ثم تسكلم من تنوع السلالات التى دخلت فى الإسلام وأثرها فى انتشار الإسلام ، ثم قال : ثم إن هناك ظاهرة أخرى ترتبت على كل هذه الجوانب والعوامل الإنسانية ، هى ظاهرة الاتصال والاستمرار الزمنى فى الحضارة الإسلامية ، ذلك أنه رغم فترات الضعف العياشى فإن هذا الدين احتفظ بكيانه وحيويته وقدرته على بناء الحضارة ونشرها ، بل إن فترات الضعف العياشى للمسلمين كانت من أبرز فترات انتشار الدين الحنيف ،

وتعاليمه ، وفي كل ما يتصل بالإسلام من بناء حضارى ، لاسباب في حياة الناس ونظمهم الاجتماعية ، وهو أعز ما في المفهوم الحضارى من تراث . وبالإضافة إلى ذلك فإن الإسلام دين يمكن أن تميزه بين الأديان بأنه دين ة توق حضارى ، يندفع من ممارسه ، لا إلى العمل وحده . وإنما إلى ما هو أهم من ذلك وهو « الإتيان » : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » . وهذا الإتيان هو مفتاح الإجابة والتجويد والبقاء والاستمرار الحضارى ، بل هو أساس التطلع إلى ما هو أحسن وأفضل ، والتوق إلى بلوغ غاية الإبداع في العمل الحضارى . والتاريخ يعلمنا أن المسلمين كلما خلصوا لدينهم ، ومارسوه بمفهومه العميق الذى يجمع بين الإيمان والعمل ، نهجوا في إقامة الحضارة وإحياء تراثها ، والانطلاق بها إلى آفاق المجد التاريخي ، ومن هنا كانت جماعات المسلمين دائما تجد في المتومات الدينية دافعا إلى العمل الحضارى المجيد ، وحافزا عليه . فأما عن طبيعة الحضارة الإسلامية ذاتها ، فإنها حضارة متكاملة يعيش أصحابها لدينام ولاآخريتهم جميعا ، والتاريخ يعلمنا أيضا أن الحضارات التى تجمع بين المادة والروح ، والتى يعطى الدين فيها نمطا متكاملا للحياة

اليوم الماضية وحياة الغد الروحية . . مثل هذه الحضارات هى أقدر الحضارات إلى البقاء والخلود ، ومن الخير أن نذكر هنا أنه حتى حضارة المصريين القدماء تلك التى لم تعرف الدين إلا في صورته الساذجة المختلطة قبل التوحيد ، قد استطاعت أن تبقى على وجه الزمن في حالتها المزدخرة خلال بضعة آلاف من السنين شبه متصلة ، وهى فترة أطول كثيرا مما بقيته حضارة اليونان أو حضارة الرومان ، وهى أضاف أضاف ما عاشته حضارة أوربا في صورتها الحديثة . وقد يكون السبب الأكبر في استمرار حضارة الفراعنة تلك القرون الطوال أن المصريين القدماء كانوا يعيشون لآخريتهم ، كما تصوروها ، بقدر ما يعيشون لدينام ، ولقد أقاموا معابدهم ومقابرهم من الحجر ، بناء أو نحتا ، فبقيت على الزمن ، كما تركوا آثار حملهم المادى اليدوى في الأرض والرى والحياض التى لا تزال نزعها بعدم حتى اليوم ، وتلك صورة من الخير أن نذكرها لأنها تلقى الضوء على ما يمكن أن يكون من مستقبل حضارة الإسلام ، تلك التى تجمع بين الدين في صورة من التوحيد والعمق والضياء الروحى الذى أتم الله به نعمته على الناس ، وبين الدنيا في صورة من العمل الذى

أقدامهم ، قبل أن يطلقوا قدما وفق إرادتهم
وفي هدى من قيمهم الروحية والاجتماعية
والحضارية على طريق الغد المرموق .

لقد صاغ المسلمون حياتهم وحضارتهم
في ظل الدين الحنيف منذ نزول الإسلام
وجددوا هذه الحياة مرة ومرة خلال تاريخهم
المتصل ، وهم قادرون بإذن الله على أن يعيدوا
صياغة التاريخ في غدم القريب والبعيد .
ختام :

وبعد فهذا بحث لم يقصد به أن يكون
دراسة مفصلة لمقومات الحضارة الإسلامية ،
بقدر ما قصد به أن يعطى إشارة إلى أهمية
هذا المنحى من الدراسة والبحث ، بالنسبة
لماضى الحضارة الإسلامية ، ومستقبلها .
كذلك فإننا لم نحاول أن نضمن هذا البحث
تفصيلا لمظاهر حضارتنا في صورها التي
ملأت التاريخ خلال أربعة عشرة قرنا ،
والتي عمرت الأرض وامتد ضياؤها إلى خارج
العالم الإسلامى بحدوده الجغرافية المعروفة .
ولكننا نأمل أن نكون قد وفقنا لاسترقاء
النظر إلى أهمية هذا اللون من الدراسة ، لعل
فيما ذكرنا ما يستثير الاهتمام ويدعو إلى مزيد
من البحث والاستقصاء ، وإلى توجيه البحث
العلمي نحو استجلاء دور الإسلام في بناء
حضارة أشرق بها وجه الزمن ، ولم تكن
من أجل المسلمين وحدهم ، وإنما كانت
كذلك ، وستبقى ، من أجل الإنسانية جميعا .

يبنى الحضارة ، ويقم دعائمها ويحقق كلفة الله
بالعمران على الأرض .

وبجمال المقاتلة بين الحضارة الإسلامية
والحضارات الأخرى ، قديمة وحديثة مجل
يمكن أن يفتح لكثير من القول الذى يقوى
إيماننا بمستقبل هذه الحضارة ، ولكننا حتى
إذا ما نظرنا إلى بعض نواحي الضعف فى
حضارتنا الإسلامية ، فإننا لا نلث أن نجد ما
من النوع الطارىء ، أو الذى يمكن أن ينقلب
إلى مصدر قوة ، ولناخذ ظاهرة الجود ،
على سبيل المثال ، فقد كانت حياة المسلمين
توصف فى القرن الماضى بأنها حياة جامدة
غير متطورة ، ولكن من يتأمل تلك الحياة
لا يلبث أن يرى فى جودها إذاك نوعا من
الانطواء على الذات فى مواجهة تحديات
الفكر الأوربى الاستعمارى ، وفى مواجهة
تيارات التغفلل الأجنبى ، التى كانت تعمل
من أجل زهزعة إيمان المسلمين بقيمهم
الحضارية ، ولا شك أن روح الجود إذاك
كانت نوما من الدفاع عن الذات ، وأنها
حفظت على المسلمين وحضارتهم كيانها ، ولو
فى حالة توقف حضارى ، صان الحضارة من
الانحراف فى تيار حضارات دخية ، وحفظ
عليها شخصيتها وسط الأنواء والعواصف
الفكرية ، حتى يجمع للمسلمين من العزة
الذاتية ، ومن هواصل اليقظة الفكرية
والروحية ، ما يمكن لم من أن يبقوا على

أثر الحضارة الإسلامية في رُقى البشرية وسعادتها

للأستاذ محمد خلف الله أحمد

أنواعها وأصنافها فتكون بمنزلة الصنائع ،
ويحتاج كل صنف فيها إلى القومة عليه
والهمرة فيه . .

ثم قال : د . والمعاجم الحديثة تعرف
الحضارة في استعمالها المولد بأنها د مظاهر
الرقى العلمى والفنى والأدبى والاجتماعى
في الحضرة ، (المعجم الوسيط) .

وقد لاحظ الأستاذ أن اللفظتين الانجليزيةتين
المقابلتين لالفاظنا العربية الثلاثة وهما :
Civilization و Culture فيهما مافى ألفاظنا
من تقارب وتداخل ، وقد جرى عليهما
ما يجرى على ألفاظنا من محاولة التجديد
وال تخصيص ، ثم استدرك قائلاً : د على أن
كثيراً من علماء الإنسانيات في الغرب
قد اصطلمحوا منذ القرن الماضى على أن
يقصروا دلالة Culture (وتقابلها عندنا
الثقافة) على الجوانب الروحية والأدبية
من حياة الأمة ممثلة في دينها ونظم أخلاقها
وفلسفتها ولغتها وآدابها وفنونها مما يتصل
بتثقيف العقل والنفس . وصرفوا دلالة :

Civilization (وتقابلها عندنا مدنية

بدأ الأستاذ محمد خلف الله أحمد بحثه
بدراسة لالفاظ ثلاثة : الثقافة ، المدنية ،
الحضارة ، ولما يقابلها عند الإفرنج
Culture و Civilization . كسقدمة لبحثه
عن د أثر الحضارة الإسلامية في رقى
البشرية وسعادتها ، فقال : د فأصل مادة
التثقيف في العربية : التثذيب والتهديب
والتقويم والحدق والفظانة ، ومعاجمنا
تعرفها في الاستعمال المحدث بأنها د العلوم
والمعارف والفنون التى يطلب الحدق فيها
(المعجم الوسيط) . ومادة مدن وتمدن
متصلة بالمدينة والعيش فيما ، والأخذ بأسباب
الحضارة ، وأصل معنى الحضارة : الإقامة في
الحضر ، ثم انتقل إلى استعمال ابن خلدون
لكلمة الحضارة ، وخلاصة كلامه فيها : د أن
الحضارة في الأمصار من قبل الدول ، وأنها
ترسخ باتصال الدولة ورسوخها ، و د أنها
أحوال عادية زائدة على الضرورى من أحوال
ال عمران زيادة تنفاوت بتفاوت الرقة
وتفاوت الأمم في الفلا والكثرة تفاوتاً غير
منحصر ، وتقع فيها هند كثرة التفنن في

والمادية معا (أو الثقافة والمدنية بمعناها الضيق) بعد هذه المقدمة التي تناولت معنى الحضارة قال : د وعلى هذا الأساس نستطيع أن نقول : إن الحضارة الإسلامية هي تلك الحضارة التي قامت على أحاسن رسالة سماوية هي الإسلام - جاءت خاتمة لرسالات السماء مصدقة لما بين يديها من الرسالات ، وتكلم عن القرآن وثبوت ثبوتنا تاريخيا قاطعا وتضمن سورة وآياته الأسس الكبرى لتعاليم تلك الرسالة ، وأقوال الرسول وأعماله التي بذل العلماء جهودا خالدة في تتبع روايتها واستقصاء أسانيدها فكانت ثمرة ذلك كتب الصحاح التي يعدها المسلمون المصدر الثاني بعد القرآن .

ثم قال بعد ذلك : د هذا - إذن - هو المقوم الأول من مقومات الحضارة الإسلامية ، وذلك أنها قامت على أساس من رسالة إلهية ، ثم تحدث عن هذه الرسالة ، وكيف بدأت حياتها في بلاد العرب ، وكيف كافح المؤمنون - وهم قلة - ثلاثا وعشرين سنة ، وقد تكونت النواة الأولى للدولة الإسلامية في المدينة ، وكان خلفاء الرسول وأصحابه وأنصاره قد استعدوا لتلقي راية الدعوة ، وواجهت الحضارتين الكبيرتين : الفارسية والرومانية .

ثم تحدث عن اندفاع المسلمين الأولين

أو حضارة) إلى الجوانب المادية ممثلة في العلم والاختراع والكشف مما يتصل بتنظيم مرافق الحياة .

ثم استدرك قائلا : د ولكن مع هذا التحديد الاصطلاحي يبقى لكلمة :

Civilization عند كثير من العلماء استعملها الواسع الذي يشمل مظاهر الرقي المعنوي والمادي للإنسانية عامة في مراحل تاريخها ، ثم قال : د وكذلك الأمر عندنا - بصفة عامة - فنحن حين نتحدث عن الثقافة الإسلامية نقصد بها في الغالب تراثنا الروحي والتاريخي والفلسفي واللغوي والأدبي والفني ، وحين نتحدث عن الحضارة أو المدنية الإسلامية لا نقصد بها مجرد تاريخ العالم الإسلامي وإن كان التاريخ إطار الحضارة ووعاءها ، ولا نقصد الثقافة وحدها ، وإن كانت هي العنصر الجوهرى في الحضارة ، ولا نقصد مجرد النظم والنظريات العلمية والمخترعات وإن كانت تلك مظاهر مهمة من مظاهر الحضارة ، ولكننا نقصد من كل ذلك مجتمعا متكاملًا مؤلفًا شخصية متميزة بين الحضارات الكبرى للإنسانية ، وإذا أردنا مزيداً من التحديد اللغوي كان لنا أن نستخدم على أن نعني د بمدينة ، جانب العلم والاختراع ، وآثارهما المادية ، وأن نوسع مدلول د حضارة ، ليشمل الجوانب الروحية

شعائرهم وأماكن عباداتهم، ولما فتحت أمامهم من أبواب مناصب الدولة وإدارتها ولما أعقدت عليهم من التجميع حتى شاركوا في نقل الثقافات القديمة ولا سيما الفارسية واليونانية والهندية إلى اللغة العربية ، وفازدات بذلك حضارة الإسلام حصصا وتفتحا ، وازدهرت بها العلوم والمعارف والآداب والفنون ازدهارا يستمدى به التراث الإسلامى في مؤلفاته التى شارك الغرب الحديث فى العناية بتحقيق الكثير منها ونشره ، وتشهد به ألوف المخطوطات العربية والشرقية المحفوظة فى مختلف المكتبات الكبرى فى العالم ثم يشهد به علماء العصور الوسطى وهى الإحياء فى أوروبا من تملذوا على كتب ابن سينا وابن رشد والغزالي وابن خلدون وغيرهم ، ويشهد به المتصفون من محدثى علماء الغرب .

ونترك للأستاذ الباحث حق الكلام فيما تناوله من كل مقومات الحضارة الإسلامية فى عمق وفى سعة ، ثم أبرز فى نهاية البحث التوصيات والمقترحات التى يرى أن يؤخذ بها :

« ولا حاجة بنا هنا إلى الإفاضة فى جوانب تراث الحضارة الإسلامية ، ولا إلى مناقشة القضايا والتجنيات التى أثبتت فى الماضى ضد تلك الحضارة : كقضايا تخلف البلاد

من شبه الجزيرة بدعون إلى الله فى غير إكراه ويزولون عروش القياصرة والأكاسرة كبلاب حول الملوك والرؤساء بين رعاياهم والاستماع لدعوة التوحيد .

ثم قال : « ولم يمض قرن من الزمان حتى كانت راية الإسلام قد أطلت معظم العالم القديم ، ثم نوال أنساع المجتمع الإسلامى ، وتغلغلت الدعوة إلى أرواس آسيا وما وراءها وإلى أقاليم أوروبا الجنوبية وإلى مختلف أرجاء القارة الإفريقية ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا من مختلف الاجناس والألسنة والألوان ، ولم يكونوا يعتقدون الإسلام طواغية غصب ، ولكنهم كانوا يهبون لنشره والدفاع عنه بأنفسهم وأولهم ، ويقبلون عن رضا واختيار على تعلم العربية ، لغة كتابه ورسوله فيقتنوها الكثير منهم ، ويؤلفون بها فى علوم الدين والدنيا ، بل يشاركون مشاركة رائدة فى تقنين تلك اللغة والتأليف فى أسرارها وخصائصها وفى أدبها ولعبتها .

ثم يتحدث الأستاذ عن السمة الثانية الهامة من سمات الحضارة الإسلامية وهى سماحتها وإنسانيتها وعالميتها ، موضحا أنها كانت وظلّت وصفتى ثمرة الجهود المشتركة من كل من أظلمهم راية الدلالة الإسلامية من مسلمين وغير مسلمين ، لما وفرتة الدولة لغير المسلمين من احترام

الطريق للحياة الإنسانية الفاضلة وما أوحى به من بحوث ودراسات، وعندنا سير الخلفاء الراشدين وخطبهم وتوجيهاتهم للولاة والقضاة في الأقاليم، والأنظمة التي أقاموها لبناء الحضارة الإسلامية، وبحسبنا أن نشير من نماذج توجيهاتهم إلى خطبة «أبي بكر» حين ولي الخلافة وكتاب «عمر بن الخطاب» إلى «أبي موسى الأشعري» حين ولاه قضاء البصرة، وهدد «الإمام علي» إلى «الأشتر النخعي» حين ولاه مصر، وكتاب «طاهر ابن الحسين» إلى ابنه «هبيد الله» حين ولاه «المأمون» الرقة ومصر، فضلا عن التراث الضخم في الأصول والتشريع والمثل والنحل، والتصوف والأخلاق والفلسفة وعلوم اللغة والأدب والاجتماع والتاريخ والجغرافيا والرحلات، وعلوم الطبيعة والكيمياء والإحياء والرياضة والفلك، وعندنا الخزنة الضخمة من الرسائل والكتب في آداب الدنيا والدن، والسياسة الشرعية، ومن الموسوعات التي ترسم منها مفصلا للحياة الصالحة في مختلف جوانبها على هدى من فقه الشريعة وأسرار الحقيقة.

ثم تحدث عن العلماء المحدثين الذين لم جهود موفقة في إبراز مقومات المدينة الإسلامية والردود المفحمة لمخضومها وجلاء هبقياتنا والرجوع إلى تعاليمها في حل مشكلات

الإسلامية، ومركز المرأة في المجتمع الإسلامي وكالمزاعم التي يقذف بها بعض المفرضين من غير المسلمين من أن الإسلام مضاد للتطور، وأنه انتشر بالسيف، وأن الحضارة الإسلامية حضارة ناقلة وليست مبدعة، وأن الإسلام ليست عنده الحلول المرضية لمشكلات الحياة الحديثة، وأن بعض نواحيه كنظام الإرث لا تتماشى والتطور الحديث، فهذه وأمثاله قضايا ومزاعم أشبعها علماءنا منذ بدء حركة الإصلاح في العالم الإسلامي نقاشا وتفنيدا. وقد أوشكت أن تنتهي تلك المرحلة التي كنا مضطرين فيها أن نلتزم موقف الدفاع عن حضارتنا ضد هجمات الخصوم والمفرضين، والآن بفضل التحرر السياسي والاقتصادي لكثير من بلادنا الإسلامية الكبرى، ونهضة الثقافة والعلم فيها دخلنا مرحلة إيجابية جديدة نقف فيها موقف الاعتزاز الحق بحضارتنا، ونعرض على العالم كله ما قدمته تلك الحضارة، وما تستطيع أن تقدمه لرقى البشرية وسعادتها.

٣ - إن مكتبتنا الإسلامية حافلة بكل ما نحتاج معرفته من مقومات حضارتنا، وإنسانية اتجاهاتها، وسماحة تعاليمها، والتطبيق الناجح لتلك التعاليم: فعندنا كتاب الله وتفسيره وعلومه، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وما تضمنت من رسم معالم

نتاج مؤلفين غير مسلمين ككتاب «توماس أرنولد، من الدعوة إلى الإسلام وكتاب «تراث الإسلام، لطائفة من المستشرقين وغيرهما.

ثم قال بعد ذلك : «نحن - إذن - في موقف يسمح لنا أن نبرز ما قدمته حضارتنا سابقا وما يمكن - بل يجب - أن نقدمه الآن لرفق البشرية وسعادتها وتوطئة لذلك سنذكر أنفسنا في إيجاز بالمقومات الأساسية للحضارة الإسلامية : وستحدث بإيجاز تاركين للباحثين فرصة الاطلاع على البحث ذاته :

٤ - إن هذه الحضارة تمتاز بأن كل مقوماتها الجهورية تنبع من وحى رسالة سماوية تمدّها بالقوة والروح وتوجهها إلى الموازنة بين مقاصد الروح ومطالب البدن والبعد عن الزهد المعطل للعمل ، وعن المادية الجاحجة المفسدة لإنسانية الحياة : فهي في نظام عقيدتها تقوم على توحيد الله ، وتنزيهه عن الشريك والولد وإفراذه بالعبادة والتعظيم ، ومراقبته في السر والعلن ، والتصديق برسائله والتمسك بما شرعه من آداب المعاملة والسلوك .

وهي في نظامها السياسي تقوم على الشورى والنزول على رأى الجماعة والمساواة بين الناس واحترام حقوق الإنسان ، والتزود بكل أسباب القوة والمنعة ، والدفاع عن مقدسات

الحياة المعاصرة وضرب مثلا بـ «جمال الدين الأفغانى ، و «محمد عبده ، و «محمد إقبال ، و «أمير على ، و «كردي على ، و «أحمد أمين ، و «شلتوت ، و «طه حسين ، و «العقاد .

ثم قال : «ومن الكتب الجديرة بالذكر هنا كتابان صدر أحدهما : أحدهما عن تاريخ الفكر الإسلامى وقد ألفه مجموعة من علماء باكستان ، وأسمهم معهم - فيمن أسمهم - بعض علماء الجمهورية العربية المتحدة ، والثانى كتاب صدر فى أمريكا بعنوان «الإسلام الصراط المستقيم ، بقلم نخبة من علماء البلاد الإسلامية من مصر وتركيا وفلسطين وباكستان وأندونيسيا والصين وهو مرجع ذو قيمة فى دراسة التعاليم والمذاهب الإسلامية وانتشار الإسلام فى بيئاته الكبرى .

ثم تحدث عن أن كثيراً من شؤون الحضارة الإسلامية فى صلتها بالحياة المعاصرة قد وضعت حديثاً موضع الدرس والمناقشة فى ندوتين عالميتين كبيرتين الأولى فى «برنستون ، بأريكا سنة ١٩٥٣ ، والثانية فى «لاهور ، بباكستان سنة ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ وقد صدر بأعمال كلتا الندوتين كتاب حافل بالبحوث الجديدة الجادة فى مختلف جوانب الحضارة الإسلامية من ثقافية واقتصادية وتشريعية وغيرها .

وقد أشار فى هذا أيضا إلى كتب من

أوطانها من ريقه الاستعمار الأجنبي وأمسكت زمام أمورها بيدها .

والدارس الآن لكثير من نهضات البلاد الإسلامية التي استخلصت حقوقها وحريتها بكفاحها ونضالها يدرك مدى قوة الروح الإسلامي في قاداتها وشعوبها ، ومبلغ حرصها على أن تصل حاضرها ومستقبلها بماضيها الجيد .

(٥) د وبعد : فإن ما قدمناه من عرض للخطوط الرئيسية لتطور الحضارة الإسلامية وأهم مقوماتها يعطينا الجواب على السؤالين الذين أدرنا حولهما هذا البحث وهما ماذا كان نصيب الحضارة الإسلامية في تقدم البشرية وسماحتها في القديم ؟ وماذا تستطيع أن تقدمه اليوم لحل مشكلات العالم المعاصر والمساهمة في رقيه وتقدمه والسير به في طريق العلم أئنة والسلام والرفاهية والإخاء ؟ .

فأما في القديم فقد وضح من سياق العرض الذي قدمناه أن الحضارة الإسلامية .

(١) وصلت بين قديم الحضارات وجديدها ...

(ب) أنقذت العالم القديم مما كان يعيش فيه من فوضى واضطراب وانهميار .

(ج) أعطت العالم حضارة جديدة تقوم على عقيدة التوحيد ، ومجتمعا يقوم على التعاون والتسامح .

(د) أعطت الإنسانية ذخيرة ضخمة

العقيدة والوطن وعدم الاعتداء إلا على المعتدين والتعايش السلي بين الأمم .

ونظامها الاجتماعي يقوم على الأسرة المتناسكة ، والتقريب بين الغنى والفقير ، وقيام كل راع بمسئوليته ، وتعاون المواطنين على الخير والبر .

ونظامها الاقتصادي يقوم على تبادل المنافع ، واتخاذ المال وسيلة لا غاية ، واحترام الملكية الفردية غير المستغلة أو المعطلة للصالح العام ، والترغيب في البذل والإنفاق لحخير المجتمع ...

ونظامها التشريعي يقوم على أصول رئيسية واسعة - قرورها كتابها وسنتها مع ترك المجال واسعا للاجتهاد في تطبيقها تطبيقا يحقق المخافع ويدرأ الأضرار .

والنظام الثقافي للحضارة الإسلامية يعتمد على طلب المعرفة من كل وجه ممكن ، واستخدام العقل في كسب المعارف ، وتسخير الطبيعة لسعادة الفرد والجماعة ، واعتبار الثقافة أيا كان مصدرها ومهددا تراثاً عاماً للإنسانية .

ثم قال : ولهذا أدركت الأمم الإسلامية في نهضتها الحديثة ضرورة الرجوع إلى مقوماتها الأصيلة ، وإحيائها وإعادة تنظيم الحياة الإسلامية على أسسها ، وعرفت أن كل ذلك لن يستقيم لها إلا إذا تحورت

من المعارف أقاد منها الغرب في عصر الإحياء والنهضة .

(هـ) وضعت بعض أصول المنهج العلمي الحديث كطريقة الشك عند الغزالي كما فتحت آفاقاً جديدة في البحوث الإنسانية .

(و) ساعدت بآدابها على نهضة أوروبا .

(ز) ساعد الخلفاء والقادة بسلوهم الأخلاقي على إشاعة المثل الأخلاقية الرفيعة .

ثم قال بعد ذلك : « أما العالم المعاصر فقد يكون من المفيد في بحثنا هذا أن ننظر منه أولاً إلى الأمم الإسلامية التي تولف قرابة خمس سكانه وذكر أن الناظر في أحوال هذه الأمم يجد عدداً كبيراً منها قد قطع أشواطاً في النهضة بعد أن تحرر من ربه الاستعمار الأجنبي وبدأ يوجه الكثير من نشاطه لمساعدة الشعوب المسكفة وأخذ يحقق مادعا إليه الإسلام من عدالة ومساواة وتكافؤ في الفرص .

هذا - إذن - هو الموقف فيما يتعلق بأثر الحضارة الإسلامية في تقدم العالم الإسلامي المعاصر ، ويمكن هذا العلم جزء من العالم الإنساني الأوسع - العالم الذي حققت أممه الكبرى تقدماً علمياً ومادياً مذهلاً ، وامتلكت بذلك من أساليب السيادة والقهر والدمار ما ينذر بالشر المستعير ، ومضت في تجاهلها لحقوق الإنسان وحقوق الأمم المستضعفة ، رغم اشتراكها في هيئات الأمم المتحدة

وقراراتها ومحاولاتها لإقرار العدالة والسلام في العالم . ويمكن الداء في حضارة العالم المعاصر أنها حضارة علمية مادية ، تقدم عليها وتأخرت ثقافتها فأفلت زمامها من بدالبشرية ، ولم تستطع محاولتها بعد أن تروء إلى قيم روحية أو أخلاقية وازده . وقد تنبه لهذا الخطر بعض علماء الغرب منذ زمن فتنبؤوا بين الثلاثينيات ، والأربعينيات من هذا القرن إلى أنه إذا لم تنجح الإنسانية في الموازنة بين تقدمها الثقافي وتقدمها العلمي فالحرب العالمية الثانية آتية لا محالة . وقد صدقت نبوءتهم وجاءت الحرب وجاء معها الهلاك لملايين النفس والهمار والخراب لما بناء للتقدم الإنساني من مدن وقرى ونفقات ، ونقطة الضعف الكبرى في الثقافة الغربية ذاتها أنها غير وثيقة الصلة بتعاليم السماء ، وأن محاولاتها في تنظيم العلاقات الإنسانية محاولات بشرية ليست لها قداسة من عقيدة دينية شاملة ، أو كتاب سماوى منزل . وفي هذا يكن الفرق الكبير بين الحضارتين الإسلامية والغربية ، والمظهر العملي لهذا الفرق هو موقف كلتا الحضارتين من حقوق الإنسان ؛ فالمتنبع للبوضوح في تاريخ الغرب وحضارته منذ العصر اليوناني يجد أن طابع المراحل السابقة للشورة الفرنسية كان التمييز بين الطبقات والتدخل في حرية العقيدة والفكر ، وقد

العمومية لهيئة الأمم في دورتها العادية الثالثة في ديسمبر من ذلك العام .

فالتاريخ الحقيقي - إذن - لتقرير حقوق الإنسان في الغرب يبدأ من القرن الثامن هجر الميلادي ، أى بعد ظهور الإسلام بأحد عشر قرناً . والخطوات التي اتخذت في هذه السبيل - وعلى الأخص في المنظمات الدولية - خطوات تتأثر بتطورات السياسة وبأطامح الدول ، ولا تزال القرارات في واد والتطبيق في واد آخر .

ولكن الموقف في الحضارة الإسلامية جد مختلف : ففي القرن السابع الميلادي ظهر الإسلام - لا في صورة إصلاح مدينة معينة ، ولا في صورة نظرية فلسفية أو دعوة أخلاقية محدودة ، ولكن في صورة رسالة خالدة للإنسانية عامة : هنيئاً وفقيرها ، وأبييضها وأسودها ومشرقها ومغربها ، وكان لب هذه الرسالة تقرير استقلال الإنسان في عقيدته وتفكيره وشخصيته ومعيشته ، وتوجيه الاهتمام إلى جوهر الإنسانية من روح وعقل وخلق وفضيلة ، من شأن الفوارق المادية التي لا تتصل بذلك الجوهر اتصالاً وثيقاً . ولم يحى تقرير هذه المبادئ في الإسلام في صورة وثيقة منفصلة ، محدودة بزمانها ومكانها وظروف الاجتماع المحيطة بها ، ولكنها جاءت ثمرة من ثمار عقيدة شاملة

يجل فيها تاريخ الاضطهاد في الغرب مآسى لا يكاد العقل أحياناً يصدقها ، لمنافاتها لمعنى الإنسانية وكرامة الإنسان ، حقيقة لم تحمل تلك المراحل وخصوصاً بعد اتصال الغرب بقرات الشرق الإسلامى من محالات تنجح وتخفق وأصوات من الإصلاح ترفع وتنخفض حتى جاءت الثورة الفرنسية فتجمعت فيها نتائج تلك المحاولات ، وتبلورت سنة ١٧٨٩ في وثيقة إعلان حقوق الإنسان التي نصت على أن الناس يولدون ويظلون أحراراً متساوين في الحقوق ، وأنه يمكن للناس أن يفعلوا كل ما لا يضر بالآخرين ، فلمهم أن يفكروا ويتكلموا ويكتبوا ويطبخوا في حرية ، وللدواطين الذين تتكون منهم الأمة الحق المطلق في إدارتها ، ويجب العمل دائماً على ضمان حقوق الأفراد من جهة ورعاية المصلحة العامة من جهة أخرى .

ولكن التطور الحديث للبشرية بعد الثورة الفرنسية استلزم إعادة النظر غير مرة في مبادئ هذه الوثيقة ، وفي إضافة مبادئ جديدة تواجه التطور الاجتماعي والاقتصادى وما جلباه من مشكلات ، وتتوسع في تطبيق روح المساواة الإنسانية العامة .

وفي سنة ١٩٤٨ وضع المجلس الاقتصادى والاجتماعى - التابع لهيئة الأمم المتحدة - مشروعاً بإعلان حقوق الإنسان أقرته الجمعية

إلى الأمم ، إن طلائع النهضة العلمية الحاضرة في هذه الأمم تبشر بأن العقل الإسلامى الحديث ليس بأقل من العقل الإسلامى القديم قدرة على البحث والاختراع وارتياذ المجهول ، وأن المستوى الذى ارتفعت إليه بعض هذه الأمم في رقى آدابها وسائر فنونها التعبيرية قد لفتت إليها أنظار العالم كله ، وقد وجد كثير من أعمال أدبائها ومفكرها سبيله إلى الثقافات الأجنبية من طريق الترجمة إلى مختلف اللغات .

ولكن الميدان الأكبر الذى يتطلع إلى الحضارة الإسلامية وينتظر منها القيادة والتوجيه هو ميدان الإنسان وحقوقه أفراداً وجماعات وشعوباً ودولاً ، وعملها في خدمة ذلك الميدان يبدأ أولاً في عالمها - كما أشرنا ، وذلك بأن تستكمل مقوماتها في بيئاتها ومجتمعاتها حتى يظهر العالم الإسلامى كله - في حياة أفرادها ، وترابط شعوبه ودوله واستقلال أسيادته المليون من المسلمين برباية الأخوة والأمن والسلام - في صورة النموذج الإنسانى الذى يؤثر في حياة البشرية باقداوة كما يؤثر فيها بالكفاح ، والعمل المشترك .

أما طريقها الثانى إلى خدمة البشرية ففي مجال العلاقات والمنظمات الدولية ، وفي المناهضة لسيطرة الإنسان على الإنسان ، وامتهان القوى كرامة الضعيف وحرمان

توضيح العلاقة بين الإنسان وغالقه ، وبين أفراد البشر بعضهم وبعض في اجتماعهم ومعاملتهم وسياستهم ، وهكذا اكتسبت قداسة من العقيدة وخلوداً من الشريعة التى هى جزء من لها وجودها ، وتغلغلت مع الدين في ضمير أجيال من البشرية ، وانتشرت مع حضارة الإسلام في المشارق والمغارب ، وقد صحبها منذ البداية التطبيق الواضح على يد الرسول وخلفائه والصالحين من أئمة المسلمين وحكامهم وأولى الأمر فيهم خلال العصور ، وظهرت أوضح ما ظهرت في معاملة المسلمين للأمم التى دانت لهم ، على اختلاف أجناسها وعقائدها ، واكتسبت في الإسلام صفة الدوام فلم تحتاج أصولها لتعديل أو تغيير ، ولكنها فتحت الباب على مصراعيه للتوسع في تطبيقها ، والترقى في فهمها حسب ترقى البشرية في ثقافتها وتفكيرها الاجتماعى والسياسى .

في هذا - إذن - مفتاح ما نذهب إليه من أن الحضارة الإسلامية تستطيع في العصر الحاضر - بل يجب - أن تقوم بدور كبير في إصلاح حال البشرية والسير بها في طريق التقدم والسعادة ، إن الأمم الإسلامية الآن في موقف يسمح لها أن تسمهم بعلومها وآدابها وفنونها في زيادة وصيد البشرية من المعارف ، وفي دفع عجلة التطور الفكرى الإنسانى

الإسلامية دراسة تكشف عن مشكلاتها وأهدافها، وترسم الطريق لمعالجة المشكلات وتحقيق الأهداف، ويستطيع المجمع أن يستعين في تحقيق هذا بأعضائه العاميين والمراسلين في مختلف بلاد الإسلام، وبإنشاء فروع له في مراكز التجمعات الكبرى للمسلمين (هـ) وأن يعمل المجمع على جلاء وجهة النظر في التوفيق بين فكرة الكيانات القومية في العالم الإسلامي، والأخوة الإسلامية الشاملة التي تقوم على وحدة العقيدة والقرآن الحضارى المشترك.

(و) وأن تقوم لجان المجمع وأروقة، بدراسات علمية تذبذب في مختلف اللغات عن الحضارة الإسلامية وموقفها النظرى والعمل من حقوق الإنسان وطريقها في حسم الخلافات الدوائية، وما لديها من حلول للمشكلات السياسية والاقتصادية المعاصرة.

(ز) وأن يوصى المجمع بأن تعمل الدول الإسلامية — في المعترك الدولى — على أساس خطة موحدة، مستوحاة من تعاليم الإسلام وتوجيهاته، تمندف إلى نصرة الحق وإقامة العدل، ومؤازرة الشعوب المكلخة في سبيل حريتها واستقلالها، وصناضة التفرقة العنصرية، والعمل على تخفيف حدة التنافس الدولى، وإقرار مبادئ السلام والتعايش السلمى بين الجميع.

الابيض أخاه الأسود حقوقه في الحرية والحياة، وفي إشاعة التعاليم الإسلامية بكل الوسائل، ونشر البحوث والدراسات في مختلف اللغات عن الحضارة الإسلامية وتراثها وصير أعلامها: وموقفها من حرية العقيدة والفكر، ومن التعايش السلمى بين المواطنين في المجتمع الإسلامى قديما وحديثاً. وقد يكون من الحثيث أن نبرز بما قدمناه في شطرى الموضوع تشوصيات والمقترحات التالية (أ) أن تعمل السلطات التعليمية على تقرير دراسة الحضارة الإسلامية مادة أساسية في الجامعات ومعاهد التلميم في كل بلد إسلامى. (ب) وأن يوصى المجمع بأن تدرس كل أمة إسلامية لغة أو أكثر من لغات شقيقاتها متخذة من ذلك أداة للتفاهم والتغارب الثقافى. (ج) وأن تعنى الأمم الإسلامية جميعا بدراسة اللغة العربية لغة القرآن والتشريع حتى يكون ذلك سبيل إلى الاتصال الروحى المباشر بلغة الوحي، والاشتراك في تذوق أسرار الإعجاز القرآنى، والعودة بالثقافة الإسلامية إلى ما كان لها في القرون الأولى من وحدة وشمول. (د) وأن يقوم بجمع البحوث الإسلامية بمهمة منظمة إسلامية قربية والمعلوم والثقافة، فيؤلف مركزا لتجميع الوثائق، والمنشورات، وتبادل المعلومات، وينظم البعثات العلمية لدراسات البيئات والمجتمعات

فلسطين وإسرائيل

للمستاذ اسحاق الحسيني



للدومنين ، قد اعتقدوا على بقعة من أشرف
بقاع الأرض - هي فلسطين - فشردوا أهلها
الآصين ، واعتدوا على حرمتها ، فأزالوا
المساجد ، ومحووا المقابر ، وطمسوا المعالم ،
كي يقيموا دولة عنصرية متعصبة باغية آثمة .
ولأنه لواجب علينا ، بل لأنها لأمانة في
أعناقنا يحاسبنا الله تعالى عليها ، أن نصبر
إخواننا المسلمين بالحجج الباطلة التي اتكأ
عليها بنو إسرائيل في إقامة دولتهم وبالآخطار
التي تتهدق بنا وبهم ، وبما يبيتون للبلاد المقدسة
ولما جاورها من بلاد العرب والمسلمين من

قال الله تعالى في كتابه الكريم : ولعن
الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان
داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه
لبئس ما كانوا يفعلون ، ترى كثيرا منهم
يتولون الذين كفروا ، لبئس ما قدمت لهم
أنفسهم : أن سخط الله عليهم . وفي العذاب هم
خالدون ، ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما
أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ، ولكن كثيرا
منهم فاسقون - لتجدن أشد الناس عداوة
للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن
أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا
نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا
وأنهم لا يستكبرون ، (١) صدق الله
العظيم .

— ١ —

أيها السادة :

إن بني إسرائيل ، هؤلاء الذين لعنهم الله
في غير آية من كتابه العزيز ، والذين خصهم
من بين الناس جميعا ، بأنهم أشد عداوة

يحدونا الآن إلى بسط هذا البحث أمامكم
ليرتفع صوتكم عالياً في الدفاع عن الحق حتى
أن ترتفع الغشاوة عن العيون ، ويعود
المضطرون إلى الصراط المستقيم .

— ٣ —

لقد قرأت العهد القديم كله ، قراءة فاحص
مدقق ، وقرأت جزءاً منه بلغته الأصلية ،
ولا أعرف في التأريخ ، قديمه وحديثه ،
أمة أغضبت إلهها عليها ، وقبح أعمالها ، وسفه
أحلامها كرامة بني إسرائيل .

وأما من نصوص الذم الواردة في العهد
القديم ما يملأ صفحات . ولكنني اجتزئ
بأمثلة :

(١) ففي سفر أرميا : « هكذا أكرس
هذا الشعب وهذه المدينة كما يكسر وهاء
الفخاري بحيث لا يمكن جبره بعد ، وفي توفة
يدفنون حتى لا يكون موضع للدفن . هكذا
أصنع لهذا الموضع - يقول الرب - ولسكانه ،
وأجعل هذه المدينة مثل توفة ، وتكون بيوت
أورشليم وبيوت ملوك يهوذا كموضع توفة
نجمه كل البيوت التي بخرؤا على سطوحها لكل
جند السماء ، وسكبوا سكانها لآلهة أخرى (١) .
(٢) وجاء فيه : « لأن الأنبياء والكهنة
تنهسوا جميعاً ، بل في بيتي وجدت شرهم ،

شر مستطيل ، معتمدين على فصوص من كتبهم
الدينية وعلى البحث العلمي السليم .

— ٢ —

أيها السادة :

اتسكأ بنو إسرائيل في إثبات باطلهم على
ثلاث قواعد هي : أولاً : أنهم شعب الله المختار
ثانياً : أن إلههم وحدهم بالعودة إلى الأرض
المقدسة التي تفيض لبناً وعسلاً ، ثالثاً : أنهم
أقاموا مملكة في يهوذا وإسرائيل ؛ فاكسبوا
حقاً شرعياً في استرجاعها .

وبما يحز في قلب كل عربي ومسلم أن باطلهم
هذا استطاع أن ينفذ إلى قلوب الملايين من
المسيحيين الغربيين ، فأزروهم ومدومهم بالهون
المستديم ، ضاربين عرض الحائط بما اقترفه
أولئك الآثمون من عدوان على السيد المسيح
- عليه السلام - وبمكائدهم المتواصلة
للمسيحيين ، وبما يضمرؤنه لهم من حقد وغل
وأخيراً بالاعتداء على كنائسهم وهدمها
وتشريد مئات الألوف منهم من بيوتهم .

كيف استطاع هؤلاء الآثمون أن يضللوا
المسيحيين الغربيين ، وأن يعمومهم عن رؤية
الحقائق ، وأن يوغروا صدرهم على قوم يرون
النصارى أقرب الناس مودة إليهم .

إنه الدهاء والحُبث والخديعة التي تعمى
البصر والبصيرة . على أن هذا هو الذي

أذكر آية واحدة : « وضربت عليهم الذلة والمسكنة، وباءوا بغضب من الله ؛ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، »^(١) وما ذا يبقى للشعب الله المختار بعد هذا ؟ إن الفضل الذي منحه الله هذه الأمة قد استردده ، والذريعة التي أوجبت تقديسها واحترامها قد أفسدها الشعب الإسرائيلي نفسه في طوال تاريخه منذ الخروج من مصر إلى الإزهاب والفساد اللذين مارسهما سنة ١٩٤٨ .

لنفرض أن والدًا تحكم وميز أحد أولاده أفلا يجوز له أن يسترد تمييزه عند ما يتثبت أن ابنه هذا خان عهده وداس شريعته ؟ أما وعدهم بالعودة إلى فلسطين فإن إلههم نفسه أبطله لما ارتكبوا من آثام . ففي سفر العدد : (وكلم الرب موسى وهرون قائلاً : « حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة على ؟ ... قل لهم : حتى أنا - يقول الرب - لأعلن بكم كما تسكتم في أذني ، في هذا القفر تسقط جثثكم ، جميع المعدودين منكم حسب عددكم من ابن عشرين سنة فصاعدا الذين تذسروا على . لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي لأسكنكم فيها ما هذا كالب بن بفتة ويشوع بن نون ... جثثكم أنتم تسقط في هذا

» يقول الرب : وقد رأيت في أنبياء السامرة حماقة ، نذبأوا بأبعل وأضلوا شعبي إسرائيل . وفي أنبياء اورشليم رأيت ما يقشعر منه ، يفسقون ويسلكون بالكذب ، ويشددون أيادي فاعلي الشر حتى لا يرجعوا الواحد عن شره ، صاروا إلى كلهم كسدرم ، وسكانها كعمرة »^(٢) .

(٣) وجاء فيه : « هأنذا أرسل عليهم السيف والجوع والوباء ، وأجعلهم كيتين ودي لا يؤكل من الرذاة ، وألحقهم بالسيف والجوع والوباء ، وأجعلهم قلقا لكل مالك الأرض حلقا ودهشا وصغيرا وعارا في جميع الأمم الذين طردتهم لإيهم ، »^(٤)

(٤) وجاء في سفر حزقيال : « وقال لي يا ابن آدم أنا مرسلك إلى بني إسرائيل ، إلى أمة متعمدة قد تمردت علي . هم وآبائهم حصوا علي إلى ذات هذا اليوم ، »^(٥) .

(٥) وجاء في سفر عاموس : « اسمعوا هذا القول الذي أنا أنادي به عليكم مرثاة يا بيت إسرائيل ، سقطت عذراء إسرائيل لا تعود تقوم ، انطرح على أرضها ليس من يقيمها »^(٦) .

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تذكر آثامهم لستم بحاجة إلى أن أذكرها ، ولكني

(١) ٢٣ / ١١ (٢) ٢٩ / ١٧ (٣) ٢ / ٣ (٤) ١٠ / ١ (٥) ١١ / ١٧

من الأمم ، وفرائض بأمر من الأراضى التي
حواليها (١) .

وهلاوة على ذلك استمر حكم داود أربعين
سنة ، وسليمان أربعين سنة أخرى ، ثم زالت
تلك المملكة من الوجود ، ونفسخت
وانقسمت على نفسها . ولم تنعم إسرائيل
ولا يهوذا باستقلال حقيقى .

وإذا سلمنا جدلاً أن الممالك اليهودية القديمة
كانت مستقلة طوال حياتها منذ غزو داود
كسبعين سنة ١٠٠٠ قبل المسيح إلى زوال
يهوذا سنة ٥٨٦ ق . م - فإن الحكم اليهودى
يكون قد استمر ٤١٤ سنة ، فى حين دام الحكم
الرومانى ٦٧٧ سنة ، ودام حكم المسلمين
ثلاثة عشر قرناً باستثناء مائتى سنة حكم فيها
الصليبيون جزءاً من البلاد .

وهكذا تمار القواعد الثلاث التى اتكأ
عليها بنو إسرائيل فى إثبات حقهم التاريخى
فى فلسطين .

والحق التاريخى نفسه باطل من أساسه .
فالمسلمون حكموا الأندلس نحو ثمانية قرون
أى ضعف المدة التى حكم فيها بنو إسرائيل
فلسطين ، وهل يقبل الأصبانيون اليوم أن
يعود المسلمون إلى تلك البلاد ؟ وفيها قامت
حضارة عظيمة أشاد بها المؤرخون ، فى

القفرة ، وبنوكم يكونون رعاة فى القفر أربعين
سنة ، ويحملون فجوركهم حتى نفنى جشكم فى القفر
فى هذا القفر يفخون وفيه يموتون (١) .

وأدخل لإلهم أبناءهم أرض فلسطين
لينشئوا ملكاً ، ولكنهم لم يكونوا خيراً أمن
آبائهم الذين حرمت عليهم البلاد ، وأنزل
إلهم غضبه عليهم شواظاً من نار ؛ ثم سبوا
فى القرن السادس قبل الميلاد لخالقهم
شرعية لإلهم ، ولصنعهم الشر فى جميع سنينهم
وهكذا ضاعت الأرض الموعودة ، وإذن ،
فقد تحقق الوعد بإنشاء مملكة داود وسليمان
ثم انتهى بالسبى ، وانتهى نهاية أبدية بظهور
السيد المسيح الذى تنبأ بزوال الهيكل ، وقد
جاء فى الإنجيل مرقس : « وفيما هو خارج من
الهيكل قال له واحد من تلامذته : يا معلم
أنظر ما هذه الحجارة وهذه الأبنية ؟ فأجاب
يسوع ، وقال له : « أنتظر هذه الأبنية
العظيمة ؟ لا يترك حجر على حجر لا ينقض » (٢)

ولم تقم للهيكل منذ ذلك الوقت قائمة ١

وأما ملكوتهم فى فلسطين فكانت شر مملكة
عرفها التاريخ حسب نصوص العهد القديم
وهذه عبارته : « هكذا قال السيد الرب :
هذه أورشليم ، فى وسط الشعوب قد أقتها
وحواليها الأراضى ، نالفت أحكامى بأمر

(١) ١٤ - ٢٦ .

(٢) ١٣ - ١١ .

حين لم يترك بنو إسرائيل في فلسطين أثراً
حضرارياً واحداً .

— ٤ —

(٢) وجاء في سفر أشعياء : ... ارفعوا
إلى السموات هيونكم ، وانظروا إلى الأرض
من تحت ؛ فإن السموات كالدخان تضمحل
والأرض كالثوب تبلى ، وسكانها كالبعوض
يموتون . . لا تخافوا من قمعير الناس ، ومن
شتائمهم لا ترتاعوا ، لأنه كالثوب يأكلهم
العث ، وكالصوف يأكلهم السوس ، أما
بري فإلى الأبد يكون ، وخلاصي إلى دور
الأدوار ، (٢) .

(٣) وجاء فيه : لأنه تتحول إليك ثروة
البحر ، ويأتى إليك غنى الأمم . وبنو الغريب
يبنون أسوارك وملوكهم يخضعونك ،
لأن الأمة والمملكة التى لا تخضع لك تبعد
وخرابا تخرب الأمم . .

(٤) وجاء فيه : . . ويقف الأجانب
ويوعون غنمكم ، ويكون بنو الغريب حراثكم
وكراثكم . أما أنتم فتدعون كهنة الرب
تسمون خدام إلهنا ، تأكلون ثروة الأمم
وعلى مجدكم تتأمرون ، (٣) .

(٥) وجاء في سفر حجي : دإنى أزلزل

وماذا عن الخطر المحدق ببلاد العربية
والإسلام ، وعن الخطط التى يبيتها بنو إسرائيل ؟
إنهم يطعمون فى الاستيلاء على بلادنا من
(فيلها) إلى (فراتما) بل من حيفا إلى خليجها . .
وسياستهم التى يسرون عليها هى إعداد
شعب مسلح بفتيان وفتيات ، بنسائه ورجاله
للكى يثبوا على بلادنا رقة بعد رقة مدمرين
قرانا وبناتنا ، مساجدنا ومعابدنا ومبشرين
حرثنا ونسلنا ، راكبر شاهد على ذلك
اعتداؤهم على أرض السكنا سنة ١٩٥٦
تحت جناحى دولتين مستعمرتين وتصر بحاثم
أنهم لن يخرجوا من الأراضى التى احتلوا ،
وقد قبض الله يومذاك للأمة العربية فى مصر
بطلا مؤمنا باع نفسه فى سبيل الله والوطن ،
فقاد شعبه نحو النصر ، وخرج المعتدون
يجرون أذيال الحيبة والانكسار .

ولكن بنى إسرائيل مشحون بروح
العدوان بتأثير كتابهم الذى يحضهم على
حرب الإبادة ، والتعالى على البشرية قاطبة ،
والسيطرة على سائر الشعوب ، واليك الأدلة
(١) جاء فى سفر التكوين : فى ذلك اليوم
قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا :

(١) ١٨ / ١٥ .

(٢) ٦ / ٥١ .

(٣) ٦١ / ٥ - ٦ .

الساوية ، واليهود من أهل المكتتاب الذين حفظ الإسلام حقوقهم ، ورعى ههودهم ، ومن الثابت أننا لم نضطهد اليهود في جميع مراحل تاريخنا . وإن وقع اعتداء على أفراد منهم فقد كان ذلك تأديباً وزجراً .

أما تاريخهم في الغرب لحافل بالثورات والاضطرابات لهم وعليهم . وليس من شأنا أن نخوض في هذا الموضوع ، ولكن يجب أن نوضح أمرين :

الأول : أن العالم الإسلامي كان ملاذا لليهود ، وحمى في أبان الاضطهاد الغربي . وقد عاشوا في المدن الإسلامية من بغداد ، إلى قرطبة في أمن وسلام ، فتقدمت تجارتهم وبضاعتهم وعلومهم في وعاءة المسلمين وحين اشتدت عليهم وطأة محاكم التفتيش في أسبانيا في القرن الخامس عشر لليلاد هاجر . معظمهم إلى شمالي أفريقيا حيث استقروا وأثروا . وخرج من أبنائهم في أسبانيا وشمال إفريقيا عدد من الفلاسفة والعلماء ، وكان اليهود قبل ندكة فلسطين بالصهيونية الأثيمة أصحاب ثراء وجاء في جميع المدن العربية .

والأمر الثاني : أن اليهود لم يحفظوا للغرب والمسلمين فضلهم عليهم ، ولم يقابلوا إحسانهم بمثله أو بأقل منه ، بل أوغلوا في الشر والعدوان ، فقد صلبوا نعتهم التي نفموها على الغرب - قديماً وحديثاً - على العرب الذين

السمارات والأرض ، وأقلب كرسى الممالك وأبيد قوة ممالك الأمم ، وأقلب المركبات والراكبين فيها ، وينحط الحيل وراكبوها كل منها بسيف أخيه ، (١) .

(٦) وجاء في سفر زكريا : د في ذلك اليوم أجعل أسراء يهوذا كمصباح نار بين الخطب ، وكشعل نار بين الحزم ، فيأكلون كل الشعوب حولهم من البين وعن اليسار (٢) (٧) وجاء في سفر إرميا : ومسد الرب يده ولمس فمي ، وتال الرب لي . ها قد جعلت كلامي في فمك . أنظر . قد وكلمتك هذا اليوم على الشعوب ، وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتهلك وتنفض وتبني وتغرس ، (٣) .

أبها السادة : هذا ما يبيته لنا العدو الجاثم على صدورنا والقائم في بقعة مقدسة غالية على قلب كل عربي ومسلم . ماضيه مليء بالشر والبغى ، وحاضره زاخر بالنار والحديد ، وأقواله مدهومة بالوعيد والتهديد .

فإذا نحن فاهلون ؟ وما موقفنا منه في ماضينا وحاضرنا ؟

شهد الله أننا لم ننتم يوماً إلى مناهضى الساسية ، فالديانة اليهودية أصلاً من الهدايات

(١) ٢ / ٢١ .

(٢) ١٢ / ٦ .

(٣) ١ / ٩ .

مليوناً من اليهود يقابلهم في العالم الإسلامي أكثر من خمسمائة مليون نسمة . فأى ميزان هذا الذى تضع في إحدى كفتيه رطلاً وفي كفته الثانية خمسين رطلاً أو يزيد ؟ .

أبلغنا من الهوان بحيث يوضع خسون أوطانة مسلم مقابل إسرائيل واحد ، لقد نصر الله المسلمين يوم كانوا فئة قليلة ويوم كان أعداؤهم فئة كثيرة .

ويوم نعود إلى الإسلام ونعبد بحمده السمحة المكرمة ، وبتهاليمه الحيرة الرحيمة ، ويوم تتوحد قلوبنا ، ويقف بعضنا إلى جانب بعض كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، يومذاك سينصرنا الله نصر أميينا ويملك أعداءنا قاللهم اجمع شملنا ، ووجد كلمتنا ، وطهر قلوبنا وانصرنا على أعدائنا ، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا . إنك أنت السميع الجيب . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

أطعموم من جوع ، وآمنوم من خوف . لم يتعضوا بقسوة النازية والفاشية عليهم ، ولم يستخلصوا الدرس الإنسانى العميق من مأساة الاضطهاد العنصرى ؛ فيخرجوا عنه أوسع أفقا وأكرم نفسا ، وأصنى إنسانية ، بل طبقوا هل العرب الآمنين في البلد الذى أوهم شرما تعلوه من أعدائهم من وسائل الإرهاب والتعذيب ، فقتلوا النساء والأطفال والمسنين ، وشردوا مليون عربى ، واعتدوا على الأماكن الدينية ، فضربوا قبة الصخرة المشرفة بقنابلهم ، وأزالوا هدداً من المساجد والمقابر ، دون رادع أو وازع .

أيها الصادة :

إن الإسرائيليين يتحدثون عن ميزان القوى في الشرق العربى . إن في بلادنا السليبية نحو مليونين من الإسرائيليين يقابلهم في العالم العربى نحو ١٠٠ مليون نسمة . وفي العالم كله نحو ١٥



تنظيم النسل

للأستاذ محمد أبي زهرة



هذا الموضوع - من بحوث الأستاذ أبي زهرة - جزء من بحثه « تنظيم الأسرة وتنظيم النسل » ، وهو أحد بحوث ثلاثة تقدم بها فضايلته إلى مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية في دورته الثانية التي انعقدت هذا العام .

وهذا الجانب من البحث يرى أن عبارات : تنظيم النسل ، أو ضبط النسل ، أو تحديد النسل ، عبارات تتعلق جميعا بمعنى واحد هو تحديد النسل . ولا شك أن كلمة تحديد النسل تكون أدل على المراد ، ولكنهم بدلوا بها غيرها ، ليخففوا على المسلمين المتدينين وفيها ولكن تغيير اللفظ لا يجعل الحلال حراما ، ولا المنعوق مطروبا .

« ولقد كان الإمام أحمد رضي الله عنه يحرص على ألا يفتي المفتي في أمر إلا بعد أن يعرف وقائع الفتوى والباعث على الاستفتاء ، ونفسية المستفتي ، فقد يتخذ من الحق ذريعة لباطل ، ويمتدح ذلك بقوله :

« ولما لهذا ندرس موضوع تحديد النسل من الناحية الدينية ، ثم ندرس الباعث الذي يترشح به الذين يتسكلمون فيه .

إن الإسلام دعا إلى النكاح ، وحث عليه واعتبره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سنة الإسلام ، وقال عليه السلام في الدعوة إليه : إن من سنتنا النكاح ، ومن رغب عن سنتنا فليس منا ، ودعا عليه السلام الشباب إلى النكاح ، فقال عليه السلام : يا معشر الشباب

والبحث مدعم بالأسانيد الدينية الصحيحة إلى جانب تحليل اقتصادي يلتقي في النهاية بالخطوة الدينية للنسل في الشريعة الإسلامية ، ويفتحي بحث فضيلته إلى بيان : أن العزل رخصة فردية ، وليس في الإسلام ما يجعل الرخصة جماعية لامة من الامم ، فالرخص دائما فردية ، ويضع سيادته في مقدمة هذا الجزء بياننا في « الفتوى » ، غفل عنه السكثيرون . . قال :

الأمين الفاهم للإسلام حق الفهم لا يمكن إلا أن يكون معبرا تعبيرا دقيقا عن صفاته .
وروى أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : «خير نسائكم الودود الولود» ، وقد قال أهل الخبرة : إنه مرسل ، لأنه لم يذكر فيه الصحابي ، والمرسل حجة عند أبي حنيفة ومالك ، وحجة عند الشافعي إذا عاضده مسند في معناه ، وقد روى المسند في معناه ، وأحمد رضى الله تبارك وتعالى عنه روى الحديث مسنداً برواية أخرى عن أنس ، وبمثلها عن ابن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما .
وقد رويت في الدعوة إلى الإكثار من النسل أحاديث كثيرة ، ويذكر أهل الخبرة بالحديث أن في بعض الرواة من فيه ضعف ، ولكن يذهب بعضهم الضعفاء كثرة الرواية عن الأسماء ، وتضافر المعنى في كل الأخبار ، ولذلك قال ابن حجر في فتح الباري بعد أن ذكر الأحاديث التي في روايتها بعض الضعفاء ما نصه : « وهذه الأحاديث ، وإن كان في الكثير منها ضعف ، مجموعها يدل على ما يحصل به المقصود من الرغبة في التزويج منه أصلاً ، لكن في حق من يتأتى منه النسل ، إذن فالإكثار من النسل مطلوب في ذاته ، وهو غاية الزواج الأولى والسامية في الإسلام ، وأن ذلك هو الفطرة والطبيعة الانسانية ، بل الطبيعة الحيوانية .

من استطاع الباءة (أى تسكليف الزواج) فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم .
والأحاديث الصحاح الواردة في الدعوة إلى النكاح كثيرة ، ولا نريد أن نخصيها هذا وذلك معروف لا يحتاج إلى الإطالة ، وذكر بعضه يغنى عن ذكر كله .

والمقصد الأول من الزواج هو النسل والإكثار منه ، فقد قال عمر بن الخطاب « الفناء تنكح للولد ، أى أنه لا يتزوج إلا لأجل الولد » ، وقد روى عن الإمام أحمد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثركم بالأمم يوم القيامة » ، وقد قال أهل الخبرة في الحديث : إن رجاله ثقات . رجال الأحاديث .

وروى أبو داود والبيهقي عن معقل بن يسار قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : إني أصبحت امرأة ذات حسب وجمال وأنه لا ولد ، قال : لا ، ثم أتاه الثانية فنهاء ، ثم أتاه الثالثة ، فقال : تزوجوا الودود فإنى مكاثركم بكم . . . » .

وهذان حديثان مرفوعان لم يسلم العلماء في رواتهما ، وروى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « للحصير في ناحية البيت خير من امرأة لا تلد » ، وقد قالوا : إنه موقف على عمر رضى الله عنه ، وحديث يكون موقوفاً عن عمر رضى الله عنه ، وهو الصادق

ولكن وردت أحاديث في العزل ، وهو إلقاء النطفة في غير مقرها من الأرحام لكيلا يكون إنتاج ، وفي بعضها صحة وقوة ، فما مدى دلالتها وقوتها في الوقوف أمام الدعوة إلى الإكثار من النسل ؟ فلننظر في هذا ، فإن كثيرين من الذين يتكلمون في هذا يتخذون منها دليلا للدعاية العامة لتحديد النسل ، لقد وردت أحاديث في العزل بعضها متفق عليه في الصحاح ، وبعضها في سنده ضعيف ، ولذا ذكر ما هثرنا عليه منجهين إلى الضعيف ، وموفقين بين مظاهره التعارض :

١ - روى عن جابر : « كننا نعزل على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والقرآن ينزل ، وهو حديث متفق عليه ، وفي رواية مسلم زيادة « قبله فلم ينهنا » .

٢ - وروى عن جابر أن رجلا أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقال : إن لي جارية هي خادمتنا وساتمتنا ، وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل ، فقال : اعزل عنها إن شئت ، فإنه سيأتيها ما قدر لها ، رواه مسلم وأحمد وأبو داود .

٣ - عن أبي سعيد « كننا في غزوة بني المصطلق .. فأصبنا سبييا من العرب ، فسالنا من ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : لا ، عليكم ألا تفعلوا ؛ فإن الله قد كتب ما هو خالق إلى يوم القيامة ، متفق عليه ،

ولا شك أن منع النسل هو ضد الفطرة ، والإسلام دين الفطرة ، كما قال تعالى في كتابه الكريم : « فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبدل خلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، وأن الله سبحانه وتعالى ، دعا إلى الاعتقاد عليه في رزق الأولاد ، بصد أن يأخذ كل طريقه في الكسب الحلال ، فقال تعالى : « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق . نحن رزقكم وإياهم ، . ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ، ، وأن التعاون الذي فرضه الله تعالى على المؤمنين ، والتسكافل الاجتماعي الذي أوجبه عليهم يوجب أن يعين الغنى الفقير ، وذو الميسرة ذا الحاجة فإذا كان هناك ذو عيال لا يجد ما يكفهم بالمعروف كان على من يجد أن يمد يدهم بالعون ، والدولة تأخذ من القادر لتكفل غير القادر ، فالنسل قوة للأمة ، وبدل أن تقول لكثير العيال : اقتل أسباب النسل في أصلاب الآباء أو أرحام الأمهات نقول للدولة : خذني من ذرى الفضل من المال ، وأعطني من يحتاج والجميع بكثرتهم قوة للأمة .

هذه هي النظرة العامة للثريعة بالنسبة للنسل ، وهي تدعو إلى الإكثار ، فالأحاديث تحت عليه ، والقرآن يشير إليه ، وهو الفطرة ، وتحديده يناقضها .

الصحيحة بالتوهم ، والحديث صحيح لا ويب فيه .

والذي نراه بادي الرأي أن حديثين متفق عليهما ، هما : حديث جابر «كنا نعزل ، وحديث بنى المصطلق .

وحديث الواد الخفي ، مع حديث تكذيب اليهود متعارضان .

ولذلك اختلف العلماء في جواز العزل ، ففريق جوزوه ، وفريق منعه ، ومن هؤلاء ابن حزم وبعض الحنابلة ، والذين أجازوه أجازوه على أنه رخصة فردية ، وإن اختلفوا في أسباب هذه الرخصة ما بين موسع ومضيق . ومن أشد من وسعوا الغزالي في الإحياء ، فقد وسع في أسباب الرخصة .

ومع ذلك فقد قرروا الغزالي مع غيره أن العزل ترك الأفضل ، بل إنه مكروه ، وإليك كلامه في التعليق على حديث جذامة بنت وهب عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « فإن قلت فقد قال : قوله عليه السلام : الواد الخفي يوجب كراهة لا تحريماً ، .

ونقضى من هذا إلى أن بعض الفقهاء يقول أنه ممنوع ، وبعضهم يقول أنه غير ممنوع ، ولكنه ترك للأفضل ، ومنهم من يقول : إنه مكروه .

وفي الجملة أن الإباحة لا تكون إلا برخصة باعثة ، وفي غيرها لا يكون العزل جائزاً ، هذا ما ينتهي إليه التفكير السليم .

واللفظ للبخاوى ، وظاهر أن المراد النهى عن العزل كما قرر ابن سيرين ، لأن حرف (لا) للنهى ، وقد تأكد النهى من بعد ذلك بقوله : « عليكم ألا تفعلوا ، وبينان : أن الله كتب ما هو خالق إلى يوم القيامة .

٤ - عن أبي سعيد الخدرى قال : « قال اليهود : العزل المؤودة الصغرى ، فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : كذبت يهود ، إن الله عز وجل ، لو أراد أن يخلق شيئاً لم يستطع أحد أن يصرفه . وقد ضعف بعض رواته ، ويعارضه حديث أقوى منه سنداً .

٥ - عن جذامة بنت وهب الأسدية : « حضرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في أناس سألوه عن العزل ، فقال عليه السلام : « ذلك الواد الخفي ، وإذا المؤودة سميت بأى ذنب قتلت ، رواه أحمد ومسلم ، وهذا حديث صحيح ، كل رجاله ثقات ، ولذا لا يقف أمامه هذا التعارض حديث أبي سعيد الخدرى الخاص بمؤودة اليهود ؛ لأن في حديث أبي سعيد ضعفاً ، وهذا لا ضعف فيه ، وبأه يعارضه حديث غزوة بنى المصطلق ، والنهى عن العزل فيه صريح ، ومن العلماء من رجح حديث أبي سعيد ، لأن له طرقاً مختلفة ، ولكن في كلها ضعف ، والقرى لا يعارض بأحاديث قد كثرت طرق ضعفها ، وقد قال الحافظ ابن كثير في ذلك : هذا دفع للأحاديث

خادما للمبادئ الشرعية الثابتة كان مطلوبا بالكل مباحا بالجزء ، وإن كان مناقضا للمبادئ السككية العامة في الشريعة ، كان مباحا بالجزء . حراما بالكل ، وانفكرك الكلمة للشاخي في الموافقات ، فهو يقول : (إن المباح ضربان : أحدهما : إما أن يكون خادما لأصل ضروري أو حاجي أو تكميلي ، والثاني : ألا يكون كذلك ، فالأول : قد يراعى ما هو خادم له ، فيكون مطلوبا ومحجوبا فله ، وذلك كالتمتع بما أحل الله تعالى من المأكول والمشرب ونحوها مباح في نفسه ، وإباحته بالجزء ، وهو خادم لأصل ضروري . وهو إقامة الحياة ، فهو مأمر به من هذه الجهة ومعتبر ومحجوب من حيث هذا السككي المطلوب ، فالأمر راجع إلى حقيقة السككية ، لا إلى اعتباره الجزئي ... والثاني : إما أن يكون خادما لما ينقض أصلا من الأصول الثلاثة المعتمدة ، أو لا يكون خادما لشيء . كالطلاق فإنه ترك للحلال الذي هو خادم لسككي إقامة النسل في الوجود ، وهو ضروري لإقامة مطلق الألفة والمعاشرة واشتباك العناصر بين الخلق ، وهو ضروري أو حاجي أو مكمل لأحدهما . فإذا كان الطلاق بهذا النظر خرقا لذلك المطلوب ونقضا عليه كان مبغضا ، ولم يكن فعلا أولى من تركه ، أو يعارض أقوى كالتشاقق (بين الزوجين)

ويجب أن نقرر أن العزل أو المنع الشخصي يعارضه : أنه ضد الفطرة ، ويعارضه : الأحاديث المتفق عليها الشرعية إلى تكثير النسل ويعارضه أيضا : الأحاديث الصريحة المانعة له حتى قال - بعض العلماء - : إنها ناسخة لأحاديث الإباحة على سبيل الرخصة ، وخصوصا الحديث الصحيح الذي قال : إنه الوأد الخفي . ثم تعارضه قاعدة أجمع عليها المسلمون ، وهي المحافظة على النسل ، فقد أجمع العلماء على أن الضرورات التي تجب المحافظة عليها خمس هي : النفس ، والدين ، والعقل ، والنسل ، والمال ، فنظرية منع النسل معارضة صريحة لكون المحافظة على النسل من الأمور الضرورية في الإسلام بإجماع العلماء .

٦ - تبين من البحث السابق أن المنع الفردي للنسل ، ترك للأفضل أو مكروه ، وإذا وجد موجه عند الفرد كان مباحا على مقدار هذه الرخصة الفردية ولا يوجد في الفقه الإسلامي ما يجعل الرخصة جماعية لأمة من الأمم أو لإقليم من الأقاليم ، فالرخص دائما فردية .

وإذا انتهينا إلى الإباحة في هذه الدائرة ، فإنه من المقررات الشرعية أن المباح بالشخص أو بالجزء يكون : إما مطلوبا بالكل ، أو بمنوعا بالكل ، على حسب موافقته للمبادئ السككية المقررة في الشريعة ، أو مناقضتها ، فإن كان

إلى تحديد النسل أو تنظيمه وبين إسرائيل ومن استقر خلفها ... ؟

(ب) هل موارد الجمهورية العربية المتحدة وغيرها من البلدان العربية لا تكفي سكانها إذا ترك معدل النسل على ما هو عليه .

(ج) وبالتالي : هل استثمرت الثروات الطبيعية في البلاد العربية ؟

(د) وما رأى الاقتصاديين المعتدلين في تلك القضية .

(هـ) وهل للكثرة عبء على الفلاح المصري ؟

هذا ما نقرأ عنه بوضوح في هذا النص من الرسالة يقول :

« وقد رأينا حكم الشرع ، وأنه لا يجوز منع النسل بالكل ، ولا يباح كأمر عام لأنه يعارض قوله : « نحن نرزقكم وإياهم ، نحن نرزقهم وإياكم » ، ولذلك يعارض باسم الدين ، ولا نريد أن نقطع نسلنا ، ونقل جمعنا ، ونعصى رسولنا ، ونكفر بقدره ربنا الذي يرزق من يشاء بغير حساب .

هذا حكم الدين فلننظر إلى الدنيا ولنعرف الدنيا أنعامتحررون في فهمنا من كل تقليد أعمى ، أو اتباع على غير هدى .

لماذا نحارب النسل ؟ لماذا نحارب الكثرة ونعمل على القلة ؟ قالوا : إن الرقعة الزراعية ضئيلة ، والسكان في تزايد وسيأتى

وهدم إقامة حدود الله ، وهو من حيث كان جزئيا في هذا الشخص وفي هذا الزمان مباح وحلال (١) .

وبتطبيق هذه القواعد على قضية منع النسل نقرر الأمر الشرعى في هذه القضية : أنه إذا أبيع لرخصة ، فإنه يباح للشخص الذى كانه عنده الرخصة ، ولا يباح كمقاعدة عامة تم الناس في إقليم أو أمة ، بحيث ينتفع بالإباحة صاحب الرخصة وغيرها ، ثم هو خادم لأمر يناقض مبدأ مقررا ثابتا ، وهو المحافظة على النسل ، والإكثار منه الذى جاءت به الأحاديث الصريحة المتفق عليها ،

ولا يفوت فضيلة الشيخ أبى زهرة دور الاستعمار في هذا الموضوع ، وهو لذلك حريص على الكشف عن هذا الدور مبينا بجانب ذلك أن كثرة الذل وحدها هى التى تغطى التخلخل السكانى في بعض الأقطار العربية وتواجه الزحف الأوربى باسم التوطن في بعض المناطق الأخرى ، وليس إلا كثرة النسل وحدها السبيل إلى القوة العسكرية . ويمجد المطالع لهذا الجزء القادم من البحث إجابات واضحة إذا ما تسامل :

(١) هل هناك علاقة بين هذه الدهوى

(١) الموافقات الجزء الأول ص ٩٢٨ ، ١٢٩ طبع البجارية تعليقات الأستاذ المرحوم الشيخ : عبد الله دراز الكبير .

ولقد قال الرئيس جمال عبد الناصر بحق :
إننا لم نستغل من بنايع ثروتنا إلا خمسة
في المائة أى إن خمسة وتسعين في المائة لا تزال
غفلا ، لم ننتفع به ، وإننا نقول : إن هذا
الباقى كثير منه صالح للانتفاع به فى الزراعة
وفى إنزال الأرض منه مواد تخدم الصناعة .
وإن الاقتصاديين المدركين يقررون أنه
لو نفذ من حاج عشر السنوات ، واستقامت
الصناعة المصرية على سوقها لاحتاجت
الجمهورية العربية المتحدة إلى أكثر مما يزايد
به سكانها عاما بعد عام ، فهل نقلل فلسفنا
الآن لنحاول أن نحى موانه بعد ما نحتاج
إليه ؟ وهل يكون ذلك ممكنا بعد أن ذهب
لذة النسل والولادة ؟ .

إذن فليس فى الأرض ضيق ،
ولا فى العمل متعطل ، ومصر تمتاز بين
البلاد بأنها لا يوجد فيها متعطل قط ، لنترك
قضية الكثرة والخوف منها ، لأنها خير
لا يصح أن يتبرم به مؤمن ، أو يخاف منه
اقتصادي ، إنما الذين يخافون منه أهداء
الإسلام الذين يتمتعون أن يغضوا أعينهم
ثم يفتحوها فلا يجدوا من المسلمين دياراً
ولكن ليوتروا بغيتهم هم ومن يتبعهم من
جهالة وتقاييد غير مدرك ، فالمسلمون باقون ،
وسيكثرون وسيزدادون .

قال الذين يتبعون أهداء الإسلام عن غير

وقد لا تجود عليهم الأرض بما يطعمهم .
ونقول : إن مصر الآن لم تبق بلداً زراعياً
يعتمد على الزراعة ، بل إنه صار يعتمد على
الصناعة ، وأن ما تنتجه أرض مصر من ثمرات
الأرض والأغراس يزيد عما تنتجه أرض
انجلترا التى اتسعت لأكثر من خمسين مليوناً
ولكنها الصناعة ، ومصر فيها كل المسواد
الأولية للصناعة فيها البترول ، ولم يكشف
كل ما بحرى فى باطنها من أنهاره ، وفيها
الحديد ، وقد كشف فيها الفحم وقد اتجهت
إلى الصناعة فى عهدنا ، حتى صار ما تصدره
منها لا يقل عما تصدره من زراعة ، وأن قوتها
لا تعتمد فيه على ما تخرجه أرضها ، بل تعتمد
على ما تستجلبه فى نظير ما تقدم من صناعات
وخامات .

إن الاقتصاديين المدركين الفاهمين الذين
لا يقدون ولا يبحرون يقولون : إن المسئل
فى ذاته ثروة ، وإن أعلى مصادر الثروة هو
القوى البشرية ، ومنك أنم كويسرا
لا تعتمد فى مصادرنا إلا على مهارة سكانها
ومثالها كثير من الأمم ، فهل نريد أن نحرم
أنفسنا هذه القوى العاملة وهى أعلى الثروات
فى الوجود ، وأنعمها وأغلاها ، ومثلنا كثر
من يكون فى يده كنز من الذهب لا يستطيع
أن يتخذ منه نقداً أو حلياً ، أو ما ينفع
الناس فى الأرض فيلقيه فى البحر ، ليتخلص
من أعباء صناعته أو الانتفاع بها .

أولاد الفلاحين تكون قصيرة الأمد، وسرطان من بعد ذلك ما يخرجون عن أن يكونوا كلا على آبائهم ، إلى معاونين لهم ، فترى الفلاح يخرج ابنه من حضنته الاقتصادية إلى قدرة تعطى أباه ، وكثيرا ما ترى في جنى القطن وما يشبهه من الأعمال الأولاد الصغار من سن العاشرة إلى ما فوقها يعملون بجوار آبائهم وأمهاتهم ويأخذون مثل أجورهم ، وكنا نظن أن تعميم التعليم سيطيل من أمر تلك الحضنة الاقتصادية، ولكننا رأينا أن الأولاد يجمعون بين العمل والمدرسة ، فيدرسون نصف اليوم ، ويعملون في النصف الآخر ولذلك نقول لأولئك الذين يريدون أن يتدخلوا في حياة الفلاح الخاصة بشؤم تفكيرهم وحكم فلسفتهم : إنكم تريدون أن تحرموا الفلاح قوة مالية تمده ، وادوة تنافسه ، وممتعة هي أكبر ممتعة في الحياة ، فاتفقوا الله فيه، والعالم مثل الفلاح ؛ فإن الحضنة الاقتصادية عند أولاده قصيرة وسرطان ما يذهب ابن الحامل إلى مهنة تقارب مهنة أبيه ، ويكون له مصدر معين ، ويجمع بين التعلم للعلم ، والتعلم للمهنة جمعا متناسقا ، وخصوصا أن أكثر دور العلم صارت على فترتين ، اللهم إلا المدارس الخاصة التي تعتبر شجرا في حلق الديمقراطية أو الاشتراكية ، أوهما معا ، وأظنني ناديت بذلك في مجلس محافظة القاهرة .

بيته : إننا نريد رفع مستوى المعيشة للفلاح المصرى وللعامل المصرى ، ولا يمكن رفع المعيشة له ، وأولاده يتكاثرون ويتزايدون فلا بد من التقليل لسكى : تفجع المستوى لأن المورد محدود ، ولا شك أن قسمته على عدد قليل يجعل ناتج القسمة كبيرا ، ولو جعلنا القسم كبيرا يكون ناتج القسمة قليلا ، وبذلك يزيد مستوى المعيشة كلما كان عدد الأولاد قليلا ، ويقل كلما كان عدد الأولاد كثيرا ، وهذا كلام يبدو لمن لا يعلم حياة الفلاح المصرى صحيحا ، ولكن تفوته حقيقة ثابتة مقررة عند أهل الاقتصاد والعلم بالحياة والناس لا الذين يقلدون عن غير بيته وإدراك مستقيم ، تلك الحقيقة أن الحضنة الاقتصادية الأولاد تختلف طولا وقصرا باختلاف الثقافة ونوع الحياة ، فالحضنة الاقتصادية تكون قصيرة عند أولاد العمال والفلاحين ، وتكون طويلة عند أولاد غيرهم ، ويخرج عن هذا الاضطراب النبغاء من أولاد العمال والفلاحين ، وهؤلاء النبغاء يجب أن تتولاهم الدولة بالرعاية والتثقيف والتشجيع لأنهم قوة الأمم ، وعنوان حضارتها ، وأساس تقدمها ، ويمكن أن يعرفهم خبراء التعليم في المرحلة الأولى والثانية .

أما غير النبغاء فإن الحضنة الاقتصادية عند

وحبت في أذهان الذين احتلت أمريكا
وانجلترا وصهيون وروسهم ، أما الروس
المتحررة من ذلك التقليد الاعى ، والتي
خلصت من نير الاستعمار الفسكى فإنها تجد
في أرض العرب سعة وكثرة ، كما قال تعالى :
« ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض
مراغماً كثيراً وسعة ، ومن يخرج من بيته
مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد
وقع أجره على الله ، وكان الله غفوراً رحيماً .
إن الأرض العربية تحتاج إلى أيد عاملة ،
تحتاج فقط إلى أيد تبذر للبذر ، وترجو الثمار
من الرب ، إن السودان وحده فيه نحو ٧٠
مليون من الأفندية ، وهو مهجر طبيعي
لصعيد مصر ، وهذه المساحة من الأرض
الحصبة تسع العرب جميعاً ، فهل نترك تلك
الأرض شبه موات من غير أن نوفد إليها
رجالاً يعملون ؟ والحمد لله قد زالت العوائق
فعمدت العلاقات الاقتصادية ، وقد عادت بالخير
الكثير ، وسيكون بعون الله تعالى الفيض
العميم .

وليبيا - بعد أن أباد الطليان منها من
أبادوا - أرض طيبة ، وهي مهجر طبيعي لريف
مصر ، فهي مهجر لاهل البحيرة والفيوم ،
وليبيا في خطر اجتماعي إن لم تتداركها
مصر بفيض من سكانها ، ذلك أن سكان
جنوب أوربا يجدون فيها مهجراً لهم يقارب

ولمنتقل من النظرة الإقليمية إلى النظرة
العربية ، بل إلى النظرة الإسلامية ،
إننا ننادى صباح مساء بالوحدة السياسية بين
العرب ، ونسعى جاهدين للوحدة الإسلامية
وإنه لفرض على كل مسلم يملك لساناً مبيهاً أو
قلماً كاتباً أن يدهو إلى هذه الوحدة الشاملة
السكاملة .

لنترك الكلام في الوحدة الإسلامية من
غير أن نذاهما ، لأن نسيانها إهمال للحقيقة
من حقائق الإسلام ، فنحن إذ نسكت عنها
بالسكتنا ، نحمل المصانع الأولى في قلوبنا .

ولنتكلم في الوحدة العربية التي هي وشيكة
التحقيق ، وقد تحقق بعضها فعلاً ، والأصل
أن تتحقق كلها في القريب العاجل بعد أن
طرح نير الاجنبى ، ولا يعوق كمالها إلا
بقية احتلال في رموس بعض أكار مجرميها
كما قال تعالى : « وكذلك جعلنا في كل قرية
أكبر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا
بأنفسهم وما يشعرون . » وإذا كانت سياستنا
العامية والاقتصادية والخيرية تتجه نحو الوحدة
العربية ، فإنه عند التفكير لا يصح الاقتصاد
على الإقليم المصري ؛ بل يجب أن نقسح الأنظار
إلى الأقاليم العربية : هل ضاقت بمجموع
سكانها ؟ هل أجذبت أرضها ، حتى لا تنسج
لمزيد في أقليم من أقاليمها ؟
ألا فليعلم الناس : أن الأرض ضاقت بما

ولذلك يكثر ذلك المرض عندنا بين النساء اللاتي يشغلن أنفسهن عن الولادة بالجمهومات يحضرنها أو يعقدنها والملائكة لا تظلم ، بل الشيطان ينفض فيها سمومه . ويقل أو لا يسكاد يوجد بين نساء الفلاحين والعمال الذين يتحركون الفطرة تسير في طريقها .

وتقول في الإجابة على هذا السؤال : إنها دعاية أمريكية وإنجليزية وصهيونية سرت لإيضا ، وتبعها بعض المخلصين غافلين عن جذورها ومواردها وما يغذيها ، والآخرون الذين لا يخلصون لدين ولا لوطن ولا لقومية اندفع فيها بعضهم باعتبارها بدعا من الأفكار يتبعونه ، وهؤلاء يتبعون كل نافع ويسهرون وراءه من غير أن يعرفوا : أي سيرهم في طريق يوصل إلى الخير ، أم يسير في طريق يملأه بالآفامى والحيات ؟ ، ومن هؤلاء استعان الأمريكان واليهود بأقلامهم لغاية يتبعونها ، وهو التقليل من عدد العرب الذين يحيطون بدولة إسرائيل وسيبتلعونها ، إن قريبا وإن بعيدا ، بالكثرة العددية .

ولهذا تجد هذه الدعاية في مصر ، وتتخذ منها سرعا خصييا لأنها هي التي تحمل أكبر العبء ، وبها أكبر العدد ، وفيها أقوى العناد وكانوا يدعون لإلهها في سوريا التي لم يبلغ سكانها خمسة ملايين ، وبها نحو اثني عشر مليوناً من الأفدنة من الأراضي الخصبة

مناخه مناخ بلادهم ، وقد رسموا سياسة استعمارها بالسكان ، لا بالجيش ولا بالحكام وأنه لو استمرت الهجرة الأوروبية على ما هي عليه لصار أكثر سكان ليبيا - بعد عشرين سنة أو تزيد - أوروبيين ، وبذلك تفقد بلاداً عربيا بطريقة تشبه سريان السرطان في جسم الإنسان ! . أليس من العدل والإسلام والعروبة وحماية النفس والجنس والدين أن نمد ليبيا بفيض من السكان همدنا ، بدل أن نعقم نسلنا ونزق به في اليم ؟ .

وأن الجزائر ذلك البلد الكريم الذي استرد حريته وكرامته ، به أكثر من ثلاثة وثلاثين مليوناً من الأفدنة تحتاج إلى أيدٍ تعمل فيها ، ومن الواجب أن نمد يد الفلاح المصري الذي يحرث الأرض ويجهنها إن الجزائر أرض طيبة رويت بدماء الشهداء والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نسكدا .

والآن نسأل : لم هذه الحاجة إلى تحديد النسل والتفتن فيها ، ونشر الحبوب التي تعقم النساء ؟ ، ولا أريد أن أتكلم في مضارها فقد قال المخلصون من الأطباء في مؤتمر الجرائم الاقتصادية الذي عقد منذ سنتين في المركز القومي للبحوث الجفائية والاجتماعية : إن تعقيم المرأة يضرها أبلغ الضرر ، ويعرضها لأخبت الأمراض ، ويعرضها لمرض السرطان

وسبب حاجته إلى منع الحمل ، فاعتبروا
يا أولى الأبصار .

الحقيقة الثابتة : أن مصر تنشىء جيشا كثير
العدد ، يحمل أقوى عتاد ، ولا توجد دولة
تريد أن تكون حربية لها جيش يحمى دمارها
ويسد ثغورها ترضى أن تهد نسلها في أصلاب
الآباء ، أو أرحام الأمهات ، بل إن الميدان
يفتح صدره لكل ذى ساعد يحمل ويغير .
وقد قيل في إحدى الندوات عقد
ما ذكرناها هذه الحقيقة : إن الحرب الآن
ليست بالعدد ، ولكنها بالقنابل
الصاروخية ، والقنابل الذرية ، وسائر
الأدوات الفتاكة ، ونقول لهؤلاء : هل
هذه القنابل لا تقتل أحدا من الجيوش ؟
ولذا قتلت أفليست أشد فتكا ، وبكثرتها
القتل الذريع في الجيوش ، ويحتاج الميدان
إلى من يحل محل الذين جرحوا أو فقدوا ،
وتكون كثرة الفتك داعية للإكثار من
هدد المحاربين ؟

ولكن هكذا قيل ، وهكذا كان تفكير
المقلدين ، والله تعالى رحيم بعباده ، حافظ
لامته ، وآله الله تعالى شرعائة الأعين ،
وما تخفى الصدور ؟

نحتاج إلى رى منظم ، وكان الرئيس عبد الناصر
قد وضع الأسس لتنظيم الرى لثمانية ملايين
من الأفدنة تكون حقول قمح تغنى البلاد
العربية من أن تستورد من أمريكا
أو روسيا .

وكانت هذه الدعاية فى العراق ، وهو
لا يبلغ سكانه سبعة ملايين ، وبه نحو عشرين
مليوناً من الأفدنة من أخصب أراضي العالم ،
ولا تحتاج إلا إلى أيد تزرعها ، وقد حاول
هناك أكثر من خمس عشرة سنة أن ينظم الهجرة
من مصر إليه ، ولكن السياسة إبان ذاك
أفسدت الفكرة وقبرتها .

٦٢ - وقبل أن أنهى من هذا البحث
نقرر حقيقتين ثابتتين :

أولاهما : أن المجهود الذى تعمل بعض
الجهات على توزيعها بالبحر إلى الآن تنتج فى
أوروبا ، وأمريكا ، ولا تباع فى أى صيدلية
هناك إلا بإذن خاص ، ولكنها فى مصر
توجد فى الصيدليات التى لا يتقن أصحابها رحيم
وتتولى الجهات التى أشرنا إليها توزيعها ،
فبينما هى فى مصر توزع بالجزاف لا توزع
فى بعض الصيدليات هناك إلا بتذكرة طبيب
يقبض فيها الحال الصحية ، واسم صاحبها ،

التأمين

للأستاذ علي الخفيف

والأمراض ، وتجزئته بقسمته بين أفراد عديدين يتحمل كل منهم قسطاً منه ، وذلك عن طريق تقويمه ، والتوصل بقيمته إلى ترميمه ، أو تخفيفه ؛ وذلك بحمل قيمته ووضعها على أكبر عدد ممكن نتيجة لتعاقد تقوم على تنظيمه ومباشرته ، والإشراف عليه هيئات لها الخبرة الفنية والدربة والتجربة القائمة على أسس وقواعد إحصائية وتجريبية .

ويعرفه رجال القانون بأنه : عقد يلتزم به المؤمن أن يؤدي إلى المؤمن له ، أو إلى من شرط التأمين لصالحه ، مبلغاً من المال أو أى عوض مالى آخر ، عيناً أو منفعة ، في حال وقوع الحادث المؤمن ضده ، المبين في العقد ، وذلك نظير مال يؤديه المؤمن له إلى المؤمن على وضع يبين في العقد .

ويستفاد من هذا التعريف أن هذا العقد يقوم على العناصر الآتية :

١ - وجود شخص يرى نفسه معرضاً لخطر في نفسه أو في ماله ؛ فيعتمد إلى تخفيف آثاره أو دفعها بأن يتعاقد مع من يلتزم له بتحقيق ذلك عند وقوع الخطر ؛ وذلك بإعطائه حوضاً

كان من الموضوعات الهامة التي عرضت على المؤتمر موضوع التأمين ، بكل أنواعه ، وقد قدم فيه هذا البحث فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ علي الخفيف ، ومع أنه قوبل من أعضاء المؤتمر بالاهتمام البالغ لأهميته وقيمه من الناحية العلمية والفقهية ولاتصاله القوى بالنشاط الاقتصادي ، إلا أنه رأى عدم البت فيه برأى حتى يبعث من جميع جوانبه وتدرس جميع الظروف والملابسات التي تتصل به ، ولهذا رأينا عرضه برمته ، على رأى العام ليشارك في النظر إليه ، وإبداء ما ينعن له من الآراء

وقد اعتمد الباحث في إعداد هذا البحث على نيف وثلاثين مرجعاً من كتب الفقه والقانون ، وهذا أول جانب منه .

التأمين

التعريف به :

التأمين : نظام تعاقدى ، ابتدعه رجال الأموال لتوزيع الضرر ، الناتج من الأخطار الزمنية التي تصيب الأموال بالإتلاف أو الفساد أو الضياع ، أو تصيب الأجسام والأنفس بالنقص

تحقق ضرر من جراء وقوع الحادث ، أما في الحال الثانية ؛ فلا يكون له من المال إلا بقدر ما يرفع الضرر في حدود الحد الأقصى المبين في العقد - وقد يسكون التزاما بإصلاح مافسد أو بالإتيان بمثل ما فقد دون دفع شيء من المال ، ويسمى هذا على العموم بمبلغ التأمين .

٦ - وجود مصلحة المؤمن له في التأمين فإن لم تتحقق له مصلحة كان العقد باطلا وذلك كأن يؤمن شخص على عقار ليس له ولا مستأجرا له ضد الحريق . فمثل هذا العقد يعد باطلا ، وحكمة التشريع في ذلك ألا يتخذ التأمين وسيلة لاستدراار مال سدا لأطماع شخصية لا تسفند إلى مصلحة اجتماعية ، ومع ذلك ، فإن من رجال التشريع الوضعى من يرى أن لا ضرورة لتحقيق هذه المصلحة ولزومها في التأمين على الأضرار ، ولكن القانون المدنى المصرى مال إلى الرأى الأول ؛ فاشتراط المصلحة م / ٧٤٩ مدنى .

هذه عناصر التأمين وأركان ومنها يتبين أنه يقوم على خطأ - أو حادث أليم يخشى وقوعه ، وتجه نية من يتعرض له إلى تجنب ضرره بدفع عوض من المال للمؤمن هل أن يلتزم له بدفع مبلغ التأمين أو رفع الضرر عنه . غير أنه يلاحظ أن هذا التعريف إنما نظر فيه إلى ما تضمنه عقد التأمين من علاقة بين المؤمن والمؤمن له وهذه نظرة لا يستبين بها

من المال ، أو بقيامه بإصلاح ما فسد ، ويسمى هذا الشخص : بالمؤمن له ، وقد يسمى بالمستأمن وهو أحد طرفى العقد .

٢ - وجود طرف آخر يلتزم له بذلك ويسمى بالمؤمن - ولا يكون إلا شركة مساهمة أو جمعية تبادلية تعاونية .

٣ - مال يلتزم بدفعه المؤمن له إلى المؤمن بالطريقة التى تبين في العقد نظير تحميله تبعة الخطر المؤمن منه ؛ وذلك ما يدخل عقد التأمين في عقود المعاوضات التى تقوم على إنشاء التزامات متقابلة في ذمة طرفيها - ويسمى هذا المال : بقسط التأمين .

٤ - تعرض المؤمن له لخطر احتمالى يهدده في نفسه أو ماله من حادث يتوقع حدوثه كحريق أو سرقة أو وفاة أو إصابة من آلة أو نحو ذلك ، ويسمى بالخطر المؤمن منه .

٥ - مبلغ من المال يتم بالاتفاق عليه في العقد يقوم المؤمن بأدائه إلى المؤمن له عند تحقق الخطر المؤمن منه ، وقد يكون معين المقدار كما في التأمين على الحياة أو من المرض ، وقد يكون تعويضا يراعى فيه أن يكون جابرا للضرر الواقع فعلا بمقد أقصى يبين في العقد كما في التأمين من الحريق والسرقة ، والفارق بين هذين الحالين : أن المؤمن له في الحال الأولى يكون له الحق في المطالبة بالمبلغ المتفق عليه كاملا غير منقوص دون حاجة إلى إثبات

عن مقدار معين من المال . إنما أراد بذلك توفير الثقة والطمأنينة لدى المؤمن له في سبيل حصوله بأيسر وسيلة على ما يستحق له من مبلغ التأمين ، وذلك بإيجابه في ذمة أخلصت لهذا الغرض ، ووجهت كل جهودها ونشاطها إلى هذه الغاية ، وابتعدت بقدر الإمكان عن عوامل الشح والماملة والاثرة ، مما قد يخلق عقبات في سبيل الوفاء بالواجبات ، ولا شك أن ذلك مما يبعد بين عقد التأمين ، وبين ما يسموه من معنى الغرر .

بداية عقد التأمين - دعايته - انتشاره

ظهرت الحاجة إلى التأمين في أواخر القرون الوسطى حين انتشرت التجارة البحرية بين مدن إيطاليا وألبان الواقعة في حوض البحر الأبيض المتوسط ، فكانت البضائع التجارية تنقل بالسفن بين هذه المدن عبر البحر الأبيض المتوسط ، وكان منها ما يكتب له السلامة في طريقه - فيكون من وراء ذلك الرجح الوفير ومنها ما يغرق ، أو يغصبه قراصنة البحر ، فتحل بأربابه الخسارة - ولما كانت السلامة فيها أكثر وقوعا ، وكان حرص التجار على سلامة بضائعهم شديدا فقد أقدم أناس من أرباب الأموال والعمل في المال على استغلال هذا الوضع في استفادة المال ، وذلك بإقدامهم على ضمان ما يرسل في البحر من البضائع نظير أجر يتقاضونه عن ضمانهم حتى إذا هلكت قاموا

وجهه بصورته الواقعية الصحيحة التي تكشف عنه نظاما يؤدي إلى الغرض المقصود منه على وضع سليم .

فبعد التأمين إذا كان من الجائز أن يكون أحد طرفيه ، وهو المؤمن له ، شخصا طبيعيا أو معنويا ، فإن طرفه الآخر ، وهو المؤمن ، يجب أن يكون شركة مساهمة ، أو جمعية تعاونية وأن تتعدد عقودها لهذا الغرض مع كثيرين فينتقاضى من كل منهم مقابل التأمين ، ومن مجموع ما يتقاضاه يدفع لمن نزل به الخطر منهم وهم عدد قليل ما يرفع عنه ضرره ، أو يخففه على حسب ما يتم الاتفاق عليه ، ويكون فيه الوفاء بذلك غالبا ، ذلك لأن مقابل التأمين يجب أن يقدر على أساس فني مستمد من الإحصاء الدقيق الذي يؤمن معه عدم الوفاء بما يطلب ، أما إذا اقتصر التعاقد على فرد مثلا ، فإنه يكون عقد رهان ومغامرة لا يقره قانون ولا شريعة ، وكان الغرر والمغامرة فيه حينئذ ، ولهذا يعرفه بعض العلماء بأنه عقد يستحق بموجبه أحد طرفيه ، المؤمن له ، نظير مقابل مالي يدفعه - مبلغا من المال عند نزول خطر معين في ذمة الطرف الآخر - المؤمن ، الذي يدخل في عهده مجموعة من هذه الأخطار ليجرى المقاصة فيما بينها طبقا لقوانين الإحصاء ومن المفهوم أن القانون حين اشترط في المؤمن : أن يكون شركة مساهمة ، وألا يقل رأس مالها

وأضرارها ، وقد أدى كل هذا إلى شيوع التأمين وتنويعه وشموله حتى طريق التجارة والصناعة وسائر وجوه النشاط الاقتصادي وعم كثيرا من الوسائل التي يستخدمها الإنسان في حياته : كالسيارات والماشية والأمتعة ، بل امتد إلى ما يصيب الإنسان من مرض أو شيخوخة أو عجز أو بطالة - وعلى الجملة - فإن هذا العقد قد عظم شأنه ، وتدخل في جميع مرافق الحياة ، ومعظم مناحيها ومسالكها ؛ بل قد امتد ظله إلى ما بعد وفاة صاحبه إذا اتخذ سيلا إلى تأمينه على رفاة أولاده وأسرته وتوفير وسائل عيشهم بعد وفاته .

أنواعه :

لقد أدى تطور المدنية وتقدمها وتنوع الحضارة وازديادها إلى كثرة ما يتعرض له الإنسان من الأخطار والضرر وذلك بقدر ما جدد فيها من وسائل وقايتها ، وطرائق العيش فيها والسعي في نواحيها ، وتبع ذلك اهتمامه وعنايته بتجنب تلك الأخطار ، وتلافى أضرارها ، وكان من نتيجة ذلك اتجاها إلى التأمين ضد ما قد يصيبه ويتعرض له وهو كثير متعدد متنوع ، فتعددت بسبب ذلك

راجع الوسيط الأستاذ السهوري ج ٧ مجلد ٢ ص ١٠٨ وما بعدها ، ومحاضرة في التأجير للأستاذ سيد علي السيد ص ١٢ وما بعدها .

بدفع قيمها إلى أربابها معتمدين على أن الغالب فيها السلامة ؛ فلا يغرمون منها إلا القليل ، وعلى أن حرص التجار على سلامة أموالهم يدعوهم إلى الإقدام على تضمينها غير مبالين بدفع ما يطلب منهم من أجر هليمه ، ومن وراء ذلك يكون الرجح العظيم .

وعلى هذا الأساس بدأ التأمين مقصوراً على البضائع ، ثم امتد بعد ذلك إلى سلامة السفن ، وسلامة ما عليها من الأموال والركاب ثم أعقبه بعد ذلك التأمين ضد النوازل والأخطار إذ بدأ ظهوره في إنجلترا في خلال القرن السابع عشر ، وكانت أول صورة ظهرت له صورة التأمين ضد الحريق عقب حريق هامتل شبت نيرانه في لندن سنة ١٦٦٦ فالتهمت أكثر من ثلاثة عشر ألف منزل ومائة كنيسة ، وانتشر هذا النوع خلال القرن الثامن عشر في كثير من البلاد ثم ظهرت بعد ذلك صور جديدة للتأمين مختلفة الأنواع . أهمها : التأمين ضد المسؤولية ، وذلك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بعد أن تطورت الصناعة تطورها الخطير بسبب اكتشاف البخار ، واختراع الآلات البخارية ، ثم ظهرت الكهرباء ، وما تلا ذلك من انتشار المصانع وتطورها ، وتقدم وسائل النقل ، وظهور الطيران ، وما ترتب على ذلك من كثرة الأخطار وحوادثها ، واهتمام الرعية في تلافى أخطارها

وتأمين المسؤولية المدنية - وتأمين الاثنان والتأمين من جميع الأخطار التي لم ينص عليها فيما سبق كالتأمين من استهلاك السندات والتأمين من حوادث المهنة، ومسؤولية الطبيب المدنية وهكذا .

على أن الانحياز إلى التأمين لم يقف عند إرادة ثلاثي الأخطار ؛ بل تجاوزه إلى طاب المعونة عند توقع الحاجة إليها ؛ فكان تأمين الأرواد الذي يتقاضى المؤمن له به مبلغ التأمين كإعارة بولد وتأمين الزواج الذي يتقاضى به المؤمن له مبلغ التأمين إذا ما تزوج قبل بلوغه سناً معينة ، وتأمين المهر الذي يتقاضى به أحد أولاد المؤمن له إذا عاش إلى تاريخ معين يغلب أن يتزوج فيه فيكون في حاجة إلى المهر .

والتأمين : إما تأمين اجتماعي ، وإما تأمين خاص ؛ فالاجتماعي منه يختص بالعمال ويؤمنهم من إصابات العمل ومن المرض ومن الشيخوخة ومن العجز ويساهم فيه إلى جانب المال أصحاب العمل والدولة ذاتها وتتولى الدولة تنظيمه ، وإدارة شؤونه .

أما الخاص منه ، فتقوم به الشركات والجمعيات التبادلية التعاونية - والتأمين الخاص قد يكون تأميناً على الأشخاص ، وقد يكون تأميناً من الأضرار ، والأول يتعلق بشخص المؤمن له فيؤمن على نفسه من الأخطار التي تمس حياته

وتنوعت صور التأمين ؛ فكان منه التأمين على الحياة ، ويشمل جميع عمليات التأمين التي تتعلق بالحياة ، وما تعرض له من أخطار كالمرض والعجز والشيخوخة والإصابة وما إلى ذلك . . . والتأمين على جمع الأموال ويشمل عمليات التأمين التي تقوم على إصدار وثائق ، أو سندات ، أو شهادات أو غيرها مما تلزم بموجبه الهيئة التي تصدرها بأداء مبلغ معين أو مبالغ في زمن مستقبل مقابل قسط أو أقساط دورية ، والتأمين من الحريق والتأمين من أخطار النقل البري والنهري والبحري والجوي ، ويشمل التأمين على أجسام السفن والطائرات وعلى آلاتها ومهماتهما - والتأمين على البضائع والمنقولات من أي نوع والتأمين على أجرة الشحن وعلى كل ما يتعلق بالسفن والطائرات من الأخطار التي تنشأ من بنائها أو استخدامها أو إصلاحها أو صناعتها أو رسوها والتأمين عن الحوادث ويشمل ذلك التأمين على إصابة العمل ، وهو الاثر المبتدئ بتأمين أبواب الأعمال من مسؤوليتهم عن تعويض العمال الذين في خدمتهم ، وتأمين السيارات ، والتأمين الإجباري من المسؤولية المدنية الناشئة عن حوادث السيارات ، وتأمين الحسائر والمسئوليات ، ويشمل التأمين ضد السرقة والسطو - والتأمين ضد خيانة الأمانة والتأمين ضد كسر الزجاج ، والتأمين على الماشية

وسيلة من وسائل قيامها ورعايتها لرعاياها .
ولقد كان من تلك الأسس التي قوى بها
التأمين واستوى أن دهم بنوع منه يسمى
بإعادة التأمين

فمطية التأمين تقوم على تقدير الاحتمالات
طبقا لقوانين الإحصاء التي تستند السكثرة
ومراعاة ما يطرأ عليها - إذ أن المؤمن من
نوع معين من الخطر كالحريق مثلا يجمع بين
أكبر عدد ممكن من يتعرضون لهذا الخطر
ويزن احتمالات تحقق هذا الخطر لهم جميعا
بناء على إحصاء عدد موات الحريق التي
وقعت في الماضي ومبلغ أثر كل حريق منها
ويجعل ذلك أساسا لوقوع مثل ذلك أو قريب
منه في المستقبل ، وذلك على وفق ما تتطلبه
قوانين الإحصاء ، وأن يكون هذا التمييز
أقرب إلى الدقة بقدر ما يكون هذه المعرضين
لخطر الحريق كبيرا - فإذا هدى الإحصاء إلى
أن كارثة واحدة من كوارث الحريق تقع في
كل ألف يتعرضون لهذا الخطر في مدة سنة
فإن هذا التقدير قلنا يصدق إذا كان المؤمن
لهم ألفا فقط إذ يكون الخطر والمصادفة حينئذ
لهما المقام الأول ، أما إذا كان المؤمن لهم
خمسة آلاف فلا أريدون فإن عامل الخطر
والمصادفة يضعف ويقرب التقدير من الدقة
والإصابة كلما زاد هذا العدد .
وعلى ذلك إذا قدرنا أن في كل ألف واقعة

أو جسمه أو قدرته على العمل ، وهذا النوع
من التأمين لا تتحكم فيه نظرية التعويض
بل يستولى المؤمن له على جميع مبلغ التأمين
المتفق عليه عند وقوع الحادث - والثاني
لا يتعلق بشخص المؤمن له بل بماله . فيؤمن نفسه
من الأضرار التي تصيبه في المال ، ويتقاضى
من شركة التأمين ما يعترض به عما أصابه من
الضرر مراعى في ذلك التكافؤ بين البدين ؛ فلا
تفاله أية زيادة عما تقتضيه إصابته ، ويتفرع
من هذا النوع إلى فرعين : تأمين على الأشياء
ويكون ضد الأضرار التي تنزل بالاهيان
المالية كالمنازل والمزروعات والحيوان
والسيارات - وتأمين من المسؤولية ، وبه
يؤمن الشخص نفسه من الضرر الذي يصيبه
بسبب ما يلزم من تعويض يطلب منه .
إعادة التأمين :

لقد رأينا ما انتهى إليه تنوع التأمين
وانتشاره وذلك ما يدل على أنه قد أسس
على أسس قوية جرت به الإخفاق في تحقيق
أغراضه والعجز عن الوصول إلى أهدافه
وأمن معها الخسار والغبن وحالة الجزاء
والرجح وكان سبيلا أمينا من - بل توفير
الأموال وتجميعها - واستغلالها ، وإلا
ما كان له هذا الذبوع ، وما قامت عليه هذه
الشركات الضخام في أنحاء المعمورة ، وما نهيت
بأسره الدول والحكومات ، وما اتخذته الدول

تلجأ الشركة المؤمنة إلى شركة من شركات إعادة التأمين لتؤمن نفسها من احتمال تحقق الخطأ في التقدير في حدود ما يطمئنها على قدرتها فتتفق معها على إعادة التأمين في حدود مبلغ عشرة آلاف جنيهه ، أو عشرين ألفاً على حسب ما ترى أنه يطمئنها وبذلك تطمئن ويطمئن معها المؤمن لهم إلى قدرتها على مواجهة ما يحتمل وقوعه من الخطأ إذا تحقق وعلى هذا فعقد إعادة التأمين : عقد بين المؤمن المباشر والمؤمن المعيد بموجبه يحول الأول إلى الثاني جزءاً من المخاطر التي يتحملها في نظير مقابل معين يؤديه إليه مع بقاء المؤمن الأول هو المدين وحده للمؤمن لهم وقد يتدخل القانون فيلزم شركات التأمين بإعادة التأمين كما فعل القانون ١٩٥٥ لسنة ١٩٥٥ إذ لزم هيئات التأمين بأن تعيد التأمين على جزء من عمليات التأمين المباشر على أساس نسبة معينة وطبقاً لتعريفات محددة (الوسيط ١١١٨ وما بعدها) .

المصلحة في التأمين والباحث عليه :
التأمين عقد يتم وبشأ بين طرفين : المؤمن والمستأمن ، المؤمن له ، وقد يكون الطرف الأول وهو المؤمن شركة تضطلع بهذا العمل ، وقد يكون جمعية ألقت من المستأمنين أنفسهم لهذا الغرض أو هيئة حكومية نصبتها الدولة وأنشأتها لتحقيقه

من وقائع التأمين ضد الحريق تقع ثلاث كوارث فتحترق ثلاث منازل مثلاً يبلغ مقدار التعويض فيها ثلاثين ألف جنيهه ، ويجب أن يكون مقدار القسط العاى الذى تحصل عليه الشركة من المؤمن له ثلاثين جنيهاً حتى تحصل الشركة من الألف المؤمن لهم على ثلاثين ألف جنيهه وفاء لما يقع من الكوارث ، ولكن الشركة لا تستطيع أن تطمئن إلى هذا التقدير اطمئناناً كاملاً في مواجهة التزاماتها ؛ بل يجب عليها أن تقدر في تدبيرها كذلك أن ذلك التقدير قد يخطئ ، وهذا الخطأ وإن قل عند كثرة عدد المؤمن لهم إلا أنه يبقى ما تلالى أن يحترق منزلان فقط يبلغ التعويض فيهما ستين ألف جنيهه بدلاً من ثلاثين ألفاً - لهذا يجب على الشركة أن توجه احتمال هذا الخطأ وتحفظ له حتى تطمئن إلى قدرتها على الوفاء بالتزاماتها وحتى يطمئن المؤمن لهم أيضاً إلى ملاءة الشركة ، وإلى أن حقوقهم في ذمتها مكفولة .

وقد تعددت الوسائل التي تتجأ إليها الشركات لتحقيق هذا الغرض وجميعها يقوم على إشراك شركات أخرى في عملية التأمين على وضع يقضى بتوزيع مبلغ التأمين بينهم فلا تستقل به شركة من الشركات ، وبذلك لا تنوء بحمله وحدها إذا ما كان يعيها حمله . وأكثر هذه الوسائل شيوعاً هي الوسيلة التي تسمى : بإعادة التأمين ، وذلك يكون بأن

المشتركون المؤمن لهم ، وذلك بتوزيع عبء
الآخطار والضرر الذى ينزل بأحدهم عليهم
جميعا ، وذلك بتعويض المضرور من الأقساط
التي جمعت - وهي في واقع الأمر مال الجميع -
بما يدفع عنه سوء الأثر الذى ينوء بحمله
وفي ذلك تفتيت الضرر أو تجزئته إلى درجة
تذهب بالشعور به دون أن يصعب ذلك
رغبة في جمع مال لأجل الربح والثراء ، ولا قصد
إلى تشجير رأس مال أحده صاحب التنمية
والاستغلال ، وإذا كان شيء من ذلك فعن غير
قصد مهدف ، وتلك خلة كريمة ومقصد جليل
يدعو إليه الدين وبحق ناحية من نواحي
التضامن الاجتماعى .

وهذا إلى ما للتأمين من منافع وثمرات
نجملها فيما يلي : —

١ — أنه يعد وسيلة من وسائل الاحتياط
والوقاية - احتياط لحادث مستقبل قد يجرى
بالضرر فيخفف أو يتلاشى بسببه - ووقاية من
هوز ينزل فيدفعه الحصول على مبلغ التأمين -
كما تؤدى بعض أنواعه إلى أمن الشخص على
من يهتم أمرهم من أهل بيته وأقربيه وغيرهم
من يرى أن يدفع إليهم مبلغ التأمين الذى
يستحق عقد حادث الحوادث المؤمن ضده
تأميناً على مستقبلهم .

٢ — أنه يبعث العلمانية في النفوس
فيطمئن صاحب المال على طلبه ، والتاجر على

أما الطرف الثانى فهو شخص قصد إلى إنشاء
هذا العقد .

وقد استوجب هذا التعاقد أن يكون
المؤمن ذا شخصية معنوية له ذمة متميزة
ومستقلة عن ذمم من يشترك فيه لتسكون محلا
لالتزاماته التى تنشأ عن هذا العقد للمؤمن لهم
وبناء على هذا كان له رأس مال مملوك له
تدخلت القوانين في تقديره ، أما ما يدفع إليه
من أقساط التأمين مديكا له فأقرب وضع له
أنه تحت وصايته وولايته التى تنظمها
القوانين الصادرة بشأن ذلك .

وبمقتضى عقد التأمين يلتزم بدفع مبلغ
التأمين إلى المؤمن له ، أو ما يقوم مقام ذلك
بما تضمن العقد بياحه من هذا المال ؛ فإذا كان
المؤمن شركة كان السبب الدافع لها هو الحصول
على المال نتيجة لاستثماره بوسائل الاستثمار
المتعددة التى تختارها الشركة ونتيجة لما تحصل
عليه من زيادة ما تأخذ من المشتركين مما
تدفعه تعويضا لمن حل به الخطر منهم ، ومن
ذلك يكون جزاؤها من أجر وربح ، وقد
تزعّم أنها مع ذلك تهدف إلى معونة المشتركين
وتخفيف ويلات ما ينزل بهم من ضرر نشأ
العقد لدفعه ، أما إذا كان المؤمن جمعية تعاونية
كونها المشتركون ، أو كان هيئة أقامت الدولة
فإن السبب الدافع لها على هذا التعاقد هو
القصد إلى تحقيق التعاون والتضامن بين

مصدر القوة والحياة ، وذلك ما يأمر به الدين ويوجهه النظر السليم - أما القصد إلى المعونة والمشاركة في تحمل ما قد يحدث لشخص من الضرر تخفيفا لسوء أثره فهو من أفضل ما يقوم المرء بعمله ، وأعظم ما يفوز بأجزه وأسمى ما يتمتع بأثره ، وكذلك يرى أن هذا العقد لم يتخذ وسيلة إلى ارتكاب محرم أو معارضة محظور ، أو ملازمة مكروه ، وإنما يتخذ وسيلة إلى تحقيق ما شرعنا من مصالح شخصية لعاقديه ، وأخرى اجتماعية لمجتمعهما على ما شرعنا وبيننا .

طبيعة عقد التأمين وخصائصه .

يتضح من البيان المتقدم أن عقد التأمين عقد ملزم لطرفيه ، وأنه من عقود المعاوضة ومن عقود الغرر كما بعدد من العقود الزمنية أى المستمرة ، ومن عقود الإذعان .

١ - أما أنه ملزم لطرفيه لأنه يتضمن التزامين متقابلين ، هما : التزام المؤمن له بدفع أقساط التأمين ، والالتزام المؤمن به بدفع مبلغ التأمين إذا تحقق الخطر المؤمن منه - غير أنه يلاحظ أن التزام المؤمن له بدفع أقساط التأمين التزام يحقق يقوم بتنفيذه على الوضع الذى تضمنه عقد التأمين أما التزام المؤمن فهو التزام غير محقق فى كثير من صوره ، وهى الصور التى لا يكون فيها ادخار للمؤمن له - أما التى تتضمن ادخار له فإن التزام المؤمن فيها

تجارته والصانع على مصنعه وهكذا ما يكسب النشاط الإنسانى حدة وقوة ، والإنتاج نموا وجودة ، وقد أصبح ذلك ضرورة تتطلبها حالة هذا العصر الذى ازدادت فيه الأخطار ، وكثرت توقعها ، وذلك ما قد يصف معه النشاط والأمل وهما من أهم أسباب الإحسان فى الإنتاج والزيادة فيه .

٣ - أنه يحقق للمؤمن له ما قد يعجز عنه لولاه - ذلك أن الحصول على مبلغ التأمين قد يسر للشخص سبيل الزواج إذا ما عجز عنه بسبب قلة إيراده وماله - وقد يمس له التغلب على تكاليف الحياة ومطالبها .

٤ - أنه يدعم الثقة المالية كما يرى ذلك فى التأمين على الرهان العقارية ، وهو ما يعرف بتأمين الاتيان ، وفى دعمها نمو الاقتصاد وتوسيع دائرة العمل .

٥ - أنه مصدر لتكوين رؤوس أموال ضخمة ، تتجمع من أقساط التأمين ، مما يمكن استخدامه والانتفاع به فى مجال التصنيع والإنتاج والاقتصاد القومى بوجه عام .

ومن هذا يرى أن ليس بين السبب الدافع إليه ومقاصد الشريعة الإسلامية تعارض ، فإن استثمار الأموال بالنظر إلى ذاته أمر تھض عليه الشريعة وتطلبه ، كما أن الحصول على المال بطريق غير محظور أمر مندوب إليه لأنه ضرب من ضروب الكسب والعمل ، وهى

يحقق لأنه ملزم بدفع مبلغ التأمين إذا وقع الحادث المؤمن عليه ، فإن لم يقع قام بدفعه عند مضى المدة المتفق عليها في العقد إلى المستأمن هل أنه مبلغ ادخر له .

وأما أنه حق معاوضة فلأن المؤمن يستحق به حقا في ذمة المؤمن له هو حقه فيما تم الاتفاق عليه من الأقساط مقابل ثبوت حق للمؤمن له في ذمة المؤمن هو حقه في تحمل المؤمن تبعات الخطر المؤمن منه ، وعلى ذلك تكون الأقساط التي يؤديها المستأمن إلى المؤمن هي بدل ما تحملت به ذمة المؤمن من الضمان والتبعة وذلك ما يستوجب عليه قيامه بدفع ما يحدث له من ضرر يصيبه بسبب نزول الحادث المؤمن ضده به .

٣ - وأما أنه من عقود الغرر فإنها يتضح ذلك عندما يقتصر النظر على ما بين المستأمن والمؤمن من علاقة بسببه ، ذلك أن المؤمن عند إبرامه هذا العقد لا يعرف مقدار ما يعطى ولا مقدار ما يأخذ ، إذ أن أمر ذلك موقوف على ما سيأتى به الزمن . وكذلك الحال بالنسبة إلى المستأمن وقت العقد فهو عنده لا يعرف مقدار ذلك ، ولكن إذا نظرنا إلى أن علاقة المستأمن في هذا العقد لا ترتبط ولا تقوم على مجرد علاقته بالمؤمن بل تقوم كذلك على ارتباطات عديدة سابقة وأخرى يصح أن تلحق بها بين المؤمن ومن

تدافد معه من المستأمنين الكثير عددهم نجد أن فكرة الاحتمال والغرر تبتعد عنه إن لم تنتف انقضاء ما سواه بالنسبة إلى المؤمن أو بالنسبة إلى المستأمن ؛ ذلك أن وظيفة المؤمن وعمله في محيط هذا النظر تتمثل في قيام المؤمن باخذ الأقساط من المستأمنين ، وقيامه عليها ، وعلى تنميتها ، ثم توزيع ما تقتضى العقد توزيعه على من وقعت عليهم الكارثة منهم مع ملاحظة أن ما يبقى له بعد ذلك نتيجة الفرق بين ما يؤخذ ، وما يتطلبه التأمين من تعويض يعطى ، واحتياطي يحفظ يكون نظير مصروفات الإدارة ، وأجر العمل وعلى ذلك . فإذا أحسن المؤمن تقدير الاحتمالات ، وفترامه بالأسس الفنية الصحيحة في التأمين ، وراعى قواعد قوانين الإحصاء سراطة دقيقة ابتعد عنه احتمال الخسارة واقرب منه الكسب ، وكان في ذلك أكثر أمنا من تاجر يعمل في تجارته .

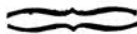
أما بالنسبة إلى المستأمن فلاه لا يريد بتعاوده هذا أن يكون له ربح مادي من وراء الحظ والمصادفة ، وإنما يريد أن يتوفى به مغبة الحظ والمصادفة ، وذلك بتعاونه مع غيره من المستأمنين ، وتضامنه معهم في توزيع شروء ما يديته الحظ والمصادفة لهم جميعاً بحيث لا ينال أيا منهم إلا مقدار يسير منها يستطيع تحمله في غير عناء ولا مشقة ، وذلك

٥ - وأما أنه من عقود الإذعان فلأن الجانب القوي فيه هو جانب المؤمن ، فلا يملك المستأمن إلا أن ينزل عند شروطه ، وهي شروط أكثرها مطبوع ومعرض على الناس كافة وكان ذلك سبب تدخل المشرع في تنظيم عقد التأمين لحماية المستأمنين حتى يخف عنهم كثيراً من تصسف المؤمنين .

٦ - ثم هو إلى ذلك عقد مستقل بذاته متميز بخصائصه وشروطه ، لا يندرج في عقد من العقود المعروفة قديماً لدى فقهاء الشريعة الإسلامية ، فهو عقد جديد مستحدث لم يكن على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا على عهد خلفائه ، ولا على عهد الأئمة المجتهدين ، ولذا لم يعرض له أسلافنا من الفقهاء في كتبهم ، وكان حكم الشريعة الإسلامية فيه خاضعاً للنظر في أمره ، والاجتهاد فيه تحت تطبيق أصولها ، وقواعدها الكلية وذلك هو محل بحثنا وما سنغنى به فيما يأتي .

ما يورثه أمنا وطمأنينة ، وفي سبيل ذلك قام بدفع ما التزم به من الأقساط ، وإذا ما أعطى مبلغ التأمين عند تحقق الخطر فإنما استعده وأخذه تعويضاً لما حاق به من الخسارة ، وعلى ذلك يرى أن طبيعة عقد التأمين تختلف تماماً عن طبيعة عقد الرهان والمقامرة الذي يقوم الاستحقاق فيه على مجرد الحظ والمصادفة دون أي عامل آخر .

وبهذا البيان ، وعلى هذا الوضع ، يرى أن عنصر الغرر فيه ضعيف جداً ، وأن أثره فيه دون أثره في كثير من العقود الشرعية الصحيحة الجائزة كما سيتضح ذلك فيما يأتي ٤ - وأما أنه من العقود المستمرة فلأن تنفيذه يستغرق وقتاً يظل فيه المؤمن متحملاً تبعاً للخطر ، والمستأمن ملتزماً بدفع الأقساط في مواعيدها ، فهو إنما يعقد لزمن معين هو عنصر جوهرى فيه ، ويتهى بانتهائه .



الصدقة في الإسلام

للكاتب محمد بن عبد السلام

قال تحت عنوان : « الصدقة في الإسلام » إسعاف وليست تشجيعاً على الكسل والخنول ، :

« كثيراً ما يتهم الإسلام المغرضون والجاهلون بأنه دين الخنول والكسل ، وأنه يشجع الفقر والمساة ، ولا شيء أبعد عن الإسلام من ذلك ، فالصدقة التي يدعو إليها الإسلام في وفرة وافرة من آيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام إنما شرعت لقصد حاجة اضطرارية فقه توجد لدى بعض الأفراد ، مما لا يخلو من مثله أى يجتمع إنسانى . . . »

وبقول في فصل (تكريم الإنسان) :

« وتكريم الإنسان لا يكون بتشجيعه على السؤال وقبول الصدقة ، بل بدعوته إلى العمل والسعى في طلب الرزق الحلال . فالإسلام بكرم أتباعه ، ويطلب لهم العزة وإيلاء النفس فاقه تعالى يقول :

« وقه العزة ولرسوله وللمؤمنين ، (المنافقون ٨) » ويقول :

« ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملناهم في البر »

على نحو ما تقي آية من كتاب الله الكريم ، عثمانين حديثاً عن رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم يعتمد هذا البحث ، ويتجلى للسيد الدكتور « من عدة نطق جديدة بالتسجيل ، استوعبت من سيادته فصولاً عن : تكريم الإنسان ، والدعوة إلى بذل الصدقة ، والنهي عن البخل ، والصدقة لذوى القربى ، وخير البر عاجله ، والصدقة في السر والعلن ، ويياناً عن الصدقة في أنها : تعادل بين الله والغنى ، وليست بين الغنى والفقر ، ودعوة إلى الإيثارة وعدم الإسراف في الصدقة ، وجلى فصل « الهدية أفضل من الصدقة ، والصدقة خير والرباشر ، ن خير الطرق التي يسلكها الكريم . . . » فالهدية تنقل بين المتساويين فلا تكون بدعياً ويدسفل ، وفصل « الصدقة مهمما يكن الأمر ، يليه « الصدقة إسعاف اقتصادى في المجتمع حتى لغير المسلمين ، يبينان قيمة الصدقة فيما يلم بالمجتمع من كوارث ويختتم الدكتور بحشمه مركزاً خطوطه مدلاً على موضوعاته ، وهذه أجزاء من ذلك البحث :

وما في الأرض جميعا منه ، إن في ذلك لآيات
لقوم يتفكرون . (الجاثية ١٢ - ١٣) .
« والله جعل لكم الأرض بساطا ، لتسلكوا
منها سبيلا لحاجا » . (نوح ١٩ - ٢٠) .

« .. علم أن سيكون منكم مرضى ، وآخرون
يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله » .
(المزمل ٢٠) :

ومما جاء في الحديث الشريف في الدعوة
إلى كسب العيش بعرق الجبين ، وتكريم
المرء لنفسه بصيانة ماء وجهه عن السؤال ،
والسمو بيده عن أن تكون هي اليد السفلى
المتمددة للصدقة قوله عليه الصلاة والسلام :
« ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل
من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه السلام
كان يأكل من عمل يده » .

« أفضل الأعمال الكسب من الحلال » .
« خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح » .
« إن أطيب ما أكلتم من كسبكم » .
« لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي بجزمة
من حطب على ظهره في يبيعها خير له من أن يسأل
الناس : أعطوه أو منعه » .

(والإشارة هنا واضحة إلى أن كرامة
الإنسان تحذر سوا أعطاء الناس أو منعه) .
« من سأل ، وعنده ما يفيقه ، فإنما
يستكثر من جرم جهنم » . قالوا : يا رسول الله ،
وما يفيقه ؟ قال : ما يفيديه أو يعشيه » .

والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم
على كثير من خلقنا تفضيلا . (الإسراء ٧٠) .
والإسلام في تكريمه الإنسان يعترف
بشخصيته : ويعتد به عضواً عاملاً في مجتمعه ،
لا عالة ينتظر الإحسان من أجل ذلك نجد
الوفرة الوافرة في التعاليم الإسلامية عن الدعوة
إلى العمل والاعتماد على النفس ، والتعفف
عن قبول الصدقة بله السعى لإيها . فمما جاء
في القرآن الكريم في الحث على العمل وممارسة
النشاط المثمر قوله تعالى :

« يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم
والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذي جعل
لكم الأرض فراشا والسماء بناء ، وأنزل
من السماء ماء فأخرج به من الثرات رزقا لكم »
(البقرة ٢١ - ٢٢) .

« يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم ، واشكروا لله إن كنتم لإياه
تعبدون » . (البقرة ١٧٢) .

« وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا
منها حبا فمنه يأكلون . وجعلنا فيها جنات
من نخيل وأعناب ، وفجرنا فيها من العيون .
ليأكلوا من ثمره ، وما عملته أيديهم ، أفلا
يشكرون » . (يس ٣٣ - ٣٥) .

« الله الذي سخر لكم البحر لتجرى الفلك
فيه بأسره ، ولتبتغوا من فضله ، ولعلكم
تشكرون . وسخر لكم البحر لتجرى الفلك
فيه بأسره ، ولتبتغوا من فضله ، ولعلكم
تشكرون . وسخر لكم ما في السموات ،

والإسلام يكره للإنسان أن يذل نفسه بالسؤال ، وأن يريق ماء وجهه لعبد مثله مهما تكن الفوارق المالية بينهما ، فمن بات معافى في بدنه ، آمناً في سربه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا ، من أجل ذلك نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عن المسألة ، وصورها في صورة بشعة تنفر المرء منها ، فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة أفسد عاين ، وأحدثكم حديثاً فاحفظوه : ما نقص مال من صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله بها عزا ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر » .

ففي الوقت الذي يبدأ فيه هذا الحديث بالحث على الصدقة يحتم بالتفسير من المسألة . ويقول في حديث آخر :

« لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس بوجهه مزعة لحم » .

أي يأبى ولحم وجهه متساقط ليس به قطعة صغيرة ، كناية عن ضياع كرامته .

وفي الحديث الآتي يشبه الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، المسائل بالكدوح أى الخدوش التى تشوه الوجه :

« المسائل كدوح يكمدح بها الرجل وجهه ، فمن شاء أبقي على وجهه ، ومن شاء

« من سأل الناس أموالهم تكثرتا فإنهما يسأل جمراً ، فليست بهل منه أو ليست بكثرة » .
« ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس » .

وقد وصل الإسلام بمنزلة العمل والسعى على الرزق أن فضلهما على الانقطاع إلى العبادة : فقد « امتدح قوم رجلاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد في العبادة ، والغنى عن العمل . وقالوا : محبناه في سفرنا . فأيننا بعدك يا رسول الله أعبد منه ، كان لا يتنقل ، من صلاة ، ولا يفطر من صيام . فقال لهم : فمن كان يمونه ويقوم به ؟ قالوا : كلنا يا رسول الله . قال : كلكم أعبد منه ! »
وقد وصف رسول الله عليه الصلاة والسلام المتصدق بأنه صاحب اليد العليا ، ووصف الآخذ للصدقة بأنه صاحب اليد السفلى ، وقد كرر هذا الوصف الموحى بالتبشيع من قبول الصدقة في عدة أحاديث مثله قوله :

« اليد العليا خير من اليد السفلى ، والعليا هي المنفقة ، والسفلى هي السائلة » . وقوله عليه الصلاة والسلام :

« يا ابن آدم ، إنك لا تبذل الفضل خير لك ، وإن تمسكه شر لك ، ولا تلام على كفاف ، وأبدأ بمن تعمل ، واليد العليا خير من اليد السفلى » .

تركه ، ألا أن يسأل الرجل ذا سلطان في أمر لا يحد منه بدأ .

وسؤال السلطان معناه أن يطلب الشخص من الحاكم حقه . وبإلا حظ أن الترخيص بالسؤال هنا لا يدخل تحت السؤال المنهى عنه بمعنى الشجاعة ، بل هو طلب حق من ذي سلطان بيده ذلك الحق ، وقد يكون قد احتجزه لسبب من الأسباب ، وطلب الحق لا يحد كرامة الإنسان .

ومن هذا القليل ما أجازاه الرسول ، في عبارة يسورها الاحتياط والتحفظ ، في الحديث الآتي :

عن ابن الفراسي أن أباہ - رضی اللہ عنہ - قال : يا رسول الله ، أسأل ؟ قال : لا ، وإن كان لابد فاسأل الصالحين .

فالترخيص هنا لم يأذن به الرسول الكريم إلا بعد المنع أولا . وثانيا : تقييده بعد ذلك بأن يكون السؤال في حالة الضرورة القصوى التي لا مفر منها ، وثالثا : بأن يكون موجهًا للصالحين الذين يحفظون على المحتاج ماء وجهه ، ويسترون صدقتهم في غير إعلان ولا خيلة .

وفي الحديث التالي تحديد للحالات التي يجيز فيها الإسلام السؤال فضلا عما فيه من توجيه عملي للسعي في طلب الرزق ، ترفعا عن مثله السؤال :

دأت رجل من الأنصار يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : أما في بيتك شيء ؟ قال : بلى ، حلس (أى كساء غليظ يل ظهر البعير تحت القتب) نلبس بعضه ونبسط بعضه . وقعب نشرب فيه الماء . فقال : اتقني بهما . فأتاه بهما ، فأخذهما صلى الله عليه وسلم بيده وقال : من يشتري هذين ؟ قال رجل : أنا أخذهما بدرهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يزيد على درهم ؟ - مرتين أو ثلاثا - قال رجل : أنا أخذهما بدرهمين ، فأعطاهما أياه ، وأخذ الدرهمين ، فأعطاهما الأنصارى ، وقال : اشتر بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك واشتر بالآخر قدوما فأننى به ، فشده فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم هودأ بيده . ثم قال له : اذهب فاحتطب وبع ، ولا أويئك خمسة عشر يوما . ففعل ثم جاء ، وقد أصاب عشرة دراهم ، فشتري ببعضها ثوبا ، وبعضها طعاما ، فقال له صلى الله عليه وسلم : هذا خير لك من أن تجيء المسألة فنكته في وجهك يوم القيامة . إن المسألة لا تصلح إلا لذي فقر مدقع ، أو لذي غرم مفطع ، أو لذي دم موجع .

والفقر المدقع : الذي يلصق صاحبه بالدفء وهي التراب .

وفي الحديث التالي تحديد للحالات التي يجيز فيها الإسلام السؤال فضلا عما فيه من توجيه عملي للسعي في طلب الرزق ، ترفعا عن مثله السؤال :

الفاقة الفقر الشديد

ثلاثة من ذوى الحجا : الثلاثة هنا المبالغة في فاقة الرجل) .

وقد صرح الرسول بتحريم الصدقة على ذى الغنى ، وعلى ذى القدرة على الكسب فقال : ولا يحل الصدقة لغنى ، ولا لذى مرة سوى ،

أى قوى سليم الأعضاء . وقد بلغ من تكريم الإسلام لمن يتعفف عن سؤال الناس احتفاظا بما كرمه الله تعالى به ، أن ضمنت له الجنة فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام :

« من يتكفل لى الأيسأل الناس شيئا ، أو تكفل له بالجنة ؟ فقال ثوبان ، رضى الله عنه : أنا . فكان لا يسأل أحدا شيئا » .

« ... وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم أعتاب لكل ذى قربى ومسلم ، وعفيف متمفف ذو هيل » .

وفى هذا الحديث ثروة من التشريع الاجتماعى الرفيع ، وحسبنا أن نذكر ما يتصل ببحثنا فيه : فصاحب السلطان مطالب بالصدقة ، وكل إنسان مطالب بالرحمة لذوى القربى والمسلمين كافة ، والصدقة لأحدى الصور العممية الإيجابية المقصودة بالرحمة هنا ، وأحد الثلاثة الذين ذكر الرسول أنهم من أهل الجنة : العفيف المتمفف على حين أنه ذو عيال .

والغرم : أداء ما تكفلك به ، والمفطع : الشديد الهنيئ

والدم الموجه . أن يتحمل لإنسان دية فيسمى فيها يؤديها إلى أربياء المقتول ، وإن لم يؤدها قتل المتحمل عنه ، وهو حيمه أو نصيره فيوجهه قتله .

وفى حديث آخر نجد تحديدا لجواز السؤال فى مثل هذه الحالات الثلاث :

عن قبيصة بن عمار الهلالي ، رضى الله عنه قال : تحمات حمالة ، فأتيته رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها فقال : أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها ثم قال : يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة :

رجل تحمل حمالة فخلت له المسألة حتى يصيها ثم يمسه ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله ؛ فخلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش ، أو سدادا من عيش ، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجا من قومه :

لقد أصابت فلانا فاقة ، فخلت له المسألة حتى يصيب قواما أو سدادا من عيش ، فما سواه من المسألة يا قبيصة محت يأكلها صاحبها تحتها (الحالة : ما يتحملة الإنسان من غيره

من دية قتيل ، أو غرامة يصلح بين متخاصمين وكانت العرب تفعل ذلك عزاء وشرفا وسعيا وواء الخير ، قوام العيش وسداده : ما تنوم به المعيشة .

يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، قال حكيم ، فقلت ، يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدًا بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا . فأعطاه أبو بكر ثم عمر - رضي الله عنهما - حقه من النبي فأبى ، ثم توفى .

ويعمل الرسول عليه الصلاة والسلام في دعوته إلى الكف من السؤال ، وإلى اعتماد الفقراء على أنفسهم متوكلين على الله ، لا لاجئين إلى الناس ، أن يفضل لهم الموت على ذل السؤال :

« من أصابته قاقة فأنزلها بالناس لم تدم قاقته ، ومن أنزلها بالله أوشك الله له بالغنى ، أما بموت عاجل أو غنى عاجل . »

لقد رأينا كيف وصف الرسول عليه الصلاة والسلام ، المسألة بأنها كدوح يكدح بها المرء وجهه ، وبأنها كالنكسة التي تشوه وجهه صاحبها . وبأن السائل يأتي يوم القيامة ، وليس في وجهه مزة لحم ، كأن وجهه يتساقط من ذل السؤال . وقد جمع عليه الصلاة والسلام كل هذه الصور المنفرة من السؤال ، وزاد عليها بالعموم والشمول والإبهام ، ما يبعث في النفس أقصى درجات الحذر والتبشع ، إذ يقول :

« لو تلمون ما في المسألة ما مشى أحد إلى أحد يسأله شيئاً . »

وما هو جدير بالذكر بصدد سياسة الإسلام من التعفف ، واحتمال الحاجة في أنفة ، بدلا من مداليد في ذلة السؤال ، أن النبي عليه الصلاة والسلام أوصى بالتعفف من طلب الزكاة المفروضة ، فضلا عن الصدقة ، ودعا إلى الاستغناء عن أخذها ، ونزع بالتذرع باقتضاها والصبر :

« عن أبي سعيد رضي الله عنه أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم حتى نفذ ما عنده . فقال : ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم . ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر . »

هكذا كان رسول الله عليه الصلاة والسلام ، يعطى الزكاة ، ولكنه يوصى آخذيها أن يجتهدوا في الاستغناء عنها ليكون ذلك أكرم لهم . ولقد لقيت وصيته بذلك استجابة وقبولاً :

« عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني ، ثم سأله فأعطاني ، ثم سأله فأعطاني ، ثم قال : يا حكيم ، إن هذا المال خضرة حلوة ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه . ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه ، كالذي

وبصور الحديث ما لحب المال من أثر
في قوله: «اتقوا الفح؛ فإن الفح أهلك من كان
قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم
واستحلوا محارمهم».

ويربط القرآن بين فتنة المرء بأولاده
وقتنته بأمواله، ويبين أن من بقى نفسه الفح
الطبيعى قدر استطاعته فهو من المفلحين.
«إنما أموالكم وأولادكم فتنة، والله عنده
أجر عظيم. فانتقوا الله ما استطعتم، واسمعوا
واطيعوا، وأنفقوا خيرا لأنفسكم. ومن
يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون».
(التغابن ١٥ - ١٦).

وبين أن شدة الحب للمال تجلب كثيرا
من المعاصى، كاعتقال الميراث، وإهانة
اليقيم، والنهى عن إطعام المسكين.

«كلا بل لا تكرمون اليقيم. ولا تحاضون
على طعام المسكين. وتأكلون الثروات أكلا لمثا
وتحبون المال حبا جما» (الفجر ١٧ - ٢٠).
وقد لحص الحديث كل ذلك في قوله عليه
الصلاة والسلام:

«شر ما فى الرجل شح هالع، وجبن خالع».
(ب) ونتيجة لهذا الميل إلى الفح؛ فإن
المرء يتفق عن كره:

«وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم
كفروا بالله وبرسوله، ولا يأتون الصلاة

وبعد أن يدور الباحث إلى بذل الصدقة
تغطية لسكوارث المجتمع يتحدث فى النهى
عن البخل» . يقول:

«ومن الأصايب التى اتخذها الإسلام
فى الدعوة إلى الصدقة نهيه عن البخل فى صور
تعبيرية مختلفة. ويندرج ما ذكره الإسلام
فى هذا الصدد تحت نقاط أربع.

(١) بيان أن الطبيعة البشرية أميل إلى
البخل وجمع المال. فالقرآن يقول:
«قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى
لأذا لمسكنم غصية الإنفاق، وكان الإنسان
قتورا» (الإسراء ١٠٠).

ويقول الحديث الشريف: «لو كان لابن آدم
واديان من مال لا يبنى إليهما ثامنا، ولا يملأ
جوف ابن آدم إلا القرب، ويتوب الله على
من تاب».

ويشير القرآن فى موضع آخر إلى أن
الدعوة إلى الإنفاق قد شبر فى نفس المرء
الاضغان:

«إنما الحياة الدنيا لعب ولهو، وإن
تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم، ولا يسألكم
أموالكم. إن يسألكموها فيحلفكم تبخلوا
ويخرج أضغانكم. ها أنتم هؤلاء تدعون
لتنفقوا فى سبيل الله، فنحكم من يبخل،
ومن يبخل. فإنما يبخل عن نفسه، والله
الغنى وأنتم الفقراء» (محمد ٣٦ - ٣٨).

من الموت ، فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد ، أشجة على الخير ، أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم ، (الأحزاب ١٨ - ١٩) .
وقد لحص الرسول الكريم هذه النقطة في قوله عليه الصلاة والسلام :

« خصلتان لا تجتمعان في مؤمن : البخل وسوء الخلق ، » .

(د) والنتيجة الطبيعية التي تنجم إليها فلسفة الإسلام في هذا الصدد هي النهي الصريح عن البخل بتوجيه الوعيد للبخل :
« ... إن الله لا يحب من كان مختالا فخوراً .

الذين يبخلون ويأسرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ، وأعدنا للكافرين هذا ما مهيئنا ، (النساء ٣٦ - ٣٧)

« ... والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ، (التوبة ٣٤ - ٣٥) .

« ... والله لا يحب كل مختال فخور ، الذين يبخلون ويأسرون الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد ، (الحديد ٢٣ - ٢٤) .

« وأما من أوتي كتابه بشمله فيقول : يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابه يا ليتني كنت الفاضية ، ما أغنى عني ماليه ، ملك عني

إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون ، . (التوبة ٥٤) .

وينتحل التعلات والمعاذير هر با من الإنفاق « وإذا قيل لهم : أنفقوا بما رزقكم الله ، قال الذين كفروا للذين آمنوا : أنظم من لو يشاء الله أطعمه ، . (يس ٤٧) .

وقد يتورط في تصدق ثم يعدل عن صدقته وهي حالة أسوأ من الامتناع عن الصدقة ابتداء .
ولذلك يقول الرسول عليه الصلاة والسلام :
« إن العائد في صدقته كالعائد في قيمه ، » .

(ج) من أجل ذلك كان الشح من صفات المنافقين والكفار :

« المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأسرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم ، نسوا الله فنسيهم ، إن المنافقين هم الفاسقون ، . (التوبة ٦٧) .

« ومنهم من طاهد الله أن آمننا من فضله لنصدقن ولنكرن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فاعقبهم نقابا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ، (التوبة ٧٥ - ٧٧) .

« قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ، ولا يأتون بالبأس إلا قليلا . أشجة عليكم ، فإذا جا الخوف رأيتم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه

هادفا لغاية خاصة ، وفيما يلي ما رأيناه
في تفسير هذه الظاهرة :

يبدو أن السياسة الإسلامية في الصدقة ،
متابعة لمنطقها الذي انضح لنا في كل ما سبق
بقدر ما ترغب القادريين أن يبذلوا ، تزهّد
المحتاجين أن يأخذوا ، ولهذا كانت الهدية
تذكر في معرض الصدقة ، لتحل محلها فتؤدي
غرضها من غير أن تعقب آثارها في نفس
صاحب اليد السفلى ، فالهدية تنقل بين المتساويين
فلا تكون هناك يد هلميا ويد سفلى .

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام :
« يا أبا ذر ، لا تحقرن من المعروف شيئا ،
ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق ، وإذا اشتريت
لحيا ، أو طابخت قدرا فأكثر مرقة ،
واغرف لجارك منه » .

والتهادى بين الجيران بما دعا إليه
الإسلام ، مهما صغرت الهدية :

« تهادوا ، فإن الهدية تذهب وحر الصدر ،
ولا تحقرن جارة لجارتها ولو شق فرس
شاة » ، (وحر الصدر : غشه ووساوسه .
وفرسن الشاة : ظلفها) .

ومن قبيل التكريم الذي يحمل محل
الصدقة ، الضيافة :

« ليلة الضيف حق على كل مسلم ، فمن
أصبح بغفاته فهو عليه دين إن شاء اقتضى ،
وإن شاء ترك » .

« الضيافة ثلاثة أيام ، فما سوى ذلك فهو
صدقة » .

سلطانيه ، خذره فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم
في سلسلة ذرعتها سبعون ذراعا فاسلكوه ،
لأنه كان لا يؤمن بالله العظيم ، ولا يحض على
طعام المسكين ، فليس له اليوم ههنا حيم ،
(الحاققة ٢٥ - ٣٥) .

وبمثل ما جاء في هذه الآيات جاءت
الأحاديث النبوية ، فاللعنة نصيب البخل
في قوله عليه الصلاة والسلام : « تعس عبد
الدينار ، تعس عبد الدرهم » ، ونصيبه النار
في حديث آخر : « النار قريبة من كل خب
بخيل مذنب ، وبكر ذلك الوعيد ، مع إضافة
ذات دلالة مهمة في الحديث الآتي :

« السخى قريب من الله ، قريب من الناس ،
قريب من الجنة ، بعيد من النار » ، والبخيل
بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة ،
قريب من النار . ولجاهل سخي أحب إلى الله
تعالى من عابد بخيل » .

وفي الفصول الأخيرة من البحث يقول :

« الهدية أفضل من الصدقة ، والصدقة خير ،

والربا شر » :

لاحظت حين كنت أتتبع النصوص
الإسلامية الواردة عن الصدقة في القرآن
التكريم والحديث الشريف - أن عددا منها
كان يعرض لموضوع الهدية ، ولموضوع الربا ،
ولم يخالفني الشك في أن هذا الاقتران لم يكن
عرضا ولا استطرادا ، بل لابد أنه كان

« لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ،
هذا عن اقتران الهدية بالصدقة لبيان فضل
الهدية على الصدقة .

أما اقتران الصدقة بالربا في سياق واحد
فناشئ عن أن الذي يضطر إلى اللجوء إلى
قبول الصدقة أو التعامل بالربا هو الشخص
المحتاج ، ولما لم يكن بد لمثل هذا الشخص
من قبول المعونة ، فإن الإسلام يفضل له
معونة الصدقة (أو الزكاة) على قبوله للربا .
فالجمع بين شرور الربا ومزايا الصدقة في مساق
واحد مقصود به أن ينبه الغني للبذل الذي
يفرج أدمية المأزوم ، بدلا من تكبيله
بأرباح الربا .

« الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا
وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون » ، « الذين يأكلون الربا
لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان
من المس » ، « يحق الله الربا ويربى الصدقات ،
(البقرة ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦) .

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى
من الربا إن كنتم مؤمنين » ، « فإن لم تفعلوا
فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم
ردوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » ،
« وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة
وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون » ،
(البقرة ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠) .

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليسكرم
ضيقه جائزته . قالوا : وما جائزته يا رسول الله ؟
قال : « يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام ،
وما وراء ذلك فهو صدقة » ، ولا يحل له أن
يقيم عنده حتى يؤثمه . قالوا : كيف يؤثمه ؟
قال : يقيم عنده وليس له شيء يقر به » .
الجائزة : العطية . يقول الإمام مالك :
يكرمه ويتحننه ويحفظه يوما وليلة ، ويعضيه
ثلاثة أيام) .

ويزداد الأمر وضوحا بين الصدقة والهدية
فيما يتعلق بالنبي عليه الصلاة والسلام ، فقد
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية
ويثيب عليها ، ولما كان النبي صلى الله عليه
وسلم إذا أتى بطعام سأل عنه ، فإن قيل هدية
أكل منها ، وإن قيل : صدقة ، لم يأكل منها .
وعن عبد الله بن الحارث الهاشمي رضي الله
عنه ، وساقه - يثا - حتى قال : « إن هذه
الصدقات إنما هي أو ساخ الناس » ، وأنها
لا تحل لمحمد ولا لآل محمد .

ومع أن الصدقات - المفروضة منها
والتطوع - لا تحل للنبي عليه الصلاة والسلام
ولا لآله تكريما لهم عن مذلة اليد السفلى ،
فإن التعفف مطلوب من سائر المسلمين ، كما
سبق أ أو ضحنا ، واستباح النبي وآله من قبول
الصدقات ليمس ترفعا على المسلمين ، واسكنه
ترفع عن الصدقات ، وجدير بالمسلمين أن
يحذروا حذره جهده استطاعتهم .

بالإفساط لهم : إعطاؤهم صلة من طعام وغيره والمراد بالمقسطين . أهل البر والتواصل ، ويقول البيضاوى فى تفسير قوله تعالى : « ويطعمون الطعام هل حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ، يعنى أسراه الكفار ، فإنه صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول : أحسن إليه ، ويقول النيسابورى فى تفسير الآية السابقة عن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالأسير ، فيدفعه إلى بعض المسلمين ، فيقول : أحسن إليه فيكون هذه اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه ، وعند عامة العلماء يجوز الإحسان إلى الكفار فى دار الإسلام ولا تصرف لإيهم الواجبات .

ويقول الطبري عند تفسير هذه الآية : لقد أسراه بالأمراء أن يحسن إليهم وإن أسراهم يومئذ لأهل الشرك .

وروى عن هشام بن هروة عن أبيه عن عائشة أن أسماء سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن أمها المشركة حين جاءتها أصلها ؟ فقال : لها « نعم صليها » :

وعنه عليه الصلاة والسلام « الجيران ثلاثة ، جار له ثلاثة حقوق ، حق الجوار وحق الرابة وحق الإسلام ، وجار له حقان : حق الجوار وحق الإسلام ، وجار له حق واحد ، حق الجوار ، وهو المشرك من أهل الكتاب ،

وفات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير الذين يريدون وجهه الله وأولئك هم المفلحون ، « وما آتيتهم من ربا يريدوا فى أموال الناس فلا يريدوا عند الله وما آتيتهم من زكاة يريدون وجهه الله فأولئك هم المضعفون . (الروم ٣٨ - ٣٩) .

الصدقة لإعفاء اقتصادى فى المجتمع حتى لغير المسلمين :

وهذا الفصل مقدمه الباحث لبيان شمول الصدقة ، لنفع الإنسان فى المجتمع فهى نوع من التأمين الاجتماعى . يقول : « ومن سماحة الإسلام فى تطبيق هذا التأمين أن أباح بذل الصدقة لغير المسلمين من أهل المجتمع الإسلامى ، والأصل فى مشروعية ذلك أن أهل الذمة لهم فى هذا الصدقات مائناً وعليهم ما علينا ، والمراد بأهل الذمة : اليهود والنصارى الذين لهم عهد أن يقيموا ديننا ، ويلحق بهم فى هذا الحكم كل من تم بيننا وبينهم عقد مسالة ، ولو لم يكونوا يهوداً أو نصارى . »

وقد جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين . الممتحنة ٨ . » ويستشهد سيادة الباحث بأقطاب المفسرين فى بيان المراد من قوله تعالى : « وتقسطوا إليهم » إن الله يحب المقسطين . ومنها يبين أن المراد

مناقشات المؤتمر

حيوية وخصوبة وصدق

قيمت فيه الأعمال ، ودرست فيه التجارب وحسبت فيه إمكانية العمل .

وقد أدى أعضاؤه الأمانة التي حملوها في أعناقهم أداء أكد صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان ، وقطع على المرجفين سبيل التسلل إلى أمتنا الإسلامية بمستورد المبادئ . ومعسول النظريات . كما قال الإمام الأبرشيخ الجامع الأزهر في كلمته التي افتتح بها جلسات المؤتمر ، وإن يجمع البحوث الإسلامية وهو أمل المسلمين في إنهاء هذه البلبلة الفكرية ، وهذا الخلاف الفقهي الحاد بين علماء المسلمين في مسائل الحياة ومشاكلها التي لم تعد تحتل اللبس والغموض أو التردد والحيرة ، والتي لم يكلفنا الله سبحانه الوصول فيها إلى رأى يقينى لا يحتمل الخطأ ، بل يكفى فيها - كما شرع الله - الوصول إلى الرأى الذى يترجح صوابه وصدقه ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

وأسلم طريق لتعرف حكم الله هو الاجتهاد الجماعى الذى أوصى المؤتمر الأول باتباعه ، لإمداد العالم الإسلامى - كما قال السيد الدكتور

شهد تحرير المجلة ، جميع جلسات المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية ، واستمع إلى ما قدم فيه من بحوث فقهية ممتازة ، تعالج من الموضوعات ما يدخل بال المسلمين على اختلاف أجناسهم وبلادهم ومذاهبهم ، وتابع ما دار حول هذه البحوث من مناقشات ومساجلات داخل جلسات المؤتمر وفي أروقه ووردهاته ، مناقشات تحمل في ثناياها آراء تختلف حيناً ، وتنطق أحياناً ، وهي - في اتفاقها واختلافها - لا يستهدف من يبدىها إلا وجه الحق فيما يقرره ويذهب إليه ، ولا يبتغى إلا رضا الله وتحقيق الخير والصلاح للمسلمين في حاضرهم ومستقبلهم ، وبذلك يجد المسلمون سعة من كل ضيق ، وفرجاً من كل شدة ، في إطار الشريعة الواسع الرحيب ، تلك الشريعة التى يحقق رصيدها الإلهى مقومات الارتقاء إلى حضارة إسلامية ذاتية لا شرقية ولا غربية

وقد كان هذا المؤتمر - كما قال السيد نائب رئيس الجمهورية - لقاء جادا يبتغى نصرة الحق ، ويحلل واقع المسلمين وواقع مجتمعاتهم ،

بجميع البحوث الإسلامية هر طريق الوحدة .
ثم تحدث سماحة السيد محمد مهدي الخالصي
من علماء الشيعة بالعراق فأبرز الأمور الآتية :

١ - أن فساد أوضاعنا العامة هو نتيجة
لفساد أوضاعنا القانونية ، ولهذا يقترح أن
يسمى المؤتمر إلى إيجاد تشريع دستوري إسلامي
يعرض على الحكومات الإسلامية لتأخذه .
٢ - أن قضية فلسطين هي قضية المسلمين
التي لا يمكن القساح فيها ، وأن العالم الإسلامي
فوجئ بتصرّيات « الرئيس بورقيبة » ،
ودعا إلى أن ينظر المسلمون دائما إلى أفعال
قاداتهم لا إلى أقوالهم .

وتكلم بعده السيد الحاج « سوري »
كانو ، رئيس جمعية الأخوة الإسلامية
في سيرايلون فأشار إلى أنهم يأسفون لعدم
استطاعتهم فهم اللغة العربية ، بسبب إغلاق
المستعمرين المدارس الإسلامية في بلادهم ،
وطالب بإمدادهم بمزيد من المدرسين لتعليم
اللغة العربية والدين الإسلامي في المدارس
التي تحاول الأتلية الإسلامية إنشاءها .

ثم تحدث الشيخ « علي عبد اللطيف الجمار »
(الكويت) فأشاد بالجمهورية العربية ويرثسها .
ثم ألقى السيد « أبو بكر محمد هزين » (سيلان)
كلمة نوه فيها بالمساعدات التي كانت وما زالت
تقدمها مصر من زعن بعيد لمسلمي سيلان
وتحدث عن عدد من المشاكل التي يتعرض
لها العالم الإسلامي اليوم .

أمين المجمع - بحاجانه الفكرية ، وحل مشاكله
الحيوية ، على مستوى يرتفع عن الجبود
الحرقي ، ولا يهبط إلى التحلل من قيود التمسك
بالنصوص الصريحة .

الجلسة الأولى :

كلمات مولاهمية المؤتمر ومشاكل المسلمين

وفي الجلسة الأولى تكلم السيد « أحمد ألتنو »
زعيم المسلمين بالفيليبين خيا المؤتمر والجمهورية
العربية ، وأبرز الأمل المعقود عليهما من ملايين
المسلمين في الوحدة التي هي أساس الدين الإسلامي .
كما تحدث فضيلة الشيخ نجم الدين الواعظ من
علماء السنة بالعراق عن الأحداث التي مرت
بالعالم الإسلامي والتي تدعو إلى الحذر وإعداد
العدة لمقاومة الاستعمار والمستعمرين ، ونوه
بدور الجمهورية العربية المتحدة في دعم الوحدة
بما لها من مكانة دولية بوجود الأزهر فيها .
ثم ألقى فضيلة الشيخ « عبد الحميد السايح »
رئيس محكمة الاستئناف الشرعية بالقدس
كلمة قال فيها : إن العالم الإسلامي يعلق
على المؤتمر أمانى طيبة في معالجة المشاكل
التي لم يرد نص عنها في مصادر الفقه الأولى ،
كما قدم اقتراحا بتوحيد المواسم والأعياد
الإسلامية ليكون توحيدها مظهراً من مظاهر
وحدة المسلمين وقوتهم .

وتحدث السيد « عبد القادر إسماعيل »
من علماء الماليزيا - فقال فيها قال : - إن طريق

المعنوية ، مما يجعل العقد قائماً بين شخصين ، وأن عقود التأمين التي تتولاها هذه الشركات لا تقوم على التعاون ، وإنما تقوم على استغلال الأموال ، وعلى القمار .

وقال فضيلته : إن معنى القمار موجود في عقد التأمين ، وإن فيه أكلاً لأموال الناس بالباطل ، ووضح معنى الغرر الموجود في عقد التأمين ، كما بين أن قياس عقد التأمين على بعض العقود التي اسقند لها فضيلة الشيخ على الخفيف قياس غير صحيح لانقضاء الغرر والجهالة في العقود المقيس عليها ، ووجوده في عقد التأمين .

وفي التأمين على الحياة ذكر فضيلته أن الرأي فيه يجب أن ينصب على الواقع المعمول به لا على مجرد النظريات والقواعد السككية ، وقال : إن هذا الواقع يدعو إلى القول بحرمة اتضمنه شروطاً ربوية لا تجدى معها أية محاولة لإخراجها عن معنى الربا ، ولهذا فإنه حرام مطلقاً .

وفي نهاية كلمته ناقش الدعوى القائدة بالحاجة إلى التأمين فقال : إنه يرى أن ما يدعو إلى التأمين أدخل في باب الترفيه منه في باب الحاجيات ، مستثنياً نوعين من التأمين : هما التأمين على البضائع ، والتأمين ضد الحوادث ، وبين أن الحاجة فيهما تدعو إلى نوع التأمين لا إلى هذه الصورة التي تقوم بها الشركات ،

وكانت الكلمة الأخيرة لفضيلة الشيخ محمد حسن عواد ، عضو المحكمة العليا الشرعية بغزة ، فنادى باتخاذ خطوات عملية لمقاومة الصهيونية ، وذلك بإعلان التعبئة الإسلامية العامة ضد الصهيونية ، واقترح أيضاً وضع قانون مدني إسلامي يعمل به كل الشعوب الإسلامية .

الجلسة الثانية :

النأبع بين المل والهرمة :

وفي الجلسة الثانية ألقى فضيلة الأستاذ الشيخ على الخفيف بحثه المنشور في غير هذا المكان ، والذي انتهى فيه إلى أن « التأمين نوع من المعاملات المستحثة التي تدعو إليها حاجة المسلمين والتي تخلو من الموانع الشرعية إذا نظر إلى حقيقةها الخصب » .

تعقيب للشيخ أبي زهرة :

وقد عقب عليه فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة ، فأبدى موافقه على حل التأمين التعاوني ، والتأمين الحكومي الذي تتولاه الحكومات بالنسبة للعاملين بها .

أما التأمين الذي تقوم به الشركات ، فقد رأى فضيلته أن تكون النظرة إليه نظرة عامة لكل البلاد الإسلامية ، لا نظرة خاصة لشركات التأمين بعد تأميمها في الجمهورية العربية المتحدة ، ثم بين أن تأميم هذه الشركات لا يخرجها عن كونها شركات خاصة لها شخصيتها

في مجتمع إسلامي يحتفظ بالصلة بين الدين والدولة ، فالحاكم في الإسلام مسئول عن كل فرد مسئولية روحية ومادية ، والفرد يمتدد اعتماداً كلياً على الدولة .

وقال : إن موقف الإسلام في المحدثات صريح ؛ فإما أن تكون موافقة للجوهر الإسلامي فهي مقبولة ، وإلا فهي مرفوضة ، ثم إن النظام الإسلامي نظام متكامل إذا انفصلت منه لبنة انهار النظام شيئاً فشيئاً .

ثم رد سيادته على ما ذكره الدكتور إبراهيم اللبان من أنه ينبغي أن نفهم الدين في ضوء الواقع والفطرة والعقل وقال : إن العكس هو ما يجب أن يكون ، فبالنسبة للواقع ينبغي أن يخضع للدين ؛ فنقر منه ما يقره الدين ، ونرفض ما يرفضه ، وبالنسبة للفطرة السليمة لا سبيل إلى معرفتها إلا من الدين ؛ لأننا جميعاً متأثرون ببيئات وثقاليه منذ الصغر . أما العقل فهو أيضاً محكوم بالدين لا حاكم له ، ولو كان العقل هو الحاكم لأصبح الدين بشرياً لا إلهياً وأنهى كلمته بقوله : يجب علينا أن نسلم القِياد للدين فنندمج فيه كأفراد في مجتمع تكون الدولة فيه مسئولة عن الفرد فلا يحتاج إلى نظم خارجية عن الدين كالتأمين .

... وفيضمير السج الساج :

وبعد هذا تكلم فضيلة الشيخ عبد الحميد الساج فذكر أن المناقشة تكاد تنحصر

ويمكن الاستغناء عنها بالتأمين التعاوني الذي تقوم به جمعيات تعاونية يكون لأعضائها الأموال بمغانمها ومضارها كلها .

... والركنور اللبان :

ثم عقب الأستاذ الدكتور إبراهيم اللبان على كلمة فضيلة الشيخ أبي زهرة فقال : إن الحسن والقبح أمران ذاتيان يدركان بالفطرة السليمة ، وإن الشريعة الإسلامية لم تتجاهل هذه الفطرة التي يجب أن يحتكم إليها في فهم النصوص الشرعية دون الوقوف على حرفيتها ، وأشار إلى وجود مدرستين في الفكر الإسلامي تهتم إحداها بالنظرية الغائية ، وتأخذ الثانية بظواهر النصوص ، وقال : إن مصلحة المسلمين تقتضي الأخذ بالنظرية الأولى ، كما كان يفعل عمر بن الخطاب وإن الفقه الإسلامي أن يجدد إلا بوحي هذه النظرية الغائية .

الجلسة الثالثة :

رد الدكتور عبد الحليم محمود :

وفي الجلسة الثالثة تحدث الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود ؛ فأثنى على بحث التأمين ثم تكلم عن نشأة التأمين قائلاً : إنه نشأ نتيجة للقلق الذي صاد أوروباً حين أصبحت العلاقة بين الفرد والدولة علاقة مادية لا روح فيها بسبب انفصال الدولة عن الدين ، وهذه العلاقة المادية التي ينشأ بسببها القلق لا تحدث

الإسلامية في شتى أنحاء العالم، ثم أبدى وجهة نظره في التأمين بأنه ليس أجراً، وإنما التأمين جزء منه للضمان، وجزء هو أجرة للعاملين وجزء للأرباح، وقال: إن التأمين ضرورة حضارية، ولا توجد دولة تستطيع تعويض كل الخسائر؛ لأنها تعويضات تفوق التصور.

... وكلمة الشيخ طائف الغطاء:

ثم أقيمت كلمة سماحة الشيخ آية الله كاشف الغطاء من هلساء الشيعة بالعراق، فأشار إلى أن باب الاجتهاد لدى الشيعة الإمامية لم يخلق، وبين: أن التأمين بحاجة إلى البحث عن حقيقته، وحاجة المجتمع إليه، ثم إمكان تطبيقه على المعاملات الشرعية كالضمان والهبة والصلح أو شمول القواعد العامة له حتى يكون سائناً شرعاً.

ثم بين أن التأمين يشبه الضمان؛ فإن الضمان هو إدخال المضمون في عهدة الضامن والقيام بكافة ما يترتب على هذا الإدخال، وإن الضمان منه ما يتوقف على فعل خارجي: كضمان اليد والتلف، ومنه ما كان محتاجاً في حصوله إلى الإنشاء: كضمان الديون، وهو لا إشكال في صحته، وقال: إن التأمين يدخل في ضمان النفوس الحرة والأعيان التي بأيدي أصحابها دون أن تكون أمانة عندهم أو مقصوبة منهم أو نحو ذلك، ولا مانع من شمول هودات الضمان له.

في التأمين على الحياة، ثم أبدى بعض الملاحظات على البحث منها.

١ - أن الباحث جعل قول رجال القانون أساساً في البحث الفقهي.

٢ - أنه جعل نطاق بحثه الجمهورية العربية وكان ينبغي إطلافه ليشمل أوسع شمولاً.

... فالأستاذ الدكتور عثمان خليل:

ثم تحدث الأستاذ الدكتور عثمان خليل فطالب بأن يتسع عمل المؤتمر لمثل هذه الأبحاث، والآراء الجديدة دون أن يمنع من ذلك ما سبقها من آراء، أو الأخذ بالأحوط قائلاً: إن الأخذ بالأحوط إنما يكون في أمور العقيدة لا في الأمور الاجتماعية ما لم يكن هناك نص يخالف ذلك، وذكر سيادته: أن التفرقة بين أنواع التأمين لا تؤثر في محور البحث، وأن الأساس الذي يجب أن يناقش هو جواز التأمين شرعاً أو عدم جوازه، وكذلك لا ينبغي التفرقة بين عقود التأمين بحسب الجملة التي تباشر عملية التأمين وتبعيتها لفرد أو جمعية أو حكومة، وأن التأمين ينبغي أن نقره وفقاً لمقتضيات المجتمع دون أن نخالف الدين.

وجهة نظر الأستاذ إدريس السكتاني:

ثم تحدث الأستاذ إدريس السكتاني، الأستاذ بمعهد العلوم السياسية بالمغرب؛ فطالب بأن تكون قرارات المجمع فتاوى للدول

... فالاستاذ وفيق القصار :

ثم تحدث الاستاذ وفيق القصار عضو الجمع فذكر أن التأمين نشأ عن ضرورة اجتماعية توجب على المجتمع أن يسهم في الأضرار التي تلحق بالمواطنين ، والتي يعجز المواطن عن تأدية المعوض عنها ، ورأى أن التأمين عقد جماعي وأنه لا فرق بين التأمين في الشركات والتأمين في الجمعيات التعاونية .

... وسعادة الشيخ نديم الجسر :

ثم تحدث فضيلة الشيخ نديم الجسر عضو الجمع فقال : إن عقد التأمين يمكن قياسه على عقد الموالاة بما فيه من جملة وغرر ، إلا أنه ينبغي أن نضمن عدم وجود الربا فيه وإلا لحقته الحرمة ، وضمان ذلك يكون بما يأتي :

- ١ - أن تتمتع شركة التأمين مع المشتركين على استثمار أموالها وأموالهم في السبل التجارية المباحة .
- ٢ - أن توزع الأرباح بنسبة الأسهم بين الشركاء .

٣ - أن يتحمل المساهمون الخسارة بنفس النسبة .

٤ - أن يخصص الشركاء قسما من الأرباح ليؤدي منه الضمان عقد وقوع السكارة .

ثم قدم اقتراحا آخر وهو بحث أمر التأمين وتطوره على أساس أحد مصارف الزكاة

وإذا لم يسلم أنه داخل في الضمان فيمكن إدخاله في الهبة المشروطة بتحمل الخسارة ، وذلك يتصور بأن يجب المستامن من ماله للشركة بشرط أن تتحمل الشركة الخسارة إن حدث حادث بالنفس أو المال ، وهذا شرط جائز لا مانع منه .

وإذا لم يسلم ذلك أيضاً أمكن إدخاله في الصلح المشروط حيث يتصلح الطرفان على أن يتحمل أحدهما ، وهو الشركة ، الخسارة التي تحمل بالطرف الآخر بشرط أن يدفع الطرف الآخر مقدراً معيناً من المال ، وإذا لم يسلم ذلك كله ، واعتبر التأمين معاملة مستقلة ، فإن القواعد العامة قاضية بصحته لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » ، ولقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » ، فإن مقتضى عموم المقتد لإطلاق التجارة - والشارع في مقام البيان لا الإهمال ولا الإجمال - صحة عقد التأمين ؛ فإنه عقد من العقود وتجارة من التجارات .

ثم بين أن هناك نوعاً من التأمين غير صحيح وهو الذي يشتمل على الفائدة الربوية ، وذلك بأن تدفع الشركة المبلغ الذي دفعه طالب التأمين مع فوائده التي تجمعت عليه .

ونفي أن يكون في التأمين مقامرة أو غرراً وجهالة مبطل لل عقد .

عن : المعاملات المصرفية ، تحدث فيه عن البديل الإسلامي للفائدة في القروض الإنتاجية والقروض الاستهلاكية ، وبين أفضلية هذا البديل ، وانتهى من بحثه إلى أنه في الإمكان تطهير المعاملات المصرفية من أوزار الربا ، وتطويرها تطويراً يتأى بها عن كل الانحرافات المباحة وأنه يمكن حصر المعاملات المشوبة بالربا في نطاق المعاملات المصرفية الدولية فقط ، باعتبارها رخصة اضطرابية ، فن اضطراب غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه .

كلمة الأستاذ نديم الجسر :

ثم ألقى فضيلة الشيخ نديم الجسر عضو الجمع كلمة ، استعرض فيها آيات الربا وأشار إلى أنه كان موجوداً عند اليونان والرومان للقروض الإنتاجية ، والقروض الاستهلاكية ، وأنه كان مثاراً للنقد والشكوى من الجميع ، كما كان موجوداً عند العرب بنفس الصورتين ، فلا ريب في أن التحريم ينصب عليهما ، ولا سبيل إلى تأويل النصوص في ذلك ، راقترح سيادته أن تكون دراسة القضايا الاقتصادية عن طريق لجان مختلطة تشكل لهذا الغرض ، وتضم كبار رجال المال والاقتصاد إلى جانب الفقهاء .

... فالشيخ أبو زهرة

وتحدث بعد ذلك فضيلة الشيخ محمد أبي زهرة عضو الجمع ، فأكد أنه يجب

وهو مصرف (الغارمين) وذلك بأن تفرض الدولة ضريبة أو إعانة تعوض منها الأضرار الناشئة لدافعي الضريبة والباقي يعود إلى يد المال .

الجلسة الرابعة :

المعاملات المصرفية لمؤستاذ وفي القصار :

وفي الجلسة الرابعة ألقى الأستاذ : وفي القصار عضو الجمع بحثه عن : المعاملات المصرفية ، فنوه بأهمية الدور الذي تقوم به المصارف في الحياة الاقتصادية في العصر الحديث ، وأشار إلى ارتباط معاملاتها المالية بالنظم المصرفية في أنحاء العالم ، مما يدفع إلى الأخذ بنظام الفائدة ، وإلا توقفت الحركة الاقتصادية ، وذكر أن العصر الحديث لا يوافق النظرية القديمة القائلة (بأن الفقد لا يلد نقداً) واستند إلى بعض الفتاوى ، والآراء الفقهية ثم انتهى إلى أنه يرى أن الفائدة المحرمة هي ما ينصرف إلى ربا الجاهلية الذي كان المرابون يرفعون به ذوى الحاجة ، وليست هي التي تؤخذ عن ودائع المصارف بغرض صيانتها واستثمارها .

الجلسة الخامسة :

بحث الدكتور محمد عبد الله العربي :

وفي الجلسة الخامسة ألقى الأستاذ الدكتور محمد عبد الله العربي عضو الجمع بحثه

اقترح الدكتور هب الحليم محمود :

ثم تكلم الدكتور عبد الحليم محمود عضو المجمع فذكر أن مسألة الربا مسألة مقررة مفعلة فيها فلا مجال فيها لرأى جديد، وما خاف ذلك فهو انحراف ، ووافق سيادته على أن نأخذ من الحضارة الأوروبية جانبها النافع أما في الجانب الشفائي فلأنها تبتدىء من اللادينية فلا يصح الأخذ بها وعندنا ثافتنا التي تبدأ من الإيمان .

واقترح سيادته سحب بحث الأستاذ القصار لما فيه من مخالفة للأسس التي قام عليها المجمع ، ثم وقف الأستاذ القصار فدافع عن بحثه ، وأكد أنه لم يخرج عن الحكم الإسلامي وإنما يريد مسايرة الأحكام لتطورات الزمن

الجلسة السادسة

تعليق فضيلة الشيخ القلهدود :

وفي الجلسة السادسة هلق فضيلة الشيخ عبد الرحمن القلهدود على بحث « الممايلات المصرفية » ، الأستاذ وفلق القصار فأيد موقف المخالفين لهذا البحث ، وذكر أنه لا يوافق على التفارقة بين : ربا الاستهلاك ، و ربا الاستغلال ، لدخول كليهما تحت مدلول النص المحرم لها ، وذكر أنه ليس للعقل مجال أمام النص الصريح إلا في إقناع النفوس بأنه يحقق للمصلحة .

إخضاع الاقتصاد لأحكام الدين ، وعقب على ما اقترحه فضيلة الشيخ نديم الجسر من ضرورة إيجاد الحلول النهائية قائلا : إن من المفيد اتخاذ الحلول المبدئية لتوصلنا دراستها إلى الحلول النهائية ، واستعرض فضيلته عدة صور للربا تؤكد حرمة بنوعيه ، وربط بين الربا والاستثمار ، باعتبار الربا أداة للاستثمار ، واستدل على ذلك باحتلال مصر وناقش ما أورده الأستاذ القصار من حيث لجوء الفقهاء الأقدمين إلى الحيل للتخلص من بعض الأحكام ، فعارض هذا القول ، ورأى أنها كانت من قبيل الخارج الشرعية ؛ فإنها لم تحل حراما قط .

... والشيخ الخالصي :

ثم تحدث فضيلة الشيخ محمد المهدي الخالصي من علماء العراق فنبه إلى خطورة الربا . بجميع صورته ، وقرن بينه وبين عقد « القراض » من حيث إن القراض فيه حمل ، أما الربا فيخلو منه . وقال : إن هناك رأيا لبعض الفقهاء بمحراز التعامل بالربا مع الكافر خطأ . وأخذوا .

تحذير الصبر النعيمي :

ثم تكلم السيد نعيم النعيمي من الجزائر فحذر من تغليب المصلحة إلى الحد الذي يسكاد يخالف النص ، وقال : إن المصلحة المرسلة لا ينبغي الأخذ بها إلا عند انعدام النص أو الإجماع أو القياس .

٣ — أو ادعاء أن أدلة تحريم الربا لا تشمل هذا النوع ، وعهدة هذه الدهوى على مدعيها .

٤ — أو أن يقال : إن الأوراق النقدية لها مالية ، جعلية ، لأنها ليست لها منافع ذاتية يرغب فيها الغلاء من أجلها كالأموال والمشروبات والملبوسات ، وإنما اكتسبت المالية بواسطة الدولة ، نظراً لأن القيمة المالية المعينة لها ناشئة من جعل الحكومة ، استناداً إلى الاحتياطى المدخر لديها . وعلى هذا يظهر أنه لا يتحقق فيها الربا المحرم إلا إذا كانت المعاملة قرضاً ، إما إذا كانت بيعاً لم يكن فيها ربا ، وعلى هذا لو باع شخص خمسة جنيهات بستة جنيهات لمدة ثلاثة أشهر مثلاً وقبل الآخر ذلك صحت المعاملة وتكون نظير ما لو باعه دواً أو عقاراً على أن يدفع ثمنه بعد ثلاثة أشهر فإن المعاملة صحيحة نافذة المفعول شرعاً ، ورجا البنوك أن تجعل معاملاتها في الأوراق معاملة بيعية لا قرضية حيث تصح شرطاً في الأولى دون الثانية .

افتراح للسيد الكنتاني :

ثم تكلم السيد إدريس الكنتاني ، فذكر أن الإجماع يسكد بيقين على أن المعاملات المصرفية معاملات ربوية من رأسها إزارة لها وأن القول بحلها مرفوض من عامة المسلمين

ثم قال فضيلته : إن الذى بوقعنا فى الضرورة ليس طبيعة حكم الله ، وإنما هى ملازمات أخرى مصاحبة ناشئة عن عملنا ببعض هذه الأحكام ، وتركنا لبعضها الآخر أو من أخذنا بنظم غريبة عن شريعتنا فى كثير من أحوالنا .

وقال : لو أننا حكمنا عقولنا فى غير مجالها الحقيقى وجعلنا من مهمتها الموازنة بين اتباع النهج الصريح وما ندعى أنه ضرورة لننتج عن ذلك إلا حاجة لنا فى الشرائع السماوية ثم نادى بأن يكون لدى الجميع ما يمكنه من وضع تشريعات وأنظمة إسلامية متكاملة تغنى الأمة الإسلامية عن التورط فى هذه الضرورات التى لو استرسلنا فى إباحتها بتأويلات مخاطئة لاتمينا إلى التحال من كل محرم ، وطالب بالرد الحازم على مثل هذه المحاولات صيانة لأفكار المسلمين .

تحليل لسماحة كاشف الغطاء :

ثم ألقى السيد كاظم الكفائى ، كلمة سماحة آية الله كاشف الغطاء الذى ر أن القول بصحة المعاملات الربوية إما أن يستند إلى :

١ . القول بضرورتها ، فتكون فى حكم ما يباح للضرورة ، ويستقر الحكم كذلك حتى يوجد البديل الإسلامى .

٢ — أو إدخالها فى باب المضاربة ، وهذا لا يمكن انطباقه على جميع أنواع هذه المعاملات .

الأستاذ القصار لم يذمه إلى الربا، وإنما انتهى إلى دخوله في حدود الضرورة، ثم أبدى بعض الملاحظات على ما جاء في بحث الدكتور العربي، فذكر أن قيام البنوك بعمليات الاستثمار كبديل للربا، لا يتأتى مع وظيفتها أو طاقاتها أو علاقتها بالبنوك العالمية، كما ذكر أن الاقتراح القائل بقيام صندوق الزكاة بعمليات الإفراض الاستهلاكي، يخرج بالزكاة عن مصارفها الشرعية وعن طاقاتها.

كلمة الحاج بشير أوجستو:

ثم تحدث السيد: «الحاج بشير أوجستو، - نيجيريا - فأكد ضرورة الرجوع إلى النصوص القرآنية التي يفسر بعضها بعضا، وأن يكون مجال العقل مفتوحا للبحث في هذه النصوص، لأن ذلك هو مادعا إليه القرآن نفسه.

والسيد عبد الوود:

كما تكلم السيد: محمد سالم عبد الوود «موريتانيا» فرأى أن الضرورة في موضوعي: التأمين والمعاملات المصرفية إنما تقدر بقدرها، وأن الاضطوار يقتضينا رفع الحرج لا الإباحة، وذكر أن تحريم الحلال وتحليل الحرام سواء في الحرمة، ونادى برسم طريق مستقيم لاقتصاد إسلامي تهيأ النقوس لتقبـله، بكل وسائل التربية والإرشاد والإعلام.

فضلا عن جمهرة علمائهم، واقترح أن يعين المجتمع لجنة من الخبراء والماليين تقوم بإعداد قانون كامل تقوم عليه مصارفنا الإسلامية في شكل تجارى لا ربوى، فإذا ما أقر كانت لنا الحجة في إيجابه على المسلمين شعوبا وحكومات، ثم نوه بما لمسه من علماء مصر دائما من غيرة على الدين وثبات في حراسة الإسلام ضد القوى المناهضة له.

كلمة مولانا مفتي محمود

ثم تحدث السيد «مولانا مفتي محمود» - الباكستان - فذكر أنه يجب تطهير المؤتمر من مثل هذه البحوث المخالفة للنصوص، حرصا على أهداف المجمع، وعلى عقيدة المسلمين، وشكر للدكتور العربي محاولته إيجاد بديل إسلامي في المعاملات المصرفية مخلو من الربا.

فالسيد غلام غوث:

وتكلم السيد «غلام غوث» - الباكستان - فقرر وجوب القسوة في الحكم الشرعى بين الربا الاستهلاكي والاستغلال، وقال: وأيهما في الحرمة سواء، كما أشار إلى أن مستحدثات الحضارة يعمل بها - من غير بأس - في الأمور الدنيوية لافى مسلمات الدين، ونوه بمنزلة مصر والأزهر ومستولية الكلمة في هذا المؤتمر.

رأى الدكتور عثمان خليل

ثم تكلم الدكتور عثمان خليل؛ فذكر أن

وذكر أن تنفيذ المضاربة في المصارف يمكن بنفس الطريقة المتبعة في المصارف حالياً ، وضرب مثلاً لذلك نجاح المضاربة في مصرف مدينة «ميت غمر» بالجمهورية العربية المتحدة ، وتحقيقها لفوائد كثيرة للطرفين ، وذكر أن في ذلك رداً عملياً على كل من يستعصب الحلال ويستسهل الحرام .

وأورد تقسماً للربا ذكره أبو بكر الرازي ، الرازي ، وهو أن الربا قسمان : وباديون وربا بيوع ، وأن ربا البيوع نوعان : ربا الفضل ، وهو البيع بالزيادة ، وربا الفسيفة وهو تأجيل بعض الأموال الربوية .

وقرر فضيلته : أن الربا هو الزيادة ، وأن قليله وكثيره حرام لقوله تعالى : « وإن تبتم فلكم ردوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » ، وقال : « إن البنوك إذا كانت قد عمرت بيوتاً فإنها قد خربت بيوتاً أخرى كثيرة ، فالبنوك ليست مصلحة دائماً .

كلية الشيخ أطفيمه :

تحدث فضيلة الشيخ إبراهيم أطفيش من عمان فرأى اعتبار البنوك مؤسسات تجارية يباح التعامل معها على أساس اعتبار النقود بضاعة تباع وتشتري ، فالعملة الورقية بضاعة ، والنقد الذهبي يكون ثمناً لهذه البضاعة ، وهذا مباح يندرج تحت قوله عليه الصلاة والسلام : « إذا اختلف الجفسان فيبعموا كيف شئتم » .

اقتراح للشيخ السابح :

ثم تكلم فضيلة الشيخ «عبد الحميد السابح» (الأردن) فأشار إلى أن بحث الأستاذ القصار فيه جهد قانوني ، وأن بحث الدكتور العربي فيه محاولة لإيجاد مخرج ذى صبغة شرعية ، واعترض على إعطاء المفترضين من صندوق الزكاة ، لأن لها مصارف محددة كما تسأل : هل يصح إيداع حسابات جارية في البنوك مع معرفتنا بتعاملها الربوي ؟ ثم تكلم عن رأي ابن القيم وتقسيمه الربا إلى : جلي وخفي ، وأن الأول محرم لذاته لا يباح إلا للضرورة ، والثاني محرم لغيره يزول عنه التحريم للحاجة وتسامح هل يمكن اعتبار المعاملات المصرفية من النوع الثاني ؟ واقتراح إلغاء الفائدة والتعويض عنها برسم مقرر نظير تسكليف المصرف .

الجلسة السابعة :

كلمة الشيخ أبي زهرة :

وفي الجلسة السابعة تحدث فضيلة الشيخ محمد أبي زهرة عضو المجمع ، فقَالَ من ماهية الضرورة التي يقال : إنها تبيح الربا ، وذهب إلى أنه لا يجد مثل هذه الضرورة ، وقرر أن مصرف الغارمين في الزكاة يعالج مشكلة الاقتراض بدون قائدة ، ورد بذلك على القول بأن الزكاة لا يمكن الإقراض منها على أساس أن لها مصارف معينة .

في البنوك، ولكنه دعا إلى تطهير المعاملات المصرفية مما يشوبها من ربا على ضوء النظام الإسلامي، وهذا هو ما دعاه إلى النظر في اقتراح بديل إسلامي للنظام المصرفي القائم، وإذا ما تقرر الأخذ به كان لا بد أن يسبق ذلك فترة انتقالية.

الجلسة الخامسة :

وفي الجلسة الثامنة ألقى الدكتور محمد مهدي علام بحثه عن الصدقة في الإسلام، بين فيه أن الصدقة ليست نظاماً دائماً في المجتمع الإسلامي يعتمد على مواردها فريق من محترفي السؤال، وإنما هي علاج إسعاف للطوارئ الاقتصادية التي لا يخلو منها مجتمع.

الدعوة إلى الإسلام :

ثم تحدث الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر ورئيس المؤتمر فقال :

إن الله أرسل محمد صلى الله عليه وسلم بقام بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة زهاء ثلاثة عشر عاماً بمكة، ولما اشتد إيذاء أهل مكة له هاجر إلى المدينة، وجاهد في سبيل الله حق جهاده، ولما بدأ المشركون بالعداء أذن له بالقتال فقاتلهم، وانتصر عليهم، وانتهى الأمر بفتح مكة للمسلمين، وإقامة دين الله، وتحطيم آثار الشرك.

وبعد هذا ترك الرسول عليه الصلاة والسلام الدنيا ولحق بربه بعد أن أدى الرسالة، وأتم

فالسيد منصور عبد العزيز :

ثم تكلم السيد منصور عبد العزيز وزير العدل في الجمهورية اليمنية فأوضح أن الربا منه ما هو جلي : وهو حرام بنص القرآن، ومنه ما هو خفي : ينبغي بحثه ودرسه، وقال : إن المعاملات المصرفية فيها جوانب كبيرة محرمة وفيها جوانب لاشك في حلها، ثم أيد اقتراح مندوب المغرب بتشكيل لجنة من رجال الفقه والقانون والاقتصاد تقوم بتقديم مشروع قانون لتشكيل المؤسسة الإسلامية للاقتصادية، يعرض في المؤتمر الثالث في العام القادم.

قبابا خانوف :

ثم تحدث السيد بابا خانوف (الاتحاد السوفيتي) فخل إلى المؤتمر وإلى الأزهر وإلى السيد الرئيس تحية وتهنئة مسلى بلاده بانعقاد المؤتمر، وأشاد بسماحة الإسلام التي كانت سبباً في حلو شأنه وانتشاره.

مناقشة الفصاحات :

ثم تكلم الأستاذ وفيق الفصاح فناقش الاقتراحات التي وجهت إلى بحثه في المعاملات المصرفية وأعاد شرح وجهة نظره.

ثم تحدث الدكتور محمد هبيل الله العربي فذكر أنه لم يطالب بإلغاء المصارف؛ لأنها ضرورية حيوية، وأنه أجاز إيداع الأموال

الجلسة التاسعة :

وفي الجلسة التاسعة ألقى فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة بحته في (الزكاة) تكلم فيه عن زكاة الأوراق النقدية والأسهم والسندات وأدوات الصناعة والعمائر .

الجلسة العاشرة :

وفي الجلسة العاشرة ألقى الأستاذ الدكتور إسحاق موسى الحسيني بحته في (فلسطين وإسرائيل) أوضح فيه أن العالم الإسلامي بملايينه الخمسمائة يستطيع أن ينقذ فلسطين بالجهاد في سبيل الله لاسترجاع الأرض المقدسة . ثم توالى كلمات الأعضاء في بيان خطر إسرائيل والصهيونية باهتة ومحركة استعمارية وعدوانية متعصبة .

الجلسة الحادية :

وفي الجلسة الحادية ألقى السيد كاظم السكفاني كلمة لساحة آية الله كاشف الغطاء اقترح فيها أن يصدر المؤتمر توصيته بالعمل على إزالة الخصومات التي تمزق شمل المسلمين . ثم تحدث بعض الأعضاء عن أملهم في أن يحقق المؤتمر الآمال المعقودة عليه من جميع المسلمين . وفي النهاية أصدر المؤتمر توصياته المنشورة في غير هذا المكان .

وبعد فهذه لمحات عما دار في المؤتمر الثاني لجمع البحوث من مناقشات دارت حول ما أبدى فيه من آراء تستحق الشكر والتقدير والله ولي التوفيق .

ما كلفه الله به ، وترك لنا كتاب الله وسنة رسوله مبينة واضحة ، تقوم على بيان حدود الله وأحكامه ، وأوجب علينا الاستمرار في الدعوة إلى الله ، ثم توالى على المسلمين مصور كثيرة ، ونحن الآن إذا لم نجعل الدعوة إلى الله في مقدمة ما نقوم به نكون مقصرين . واقترح فضيلته أن يتخذ المؤتمر خطوات إيجابية لوضع الدعوة إلى الإسلام موضع التنفيذ ، وأشار إلى أنه أعد مشروع توصية في هذا الشأن ، وقال : لنا بعتق أن المشروع يحتاج إلى المال ، فإذا أهينا بالحكومات الإسلامية لتمضده ، فمنجد استجابة طيبة بحسينة الله ، وسقتاح لنا - نحن المسلمين - فرصة التوسع في نشر الدعوة لدى من لم تبلغهم وخاصة في إفريقيا وآسيا ، وكذلك فرصة توضيح مفاهيم الإسلام بين من وصلتهم تعاليم الدين الإسلامي معرفة .

وقد رحب المؤتمر باقتراح فضيلة الإمام الأكبر ، وتكلم الفيخ : على عبد الرحمن والدكتور عثمان خليل والدكتور محمد عبد الله ماضي وكيل الأزهر ، والدكتور إبراهيم البان وفضيلة الشيخ عبد الحميد السايح ، والسيد وان عبد القادر (المايزيا) ، والسيد الجسر ، والدكتور شعبان نيكوتو (أوغندا) والشيخ نديم الجسر ، والدكتور عبد الحلیم محمود ، والسيد وسادي زروق ، في تأييد الاقتراح الذي وافق المؤتمر عليه .



السيد : محمد سالم بن محمد

- زار الجمهورية العربية المتحدة مرتين ، للاشتراك في مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية ممثلاً لجمهورية موريتانيا
- ذو اطلاع واسع في الفقه وعلوم الإسلام ، وله أثر بارز في مساعدة الحركة الوطنية وتوعية الشباب .
- يرى أن الشريعة الإسلامية فيها ما يغني عن القوانين المستوردة ، سأل الصحفيون في قطاع غزة عن مأساة فلسطين فقال : لقد أخذناها بالإسلام وسنستردها بالإسلام .

بعيداً عن جلسات المؤتمر

بقلم الأستاذ محمد النادى البدرى

الإسلامية في القاهرة ويومها لا يقال ، : هذه قضية فلسطين وتلك مشكلة جنوب أفريقيا وإنما يقال : تلك قضية الإسلام والمسلمين في وطن الإسلام والمسلمين .

هذا المعنى الإسلامى الكريم والامل العظيم يؤمن به كل عضو ضمنه مؤتمر مجمع البحوث إيماناً أذكرى روح التحمس له ، وولد طاقات التفكير فيه . وإن مطلع ذلك الصبح ليؤذن بإسفار ، فإن خيوط الفجر بدت في افق مؤتمر العلاء هذا العام .

فلقد عاش أعضاء المؤتمر مأساة الأرض السليبية ، عاشوها على صعيد السياسة العربية من خلال تصريحات حائدة تنفث سم الخيانة والغدر ، ومناورات أئمة يمسك بخيوطها أهواء الإسلام والمسلمين .

وعاشوها على صعيد المأساة نفسها وسط الخيام المضروبة والمعسكرات المنصوبة ، بين أشباح من مخلقات الفقر والجوع ، وعرايا من بقايا القشر والضياع

بين أصانيد المأساة عاشوا فرأى فيما كل مسلم مأساته ، فالقوى التي تساند التفرقة

خارج حدود جدول الأعمال ، بعيداً عن برامج الدراسات والمناقشات ، في الألفية والردهات ، في الأبهاء والخلوات في حفلات التكريم ومجالس الترويح . في هذه الأماكن كلها تجلبت مشكلات وقضايا كانت القاسم المشترك في كل حديث شغل مجالس أعضاء المؤتمر ، فلم تنفك هذه القضايا تلازمهم وتلاحقهم ، ولم ينفكوا هم يتابعونها ويشدون أنفسهم إليها حتى كاد جدول الأعمال وبرنامج الدراسات والمناقشات يكون ليل الدورة ونهارها ، ويستوعب كل دقيقة فيها داخل القاعة وخارجها ، وتلك ظاهرة لها دلالتها ، وهي ظاهرة تستوجب التسجيل والتقدير ، لما توحى به من إذكاء دوافع العمل وتنمية الإحساس المشترك ولما تنبشر به من فتح آفاق الامل وبشائر الخير .

فليس المسلمون في حاضرم بحاجة إلى شيء أولى من أن تكون قضاياهم - على اختلاف الديار وتباعد الأقطار - قضية الأمة الواحدة فلا يقال : اجتمع نيف وثلاثون دولة في القاهرة ، وإنما يقال : اجتمعت الأمة

الذى يجب على المسلمين أفراداً وجماعات ودولاً أن يجاهدوه بالمقاومة الجادة المشهورة حتى يتم تحرير المسلم قلباً وضميراً ، ووطناً ومعرفة . وأن كل تقصير في مقاومة ذلك العدو هو عصيان لله تعالى وإثم كبير ، لأنه يقوى يد العدو على إزال الأذى بالملايين من المسلمين ؛ فهو جهاد متعلق بحق الله وبحق الملايين لا بذات الإثم .

وإن للصهيونية التي يمارس الاستعمار - بعد أن تحطمت أسبابه الظاهرة - أن يغلف بها أهدافه تحت ستار جديد ، هي داء خبيث يستهدف به الاستعمار أن يتمكن بآثاره في حياة المسلمين ، وتستمر سيطرته عليهم ، ومن ثمّة كانت مجاهدتها فرضاً كذلك على كل مسلم حيثما كان ، وكل تخلف عن ذلك عصيان لله تعالى وإثم كبير .

كان هذا أول قرار اتخذته مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية في أول دوراته ، وليس يكفي أن يتخذ المؤتمر قرارات مهما يكن مدلولها ومفهومها حتى يجهاها أعضاء المؤتمر أنفسهم خطة عمل في مجتمعاتهم يبشرون بها ويدعون إليها ويغرسون الإيمان بها في نفوس الجماهير ، لتكون ذات فعالية وتأثير في منهج الحكومات وسلوكهم ، وليصبح بالتالى زمام الأمور ودفة الحكم لدين الله ، لالهوى والشهوة . وهذا ميدان العمل لأعضاء المؤتمر في أوطانهم ومجتمعاتهم بالنسبة لقضية فلسطين

العنصرية في أفريقيا هي بعينها سند الصهيونية في جريمتها ، والقوى التي ترصد ملايين الجنيتات والدولارات للتبشير وحرب الإسلام وتضليل الفطرة هي نفسها القوى التي تمسك لإسرائيل بالهبات والعطايا وبسطيد السخاء ، والقوى التي استعمرت بلاد المسلمين ، ولا تزال تستعمر بعضها ، واستنزفت ثرواتهم وخيراتهم ، وحرمتهم الحياة الكريمة ، هي بذاتها القوى التي تقف خلف إسرائيل ، وتصنع منها قناعاً زائفاً يخفى وجه الاستعمار الحديث ، بل الحديث .

لذلك فإن مشكلة فلسطين مشكلة كل مسلم ، ومأساتها مأساة كل مسلم ، وقضيتها قضية المسلمين جميعاً ، لأنهم في الحقيقة عاشوا جزءاً منها في أوطانهم أو يعيشون ، وعانوا مرارتها ولا يزالون ، ولهذا فهم يرون أن قضية فلسطين ليست قضية عروبة بحكم الموقع واللسان ، وإنما هي قضية كل المسلمين بحكم العقيدة والدين ، فالدفاع عنها واجب شرعى ، والجهاد في سبيلها فرض حتمى ، والموت في ساحتها شهادة .

تلك حقيقة أكدها علماء المسلمين ، وسبق أن قررها المؤتمر الأول في الفترة الثانية من دورة انعقاده في أول قراوله . قال :

« إن الاستعمار وأعوانه - سواء في البلاد التي لم تزل تروّج تحت نيره ، أو في البلاد التي جلا عنها مخلفاً آثاره - هو الخطر الأول



بعض أعضاء المؤتمر مع اللاجئين أثناء زيارتهم لمدينة غزة

وللتلفزيون عشاقه ورواده ولهذه جميعاً تأثيرها المباشر وذووعها الواسع في سهولة ويسر ، وهي بحكم رسالتها يجب أن يكون لها دور فعال في التعريف بجميع البحوث والتبشير برسائله ، والإعلان عن أهدافه ، والجمع ومؤتمره فصيب ، ويتحتم أن يكون له نصيب من أفلام الكتاب وأنهار الصحف وموضوعات الأحاديث وأفلام الصور في كل بلد من بلاد الإسلام وفي كل مجتمع من مجتمعات المسلمين ، وتحديد مدى إسهام أجهزة الإعلام في التعريف بهذه المؤسسة الإسلامية رهن بدراسة القائمين على هذه الأجهزة لرسالة الجمع واقتناعهم بها وإيمانهم بأهدافها ، وغير الدراسة والاقتناع والإيمان فإن جهود أجهزة الإعلام تجاه الجمع ستظل مقصورة على الخبر القصير ، والموضوع الوصفي ، والجانب الشكلي ، وبالتالي يظل جوهر التنظيم ومقاصده ، وأهدافه ووسائله حبيسة المكاتب وقاعات الاجتماع ، وهذا قصور في رسالة وتصوير في خدمة الأهداف والمقاصد النبيلة لا يحمل تبعته الإعلاميون وحدهم - على الرغم من أن طبيعة عملهم هي البحث والكشف والتفتيش والمتابعة - وإنما يشار إليهم هذه القبة علماء المسلمين ومفكرهم ؛ لأن واجبهم يفرض عليهم أن يسهموا في الإعلام بإصدار الفشرات والمطبوعات

ومشكلة العائدين ، فهي في مفهومهم ليست قضية جغرافية : أرض ومنطق إسان ، وإنما هي قضية عقيدة ودين ، يتحتم البعد بها عن مكاتب الحكومات ودواوين الحكم لتكون بين أيدي الجماهير المسلمة ، لأن احتكار الحكام لها يربط مصيرها بمصيرهم ، ويخضعها لمؤثرات الترغيب والترهيب ، والإقدام والإحجام ، ويعرضها لمساومات الكسب والخسارة . ولكنها بين أيدي الجماهير المسلمة في حى الإيمان الذى لا يخضع لقانون العرض والطلب ، المحكوم بحلال الحق وفدائية العقيدة .

بهذه الروح اتسم فهم علماء المسلمين لهذه المسألة التي يعيشتها المسلمون في حاضرهم . ووضعوا منهج المتابعة الجادة لقرارات المؤتمر . وإذا صدق فهمي لهذه الروح وإحساسى بها - وأرجو أنه أن يصدق فهمي وإحساسى - فسيكون النجم الإسلامى حول مشكلة فلسطيين منطلقاً إلى وحدة إسلامية يتعهد في إطارها مجد الإسلام وعز المسلمين ، وأيس غريباً أن يفسلخ من ظلام هذه المسألة نهار يرى فيه المسلمون أنفسهم ، ويجد العالم الإسلامى فيه نفسه .

وإذا كانت مشكلة العائدين قد استأثرت بالجانب الكبير من الاهتمام فإن قضية الإعلان والإعلام كانت محرر أحاديث كثيرة واتجاهات متعددة ، فللصحافة قراؤها وجمهوره ، وللإذاعة محبوبها وهراتها ،

ومبادئه ليحمي كل اتجاه يرضاه الدين ويطمئن إليه اليقين ، وبقف كالطود الراسخ في مهب تيارات الإلحاد والانحراف ...

وبعيداً عن القاعة تحدث الأعضاء عن مشكلة التراث الإسلامي والكتاب الإسلامي وهم يستعرضون مشكلات المجتمع الإسلامي ، فإن ذخيرة عظيمة وثروة علمية كبيرة لا تزال حبيسة المخطوطات سجينة ، تترقب يد الخلاص في كل حين لتأخذ مكانها إلى عقول المسلمين وأفكارهم ، ولتضاف إلى سجل الثقافة الإسلامية الأصلية المتداولة ، ولتحتل مركزاً ما بين فيض المؤلفات التي سخرت لها المطابع ودور النشر على ما فيها من سطحية وغشائية .. وليست هذه المخطوطات وحدها تترقب نظرة جادة إليها ، ولكن المؤلفات الكبيرة والموسوعات العظيمة تترقب كذلك إعادة نشرها وتيسير الحصول عليها لرواد الثقافة الإسلامية . وإعداد العلماء للمستقبل .

والنظرة العامة لهذه المشكلة تتركز في تعاون العالم الإسلامي على إنشاء مؤسسة إسلامية للطباعة والنشر وخدمة المكتاب الإسلامي والموسوعات العلمية ، فإن الجهود الفردية لا تمض بهذه الرسالة ، والرغبة في الربح والقراء أقبى عائق لخدمة هذه الفكرة ، وإذا كانت الجمهورية العربية المتحدة تولى إحياء التراث عناية واهتماماً وترصد لخدمته مبالغ طائلة من ميزانيتها ، فإن تضافر

والمجلات الإسلامية ، وأن يعقدوا الندوات والمؤتمرات المحلية ليصلوا بين الجميع والرأي العام الإسلامي ، وليحملوا لجامير المسلمين بين الحين والحين - زاد من الثقة الإسلامية وفقه الكتاب وهدى السمة .

ولا أحسب حديثهم عن الإعلام بعيداً عن مجلة الأزهر ، وقد كانت موضع تساؤل وتقدير معاً . فاسلمون في شتى الأرحاء يتلففون عليها ، ويتشوقون إليها ، ويتلصصون بين صفحاتها المحدودة ، ومواقيت صدورها البعيدة وإخراجها المتواضع . برغم ذلك كله يتلصصون بين صفحاتها بغيتهم من الثقافة الإسلامية وشريعة الإسلام . ولو قدر لهذه المجلة أن تجد حظها من الرعاية والعناية ويسطة المسال لمئات فراغا كبيرا في حياة المسلمين لوفرة الكاتبتين وكثرة الباحثين ورغبة القارئ ... ومن حولها مجلات إسلامية أخرى في مجتمعات إسلامية تنبسط لها الأيدي ويجري على جوانبها الذهب حيث لا كاتبين ولا باحثين ... هكذا قالوا أو قال بعضهم .

وتلك قضية جديرة بالنظر حقيقة بالبحث ، وعسى أن تجد من حماسة الأعضاء سبيلا إلى التنفيذ ، فيعود المؤتمر في عامهم القابل يحملون بواكير ما أصدروا من نشرات ومجلات إسلامية تكون منابر محلية لجميع البحوث يتحقق بها تكوين رأي عام إسلامي موصول الأسباب بعقيدته وديبه ، ومثله



السيد: أحمد التو

- شخصية إسلامية ذات نشاط عظيم، وجهود صادقة في خدمة الإسلام ونهضة المسلمين في بلاده « الفلبين » الذين يبلغ عددهم ثلاثة ملايين مسلم يمثلون ١٠٪ من مجموع السكان .
- يمتاز بالاطلاع الوافر في العلوم الإسلامية، والثقافة العسكرية، والتخصص في العلوم القانونية .
- يرى أن قضية فلسطين قضية المسلمين جميعا، وقد كان له الفضل الأكبر يوم كان عضواً بمجلس الشيوخ الفلبيني في وقف الاتفاق التجاري بين الفلبين وإسرائيل .

شاركو في أعمال المؤتمر الأول، وإن من الخير أن يتوسع الأزهر في الدعوة إلى حضور مؤتمرات الجمع، فلا تزال بلاد إسلامية بعيدة عن التمثيل فيه أو المشاركة في أعماله؛ ولعل ذلك راجع إلى حداثة تكوينه وقصور إمكانياته شأن كل عمل في بدايته ونشأته، إلا أن ذلك التوسع يجب أن يكون نصب العين وموضع الاعتبار، وإلى أن يشتد ساعد الجمع ويقوى عوده، فإن من الممكن أن تتجدد الوجوه من دورة إلى دورة، حتى يتسع تشكيل القاعدة العريضة للمؤتمر، وتنبأ فرص المشاركة أمام أكبر عدد ممكن من علماء المسلمين ومفكرهم.

وإذا كان من غير المستطاع أن يستضيف جميع البحوث في حاضره كل مدعو فإن من الممكن أن يفتح الباب - خارج نطاق الدعوة - أمام كل راغب، وبصير تشكيل المؤتمر إلى أعضاء لهم حق المشاركة في مناقشاته، وآخرين لهم حق حضور الجلسات، يباح لهم تسجيل تعليقاتهم على البحوث والمناقشات لتكون موضع الدراسة والنظر في اللجان الفرعية لمجلس الجمع، فأكثر المعنيين بالشئون الإسلامية وقضايا المسلمين، والذين وقفوا أنفسهم على النظر في فقه الكتاب والسنة... وما أحوجنا إلى أفكار هؤلاء الذين حجبوا أنفسهم عن الأضواء...

الجهود وتعاون الدليل الإسلامية في تأسيس دوائر النشر على مستوى عالمي يضاهف نجاح الفكرة ويعين على الاستفادة منها، وبخاصة في مجال التحقيق العلمي وأمانة النشر، فإذا علمنا أن بعض الدول الإسلامية تعاقد مع اليابان على طباع خمسة ملايين نسخة من المصحف تبين مدى الخطورة التي يمكن أن تلحق بقرائنا إذا لم نتداركه بعمل مشترك يدرك الخطر ويقضى على مواطن الرعب...

ويوم تتجمع هذه الجهود المتفرقة والطاقت المبددة والأموال الضائعة فإن خيراً كثيراً ينتظر هذه الأمة في دينها ودنياها. وأحسب أننا واصلون بإذن الله إلى هذا المستوى، فإن ما سمعته لم يكن فكرة باهتة أو اقتراحاً عارضاً، وإنما هذه أفكار ومقترحات يرى من خلالها الأعضاء حقيقة رسالتهم، كما يرون في ضوئها مكانهم من ميدان العمل، ولهذا سيكونون رسل هذه الأفكار ودعاتها في مجتمعاتهم ولدى حكوماتهم يبشرون بها، ويدهون إليها، ويجمعون المسلمين حولها. ولعل تفكير الأعضاء في وسائل النجاح دعاهم إلى الحديث عن المدعوين في المؤتمر فلقد رأيتهم أو رأيت بعضهم يقبل صفحات من بيان بأسماء الذين وجهت إليهم الدعوة، ويصفح وجوه الذين حضروا، ثم سمعهم أو سمعت بعضهم يقول: هؤلاء أكثر الذين



الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر في الاجتماع الذي رأسه سيادته مع أعضاء المجتمع للقرارات والتوصيات

توصيات الفترة الأولى

اجتمع مؤتمر بجمع البحوث الإسلامية في دورته الثانية فكان اجتماعه بداية لمرحلة جديدة لرسالته التي تعنى بنشر المبادئ والثقافة الإسلامية ، وقد انعقد المؤتمر على فترتين : الأولى : من يوم الخميس ١٢ من المحرم سنة ١٣٨٥ - الموافق ١٣ من مايو سنة ١٩٦٥ . وكانت فترة هلنية انتهى المؤتمر فيها إلى التوصيات التالية :

أولاً : أن تقف الدول الإسلامية صفاً واحداً في كل ما يمس مصالح المسلمين في حياتهم الدينية والدنيوية ، وأن تحكم تعاليم الإسلام في حياتها ، وفيما عسى أن يشجر بين المسلمين من خلاف حتى تظل الأخوة الإسلامية قائمة وفعالة .
ثانياً :

(أ) يوجب الإسراع في تحديد الوسائل العملية لنشر الإسلام والدعوة إلى الله بالحسنة والموهظة الحسنة في مختلف الدول على كافة المستويات ، وبحيث طريقة تمويل هذه الوسائل حتى يعض بجمع البحوث الإسلامية في مهمته العظمى التي من أهم أهدافها حمل أمانة دعوة الناس كافة إلى الإسلام .

(ب) تفويض الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر في تأليف اللجان التي يوكل إليها بحث هذه المهمة .

بسم الله الرحمن الرحيم :
إن المؤتمر لثاني لجمع البحوث الإسلامية المنعقد بالقاهرة في شهر المحرم سنة ١٣٨٥ هـ الموافق مايو سنة ١٩٦٥ م ، والذي يضم ممثلين ومندوبين من خمس وثلاثين دولة إسلامية .
ليتموجه بعظيم الشكر والتقدير للسيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة على تفضله برعاية المؤتمر وإيضاد السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية نيابة عنه لافتتاح دورة أعماله الثانية ، داعين الله أن يحفظه ذخراً للإسلام والمسلمين .

كما يتوجه المؤتمر بأجزل الشكر لحكومة الجمهورية العربية المتحدة وشعبها الكريم على ما حبوهم به من كرم الضيافة وحسن اللقاء والترحيب .

ويوصى بما يلي :

الفلسطينية وتنوير الرأى العام بشأنها وإنهاء
مراكز إسلامية في القدس .

٤ — أن تنفذ الحكومات العربية جميعا
قرارات مؤتمر القمة العربيين نصا وروحا
وأن تساندها الدول الإسلامية في ذلك مساندة
كاملة كما يستنكر المؤتمر كل محاولة للخروج
على هذه القرارات لأنه لا يوجد حل لمشكلة
فلسطين غير عودة الحقوق إلى أهلها وإزالة
إسرائيل .

٥ — موازنة منظمة التحرير الفلسطينية
لكى تؤدي واجبهما في الدفاع عن الوطن
السليب في مختلف المجالات .

٦ — وإلى أن يعود الحق إلى أهل يوصى
المؤتمر أن يجعل المسلمون يوم ١٥ مايو ذكرى
وتجديدا للعهد على لإنقاذ فلسطين من الشرذمة
الباغية التى تعيث في الأرض فسادا .

* * *

أما الفترة الثانية لانعقاد المؤتمر التى كانت
في المدة من يوم الأربعاء ٢٥ من المحرم
سنة ١٣٨٥ هـ ، الموافق ٢٦ من مايو
سنة ١٩٦٥ م ، إلى تاريخ الجلسة الختامية
للدورة الثانية ، والتي حضرها أعضاء المجمع
من الجمهورية العربية المتحدة ومن غيرها ،
فقد أقيمت فيها بقية البحوث ، واستكملت
المنافسات ، ووصل أعضاء المؤتمر في محوهم
ودراساتهم إلى القرارات والتوصيات الآتية :

(ج) أن تؤيد جميع الحكومات الإسلامية
والمسلمين هذه المهمة وأن يمدوها بالأموال
والإمكانات التى تكفل لها النجاح .

ثالثا : يرى المؤتمر أن قضية فلسطين هى
قضية المسلمين جميعا لارتباطها الوثيق بدينهم
وتاريخهم وتراثهم ، وأنه ان يهدأ للمسلمين
بال حق تعود الأرض المقدسة إلى أهلها وأن
في وجود إسرائيل في فلسطين خطرا يهدد
المسجد الأقصى وطريق الحرمين الشريفين
والسبيل إلى قبر الرسول صلوات الله وسلامه
عليه ، مما يجعل تحرير فلسطين وأمنها لازما
لأمن الديار المقدسة ولأداء الشعائر الدينية
لجميع المسلمين في المشارق والمغارب .

ولذلك كان الدفاع عن فلسطين والعمل على
تحريرها فرضا على كل مسلم ، وكان القعود
هنا لاثم كبير ، ومن ثم يوصى المؤتمر في
شأن هذه القضية بما يلي :

١ — أن يولى المسلمون جميعا قضية
فلسطين كامل عنايتهم وجهودهم حتى يتم تحرير
هذا الوطن العربي الإسلامى المختصب تحريرا
كاملا .

٢ — أن تسحب الدول الإسلامية التى
اعترفت بحكومة إسرائيل هذا الاعتراف
وأن توقف الدول والشعوب الإسلامية التى
تتعامل مع إسرائيل هذا التعاون .

٣ — أن تتولى الهيئات والمؤسسات
الإسلامية في كل بلد إسلامى متابعة القضية

قرارات وتوصيات الفترة الثانية

المشئون المالية والاقتصادية :

أولاً : التأمين :

قرر المؤتمر بشأن التأمين ما يلي : -

١ - التأمين الذى تقوم به جمعيات تعاونية يشترك فيها جميع المستأمنين لتؤدى لأعضائها ما يحتاجون إليه من معونات وخدمات أمر مشروع وهو من التعاون على البر .

٢ - نظام المعاشات المحسوبة وما يشبهه من نظام الضمان الاجتماعى المتبع فى بعض الدول ونظام التأمينات الاجتماعية المتبع فى دول أخرى : كل هذا من الأعمال الجائزة .

٣ - أما أنواع التأمينات التى تقوم بها الشركات أيا كان وضعها ، مثل التأمين الخاص بمسؤولية المستأمن ، والتأمين الخاص بما يقع على المستأمن من غيره ، والتأمين الخاص بالحوادث التى لا مسئول فيها والتأمين على الحياة وما فى حكمه :

فقد قرر المؤتمر الاستمرار فى دراستها بواسطة لجنة جامعة لعلماء الشريعة وخبراء اقتصاديين وقانونيين واجتماعيين مع الوقوف قبل إبداء رأى - على آراء علماء المسلمين فى جميع الاقطار الإسلامية ، بالقدر المستطاع .

ثانياً : المعاملات المصرفية

قرر المؤتمر بشأن المعاملات المصرفية ما يلي :

١ - الفائدة على أنواع القروض كلها وبمحرم لا فرق فى ذلك بين ما يسمى بالقرض

الاستهلاكى وما يسمى بالقرض الإنتاجى لأن نصوص الكتاب والسنة فى مجموعها قاطعة فى تحريم النوهين .

٢ - كثير الربا وقليله حرام كما يشير إلى ذلك الفهم الصحيح فى قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة ،

٣ - الإقراض بالربا محرم لا تبيحه حاجة ولا ضرورة ، والإقراض بالربا محرم كذلك ولا يرتفع إثمه إلا إذا دعت إليه الضرورة . وكل امرئ متروك لدينه فى تقدير ضرورته .

٤ - أعمال البنوك من الحسابات الجارية وصرف الشيكات وخطابات الاعتمادات والكيميالات الداخلية التى يقوم عليها العمل بين التجار والبنوك فى الداخل : كل هذا من المعاملات المصرفية الجائزة ، وما يؤخذ فى فظيخ هذه الأعمال ليس من الربا .

٥ - الحسابات ذات الأجل ، وفتح الاعتماد بفائدة ، وسائر أنواع الإقراض فظيخ فائدة كلها من المعاملات الربوية وهى محرمة .

٦ - أما المعاملات المصرفية المتعلقة بالكيميالات الخارجية ، فقد أجل النظر فيها إلى أن يتم بحثها .

٧ - ولما كان للنظام المصرفى أثر واضح فى النشاط الاقتصادى المعاصر . ولما كان الإسلام حريصاً على الاحتفاظ بالنافع من كل مستحدث مع انتقاء أوزاره وآثامه :

توافر النصاب وحولان الحول .

(ب) وإذا لم يتحقق فيها نصاب وكان لصاحبها أموال أخرى تضم إليها وتجب لزكاة في المجموع إذا توافر شرط النصاب وحولان الحول .

(ج) مقدار النسبة الواجب إخراجها هو ربع عشر صافي الغلة في نهاية الحول .

(د) في الشركات التي يساهم فيها عدد من الأفراد لا ينظر في تطبيق هذه الأحكام إلى مجموع أرباح الشركات وإنما ينظر إلى ما يخص كل شريك على حدة .

٤ - تجب الزكاة على المسكف في ماله وتجب أيضاً في مال غير المسكف ويؤديها عنه من ماله من له الولاية على هذا المال .

٥ - تعتبر الزكاة أساساً للتكافل الاجتماعي في البلاد الإسلامية كلها وهي مصدر لما تستوجبه الدعوة في الإسلام والتعريف بحقائقه وإعانة المجاهدين في سبيل تحرير الأوطان الإسلامية .

٦ - تمرك طريقة جمع الزكاة وصرفها لكل إقليم بما يناسبه .

وبشأن صدقات التطوع يبين المؤتمر ما يلي :

١ - الإسلام يدعو إلى الإنفاق في سبيل الله وينهى عن البخل وقبض اليد عن بذل الخير .

٢ - الإسلام يحذر من السؤال ومن قبول الصدقة إلا في حالات الضرورة .

٣ - الإسلام يدعو إلى البر بغير المسلمين مساواة لهم بإخوانهم المواطنين من المسلمين ورعاية لكل فرد من الأفراد في المجتمع الإسلامي .

فإن يجمع البحوث الإسلامية بصدده درس بديل إسلامي للنظام المصرفي الحالي ويدعو علماء المسلمين ورجال المال والاقتصاد إلى أن يتقدموا إليه بمقترحاتهم في هذا الصدد .
ثالثاً : استثمار الأموال :

قرر المؤتمر أن استثمار المال الخاص وما يتبع فيه من الطرق حق خالص لصاحب المال على أنه إذا سلك في هذا مسلكاً يؤدي إلى ضياع المصلحة العامة وجب على ولي الأمر أن يتدخل لمنع الضرر وليصون المصلحة العامة بطريق لا هدران فيه على الحق المشروع لصاحب المال .

رابعاً : الزكاة وصدقات التطوع :

قرر المؤتمر بشأن الزكاة ما يلي :

١ - أن ما يفرض من الضرائب لمصلحة الدولة لا يغني القيام به عن أداء الزكاة المفروضة .

٢ - يكون تقويم نصاب الزكاة في عقود

التعامل المدنية وأوراق النقد والأوراق النقدية وعروض التجارة على أساس قيمتها

ذهباً ، فما بلغت قيمته من أحدها عشرين

مثقالاً ذهبياً وجبت فيه الزكاة ، وذلك لأن

الذهب أقرب إلى الثبات من غيره ويرجع في معرفة قيمة مثقال الذهب بالفلسبة إلى النقد

الحاضر إلى ما يقرره الخبراء .

٣ - الأموال النائية التي لم يرد نص ولا

وأى فهمي بإيجاب الزكاة فيها حكمها كالآتي :

(١) لا تجب الزكاة في أعيان العمائر الاستغلالية والمصانع والسفن والطائرات وما شابهها بل تجب الزكاة في أصناف غلتها عند

شئون الأسرة والشباب :

أولاً : بشأن تعدد الزوجات .

يقرر المؤتمر أن تعدد الزوجات مباح بصريح
فصوص القرآن الكريم بالقيود الواردة فيه ،
وأن ممارسة هذا الحق متروكة إلى تقدير الزوج
ولا يحتاج في ذلك إلى إذن القاضي .

ثانياً : بشأن الطلاق .

يقرر المؤتمر أن الطلاق مباح في حدود
ما جاءت به الشريعة الإسلامية وأن طلاق
الزوج يقع دون حاجة إلى إذن القاضي .

ثالثاً : بشأن تحديد النسل .

يقرر المؤتمر ما يلي :

١ - أن الإسلام رغب في زيادة النسل وتكثيره
لأن كثرة النسل تقوى الأمة الإسلامية اجتهادها
واقتصادها وحريتها وتزدها عزة ومنعة .

٢ - إذا كانت هناك ضرورة شخصية
تحتم تنظيم النسل فلا وجب أن يتصرفا طبقاً
لها تقتضيه الضرورة ، وتقدير هذه الضرورة
محروك لضمير الفرد ودينه .

٣ - لا يصح شرعاً وضع قوانين تجبر
الناس على تحديد النسل بأي وجه من الوجوه .

٤ - أن الإجهاض بقصد تحديد النسل
أو استعمال الوسائل التي تؤدي إلى العقم لهذا
الغرض : أمر لا يجوز ممارسته شرعاً للزوجين
أو لغيرهما .

ويوصى المؤتمر بتوعية المواطنين وتقديم
المعونات لهم في كل ما سبق تقريره بصدد تنظيم النسل .

رابعاً : تربية الشباب .

بشأن تربية الشباب يرى المؤتمر ما يلي :

١ - أن التربية الدينية وإشاعة الإيمان
والخير في القلوب هي خير ما ينقذ الشباب مما
صار إليه البعض من انحراف وانحدار .

٢ - وأن انحراف بعض الشباب وتركهم
شعائر الدين مرض نفسي ، يعالج بالرفق
والعطف والنصح الذي يصل إلى أعماق
النفوس ، وذلك اتباعاً لاسلوب القرآن .

ويوصى المؤتمر بما يلي :

١ - تعريف الشباب بالأجناد القاريحية
للإسلام والمروية حتى يزدادوا ثقة بدينهم
وتمسكاً بمبادئه السمحة القويمة .

٢ - إعداد جيل كامل واسع الثقافة من
رجال الدين يتولون تهذيب الشباب وقيادتهم
على الأساس الربوي السليم .

٣ - جعل التربية الدينية جزءاً أساسياً من
مناهج التعليم في جميع معاهد المعلمين والمعلمات
أيما كانت المواد التي يتخصصون في تدريسها .

٤ - أن يكون لوسائل الإعلام نصيب مشر

في توجيه الشباب وتكوين رأي عام سليم
في الإذاعة ومجلات الشباب والذرائع العامة
والصحف والقصص وغير ذلك من الوسائل
الإعلامية ، حتى يمكن اتقاء الأضرار الناتجة
من دعوات الانحراف والمجون التي تظهر
في بعض وسائل النشر والإعلام .

٥ - أن تولف للشباب كتب ملائمة لمواقفهم
وعقولهم عن أعلام الإسلام وقادة الدعوة وفي

ذلك استرقاقا كبيرا جرمانا من الاسترقاق الفردى .
القديم ، ويدعو المسلمين إلى مقاومة كل ضغط
أو عدوان على حقوق الأفراد والشعوب
ويعد هذه المقاومة جهادا مقدسا يفرضه الدين
الحنيف ونحوه الدعوة الإسلامية .

ثانياً : بشأن مقومات الحضارة الإسلامية
وأثرها في سعادة البشرية ورقها .

يسجل المؤتمر أن الإسلام عقيدة وشرعية
وحضارة ، وأنه دين ترق حضارى يشرع
للحياة في صورتها المتكاملة .

ويوصى بما يلي :

١ - أن تعمل السلطات التعليمية في كل بلد
إسلامي على تقرير دراسة الحضارة الإسلامية
مادة أساسية في الجامعات ومعاهد التعليم .

٢ - أن تدرس كل أمة إسلامية لغة من
لغات شقيقاتها متخذة من ذلك أداة للتفاهم
والتقارب الثقافي .

٣ - أن تعنى الأمم الإسلامية جميعاً بدراسة
اللغة العربية ، لغة القرآن والتفريع حتى يكون
ذلك سبيلاً إلى الاتصال المباشر بلغة الوحي .
وإلى الاشتراك في تذوق أسرار الإعجاز
القرآني والعودة بالثقافة الإسلامية إلى ما كان
لها في القرون الأولى من وحدة وشمول .

٤ - دعوة الأمم الإسلامية إلى اتخاذ
الإسلام منهجاً لسلوكها في الحياة بالاستعصام
بأقيم الخلقية والاجتماعية التي جاء بها الإسلام
وإلتخاذ الشريعة الإسلامية أساساً لنشروعاتها .

التاريخ المقارن . تبرز فيها الخفايا التي توضح
جوانب القوة في الحضارة الإسلامية ، وفي الصلة
بين العبد وربّه ، وبين الفرد والمجتمع كما ينبغي
الاهتمام بالرقابة على الكتب التي تنشر الانحراف
سواء أكانت مترجمة أم مؤلفة ، بما يقوم به
الأفراد والهيئات ، وأن يوضع قانون يحتم
عرض هذه الكتب على هيئة مختصة قبل طبعها .
الشئون الاجتماعية والحضارية :

أولاً : بشأن موقف الإسلام من الرق
الفردى والجماعى .

جاء الإسلام معلناً بآدى الحرية والمساواة
والإخاء ، تسكراً بما للإنسان الذى لم يفضل
فيه جنساً على جنس ، ولا لوناً على لون .
ولما كان الرق منتشراً في جميع الأمم قبل
ظهور الإسلام فقد عمل الإسلام بوسائل شتى
على مقاومته مقاومة تنتهى إلى محوه ، وجعل
هذه الوسائل جزءاً من الدين .

وإذا كان بعض الأفراد أو الهيئات قد
احترف منذ الفرون الوسطى وما تلاها تجارة
الرقيق عن طريق القرصنة والاختطاف فإن
الإسلام ينكر ذلك إنكاراً قاطعاً ، ويعدّه
خروجاً على الدين .

لهذا يسجل المؤتمر :

أنه لا يوجد الآن في أى جزء من أجزاء
العالم رق يقره الإسلام ، ويستنكر باسم
الإسلام كل محاولات الضغط والعدوان على
الحقوق الطبيعية للأفراد والجماعات . ويعتبر

Second : Foundation of Islamic Civilization and its effect upon the happiness and prosperity of mankind.

The Conference records that Islam is a faith, law and civilization. It is a religion of the advancement of civilization and a law for life in all its aspects.

The Conference recommends :

1— That the educational authorities in all Islamic countries should enforce the teaching of Islamic civilization as a compulsory subject in the Universities or educational institutes.

2— Every Islamic nation should teach the language of the other Islamic countries and make it a

means of mutual understanding and cultural approachment.

3— All Islamic nations should teach the Arabic language, the language of the Glorious Quran, and Islamic Law, to be in direct contact with the language of the Revelation and to participate in appreciating the immitability of the Holy Quran and to restore the pristine glory of Islamic culture which it enjoyed during the first century of the Hijra in unity and comprehensiveness.

4— The Call to all Islamic nations and peoples to adopt Islam as a programme for its conduct in life and to strictly adhere to its moral and social values and to make Islamic Law as the main source for all their legislation.

Contents

PAGE

1 — Al-Azhar and the Islamic Researches Academy	1
2 — The Second Conference of the Academy	4

Speeches

3 — Speech by The Grand Sheikh of Al-Azhar	5
4 — Speech by The Chief Justice of Jordan	7
5 — Speech by Dr. Mahmoud Hubb Allah	8
6 — Speech by Mr. Hussein El-Shafe'i	13
7 — The papers and Discussions	17
8 — Our Cultured youth and Religiousness	19
9 — Palestine and Israel	22
10 — Statement and Recommendations	25
(The First Stage)	
11 — Recommendations and Resolutions	27
(The Second Stage)	

4— The present means of publicity and propaganda should participate fruitfully in reforming and directing youth and forming right public opinion in the broadcasting corporations, youth magazines, public clubs, newspapers, novels and similar media of communication, till it becomes possible to avoid the ill-effects and harmful results which spring from some of the media of immoral and indecent publications and propaganda.

5 — Publications of books and literature for youth to suit their various degrees of understanding, regarding the Islamic and Arab personalities, books on comparative history embodying and clarifying the principle of strength of the Islamic civilization, the relation between man and his Creator, between the individual and his society. Great care and caution to be exercised in publication that disseminate or foster moral deviation, whether originals or translations and published by individuals or organisations, Laws to be enacted compelling the subject matter of a book to be referred to a special organisation for scrutiny before publication and distribution.

PROBLEMS OF CIVILIZATION AND SOCIAL AFFAIRS

First : Islamic view as regards individual and collective Slavery.

Islam promulgated the principles of liberty, equality and fraternity, honouring mankind irrespective of colour or race. The institution of slavery was widely prevalent amongst all nations prior to the advent of Islam and Islam through various means discouraged and abolished it, and this constituted a part of the teaching of Islam.

The practice of slave trade that existed during the middle ages and what was practised by pirates and kidnappers following the middle ages was strictly abhorred by Islam and slave trade was considered a deviation from true religion.

Hence, the Conference records that Islam recognizes no slavery in any part of the world and in the name of Islam, the Conference denounces every attempt of infringement of the natural rights of mankind whether individuals or communities and considers any attempt at slavery as more sinful and criminal than the ancient individual slavery. The Conference exhorts all Muslims to resist any pressure, infringement or aggression upon the rights of individuals or nations and such resistance is considered as a sacred or Holy War called for by religion and the Islamic Call necessitates it.

of the Islamic Law, divorce is permissible and the divorce is effective without the permission of the Qadi.

Third / BIRTH CONTROL.

The Conference decided as follows :

1— Islam is desirous of increasing the offspring for it strengthens the Islamic nation socially, economically, militarily and strengthens its dignity and defence.

2— Birth control is to be resorted to only in cases of absolute necessity and this is a matter that is left to the concerned parties to decide upon such a necessity. As regards what constitutes necessity, this is a matter which rests purely on the conscience and religious feeling of the individual.

3— From the religious viewpoint it is not permissible to frame laws enabling individuals to practise birth control in any manner.

4— Abortion of a child in the womb with a view to controlling birth or adopting means which lead to barrenness or sterilization are practices contrary to Islamic Law and neither is it permissible to the spouses or any other bodies.

The Conference recommends the enlightening of the citizens and assisting them in regard to this subject.

Fourth / UPBRINGING OF YOUTH.

The Conference decides in this respect as follows :-

1 — The religious upbringing and education, the inculcation of the religious faith and virtues in the hearts of youth are the best guarantees against tendencies which lead youth to deviate from proper moral concepts.

2— Immoral deviation and neglect of religious duties by some youth are a psychological disease and in accordance with the tenets of the Quran, such cases have to be dealt with in a kind and sympathetic manner that appeals to their hearts and emotion.

The Conference also recommends,

1— The acquainting and instilling of youth with the historical glories of Islam and Arabism, till their faith in their religion and the adherence to its straightforward and tolerant principles are increased.

2 - Preparation of a full staff of individuals with a wide religious and cultural knowledge to train the youth and to lead them in accordance with the true principles of upbringing.

3— Enforce religious education and to make it an indispensable part of the educational curricula and syllabuses in all teachers institutes irrespective of their special fields.

3— The increase in investment capital regarding which there is no Quranic or Tradition or Juristic opinion which imposes payment of Zakat on it, is to be classified as follows :—

a) Zakat is not applicable on utilized buildings, factories, ships or aeroplanes and the like. Zakat is imposed on the net income derived from it at the end of the year, should the limit for Zakat be reached.

b) If the limit for which Zakat is imposed is not reached by such income and the owner has other sources of income, they must be all collected together and thereafter if the aggregate income reaches the limit at the end of the year, then Zakat becomes applicable and should be imposed.

c) The amount assessable as Zakat is a quarter of the tenth ($1/40$) of the net income at the end of the year.

d) In the case of companies which consist of individual shareholders, Zakat is imposed on the share of every individual separately.

4— Zakat is imposed and is incumbent upon those who have attained the age of majority and also on minors. The guardians of such minors are responsible for the discharge of the payment of Zakat on their behalf.

5— Zakat is considered in all Islamic nations as a basis for social interdependence and as a source for the propagation of Islam and its truths and helping those who fight to free Islamic nations.

6— The mode of collection and distribution of Zaka' is left entirely to every region as it finds suitable.

As regards voluntary almsgiving, the Conference explains that.

1— Islam recommends spending in the way of God and abhors miserliness and refraining from munificence.

2— Islam forbids to seek or accept charity except in case of necessity.

3— Islam recommends extending charity to non-Muslims equally with their Muslim brethren and as a social welfare for all individuals in the Islamic society.

FAMILY AND YOUTH AFFAIRS

First / POLYGAMY

The Conference decided that Polygamy is admissible according to the unequivocal Quranic texts and subject to the conditions stipulated therein. The exercise of this right is left to the discretion of the husband and does not depend on the permission of the Qadi.

Second / DIVORCE

The Conference decided that divorce is subject to the limitations

interest is equally forbidden. The sin resulting from borrowing with interest cannot be explained away unless necessity compels it. Everybody is left to his own religious conscience in assessing such a necessity.

4— Bank transactions such as current accounts, cheques, letters of credit, internal Bills of Exchange, which practices form the basis of the dealings between the banks and the traders, are all permissible banking practices and what is taken to discharge them is not considered usury.

5— Periodical or time fixed deposits or accounts and the opening of Credits with interest, and all lending with interest, are prohibited practices of usury.

6— As regards Bank transactions regarding external Bills and receipts, a final decision has been deferred pending a full and final investigation.

7— Since the banking system today has an apparent effect upon and pervades through contemporary economic activities; and since Islam is eager to retain what is beneficial from those modern activities, whilst avoiding its evils, the Islamic Research Academy contemplates an Islamic substitute for the modern banking system and calls upon all Muslim scholars, financial and business men to offer their proposals and suggestions concerning this issue.

Third : Investments.

The Conference decided that Investment of Private Capital and the modes of investment of Private Capital are the sole right of the owner. But if the individual indulges in the investments that are prejudicial or against the public interest, then it is incumbent on the authorities to interfere in so far as to prevent such abuse or misuse and to protect the public interest in such a way as not to seriously affect the lawful right of the owner of such capital.

Fourth : Zakat and voluntary almsgiving.

As regards Zakat, the Conference decided as follows:-

1— Taxes imposed by the government cannot be construed as a substitute for imposed Zakat.

2— The wealth that is liable to Zakat such as investments, metal and paper currency and articles of trade are to be assessed according to their bullion (gold) value. The value of which reaches twenty mithqal in gold is liable for payment in Zakat. The reason for stipulating the assessment according to the gold value is due to the fact that it is nearer to stability. The task of assessing the equivalence of the gold mithqal to the present system of currency has been referred to the experts.

Recommendations and Resolutions

(THE SECOND STAGE)

The Second Stage of the Conference of the Islamic Research Academy was held on Wednesday 26th May, 1965, (Muharram 25th A.H.) till the closing session of the second period and was attended by the members of the Academy from the U.A.R. and other countries. The remaining researches were delivered and the discussions resumed. The members after their researches and studies proposed the following resolutions and recommendations.

Financial and Economic Affairs.

First : Insurance.

As regards Insurance the Conference decided as follows :-

1— Insurance which is practised by cooperative societies, in which all insurers participate to give them assistance and services, is admissible, and it is a cooperation for goodness.

2 — The governmental system of pensions and the like such as social welfare guarantees which is practised in some countries and social insurance schemes which are carried out in other countries are all admissible practices.

3 - As regards other kinds of Insurance which are undertaken by other companies whatever their status may be, as insurance pertaining to

the insurers own responsibility, what befalls him from others'actions or the insurance against accidents in which no one is responsible, or life insurance and the like, the conference decided to continue studying them through a comprehensive committee of Islamic jurists, economic, social and legal experts, to be enlightened by their opinions, together with the opinion of other Muslim scholars in the Islamic world, as far as is possible, before giving any final decision.

Second : Bank Transactions.

In this connection the Conference decided as follows :

1 — Interest on all kinds of loans are considered as prohibited Usury, drawing no distinction whatsoever between what is termed as consumptive or producing loans, since the Quran and the Traditions in general are categorical in prohibiting both.

2 — Usuary, be it little or more, is strictly forbidden as refers to this the true understanding what God the Almighty says in Chap; III V. 130 "O' Ye who believe! Devour not usury, doubling and quadrupling".

3— Moneylending on interest is prohibited. Need or necessity is no excuse for its permissibility and similarly borrowing money against

Jerusalem, the traditional access to the two "Harams" and the Tomb of the Prophet, Peace be upon him,

- that the liberation and security of Palestine are indispensable for the security of the Sacred Land and the performance of religious rites by Muslims all over the world,
- that the struggle for Palestine and its liberation is an obligation to all Muslims,
- that the failure to fulfil this duty is a great sin, Recommends,

(1) That all Muslims give their utmost attention and exert their efforts until they completely liberate this Islamic Homeland.

(2) That all Islamic states that have recognized the government of Israel, should withdraw such recognition and that the Islamic states and nations should stop all relations with Israel.

(3) That the Islamic organizations and institutions in all Islamic countries should follow up the Palestine Question, enlighten public opinion about it and establish Islamic centres in Jerusalem.

(4) That all Arab governments should execute the resolutions adopted by the two Arab Summit Conferences, both in spirit and content.

- that Islamic states should give full support to these resolutions,
- that the Congress denounces all attempts to violate these resolutions, since the only solution of the Palestine Question would be through restoring the rights of her inhabitants and the disappearance of Israel.

(5) That support be given to the Palestine Liberation Organization, so as to enable it to accomplish its duties in defending the usurped Homeland in all fields.

(6) That until rights are restored to the rightful owners, the Congress recommends that the 15th of May be celebrated by all Muslims, reiterating the commitment to save Palestine from the aggressive gang that is spreading corruption on earth.



The Conference shall consider, during the second stage the subjects submitted during the first stage and the discussions that have taken place, in order to arrive at a definite resolution which shall be announced to all Muslims.

May God lead us to the right Path . . .

Statement and Recommendations

THE SECOND CONFERENCE OF THE ACADEMY OF
ISLAMIC RESEARCHES

(THE FIRST STAGE)

The first stage of the Second Congress of the Academy of Islamic Research, held in Cairo on Thursday 13th May 1965 (12th Muharram 1385), representing thirty five Muslim states,

Extends its deep thanks and appreciation to President Gamal Abdul Nasser, President of the U.A.R., for kindly putting the Congress under his auspices, and for deputizing Mr. Hussein El Shafe'i, the Vice-President, to inaugurate this Session, asking God to preserve him a guardian to the cause of Islam and Muslims,

Presents the deepest thanks to the U.A.R. government and people for their kind hospitality and warm welcome,

And recommends the following:

First: That all Islamic states should stand united in matters pertaining to Muslim interests, both spiritual and secular,

That Islamic teachings should be applied to decide the kind of life the Islamic World should lead, and to settle all disputes that might arise within the Islamic community in order to maintain an effective permanent brotherhood,

Second:

a) To take immediate steps to determine the practical means to spread the Call of Islam in all countries, and at all levels,

To find ways and means to finance this project so that the Academy of Islamic Research would carry out its noble mission of propagating Islam among all peoples.

b) To authorize the Grand Sheikh of Al-Azhar to set up committees which shall be entrusted with this mission,

To urge all Islamic governments and all muslims to give their support to this project and provide the funds and potentialities that will ensure its success.

Third: The Conference considering:

- that the Palastine Question is the problem of all Muslims, due to its close relation with their religion, history and heritage,
- that Muslims will not be at ease until this sacred land is restored to its rightful owners,
- that the presence of Israel in Palestine constitutes a threat against the Sacred Mosque in

and have poured out drink offerings unto other Gods"(1).

"For both prophet and priest are profane, yea, in my house have I found their wickedness, saith the Lord. And I have seen folly in the prophets of Jerusalem an horrible thing : they commit adultery, and walk in lies : they strengthen also the hands of evildoers, that none shall return from his wickedness : they are all of them unto me as Sodom, and the inhabitants thereof as Gomorrah."(2)

"Thus saith the Lord, of hosts ; Behold, I will send upon them the sword, the famine, and the pestilence, and will make them like vile figs that cannot be eaten, they are so evil. And I will persecute them with the sword, with famine, and with the pestilence, and will deliver them to be removed to all the kingdoms of the earth, to be a curse, and an astonishment, and a hissing, and a reproach, among all the nations whither I have driven them."(3)

"And he said unto me, Son of man., I send thee to the children of Israel, to a rebellious nation that hath rebelled against me : they and their fathers have transgressed

against me, even unto this very day."(4)

"Hear ye this word which I take up against you, even a lamentation, O house of Israel. The virgin of Israel is fallen ; she shall no more rise : she is forsaken upon her land ; there is none to raise her up. (5)

Needless to say, the Quran abounds in verses relating their evil doings. There mention one of these verses : "But those who did wrong changed the word which had been told them for another saying and We send down upon the evil-doers wrath from Heaven for their evil doing.(6)

What is left to God's chosen people after all that ? God has taken back the favours he had bestowed upon this people ; and the Israelites have forfeited their own rights by the continuous treachery and terrorism practised by them from the Exodus till the aggression of 1948.

Supposing that a father has been favouring one of his children doesn't he have the right to withdraw his favour if he finds that this son has failed him ?

(to be continued)

(1) Jeremiah: Ch. 19 Verse 11.

(2) Jeremiah Ch. 23. Verse 11

(3) Jeremiah Ch. 29 Verse 17

(4) Ezekiel Ch. 2 Verse 3

(5) Amos Ch. 5 Verse 1

(6) Surat : The Cow

(2)

Gentlemen :

These fallacies rest upon three points :

Firstly : they are God's chosen people.

Secondly : God promised that they would return to the Holy Land where milk and honey flow.

Thirdly : they once established a kingdom in Judah and Israel and it is their lawful right to restore it.

What really hursts every Arab and Muslem is the fact that these fallacies have reached the hearts of millions of Occidental christians who back up the Israelites and give them constant financial aid. Those Occidentals seem to ignore the sinful offence of those criminals against Jesus, or their unceasing intrigues, hatred and aggression against them and destruction of Christian Churches and driving thousands of Christians out of their homes.

How could those criminals mislead the Occidental Christians and blindfold them so that they would not see the real facts ? How could they arouse the christians against the Arabs who look upon them as their true friends ? How could they distort truth into lies until they succeeded in persuading

a great head of the Church to acquit them of the crucifixion of Jesus ?

It is through cunning and cheating and treachery that they were able to do all that. And for these very things I present before you this treatise so that you would raise your voice in the defence of truth.

(3)

I have read the Old Testament through and carefully and read part of it in the original language. I can assert that I haven't seen or heard of a nation which has been cursed, denounced and rebuked by its God, like the nation of the Children of Israel.

Here are a few extracts that prove what I say : "Thus saith the Lord of hosts; Even so will I break this people and this city, as one breaketh a potter's vessel, that cannot be made whole again : and they shall bury them in Tophet, till there be no place to bury. Thus will I undo this place, saith the Lord, and to the inhabitants thereof, and even make this city as Tophet. And the houses of Jerusalem, and the houses of the kings of Judah, shall be defiled as the place of Tophet because all the houses upon whose roofs they have burned incense unto all the host of heaven,

Palastine and Israel

By : Dr. Ishaq Musa Al-Husainy

The Palastine question is one of the most important problems that the Arabs and Muslim world are facing. Dr. Ishaq Musa Al-Husainy has given in his paper glimpses on the historical and religious background of Israel and Israelites. The following is the text of the paper read by him in the conference :

"Say . . . O people of the Scripture . . . Stress not in your religion other than the truth, and follow not the vain desires of folk who erred of old and led many astray, and erred from a plain road, Those of the children of Israel who went astray were cursed by the tongue of David, and of Jesus, son of Mary. That was because they rebelled and used to transgress. They restrained not one another from the wickedness they did. Verily evil was that they used to do . . . Thou seest many of them making friends with those who disbelieve. Surely ill for them is that which they themselves send on before them : that Allah will be wroth with them and in the doom they will abide. If they believed in Allah and the Prophet and that which is revealed unto him, they would not choose them for their friends. But many of them are of evil conduct." (1)

Gentlemen :

Those Israelites whom God has cursed in the Qur'an and described as the bitterish enemies of believers, those Israelites have usurped Palestine, one of the holiest spots on earth. They have dispersed its peaceful inhabitants, desecrated its sanctity wiped out its mosques and cemeteries, obliterated its landmarks in order to establish a racially fanatic, sinful, despotic state.

It is a duty for which we have to answer God to unveil before our Muslim brethren the false arguments to which the Israelites have resorted in order to establish Israel, we must point out the dangers with which they surround us as Arabs, and bring to light their sinister intentions which threaten the Holy Land and its neighbouring Arab and Muslim countries. It is curious that they depend on verses from their holy books, and on what they consider as sound scientific research.

(1) Surah : The Table spread. Verse 77-81

to mind or science, they will have no religious faith, unless we do not provide them with the right education, teaching and good example, they will not be good citizens.

Power of mind in Islam :

Last year, in a lecture I gave at the Teachers' Club in Cairo I asked a question which I now readdress to the Islamic youths; what is the best characteristic of Islam ?

To all muslims, there is no doubt that all the living (heavenly) religious are basically God sent... and there is no doubt that any sane person knows that these living religious aim in essence towards what is right and good.

However, the superiority of Islam lies in the fact that it appeals to the mind in order to understand the inspired teachings of the Quran, that mind which God commanded us implicitly in many verses of the Quran to resort to whenever we waver between doubt and belief, or whenever in argument with atheists or unbelievers; that mind which embraces the whole meaning of existence, starting from the most simple questions such as avoiding evil, to the highest possible topic of the divinity and oneness of God.

In Islam there is no contradiction between faith and mind, nor

does it expound anything in opposition to reason. It has no secrets, no superstitions, no illusions that sound knowledge refutes.

Any statement denoting paradoxical implications must either be explained in a rational manner, or refuted. This is how Islam looks upon scientific questions which have become accepted rationally, and beyond doubt.

Illusions of the mind :

Before presenting our youths with examples of the power of reason in faith and religious matters, I must first unveil the illusions resulting from rationalisation and point out the differences between:

1 — The rational impossibility and the ordinary one.

2 — The impossibility of rationalizing and difficulty of imagining.

3 — General rational thinking universally accepted, and individual points of view which are controversial.

4 — Scientific accepted facts, and scientific opinions not entirely ascertained, which appear on and off for a while, then disappear forever confusing these facts and differences which is caused by illusions of rationalization as often misleading even to the highly educated and cultural people.

(to be continued)

I shall do my best to mention these causes briefly, and am positive that the reverend scholars are more of an authority on the subject than my self, I have therefore merely collected the facts in order to unify our efforts to work on the same line. It is up to our reverend scholars to carry out the required research as they see best, fill in the gaps, and prescribe the right and effective remedy.

Do please forgive me for going into such lengthy details which to you, are mere axiomatic truths. The reason is that I am at the same time addressing the youths, themselves, as well as the governing powers in the Islamic World the newspaper men and anyone who might read this paper.

Personality and surroundings of our youths :

To make a correct study of the causes of this double sided phenomenon so obviously manifesting themselves in atheism and neglect of religious rites, we must study the personality of our younger generations, their background and their mode of thinking.

Our youths - in mind, body, feelings and character - stand at a loss confronting several trends : the power of science and its

illusions, their own ignorance of the essence of Islam, the influence of atheists, the insidiousness of colonialists, the mistakes of orientalists and historians, personal complexes, and the deterioration of social surroundings.

May Heaven help the youths of today !

The influence and power of the mind are apparent, even in a child. They mature and become more polished with his growing experience. He has to use his own mind from the first lesson he takes in arithmetic to the last steps in the studies of calculus, astronomy, physics, logic and philosophy. He becomes fully aware of the supreme power of his mind, beams with pride, vanity and conceit, like those who look complacently upon the weaker ignorant, and the naive people, until the appreciation his feelings for his own mind and knowledge soar up to the point of veneration and arrogance.

That much goes on in the field of faith and reasoning of religious questions. But when we consider the observance of religious rites, we are faced because of the rashness and bold behaviour of youths and the violence of their surroundings and unless we convince them that belief in God is not incongruent

OUR CULTURED YOUTH AND RELIGIOUSNESS

By : Sheikh Nadim Al-Jisr

Mufti of Tripoli and Northern Lebanon

Among the most useful papers came before the second conference of the Islamic Researches Academy was Sheikh Nadim Al-Jisr's above mentioned one. After explaining the reasons that led him to choose this topic, he spoke about the phenomenon of social changings in the Muslim world and surroundings of our youth. He says "... we have before us a serious social phenomenon which is affecting the entire Islamic World. I refer to the fact that most of our highly cultured youth are closer to atheism while the remaining few are inclined to neglect devotions and virtials.

This strange phenomenon started with the scientific renaissance in the Islamic and Arab countries, its dangerous implications increasingly growing, as the renaissance developed and spread out. All the efforts deployed by reformers have, so far, failed to remedy it.

Now, what are the causes of this phenomenon ?

Why does it go side by side with science, despite the fact that

the latter is the torch which guides people towards truth and goodness; faith and Islam are the emblem for light, truth and goodness ?

What are the reasons for the failure to remedy it ?

I can almost read the thoughts occupying your minds just now. You think that the subject as a whole-though quite serious-does not really need any deep study because it is so very clear. Nevertheless, that is not the case. The causes are too numerous, deep rooted, subtle and intricate to be discovered by a casual, hurried study.

The causes are complex and inter-related, some are local, others are brought about by foreign influence; some are the result of reasoning, others are psychological and some get to spread in one country on a wider scope than in another. It is due to these obvious and hidden complications and overlapping that the attempts at remedy have so far failed.

small premium already paid to the company. Does not this involve gambling and taking risk ; and if this is not real gambling what is it then ? . It is also gambling from another aspect ; because the insured person is entitled to cash the amount of the insurance policy after settling all its premiums, and if he dies before paying all the premiums, his inheritors will cash it in full. Is not this gambling, since neither the insured nor the insurer knows anything about what will happen in future ? .

“This implication also exists in other types of insurance, as the company knows nothing of what will happen ; and when the risk arises, the company is bound to pay the amount of the insurance or indemnity, which is not commensurate with the premiums already paid. The risk may not occur and the company will pay nothing in return for the premiums already paid to it. It also implies betting because the company's obligation depending upon a risk, which may or may not occur. If the risk takes place, the company will be bound to pay the amount of insurance or indemnity, and if not, the company will not be bound to pay anything”. Speaking about the views of prohibition he said :

“Promulgators of this view also say that the insurance contract is

based merely on betting and gambling because the premiums paid by the insured are but the fees through which he gambles for the thing insured against fire, damage or death. The occurrence of any of these risks is unknown and if the risk for which the gambling is made happens, the company will be at loss as it will pay an amount many time more than that of the premiums, and if nothing happens, the insured will lose the fees of gambling. which consist of the insurance premiums...

Such are the arguments raised by those who prohibit insurance. They are based only on a hasty superficial outlook, prevented from penetrating into the very truth of the insurance policy, by its external form, and from comprehending it thoroughly and precisely by its outside picture”.

“...Gambling or games of chance thus lead to hatred, strife, confusion, rage, bad temper, and tendency to kill the desire for productive and fruitful work. The insurance policy contains nothing of these things. On the contrary, it is a source of peace, tranquility and good benefits for the commercial, industrial and social fields. Thus, there can be no comparison between gambling and insurance”.

The Papers and Discussions

The papers that Scholars read in the many Sessions of the Conference and the discussions that they Carried on point to the great interest of the Scholars in problems that face the Muslim Society in the world, also they give us a true picture of these problems. Some of the important papers read in the Second conference are : " Insurance in Islam " by Al-Sheikh Ali Al-Khafif, " Capital investment in Islam " by Dr. Muhammed Abdulla Al-Arabi, " The Zakat " by Sheikh Muhammad Abu Zahra, " Contemporary Bank Transactions and Islam's view thereon by Dr. Abdulla Al-Arabi, " Charity in Islam " by Dr. Mahdi Allam, and " Our Cultured Youth and religiousness " by Sheikh Nadim Al Jisr. " Palestine and Israel " was the paper presented by Dr. Ishaq Musa Al-Husainy.

Sheikh Ali Al-Khafif explained in his paper the origin of insurance policy and its motive, types of insurance, nationalisation of the insurance companies in U. A. R. Discussing the opinions of the scholars he Said "

Insurance was later dealt with by a number of scholars, particularly after its spread and diversification. Some of them allowed it freely ; while others prohibited it entirely. Some allowed certain types of it and outlawed others. I am going to review the bases of all the various views regarding insurance, discussing the grounds given for the prohibition and those given for permissibility. In the end we shall offer our own opinion.

Some scholars favoured the prohibition and banning of all types

of insurance and they based their views on the following points :

Firstly, it rests on gambling and betting, both of which are legally forbidden. In his Fatwa on this question, the late El Sheikh Muhamad Bikhit described the insurance policy as a contract nil and void, attached to a risk which may occur and may not occur thus, implying gambling".

On life insurance; our Professor the Late El Sheikh Ahmad Ibrahim said : " The insured person may die after paying only one premium, and yet the insurance company would pay the value of the insurance policy in full to his heirs or to the persons authorised to cash its value, however great it may be, in return for nothing other than the

campaign of distain and enmity to Arabs and Muslims, through Western Germany's supplies of arms to Israel.

We Muslims, should here and now face this deliberate defiance.

Unfortunately, amidst our efforts to gather our forces and unify our military command ; and at the moment we declare the establishment of the Palestine Liberation Organization and the Palestine Entity, when we are taking positive steps to defend our rights in the Arab waters, someone falters and rebels against the will of the Arab nation ..

We are fighting the hattle of our destiny . . Any one who falters is a deserter and should be treated as such . . Surely the wrath of God, the Almighty will befall him.

Dear Brothers,

In conclusion I pray God that He may bless your meeting and your actions : that He may guide you to the right path . . . and I have the honour to convey to you our President Gamal Abdul Nasser's greetings and best wishes.

May God's blessings and peace be upon you.

The Second Conference of the Islamic Researches Academy, announced its condemnation of the attitude of the West German Government towards Palestine and its recognition of the Governmet of Israel.

The Conference also expressed its unqualified support to the Arab Countries that severed their diplomatic relations with West Germany.

The Conference also called upon the Governments of Muslim Countries to adopt the stand dictated by Islam towards the Palestine cause and to support the Arab Countries in their decision to break all relations with West Germany.

to regard insurance as the expression of sympathy and mercy, on the part of the society, to the citizen who may lose his resources, either because of illness or catastrophes.

The State has also taken good care of mothers and children, she has drawn plans to bring up our youth on the basis of religion and militancy. Women's rights are respected, and women enjoy equal rights within the framework of our glorious religion. They have been freed from any remaining chains so that they may be able to participate, deeply and positively in making our life, and to be able, within their homes and their society, to contribute in building a society based on strength and virtue: "O mankind . . . We created you from a single (pair) of a male and a female, and made you into Nations and tribes, that ye may know each other. Verily the most honoured of you in the sight of God is the most Righteous of you".

By defining and establishing these rights and duties, and with the guidance of our religion, we can state that our socialism means deeds and not more talk . . . It is a socialism that derives from the incessant desire to help the various sectors of the nation, especially

those who have long suffered, working in the sectors of industry and agriculture . . . It is a socialism that has a clear material structure and a number of new values : social justice, efficiency, production increase, strengthening spiritual energies, a call to peace, a wide perspective of objectives and the right of every citizen to enjoy medical care, schooling and employment.

Gentlemen :

Your meeting here fortunately coincides with commemoration of the Palestine Tragedy, which took place 17 years ago.

The Palestine Question will certainly be on top of the subjects to be considered by you, since it is closely and directly related to the existence and security of Arabism, the strong base of Islam and Muslims.

What has befallen Palestine, and the establishing of the state of Israel as a new form of colonization, unprecedented in history, without any regard, whatsoever, to the feelings of Arabs and Muslims at large, are well known facts.

But, the colonial powers who have established Israel in the country of the " Holy House " in Jerusalem, in disdain to Arabs and Muslims, have again launched their second]

this should be done with a view to stand in the face of the colonialist challenges which oftentimes exploit religion to discriminate between peoples, or to maintain colonialist domination with a view to continuing the process of exploiting and sucking up their resources.

Thanks to God that the U. A. R. has been able to tackle these fields in a practical manner, and has taken effective measures towards liberating individuals from abuse and intolerance from worry and fear from the unknown. These measures enable the individual to develop his creative powers in work, feel secure, co-operate with his fellowmen and live in a society based upon religion, morality and love for the homeland.

Our government has abolished feudalism and the tyranny of capitalism, it has liberated financial dealings from usury by eliminating interest on agricultural loans. Moreover, these loans are granted only to those who prove themselves industrious and productive.

Planning family life has been taken into consideration too with a view to facing the increasing population and as a preventing measure against housing problems as well as to combat poverty in its very source.

The state planning has provided

for full employment, raised the workers standard of living, made them participate in the administration and have share in the revenues; encouraged savings, fights hoarding of money and warns against waste. All this is done with a view to encouraging investment and establishing new industries which will give a wider working scope to all the citizens.

The state safeguards individual freedom, freedom of speech, of choosing the suitable job, and the right of voting. Thus the Egyptian Revolution has adopted the basic principles of the religion, so that when a Muslim professes that : "There is no god but Allah and Muhammad is His Messenger . . . he is completely aware that he has entered the realm of freedom through its widest gates, and that no man can be a slave to another, to money and that he is governed by no traditions or rules other than those set by his God.

The State has been well aware of the necessity to apply all forms of insurance in society, on the grounds that it is a system which encourages the citizen to save part of his earnings, to which he may resort when need arises, such in cases of unemployment, illness or old age. The State has been keen

Speech

By : MR. HUSSEIN EL-SHAFFI

Vice-President of U.A.R.

In the name of God, Most Gracious, Most Merciful. Praise be to God the Cherisher, and Sustainer of the Worlds, God's blessings on the Chosen Prophet, his Family and his followers.

Honourable Members of the Academy of Islamic Research, and Guests of the United Arab Republic.

I have the pleasure to welcome you in the name of President Gamal Abdul Nasser, and to express our sincere wishes for the success of this great religious Congress. No doubt, Muslims all over the world search hopefully for all the means which will help raise Islamic thought to the level required by its spirit, its essence, and its ideal. Islam after all, stands for dignity, liberty and strength, . . . and the struggle to establish peace.

Gentlemen :

In the early days of the Islamic Call, great numbers of people embraced Islam as they were greatly impressed by the exemplary behaviour of those who called for it. When the religion called for justice,

the people felt and enjoyed that justice through the deeds and practices of the Prophet and his Companions. The same rule applies to all missions : unless the call is supported by the example of the caller in word and deed, it cannot reach the hearts of others ; Qur'an says :

“ O ye who believe . . . Why say ye that which ye do not ?

Grievously odious is it in the sight of God that ye say that which ye do not ”.

I wish all success to this Congress you are holding in Egypt . . . the home of Arabism, of Islam and Al - Azhar.

Many Islamic Congresses have been held, so far, but congresses are not judged by the sounding resolutions they adopt unless these are supported by positive action and good example . . . Congresses should be serious gatherings that aim at establishing what is right . . . that analyse the status of Muslims and their social conditions, that study past experiences take into account the possibilities of work . . . All

evaluate these problems of the Muslims and the greater questions of the Islamic society at all levels so as to bring about the necessary interaction between scientific research and practical life. The Islamic theories must not be isolated from actual life and confined to Muslim scholars only, so that the Muslim World can find its intellectual needs, can solve its vital problems, free itself from the stagnation of literal interpretation, bind Muslims on a well established basis as well as prepare Islamic leaderships in all channels of life and in communities capable of functioning and fulfilling their purpose on an international level, thus expanding the Call to the word of God and the teachings of Islam.

Honourable Gentlemen :

We are starting a new session which is in fact, but a continuation of the first one. During this session you will continue the study to clarify the meaning of the essence of creed as expounded in the Quran, and point out its outstanding features and the way to protect it from distorted reasoning and atheistic trends ; also to explain the divine commandments as applied to the innovated processes in bank dealings, insurance and investment. This is to be done to protect transactions among Muslims from either

stagnating or deviating from the right path. We are gathered here to study topics concerning the family and society ; to prevent weakness and division which creep into the family's structure and consequently devastate society by loosening its binding factors. Some of the researches require a liberal tackling, certain problems demand solutions.

Gentlemen :

Our present plan of work will be identical with that of the preceding session. It will be carried out on two stages ; the first starts today and ends on the twenty second inst., the members will participate by considering the treatises on the Zakat (legal taxes) bank dealings, investment, insurance, education and youth guidance. The second stage will continue to the end of the fourth week following inaugural meeting, the work of this session will be carried out by the Academy members only.

Merely stating the religious point of view on these questions is not enough. We must give precedence to defining the methods of study and adoption of these methods, so that resolutions and recommendations of the Congress would become the working plan for the Islamic society and the object of its serious study and consideration.

" Work, God sees your work, and His Prophet and the Believers".

May God lead you to success.

broad-casting station to diffuse the voice of Islam and its teachings; to establish unified funds for the expenses needed by the Call for Islam, public benevolent projects, issuing an Islamic Encyclopædia to be used as reference on matters concerning jurisprudence "fatwas" among Muslims; to unify the date of the Islamic feasts and religious festivities by adopting the same beginning and end of the lunar months as set by astronomy, and in accordance with religious trends, etc. etc.

Gentlemen :

A year has elapsed since we held the first Congress; we have before us its fruit and blossoms. However, a years work is not to be considered as a measure of success and evaluation. I therefore state : the first Conference is a one year experiment and has given promising results. It has been an experiment in the vast horizon of thought, a means for reconstruction. In the field of planning, it has proved to be a good means to an end, in the field of work, it is a good start; in evaluation, it is but a first step on the road before us towards the realization of our goals and aspirations.

The general picture of this experiment sheds a light on a new form of conduct and new aims

through which the Academy will round up its mission and become more effective.

If the work of the Academy deals with the higher Islamic research and the study of all that pertains to creed, shari'a (legislation), religion and life, within an academic scientific frame-work, if it is interested in rules, generalities and questions of general nature, the fact remains that success depends on the search for the particulars of contemporary problems. These particulars have crept into Muslim life, along with modern social developments. The re-evaluation of daily needs, the attempts to find adequate solutions which ensure the Muslim's faith, and enable the believer to see the relation between the creed he believes in and the life he leads. In this manner, he would take a greater interest in defending his creed and religion, his feeling for brotherhood would grow stronger and make him sense the sufferings and sympathize with aspirations of fellow Muslims whatever their social standard or nationality is. Even though sufferings and aspirations have a common source and a common aim, they have, inherent in them, the characteristics typical of the communities and conditions under which they have grown. For this reason we have to find a common denominator by which to

peoples, governments and the general running of the Islamic life.

Gentlemen :

Last year saw the birth of joint serious Islamic activity, it also viewed the problems typical of various Muslim peoples and societies. The Members discussed and studied these questions and tried to find an interpretation of God's will with relation to these questions. At the closing session there was an exposition of samples of independent ideas which reflected the opinions of the Members. These opinions were formulated in the recommendations, proposals and decisions which embody an all-rounded plan for future work and new regulations for the required new mode of living and events.

Since it is considered that the mention of God's blessings is one of the ways of expressing our gratitude to Him, I hereby take the opportunity to say : the work of the Academy of Islamic Research and the 1st Congress sessions were most successful, thanks to God's guidance and to the efforts exerted by the honourable scholars either by organizing the work of the Congress, or in their scientific approach or tackle things, or in the means adopted. The results of these

efforts, with relation to countries abroad, led, among other things, to the following : it called the attention of Muslims to the scientific planning organ, for which organ they have long been waiting, in as much as it is a link that brings them together through a common creed, mosque and aim; since it renews in them the necessity of studying their contemporary life - within the framework of the religion in which they believe, away from sectarianism, fanaticism, prejudice, or false courtesy; since it solves their problems within a liberal scientific framework and strengthens their hope in a dignified future.

Hence the many insistent demands to participate in the work of the Congress, attend the meetings held by its committees-either as members, or observers; hence the sweeping waves of Islamic problems that require solutions or advice, all of which are in need of immediate answer. Among these we may mention the following : desire to unify the educational curricula in the Islamic world, to establish branches of the Academy in all Muslim countries and make of the Academy the nucleus of an Islamic university which would normally develop into a comprehensive, unified, Islamic Federation; to establish a world

Gentlemen :

During the first Congress many a discussion took place, concerning the valuable treatises presented by the members who proved to be the worthy followers of their ancient predecessors. They showed also their determination to find definite rules for the Islamic legislation and principles so as to make them comprehensible to all Muslims, whatever, everywhere, whatever the age they live in. These set rules will define and delineate what is lawful and what is unlawful, point out the pitfalls resulting from doubt and clarify the relation between the secular and spiritual. They would also help to find solutions to the problems facing Muslims either because they are too difficult to understand, or because they are introduced by new evolving world . . . etc. These rules would trace the Muslim line of conduct clearly so that all Muslims should see, understand and behave quite easily and safely.

The "Ijtihad" as viewed in the past and the present was among the topics discussed, considering that modern life has introduced many innovations into the life of Muslims in such fields as ; economics, sociology, politics, culture, general knowledge and philosophy. "Al Talfiq" between the rulings of the Schools as a complementary legislation to the "Ijtihad", was also discussed in as much as it points

the way to oppose deviations or contradictions in Muslims' behaviour when seen in the light of Islamic law. Private property and its limitations ; definition of ownership ; financial resources and the share of the State in them ; ownership of property or public utility ; rights of the poor in the property of the rich ; all these topics were discussed in full so that Muslims should grasp the relationship between modern economics and Islam, rather than stand helplessly at the cross-roads ; thus they would be able to adopt or reject rationally such principles that are adequate or not. The international relations among Muslims, the promulgation of Islam and the manner in which to spread the Call to God's religion were also given serious consideration, stress being given to the adaptability of Islam, its broad horizon, practicability of its principles, organization of the Islamic society and its interaction with foreign societies, and the stabilization of Islamic Brotherhood.

All these studies were discussed in the first Conference; there were other studies as well which are well known to us here. I shall not list them out because we are more interested in the positive results of the studies, the impact of their practical application to Muslim life and their actual use by individuals and masses, as well as their effect on the behaviour of

Speech

By : DR. MAHMOUD HUBB ALLAH

General Secretary, Islamic Researches Academy

In the Name of God, Most Gracious, Most Merciful. We thank God for His Mercy and ask for His Guidance; may He Bless His faithful Prophet Muhammad, his people, his followers, and all those who abide by his teachings and Sunnah.

Honourable Gentlemen :

The spirit of Islam with which God has opened our hearts, lit our insight and filled with wisdom, this very spirit which has attracted the followers of the call from amongst the great scholars and thinkers and brought them together last year - from their distant homes and different countries - to meet at Al-Azhar, the house of God, the Ka'aba of knowledge and the meeting place of scholars since ages past; this very spirit has led to this year's meeting of the second Conference by the Academy of Islamic Research, in order to strengthen the sense of co-operation that was commanded by God, the attempt to serve the good that has been advocated by Islam, and to deepen the study and understanding of the religion chosen by God to lead people to a better way of living and make them worthy of becoming His successors on earth.

The Islamic nations have a cultural, social, economic and political asset which can help these nations to meet the demands of life across the ages, without borrowing anything that is alien to its Islamic identity with these assets alone, the Islamic nations are in a position to face life, to find the just and workable solutions to the various problems. The Islamic legislation, in all the walks of life, is, by its very nature - which is deep, genuine and variations and its close connection with events and facts - a challenge to the strongest of reformation movements which have stood their ground in face of human evolution. Islamic legislation is literal characterized by an alert conscience that stands over and above the literal application of the law, thus giving to the individual the supervision of the law, and its application. This is the element that has given to the Islamic legislation its everlasting effectiveness.

A year ago the Academy of Islamic Research was established, thus marking the first milestone of a great project that ties up the Muslim's past to their present, paves the road before them towards a radiant future, unifies them in word and heart and leads them to a way of living as prescribed by Islam.

Speech

Delivered By :

SHEIKH 'ABDALLAH GHOSHAKH

Chief justice of Jordan,

on Behalf of the Delegations to the Second Conference

Praise be to God, may He forgive and help us; and Blessings upon God's Messenger.

The Vice-President of the U.A.R. Honourable guests, God's blessings upon you.

It is but a gracious and blessed day on which a great Islamic gathering, comprising a large number of Muslim scholars who have come from various Islamic countries should be held here in response to the invitation extended by the Reverend Great Imam, the grand sheikh of Al-Azhar and President of the Academy of Islamic Research, to attend the second Congress of the Academy.

It is a generous invitation worthy of esteem and consideration; so for myself and on behalf of the fellowmembers of the Congress, I feel I must extend the deepest of thanks and gratitude to the great leader, His Excellency President Gamal Abdul Nasser, for kindly putting this Congress under his auspices and for showing such interest as to imbue it with strength and prestige. Again in the name of my fellow Congressmen, I extend the most sincere thanks to the Reverend Great Imam and to the Academy of Islamic Research, for giving us the opportunity of meeting together.

Gentlemen :

Islam requires of Muslims all over the earth, whatever the distance

between them, whatever their nationality, language, race of colour, to stand united as one nation, closely tied, morally strong, dignified, bearing the same duties and enjoying the same rights, helping one another to serve what is good and fight evil; a nation that sets up its regulations and legislations in conformity with the Holy Quran and the teachings of God's Prophet.

It is a successful step and a wise one to have established the Academy of Islamic Research whose members are eminent scholars from various countries, their task being to consider the problems that Muslims are facing at present, which have arisen of late, and to establish clear-cut rules, that will clearly expound God's rules as regards such questions.

Gentlemen :

Your responsibility is quite serious, but it is a glorious and noble mission, so go ahead with God's help. Clear the path of truth and wisdom for all Muslims; rely upon God in your effort to realize your praiseworthy aims.

Before closing, I would like to extend the sincerest thanks to the host government, its people, and above all, to President Gamal Abdul Nasser, for their generous hospitality and care.

God's peace be upon you, His blessings and mercy.

Being keen to bring together all points of view and unify the laws, the Muslim regions have sent the elite of their scholars as representatives to secure a collective and mutual understanding of all problems of life and finding the legal solutions for all the problems facing different communities.

Gentlemen :

We shoulder a most serious responsibility and ask God's help to achieve our duty to prove that Islam is valid for all times and places ; also to put an end to the infiltrations of intruders who try to penetrate into the Islamic fold with their imported principles and sugar-coated theories. All we have to do is to have a sense of purpose, study deeply, carry our researches honestly, and absorb new experiences carefully so as to face the new developments in our life, armed with a religion that shakes us out of stagnation and guards us against deviating from the right path.

The valuable researches that have been submitted and considered during the previous Congress have been rich with variety, novelty, fact-finding, and vitality as to prove that you are trust worthy,

and assure non-muslims that Islam has a great store of heavenly wealth which becomes more glittering when looked for insistently when exposed in a proper manner and is applied firmly and generously.

May God lead us and guide our steps : All that we know is a gift, from God the Wisest, the Most Merciful.

May God help us to be just in our dealings whether we rule or are ruled and " show us the straight path of those whom Thou hast favoured ; not (the path) of those who earn Thine anger, nor those who go astray ".

Gentlemen :

Before I conclude, let me greet on your behalf and mine, His Excellency President Gamal 'Abdel Nasser President of the U.A.R. and express our deepest gratitude for kindly having this Congress under his auspices. I thank him also for deputizing Al-Sayyed Hussein Al-Shafe'i at the inaugural reception. Again, I should like to thank all those who have kindly accepted our invitation. May you all be successful !!

May God's blessings be upon you.

Speech

By : The Grand Sheikh of Al-Azhar,

H. E. HASSAN AL-MAMOUN

In the Name of God, I open the second conference of the Islamic Researches Academy. On behalf of Al-Azhar — the institution of all Muslims — I greet you, pioneers of Islamic thought and leaders of scientific research ; may God bless you. We thank Him for gathering us here, under the banner of the Qur'an and the teachings of the Prophet, may God's blessings and peace be upon him.

Honourable Members of the Congress, when I welcome you to the United Arab Republic, I am only expressing the feelings of Muslims all over the world ; their joyful expectations of reaping the fruit of this Congress.

The Muslims who have long suffered from the barriers and boundaries that colonization has erected to separate them, and from the stagnation and dissipation it has spread amongst them, have been able, with the help of God sent leaders and the revolutions they have kindled, to take the lead in their own affairs, and they have become able to choose and reject

freely. They are according to their needs now in a position to fulfil their ambitious projects under the guidance of God.

The responsible authorities in the United Arab Republic, being aware of the need for careful planning during this period of transition, and of the required competence during this stage of new projections, aware also that our Islamic heritage holds all the elements that enable us to establish an all inclusive Islamic culture - neither eastern, nor western, they set to the task of reforming Al-Azhar so that it could play its leading role during this Islamic revival. The Academy of Islamic Research was established, with a permanent, council and an international Congress is being held annually, which brings together the elite of Muslim scholars, who represent all international cultures, who, in addition to their superior qualities sound judgement, are known for their subtle research, religious enthusiasm complete awareness of all the needs of contemporary life in the form of principles of legislations.

cessary for the spread of Islam, and its defence and the planning necessary for carrying out these duties and also the pooling of resources. This is a matter of utmost importance demanded by contemporary Muslim life”.

Just a few days ago, the second conference of the Academy was held on the banks of the Nile of ‘Amr-bin-Al-‘As, under the auspices of the

great Al-Azhar and the patronage of the president Jamal Abdul Nasser. This is an echo of the first conference which created hopes and kindled courage. Both these conferences connected the bonds that were broken and awakened the Muslim scholars to a new life of unity and solidarity and provided them an opportunity to exchange views on various problems facing the Muslim world.

The Second Conference of the Academy

THE INAUGURAL SESSION AND SPEECHES

The inaugural session of the second conference of the Islamic researches Academy was held in the conference hall of the Cairo Governorate on Thursday May 13, 1965. The inaugural session was attended by a large number of cabinet ministers, Ambassadors, Rectors, Deans and professors of universities and representatives of Islamic centres and societies from 40 countries all over the world.

Among the countries, that participated in the conference included Iraq, Yemen, Kuwait, Afghanistan, Pakistan, India, Indonesia, Ceylon, Philippine, Malaysia, Jordan, Soviet-Union, Japan, Gaza, Libia, Algeria, Sudan, Somalia, Nigeria, Mauritania, Senegal, Sierraleone, Togo, Uganda Kenya and Morocco.

The deliberations commenced with the recitation of the Holy Quran.

The grand sheikh of Al-Azhar H. E. Hassan Al-Mamoon delivered the inaugural address. Then the shiekh Abdullah Ghoshah, the chief Justice of Jordan addressed the conference on behalf of the delegations. Dr. Malmoud Hubb Allah, Secretary General of the Islamic Researches Academy, then reviewed the important role of the first conference in the aims of Academy and he explained the tasks and issues, which were, before the second conference for discussion.

Mr. Hussein Al-Shaf’ei, Vice-President of U.A.R. delivered a speech. He welcomed the deligates participating in the conference on behalf of president Jamal Abdul Nasser. The session ended with the recitation of the Holy Quran

Following are the textes of the spechs delivered in the inaugural session of the conference :

and acceptable to all those that dwell under the sun. It is but natural for such a universal message to adopt itself to the varying conditions of life. Since its inception, fourteen hundred years ago, Islam has been a living force, grappling with every new situation that arose and solving every new problem that it faced. But, unfortunately, during past few centuries of Muslim downfall, mental inertia, deterioration in educational standards, lack of patronage of scholars, and on the other side, the ever-growing inventions and discoveries in the fields of science and technology that commenced from the dawn of this century, created a hiatus between Islam and the modern life. It was in the fitness of things that Al-Azhar came forward to take up the task of rejuvenating Islamic culture and bridging the gap that has been growing between Islam and the modern thought, and Al-Azhar felt the need to bring about a harmony between Islam and the modern life was never greater than it is now.

The Islamic Researches Academy was established in 1961, under the auspices of Al-Azhar to serve as the highest body for Islamic Research. This Academy undertakes the study of all that pertains to Islamic heritage, and works on international level towards the rejuvenation of the Muslim culture, its purging from accretions, and presentation in its true element, while facilitating knowledge of and acquaintance with it

at all levels and in all climes. It also aims at following up all that is published by Muslims and non-Muslims alike about Islam and its legacy to benefit from what is right in it, and to repute and rectify what is wrong. This academy is an international body, comprises a select number of scholars with profound knowledge of Islam and its heritage.

The first conference of this Academy was held on Shawwal 22, 1383 (March, 1964) in Cairo, capital of U.A.R. and the seat of Al-Azhar. It was the cherished hope of Muslims all over the world that such a conference of international character be held to realise the aspiration of sincere Muslims for the establishment of intellectual and cultural contact among the Muslim scholars from all over the world. It was a dream came true. This conference has given them a forum to meet and an opportunity to share each other's views.

The first conference of the Academy in a statement, announced ; " The conference resolves that the present condition of the Muslims imposes a duty on the Academy to explore ways and means of unifying Muslims of all countries so that they may form a united front co-operating individually and collectively in virtue and peity and working together for their own benefit and that of humanity. It also resolves that the Academy should equip itself as early as possible with all the means ne-

message and the services of this great international seat of learning in his inaugural speech of academic year of the University this year.

He said :

“ The object of Al-Azhar, in its long history, was only to be a circle in the sphere of calling to Allah and spreading the message of Islam.

Al-Azhar has carried the Faith of Islam, in its simplicity, moderation and easiness. It has, by this Faith, paved for the people the way of spiritual tranquility and stability, and has taken away from their shoulders the burdens of perplexity, anxiety and restlessness.

The Faith of Islam, in its simplicity, moderation and easiness, can be summed up as : that this universe has one God, Who have no partner, and His will in reforming, in making people happy and in elevating, is attached with a great messenger, the prophet Muhammad, may prayers and God's peace be showered upon him, who is the essence of all prophets and messengers.

The Second point can be summed up in the following : Al-Azhar, in communicating the message of the apostle, may peace be upon him, was always calling people to make themselves free from their tempts and passions so that they may liberate themselves from their conquerors and enslavers.

A great number of forces has

gathered round it (Al-Azhar) every where, carrying the banner of real freedom which assumes that slavery to any one except God is unbearable burden, so let the humanity be liberated from all other kinds of slavery and to make it only for Allah, Lord of the worlds. Because all people are equal and there is no superiority for Arabs on non-Arabs, except by virtue. In this way, Al-Azhar was, by a direct or an indirect way, a strong impulse in the human society to set the slaves free and to help them to regain their human dignity in many fields in the far and near world sphere.

The third point, the glorious Al-Azhar was always calling people not to despise fanaticisms of colour and race because all people came from Adam and Adam was from dust. If one wants to be distinct, he has to be so by his good deeds and the great services he renders to the humanity.

In this way Al-Azhar, has rendered to this human society, many good things which encircle a round the helping of principles, regardless destinies of races and colours. Al-Azhar has done to all people various services and taken out many people from darkness to light and led them to the path of goodness, it has also, raised the dead alive, and made the slaves free in the broad meaning of world sphere”.

Islam is a complete system of life suited to all times and climes

SPECIAL ISSUE

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYYAT

MUHARRAM
1385

ENGLISH SECTION

EDITED BY :
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

M A Y
1965

AL - AZHAR

AND

The Islamic Researches Academy

By : A. M. Mohiaddin Alwaye

Al-Azhar, since it was founded ten centuries ago, has kept the torch of Islamic faith and sciences burning. It has been stimulating faith through knowledge and it has kept alive learning by study and research with perseverance, patience, deliberations and endurance. It has been working hard to create hopes and to kindle courage in the hearts of Muslim scholars, as it has been trying to connect the bonds of Muslim society that were broken, and to awaken the humanity to a new life of amity and solidarity. This great and glorious seat of learning was first housed in the mosque and remained so far many centuries. This fact is a proof that in Islam worship and learning go hand in glove with each other and

that Islam knows no conflict between religion and learning. From the very beginning, Al-Azhar has remained an international seat of knowledge. It has welcomed students from all parts of the world in the past, as it does now. These students, coming from different countries and speaking different languages' have always met in harmony and unity, studying, discussing and arguing in a purely academic spirit. There is hardly any country in the world where the alumni of this great University are not found sharing with others the wisdom they have acquired at Al-Azhar.

The Rector of the Al-Azhar University, H.E. Shaikh Ahmad Hassan Al-Baqouri has summarized the

مَجَلَّةُ الْأَزْهَرِ

مجلة شهرية جامعية

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت: ٩٠٥٩٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
«بدل الاشتراك»
٤٠ في المبرورة العربية المتحدة
٥٠ ضاحج المبرورية
وللمدرسين الطلاب تخفيض خاص

تصدر عن شيخنا الأزهر في أول كل شهر جمادى

الجزء الثاني والثالث - السنة السابعة والثلاثون - جمادى الأولى سنة ١٣٨٥ هـ - سبتمبر ١٩٦٥ م

ح ١٢
ع ٢٩٢٦
د و ب ك

لِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رأى الإسلام في جرائم "الارخوان"
للإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون

بالحسنى ، ويدعو إلى الله على بصيرة بالحكمة
والموعظة الحسنة ، وهذا المنهج القويم عاشه الأزهر
كما عاش الإسلام في مناعة من صنع الله يهزان
بالأحداث وبسخران من المكائد ، يضعف
المسلمون ولا يضعفان ، وتنسكب دولهم ولا يغلبان .
ولكن أعداء الإسلام - حين هز عليهم الوقوف
أمامه حارلوا بحرب الإسلام - باسم الإسلام ،
فاصطنعوا الأغرار من دماء المسلمين ، ونفخوا
في صفار الأحلام بمرور القول ومعسول الأمل ،
وألفوا لهم مسرحيات يخرجها الكفر لتمثيل
الإيمان ، وأمدهم بإمكانات الفتك وأدوات
التدمير ، ولكن الله قد لطف بمصر ودارها

أيها المسلمون : إن الأزهر الذى عاش عمره
الطويل لفقه الإسلام والتعريف به ، ومدارسه
القرآن والاستعداد منه ، وورود الحديث الشريف
والصدور عنه ، قد شرفه الله بثقة المسلمين جميعا فيه
فانتمنوه على عقائدهم ، وحكموه فى كل ما يعين لهم
من أفضية الحياة ومحدثات العصور ، ولقد كرم
المسلمون شرف مهمته وإخلاص نيته ، فضموه
إلى مقدسات الإسلام .

ولم يبلغ الأزهر هذه المنزلة من التاريخ ومن
الناس إلا لأنه تمشى مع طبيعة الإسلام حقا
لا إكراه عليه ، ووضوحا لا خفاء فيه ، وصراحة
تبين لها ، وتطابقا لا ابتعاد عليه ، يجادل



إلى التردد فإنهم بذلك يدخلون على الإسلام ما ليس منه ويحاولون أن يجعلوا لمنظمتهم قداسة ، حتى يستولوا على صفار العقول وهواة التحكم والسلطة .

ولأن الإسلام ، الذي يتجرون باسمه ، يصون حرمة المسلم في دمه وماله وعرضه ؛ فقد قال الرسول

صلى الله عليه وسلم : لا يجل دم مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث :

الثيب الزاني ، والنفس بالفسس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة . وصح عنه أيضا أنه قال في حجة

الوداع : أى يوم هذا؟ قلنا : الله ورسوله أعلم؛ فسكت ثم قال : أليس يوم النحر؟ قلنا : بلى يا رسول الله .

قال : فإن دماءكم وأموالكم وأهراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا .

وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم فلا ترجعون بعدى كفاراً أرضالا يضرب بعضهم رقاب بعض .

ألا فليبلغ الشاهد الغائب ، فلعن بعض من يبلغه

يسكون أوعى له من بعض من يسمعه ، ثم قال : ألا هل بلغت؟

وصح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من حمل علينا السلاح فليس منا ،

ومن غشنا فليس منا - وإذا ثبت هذا في اغتيال النفس الواحدة فما بالك باغتيال الجماعات البريئة

وترويع الآمنين الوداعين؟ وإذا كان مال المسلم على المسلم حراما ، فما بالك بالاعتداء على المال العام

والمصالح المشتركة ، والمرافق الحيوية التي يحيا بها الوطن وتعيش عليها الأمة .

وأنى لأعجب أشد العجب من يدعى الإسلام

والغيرة عليه ، كيف يسوغ له أن يوالى أعداء الإسلام ، وأن يأخذ منهم مقومات الفتك بالمسلمين ، ويستعين بمجاهلهم على أخوة له في الدين والوطن

الإسلام أن يرتكب الإجرام باسمه ، فأمكن منهم وهتك سترهم ، وكشف سرهم ، ائطل الإسلام أكرم من أن يتجر به ، وأشف من أن يستتر فيه ، وأجل من أن يشوه بخسة غيلة ، ولوم تبليت ، ووحشية تربص ، ودفاعة انتصار .

وإن الله الذي يعلم ما تطلع به مصر من مشرليات ، وما يتجمله قاداتها من تبعات ، قد شاء

أن يذلها على أوكار الحيانة ، وكهوف الغدر ، وضغائن الدمار حتى تواجه مرحلة انطلاقها بعروبة

موحدة المهدف ، وإسلامية شريفة السلوك ، وإنسانية نبيلة المثل .

وإذا كان القائمون على أمر هذه المنظمات ، قد استطاعوا أن يشوهوا تعاليم الإسلام في أفهام

الناشئة ، واستطاعوا أن يحملوه بالمغربيات على تغيير حقائق الإسلام تغييرا ينقلها إلى الضد منه ،

وإلى النقيض من تعاليمه ، فإن الأزهر لا يسعه إلا أن يصبو هدلاهم ، ويردهم إلى الحق من مبادئ

القرآن الكريم والسنة المشرفة ، فالإسلام كما قال

عنه الرسول صلى الله عليه وسلم حين سأله عنه جبريل عليه السلام : الإسلام أن تشهد

أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن

استطعت إليه سبيلا . قال جبريل صدقت ثم قال :

فأخبرني عن الإيمان قال : أن تؤمن بالله وملائكته ورسوله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ،

قال جبريل صدقت ، ثم قال فأخبرني عن الإحسان قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه

فإنه يراك ، وهذا هو الإسلام كما بيده رسول الله ، فحين يشترط المتآمرون على الإسلام ، أن يكون المسلم منضما لجماعة خاصة تستهدف البغي وتدعو

وتأمر هؤلاء ، حتى لا تنفكس ثورتكم وتعودوا
إلى عهد النبية والإقطاع والرأسمالية .
ولا يصنعنا جميعاً إلا أن نشكر الله على نجاه
مصر من هول ما دبر لها وترويع ما أود بها .
وليسكن شكري الله حزماً نعين به الحاكين على كل
خوان أئيم .

وليام أيها المسلمون أن تتخذوا بكلمة حق
يراد بها باطل ، فدينكم واضح لا إلغاز فيه -
شريف لا همس به ، فني أسر به لا ليكم فقد خدكم ،
ومن تخفي في إعلامكم به فقد استحمقكم .

وإن الأزهر الشريف كلياته ومعاهده ووسائل
إعلامه يلقتكم هقمة الدين كما أرادها الله ، صافية
من تعكير الضالين ، مستقيمة عن القواء المبطلين ،
تأخذ بيدكم إلى خير يجمع عليه وتفجيككم من شر غير
يختلف فيه .

فسيروا على بركة الله راشدين مهديين
وما توفيقنا إلا بالله وهو يتولى الصالحين .

مصطفى مأمور

والإنسانية ، الأسماء ما يدعون وبئس ما يفترون
- ألم يقرأوا قول الله تعالى : « ومن يتولم فمهم »
فإنه منهم . ألم يقرع سمعهم قول الله : « لا تجد
قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله
ورسوله ، ولو كانوا آبائهم أو أبناءهم أو إخوانهم
أو عشيرتهم » .

وإن عجبى ليشتهد أيضاً حين يحاول أدهياء
الإسلام أن يمحوا عليه بالإرهاب والتفريع ،
والإسلام كما أراد الله وكما طبقه رسول الله دين
الفطرة السليمة التي تبين الرشد من الغي ، فليس له
حاجة إلى إكراه أو إرهاب ، وقد صدق الله حيث
يقول : « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد
من الغي » .

أيها المسلمون :

إن الاستعمار قد بنى أن يعيش بينكم ، وأن
يتحكم في أموركم ، وأن يمتص خيراتكم ، فاصطنع
منكم فقراً ليهدوا مكابحكم ، ويضموا العراقل
في سبيل نهضتكم ، فتنهوا جيداً إلى كيد هؤلاء ،

قتل المؤمن

قال تعالى :

ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً .

صحيح البخاري — كتاب الديات

كيف مهد الأدب للشّورة وبشر بالوحدة

بقلم:

أحمد حسن الزيات

- ٣ -

وهو أرواح آبائنا وعقول أدياننا تتدفق في دماثنا
وأعصابنا فتعلنا حياة وقوة ونشراً وأملًا وعملًا
وحرية وعزة .

عرف كل هربي عن طريق الكلمة المكتوبة
أن له من وراء الآفاق المحجوبة إخوة يقاسمون
المحنة ويبادلونه العطف ، فقويت نفسه وانتعشت
آماله . . .

وكانت الثورة المصرية الثانية قد زلزلت
أقدام المحتل الفاعب وهزت أركان الشرق الأوسط
فحركات أنباؤها العراق قهب يقول ما قاله زعماء مصر ،
ويفعل ما فعله أبناء مصر ، ويطلب من الإنجليز
المحتلين أن يكشفوا عن بصره الغطاء ليرى ،
وأن يرفعوا عن فم الحكامة اينطاق ، وأن يعقدوا
مؤتمراً يمثل الشعب العراقي ليقرر نظام الحكم
ويختار رئيس الدولة فأبى الإنجليز عليه ذلك ،
ونفخوا من نفوا ، واهتقلوا من اهتقلوا . فثار
العراقيون عليهم ثورة الأباه الأهزة بعد أن أفتام
أنتمهم بالجهداد المسلح ، وغذام أدياؤهم بالشرع
المثير . . .

من ذلك قول السيد باقر الشيبلي :

بني يعرب لاتأمّنوا للعهدى مكرأ

خذوا حذركم منهم فقد أخذوا الحفرا

قلت في عدد مضى: إن الدول المستعمرة الغادرة ،
بما أخلفت من وعدها للحمدين ، وبما نقضت
من عهدتها للعرب ، قد وضعت أيديها بعد الحرب
العالمية الأولى على ما بقي في أيدينا من تراث محمد
باسم الوصاية أو الحماية أو الانتداب ، فأصبحت
مراكش والجزائر وتونس وسورية ولبنان في يد
فرنسا ، ومصر والسودان وفلسطين والعراق
والبحرين والكويت وعمان وعدن في يد إنجلترا ،
وليبيا بولاياتها الثلاث في يد إيطاليا . وهذا الملك
العربي العظيم كان قد آل إلى الخلافة العثمانية بعد
أن سقطت الخلافت العربية الثلاث في العراق
وفي مصر وفي الأندلس ، فما زالت هذه الدول
تنقص من أطرافه ولاية بعد ولاية وقطراً بعد قطر
حتى أتت عليه كله بمعامدة لوزان سنة ١٩٣٢ ،
فلم يمد لأبناء "عروبة بعد هذا التمزيق والتفريق
من وسيلة يتعارفون بها ، ولا من سبيل يتواصلون
عليها غير الأدب . كانت المكتب المصرية والمجلات
المصرية تتجاوز الحدود المزعومة على الرغم من رقابة المحتل
وإرادة المستعمر ، فتدخل المدارس في كل قطر ،
وتفتح البيوت في كل مدينة ، حاملة إلى الإخوة
الاشتيات نبضات الروح العام ومضات المجدد
المشرق . والأدب صلة الأول بالآخر ، ورباط
الماضي بالحاضر ، وتراث الأجداد للأحفاد .

لا خير في وطن يكون السيف هند
جبانته ، والمال هند بخيله
والرأى عند طارده ، والعلم هند
غريبه ، والحمد عند دخيله
وقوله من قصيدة أخرى ، يخاطب فيها
المرحوم أمين الريحاني :

وإذا تسأل عما
هو في بغداد كائن
فهو حكم مشرق الضر
ع غربي الملاين
وطنى الاسم سكن
لإنجليزى الشناشن
قد ملكنا كل شيء
نحن في الظاهر سكن
نحن في الباطن لا
نملك تحريكاً اساكين

ثم كان هذا الانتجاح الجزئي الذي ظفرت به
الثورة المصرية والثورة العراقية قد شجع سورية
على أن تطلب من فرنسا ما تطلبه كل أمة تعرف
أن لها وطناً لا يملك أحد غيرها أن يصرف أمره
ويقرر مصيره . ولكن الفرنسيين الذين يتبعون
بأنهم أول من نادوا ليعلموا حقوق الإنسان أبوا
أن يعترفوا للسوريين بأنهم ناس كسائر الناس لهم
وطن لا يشتركون به ، واستقلال لا يسامون عليه ،
وساطان لا ينزلون عنه . فكان من ذلك أن شبعت
الثورة السورية سنة ١٩٢٥ ولم ينطفئ لهاها
إلا بسقوط الانتداب وقيام الجمهورية
في سنة ١٩٣٢ .

وكان من الشعراء الذين حملوا الوعود لهذه
الثورة شوقي وحافظ في مصر ، والوصافي والزهاوي

يريدون فيكم بالوعود مكيدة
ويبغون إن حانت بكم فرصة غدوا
فلا يخدعكم لينهم وتذكروا
أصاليهم في الهند والكنز في مصر
ومن مات دون الحق ، والحق واضح
إذا لم ينل شغراً فقد ربح العذرا
وقول خيرى الهنداوى من نصيدة يخاطب
فيها وطنه :

أنت أذنبت ، أم بنوك ، أم
الظلام شاموا أن يغصبوك الحقوق
بيتوا أمرم بليل وجاءوك
جميعاً يتلو فريق فريقاً
حاولوا - لا أبالهم - أن يكون
الشرق كالبد مستضاماً رقيقاً
فتمضوا كالأسد في أوجه القوم
لننتجت بينهم والفوقا

وانبث الشعراء والخطباء في الثغرات وقراء
يؤلبون القياثل ، ويحمسون الكتائب ، حتى
رأى الإنجليز أن الثورة جد وأن مقاومتها هزيمة ،
فأذعنوا كعادتهم لسلطان القوة ، واستجابوا
على رغبتهم لمطالب الأمة ، ووطأوا هرش العراق
لذلك فيصل فاعتلاه في أغسطس سنة ١٩٢١ .
واستقر الأمر بعض الاستقرار ؛ ولكن الأدب
لم يستقر ، وإنما ظل متبرماً بهذا الاحتلال ملحاً
في طلب الاستقلال ساخطاً على الذين يمكنون للمحتل
بالسياسة المذبذبة والقيادة المستسلة ، يحضرنى
من ذلك قول الرصافي من قصيدة :

من أين يرجى للعراق تقدم
وسبيل مملوكيه غير سبيله

وتقتضيه الطبيعة . ولقد كانت الصحافة الأدبية المصرية أعظم الفضل في تهية النفوس لها بالتعريف والتأليف والنصح . كانت تدعو إلى الجامعة العربية لأن التمسكتل هو الدواء الذى عالجت به الطبيعة ضعف النسل والنحل وكل حيوان كتب عليه أن يعيش في جماعة . وكانت سياسة الاستعمار تدعو إلى الإقليمية ، لأن التجزؤ يسهل عليه ابتلاع العالم العربى قطعة قطعة . وكان الوطن القومى في الخمس عشرة سنة الأخيرة قد نضج وقوى فاستجاب للأدب الداعى إلى الوحدة .

ثم استقرحت قيود الاستعمار وأغلاله من جراء الحرب العالمية الثانية فقضت يد فرنسا ، ولانت يد إنجلترا ، وامتدت يد أمريكا ، وهددت يد روسيا ، وكان من أمر هذه الظروف المساعدة أن استقلت سورية ولبنان ، وأوشكت أن تستقل مصر والعراق ، ونهضت لقسفيل مراکش وتونس . وازداد النضامن والنعارن بين أمم العروبة فألست حكوماتها جامعة الدول العربية ، وجامعة الدول العربية كانت غاية لوسيلة أرق وأشق ، وستكون بإذن الله وسيلة لجامعة أتم وأعم .

نسأل الله أن يرفع للشرق رأسه المفكر وهو العرب ، وأن يحفظ للعرب قلبه النابض وهو مصر .

أحمد محمد الزيات

في العراق ، والغلايينى والحوامى في لبنان ، وطوقان وفقى الجبل في فلسطين ، والشاعر القروى وأبو الفضل الوليد في المهجر .

وهكذا نجح الأدب في إضرام النار على دول الاستعمار حتى صار لكل قطر من أهله دولة ، ولكل دولة مع أخواتها هدف . والهدف في هذه المرة كان السعى لجمع ما تبعد من الشمل ، وتوحيد ما تشتت من القوة ، حتى تكون الوحدة التى تحقق الاستقلال وقضن السيادة .

والوحدة والجماعة هما لباب العقيدة الإسلامية ؛ فالوحدة هى الأساس الذى حمل ، والجماعة هى الصرح الذى قام . كانت الوحدة هى الأساس لأنها توحيد لله وتوحيد الأمة وتوحيد للكلمة وتوحيد للسلطة وتوحيد للقبلة . وكانت الجماعة هى الصرح لأنها جمعة القلوب التى ألف بينها الله ، وجملة الشعوب التى رفع شأنها محمد .

ثم قامت سياحة الإسلام على استدامة القوة بالمحافظة على الوحدة والحرص على الجماعة . فالفرد الذى يكفر بوحدة العقيدة والأمة يقتل . والطائفة التى تبغى على جماعة المسلمين تقاتل . والصلاة إنما يعظم أمرها ويضاعف أجرها إذا أديت في جماعة . وهذه الجماعة تتكرر خمس مرات في كل يوم ، ثم تكبر في صلاة الجمعة كل أسبوع . ثم تعظم في صلاة العيدين كل عام ، ثم تضخم في أداء الحج مرة في كل عمر . فالوحدة إذن عمل توجبه العقيدة



نظرات في فقه عمر

لفضيلة الأستاذ محمد محمد المدني

- ١١ -

١ - جاء في الموطأ :

« حدثني يحيى بن مالك : أنه بلغه أن عمر ابن الخطاب قال : « لا حكرة في سوقنا . لا يعمد رجال بأيديهم فضول من أذهب إلى رزق من رزق الله نزل بساحتنا ، فيحتكرون علينا ، ولا تكن أيما جالب جلب على عمود كبده في الشتاء والصيف ؛ فذلك ضيف عمر ، فليبيع كيف شاء الله ، وليسك كيف شاء الله . »

● فعمد رضي الله عنه يمنع « الاحتكار ، وهو الذي هرب عنه « بالحصرة » فقال « لا حكرة في سوقنا . »

والمراد بالاحتكار : جمع السلع وادخارها طلباً للربح في أثمانها حين تقل من الأسواق ، ويكثر الطلب لها من الناس ، فن المعروف أن الأثمان تتبع العرض والطلب في القانون التجاري الطبيعي ؛ فكلما قل المعروف من ساحة ما ، وكثر الطلبون لهذه السلعة ؛ ارتفع ثمنها ، والعكس بالعكس ، فالاحتكار يتخني ويتدرج حتى يجمع من السوق صنفاً معيناً ، ثم يحتجزه ويحتجزه حتى يبدو أمام أهل السوق أنه قل ونذر ، فإذا كثر هليمه الطلب باعه بأزيد من سعره ، وغالى فيه كما شاء .

وعمر رضي الله عنه منع هذا وقال : « لا حكرة في سوقنا » ثم صور هذا الاحتكار بصورته حين بين أن هناك تجاراً بأيديهم فضول من الأذهاب

- جمع ذهب - أو باصطلاحنا الحاضر : فائض من المال - أى أنه أكثر من حاجتهم العادية من النقد الذي يتجرون فيه ، وهم لا يقنعون بالربح المألوف بين الناس ، فيعمدون - أى يقصدون - إلى أرزاق الناس وسلعهم التي أنزلها الله إليهم ، أى هيأها ويسرها في أسواقهم ، فيحتكرون هذه السلع عليهم ، أى يشترونها ثم يحتجزونها ويخفونها من الأسواق طمعاً في الربح الكثير حينما تتقلب الأسواق نتيجة لهذا الاحتكار .

هذا هو الجزء الأول من القانون الذي وضعه عمر .

● ولهذا القانون جزء ثان أو مادة ثانية ، وهي قوله رضي الله عنه : « وأيما جالب جلب على عمود كبده في الشتاء والصيف ؛ فذلك ضيف عمر ، فليبيع كيف شاء الله ، وليسك كيف شاء الله . »

وهو يقصد صنفاً آخر من البائعين ، وهم « الجالبون » ، أى الذين يجلبون السلع والبضائع من أماكنها ومصادرها الأصلية ، ويفقدون إلى الأسواق لبيعها .

وقد أباح لهم عمر أن يبيعوا سلعهم كما شاءوا ، وأن يسكوها - أى ينظروا بها دون بيع - كما شاءوا ، واعتبرهم ضيوفه ونزلاءه ، فخام بذلك من أن يتعرض لهم أحد ، وأمنهم على تجارتهم وأسلوبهم فيها .

في إلزام الناس بهما عن طريق السلطة التنفيذية .

٢ - وفي الموطن أيضا :

« وحديثي عن مالك ، عن يونس بن يوسف ، عن سعيد بن المسيب : أن عمر بن الخطاب مرّ بخاطب بن أبي بلتعة ، وهو يبيع زبيبا له بالسوق ، فقال له عمر بن الخطاب : إما أن تزيد في السعر ، وإما أن ترفع من سوقنا » - قال عيسى بن دينار : إن معنى ذلك أن خاطب بن أبي بلتعة كان يبيع دون سعر الناس ، فأمره عمر أن يلحق بسعر الناس أو يقوم من السوق .

وهذه لفظة أخرى من عمر ، التفت إليها قبل أهل الاقتصاد الحديث بقرون وقرون ، وهي أن بعض التجار يدخلون الأسواق يسلمهم قاصدين الإفساد وإحداث الشغب وإيذاء الناس ، فيبيعون بخمسة مثلا ما قيمته في السوق سبعة أو عشرة ، ويرعون بذلك إلى إظهار غيرهم بمظهر المغالين ، وإلى أن تبور عليهم سلعهم ، فإذا طال عليهم الأمد اضطروا إلى البيع بخسارة ، ثم قاموا من السوق مخذولين ، فيبقى به الذين أرخصوا عليهم منفردين ثم يتحكمون في الأثمان بعد ذلك كما يشاءون .

وهذه الطريقة معروفة في ههنا ، وكان أسانذتها أو شياطينها : اليهود ، فكانوا يقيمون الشركات أو المصانع ، ويستوردون أو ينتجون صنفا معينا ، ويجعلون له سعرا منخفضا ، من سائر ما يبيع به غيرهم مع جودة هذا الصنف ، ومع أنه يكلفهم في استيراده أو إنتاجه ثمنا أكبر ولكنهم يرمون إلى إفساد السوق على أصحابها ، وإلى أن تبور سلعهم ، وتسكد تجارتهم ، ويقرأكم لإنتاجهم ، فيصيدهم الخمران ، ليحلوا محلهم ، ويصحبوا سادة الأسواق في شأن هذه الصلعة بذاتها .

وقد صور بقوله « ولكن أيما جالب جلب على محمود كبده في الشتاء والصيف ، ما يعانيه الجالبون في قلب الشتاء وشدة برده ، وفي قلب الصيف وشدة حره ، من التعب والذهاب ، والسكد والتحمل في سبيل الرزق ، وأنهم يحملون سلعهم على ظهورهم ، أو ظهور دراجهم ، يحافظين عليها كل المحافظة ، حرصا على ألا تصاب في الطريق بمطب أو تلف ، كأن أحدهم يحملها على حمود كبده من شدة العناية بها ، والحرص على سلامتها .

● فإذا تأملنا هذا القانون العادل وجدناه يتلخص فيما نقول به الآن من « محاربة رأس المال المستغل ، وحماية رأس المال المعتدل » ، ثم وجدناه يقرر نظرية اقتصادية من أقوم النظريات ، حيث يعتبر : أن رأس المال إذا طغى وخرج عن وظيفته وجنح إلى العبث بأرزاق الناس وأسواقهم ، وجب تقليم أظفاره ، ورده إلى الوضع السليم الذي ينبغي أن يكون فيه ، وأن رأس المال المعتدل الذي ينضم إليه عمل العامل ، وجهد المكافح في سبيل إسعاد نفسه ، وإسعاد مجتمعه ؛ هو الذي يحق له أن يعيش في كنف المجتمع ، وفي ضيافة ولي الأمر وحمايته آمنا مطمئنا

● وهذا الفقه الاقتصادي العمري مأخوذ من هدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إذ يقول : « الجالب مرزوق ، والمحبة كرم ملعون » وقد طبقه عمر تطبيقاً عملياً تنفيذياً في صورة قانون ملزم ، أخذنا من ثناء النبي صلى الله عليه وسلم على الجالب ، وذمه للمحتكر ، فحول الثناء والذم إلى حكيمين عمليين نافذين في المجتمع بقوة القانون .

وهكذا يفعل ولي الأمر حين يحدد في الشرع لإباحة أو نهي ، فيراعى مصلحة المجتمع الفعلية

كتابه «الطرق الحسكية» - ص ٢٣٦ ، حيث يقول :
 « إن الشريك مسلط على انتزاع المشفوع فيه
 من يد المشتري بشئنه الذي ابتاعه به ، لا بزيادة
 عليه ، لأجل مصلحة التكميل لواحد ، فكيف بما
 هو أعظم من ذلك ، فإذا جوز له انتزاعه منه بالتق
 الذي وقع عليه العقد ، لا بما شاء المشتري من التق
 لأجل هذه المصلحة الجزئية ؛ فكيف إذا اضطر
 إلى ما هدد ، من طعام وشراب ولباس وآلة حرب
 وكذلك إذا اضطر الحاج - أي الحجاج لبیت الله
 الحرام - إلى ما هدد الناس من آلات السفر
 وغيرها ؛ فعلى ولي الأمر أن يجبرهم على ذلك بثمن
 المثل ، لا بما يريدونه من الثمن ... فإذا قدر أن
 قوما اضطروا إلى السكنى في بيت لإنسان لا يجدون
 سواه ، أو الزول في خان مملوك ، أو استعارة ثياب
 يستدفئون بها ، أو رضى للطحن ، أو دلو لنزع
 الماء ، أو قدر ، أو فأس ، أو غير ذلك ؛ وجب
 على صاحبه بذل ذلك بلا نزاع ، لكن : هل له أن
 يأخذ عليه أجراً ؟ فيه قولان للعلماء ، والصحيح
 أنه يجب عليه بذل ذلك مجاناً ، لما دل عليه الكتاب
 والسنة ، قال تعالى : « فويل للمصلين الذين هم من
 صلاتهم ساهون الذين هم يراون ويذنون الماهون ،
 قال ابن مسعود ، وابن عباس ، وغيرهما من
 الصحابة : هو إغارة النذر ، والدلو ، والفأس
 ونحوها ، . »

محمد محمد المدني

وكان هؤلاء اليهود ومن سار على نهجهم يدبرون
 ذلك من دراسة وثبت ، ويضجون أول الأمر
 بمئات الألوف ، ثقة بأنهم سيحصلون أضعافها
 حين ينفردون بالسوق ، بعد أن يخرجوا منها
 سـوام .

وهذا لون آخر من ألوان « رأس المال
 المستغل » - هو احتكار بصورة أخرى ، يبدأ
 بتحطيم الآخرين ، وينتهي بالانفراد بالسلعة
 والتحكم فيها .

وقد قرر عمر أن يقيم البائع المفسد من السوق
 أو أن يرفعه منه ، وهذا في عرفنا هو « شطب اسم
 التاجر من السجل التجاري » .

وسياسة عمر الاقتصادية في ذلك هي السياسة
 الراشدة المنفقة مع روح الإسلام ، ورعاية المصالح
 وإن بدا أنها مخالفة للبدا المقرر من أن الناس
 مسطرون على أموالهم ، ليس لأحد أن يأخذها
 أو شيئاً منها بغير رضاهم وطيب أنفسهم ، ولا أن
 يمنعهم من التصرف فيها كما يشاءون ، فإن هذه
 أمة عدة لها مسئوليات حكمها الصحابة ومن بعدهم
 من التابعين والفقهاء ، رعاية للمصالح ، ودفعاً
 للخرج ، وتمشياً مع ضرورات الجمهور ، ومن شاء
 أن يعرف ذلك ؛ فلينظر إلى « اتساع » الذي هو
 جبر على البيع بسعر المثل ، ولينظر إلى الشفعة
 التي هي إخراج الشيء من ملك صاحبه قهراً بشئنه
 للمصلحة الراجحة ، وليقرأ ما كتبه ابن القيم في



حرية التفكير والتعبير في الإسلام

للمؤستاذ الدكتور
على عبد الواحد وفي

الخليفة نفسه في شأن الأسرة الماسكة ومبلغ استحقاقها للخلافة .

وأما ما أثر في بعض المصور الإسلامية ، وخاصة في عصور أبي جعفر المنصور والمأمون والمعتمد من محاولات لمحاربة الآراء وإبذاء القائلين بها ، كإبذاء الإمام مالك في عصر أبي جعفر المنصور لتقريره أن أيمان المكرك غير ملزمة له ، وإبذاء الإمام أحمد بن حنبل وكثير من أئمة الإسلام في مختلف البلاد الإسلامية في عصر المأمون والمعتمد لامتثالهم عن القول بخلق القرآن ، فإن كل ذلك كان متبعاً في الغالب من اعتبارات سياسية خاصة ، وكن على كل حال انحرافاً صريحاً عن مبادئ الإسلام . وقد دونه بذلك كل من يعتد بأرائهم من أئمة المسلمين .

ويدخل في الحرية الفكرية ما يسمونه بالحرية العلمية أو حرية التفكير العلني ؛ وهي أن يكون لكل فرد الحق في تقرير ما يراه في صدد ظواهر الفلك والطبيعة والحیوان والنبات والإنسان ، والأخذ بما يهده إليه تفكيره وما يقتنع بصحته من نظريات ، والتعبير عن رأيه بمختلف وسائل التعبير .

ولا يختلف موقف الإسلام حيال هذه الحرية الفكرية الخاصة عن موقفه حيال الحرية الفكرية العامة الذي بيناه فيما سبق . فالإسلام لم يحاول مطلقاً أن يفرض نظرية علمية معينة بصدد أية

يعنون بحرية التفكير والتعبير أن يكون للإنسان الحق في أن يفكر تفكيراً مستقلاً في جميع ما يكمنه من شئون ، وما يقع تحت إدارته من ظواهر ، وأن يأخذ بما يهده إليه فهمه ، ويعبر عنه بمختلف وسائل التعبير .

وقد أقر الإسلام هذا الحق في أوسع نطاق ، ففتح كل فرد الحق في النظر والتفكير وإبذاء رأيه عن أي طريق شاء . وهى هذا المبدأ الجليل سار الرسول عليه السلام ، وسار الخلفاء الراشدون من بعده . فقد كانت حرية الرأي في عهدهم جميعاً مكفولة ومحاطة بسياج من القدسية . وباستقرار تاريخ هذه المرحلة الذهبية التي تمثل مبادئ الإسلام أصدق تمثيل لا نعره على أية محاولة من جانب أولى الأئمة للحجر على حرية الآراء . بل إن العمل بهذا المبدأ قد ظل مرعياً في عهد بنى أمية وصندور بنى العباس . فسا كان الخلفاء في هذين العصرين ليحاربوا إلا الآراء التي يعتقدون أنها تهدد سلامة الدولة أو تفسد الفتنة بين الناس . وكان هؤلاء وأولئك يستوحون ما يسيرون عليه في هذا الصدد من روح الإسلام ومبادئه . بل إن احترام بعض الخلفاء لحرية الرأي في عصر بنى أمية والعباس قد وصل إلى حد جعلهم يتحرجون من وضع أى قيد في هذا السبيل ، فقد كان الناس في عهد عمر ابن عبد العزيز ، والمأمون بن هارون الرشيد وغيرهما يتناقشون بكامل الحرية وفي حضرة

الأبصار،^(١) ويقول : « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم واللغاتكم ؛ إن في ذلك لآيات للعالمين . ومن آياته صناكم بالليل والنهار وابتغاكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ، »^(٢) . ويقول : « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ؟ وإلى السماء كيف رفعت ؟ وإلى الجبال كيف نصبت ؟ وإلى الأرض كيف سطحت ، »^(٣) .

وهكذا نرى توجيه الله تعالى قد طوف بنا في جميع أنحاء الكون : سمائه وأرضه ؛ حيه وميته ؛ حيوانه ونباته وإسمائه ، لا شيء إلا ليبحث العقول على المنطق والتدبر في هذه الظواهر واستقبات القوانين العامة الدقيقة التي تحكمها وتسير بمقتضاها ، ولنتخذ من ذلك دليلا على قدرته وحسن صنعه . « صنع الله الذي أتقن كل شيء » .

وفي جميع هذه الآيات وما إليها التي يذخر بها الكتاب الكريم لا نشتم أية وانحة لفرض نظرية علمية معينة ، ولم يقصد القرآن بالتوجيهات الواردة فيها إلا ما ذكرناه من حث العقول على النظر في محتويات الكون ؛ ثم ترك بعد ذلك لكل فرد كامل الحرية في تقدير ما يراه والانتصار له واعتناق ما يقتنع بصحته من نظريات .

ولا أدل على ذلك من أن القرآن في إجابته على سؤال وجه إلى الرسول من مراحل القمر وأبواب تزايد قرصه ونقصه ، وقد تماشى أن يدخل في تفاصيل هذه الأمور والفلكية وقوانينها حتى لا يفرض نظرية علمية على العقول كما فعلت

ظاهرة من هذه الظواهر ، ولم يعرض القرآن ولا السنة الشريفة لتفاصيل هذه الأمور . وكل ما فعله القرآن في هذه الناحية أنه استحث العقول على النظر في ظواهر الكون ، وحفز الناس على التأمل في هذه الشؤون ، واستنباط قوانينها العامة ، وأثار في نفوسهم حب الاستطلاع حيال الأمور التي لا تأثير الانقباض بطبيعتها ، لتكرر حدوثها ، وسيرها على وتيرة واحدة ، وإيلاف الناس النظر إليها ، كمشيئة الليل والنهار ، والشمس والقمر والكواكب ، وتتابع الفصول ، وتناسل الحيوان ، وتكاثر النبات ، وطفو بعض الأجسام على الماء ، ونزول المطر ... وما إلى ذلك من مسائل العلوم والمنون ؛ فبين لهم أن هذه الأمور جديرة بالتأمل ، وأن فيها بحالا كبيرا للنظر والعبرة والبحث العننى .

وفي هذا يقول الله تعالى : « أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ؟ »^(١) . ويقول : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتحريف الرياح والسحاب المدخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ، »^(٢) . ويقول : « ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء ؛ يكاد سنابره يذهب بالأبصار . يقرب الله الليل والنهار ؛ إن في ذلك لعبرة لأولئك

(١) آيتي ٤٣ ، ٤٤ من -سورة النور .

(٢) آيتي ٢٢ ، ٢٣ من سورة الروم .

(٣) آيات ١٧ - ٢٠ من سورة الفاتحة .

(١) آية ١٨٥ من سورة الأعراف .

(٢) آية ١٦٤ من سورة البقرة .

ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فإنى
إن أكذب على الله عز وجل ، وفى رواية رافع
ابن خديج : « إنما أنا بشر : إذا أمرتكم بشئ
من أمر دينكم فخذوا به ؛ وإذا أمرتكم بشئ من
أمرى فإنما أنا بشر ، وفى رواية عائشة : « أنتم
أعلم بأمر دنياكم » (١)

ومن هنا تظهر لنا بشاعة الجنابة الكبرى التى
جناها بعض من أقبحوا أنفسهم فى الدورات
الإسلامية إذ يحاولون أن يفسروا بعض آيات
القرآن تفسيراً يجعلها منطوية على النظريات العلمية
الحديثة ، ويسيدون بذلك أبلغ إساءة - من حيث
لا يدعون - إلى الإسلام والقرآن من عدة وجوه .
١ - فهم أولاً يتعسفون كل التعسف
فى تفسير آيات الكتاب الكريم ، وتحميلها
مالاتهم من المعانى ، وما لم يفهمه العرب منها
ولا يمكن أن يفهمه منها مسلم باللغة العربية
وأما إياها فى الببان حتى يتاح لهم أن يقرروا أن
القرآن قد سبق البحوث الحديثة بما قالت به من
نظريات ، وما اكتشفته من قوانين ، أو قد تنبأ
بما عسى أن تنتهى إليه من نتائج .

والأمثلة على ذلك تجل عن الحصر فيما يخرج
هؤلاء من كتب وما ينشرونه من مقالات .

فمن ذلك مثلاً ما يقوله أحدهم فى فصل عقده
فى كتابه عن « وحدة الخلق » ، إذ يفسر قوله تعالى :
« هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها
زوجاً ليسكن إليها » بأن النفس هى البروتون

(١) انظر تفصيلاً لذلك فى شرح النووى على مسلم
وفى رسالة التوحيد للإمام محمد عبده وتلخيص السيد رشيد
رضا فى هذه الرسالة على هذا الموضوع ، وفى مقال لنا
فى عدد أكتوبر ١٩٦٣ فى مجلة منبر الإسلام
صفوانه « حديث تأبير الفعل وما يرشد إليه » .

الكاثوليكية المنحرفة من قبله ، وحتى لا يحجر
على الأذهان النظر فى هذه الأمور ، واكتفى بأن
يذكر بعض فوائد القمر ، وأنه يحدد مواقيت
الشهور والأيام التى تؤدى فيها شعائر الحج .
فى هذا يقول الله تعالى : « يسألونك عن الأهلة
قل هى مواقيت للناس والحج » (١) ، فكأنه يقول
لهم ، يمكن أن تعملوا فيما يتعلق بمسألة الأهلة
بشئون الدين أنها مواقيت للناس فى الشهور والصيام
وشعائر الحج ، أما ما وراء ذلك من أسباب تزايد
قرص القمر وتناقصه وخسوفه أحياناً أو حجب
عن النظر وهلاكه بالشمس وبالأرض ، أما هذه
الأمور وما إليها ، فأترك لعقولكم كامل الحرية
فى بحثها والاهتمام إلى كنهها وأسبابها .

ولا أدل على ذلك أيضاً من أن الرسول عليه
السلام حينما أشار على بعض الناس بعدم تأبير
النخل ، أى تلقيح إناثها بطلع ذكورها ، ثم تبين
أن ذلك يؤدى إلى عدم إثمارها ، ذكر أنه إنما
تحدث فى ذلك برأيه الخاص ، وأن رأيه الخاص
عرضة للخطأ والصواب ، وأن هذا الحكم يرمى
على كل ما يتحدث عنه من أمور الدنيا ، وأن للناس
الحق فى البحث فى أمور دينهم وعلاجهم على الوجه
الذى تهديهم إليه تجاربهم وأفكارهم ، وأنهم قد
يكونون أعلم ببعضها من الرسول نفسه ، وأن
الأمور التى كلف تبليغها إلى الناس من قبل الله وهى
التي لا يمكن أن يتطرق إليها الشك مقصورة على
شئون الدين عقائده وشرائعه . وانص هذا الحديث
كما أخرجه مسلم فى صحيحه عن موسى بن طلحة عن
أبيه مرفوعاً : « إن كان ذلك ينفعهم فليصنعوه .
فإنى إنما ظننت ظناً ، فلا تؤاخذونى بالظن » .

الفضاء وما تحمله من دواب . وفي ذلك يقول :
 « أطلقت روسيا أجهزة علمية سميت بالاقمار
 الصناعية تدور حول الأرض .. وأتبعها أجهزة
 أخرى تحمل نوعاً من الكائنات الحية لتدرس تأثير
 الانطلاق والارتفاع والإشعاع والضوء والجاذبية .. »

وهذه الاقمار التي خرجت من الأرض ، في الوقت
 الذي انتشر فيه الإلحاد لتتحدث مما في السكون
 الغامض ، وتزيح بعضاً من هذا الغموض ...
 ألا يمكن أن تكون هذه هي الدابة التي تنبأ بها
 القرآن الكريم في سورة النحل (صوابه في سورة
 النمل) في الآية ٨٢ التي تقول : « وإذا وقع القول
 عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس
 كانوا بآياتنا لا يوقنون » (ص ١٨٧ ، ١٩٠
 من الكتاب نفسه) - ولعله يزعم أن الكتابة
 « لا يكا » التي وضعها الروس في أرل تجربة لسفن
 الفضاء قبل أن يضعوا فيها أناس من البشر قد
 تكلمت باللغة الكلاب في أثناء دوراتها حول الأرض
 فنتعت على الأدمين عدم إيمانهم بآيات الله !!

ومن ذلك أيضاً ما يقوله المؤلف نفسه في فصل
 عقده في كتابه السابق عن « الغناء الأحمى » ،
 إذ يفسر الغناء الأحمى في قوله تعالى : « والذي
 أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى » (آيتي ٤ ، ٥
 من سورة الأعلى) بأن المقصود منه الفجح الحجري
 وفي ذلك يقول : « لبثت هذه السكتل الضخمة
 من الأشجار والنباتات . مطمورة في باطن الأرض
 سنين عديدة حتى اكتشفها الإنسان واستعملها
 وقوداً سماء فخا . أليس ذلك ما يقول به القرآن
 إذ أن الله هو الذي أخرج المرعى ثم جعله غثاء
 أحوى » (٧٧ من الكتاب نفسه) - فكأن الله
 تعالى قد من على الناس في القرن السابع الميلادي

وأن زوجها هو الأليكترون ، وهما العنصران
 اللذان تتألف منهما الذرة . وفي ذلك يقول بعد
 كلام كثير عن الجسيمات التي تتألف منها الذرة :
 « وهذه الحقيقة العلمية التي يقيه بها العصر الحديث
 قد جاء بها القرآن الكريم منذ ١٤٠٠ سنة في صراحة
 ووضوح إذ تقرر الآية ١٨٩ من سورة الأعراف
 أن كل ما خلق الله إنما خلقه من نفس واحدة
 وجعل منها زوجها ، .. أليست هذه هي البروتونات
 والأليكترونات ... الكهارب الواحدة موجبة
 وسالبة ، أي النفس الواحدة .. الزوجية الجنس
 بين موجب وسالب ؟ » (ص ١٣٦ من كتاب
 القرآن والعلم الحديث ، لعبد الرازق نوفل) ،
 ومن الغريب أنه كان يكنى هذا الكاتب لاتقاء
 تحبطه هذا وتفسفه في تفسير الآية الكريمة
 أن يقرأها كاملة ويتأمل معناها إذ تقول « هو الذي
 خلقكم من نفس واحدة ، وجعل منها زوجها ليسكن
 إليها ، فلما نفشاها حملت حملاً خفيفاً فرث به ، فلما
 أنقلت دعوا الله ربهما أن آتيتنا صالحاً لنسكون
 من الشاكرين » . أو لعله كان يقول حينئذ في تفسير
 أواخرها ليتسق معناها مع ما ذهب إليه في تفسير
 أوائلها « إن الأليكترون قد نفشى البروتون
 فحملت منه حملاً خفيفاً ثم تضخم هذا الحمل حتى
 انفجر في قنبلة هيدروجينية » .

ومن ذلك أيضاً ما يقوله المؤلف نفسه في فصل
 عقده في كتابه السابق ذكره عن « الاقمار الصناعية
 وغزو الفضاء » إذ يفسر قوله تعالى : « وإذا وقع
 القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم
 أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » (آية ٨٢
 من سورة النمل لا من سورة النحل كما ذكر في كتابه)
 فيزعم أن الآية تشير إلى الاقمار الصناعية وصفن

ولا أدري كيف استطاع صاحب هذا الكتاب أن ينتزع تقريرا وثنا ضخما على ما جاء به من مفتي الجمهورية حينئذ ، وهو الآن الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، ومن عميد كلية الشريعة في الوقت الذي ظهر فيه مؤلفه (انظر هذا التقرير وهذا الثناء في صفحتي ١٩٧ ، ١٩٩ في نهاية هذا الكتاب) .

٢ - ولا يقصر الأمر على تعسف هؤلاء في تفسير آيات الذكر الحكيم وتحميلها من المعاني ما لا تحتل ، بل إنهم كذلك بمسلكهم هذا يعرضون كلام الله للكذب والتكذيب ؛ تعالت كلمات الله عن ذلك علوا كبيرا ، وذلك أن النظريات العلمية ليست ثابتة ، ولم تقل الكلمة النهائية فيما تعالج من ظواهر ، وقد تظهر كشوف أخرى تبين عن خطئها أو عن نقصها ، فإذا فسر كتاب الله على وجه يتفق مع نظريات حاضرة ، ثم ظهر عدم صحتها فيما بعد ، فإن هذا يهدو إلى تكذيب كتاب الله ، أو على الأقل زهرة نفة الناس بحقائقه .

٣ - وهم بذلك أيضا يصمون الإسلام بوصة هو منها براء ، إذ يحاولون بذلك أن يظهر أن القرآن بمظهر كتاب يقرر النظريات العلمية على أنها عقائد دينية نزل بها الوحي الأمين من قبل الله تعالى وهذا مخالف لانجاء الإسلام وروحه ، ولما يحث عليه القرآن من التأمل في ظواهر الكون واستنباط قوانينها العامة ، ولما يقرره من بادية سامية تتعلق بحرية التفكير والتعبير .

دكتور علي عبد الواسع وافي

بتطور جيولوجي لم يكونوا قد عرفوه بعد ، ولا يستطيعون فهمه من عبارة الآية ١ .

ومن ذلك أيضا ما يقوله المؤلف نفسه في فصل دقده في كتابه السابق عن انشقاق القمر إذ يفسر قوله تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر » فيقول : « إن القمر يقترب من الأرض ، وهذا الاقتراب وإن كان يسير حثيثا (يريد أن يقول بطيئا ، لجاء بكلمة تفيد ضد المعنى الذي يريد) ... ألا أنه بتوالي العصور سيجعل القمر يقترب من منطقة تفوق الجاذبية منها تلك التي تجعله على بعده من الأرض الذي يحفظه ... وإن أول علامة على دخول منطقة الخطر هو حدوث زلازل مدبرة في القمر ... حتى يصل الحال ... إلى زلزلة عنيفة دائمة تسبب انشقاقه ، وإذا انشق وتهاوى مكونا طبقات حول الأرض كما في زحل أفلا يؤثر ذلك في جاذبية كواكب وأجرام أخرى تمسكها جاذبية القمر نفسه ؟ .. فهلا يكون ذلك دليلا على قيام الساعة ؟ .. ويكون انشقاق القمر بذلك دليلا على اقترابها ؟ أولا يكون القرآن قد سبق العلم بذلك بعدة قرون ؟ أولا يلقى ذلك بضوء على تفسير الآية الأولى من سورة القمر التي تقول : « اقتربت الساعة وانشق القمر » ؟ (١ . هـ . بعبارة الركيكة من صفحة ١٦٠ من الكتاب نفسه) .

وهذا قليل من كثير مما حواه هذا الكتاب العجيب من هراء وما تحويه كتب أخرى على شاكلته ، وانظر إلى أى مدى يصل التعسف هؤلاء في تفسير آي الذكر الحكيم وتحميلها ما لا تحتل وفي تلاعب بكلام الله واتخاذها هزوا .

(التعليق على هذا المقال في الصفحة التالية)

تعقيب

القرآن ، كما يحسب كثير من أخطاء المفسرين القدماء عليهم لا على هذا الكتاب : « الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » ، ولا يصح أن نتخذ من ذلك ذريعة لتغطية هذا الجانب المتأني من إعجاز القرآن العلمي ، وقد رأى القراء الجانب المشرق في البحوث التي طالعوها للدكتور محمد أحمد الغمراوي - ومنزلته في العلم والبصر بعلوم اللغة معروفة - ما يفسر به قول الله : « ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك - هو الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد » .

وصدق الشاعر العظيم شوقي إذ يقول :

جاء النبيون بالآيات فانصرفت

وجئتنا بحكيم غير منصرف

آياته كلما طال المدى جسد

يزنن جلال العتق والقدم

ومهما يكن من شيء فالقرآن كتاب الله .

والعلوم السكونية وما تفسر عنه البحوث والتجارب

من حقائق لا يرقى إليها الشك نرحب بها ونفسر بها

القرآن على أنها خادمة له لا مخدومة به ، وعلى أنه

حاكم عليها . لا يحكوم بها ؟

وغير السهم فودة

نشرت هذه المجلة عدة بحوث قيمة للدكتور محمد أحمد الغمراوي في موضوع « الناحية العلمية من إعجاز القرآن » وقد أثبت فيها بما لا يرقى إليه شك ، أن هذا الجانب من إعجاز القرآن مخلوق بعناية العلماء واهتمام الباحثين وعرض كثيراً من الآيات وكثيراً من الحقائق العلمية التي تنطبق عليها هذه الآيات ويزداد بها القرآن إشرافاً واثباتاً في ضوء العلم ، مما يدل كما يدل كل شيء فيه على أنه تنزيل من حكيم عليم ، وأنه من جميع جوانبه معجز ، وأنه كما يقول الله فيه : « قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض » ، فلا يتعارض ولا يتناقض مع حقيقة عالمية تبوح بها التجارب والمعامل ، وهو كما يقول فيه قائله . « لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه ، والملائكة يشهدون » ، وكما يقول فيه : « سنزلهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » .

أما ما ذكره الدكتور د علي عبد الواحد ، من آراء وتأويلات ضعيفة وفاسدة لبعض الباحثين في هذا الأمر . فحسوب على الباحث لا على



إلى أي مدى تنغير الأحكام الشرعية بتغير الأزمان؟

للأستاذ بدر عبد الجاسط

- ٧ -

في شبابه لتحمل أعباء هذه الرسالة ، وأدبه تأديبا حتى لا يأخذ عليه حسود حاقدة خطأ ارتكبه في شبابه فيعيره به ؛ بل اشتهر بين قومه بالصادق الأمين ، وما عاداه من عاداء وحاربه من حاربه إلا بدافع الحق والعدل والحسد ؛ فقد استعظموا أن يختار لهذا الشرف : « وقالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » ، وما علموا أن الرسالة اختيار واجتباء : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ، ولهذا رد الله عليهم قولهم التي أملاها الحق والعدل فقال جل شأته : « هم يقسمون رحمة ربك » .

في هذا الجو المهيأ لحدث عظيم من السماء نزل النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن نبوته مفاجأة له حتى ينخلع لها قلبه ويطيش لهظمه لبه ، بل كانت كذلك - تدرجا وتطورا ؛ فكان أول ما بدى به من الوحي الرؤيا الصادقة ؛ فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ليربط على قلبه ، وحيثه لتلقى وحى ربه ؛ ثم حبب إليه الخلاء ؛ فكان يتعبد في غار حراء بالنظر في ملكوت السموات والأرض ، وبما يفيض الله به عليه من علم لم ينزل به وحى بعد ؛ إلى أن أفرقت نفسه الشريفة لإشراق أهلها لجل رسالة السماء ؛ وحيفت نزل جبريل بأول آية في كتاب الله نزولا : « اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك

يعلم في المقالات السابقة الحدود التي يجب أن نفق عندهما في التشريع والفتيا ، كما بدت الأضواء التي أرى أن سنة التطور يمكن أن تمتد إليها من الأحكام الشرعية ، وما قرره أئمتنا من المسائل الفقهية على أن لا يكون هذا التطور والتجديد مبعثه المهرى وحب التقليد .

وأحارل - في مقالاتي الآتية بحول الله وقوته - أن أتتبع المسائل الفقهية في مظانها ، وأبين ما تطور منها وما يمكن أن يتطور وأرد كل مسألة إلى أصل من الأصول التي قررتها فيما سبق واه - وحده - المستعان

وقبل أن أخوض في هذا البحر الخضم من المسائل الفقهية أحب أن أقرر أن الشارع نفسه راعى التدرج والتطور في بعض المسائل ، ولم يأخذ الناس أخذنا بالأحكام النهائية التي استقر عليها الأمر ، وفي هذا حكمة بالغة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وأولى هذه المسائل :

الدعوة إلى الإسلام :

إن المتتبع لتاريخ الدعوة منذ نشأتها يجد التدرج في كل خطوة من خطواتها ؛ بل إن الله - سبحانه وتعالى - هيا النفوس قبل البعث إلى التطلع إلى حدث جديد يرد البشرية إلى جادة الحق الذي انحرفت عنه ؛ كما هيا محمدا صلى الله عليه وسلم

العريكة يؤاذه ويدعو من يثق به ؛ كل هذا كان سرّاً ؛ وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يجتمع بعيداً عن أعيان قومه في دار الأرقم بن أبي الأرقم ، وحينما بدأت أخبار الدعوة تصل إلى مسامع قريش أمره الله تعالى بأن يجهر بها ؟ فإن الذين استجابوا له بعد أن ثبت الإيمان في قلوبهم أصبحوا لا يأبسون بوهيد القوم وقتبتهم ؛ فإن حلاوة الإيمان في قلوبهم تجعلهم يستهينون بكل شيء في سبيل هقيدهم ، ويومئذ نزل قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وارض عن المشركين إنا كفييناك المستهزئين . الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون . » ولم يتوان عن أمر ربه بل بادر إلى الصفا ونادى قريشاً بعلناً بظناً فبدأ بأقرب الناس إليه وهم بنو عبد المطلب ثم الآلة ب الأقرب حتى إذا اجتمعوا قال : « أو أيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟ قالوا : نعم ؛ فقال : إني نذير لكم بين يدي نذاب شديد ، فقال هم أبو لهب ؛ تبألك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا ، فأنزل الله تعالى : « ثبتت يداي إلى لهب . وتب ، الخ هذه السورة .

وبعد - يومئذ - فترة الصراع المرير بين الحق والأعزل إلا من قوة الإيمان والباطل المغتر بقوته وجبروته ، ولا بد في كل صراع بين الحق والباطل أن يمر بهذه الفترة حتى تصقل نفوس دعاة الحق ؛ هذا والنظر إلى آيات الكتاب العزيز المأزلة في هذه الفترة يراها كلها تدعو إلى الصبر والتحمل كما رآها تضرب الأمثال الكثيرة بما ينتهي إليه أمر المعاندين المستكبرين وما ينتهي إليه أمر المؤمنين المخلصين ، وآيات القصص في القرآن تتكاد كلها تكون مكية ؛ وكلها تهدف إلى التنويه بحسن عاقبة المؤمنين وسوء عاقبة المكذبين .

الأكرم الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم . فرجع بها يرجف فؤاده ؛ وكان من توفيق الله له إن كانت بجوارده زوجة الحنون ذات النفس القوية والروح العالية الآبية أم المؤمنين خديجة الكبرى فواسته وطمانته ، وبثت فيه روح الثقة ، واستنبتت بفطرتها السليمة النقية أن من كان على خلق مثل خلقه لا يخذله الله أبداً ؛ فقد أثر عنما رضى الله عنها أنها قالت له حينما قال لها : « دند خشيت على نفسي ، » « كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتصديق الحديث وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق . »

ثم لما هدأت نفسه من لقاء الملك لأول مرة فترمده لتتشوف نفسه إلى لقاء حتى رآه مرة أخرى فذهب إلى خديجة رضى الله عنها يقول : زعلوني زملوني دثروني دثروني فنزل قوله تعالى : « يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر . ولا تمنن تستكثر . ولربك فاصبر . »

فكان هذا أول أمره بحمل أعباء الرسالة ، والصبر على مشاق الدعوة ؛ وكان - كما أمره ربه - صابراً ؛ فبدأ بأقرب الناس إليه زوجته خديجة وابن عمه علي بن أبي طالب الذي ربي في بيته ونشأ في كفالاته وكذا زيد بن حارثة حبه والذي كان قد ثبناه في الجاهلية ثم صديقه الوفي وأمين سره في شبابه أبو بكر بن أبي قحافة ؛ ثم صارت الدعوة في خفية حتى لا يقضى عليها في مهدها من المستكبرين الحاقدين ؛ وبدأت الدعوة تغزو القلوب ، ففتحت أعمى عمياً وآذاناً صماً ، وبدأ يستجيب لها نفر من هنا ونفر من هناك ؛ والرسول صلى الله عليه وسلم جاد في دعوته وأبو بكر رضى الله عنه بما أوتي من لين

واستقر أمر التشريع بين المسلمين وغيرهم من خالفهم إلى أن المخالفين لنا فربقان : قوم لم يقاتلونا في الدين ولم يعينوا علينا عدونا وهؤلاء أمرنا بالإحسان إليهم وبرهم وأن نعاملهم بالعدل والعدل ؛ وقوم عاربونا وظاهرنا علينا عدونا وهؤلاء أمرنا بعدم موالاتهم وأن نستعين بالله عليهم وأن لا يسكون الأمر بيننا وبينهم خيانة ومفاجأة بل تنبيه لإيهم على سواء .

وآيات القتال الواردة في القرآن ليس بينها تضارب ولا اختلاف ؛ وإنما هي تدرج بالتشريع في مسائل الحرب حسبما اقتضته سنة التطور من حالة الضعف إلى حال القوة التي تستطيع الدفاع ولا تقوى على الهجوم إلى حالة القوة على الدفاع والهجوم معا .
فها أنت ترى - أيها القارئ الكريم - أن أصل الدعوة قد أخذ أطواراً شتى وكان هذا تعالماً من الله لنا أن نأخذ الأمور تدرجاً ، وأن لا تكون طفرتنا غير مدروسة .

وفي سنة التمدج في الدعوة درس يجب أن يتدبره من نصبوا أنفسهم أو نصبهم ظروهم للدعوة الإصلاحية ولا سيما إذا كانت في بيئة تنفر من دعوى الإصلاح ؛ فإنه لا بد لكل دعوة من عصبية تذود عنها وقوة تحميها ولا تتسكون العصبية ولا توجد القوة إلا بعد فترة إعداد وحسن توجيه وتربية صحيحة ؛ والأساس الأول لكل إصلاح هو الإيمان الذي لا يخاطله زيف والعقيدة الصلبة التي تصمد أمام الأحداث .

ودراسة تاريخ الدعوة الإسلامية خير نموذج إن أراد النجاح لدعوتهم الإصلاحية .

(يتبع)

بدر المتولي هجر الباطل

ثم تدرجت الدعوة إلى مرحلة أخرى وهي الخروج من نطاق أسرته إلى دعوة أهل مكة وماحولها لافرق في ذلك بين قريب وبعيد ، وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها .
ثم اتسع نطاق الدعوة إلى دعوة العرب جميعاً هو الذي بصت في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحسكة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين .

ثم لما استتمت الدعوة أسباب العزة والنصر أعلنها الله دعوة عامة شاملة باقية إلى يوم الدين وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، دقل أى شئ أكبر شهادة قبل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلى هذا القرآن أن تذكر به ومن بلغ ، فما أنت ترى أن الدعوة لم تأخذ صورة الشمول والدوام إلا بعد مراحل اجتازتها مرحلة مرحلة .

ولما أصبح للمسلمين قوة تستطيع أن تنازل الباطل أذن لهم بالقتال دفاعاً عن أنفسهم وعن عقيدتهم ، دأذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينص الله من ينصره إن الله لقوى عزيز .

والأمر بالقتال نفسه قد تدرج فقد كان أول الأمر لا يسمح به إلا في حال الدفاع عن النفس كما تشير إليه الآياتان السابقتان ثم سمح بالمبادأة بالحرب إن خيف من الأعداء خيانة ، ولما تخاف من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين .

ثم أمرنا أن نقاتل المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة وأعلموا أن الله مع المتقين .

نفحات القرآن

الإنسان بين طموحه وجموحه

للأستاذ عبد اللطيف التبكي

«ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجالهم... فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون» .

١ - الإنسان طموح إلى الخير فيطلبه ، ويتمجله ، ويود لو اجتمع له من أطرافه ، ولو لم يكن جذورا بشيء منه . وله جوح إلى الشر فيعمله ، وقد يطلبه ، وهو لا يرضاه ، ولا يهتم الوقوع فيه . والطموح إلى الخير غريزة لا يعاب عليها الإنسان ولكن العيب في الإسراف في الانشغال به فوق حد الاعتدال ... كما أن الجوح إلى الشر ، وطلبه معيب ، لأنه مضاد للغريزة . وطامب الشر كيفما كان حق ، أو نقيصة بأبائها العقل الرشيد . والآية التي معنا تواجهنا بالأمرين : الطموح ، والجوح .

(١) الطموح

٢ - فهمي تذكرنا بأن الناس يتعجلون حصول الخير ، وقد لا يشفقون على أنفسهم في الطلب ، والإلحاح فيه . فهم يطلبون الولد ، والمال ، ويطلبون الصحة ، والجاه ، ويتعلقون بالرغبات التي تهيش بأنفسهم في متع الحياة ، ولو تصوروا في عالم الخيال وهم يستبطلون الآمال ، ويستحثون القدر ... حتى ليسان بعضهم بعضا عن السبب في تخلف الدعا

وقد يكون القبول بشيء غير ما دعوته أجدى عليك في علم الله ، فيحقق لك أمرا لا تدري به . وكثيرا ما يبدو للإنسان - فيما بعد - أن الله اختار له خيرا مما طلب ، وحينئذ تكون الخير فيما اختاره الله تعالى . وهلى كل تقدير الإجابة في طلب الخير لا يجوز

سجلت علينا هذا فيما ذكرته ، كما سجلته آية أخرى
« وكان الإنسان عجولا » .

(ب) الجحود

٤ - ثم تتجلى في الآية كذلك ناحية الجحود
في دعائه ، فلا يكون داعيا بالحق ، بل منحذرا
إلى الشر ، وطالبا له في دعائه .

ويثور في الإنسان جوره هذا في غير حالات
الدعة ، والاستكانة . . بل في المشادة ، والتجاهد ،
كما كان شأن الكفار في معارضتهم للنبي وللقرآن . .
فيقول قائلهم عن موازنة منهم : « اللهم إن كان هذا
هو الحق من عندك ، فأمطر علينا حجارة من السماء
أو ائتنا بعذاب أليم ، فهذا إمعان في الضلال ، حتى
ليؤمنوا أن ينزل الشر بهم إن كان حقا ما يقول - محمد
صلى الله عليه وسلم وكذلك كان الشأن في غير كفار
قريش ، من سبقوهم من الأمم المعاندة فهم يستعجلون
العذاب الذي يجرهم به ، ويحذروهم منه الانبياء .

وهم يفرحون بالإمهال حيث لم يصحبهم هلاك كما أصاب
أسلافهم الغابرين : من قوم هود ، وصالح ، ولوط الخ .
وكذلك يحدث من آخرين كثيرين ، حتى يومنا
هذا . فيقول الإنسان عند غضبه : اللهم افعل بي من
الشر كذا ، وكذا . . اللهم لا تبارك في فلان ،
اللهم أهلك ولدى . . أو نحو هذا من طلب الشر
واستعجاله . . ولكن رحمة الله بعباد سبقت
غضبه عليهم . . فلم يعاجلهم بالشر كما طلبوا . . ولو
أنه أجاب دعاءهم عاجلا في هذا على نحو ما كانوا
يتعجلون الخير ، لهلكوا جميعا ، وقضى الأمر بهم
ولم يبق لهم في الوجود إلا ذكريات سيئات .

٥ - فالناس يسيئون في أعمالهم ، ويتخلفون
عن دعوة دينهم ، ويسفهن في دعاتهم . . وهذا
كله لجأج في الشر ، وطيش في السلوك .

وتدبير الله في شئون خلقه ، وسياسة ملكه ،
لا يتفقد بتفكيرنا ، ولا يتابع تقديرنا . . بل هو

حصوله بنفس المطلوب ، أو بخير منه أو بالثواب
عليه ، لأنه كما سلف - عبادة - والعبادة تحتاج إلى
ثقة في الله ، وإلى تخشع فيها ، ثم قبولها موكول إلى
فضله ، والله يقول « ادعوا ربكم تضرعا وخفية » .
وذلك يوم مر النبي - صلى الله عليه وسلم - على
قوم يلجئون بالدعاء في غير ترفق ، فقال لهم : اربعوا
هلى أنفسكم - أشفقوا - فإنكم لا تدعون أصم ،
ولا أحمى ، وإنما تدعون سميعا بصيرا .

هذا وربما تخلف الدعاء عن القبول بسبب
من العبد نفسه .

فربما اتخذ الدعاء حرفة ، وسيلة للتوكل
فلا يكون عبادة ، بل يكون تمكئة للثقافة .

والدعاء في شرعة الله يكون مع العمل بالقدر
الممكن - سواء : أكان في الدين أو الدنيا .

وفي هذا قوله تعالى :

« واستعينوا بالصبر والصلاة ، أى : استعينوا
هلى أموركم بالصبر على العمل ، ومشاقه ، وعبادتي :
صلاة ، ودعاء ، وإحسانا .

ومما يؤثر عن الإمام على في هذا قوله - لا يعد
أحدكم عن طلب الرزق ، وهو يقول : اللهم ارزقني ،
وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة .

وقد يكون السبب من العبد أن دعاءه في شيء
غير مسموح به شرعا ، فيكون دعاؤه مزوجا
بالمعصية . . أو يكون مطعمه ، ومعاشه من حرام
فكيف تصعد إلى ربها كلمات غير بارة ، والله يقول :
« إليه يصعد الكلم الطيب » ، ويقول : إنما يتقبل
الله من المتقين ، .

وذلك استطراد احتجنا إليه في بيان موقف
العبد في دعائه ، ولو كان خيرا . . وفي بيان
الاستعجال ، دون مراعاة من المرء فيما ينبغي أن
يكون عليه من التريث بين رجائه واستعجاله والآية

وهذا تحذير الله ، وتهديده في قوله : « فذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون ، يتركهم الله في طغيانهم حائزين : لا يمتدنون إلى حق ، ولا يتجهون إلى توبة : لأن نفوسهم جامحة ، ولأن ميولهم منصرفه ، والأصم لا يسمع الدعاء .

٧ - وواضح من هذا أن دعاء الإنسان بالشر بغيبض إلى الله ، وأنه من التعرض للبلاء ، والله يعيب علينا الاسترسال في مطاوعة الرغبات ، ولو كانت خيرا في الدنيا ... فبالك إذا كانت في جانب السوء لنفسه ، أو لغيره

٨ - ولكن الله يستقنى من دعاء الشر نوعا خاصا فيأذن فيه ، ويحذرننا من عواقبه ... وهو دعاء المظلوم على ظالمه ، فإن الله ينشد العدل من عباده فيما بينهم ، ويكره الظلم ، وإن كان تأفها : فصيانة منه لمبدأ العدل أعطى المظلوم حق الشكوى إلى الله وأذنه أن يدهو على ظالمه ، ووعده بالاجابة ولا يجب الله الجهر بالسوء من القول : إلا من ظلم . وكان الله سميعا عليما ، فهذه نصرة من جانب الله لعبده المظلوم ، المستضعف : فله أن يدعو . والله سميع لما يقول ، وعليم بالظاهر ، والباطن ، وبما هو حق وغير حق .. ولا يسمع الله لعبد أن يستضعف عبدا ، لأنهم جميعا تحت سلطانه وحده .

ثم إن المظلوم لا يعتبر داهيا بالسوء في حقيقة أمره ، بل هو يطلب من الله إنصافا ، واقتصاصا من ظالمه ، والله يعدد بالإجابة ليظل مؤمنا بعدالة الله بين عباده .

وفي هذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم : اتقوا دعوة المظلوم ، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب .

٩ - أما غير المظلوم : بمن يدهون بالشر السكريه فقد وردت آثار تدل على أن دعاءهم لا يستجاب ومنها ما حكاه القرطبي في تفسيره : أن النبي صلى الله

شأن حلوى . . ربما أدركت العقول منه جانبا ، وهرفت من أسراره شيئا .

ثم هي بعد ذلك غير قادرة على الإحاطة بكل الجوانب والآرار .

فالإيمان المطلق مرفأ السلام ، والاطمئنان . ولو أن الله لم يكن حليما عليما ، ورحيما بنا لما أمهل الكافر على كفره ، ولا الظالم على ظلمه ، ولا الداعي بالشر على حاله ... ولكن الحكمة اقتضت إمهالا . وفي الإمهال عبرة لأولى الأبصار ...

وانظر إلى توجيهات القرآن في ذلك المقام ... قاله يقول : « ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من داية » . « ولو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب ، بل لهم مسوعة أن يمددوا من دونه مؤثلا » . يعني مفرأ .

يعيب الله على الناس تهالكهم على هذه الخصلة وتم افتهم على الدعاء بالشر بهذا الحق .

فإنهم لا يأمنون أن يكون وراء دعائهم هلاك مقدور ، ويدعو الإنسان بالشر دعاء بالخير ، وكان الإنسان عجولا .

٦ - فالحل لم يفرهم بالسفه ، والخط ، والتورط ، في المشامة .

مع تنديد الله بهم في هذا ، فالإمهال حكمة منه جل شأنه - فربما كان الإمهال فرصة لمن شاء الله هدايتهم ، فينأجون بهم بالتوبة ، ويتعلقون بالرجاء في مرضاته . والتوبة تجب ما قبلها من المسآتم ولو كانت كفرا .

والله تعالى - لا يماجلنا بالغضب لأنه يحب التوابين من عباده ، فهو يتيح الفرص أما منا .

وإن لم يكن الإمهال مجديا فيهم : فهو استدراج للعرضين ، ومطاوله لهم في الغواية ، حتى تكون مهلكتهم على شر ما اختاروا لأنفسهم ...

غناقة أن يكون له أثر بالصدقة ، أو يحدث معه شؤم
تخرج منه النفس ، ويفترون به الندم ، ولا يدرك
المرء تدارك ما وقع منه فتزداد الفكرة خبالا ...
أو يحسب الناس أنه مستجاب ، فيسكتون منه
كلما نزعهم الشيطان بالغضب .

ومن ذلك ما رواه الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله
- رضى الله عنه - قال : سرتنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزوة ... إلى أن قال هن
أحد الزكيان : إنه صب بعيره - حين وجده يستعصى
على القيام - بقوله للبعير - لعنك الله - فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : من هذا اللاهن بعيره ؟
قال أنا يا رسول الله . قال : أنزل منه ، فلا تصحبنا
بملعون ، لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على
أولادكم ، ولا تدعوا على أموالكم . ثلثا توافقوا
من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجاب لكم . يعنى
حظافة أن تكون ساعة هذا الدعاء ساعة إجابة ،
فيستحقق دعاؤكم هذا بما تكرهونه .

وفى رواية أخرى : أن النبي - صلى الله عليه وسلم -
كان في سفر ، فلعن رجل ناقته - ناقته الرجل نفسه -
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أين الذى لعن ناقته ؟
فقال الرجل : أنا يا رسول الله . فقال له : أخرها منك ،
فقد أجبته فيها - يعنى استجاب الله له : لعنك الله على الناقة .
فصارت غير مباركة ، ولا مستحسنة لأصحابها
في السفر ، وبقاؤها معك يكون سببا اختييارا منك
في التعرض لآثار اللعنة المستجابة فى ناقته .

فعلينا أن نعتدل فيما ندهو من الخير ، ونحذر
ما لم يأذن به الله ، فإنه يكون زورا من القول .
ويكون أشبه بعمل الكفار ، والله ينهانا عن
كل تقبه بهم ، فاجتنبوا الرجس من الأوثان ،
واجتنبوا قول الزور حذفاً لله

عبد الطيف السبكى

عليه وسلم - قال : - إني سألت الله عز وجل :
ألا يستجيب دعاء حبيب على حبيبه - وذلك كما
يدعو الأب على ولده : مثلاً ، فإن دعوة الأب أو
الأم تناقض عاطفة الأبوة والأمومة ... ولا يكون
دعائهما إلا عند سبب عارض ، وأن لا ينتزع الحنان
الطبيعى من قلوب الآباء ، والأمهات ، ولا يفلق
صدورهم على غير حب مفرط لهم ... فلا يجعل
دهوة قاسية طارئة تذهب بهذا الحب المفرط المركز
في حنايا الضلوع إلا : أن يكون الولد ظالماً له ،
جباراً في عمله معهما ، فإنه بذلك يتجاوز حدود
البنوة فيما رسم الله نحوه الآباء والأمهات .

فقد حذر الله الولد أن يقول لأحدهما كلمة تسيء
أو تشتم بالضرر منهما : نحو كلمة - أف - وهى
أقرب ما يجرى على اللسان ، ولسكنها مع الوالدين
محظورة ، وكبيرة .

وحق مع المخالفة في الدين : بأن يكون كلاهما ،
أو أحدهما غير مسلم ، والولد مسلماً ، فإنه مطالب
بالإحسان معهما في شئون الدنيا .

حتى لو أرادا كفره ، أو طلبا منه ذلك فليس له
أن يجحد فضلهما ، وواجب البنوة نحوهما ، وعليه
أن يدأب على برههما : وإن جاءه ذلك على أن
تشرك في ما ليس لك به علم : فلا قطعهما وصاحبهما
في الدنيا معروفاً ، وتبع سبيل من أناب إلى .

وهذا من خير الآداب والمناقب الدنيوية
في تكريم الوالدين .

١٠ - وإذا استخلصنا من مجموع ما تقدم
في الدعاء بالشر : أنه بفيض إلى الله إلا من المظلوم
وأنه في الجملة غير مقبول : وخاصة - إذا كان لثورة
حارضة بين الأحبة كما سلف الحديث النبوى .
فقد وودت أحاديث تزيدنا حذراً من صدور

عظمة المهاجرين والأنصار

للأستاذ عبد الرحيم فوده

أدل على ذلك من أن هؤلاء المهاجرين عادوا مع الأنصار وعامة المسلمين إلى مكة لتحريرها من رجس الشرك والوثنية ، وبحريير المستضعفين فيها من أغلال الذل والعبودية كما يفهم من قوله تعالى : وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون: ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ، الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا .

وقد بلغ من أمر الهجرة عند المسلمين في أول عهدهم بالإسلام أن كانت رابطة الولاء بينهم ، فإذا تفاهد أو تفاهس عنها واحد منهم انقطعت هذه الرابطة وانحلت هراها كما يفهم من قوله تعالى . « إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ، بل لقد بلغ من حرص النبي صلى الله عليه وسلم على أن تكون الهجرة خالصة لله ولرسوله فلا يشوبها غرض آخر غير وجه الله ونصرة الرسول أن قال صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى فن كانت هجرته إلى الله ورسوله

لم تسكن هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة - كما يتوهم البعض - من مظاهر الشعور بالضعف أو الخوف ، بل على العكس من ذلك كانت مظهراً للشعور بالقوة . وصدق الإيمان . ومضاء العزيمة . وبعدد الهمة ، وكان بقاؤهم فيها مع عدم جدوى الإقامة بها مع ما كانوا يمانونه وبقاسونه هو الرضوخ للظلم ، والرضا بالهوان . والاستسلام للذل ، وفي ذلك الظلم كل الظلم لأنفسهم التي تنشد العزة والكرامة والحرية في ظل الإسلام ، بل في ذلك سوء المصير في الدنيا والآخرة كما يفهم من قول الله تعالى : « إن الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا : فيم كنتم ، قالوا : كنا مستضعفين في الأرض قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأرسلناك مآوام جهنم وساءت مصيراً ، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً ، ومن هاجر في سبيل الله يجه في الأرض سراغماً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً .

فالهجرة في سبيل الله لا يعقل أن سببها الشعور بالضعف أو الخوف ، وإنما يفسر سببها بكل القيم العظيمة السامية التي تجمعها كلمة سبيل الله ، وليس

الحياة في سبيل نصرته الحق . والدفاع عنه والكفاح
دونه ، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهم بالهجرة
فلا يخرج إليها مستخفياً ، وإنما يراه الناس وقد
تقلد سيفه وتكسب قوسه . وانقض بدنه واخترصر
هزته ومضى قبل الكعبة والملا من قريش بفنائها
فطاف بالبيت سبعاً . ثم أتى المقام فصلى ركعتين .
ثم وقف على الحلق واحدة واحدة . فقال لهم شأهت
الوجوه ، لا يرغب الله إلا هذه المعاطس . من أراد
أن تشكله أمه . أو يوتم ولده ، أو ترمز زوجته
فليلقني وراء هذا الوادي ،

وهذا صهيب يأخذ طريقه إلى المدينة بعد أن
هاجر إليها النبي صلى الله عليه وسلم فوقف دونه كفار
مكة ويحيطون به ثم يقولون له : أتيتنا صعلوكاً
فقهرأ فكش مالك عندنا ثم تريد أن تخرج به لك
لا واه لا يكون ذلك ، فيقول لهم صهيب : أرأيتم
إن جعلت لكم مالى أنخلون سبيلى . ؟ قالوا : نعم
قال فأنى جعلته لكم ، ثم تركه لهم ومضى إلى المدينة
فهم آسف ، وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال :
ريح صهيب ، وهذا عياش بن أبى ربيعة يهاجر قبل
النبي إلى المدينة فيحتال عليه أخواه لأمه أبو جهل
والحارث بن هشام ثم يوثقانه ويجلدانه ويحبسانه
فلا يصرفه ذلك عن دينه بل يظل مصراً عليه مؤمناً
به حتى يجد من يخلصه من السجن ويعود به إلى
المدينة ، ثم هذا على كرم الله وجهه ينأى حيث كان
ينأى رسول الله وهو يعلم أن القوم متربصون به
ليقتلوه ويتفرق دمه في القبائل ، فلا ينخلع قلبه
من خوف الموت ، ويقبل أن يكون حيث تقع
السيف عليه .

هذه بعض الأمثلة لما كان عليه المهاجرون من

فهجرتهم إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرتهم إلى دنيا
يصيبها ، أو امرأة يتكها فهجرتهم إلى ما هاجر
إليه . . وقد جعل الله الهجرة آية على صدق
الإيمان ، والقعود عنها آية على النفاق من حيث
قال تعالى في شأن المنافقين : . فلا تتخذوا منهم
أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم
وأقتلوا حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولية
ولا نصيراً . .

ومن ذلك كله يتبين أن الهجرة لم تكن
عن شعور بالخوف أو إحساس بالضعف وإنما كانت
أمراً من الله ورسوله : . وما كان مؤمناً ولا مؤمنة
إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من
أمرهم . .

هذا إلى أن الهجرة كانت معلومة للنبي والمسلمين
على أنها سنة الأنبياء والمؤمنين قبله وقبلهم ، وقد
صرح له بذلك ورقة بن نوفل حين قال له وهو يقصر
عليه نبأ لقائه مع جبريل في أول هجده بلقائه
وبالوحي الذى تلقاه عنه من الله : . باليتقى فيها
جزأ ، ليتقى أكون حياً إذ يخرجك قومك .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو يخرجنى
هم ... ؟ قال : نعم . لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به
إلا هودى ، وإن يدركنى يومك أنصرك
نصراً مؤزرأ . .

ونحن إذا تتبعنا مواقف المهاجرين مع الكفار
قبل الهجرة وعند الهجرة ، وبعد الهجرة ومواقف
الأنصار مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع المهاجرين
قبل الهجرة وبعدها وجدنا نموذجاً من الناس لم يرتفع
إلى مستواه جميل من الأجيال في صدق الإيمان ،
وصراحة الخلق . وشجاعة القلب ، وإبشار الموت

ودعا الله أن يبارك له في ماله وزوجه ، ثم طلب إليه أن يذله على أسوق ليعمل ويتجرح حتى كثر ماله . أما مواقفهم في الشدة ، وبلاؤهم في الحرب فلا يقسح التفصيله هذا المقال ، وحسبنا أن نذكر مثلاً لذلك مواقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يستشيرهم في الخروج إلى قتال المشركين في بدر . فقد كانت البيعة على أن ينعوه في المدينة ، لا على أن يخرجوا لقتال أعدائه خارجها ، لهذا أراد صلى الله عليه وسلم أن يتعرف رأيهم ، فقال : أشيروا علي أيها الناس ، وأحس الأنصار أنه يقصدهم ، فنهض صاحب رأيهم سعد بن معاذ ، وقال : كأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل . فقال سعد : قد آمنّا بك ، وصدقناك ، وأعطينا عهدنا وهوائيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، إنا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر على بركة الله !

هذه هي بعض السمات والصفات التي تتم من عظمة المهاجرين والأنصار ، أما مثلهم الحقيقي فسكا يقول الله عنهم : محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركبا سيحدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيأمن في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطاء فآزروه فاستغلظ فاستوى على سوقه ، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وهذا الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجر أعظم .

عبد الميم فودة

صلابة في الحق لا تلين ، وقوة في الإيمان لا تضعف ، وإيثار للدين الذي ارتضاه وألفه على كل ما عداه ، أما الأنصار رضى الله عنهم وعن المهاجرين ، فيحسبهم قول الله فيهم : والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ، ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون .

أما قوتهم في الحق ، وشرفهم في الوفاء بما طهروا الله ورسوله عليه ، فتظهر في بيعة العقبة ، وغزوة بدر ، وفي كل المعارك التي خاضوها مجاهدين في سبيل الله ، وقد حضر العباس بيعة العقبة لثلاثة وهو على دين قومه ، ليستوثق لرسول الله منهم ، فقال : إن محمداً منا حيث قد هلمتم ، وقد منعمنا من قومان هو على مثال رأينا فيه ، فهو في عز ومنعة في بلده ، وإنه قد أتي إلا الانحياز إليكم ، وللحق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه إليه ، وما نعوه من خالفه ، فأنتم وما تحملتم وإن كنتم ترون أنكم مسلوبو وغاذلوه بعد الخروج فمن الآن فدعوه ، فإنه في عز ومنعة من قومه وبهذه فقالوا : سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله بنفذ لربك ولنفسك ما أحببت ، ثم بايعوه على أن ينعوه مما ينعون منه أنفسهم وأزواجهم وأبنائهم وعلى حرب الأحمر والأسود ، ثم هاجر إليهم فتلقوه على ظمأ وشوق ، وقبلوا عن طيب خاطر أن يشاركهم المهاجرون في أموالهم ، وأن يؤاخروهم على الحق والمواساة والتوارث ، حتى لقد عرض سعد بن الربيع ، وهو من الأنصار ، على أخيه : عبد الرحمن بن عوف ، وهو من المهاجرين ، فصف ماله ، وكان له زوجان ، فقال له : اختر إحداهما أطلقها وتزوجها ، فأبى عبد الرحمن ،

أثر المسلمين في القانون الدولي

للاستاذ الدكتور
محمد مختار القاضي

أوروبا وقواعد وزبونز Leges Wesbuenses في بحر الشمال ، وبحر البلطيق ، وقنصليات البحر المتوسط Consolato del Mare . وكانت هذه القواعد أكثرها أهمية ، فهي وحدها التي بحثت في الغنائم البحرية أثناء الحرب . ولئن كانت أصولها الأولى نشأت في رودس ، كما تقول دائرة المعارف البريطانية - من عادات يونانية قديمة ، إلا أنها طبعت لأول مرة في برشلونه الأندلسية عام ١٤٩٤^(١) .

لقد تقدم القانون الدولي بسبب الحروب الصليبية ، فيها ازدهرت التجارة على أيدي المسلمين وكانوا سادة البحار طيلة العصور الوسطى . ولم تكن الفكرة الاجتماعية السائدة عند الإغريق أو الرومان لتساعد على ما أحرزته القانون الدولي من تقدم على أيدي المسلمين . أما عن اليونان فقد كانوا يعدون أنفسهم أرقى الشعوب ، ويعدون من عداهم من البربر والعبيد ، لا حرمة لهم ولا عهد حتى إن هوميروس في شعره كان يحمل لوصف صبية البحر ، وأسلاب البر ، وكان أرسطو يرى أن الخالق وجد البرابرة ليسكونوا عبيداً أرقاء ، واعتبر عميلاً أشرافاً محاربهم لسلب ثروتهم واسترقاقهم . أما روما فقد ضنت على شعوب إمبراطوريتها العظيمى بأحكام القانون المدني الروماني ، اعتقاد

كانت الحروب الصليبية (١٠٩٥ - ١٩٢١) هي الفصل الأخير من مسرحية العصور الوسطى ، ففيها احتكم الدينان - الإسلام والمسيحي - إلى السيف ، وقد بلغ فيها كل شيء غايته : التحمس للعقيدة وفتوة الإقطاع وجمال الفروسية وبهجتها وانتشار التجارة واتساعها في حرب دامت مائتي عام . ولست أكتب هنا لأبين أثر الحروب الصليبية في التجارة ، أو في الطب والجراحة ، أو في نقل مدينة المسلمين التي شاهدها الصليبيون بأعينهم ، وإنما أكتب من زاوية واحدة ، هي أثر هذه الحروب الدينية على التعاون الدولي .

لقد فشلت الحروب الصليبية في غرضها الأصلي وهو استيلاء الصليبيين على الأماكن المقدسة وكنوز الشرق ، ومع ذلك فقد خدمت أوروبا عن طريق غير مباشرة فبسيبها نمت التجارة ، وبسيبها توطلت روابط الإخاء الديني بين الدول الأوروبية بوضع المسيحيين تحت سلطة دينية واحدة . ولقد تقدمت بسبب الحروب الصليبية مبادئ القانون الدولي وذلك بسبب نشاط التجارة بين الدول المسيحية . نشأ الاتحاد المعروف باتحاد الهانز La Hanse بين الأمم المطلة على سواحل بحر الشمال وبحر البلطيق ، وبين المدن الإيطالية في البحر الأبيض المتوسط . وتقررت عادات تجارية ثابتة دونت في ممرات شهيرة ، فظهرت قوانين أوليرون

Law of Oléron أو Le Rôle d'Oléron لتنظيم التجارة البحرية على سواحل الأطلسي غرب

(١) دائرة المعارف البريطانية تحت لفظ Consulate of Sea.

فكان غير المسلمين من التجار في جميع البلاد التي يوجد فيها مسلمون يفتضون تحت زحامة هؤلاء الآخرين ، فكان يرأسهم مسلم ولا يقبلون حكم غير المسلمين فيهم ، ولا يتولى القضاء فيهم إلا مسلم ، ولا يقيم عليهم شهادة إلا المسلمون ، وإن قلوا وذلك مثل : بلاد الحزر والسرير واللان وغانة وكوغة وصيجور (الهند)^(١) .

وقد أثرت الشريعة الإسلامية في القوانين التجارية في أوروبا تأثيراً ملحوظاً . ذلك بأن نظرية العقد في الشريعة الإسلامية تقوم على مبدأ الرضاية ، بينما كان القانون الروماني شديد التعقيد لأنه قانون يقوم على الشكلية . والرضاية هي القوة الملزمة في القانون الدولي حيث لا توجد سلطة عليا تفرض قواعده بالقوة .

ويقول الأستاذ دوسا تقيلانا في مجموعة . التراث الإسلامي ،^(٢) : « إن أوروبا اقتبست بالتأكيـد بعض نظمها القانونية من قوانين العرب كالشركات وغيرها من مسائل القانون التجاري الفنية ، وإن المستوى الرأقي الذي بلغته تلك القوانين في بعض نواحيها أثر تأثيراً حسناً في تقدم الفكر الأوروبي ، حتى في غير ما ذكر ، وبذلك سجلت تلك القوانين فضلها الخالد » .

ويقول الأستاذ لوريبور بيجونيير في مقدمة على شرح القانون الإنجليزي^(٣) ، « إن العادات التي أدخلها التجار الإيطاليون في كل مكان يتكون معظمها من عناصر مستمدة من القانون الروماني ولو أن فيها عناصر مأخوذة من عادات العرب أو الأتراك ، وهذا السكاتب يقبـل الوضع ، لأن

منها بأن الرومان - (سكان مدينة روما الأصليين) هم أيضاً أرقى الاجناس ، فأخذت تعامل سكان الإمبراطورية بقانون آخر غير القانون المدني ، قانون سميته قانون الشعوب Jus gentium - وهو وإن كان قانوناً يصلح أساساً لعلاقات دولية ؛ لأنه مستمد من القواعد المشتركة بين الشعوب - إلا أن روما ذاتها لم تكن تعترف لغير سكان الإمبراطورية الرومانية بحق التمتع بالمزايا الواردة في هذا القانون ، فكانت تأمر بمحاربة الشعوب الخارجية على الإمبراطورية الرومانية ، والتي لا تدور في فلسفها ، وبذبحهم وقتلهم قادموا بطش الإمبراطورية ، ومن لم يمت من هؤلاء بالسيف وقع في الرق وهذا التصرفات الرومانية لم تكن لتبسر بوجود قانون دولي عام .

يقول البارون توبه^(١) : « إن فضل العالم الإسلامي في تنمية القانون الدولي وتقدمه كان عظيماً في ناحيتين : ناحية الحرب ، وناحية التجارة الدولية ، ، والقاريء لا شك يعرف التكمشير عن تعاون المسلمين مع الصليبيين أثناء الهدنة المقدودة مع هؤلاء الصليبيين كالذي فعله صلاح الدين مع ريتشارد قلب الأسد ، ومعاهدات الهدنة التي كان المسلمون ينفذونها بدقة ، ومعاهدات الصلح والمعاهدات التجارية ، كل أولئك يؤيدون ما قاله البارون توبه .

ومبادئ التحكيم الدولي كانت من صنع المسلمين ، والمسلمون دون غيرهم ، فقد نشأ من ازدهار الجاليات الإسلامية في كثير من البلاد التي تغلب عليها المسلمون شأن جلي لم يستقل لا ملحوظاً في شئونهم ،

(١) ابن حوقل ص ٢٢٥ وما بعدها .

(٢) The Legacy of Islam ص ٣١٠ .

(٣) ص ١٥ .

(١) هاضرات البارون توبه في المعهد الدولي

بلاهوى سنة ١٩١٦ . (مجموعة للمهدج ١ ص ٢٩١) .

مِنْ نَحْوِ مَجْمَعِ الْبَحْثِ

التَّأْمِينُ

لِلأَسْتَاذِ عَلَى الْخَفِيفِ

- ٢ -

والصناعة ، وتدخل في معظم الوسائل الاقتصادية تدخلا اختياريا أو إجباريا بحكم القانون، ولم يقتصر على ذلك بل تناول كثيرا من وسائل المعيشة والخدمة المنزلية ؛ فشمع السيارة والمنزل وأمتعته وأثاثه ، وتجاوز ذلك إلى ما يقع للإنسان من حوادث وما يوجه إليه من مسئوليات مالية ، مما جعله دعامة من دعائم الحياة الاجتماعية المتحضرة

تأمين شركات التأمين في الجمهورية العربية المتحدة لقد أصبح التأمين في هذا الزمن المتأخر أعزبه شيء يفرق من المرافق العامة للدولة يقوم بمصلحة اجتماعية بعيدة المدى تمتد الجدور والفروع في أنحاء مختلفة ، واتجاهات متعددة شملت جميع نواحي النشاط الاقتصادي: تجارة وصناعة وعملا وادخارا وذلك بعد أن ذاع وشاع وتنوع طرق التجارة

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

والعرب قد وضعوا غالبية هذه القواعد ، دون الرومان ودون الأتراك . وفي بحث صغير أجراه العالم جر سهوف سنة ١٨٩٩ عن الحوالات المالية ^(١) انتهى فيه إلى أن هذه الحوالات لم يعرفها العالم القديم وأن أول من عرفها العرب ، وعندهم أخذتها أوروبا في القرن العاشر الميلادي عن طريق إسبانيا وإيطاليا ، وانتقلت مع النظام الجديد المصطلحات اللازمة له ، وهي إما فارسية وإما عربية ، وما زالت متداولة إلى اليوم ، فلكلمة Aval مأخوذة من اللفظ العربي ، وحوالة ، ولفظ شيك فارسي كثيرا ما ذكره الفردوسى .

ولقد دخل على اللغات الأوروبية كثير من المصطلحات التجارية العربية المتداولة في القانون التجارى كلفظ fonds أى فندق وفيه كان يقوم البيع والشراء فسمى المحل التجارى Fonds de commerce ولفظ Magazin أى مخزن . ويعدد الأستاذ سيديو كثيرا من الألفاظ البحرية الأوروبية المأخوذة عن العرب الذين كانوا سادة البحر المتوسط منذ القرن الثامن الميلادى كلفظ Amiral ومعناه أمير البحر ولفظ بوصلة Boussole التى عزى أمرها إلى أهل الصين على غير حق ^(١) .

محمد مختار القاضي

(١) جراسهوف Das Wechselrecht der Araber

(١) جوستاف لوبون في حضارة العرب نقلا من سيديو ص ٤٤١ من النسخة العربية .

وانظر أيضا ول ديوانت في قصة الحضارة مجلد ٤ ج ٤ ص ٦٩ من النسخة العربية .

الذي جعلناه مقدمة ، وطريقاً إلى بحثنا اللاحق الذي نشره فيما يلي :

الرأي في عقد التأمين

بحث التأمين والحكم عليه على هدى أصول الشريعة حين نبحت التأمين إنما نتجه إلى بحثه خالصاً مجرداً عما يقترن به من شروط وذلك باعتباره التزاماً يصدر من المؤمن بضمان ما يحل بالمستأمن (المؤمن له) من نقص يلحقه في ماله أو ضرر يصيبه أو يصيب أهله بسبب نازلة معينة تنزل به فتصيب ماله أو بدنه ، وذلك بدفع عوض مالي له أو لأهله أو الإتيان له بمثل ما فقد أو بإصلاح ما فسد ، على حسب اختلاف الأحوال والظروف ، وما يتضمنه الاتفاق ، وعلى أن يكون هذا الضمان نظير بدل مالي يقوم المستأمن بأدائه إلى المؤمن على الوضع الذي يتم الاتفاق عليه .

أما ما قد يقترن بذلك من شروط تتجاوز هذا النطاق فإنها شروط ليس من اليسير حصرها وهي شروط يصح أن تكون في غير هذه المعاماة ثم هي مع ذلك متعددة مختلفة الأوضاع والأنواع تبعاً لاختلاف المتعاقدين وأوضاعهم ورغباتهم وذلك ما يحول دون بحثها بحثاً لاستقراؤها تفصيلاً مجدياً ، وبكفي في الحكم عليها إخضاعها لقوله صلى الله عليه وسلم (المسلمون على شروطهم إلا شرطاً أحل حراماً أو حرم حلالاً) ، رواه الترمذي وحسنه ، ثم مراعاة جريان العرف بها واصطلاح الناس عليها .

اختلاف الآراء فيه :

قبل أن نبين آراء الباحثين فيه من الوجهة الشرعية يحسن أن تلفت النظر إلى أمرين يأتي

وحين رأت الدولة ذلك ، ورأت معه أن شركات التأمين قد اشتطت في شروطها إلى درجة أزهقت المستأمنين ، ولم ترع ما يجب أن تقوم عليه المعاولات من التكافؤ ، والتعادل بل همدت إلى أن يكون الحظ والجحان في جانبها واتخذت ذلك سبيلاً إلى اكتناز الأموال وتسكديسها اضطرت إلى أن تتدخل فأصدرت القوانين المنظمة ثم انتهت أخيراً إلى إصدار القانون رقم ١١٧ لسنة ١٩٦١ الذي قضى بتأمين جميع شركات التأمين في الجمهورية العربية المتحدة فأتمت به جميع شركات التأمين في مصر وآلت بذلك ملكيتها إلى الدولة ثم أصدرت بعد ذلك في ١٧ أكتوبر سنة ١٩٦٣ قانوناً يقضى بأن يقوم على إدارة هذه الشركات مجلس مؤلف من تسعة أعضاء على الأكثر يكون من بينهم أربعة أعضاء ممن يعملون فيها يعينون بالاقتراع العام السري لمدة سنتين ، أما الباقي فيعينه رئيس الجمهورية بناء على ترشيح رئيس إدارة المؤسسة المصرية العامة للتأمين على أن يكون من بينهم واحد على الأقل وثلاثة على الأكثر من بين المديرين بالشركة .

وقد نص في القانون السابق على أن تظل الشركات محتفظة بشكلها القانوني عند صدور هذا القانون ، وبناء على هذا ظل لشركات التأمين شخصياتها الاعتبارية ، والتزاماتها الشاغلة لذمتها ، وحقوقها قبل المستأمنين لديها .

وبما تقدم يتجلى عقد التأمين على حقيقته وتكشف صورته على وضعها ، وتبين أسسه وأنواعه وتوضح فوائده وخصائصه ، وصار بذلك أمراً واضحاً مهيئاً للنظر فيه والحكم عليه من وجهة نظر الشريعة الإسلامية حكماً يقوم على الواقع ويستند إلى الحقائق ، وذلك ما أردناه من بياننا السابق

أن ليس في الاشتراك في هذا العمل أية مقامرة ولا رهان لأن كل ما يدفع من مال إنما يوجه إلى المعونة عند نزول ما يقتضيه .

والنوع الثاني : أن تتألف شركة مساهمة للقيام بهذا العمل غرضها الأول ثراء أفرادها عن طريق جمع المال من المستثمرين واعتباره بالوضع المعروف الذي سبق شرحه وذلك هو النظام الشائع المعروف في أكثر البلاد الآن الذي تقوم به شركات التأمين وهو الذي كان معروفا في مصر ثم صار تأميمه وأصبحت هذه الشركات وأموالها بعد تأميمها من القطاع العام المملوك للدولة كما بيئنا .

الامر الثاني : أن الخطر الذي جرى الناس والعرف على التأمين من ضرره منه ما ينزل بالأموال أو يصيبهما كالمربق والغرق والضياع والسرقة والإتلاف والتضمنين ونحوه ، ومنه ما ينزل بالإنسان أو يصيبه في جسمه كالموت والمرض والشيخوخة وتلف الأطراف ونحوه .

وفي الحال الأولى يكون تعويض من نزل به الخطر بدفع قيمة ما احترق أو ضاع أو سرق أو بالإتيان بمثل ما تلف أو ضاع أو بإصلاح ما فسد وإعادته إلى ما كان عليه من صلاح ونحوه بذلك الشركة المؤمنة أو الجمعية التعاونية .

وفي الحال الثانية يكون التعويض بدفع مبلغ من المال يتم الاتفاق عليه في العقد أو بقيام الشركة بدفع مرتب دوري طيلة الحياة لمن نزل به الخطر وذلك إذا ما حدث الخطر المؤمن منه في مدة التعاقد أما إذا لم ينزل بالموثمن ذلك الخطر في هذه المدة فإن الشركة تقوم بدفع قيمة ما وصل إليها منه من أقساط مالية طيلة المدة مضافا إليها ربح ذلك

ذكرهما ههنا شرح هذه الآراء إذ اتخذهما بعض أصحاب هذه الآراء أساسا لبعض ما ذهبوا إليه من رأى فيه :

الامر الأول : أن التأمين نوعان ذلك أن منه ما تمحض وخاص لأن يكون تعاونا لا يقصد به استثمار مال ولا الحصول على الربح ولا يقصد منه إلا التعانن بدفع الضرر وتخفيف أثره إذا نزل ومنه ما يعد عملا تجاريا القصد الأول منه الحصول على المال باستثماره وتنميته وجمعه .

فالنوع الأول : أن يتفق جماعة على تأليف جمعية منهم تقوم بواسطة ممثلها بجمع أقساط مالية شهرية أو سنوية منهم ومن ينضم إليهم على أن يكون فيما يجمع منهم من المال تعويض ما ينزل بأحدهم من ضرر معين في مدة من الزمن معينة ويقوم بهذا العمل مجلس إدارة يعنى شئونه من استثمار وحفظ وتوجيهه وتصرف بما تقتضيه الحكمة والمصلحة وبهذا الوضع تتألف هيئة تأمين تعاونية ولاغرض لها إلا نفع أعضائها ومعاونتهم ، وهذا النوع منتشر في أوروبا وأمريكا وأنه ليرى أن نحو من سبعين في المائة من عمليات التأمين في أمريكا تقوم بها هذه الجمعيات التعاونية (١) .

وعضو هذه الجمعية باشتراك فيها إنما يؤمن نفسه من الخطر المعين الذي يخشى أن ينزل به فيصيبه ضرره فهو حين يساهم في أموالها بدفعه الاشتراك لا يبغى مغنا ولا ربحا ولا تنمية لماله وإنما يبغى تأمين نفسه من جزء معين ومشاركة أصحابه وتضامنه في معونة من يصيبه الضرر منهم وذلك بإعطائه قيمة ما فقد أو احترق من مال لحاله بعد الحادث هو حاله قبله ، وعلى ذلك يرى

من زوار بيت المقدس كما قدمناه في باب العاشر عن الخبر الرمل ، وسيأتي في الجزية وما قرناه يظهر جواب ما كثر السؤال عنه في زماننا وهو أنه جرت العادة أن التجار إذا استأجروا مركباً من حربى يدفعون له أجرته ويدفعون مالا معلوماً لرجل حربى مقيم في بلاده يسمى ذلك المال (سوكرة) على أنه مهمل هلك من المال الذى فى المركب بحرق أو بفرق أو نهب أو غير ذلك ، فذلك الرجل ضامن له بمقابلة ما يأخذه منهم وله وكيل عنه مستأمن فى دارنا يقيم فى بلاد السواحل الإسلامية بإذن السلطان يقبض من التجار مال (السوكرة) وإذا هلك من مالهم شئ فى البحر يؤدى ذلك المستأمن للتجار بدله تماماً - والذى يظهر لى أنه لا يحل للتاجر أخذ بدل المالك من ماله لأن هذا التزام ما لا يلزم - فإن قلت : إن المودع إذا أخذ أجرة على الوديعة يضمنها إذا هلكت . قلت : مسألتنا من هذا القبيل لأن المال ليس فى يد صاحب (السوكرة) بل فى يد صاحب المركب ، وإن كان صاحب (السوكرة) هو صاحب المركب يكون أجهراً مشتركاً قد أخذ أجره على الحفظ وعلى الحل ، وكل من المودع والأجير المشترك لا يضمن ما لا يمكن الاحتراز عنه كالموت والفرق ونحو ذلك . فإن قلت : سيأتى فى باب كفالة الرجلين : إذا قال شخص لآخر : اسلك هذا الطريق فإنه آمن ، فسلك ، وأخذ ماله لم يضمن - ولو قال له : إن كان مخوفاً وأخذ مالك فأنا ضامن ضمن وعلمه الشارح هناك بأنه ضامن الغار صفة السلامة للغرور نصاً ١٥٠ . أى بخلاف الأولى فإنه لم ينص . على الضمان بقوله فأنا ضامن وفى جامع الفصولين : الأصل أن المغرور إنما يرجع على الغار لو حصل الغرور فى ضمن المعاوضة

المال بعد خصم ما يقضى التعاقد بخضمه من ذلك الربح .

وقد ارتفع التأمين فى الأزمنة المتأخرة إلى مستوى رفيع صار به من مقومات الحياة الاجتماعية ووسائل استقرارها فأمنها مما أدى بكثير من الحكومات إلى جعله إجبارياً من إصابات العمل وأمراض المهنة والبطالة والشيخوخة ومن هذه الحكومات الجمهورية العربية المتحدة إذ جعلته إجبارياً من إصابات العمل وأمراض المهنة بالقانون رقم ٨٦ لسنة ١٩٤٢ وضد الوفاة والعجز بالنسبة لمعامل المؤسسات بالقانون رقم ٤١٩ لسنة ١٩٥٥ ومن المسؤولية المدنية لأصحاب السيارات بالقانون رقم ٦٥٢ لسنة ١٩٥٥ وأخيراً صدر القانون رقم ٦٣ / ١٩٦٠ معدلاً لكل هذه القوانين وجامعاً للاشتراك الاجتماعية المفروضة التى سيأتى بيانها بعد ذلك .

آراء الباحثين فيه :

لم يكن لعقد التأمين وجود فى المحيط الإسلامى فى عصر سلفنا الأولين من الفقهاء ، ولذا لم يكن لهم فيه رأى وكان أول رأى فيه نعرفه هو لابن عابدين فى حاشيته : رد المحتار على الدر المختار عند الكلام على استئمان الحربى فى فصل استئمان الكافر فى الجزء ٣ ص ٢٧٣ طبعة الحلبي سنة ١٣٢٧ هـ :

فقد عرض له ابن عابدين فى هذا الموضوع إذ جا فيه ما نصه :

لا يحل لمسلم فى دارنا أن يعقد مع المستأمن وهو الحرى الذى دخل دار الإسلام بأمان ، إلا ما يحل من العقود مع المسلمين ولا يجوز أن يؤخذ منه شئ لا يلزمه ، وإن جرت العادة به ، كالذى يؤخذ

فلا يعمل هدم جوازه بنفس الدعوى أى بطل
البحث نفسه ثم أورد ابن عابدين مسألتين قد يشعر
الحكم فيهما والقياس عليه بالجواز، وهما: مسألة لوديع
بأجر إذ يضمن الوديعة إذا هلك، ومسألة خطر
الطريق التي بقيت على تضمين الغار، وذكر أن لا محل
للقياس عليهما لوجود الفارق بين مسألتنا وبينهما
وانعدام الأمر الجامع غير أنهما قد يصلحان نقضاً
لما بنى عليه ابن عابدين رأيه وذلك أن الالتزام
فيهما قد يوصف أيضاً بأنه التزام لما لا يلزم ذلك
أن الوديع أمين لا يلزمه الوديعة إذا هلك من غير
تعهد ولا تقصير وأخذه الأجر على حفظها لا يخرجها
عن أمانته فالزامه بالضمان إلزام له بما لا يلزمه
وكذلك يقال في مسألة خطر الطريق، وعلى الجملة
فليس يرى لما ذهب إليه ابن عابدين سند مقنع
كما أنه لم يتناول إلا نوعاً خاصاً من أنواع التأمين
هو التأمين ضد خطر الطريق .

أوضح الغار صفة السلامة للغرور فصار كقول
الطحاوي رب البر: اجعله في الدلو لجعله فيه فذهب
من ثقب الدلو إلى الماء، وكان الطحاوي عالماً به ضمن
إذ غره في ضمن العقد وهو يقتضى السلامة - قلت
لا بد في مسألة التغرير من أن يكون الغار عالماً
بالخطر كما تدل عليه مسألة الطحاوي المذكورة، وأن
يكون المغرور غير عالم إذ لا شك أن رب البر
لو كان عالماً بثقب الدلو يكون هو المضيع لماله
باختياره ولفظ المغرور بنى من ذلك - ولا شك
أن صاحب (السوكة) لا يقصد تغرير التجار ولا يعلم
الفرق هل يكون أم لا، وأما الخطر من اللصوص
والقطاع فهو معلوم له وللتجار لأنهم لا يعطون مال
(السوكة) إلا عند شدة الخوف طمعاً في أخذ بدل
الماله فلم تكن مسألتنا من هذا القبيل أيضاً . ١٠
ذلك ما ذكره ابن عابدين في موضوع هذا
التعاقد .

وقد تناول التأمين بالبحث أخيراً عدد
من الباحثين، وبخاصة بعد ذبوه وانقشاره وتنوعه
فاختلفت آراؤهم فيه بين: مجيز ومانع بإطلاق ومجيز
في بعض أنواعه ومانع في بعضها الآخر، وسأعرض
لما بنيت عليه هذه الآراء من أسس حتى يتسنى
لنا مناقشة أسباب المنع وأسباب الجواز والانتهاج
إلى رأى في الأمر نعرضه .

على التعريف

ومن هذا يظهر أن ابن عابدين يرى عدم
جواز هذا التعاقد وأنه لا يترتب عليه إلزام "ضامن
بما ألزم به عند وقوع الخطر كما لا يترتب عليه
كذلك إلزام التعاقد معه بدفع ما ألزم بدفعه
من المال وقد ذهب في تعليل ذلك إلى أن هذا
من قبيل التزام ما لا يلزم، والتزام ما لا يلزم باطل
عند الحنفية، وقد يناقش هذا التعليل بأن فيه معنى
المضادة لأن محل البحث هو الوصول إلى أن هذا
الالتزام عن التزام لما يلزم بمثل هذا التعاقد



قضية المرأة

لأستاذ علي العساري

- ٢ -

وقد اقترحت بعض الحكيمات أن ينص على أن الحضانة للأم دائماً وإلى الأبد ، ولا يسحب منها هذا الحق إلا في ظروف عصرية كأن تنحرف أو يسوء سلوكها .
والصحيفة تفصلت فأبرزت هذا الاقتراح كأنها تراه اقترافاً عظيماً .

وما رأيينا ، ولا سمعنا أن إنساناً جاداً ، أو هيئة تحترم حقوق الناس تلجأ في القضايا الخاصة إلى غير ذوي الاختصاص ، فنحن لم نر - مثلاً - مسألة في الطب ناقشتها غير الأطباء ، ولا موضوعاً في الاقتصاد تنكلم فيه غير الاقتصاديين ، ولا مشكلة في الزراعة عرضت على الطلاب أو الموظفين . فهل أمر القضايا الدينية أهون من كل هذه الأمور .

لا شك أن هذا اتجاه خطير يشعر بأن هذه القضايا التي هي من صميم الدين ليس من الضروري أن نأخذ فيها نظرة دينية ، وإنما ينبغي أن نستطلع فيها رأى عامة الناس لنعرف مدى حكمهم عليها ، ولا هليفاً بعد ذلك إن كان الدين يوافق آراء هؤلاء أو يخالفها وهو تجاهل غريب للدين في أمه هي - بحق - زعيمة للعالم الإسلامي .

وبما زاد الطين بلة أن صحيفة الأهرام حين علقت على القانون الجديد الأحوال الشخصية رأت أنه لم يحقق نصراً إلا للرجل وحده ، وذلك في معظم التعديلات ، ويجب - كما تقول الصحيفة - أن يخرج المشروع الجديد متكاملًا يرضى كل الأطراف .

وكان القوانين وضعت لترضى هذا الفريق ،

قلت : إن أكثر المتحمسين والمتحمسات لإعطاء المرأة أكثر مما أوجبه الشرع والطبيعة لها لا يحتكمون إلى نصوص الإسلام ، وشرائعه ، ولا يعنيههم هذا الأمر في قليل أو كثير ، بل إن بعضهم يعتمد على مصادرة النصوص الدينية تليجاً أو تصريحاً ، فإذا خطر لأحدهم أن يحتكم إلى نص ديني حاول أن يتعسف في فهمه ، وأن يقسره قسراً على ما يريد ، وإن كان فقه الإسلام ، وفقه اللغة العربية يأبى ذلك .

ولعل من تجاهل التعامل الدينية - في هذا الشأن - تجاهلاً خبيثاً مقصوداً أن تطرح قضايا نصوص الدين فيها واضحة ، وآراء الشراح والفقهاء فيها معروفة ، ومدمجة بالأدلة ، أقول : تطرح هذه القضايا للنقاش كما تطرح مسائل الأزياء ، ليقول فيها من يعرف ومن لا يعرف ، بل ربما طرحت ليؤخذ فيها رأى من لا يعرفون دين من يعرفون .

طرحت صحيفة الأهرام موضوع الطلاق والحضانة للنقاش ، وأخذت في كل منهما رأى بعض الناس ، فمنهم الذين أخذت آراءهم ، وبجملتها في تحقيقها الصحتي . لقد استعرضت في قضية الطلاق آراء خمسة من أبناء الشعب : رئيس بنك الائتمان ، وفلاح في قرية من قرى الدقهلية ، ورئيس مجلس قرية في بني سويف ، ومشرف من مشرفي الرقابة على النقد الأجنبية ، وآخر فلاح أيضاً ، وكذلك فعلت في قضية الحضانة . وقد ظهر مما قاله هؤلاء أن واحداً منهم لم يدرس دراسة دينية متخصصة ، ولم يستند واحد منهم إلى نص من نصوص الإسلام ، ولا إلى رأى عالم من العلماء .

وتبعة عمله عليه ، ويكفي أن نبصره بالأضرار التي قد تعود عليه إذا أقدم على التعدد وهو غير قادر أن ينفق على أسرته ، ثم له بعد ذلك ما يشاء . وقد سبق أن قلت إن قضية المرأة من بين القضايا اتسمت بتفكر غريب لأحكام الإسلام ولعل أظهر الموضوعات في ذلك موضوع (تعدد الزوجات) فنحن كأبناء متعصبو الغربيين ؛ بهذا التعدد ، ونحن نحاول أن نظهر الإسلام أمامهم بمظهر البرى من هذه الوصمة التي يزعمونها ، ومنه يظهر سلطان المرأة ونحن نهاملها على حساب الدين في هذا الموضوع وأكبر الذين تكلموا في موضوع تعدد الزوجات أخطأوا لأنهم حق المجتمع ، ولو كان كثير منهم لا يعرفون من الإسلام أكثر مما يعرفه المبتدئون من العالاب .

والشبهة التي عشت في رد وسهم هي الجمع بين آيتي النساء ، الأولى التي تقول : « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » ، والثانية التي تقول : « وان تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل » . ولهذا الشبهة ذهب بعضهم إلى أن الشريعة الإسلامية حرمت التعدد تحريراً باتاً ، وذهب بعض المحترفين من الصحفيين إلى أن ذلك رأى كثير من الفقهاء . ولعل القول بطول لو أعدنا ما قيل في الرد على هؤلاء ، ولكن أمراً واحداً لا أدرى كيف طووا أنفسهم عليه ، ذلك أن النبي ، وأصحابه ، وتابعيه ، والعلماء منذ الصدر الأول إلى يومنا هذا يقررون هاتين الآيتين ، ويجيزون التعدد قولاً وعملاً .

فهل فقه بعض المعاصرين ما لم يفقه علماء المسلمين مدى أربعة عشر قرناً ، أو تزيد ؟ وإن واحداً من أولئك العلماء الأعلام ليعمد أقل تلاميذه علماء عشرات بل مئات من هؤلاء الذين يفتون بغير علم . ومهما أنكرنا من قدرة أعداء الإسلام فلن نستطيع أن نفكر شيئاً واحداً ، هو أنهم استطاعوا

أو ذاك ، أو لجرد أن تكون نصراً لأحد الجندين على الآخر ، وكأنها لا تستمد من الدين فينبغي أن توضع بحيث ترضى أو لا ترضى .

ومادام المقصود إرضاء المرأة فلن يجرى هذا القانون ، لأن المرأة العصرية لا يقف طموحها عند حد ، وهي لن ترضى حتى تقاوى بالرجل في كل شيء ، بل هي تريد أن تكون الزاوية على الرجل . وإذا استمر الحال على هذا المنوال من بمالة الكتاب للمرأة ، والى بعد من فقه الإسلام فلن يطول بنا الزمن حتى نرى المرأة تطالب بحقوقها في تعدد الأزواج . وأننا لا أدرى لماذا لا يرفع هؤلاء المطالبون بالمساواة التامة أيديهم إلى الله تعالى يتضرعون إليه ، ويطلبون منه أن يتفضل على المرأة فينبئ لها الحية وشارباً ١٤ .

ولا حاجة بي أن أقول : لأنه ليس من حق هيئة من الهيئات أن تشرع للناس في أمور دينهم ما لم تدرس هذه الأمور دراسة واعية مشقة ، وما لم تأخذ رأى رجال الدين فيما تدرس . فإذا حدث ، وتعدت هيئة طورها وقالت في شريعة الله بما لا تؤيده أصول هذه الشريعة ، فإنها بذلك تزعم الثقة فيها ولن يستمع أحداً لما تقول . وقد قرأت أن حكومة (تونس) سنت تشريعاً يحاكم من يطلق دون إذن القاضي ، أو يتزوج على زوجة أخرى وهذا تجاهل للحرية الدينية التي منحها الإسلام لاتباعه ، ولن يشفع له أن رأياً قديماً من عالم أو فقيه قال به ، فسا كل ما قيل يؤخذ به إذا لم يكن دليلاً قوياً واضحاً .

ومن العجيب أن نجد بعض الدول الغربية تميل إلى نظام تعدد الزوجات ، ويرى فيه بعض كتابهم الحل الوحيد لمشكلة زيادة عدد الإناث من الذكور ، في حين نجد حكومة مسلمة تحرمة . ونحن لا نذهب لتعدد الزوجات ، ولكننا لانحب أن يقف أحد في سبيل حرية المسلم ،

عن الفضيلة ، والمرأة هي التي تستطيع أن تصون الفضيلة (هكذا بصيغة الحصر) .

وهو يلجأ إلى المبالغة المكشوفة فيزعم أن المرأة لم تباشر عملاً إلا أنت فيه بما يشبه المعجزات .

وهو - حين يريد أن يبين سوء حال المرأة المصرية - يزعم أن تسعين في المائة من نساء الريف يعالجن رمد العين بروت البقر .

وحين يريد أن يحتج لقضية المساواة يزعم أن الشرائع كلها سماوية ووضعية سوت بين الرجل والمرأة في المسؤوليات والتبعات .

ولا تزال الدهوة مستمرة ، وحادة ، ومنحرفة في قضية المرأة ، وآخر ما قرأناه مقالة لإحدى الكتاتيب بمجلة الهلال تدهو فيه إلى الاختلاط التام

بين الفتيان والفتيات في كل مرحلة من مراحل الحياة ، فعلى الأمر - كما تهرق - أن تزيل واسب الحريم ، وأن تجمع بين الفتى والفتاة منذ الطفولة في صداقات عائلية ، وتمكن لهذه الصداقات ، وبذلك - كما قالت حضرتها - نضمن لبضع السادسة عشرة المتفتحة في مجتمعنا المتجانس انطلاقا سويا بلا أزمات ، ولا تعقيدات .

وهكذا من أجل (عيون) التعقيدات المزعومة ينبغى أن نترك الأمر فوضى بين الفتيان والفتيات منذ الصغر ، كأنه لا يكفي الاختلاط في الجامعة ، بل ينبغى أن يكون في المدرسة الابتدائية ، والإعدادية ، والثانوية ، وفي البيوت ، وفي المصنع والحقل ، وفي كل مكان وزمان .

وهذا آخر فلسفة المرأة المثقفة ، وهذا علاجها الحاسم للأزمات التي تتعرض لها الفتاة في سن المراهقة ، أن تتركها تختلط بالشبان منذ الصغر .

وهذا الكلام بطبيعة الحال لم يحسب أى حساب للأدب الدينية ، ولم تلق صاحبته أى بال للنصوص

أن يفيحوا البلبلة في فهم النصوص ، وأن يشككوا بعض ضعاف الإيمان في تعاليم دينهم ، حتى تعدى ذلك إلى علماء الدين أنفسهم في قضية المرأة .

ولا بأس أن نعود هنا إلى كتاب (من هنا نبدأ) لنرى ذلك العالم الأزهرى الذى تخرج في كلية الشريعة الإسلامية وهو يتصرف في نص قرآنى ليصل إلى دهم رأى ارتآه .

عرض ذلك العالم لقوله تعالى : الرجال قوامون على النساء ، فرأى أن الجملة من العلماء هم الذين يفهمون هذه الآية على غير وجهها ، فهم يقولون : إن المرأة دون الرجل في البيت ، وفي المجتمع ، وفي الدولة ، قال - عفا الله عنه - وهو تأويل لا يندرج عليه سواهم .

ثم أوضح معنى الآية هنده فقال : بيد أن معنى الآية واضح جلي ، ولا يحتمل كل هذا الالتواء ، والاعتساف ، فهم لا تعدو أن تكون تزكية بسلطة الرجل في الأسرة ، وامتيازاً هائلياً يمنحه الرجل نظير ما يحمله من تبعات ، بدليل قوله تعالى في نفس الآية : وبما أنفقوا من أموالهم ، .

فصنيع المؤلف هنا يحملنا على سوء الظن ، ويجعلنا نتشكك في سلامة نيته ، فالآية - كما هي في جميع المصاحف - هكذا : الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم . فكيف يكون القول بأن الرجل مفضل على المرأة تأويلاً فاسداً ، وهو منطوق الآية ؟

ولماذا يتر المؤلف هذا الجزء من الآية : وبما فضل الله بعضهم على بعض ، ١٤ ولكن الذى يقتضيه ما كتبه المؤلف في الدفاع عن المرأة لا يستكثر عليه أن يجاملها ولو على حساب تجاهل نص قرآنى وحذفه عند النظر في آية تفضيل الرجل على المرأة . فهو يرى أن الرجال غير قادرين على الدفاع

تعانى بعض النساء آلام الفاقة والحاجة ينعم أخوها في ميراثها ، وربما كان رجلاً نال من العلم والثقافة نصيباً ، وإذا حدث وأهدى لها شيئاً في المواسم والأعياد اعتبر ذلك تفضلاً منه .

هذه ظاهرة لا تخفى على أحد فلماذا لا يجمد المحتمسون والناحمسات لحقوق المرأة أنفلامهم ، وجهودهم لهذه القضية ؟ ولماذا لا يطالبون المسؤولين - كما يطالبونهم بأن يجرؤوا تعدد الزوجات - أن يسنوا عقاباً رادعاً لكل من يجرم أخته من ميراثها الشرعى ؟

إننا نقرأ فى أكثر من صحيفة ، ولا أكثر من كاتب اقتراحاً بأن تتساوى المرأة مع الرجل فى الميراث ، ولكننا لا نقرأ اقتراحاً بأن تأخذ نصيبها - بين بحرهما أهلهما منه .

إن فى الاقتراح الأول إنكاراً صريحاً لآية محكمة من كتاب الله ، وفى الاقتراح الثانى تنفيذ لنص محكم من كتاب الله ، فأى الأسرين أولى بأن يقف وراءه ، وأن ندافع عنه ؟

إننا لا نريد أبداً - كما قلت فى مبدأ هذا الحديث - أن نبخس المرأة حقاً من حقوقها التى شرعها لها الإسلام ، ولكننا نعارض بكل قوة أية دعوة تهدف إلى أن نعارض نصاً من نصوص ديننا ، ومهما كثر الداعرون والداعيات إلى هذا الذى تعارضه فإن ذلك لا يثنينا أبداً عن أن نهمز بكلمة الدين ، وأن ندافع عنها ، وأن نبينها للناس : (قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) . وإنه لدين فى حق كل مسلم أيا كان مسكانه فى الحياة أن يدفع عن دينه كل ضيم يحاول أن يقاله من هؤلاء الذين لا يبالون أين تقع معاولهم من بناء الإسلام .

عل العمارى

القرآنية ، ولا شك أنها تعرف هذه النصوص ، ولكنها عن عمد وعن قصد تريد أن تفهمنا أن علاج بقائنا ، وأبنائنا فى غير السير على مقتضى هذه النصوص .

ونحن نعرف كيف أشأت هذه الصحف ، وهذه المجلات ، وكيف تسير الآن ، فليس بعجيب أن تفهمنا لغايات وأهداف - لا تخفى على أحد - عن أصول الإسلام .

ولعل من العجيب أن أشرح لهذه الكاتبة وأغيرها ما جئناه عايناً ، وعلى غيرنا الاختلاط بين القتيان والفتيات ، ولكن الذى ينبغى أن تعبى الكاتبة جيداً أن الأزمات التى تعرض لها الفتاة ، مهما كانت قاسية هى خير من أن تفقد الفتاة من الصغر شرفها والعجب من هؤلاء الصانحين ، والناقمات لا يحاولن ولمن ولهن كلام إلا فى القضايا التى يكون فى الدفاع عنها مخالفة لفواعد الإسلام ، أما حين تكون للمرأة قضية طائلة تؤيدها النصوص الصريحة فى الدين ، فإنهم ، ولهن لا يلتفتون لهذه القضية ، ربما لأنه ليس فيها ما يشبع الرغبة فى التنكر لشرائع الله .

المرأة فى الريف - وبخاصة ريف الصعيد - لا تتنازل حقها الشرعى من ميراث أبها أو أمها ، أو إخوتها ، وإذا تطلعت واحدة إلى أخذ ميراثها جرت الساموات والمشاورات ، وعقدت المجالس العرفية لغرض واحد هو أن تتنازل المرأة عن نصيبها كله ، أو بعضه ، وينتهى كل ذلك إلى أن تأخذ (ترضية) قد تكون خمس حقها ، أو أقل ، ثم بعد ذلك يجهضها لإخوتها ، ويعتبرونها خارجة عن الأسرة ، ولا فرق فى ذلك بين الإخوة الجملة ، والإخوة المتعدين ، وإنى لأعرف من ذلك أشياء كثيرة ، تدمع لها العين ، ويحزن لها القلب ، فبينما

فجر الفكر الإسلامي في مصر للأستاذ عبد الجليل شلبي

— ٣ —

أثرت من قبل إلى السرعة العجيبة التي استجاب

ولكل مؤرخ أن يحمل حوادث التاريخ من الوجهة التي يراها ، لكن بما هو مقطوع به أن منطق الحوادث أصدق وأبلغ .

ومن المعروف أن من المسيحيين من طلب من خلفاء المسلمين أن يدفع الزكاة عن ماله كما يفعل المسلمون بدلا من الجزية ، فأجيب إلى ما طلب ، فعل ذلك عمر بن الخطاب مع بني تميم ، وفعله عبد الملك مع قبيلة تغلب ، ولم يطالب المصريون - فيما أعلم - مثل هذا من الحكام بما يدل على أن الجزية التي ضربت عليهم لم تكن فادحة ولا ثقيلة ، ومعروف مع هذا أن عمرو بن العاص أول وال على مصر انتص الضريبة التي كان يجبيها الرومان من المصريين إلى نصفها .

وقبل أن أذكر أقوال مؤرخين آخرين تدحض هذا الرأي أذكر أمرين لا أدري كيف غابا عن ذاكرة مدام بوتشر ومن جاراها في فهمها ورأيها :

أول هذين الأمرين أن الثورة التي قاموا ضد العرب أوائل عهدهم كانت بالإسكندرية والإسكندرية لم تكن قبل الفتح العربي مدينة تمثل الروح المصرية وإنما كانت مدينة مفتوحة يغلب عليها الغنصر الاجنبي ، وكان معظم سكانها من اليونان والرومان ، وكانت ثورتها محاولة لرجوع الرومان . وهذه الثورة لا تسكني فيها النظرة السطحية ولا الحكم العاجل . أما ما ذكرته من ظلم العرب ، وتعذيبهم القبط

أشرت من قبل إلى السرعة العجيبة التي استجاب بها المصريون إلى دعوة الإسلام ، وإلى إقبالهم عليه إقبالا منقطع النظير ، وقد استرعت هذه الظاهرة أنظار المؤرخين في القديم وفي الحديث وكان ينبغي ألا يكون في تعليلها خلاف أو تضارب رأي ، وأنه يكفي في ذلك ما هو معروف من ميل المصريين إلى بساطة العقيدة ، ونفورهم من الفكر المعقد ، ومن أثر الظروف التي مرت بهم من قبل وأنه كان في سماعة الإسلام وبساطة عقيدته ، وأيضا في تواضع العرب بجانب عنتجية الروم ، ما يكفي لتعليل إقبال المصريين على الإسلام أكثر من غيرهم ، لكننا نجد تعليلات أخرى لا مسأغ لها من الواقع .

فيذكر بعضهم فداحة الجزية وأن القبط لم يكن يتخففوا من عبثها ندينوا بدين الإسلام ويذكرون أيضا جبروت العرب وظلمهم ، ويتخذون من ثورة الإسكندرية مستندا لذلك ، ويبدوا أن العبيدة مدام بوتشر^(١) استطاعت أن تخفق صدى لرأيها كما كانت هي صدى لكتاب سابقين ، وبوجه عام لا تنصف هذه السكينة بالتعصب فقط بل ينقصها احتق المؤرخ الذي يستطيع أن يخفي وراءه حتى يجعل الحسنة

(١) هي السيدة ا. ل. بوتشر . صاحبة تاريخ الأمة القبطية وكينيتها - ألفته بالإنجليزية ، وأخرجته إلى العربية ١٩٠٠ م تدرس سنوات المتبادي - صاحب جريدة مصر ، وقد اعتمدت فيه على تاريخ الكنائس القبطية لوبرس أسقف الأشرقيين وتكملة الأسقف ميخائيل الطائيسى .

الجزيرة إلى ما حولها ويرون أن الإسلام صادف وقتاً لإحدى هذه الهجرات .

وهذه التعليلات - مهما تكن في نظرهم - لا يتكرر أساسها ، ولا يؤخذ بها جملة ، وإذا كان العامل الإسلامي هو الذي وجهها ونظم تيارها فيجب أن يكون له المقام الأول وأن يكون فوق جميع التعليلات . فلو كان واحد منها أو كانت جميعها هي الدافع إلى الفتح العربي ما هي العرب بنشر الإسلام ولا محاربة الوثنية ، ولا اكتفوا بما يحصلون عليه من رزق ، وهذا لم يحدث في مصر ولا في غيرها .

ومع أن توماس أرنولد ذكر هذه النظريات في أول كتابه « الدعوة إلى الإسلام » ، تحدث عن إسلام المصريين ، وتخليهم عن المسيحية إلى الإسلام بما يكفي أن يدحض كل هذه الأقاويل .

فهو يقول : « وقد جلب الفتح الإسلامي إلى هؤلاء القبط حياة تقوم على الحرية الدينية التي لم يذموا بها قبل قرن من الزمان »

وليس هناك شاهد من القضاة يدل على أن ارتدادهم عن دينهم القديم (المسيحية) كان راجعاً إلى اضطهاد أو ضغط (١)

ويذكر أرنولد أن الجزيرة ظلت تتناقص بعد عهد عثمان بن عفان حتى بلغ من تناقصها في عهد عمر بن عبد العزيز أن كتب إليه واليه على مصر يطالب أن يدفع الذين يسلمون من القبط جزيتهم التي كانوا يدفعونها من قبل - حرصاً على مالية الدولة لكن الخليفة كتب إليه : إن الله

قد أسرف في ذكره ، ولكنها هجرت عن إنباته بالحوادث التي تثبت صدقها (٢) .

وثاني هذين الأمرين أنه ليس من صفات المصريين أن يرددوا عن دينهم بسهولة ، فقد لاقوا في بحر المسيحية ما هو معروف من الهول والنكال ، وما تصغر بجانبه أنواع العذاب الأخرى ، ومع ذلك لم يرجعوا عن مسيحتهم ، فكيف يبدعونها رخيصة لقاء مقابل مالي ضئيل ؟... أليس هذا إساءة إلى القبط وتهويناً لمكانة الدين في نفوسهم ؟

ومدام بوتشر أشادت بعصر الشهداء وأسببت في صور العذاب التي لاهاها القبط من الرومان لثباتهم على المذهب اليقوني دون المللكاني فكيف غاب عنها هذا ؟...

وينظر المستشرقون إلى الفتح العربي كله نظرات مادية ، ولا يكادون يتفقون فيه على رأى قاطع بل يختلفون اختلافاً بعيداً .

ذكر دى غوبه عدة عوامل رأى أنها دفعت بالخليفة الأولين إلى التوسع في الفتح ومن بينها أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان يرى إلى إنشاء إمبراطورية إسلامية عالمية بدأها بمحمة أسامة بن زيد قبل وفاته . وأنكر كيناتي - المستشرق الإيطالي هذا الرأى ورأى أن محلة أبي بكر على الشام كان يقصد بها غارة وقتية (٣) .

وغير واحد يرى أن العامل الاقتصادي وفقر الجزيرة العربية هو الذي دفع بالعرب إلى الفتح سعياً وراء القوت والثراء والأرض الخصبة كما يذكرون الهجرات المتتالية من جوف

(١) انظر الجزء الثاني ١٩ وما بعدها .

(٢) انظر الدولة العربية وعلى حسن الخربوطلى ١٩ - ٢٩

(١) ص ١٢٣ .

على ما نالهم من تعذيب كان مغرباً للآخرين
أن يقنعوا .

وقد مثل العهد المسيحي في مصر فترة انتقال
بين الوثنية المتعددة الآلهة ، وبين التوحيد المطلق
الذي جاء به الإسلام ، فمقيدة الثلاث حدثت من
فوضى تعدد الآلهة ، وربطت بين هذه المعبودات
الثلاثة ، ومن ناحية أخرى أشبهت عقيدة المصريين
وأخذت منها ، ذلك أن نملة إيزيس المصرية كانت
قد انتشرت في أماكن بعيدة في الشرق والغرب ،
وحاكتها نمل أخرى ، وقد اقترنت بنملة مترا
الفارسية في غزو بلاد اليونان والرومان فسماها :
اليونان « ديمتر » ونحوها صفتها المصرية ، وهي
صفة الأمومة الكبرى أو صفة العظيمة الأم ...
ويرسمون لها صوراً جميلة تنم على الطهارة والحنان
وفي حضنها طفل رضيع يشع النور من وجهه
رمزاً للأمومة والبر والبراءة . (١)
وهي هي الصورة التي ترسم للسيدة العذراء ،
وهي تحتضن المسيح عليه السلام .

فالمسيحية أرشدت إلى الفكر (الميتافيزيقي)
ولكنها لم تشبع نهم النفوس والعواطف من إيجاد
فارق ملحوظ بين الخالق والمخلوقين ، ثم هي ما لبثت
أن انقسمت على نفسها وأشعلت حرباً لا هوادة
فيها ، فزادت نفوس أتباعها حيرة وهماً ثم تلقائياً
إلى قبول الإسلام .

أردت بهذا كله أن أضحض فكرة إكراه
المصريين على قبول الإسلام ، وهي فكرة أملاها
التعصب والهوى ، ولكن أظن أنه كان لا بد من
هذا قبل الدخول في تفاصيل الفكر الإسلامي ؟

عبد المولى شلبي

تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم هادياً ولم يبعثه
جائياً ...

وهذا الحادث معروف في كتب التاريخ
وهو واضح الدلالة في أن العرب لم يكونوا يهدفون
من فتوحهم إلى مجرد المال

أما تحول المسيحيين إلى الإسلام بكل هذه
السرعة والسهولة فيعمله أن فولد بأنهم دخلوا المسيحية
من غير فهم لها . وأنهم لم يهضموا قوانينها المعقدة
بل كانوا يقتلون المسيحية في غمرة من الحراسة
الجامحة دون أن يتلقوا أى شئ ... عن الدين
الجديد غير اسم عيسى المسيح ...

ومن المرجح أن تأثير المسيحية في السواد
الاعظم من أهل مصر كان قليلاً ... كما أن انتشار
الإسلام في الأيام الأولى من الاحتلال العربي
قد يكون راجعاً إلى عجز ديانة كالديانة المسيحية
وعدم صلاحيتها للبقاء أكثر من أن يكون راجعاً
إلى الجهود التي قام بها القفاحيون لجذب الأهلين
إلى الإسلام .

ولا شك أن كثيراً من هؤلاء قد تحولوا
وقد أخذ الضجر منهم كل مأخذ ، واستولى
على نفوسهم الإعياء من ذلك الجدل القديم ...
إلى عقيدة تتلخص في وحدانية الله البسيطة الواضحة
ورسالة نبيه محمد (١)

وأظن هذا كله يكفي في هذا الصدد .
أما عن تفكير ثبات القبط على المسيحية
رغم تعذيب الرومان - فقد علله كل من تعرض
لهذا البحث - بأن الوثنية في كل صورها كانت
قد آذنت بانتهاء ، ولم تعد تصلح أن تكون غذاء
روحياً للعقالية البشرية التي بلغت حظاً كبيراً
من النضج والارتقاء هذا إلى أن صبر المتعصبين

(١) حياة المسيح ١٩ ، انظر مقارنة الأديان لأحمد

شلبي ج ٢ / ٥٨ .

(١) ١٢٥ - وما بعدها .

الاسلام والمجتمع

للأستاذ مصطفى عبد الواحد

لا غرض فيها ولا هدف، يبصر فيها الإنسان كل شيء، وينفسح أمامه الأفق ليُبصر نهاية الطريق لقد جاء الإسلام ليحكم الحياة ويمسك زمامها، وايضاً السبيل أمام البشر ويبارد من دنياهم العمى والضلال .

«كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد» . فلم يكن بإمكانه أن يدع الناس بمنأى عن نور الوحي وهداية السماء .

بل كان عليه أن يرسم لهم خطة الحياة ، كما رضى لهم خالقهم ، ويبين لهم كيف يقيمون علاقاتهم وفق عقيدتهم وعلى أساسها ، وكان عليه أن يقيم مجتمعاً يحقق مبادئه التي أتى بها ويطبق نظريته إلى الوجود ، ويفسر رأيه في الحياة والأحياء .

ومن هنا فإن الإسلام لا يمكن أن ينأى عن المجتمع ولا يمكن أن يحيا في مجتمع يعتمد مبادئ مخالفة ويمتلك نظريات مضادة أو يحتفظ بعلاقات وقيم غير علاقات الإسلام وقيمه .

وتدّ وضّح في القرآن أنه جاء لقيادة الحياة وتوجيهها إلى معرفة الله وعبادته والرضا بحكمه لا أن يقع بأن يسمح له بالحياة في ناحية من مجتمع لا يرفع شعاره ولا تعلّي رأيه ولا ينزل على حكمه ولا يتجه نحو غايته .

وحين يقول القرآن :

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ،

لقد حتم التطور التاريخي أن يكون للإسلام في الحياة الإنسانية دور يختلف به عما سبقه من رسالات ، فقد جاء الإسلام بمنهج اجتماعي أراد به تحقيق الحياة المتوازنة المطمئنة واستهدف به سعادة البشر جميعاً .

وبما كان لبعض الديانات السابقة العذر في نأيتها عن الحياة وتخليها عن قيادة المجتمع ، وقنوها بأن تنجّه إلى الضمائر والقلوب ، تدعو إلى تصفية الروح وتهذيب النفس ، لا تعيش مع الناس دنياهم ولا تقيم حياتهم على أساسها . .

أو بعبارة أخرى كانت تقسم الحياة الإنسانية إلى قسمين : قسم لله ، يتناول العبادة التي لا تسكّل إلا بالتخلي عن الحياة وفبذ ذريعتها ، والمهروب من فتنها وترك الانغماس فيها . .

وقسم آخر للناس ، هو الحياة بأفعالها وتبعاتها ، بمشاكلها وعقباتها ، وهذا لا يتدخل فيه الدين ، ولا يفتى فيه برأى ، بل يترك قيصر يصنع في دنيا الناس ما يشاء ويتصرف كيف يريد ، ويترك الحياة كببحر هائج تصطبغ فيه الأمواج ، ويعلمو فيه الزبد فوق القمم .

وبما كان لها من هذر . فهي بحكم ظروفها التاريخية وأهدافها المحدودة ، وما استقر في ميزانها من قيم ، لا تجد ما تفتى به ولا ما تمسك به الزمام في ميدان الحياة . .

• • •

لكن الإسلام غاتمة الرسالات السماوية جاء ليضع أمام البشر منهاج حياة متوازنة مستقرة ،

أهوام واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ، فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وإن كثيراً من الناس لفاسقون ، أخذك الجاهلية يبعثون ١٤ . ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون .

إن صراحة الآيات في ضرورة الالتزام الاجتماعي بما أنزل الله واضحة لا تحتاج إلى بيان .

ولا بد أن نوضح هنا الغاية التي من أجلها يحرص الإسلام على القيادة والتوجيه .

إنه ليس حباً للسلطة أو طلباً للمغانم ، فالحاكم الحق في هذا النظام هو الخالق سبحانه ، الذي له ما في السموات والأرض ، ولكن الإسلام يرى أن الغاية الحقيقية التي أتى من أجلها لا تتحقق إلا بإقامة المجتمع المسلم . إنه رحمة . . . وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين . . . وإنه هدم لصروح الباطل وفك الأغلال وتعليم للقيود . . . ويضئ عنهم لإصرهم والأغلال التي كانت عليهم . .

وإنه حركة تحرير تفتح الأعين على النور وتزيل العقبات من طريق الجماهير . وما لكم لا تفقأون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان . .

« ونريد أن ننمى على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الأرض . .

فهو ليس عقيدة تسكنني بالاستقرار في الوجدان ، وتفرض العين عما يجري في الحياة ، ولكنه عقيدة وشريعة ، ونظام كامل يهدف إلى إقامة الحياة على أساس من معرفة الله ، بما يحقق الرحمة للعالمين ويضع الإصر عن المستضعفين ، ويمكن الإنسان من الحياة المستقرة المتوازنة .

فإذا أريد من الإسلام أن يحقق الطمأنينة والسلام ويهدي للتي هي أقوم ، فلا بد من تمكينه من إقامة

فأيه لا يعني أن يصير الرسول ، غصب . ، قاضياً في مجتمعه يلجأ إليه الخصوم ويسلبون بأمره ، ولكنه يعني أن يرتضى المجتمع مبادئ الشريعة وأن تتأكد العلاقات والأنظمة التي جاء بها الإسلام وحين يحكم الرسول في المجتمع فإنه لا يحكم إلا بما أراه الله من نور الوحي وهدهد ...

« إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله . .

ويتبين في القرآن هيمنته على الشرائع السابقة وقدرته على الحكم والتوجيه ، فليس هناك من آفاق الحياة ما لا يبصره القرآن ، ولا في جوانبها ما يغيب عن إدراكه أو يعزب عن نظره ، فليس من الإصاف أن « يزل » الإسلام مع هذه القدرة الفائقة على تسيير دفة الحياة في صواب ورشد ، ويطلب منه أن يقف متفرجاً على ما يدور حوله وهو في فطرته مسيطر مهيمن .

« وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصداقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوامهم عما جاك من الحق ، لعل جهلنا منكم شرعةً ومنهاجا ،

ومن أجل ذلك يرى الإسلام أن كل ما لا يطابق الوحي الإلهي الحق إنما يزرع بالفرد والمجتمع إلى الهلاك ، فإذا تخلى الإسلام عن قيادة المجتمع وهدايته قلن يتركه ... ١٥

إن عليه أن يؤدي واجبه وينهض بعينه ، ويحمي الإنسانية من أن تشقى الأهواء وتضلها الأكاذيب فتتوزع المناهات وتبتلعها الظلمات .

« وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه : ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ،

وهذا ما تفسر به الآيات التي تعرضت لتطبيقات القرآن وتحكيمه في شؤون الحياة .

« وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع

تأثير التوابع والزوابع في رسالة الغفران

لدى استاذ محمد رجب البيومي

وجدت في دوائر الاستشراق بحوث كثيرة حول صلة رسالة الغفران بالكوميديا الإلهية لدانتى ، وأسرف السكاتبون في هذه الناحية لإسراف لا يزال يتجدد ، ومع هذا السرف المصرف في تأكيد العلاقة بين الاثرين الأدبيين الكبيرين أو نفسيهما ، فإننا لم نترفيا قرأناه لهؤلاء بمحايا محل صلة الغفران بالتوابع والزوابع ، تحليلا جديدا مدعما ، وعلى افتراض أن تكون الصلة مقطوعة جزومة ، أفلا يكون هذا القطع المجزوم موضع بحث يتضى على الشبهات مهما كان الاثران النفسيان في أدب واحد ، وفي حقبة واحدة تدعو الباحث إلى نظر بصير .

ولكن كغاب العرب لم يغفلوا ذلك فنذ هرفت رسالة التوابع والزوابع سنة ١٩١٥ في مصر حين اهتم بها الاستاذ محمد المهدي لأول مرة في مصرنا

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

الاجتماع الذى يرتضيه ، وإلا أصبح معطلا عن عمله مصروفا عن غايته .

وحين يقنع الباحث الخط الذى يسير فيه اهتمام الإسلام بالجانب الاجتماعى ، يلحظ أن علاقة الإسلام بالاجتماع بدأت من أول يوم نزل فيه ، بما يقطع بأن إقامة المجتمع المسلم هدف أصيل لا ينسأه الإسلام ولا يتخلى عنه .

لقد كان القرآن يهاجم من أيامه الأولى أوضاع المجتمع الجاهل الفاسد ويكشف سوءاتها ، ويوجه ضربات قاصمة إليها .

ففي السور القصار المسكية ، وهى من أول ما نزل ، نرى طرفا من حملة الإسلام على المجتمع الجاهل ، وإشارة واضحة إلى أنه جاء ليقوض ذلك النظام وبقيم مكانه نظامه الإلهى الخالد .

وهذه بعض الأمثلة .

كانت تفش في المجتمع الجاهل أدواء الاثوة وتبدو فيه نوازع السيطرة والاستبداد ، ويشند فيه الشره

إلى المال ويتظالم البشر في توزيع الثروات ، وتضييع حقوق الضعاف وبهملى البائسون .

وقد واجهت آيات القرآن المسكى هذا الفساد وحملت عليه في مواقف متعددة .

كلا بل لا تكرمون اليعقيم ، ولا تحاضون على طعام المسكين ، وتأكلون التراث أكلا لما ، وتحبون المال حبا جما .

كذلك كان العرب في الجاهلية .

وقد كان بإمكان الإسلام لو لم تكن إقامة المجتمع المسلم من أهدافه ، أن يغضى عما يسوء المجتمع في مكة من قيم وما يتحكم فيه من علاقات ، ويقنع بأن يسلم الناس بجانب الاعتقاد والعبادة فيه ، وبذلك يصير في مأمن من العداوات التى يجرها عليه تعرضه للنظام الاجتماعى ومهاجمته لأوضاعه . لكننا رسالتنا التى لا بد له من تحقيقها ، وأمانة الحياة التى لا بد أن تصان .

لنتخرج الناس من الظلمات إلى النور .

مصطفى عبد الواحد

ما يتردد بها من الأحكام القاطعة كما يستنقها ابن شهيد ويحاول أن يقتنع بها الناس !

وأعجب ما يروى في التواضع والزواضع قدرة صاحبها على الوصف المناسب وتدسسه إلى مواطن الغمز في حيوات الأدباء وأشعارهم فصاحب أبي تمام يأوى إلى شجرة غيناء يتفجر من أصلها حين كفة حرراء ، فإذا ناداه اشتق الهواء صاعدا من الماء (وكان أبو تمام سقاء يبيع الماء أول أمره) ، فيسأله : وما الذى أسكنك قمر هذه العين ؟ فيقول : حياى من التحسين باسم الشعر وأنا لا أحسنه ، وصاحب أبي الطيب المتنبى صلف غفور يسمع غيره ولا ينشد لنفسه وهو فارس على فرس بيضاء ويده قنطرة أسندها إلى عنقه ، وعلى رأسه همامة حرراء قد أرخت لها عذبة صفراء وقد حياه فأحسن الرد ناظرا من عقلة شوصاء قد ملئت تها وعجبا ! وصاحب بدیع الزمان الهمزاني يسمع أبا عامر بن شهيد حاصدا مغنطا ، ثم يضرب الأرض برجله فتعرج له من مثل (بهوت) يتدهدى إليها فتجتمع إليه وينيب بها ! أما صاحب الجاحظ وعبد الحميد فيقولان له : إنا لنخطب منك بيدياء حيرة ، وتفترق أسماعنا منك بعبرة ، ولا ندرى أقول : أشاعر أم خطيب ؟ فيقول ابن شهيد : الإنصاف أولى والصديق بالحق أحبى ولا بد من قضاء ، فإيردان عليه : أنصرف فأنت شاعر وخطيب معا ! ويمضى والابصار إليه ناظرة ، والاعناق نحوه مائلة .

أما صاحب أبي نواس فما أحسن ما تحدث عنه أبو عامر ! رآه في دير حنيفة وهو دير عظيم تعبق روائحه وتصوك نواحيه ، وأقبلت نحوه الرهبان مشددة بالزنائير ، قد قبضت على العكاز ، يبيض الحواجب واللىحى ، إذا نظروا للبرء استحياء ،

الحديث ، فتحدث عنها لطلابه بالجامعة المصرية القديمة - وم فيما بعد - ذوو نباهة وتمحيص ، منذ ذلك ، والآراء تختلف حول صلة التواضع والزواضع برسالة أبي العلاء فتارة تؤكد هذه الصلة ، وتارة تجزم بامتناعها ، ونحن أبناء العرب قد ورثنا ابن شهيد وأبا العلاء معا ، فلن نقبح لأديب منهما على الآخر ، ولكننا حين نبحث هذا الموضوع نكشف من وجه الحق كما يترامى لناظره ، ونقدم من الأدلة ما نراه يميل برأى على رأى ، ويهمنى أن تنفرج دائرة هذه الآراء من صواب سديد .

وإذا كانت رسالة أبي العلاء من الشهرة والذيع بحيث لا تحتاج هنا إلى تلخيص أو تحليل ، فإن رسالة ابن شهيد تمرؤ كثيرا من طرافتها الخالصة ، فقد تحدث صاحبها عن رضى أديب من الجن كان يصاحبه في رحلته إلى ديار هبتر ، يسير به كالطائر يجتأب الجو فالجو ويقطع الدوفالدو ، حتى يشارف أرضا لا كأرضنا وجوؤا لا كجوؤنا متفرج الشجر ، عطر الزهر ، فيصل به إلى دارات ملهى الشعر ، ويناقش معه صاحب امرىء القيس يستمع منه ويسمعه ، ثم يفادره إلى أصحاب طرفة وقيس ابن الخطيم ، وأبي تمام والبحتري وأبي نواس وكلهم يسمعه ويمجيزه ، ثم ينتهى به إلى شياطين الكتاب ويسمهم ابن شهيد خطباء فيلقاهم في محفل واحد ، ويسأر أصحاب الجاحظ وعبد الحميد وبدیع الزمان على نحو يضمن الفلاح والانتصار لابن شهيد ، وأنا لم أعرف أن للكتاب شياطين كما للعلماء إلا حين قرأت رسالة التواضع والزواضع ، فلعل ابن شهيد يشير إلى أن الإلهام ذو أصل واحد عند أولئك وهؤلاء ، ومضت الرسالة تفنن في عرض هذه الرحلة الأدبية عرضا يستريح له القارىء وإن ثار على بعض

مكثرين للنسب، عليهم هدى المسيح، فقالوا: أهلا بك من زائر ما بقيت لك؟ فقال: صاحب أبي نواس فقالوا: إنه في شرب الخمر منذ أيام هشيرة وما سقتفع به، قال أبو حامر: ونزلنا وجارنا بنا إلى بيت قد اصطفت دنانه، وعكفت غزالاه، وفي فرجته شيخ طويل الوجه والسبلة قد افترش أضفك زهر، وانكأ هل زق خمر، وحواليه ضربة كأظب تعطو إلى حرارة، فخريناه، لجواب بجواب لا يعقل الغلبة الخمر عليه، فأشدناه بعض خمراته (وذكرها ابن شهيد) فصاح من جبال نشوته، واستدعى بأقارعا فشرب منه وغسل وجهه فأتى واءى إلى من حله فأدركتني مهابته وأخذت في إجلاله، وأخذت أنشد قصيدتي، فقام يرقص ويرد، ويقول: هذا والله شيء لم نلهمه نحن، ثم استدانني فدنوت منه فقبل بين عيني، وقال: اذهب فإنك مجازي.

هل هذا الخط البديع سارت رسالة الترابيع والزوابع، فأعجبت القراء وتصارع حولها الباحثون من الأدباء، ونحن هنا نوجز ما عثرنا عليه مما قيل معقبين عما يتضح لنا بعد الإمعان.

أشار الأستاذ الدكتور أحمد ضيف في كتابه «بلاغة العرب في الأندلس»، إلى أن ابن شهيد قد تأثر بأبي العلاء، وهو أول باحث عربي أصدر حكمه في هذه المسألة، وكان دليله الأول أن شهرة أبي العلاء قد طبقت المشرق والمغرب، فلا بد أن يكون أبو حامر قد قرأ رسالته واحترامه.

يقول الدكتور ضيف ص ٨٨: «وقد كتب رسالة هي أشبه برسالة الغفران من حيث أسلوبها الأدبي وسماها التوابيع والزوابع وكان يقدأبا العلاء في ذلك لأنه أدرك عصره ولأن شهرة أبي العلاء كانت ذائعة في المشرق والمغرب، وكان أهل الأندلس يقدرون المشرق في كل شيء...»

وأستاذنا الدكتور ضيف كان يكتب دراسة موجزة منهجية في أدب الأندلس لأول مرة في العصر الحديث، فلم يكن من همه أن يقف وقفات طويلة عند كل رأى، ولو فعل لاستد به التأليف إلى أجزاء طوال، وهذا لم يكن إلا لأنه كان يلقي الأضواء الأولى على تراث ثمانمائة عام، ويجهد قدر الطاقة أن يحشد من المؤلفات والمؤلفين ما يسمح به مجال مذكرة جامعية تلقى على الطلاب، ولسنا - شهد الله - نضائل من كتابه الرائد، فحسبه أن كان الخطوة الأولى في طريق المكتبة الأندلسية المعاصرة ولسكننا نقول: إن أثر العجلة السريعة قد ظهر في حكمه على ابن شهيد بتقليد أبي العلاء إذ أن أقوى حجة لديه أن عصر ابن شهيد يندرج في عصر أبي العلاء فقد عاش من سنة ٣٨٢ إلى سنة ٤٢٦ وعاش المعري من سنة ٣٦٣ إلى سنة ٤٤٩ وكانت شهرته أذيع وأشهر، ولو سلمنا أن شهرة أبي العلاء كانت مستفيضة في الأندلس ما منعه ذلك أن يقرأ أدب الأندلس ويرجع إليه، وإذا كان المعري المتمكن المتمرس يجلس مجلس الأستاذ من ابن شهيد الشاب اللاه في تقدير مؤرخي الأدب، فكيف من أستاذ تأثر ببعض أفكار تلاميذه! فليست استفاضة الشهرة وحدها دليلا يعتمده عليه في ذلك حتى يتقدم به الدكتور ضيف في تأييد حكمه دون أن يشفع به بعض المبررات المحتملة، وما كان أكثرها لو اتسع أمامه المجال على أطعنان وئيد.

ولكن الدكتور زكي مبارك في الجزء الأول من المثلث، قد رقف تجاه المسألة وقفة طويلة، فتأمل كلام الدكتور ضيف ثم اتضح له ما يخالفه، واستند إلى مؤكديات ملبوسة من المنطق والتاريخ فصلها حين قال ص ٢٥٩

ثم قال الدكتور ، بآرك ، ونذيجة هذا التحقيق أن رسالة الغفران كتبت بعد رسالة التواضع والزوابع بنحو عشرين سنة وصار من المرجح أن يكون أبو العلاء هو الذي ولد ابن شهيد ، وكما كان الأندلسيون يقدون أهل الشرق في كل شيء كان أهل الشرق يحرمون أشد الحرص على متابعة الحركة الأدبية في الأندلس بدليل أن رسائل ابن شهيد ذاعت في الشرق ودونها المؤلفون الشرقيون قبل أن يموت وقبل أن توضع رسالة الغفران ، .

نتيجة جديدة مضادة قد انتهى إليها الدكتور مبارك ، وهي ذات دليلين : دليل قطعي ، ودليل راجع فالدليل القطعي أن ابن شهيد لم يولد أبا العلاء بآمة لأن رسالة الغفران قد كتبت سنة ٢٤٤ هـ وابن شهيد مات سنة ٢٣٦ هـ بعد مرض أقدمه مدة طويلة ، وقد كتبت رسالته قبل ذلك بأعرام كثيرة قدرها الدكتور مبارك بنحو عشرين ١١ والمؤكد أنها أقل من ذلك كما قرر الدكتور أحمد هيكل وسيأتي توضيح رأيه من قرب ! هذا هو الدليل القطعي ، أما لدليل الراجح فهو أن أبا العلاء تأثر بابن شهيد لأن رسائل ابن شهيد ذاعت في المشرق ودونها المؤلفون الشرقيون قبل أن يموت ابن شهيد وقبل أن توضع رسالة الغفران ١ فلا بد أن تكون قد انتهت إلى أبي العلاء وقد بحثت في كتب المشرق التي عنها الدكتور مبارك فرأيت أن بقيمة لدهر للثعالبي هي التي تحدثت عن ابن شهيد في حياة أبي العلاء فذكرت بعض شعره وبعض نثره ! دون أن تشير إلى رسالة التواضع ، وكان على بعد ذلك أن أثبت شيئين هامين في هذا الصدد ، الشيء الأول أن الثعالبي كان يعرف رسالة التواضع ، والشيء الثاني أن أبا العلاء قد قرأ القيمة !

وقد رأينا أن نحقق هذه المسألة فبحثنا طويلا عن التاريخ الذي وضعت فيه رسالة التواضع والزوابع فلم نقتد ، ولكننا رأينا في الرسالة نفسها ما يدل على أنه وضعها وهو كهل فقد جاء على لسانه ما يشير إلى أن من إخوانه من بلغ الإمامة وانتهى إلى الوزارة ... ولكن لا ينبغي أن نحددنا هذه الشعابير ، فهناك نص يدل على أنه وضعها وهو شاب ، فقد حدثنا في التواضع والزوابع أن الجن قالوا له : بلغنا أنك لا تجارى في أبناء جنسك ولا يمل من الطعن عليك والاعتراض لك ، فن أشدهم عليك . . وقد أجاب جاران دارهما صتب وثالث نائبه نوب فانتعلى ظهر النوى وانتضى على لسانه عند المستعين ، وهذا الكلام يشعر بأنه كتب هذه الرسالة في عهد المستعين وقد بويج بترطابة سنة ٤٠٠ هـ ثم جددت بيعته سنة ٤٠٢ هـ ومات مقتولا سنة ٤٠٧ هـ ، ومن هنا نرجح أن رسالة التواضع والزوابع كتبت بين سنة ٤٠٣ هـ ، ٤٠٧ هـ هذا جانب من المسألة ، أما الجانب الآخر فهو التاريخ الذي وضعت فيه رسالة الغفران وإذا كانت الرسالة جوابا على رسالة ابن الكارح فقد ودنا إلى رسالة ابن الكارح فانتمينا إلى قوله ، وكيف أشكو من قاتني وعاتني سبعين سنة ، فعرفنا أنه وضعها بعد أن جاوز السبعين ثم نظرنا فوجدناه ولد سنة ٣٥١ فإذا أضفنا إلى هذا الرقم ٧٠ - وجدناه كتب رسالته حوالي سنة ٢١١ هـ وتكون النتيجة أن رسالة الغفران كتبت حوالي سنة ٢٢٢ هـ ، وإذا قرنا أن ابن الكارح قال نيفا وسبعين وللنصف دلالة وتدرنا أن أبا العلاء اعتذر عن تأخير الرسالة بأنه يستطيع بغيره كان من الممكن أن تكون رسالة الغفران كتبت بين سنة ٤٢٢ هـ ، ٤٢٤ هـ .

أما أن الثعالبي كان يعرف رسالة التوابيع ،
فواضح من مختاراته الشعرية والنثرية لابن شهيد ،
إذ أن من يقرأ الجزء الثاني من بقيمة الدهر مطبوعة
حجازي يجد المختارات قد جاءت ابتداء من ص ٣٥
كما يلي :

المقطوعة الأولى مختارات من قصيدة

شحنة طول من سليمي وأدور ص ٣٥ ج ٢
المقطوعة الثانية مختارات من قصيدة

أمن رسم دار بالعقيق بحيل ص ٣٦ ج ٢
المقطوعة الثالثة مختارات من قصيدة

منازلهم تبكي إليك هفاهها ص ٣٧ ج ٢
المقطوعة الرابعة مختارات من قصيدة

أبكيت إذ ظعن الفريق فراقها ص ٣٨ ج ٢
المقطوعة الخامسة مختارات من قصيدة

أفي كل عام مصرع لعظيم ص ٣٩ ج ٢
المقطوعة السادسة مختارات من قصيدة

هذه دار زيف والرباب ص ٣٩ ج ٢
المقطوعة السابعة مختارات من قصيدة

أصفح شيم أم برق بدا ص ٤٠ ج ٢
المقطوعة الثامنة مختارات من قصيدة

أبرق بدا أم لمع أبيض فاصل ص ٤١
المقطوعة التاسعة مختارات من قصيدة

هاتيك دارم فقف بمغانها ص ٤٢
المقطوعة العاشرة مختارات من قصيدة

ومرهمز التي بذى الأثل كسلا ص ٤٣
القصيدة الحادية عشرة مختارات من قصيدة

أزل كسا جثمانه متسقرا ص ٤٣
هذه القصائد نقلت هكذا وفق ترتيبها في رسالة

النوابيع والزوابع كما ذكرها ابن بسام بالذخيرة
١/١ ابتداء من ص ٢١٣ حيث المقطوعة الأولى ،

ص ٢١٤ حيث المقطوعة الثانية ، ص ٢١٦ حيث
المقطوعة الثالثة ، ص ٢١٧ حيث المقطوعة الرابعة ،
ص ٢١٨ حيث المقطوعة الخامسة ، ص ٢٢٠ حيث
المقطوعة السادسة ، ص ٢٢٣ حيث المقطوعة
السابعة ، ص ٢٢٦ حيث المقطوعة الثامنة ،
ص ٢٢٨ حيث المقطوعة التاسعة ولم يذكرها
ابن بسام بطولها كما جاءت في أصل الرسالة لأنه
سبق أن ذكرها ، ص ١٧٣ فلم يشأ التكرار ،
وص ٢٢٦ حيث المقطوعة العاشرة ، وص ٢٣٧
حيث المقطوعة الحادية عشرة .

فتوالى المختارات وفق ترتيب رسالة التوابيع
والزوابع ينطق بأن الثعالبي قد نقل عنها وأنها
كانت تحت يديه حين حمله أبو سعيد بن دوس
(ص ٣٥ - ٢) عن ابن شهيد ، ولئن جاءت
المختارات نائصة الأبيات عن قصائد الرسالة فإن
الثعالبي قد اختار منها ما رافقه وليس له أن يتقيد بجميع
ما قال ابن شهيد ، شأنه في ذلك شأن غيره من
الشعراء ، أما مختارات الثعالبي النثرية فهي أيضا
من الرسالة مثل وصف البرغوث والبرد والبعوض
والماء والنار ، وإذا كانت بعض هذه الأوصاف
لا توجد الآن فيما رواه ابن بسام ، فالسبب واضح
هو أن ابن بسام يعترف أنه لم يرو جميع الرسالة ،
ولأنها ينقل بعض المختارات فما جاء به الثعالبي
مما ليس في الرسالة على ندرته - قد أغفله ابن بسام
مع ذبوعه لدى غيره ! ولو ذكرت رسالة التوابيع
بعضها في الذخيرة لرأينا كل ما جا .

أما أن أبا الصلاء قد قرأ اليتيمة فذلك ما توحى
به البدايه لأن كتاب الثعالبي قد صدر في حياة
أبي الصلاء وكان له ضجيج ورونة ! إذ شرقت اليتيمة
وغربت ، وتحدثت عن شعراء يعاصرون شاهر

ظهر الاسلام ص ٢١٠ ينسب هذا الرأي لبعض
المفسرين دون أن يسميه فيقول ما نصه ص ٢١٠
ج ٣ الظهر .

وقد ظن قوم أن التوابع والزوابع وضعت
تقليداً لرسالة الغفران ، ورأى بعض الباحثين من
المفسرين أن العكس هو الصحيح ، وأن أبا العلاء
هو الذي قلده ابن شهيد ، ووجه أن التوابع
والزوايع ألفت قبل رسالة الغفران بنحو عشرين
سنة ، وذلك لأن ابن شهيد ذكر في رسالته ما يدل
على أنه ألفتها في عهد المستعين وهو سليمان بن الحكم
ابن سليمان بن عبد الفاضل وكانت مدة حكم المستعين
هذا من سنة ٤٠٠ إلى سنة ٤٠٧ (الصحيح أنه
خلع من ٤٠٠ - ٤٠٣ وولى بعد ذلك) .

كما نعلم أن أبا العلاء ألف رسالة الغفران ردّاً على
ابن الكارح ، وكان أبو العلاء قد بلغ نحو السبعين كما
تدل عليه فقره في الرسالة نفسها ، فيسكون قد كتب
رسالته حوالي سنة ٤٢٢ وعلى هذا تكون رسالة
التوابع والزوايع كتبت قبلها بنحو ٢٠ سنة وقد
أخذ أبو العلاء الفكرة وطبقها تطبيقاً لطيفاً ، ونحا
بها نحواً يخالف بعض الشيء رسالة ابن شهيد وإن
كانت أساس الفكرة عند ابن شهيد ودانتى
وأبي العلاء واحداً .

وأرجح أن صاحب هذا البحث هو الدكتور
ذكي مبارك إذ لو سبق به بعض المفسرين لذاع
واشتهر ، وأظن أن الدكتور أحمد أمين قدسها
حين عزاه إلى غيره لأنه قرأ النثر الفنى وعده بين
مراجعه آخر السكّات ١ ولو تأكد من سبق غيره
في ذلك لذكر اسمه على الأقل ؟

محمد رجب البيومي

المعرة ومن الطبيعي أن يسأل عنهم في مجالسه من
تلاميذه وأن يصدر فيهم رأيه بل إن الثعلبي تعرض
لأبي العلاء إذ نقل أحاديث الأدباء عنه وروى
بعض أخباره وأشعاره وليس من المعقول أن يخفى
ذلك عن طلبة بصير كآبي العلاء قال ياقوت الخوى
في الجزء الثالث من معجم الأدباء ص ١٢٩ :
دار السامون .

وقال أبو منصور الثعالبي في قيمة الدهر وكان
حدثني أبو الحسن الداني المصيصي الشاعر وهو من
لقيته قديماً وحديثاً في مدة ثلاثين سنة قال : لقيت
بمعرة النعمان عجبا من العجب رأيت شاعرا ظربا
يلعب الشطرنج والزرد ويدخل في كل فن من الجند
والهزل يكنى أبا العلاء وسمعته يقول : أنا أجد الله
على العمى كما يحمد الله غيره على البصر قال :
وحضرته يوما وهو يملئ جواب كتاب ورد عليه
من بعض الرؤساء (وذكر الأبيات ثم قال)
أشددني لنفسه .

است أدري ولا المنجم يدري
ما يريد القضاء بالإنسان
غير أني أقول قول محق
قد يرى الغيب فيه مثل العيان :
إن من كان محسنا فابكتيه

بجميع عواقب الإحسان ١
فرسالة التوابع ذاعت في الشرق ، وصاحبها
مشهور تحدث عنه تيممة الدهر وهي بعد أوسع
ذخائر الأدب اشتهارا ، وقرأها أبو العلاء فعرف
ابن شهيد دون جدال .

لقد بان إذن بعض الحق في رأي الدكتور مبارك
ولكن الدكتور أحمد أمين في الجزء الثالث من

الصراع الأدبي بين القديم والجديد

للأستاذ علي العمري

للأستاذ كامل السيد شاهين

- ١ -

اشتباه المعالم :

هذه المنازع قد ظهرت في وقت واحد وصورتها مقالات وكتب نقدية تجري بالتأصيل والتعليق. ثم اختلفت الاتجاهات واتجاهاتك ، وجاء منها المفهوم وغير المفهوم ، وبات الأدب في مذهب الطارق موزع الرأي ، لا يكاد يطعن إلى جانب حتى يزهج منه إلى آخر ، حتى إن المجلات الأدبية صار لونها يختلف بين أسبوع وأسبوع .

منهج :

في هذه الظلمات اتخذ الأستاذ العالم الشيخ علي العمري سبيله بين المحسومات الأدبية ، بعد أن أعد منهجه على أساس الفهم الحر ، والقراءة الواعية ، والتحرر من المذهبية ، والسمو على العصبية ، والترفع عن النظائر .. واصلا القضايا بأطرافها القديمة ، متخذاً زى القاضي ، وعصا المؤدب .

إن تتبع الحركات الأدبية في تجمعها واضطرابها ليس بالشيء الهين الذي يستطيعه كل ناقد .

فشاغل الإنتاج ، ونزغات الأهواء ، واستئثار بعض الاتجاهات والارتياح لبعض قد يصرف الراصد مدة تقصر أو تطول ، تنقسم بعض الحلقات أو يفترقه تطور بعض الاتجاهات .

واقدر كان الأستاذ المؤلف بقضا مفتوح العين على كل جديد يظهر في مصر أو في لبنان مبتغيا هذه الآراء في المجملات التي تصدر هنا أو هناك ،

قامت في البلاد العربية منذ عصر النهضة ظواهر أدبية ، تتصل ملامحها بالأدب العربي القديم حيناً وبالأدب الغربي حيناً ، وحيناً تظهر عليها الامتلاء وسيا الشخصية المميزة والاستقاء من واقع الحياة العربية ، والاصطباغ باللون المحلي .

وهذه الظواهر ليست محصورة متميزة ، بل هي مبعثرة مختلطة ، واضطرابها يرجع إلى عدم استقرار المراكز النقدية ، وإلى احتدام الخلاف بين النقاد تبعاً لاختلاف المناهج التي يستقون منها ، واختلاف الآذراف التي يحتكمون إليها . واختلاف المؤثرات في الآذراف التي يصدر عنها .. ثم إلى اختلاف التفكير في مراحل الحياة عند الناقد الواحد بحكم اتساع التجربة ، وشمول القراءة ، ونشوء دوافع وانتهاء دوافع .

نشأ في النقد منزع عقلي جدي يتخاصم إلى المنطق ويدفع بالدليل ، ونشأ معه منزع موسيقي ذوق يصدر عن الاستحسان الخاص ، ويسجل ارتياحه أو استهجانه ثم لا يحقق السبب الذي من أجله كان استحسانه أو استهجانه .

وصارها منزع يدعو إلى التعبير المنطوق الذي يسخر من المواقفات ويتحرر من التقاليد ويرخص في اللغة شكلا وإهراجا وهيئة وظلما .

ووقف به عند حدود ما كان عليه في أيام الأمويين وما قبل الأمويين... ! كان أمرا يتفق مع الطوائع ويسير الواقع .

ومن حقنا أن نسألك لماذا كان الإهراء ؟ ، وهل هو أمر ذاتي في الإفهام ، وفي تحقيق الجلال ، أو هو طريق اتخذته العرب الإبانة والإفهام ، وتمييز مواقع الكلام 'جل' ، وأبحاث لنفسها أن تعدل منه إذا تحقق الإفهام دونه اتبته على أنه ليس أمراً ذاتياً في الإبادة وأنه لا مدخلة له في القيمة الأدبية .

وسواء لدى العرب أجماع الإفهام من الإهراء أم جاءك من حيل غير كالتقديم والتأخير ، ونبرات الكلام ، وحروف الفصل .

وهي لذلك تأذن أن ترفع أو تنصب كيف شئت مادام المعنى الذي تريد أدائه لا ينهدم بتغير الإهراء وما كان قول الفرزدق :

إليك - أمير المؤمنين - رمت بنا

صروف النوى والموجمل المتسلف

وعض زمان يابن مروان لم يدع

من المسال الا مصحفاً أو مجلف

إلا اعتباراً بالمعنى ، وإهداراً لحكم اللفظ .

فقد روى عن أبي عمرو أن عبد الله بن أبي اسحق

الحضرمي سأله الفرزدق علام رنمت (مجلف) ،

فقال له الفرزدق : على ما يسودك وينوءك . . فلما

لم يكن الرفع غللاً بالمعنى اعتبره ولم يبال بالنصب .

وكذلك فعل النابتة في قوله :

فبت كأي ساورني ضئيلة

من الرتش في أنيابها السم نافع

لو اتبع الأصل لقال (ناقما) على أنه حال من

السم ، لكنه رفع الحال اتباعاً للمعنى ، وإهداراً

لمساواة .

وفي الكتب التي تظهر بين الحين والحين فتسجل جديداً أو تردد قديماً ، أو تمزج هذا بذاك .

فإلى الذين فاتهم تتبع الحركات الأدبية ، وإلى الذين ينتهرون لمذهب جديد استهواهم أو يتمصبون لمذهب قديم وقر في نفوسهم ، وإلى الذين لا يبصرون طريقهم بين الضباب الكشيف ، وإلى الذين يفقدون حسماً بريئاً من الهوى والعصبية... إلى هؤلاء جميعاً يساق هذا الحديث ، حديث الصراع الأدبي بين القديم والجديد .

ومهما تكن قدرة الكاتب على التجرد ، ورغبته في الإنصاف ، فهو لا يستطيع أن يفلت من ذوقه الخاص وثقافته الخاصة ، فيسوقه ذلك إلى أحكام تحتاج إلى تمحيص وإلى مراجعة ، تناقش بعضها في هذا المقال .

١ - البلاغة واللحن :

فهو يعارض ابن خلدون في نظرية من أعقبت النظريات هي نظرية مدخلة الإهراء في البلاغة فالذي يراه ابن خلدون أن الإهراء لا مدخل له في البلاغة ، إنما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود وللمقتضى الحال من الوجود فيه ، سواء أكان الرفع دالاً على الفاعل ، والنصب دالاً على المفعول ، أو بالعكس ، أو يدل على الفاعل والمفعول بقرائن الكلام ، ويدعى أن شرف البلاغة لا يتحقق الكلام ما لم يكن خاضعاً لقانون النحو في أتم صورة ، وأن استحسان الكلام الذي اضطرب فيه الإهراء إنما هو تسلي للذوق الأجمعي ، وليس ذوقاً عربياً أصيلاً ، ولو أغضينا حجاجاً في كتب البلاغة من اعتبار وضع التأليف ، غللاً بالفصاحة واعتبار الإخلال بالفصاحة مفوتاً للبلاغة . لو أغضينا عن هذا الأصل الذي لم يرج تطرد الذوق بتطور العصور

ومثل هذين قول دريد :

فطاعنت عنه الخيل حتى تنهت

وحق علاق حالك اللون أسود

بحر أسود بالسكرة مرتكباً غاقتين ، الأولى

وصف المرفوع بالمجرور ، ولثانية جر المفعول

من الصرف بالسكرة .

وأشد أبو عبيدة للأخطل :

أما كليب بن يربوع فليس لهم

هند التفاجر إيراد ولا صدر

مثل القفاخذ هداجون قد بلغت

نجران أو بلغت سوءاتهم هجر

لو اتبع الأصل لقال (قد بلغت سوءاتهم

هجر) برفع السوءات ونصب هجر ، فجعل الفعل

البلدين على السعة .

وروى أن يونس بن حبيب النحوى قال لأبي

الحسن الكسائى ، كيف تشد بيت الفرزدق :

غداة أحلت لابن أصرم طعنة

حصين عبيطات السدائف والخمر

قال الكسائى : برفع الخمر ، ونصب العبيطات

بالسكرة :

قال يونس : وكيف ذاك ؟

قال الكسائى : لما قال ، أحلت لابن أصرم

طعنة عبيطات السدائف ، تم الكلام ، ثم حمل

الكلام على المعنى فقال : وحلت له الخمر .

فقال له يونس : ما أحسن ما قلت ، ولكن

الفرزدق أنشدني على القلب فنصب الطعنة

(وهى فاعل) ورفع العبيطات (وهى مفعول)

ثم عطف عليها الخمر بالرفع .

قال المبرد ، والذي ذهب إليه الكسائى أحسن

فى محض العربية ، وإن كان لإنشاء الفرزدق جيداً .

وتوسعات العرب اعتياداً على المعنى كثيرة ،

وجارية فى القرآن الكريم ، فمن ذلك قوله سبحانه :

وأتيناها من السكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة

أولى القوة . المعنى لتنوء بها العصبة أولو القوة .

ومن كلام العرب : إن فلانة لتنوء بها بجيزتها .

وللفرزدق :

وأطلس حسال وما كان صاحباً

رفعت لفارى موهنا فأتانى

والأطلس لا يرفع النار ، وإنما ترفع له النار .

وعليه قول شوقى فى حكومة الحسكين :

حتى إذا وسعت معاوية وضاق بها على

نزلوا على حكم القوى وهند رأى الأحيل

الأصل : حتى إذا وسعت معاوية رضاقت بهلى .

ولقد تحمل العرب على المعنى دون قلب كقول

الفرزدق والضمير للذئب :

فبت أقد الزاد بينى وبينه

على ضوء نار مرة ودخان

جعل للدخان ضوءاً ، والدخان لا ضوء له ..

ولمّا ذكره للاشتراك مع النار .

وقول الآخ :

يا ليت زوجك قد غدا

متقلداً سينمأ ورعماً

والرخ لا قلادة له .

وقول غيره : شراب ألبان وتمر وأقط .

والتمر والأقط لا يشربان .

وتوسعات العرب وتسميهم بما يطول شرحه ..

وقد أمعنت فى الاستشهاد لأن كثيراً ممن لم قدم

فى علم العربية يفترون بتأويلات النحاة ، ويرون

أنها شيء .

والتي يجري وراءها شعراء ، الرابطة القلبية ، بالمهجر الشمال .

فالفردق يرى أن من حقه التقديم والتأخير ، وأن من حقه الرفع والنصب ، لأنه ذو ملكة لا تخطئ ، فكيف لا يسأل زهير وطرفة كيف قالا ؟ . كذلك هو لا يسأل ؛ كيف قال ، وما دام النعاة يتلقون عن الأولين بالخشوع والإخبات ، فسكذلك هو ينبغي أن يتلقوا عنه خاشعين مخبتين .

وشعراء الرابطة القلبية يرون أن من حقهم أن يغيروا اللفظة القاموسية بلفظة أكثر منها إشراقا ، وأنى دالة : لفظة اتخذت لها من حياة الناس جوا يقربها إلى أرواحهم ، ويجعلها تنفذ بدلالتها وإطارها إلى حيث لا تنفذ اللفظة القاموسية ... ويرون كذلك أن من حقهم ألا يتحروا النحو كل التحري ؛ لأن الغرض من الإعراب هو الكشف عن موضع السكامة وموقعها الذي ينم عن ترتيبها أو هدفها .. ومادام هذا الغرض لا يفوت في كلمة ما بفوات الإعراب ، فإن العدول عن الإعراب المتبع ، لا ينقص من البلاغة شيئا .

والقرآن الكريم صريح في هذا الأصل ؛ قال تعالى : « ولكل قوم هاد » ، « وإذا مرضت فهو يشفين » ، والذي يبعثني ثم يبعثني ، « فالتواعد المتبعة تقضى بعودة الياء في الوقوف » ، ولكن القرآن راعى النغم فأبى هود الياء ، وتأخير هذا قوله سبحانه : « سلاسل وأغلالا وسعيرا » ، فصرف السلاسل لتساير أغلالا وسعيرا المختومتين بالتنون وقوله تعالى : « ولا يغوثا ويعوقا ، لبوا نفاذ نساء ، فتلك جهنم في التحرر اللغوي .

أما أبو تمام فقد خرج عن طريق الشعر العربي في البساطة واليسر إلى ألوان من التجنيس والتوصيع

وفي الحق أن الجمل على المعنى هو الأصل الذي عليه بنت العرب كلامها .

وبعد : فإننا مع ابن خلدون في أنه لا مدخل للإعراب في بلاغة الكلام . ما قامت قرينة تغني عناءه في تحديد وضع السكامة في النظم .

ولا يظن ظان أننا ندعو إلى أطراح الإعراب جملة ، فإن كلامنا في أسرين :

الأول : أن الإعراب ليس عنصرا ذاتيا في بلاغة الكلام .

الثاني : أن الغرض من الإعراب بيان موقع السكامة في الجملة ، فإذا تحقق هذا الغرض بطريق غير الإعراب فلا ضير .

على أن الإعراب كان ولم يزل هو الطريق الغالب والمطرد في تحديد وضع السكامة .

ولكن التزامه على نحو حاسم لا ترخص فيه تخرج لا مبرره .

واعتباره أصلا تبطل البلاغة بالخروج عليه غفلة من الغرض الذي من أجله كان الإعراب .

فليس من شك في أننا لا نستطيع أن نخرج من دائرة البلاغة قول أبي نواس :

قصف الطلول على السماع بها
أفقدوا العيان كأنهم في الحكم
مع أن العرب لا تقول : فلان كانت ، وانكناها تقول : فلان مثلك .

وكذلك قول الجاهلي ؛ يخاطب القبرة :

قد رفع الفخ فماذا تمحذرى
أصله فماذا تمحذرين .. إلى كثير من أمثال ذلك .

٢ — ملكية اللغة :

والملكية التي يدعيها الفردق للغة تختلف الاختلاف كله من الملكية التي يدعيها أبو تمام ،

وتهاويل من الاستعارة غريبة ، وغوص على المعاني ثم إيداعها في أى وعاء حضره ، حتى ليعتنت السامع ويرى قلبه ، ويرى المعنى عن طريقه ، فذلك مذهبه .

فالادعاء مختلف بين الفرزدق وشعران المهجر ، وبين كل منهما وأبى تمام ... فإذا قال أبو تمام : « ولم لا تفهم ما يقال ؟ » ، فليس هذا من قبل قول الفرزدق : « د على أن أقول وعليك أن تعربوا » ، وليس من قبل قول جبران ساخرا : « أنا القاموس إلهك ، لا تتخذ إلهاً غيرى ! » ، والمؤلف المحقق لم يبين اتجاه كل من هؤلاء في ادعاء ملكية اللغة ، على أن دهوى الفرزدق ، واتجاه المهجر بين أحق بالقبول من تصنيف أبى تمام الذى يعدو على جوهر المعنى عدواناً جريئاً .

٣ - غرابة الكلمة ، وغرابة الفكرة :

وفصل « الضغف بالغير ، فصل غير ذى موضوع فقد انتهى عهد يشكو الناقد فيه من التقرع وأصبح

ما ذكره الجاحظ من عيب السككفين بالغير ، وما ذكره ابن قتيبة في « أدب الكاتب » ، تاريخ ونوادير يحكيها الناس جيلاً بعد جيل . أما الآن فقد صرنا نفسكو الابتذال والدنو من العامية وصوقية التعبير ، فلا محل لعقد فصل يبنى على كلمة كتبت ، أو مقامة حكيت .

ولنما الغرابة اليوم كان يمكن أن تتخذ (الرمزية والسرالية) محلاً لها . فإن منهما ما يقبل وما يرد ، ولو أن هذا الفصل تناول الرمزية ففصل حدودها المقبولة والمردودة ، وتناول (السرية) واستخرج من تهويماتها شيئاً يدينها من القبول ، ولو في إنفاء الأطفال . وتحالط عبارة الجانين ، وربط وضعها في الرسم بوضعها في الأدب وسائر الفنون .

لو اتجه فصله في الغرابة هذا الاتجاه لكان فصلاً جديراً بالاعتبار ، ولكان أحق بالقبول من الكلام في غريب أبى علقمة ومن تأساء ؟

(يتبع) طالع السبر شاهين

بين الحسن وابن الحنفية

وقع بين الحسن ومحمد بن الحنفية لحاء ، ومضى الناس بينهما بالناسم فكاتب إليه محمد بن الحنفية : أما بعد : فإن أبى وأباك هلى بن أبى طالب ، لا تفضلنى فيه ، ولا أفضلك ، وأبى امرأة من بنى حنيفة ، وأمك فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلو ملئت الأرض بمثل أبى لكانت أمك خيراً منها .

فإذا قرأت كتابى هذا فأقدم إلى حتى ترصانى فإنك أحق بالفضل منى .

من تراثنا الإسلامى

بدلائل محمد بن غفران الخراساني

إسلامه كما يقول بذلك ابن النديم في كتابه «الفهرست»، والمجاhez في كتابه «البيان والتبيين»؛ ونستخلص ما ذكرنا آنفاً أن ابن المقفع لا يعنى بقوله «الولد الصغير»، ولداً صغيراً فى السن، وإنما يقصد للصغير فى التجربة، وكيف لا وهذه الرسالة تحوى مطالب عظيمة لا يستغنى عنها الكبار والصيوخ، ولذلك يرى بعض الباحثين أن لفظ «الصغير»، محرف عن لفظ «العزير»، وهذا مما يؤيده.

وقد شامت الصدفة للأسف أن يفقد الأصل العربى لهذه الرسالة التربوية التى نحن بصدد الكلام عليها ولم تبق منها إلا ترجمة فارسية قام بها أحد مشاهير علماء الإسلام الفيلسوف الإيراني «نصر الدين الطوسى»، فى بداية القرن السابع الهجرى، وقد تصرف المترجم فى النص العربى، وسلك طريقة البسط والاستكثار من التشبيه والاستعارة والسكناية والاستشهاد بالآيات والأحاديث وذكر الأمثال العربية والفارسية شراً ونظماً، وذلك حسب ما كان يقتضى أسلوب النثر الفارسى فى عصره متأثراً بمخصائص النثر الفنى العربى، وليس هنا مجال الحديث عن هذا التفاعل الذى حدث فى اللغتين العربية والفارسية بعد الفتح أى منذ بداية القرن الرابع الهجرى.

وقد خارا الله لى أن أقوم بترجمة النص الفارسى لهذه الرسالة إلى العربية مرة أخرى لأرد إلى اللغة العربية تراثها المفقود، وقدمتها بمقدمة مستفيضة

نشرت فى طهران عام (١٣٥٢ هـ) رسالة باللغة الفارسية بعنوان «الأدب الوجيز للولد الصغير»، تأليف عبد الله بن المقفع مترجم كتاب «كلىلة ودمنة»، وكانت مجبولة من بين آثاره التى بقيت لنا بأسلوبه العربى البليغ الرصين.

وقد وضع ابن المقفع هذه الرسالة كما يبدو من عنوانها فى تربية النشء وتعليمه طرق معالجة أمور الحياة بما يكفل له سعادة الدارين؛ وتقتعل الرسالة على واحد وخمسين فصلاً، وكل فصل مصدر بكلمة «أى بنى»، ومن ثم زعم بعض الباحثين الفرس أن ابن المقفع ألف الوصايا التى تحتوى عليها الفصول لأجل ابنه الصغير، وهذا رأى لا يخلو من الضعف إذ أن أغلب الظن أن ابن المقفع لا يعنى بلفظ «الولد»، ابنه بالذات، وإنما يوجه نصائحه إلى جميع الناشئين الذين يقولون من ابن المقفع منزلة الولد من والده المشفق الناصح، ونظير ذلك الرسالة التى ألفها الإمام الغزالي بعنوان «أبها الولد»، فى تزكية النفس وتهذيب الأخلاق؛ ومضافاً إلى ذلك أن المصادر التاريخية القديمة لا تذكر ابناً صغيراً لابن المقفع إلا ما رواه ابن خلدكان فى كتابه «وليات الأعيان»، فى معرض ترجمة ابن المقفع من أن ابنه كان يسمى محمداً - وهو الذى نسب إليه بعض المستشرقين نقل كتب المنطق من اليونانية إلى العربية (١) - ولعله من ثم كنى بأبى محمد بعد

(١) وقد أثبتنا بطلان هذا الزعم فى كتابنا «عبد الله ابن المقفع»، طبعة الدار القومية للنباء والنشر بالقاهرة.

ونشأه غير المرضية ولا تهم العقوبة في حالة سورة الغضب وشدة فإنه إذا ما أدت العقوبة بعد ذلك إلى الحزن والندامة لم يتسن لك التمسك وقدرة على تداركها وكثيراً ما يعاقب من لا يستحق العقاب عند سورة الغضب ولا يكون من الحزم أن تبادر بذلك فيكون وقوع المضار بسبب تلك العقوبة أمر يحتم في العاجل ويكون لإثمها باقياً في الآجل وتصبح أنت بين الناس مذموماً .

ويقول ابن المقفع في ذم الوشاية والكذب :

« أى بنى : إياك أن تعرف بين الناس بسوء النعمة ولا تجعل الكذب وسيلة لقضاء حاجتك ومآربك فتصيح مشهوراً بذلك العيب وتوصف بالزور واجتنب الخلف في حديثك ، ولا تجعل ذكرك بالأيمان متدارلاً على لسانك فينقص بذلك وقدرك وينقطع عنك رجاء أبواب الخواص الذين يتوهمون منك الخير ويعلمون في بروك وإحسانك . »

ويقول ابن المقفع في حماد الصمت :

« أى بنى : تعود الصمت واحترز من لغو الحديث ولا تبدأ في الكلام بغير روية فإن السكوت خير من الثمرة في أسريتم بدونها ولا يكون لك في ذلك نفع واعلم أن قلة الكلام أبقى بشأناك وموجب لزيد كمالك عند أتراك وأكفائك ، وذلك لبقاء دينك ونقاء هرسك أفيد ، وإن كان لك مال وأقبلت عليك الدنيا فعليك أن تنعم على إخوانك وأصدقاءك المخلصين وتسلك معهم طريق العطاء والسعاه ، وتحسن إلى من يتوسل إليك ويظنك أهلاً لقضاء حاجتك . »

محمد غفراني القرضاوي

أثبت فيها نسبة الأصل العربي إلى ابن المقفع وذلك من طريق الموازنة بين النص الفارسي للرسالة والكتابين ، الأدب الكبير والأدب الصغير ، تأليف عبد الله بن المقفع مما لا يدع مجالاً للشك بأن الأصل العربي لهذه الرسالة كان بقلم هذا الكاتب الكبير أيضاً ؛ على الرغم من أن أحداً من المؤرخين القدامى لم يذكر لابن المقفع كتاباً بهذا الاسم ؛ ونشرت مكتبة « عالم الكتب » الترجمة العربية عام (١٩٦٢ م) في القاهرة بنفس العنوان الذي جاء في الترجمة الفارسية ، وكل هدف من تعريب هذا الأثر النفيس الذي جاء قريباً من أسلوب ابن المقفع أن أضع بين أيدي الباحثين العرب نموذجاً جديداً من أدب هذا الكاتب الذي يعد بحق حجر الزاوية في صرح الأدب العربي . هذا إلى جانب ما لهذه الرسالة من أهمية حيث تذكرنا بفضل الثقافة العربية الإسلامية في طرق الشئون التربوية للجيل للناسخ قبل أن يطرقها « روسو » ودعاة الإصلاح الاجتماعي ومربي الحدث في أوروبا ؛ فإننا إذ نباهي بترائنا الإسلامي العظيم نرجو من الله تعالى أن يوفقنا دوماً في إحياء هذا التراث ونشره في ربوع العالم ويجعلنا من العاملين به (فلا حياة لأمة نسيت ماضيها المشرق الزاهي وغابرها التليد اللامع) .

والآن نورد بعد هذا العرض السريع لموضوع هذه الرسالة بعض عتات منها ، وذلك لإفادة القارئ الكريم .

يقول عبد الله بن المقفع في حمان الحلم والوقار :

« أى بنى : عود نفسك الحلم والسكينة والوقار واجعلها منك لها حتى لا تؤدى سورة غضبك وقت السخط إلى حد أن تصير حجاباً لعقلك ورأيك وتذهب بك فاحترز من تبعات الغضب المذمومة

صقلية والنشاط العلمى

للأستاذ يوسف حسن نوفل

الطبية طيلة ستة قرون كتاب د أبو هلى بن سينا ، حيث تضمن الكتاب ملاحظات قيمة عن عدوى السل والالتهابات الرئوية ، واحتوى على وصف ٧٦٠ دواء . وقد قام بترجمته إلى اللاتينية جيرارد الكريمنى ، وطُبعت الترجمة اللاتينية عشرات الطباعات ونُشر النص العربى لأول مرة فى روما سنة ١٩٥٣ .

وقد ترجم الكريمنى أيضاً د التعريف لمن عجز عن التأليف ، لآبى قاسم الزهاوى إلى اللاتينية .

وفى مجال الترجمة ترجم الأمير يوجين الجبرى من العربية إلى اللاتينية بصريات بطليموس وكان فى متناول يده بعض كتب لأفليس .

وقد كان النشاط المعاصر لأيام ملوك النورمان نشاطاً عربياً ولهذا فقد سار غليالم الثانى سيرة جددوه ولهذا فإن ابن جببر يصفه بقوله :

د وله الأطباء والمنجمون وهو كثير الاهتمام بهم شديد الحرص عليهم حتى أنه متى ذكر أن طبيباً أو منجماً اجتاز ببلدة أمر بإمساكه وأدار له أرزاق معيشته حتى يسلبه عن وطنه .

وذلك نظراً لأن الزمن الذى حاصر فقرة ازدهار حضارة الإسلام فى صقلية امتاز بسمة إحياء الدراسات العلمية .

كانت المصادر الأولى التى اعتمدت عليها جامعة سالرنو فى مجال الدراسات الطبية ذات صبغة عربية ،

نشطت هجرة العلماء المسلمين فى العصر الإسلامى ، وحتى بعد انتقال الزعامة إلى النورمان ، ظل العرب سادة الفكر فى عدد من العلوم ، مثل الفلك والرياضيات والنبات والصيدلة وبعض فروع الطب بقول همبولد د العرب بلغوا فى العلوم العملية درجة لم يكن يعرفها أحد من القدماء .

١ - الطب :

يحتل المسلمون المنطقة الوسطى بين الطب القديم والطب الحديث ، أو بعبارة أخرى ، هم الذين استطاعوا أن يفهموا الطب اليونانى ويضيفوا إليه بعد دراسته وتمحيصه وإبطال الروافد منه وتصحيح المخطئ . فيه وما أضافوا إليه ظل تقدير العالم إذ كان نتيجة تجاربهم وخبراتهم .

وكانت كتب الطب الإسلامية ، هى مراجع المدارس الطبية بأوروبا حتى وقت قريب ونظراً لتفوق المسلمين فى الطب فإنهم جمعوا إلى جانب تلك البحوث البحث فيما وراء الطبيعة د الميتافيزيقا ، والحكمة ، ولذا فإن الطبيب كان يسمى حكماً .

وقد كان انتقال الطب العربى إلى أوروبا فى فترة مبكرة ، حيث أنشئت مدارس للطب فى كل من نابلى ، ومونبليه ، وبولونيا ، وبادوا ، وأورليان ، ورايس ، وأكسفورد ، وكبريدج ، وأنجييه - وكلها تعتمد على المراجع العربية المترجمة إلى اللاتينية كأساس لتدريس الطب .

ومن أهم الكتب التى ظلت عمدة الدراسة

فيها لمحق بن عمران وابن سليمان الإسرائيلي وابن الجزار .

أما نسبة الطب في صقلية ، فإن من المصادر ما تلحقه بواحد من علماء العصر النورمانى ومنها ما تلحقه بأبى هبة الله بن الطوبى الذى وصف بأنه زاد على (ما سويه) ومدحه ابن القطاع بقوله :

أيها الأستاذ فى الـ

طب وإعرا ب الكلام

لك فى النجو قياس

لا يساميه مـ

ثم فى الطب علاج

رافع الداء العقام

ومن المصادر ما يتحدث عن أبى هبة الله

الصقلى الذى أسهم فى تصحيح أسماء عقاير وودت

فى كتاب ديسقوريدس .

على أنه قد استعمل الأطباء عقاير عديدة منها

الجوارش والصب والخلتيت والصب . ووصل

نفعهم إلى إخوانهم بمصر ، فنجد ابن المعلم الصقلى

الطبيب يعمل فى مصر .

والجدير بالفكر أن كل مدارس الطب

فى أوروبا نشأت بعد مدرسة صقلية العربية بأعوام

حيث تجلى نشاطها فى د بلرم ، وربما ساعد على ذلك

أن الباباوات كانوا قد رحلوا إلى أفينيون بفرنسا

غفلا الجو للعلم الأوروبى الذى أخذ يتسرب إلى شتى

بقاع إيطاليا .

ومما لا شك فيه أن أهم عوامل نبوغ العرب

العلمى ، اعتمادهم على التجربة والترصد فهم إذن

أول من قال بها كما يقرر همبولد : « إن العرب

ارتقوا فى علومهم إلى هذه الدرجة التى كان يحلمها

القدماء » .

حيث كان الأطباء المسلمون يحضرون إليها لإلقاء المحاضرات بها وتم انتقال تلك البحوث على يد

قسطنطين الإفريقى إلى سالرنو ، والذى قام بترجمة

بعض مؤلفات العرب فى الطب إلى اللاتينية وأشهرها

مؤلفات على بن العباس وترجم فرح بن سالم

« اليهودى » ، كتاب الحاوى للرازى لسنة ١٢٧٩

وفرح معروف فى العالم الغربى باسم Conties وقد

طبع الكتاب عدة مرات بعد ظهور الطباعة وكان

يهدف إلى أن يكون موسوعة « أنيكلويديا »

ويحتوى على مجمل آراء اليونان والفرس والهند

وما ساهم به العرب إلى أن كان القرن الرابع عشر

حيث وصلت إلى الجامعات الأوروبية واستمر

بعضها يدرس فى جامعة مونبلييه حتى القرن الثامن

عشر - ومما أكد أهمية جامعة سالرنو من الناحية

الطبية ، وبالتالي تعزيز مركز الدراسات الطبية

العربية ما قام به فردريك الثانى الذى أعجب بالطب

العربى وأهدى الجامعة نسخاً منه حيث حرم ممارسة

أو تدريس الطب إلا لمن امتحن أمام لجنة من أساتذة

سالرنو سنة ١٢٣١ » .

وجهود العلماء المسلمين فى الأندلس أسهمت

صقلية فى نشرها ، فكاتب الزهراوى التى ترجمت

فى أكفورد والبندقية أغلب الظن أنها وصلت

عن طريق صقلية .

وفى صقلية تم نقل كتاب الجسطى إلى اللاتينية

عن العربية ، كما وضع نص كتاب « الميوس »

لبطليموس .

وربما استمدت صقلية بعض كتب الطب

من شمال إفريقيا حيث كانت القيروان فى غضون

العصر الفاطمى تعانى ازدهاراً طبياً وكان قد اشتهر

والحامض الكبريتي ، ، واخترعوا أصول التقطير وطبقوا الكيمياء على الصيدلة والصناعة .

وقد كانت الصيدلة مهنة منظمة لها أصولها ، وتقاليدها ، ولم يكن في مقدور الصيدلي أن يعمل إلا بعد اجتيازه امتحاناتهم بقيد اسمه في الجدول الخاص بالصيدلة مع حصوله على ترخيص بالعمل .

(ج) الكيمياء : علم الحياة والحيوان ، التاريخ الطبيعي :

ولمع العلماء المسلمون في هذا المجال أيضا ، وما زالت تأليفهم الكيماوية تشهد بذلك :

أما المؤلفات الكيماوية الأوروپية ، فإنها تشيد بفضل المسلمين . ولا يزال كثير من المصطلحات الكيماوية الأوروپية يحمل الاسم العربي مثل :

الكيمياء : Alchemy القلويات : Alkali

القصدير : Kasdir الخميرة : Khamir

التنسور : Tanur الزئبق : Zaibag

الزرنبخ : Zarnik .

ولإجراء تجاربهم كانوا يعتمدون على موازين غاية في الدقة بحيث لم يكن الخطأ في الميزان يتجاوز ١/٣٢٢ من الجرام .

وقد طبقوا الكيمياء على الصيدلة والصناعة ولا سيما استخراج المعادن وصنع الفولاذ والدباغة . كما اهتموا إلى صنع البارود والأصلاحة القارية وصنعوا الورق من الأسماك القطنية الصعبة الكثيرة التراكم وامتدح ذلك الإدريسي في النصف الأول من القرن الثاني الميلادي .

وقد كان الملح النوشادري من أم الأملاح الكيماوية في ذلك العهد وكان يوجد في صقلية .

ولا يعتمدون على التجربة اكتشفوا الكثير وأنجزوا في مدة يسيرة ما عجز عنه سابقهم من الإغريق والرومان .

وهكذا قطع المسلمون شوطا بعيدا في مجال التفوق الطبي ، ويشهد بذلك مدير جامعة برلين ، ورئيس فرع الطب بها ، حيث قال في حفل أقيم بالكلية : « والآن اسمعوا أيها الطلاب العرب بأن فليسكم ونعبد على أسمائكم ما أخذناه من أسلافكم وتعلمناه عن آبائكم » .

يقول الدكتور نجم الله عز الدين في معرض حديثها عن حضارة العرب بصقلية : « وكثرت المصنفات ومخازن الأدوية وصان الصحة سلسلة من القوانين المحكمة الدقيقة تقاؤل الاسواق والمؤسسات العامة من كل نوع ، وتشمل تحضير وبيع المأكولات والمشروبات والأدوية والعقاقير . ويقوم المحاسب بملاحمة وتنفيذ هذه القوانين ، وهو من كبار الموظفين » .

ويقول الأستاذ العقاد : « ومن موسوعات الطب الإسلامية ما لم يوضع له نظير في الحضارة والتحصيل على قدر أسباب التحصيل في زمانه وقد ترجمت كلها إلى اللاتينية فنقلت هذه الصناعة أطباء أوروبا من حال إلى حال ولم يضارع مؤلف العربية فيها أحد من علماء الأوروربيين إلى مطلع العصور الحديثة » .

(ب) الصيدلة :

استنبط المسلمون العلاج ، فأنشأوا الصيدليات ويقال : إنهم أول من أسسوا مدرسة للصيدلة ، وكتبوا أول كتاب في : « الاما كوبييا » كما كان لهم قصب السبق في عدة تراكم كيماوية كالسكرول ، وماء الفضة ، و « الحامض النثري » ، وزيت الزاج

وكما قال أرسطو المترجم لصدقه الإنجليزي :
كان يمكن في صقلية الحصول على الميكانيكا لليون
والبصريات لافليدس ، والأناطوميا لأرسطو
وغيرها من مؤلفات اليونان .

يقول لوبيون : « العرب اكتشفوا أهم المركبات
الكيميائية كالسكرول وماء الفضة والحامض النتري ،
وزيت الزاج ، الحامض الكبريتي ، ... وطبقوا
الكيمياء على الصيدلة والصناعة .

ويقول دالمير : « وأما في الكيمياء فلا تجد
مجرىاً مغريبياً مع أن المجرىين من العرب فيها
يعدون بالملئات فقد هذبوا في هذا العلم ما أوحى به
لهم اطلاعهم الفاضل مستنبطين مخترعين مدققين
حتى أسسوا المراسد بأنحاء العالم ،
والرياضيات والفلك والهندسة :

كان للآلة التي أرسلها السلطان الأشرف الأيوبي
إلى فردريك الثاني والتي حددت أشكال الشمس
والقمر وعرفت الوقت كان لها الصدارة في مجال
الدراسات الرياضية وربما قوى ذلك ما يقرره
سيديو في تاريخ العرب العام من أنهم استعملوا
الرقاص في الساعات الدقيقة .

على أن فردريك طلب من السلطان الكامل
ما طلبه من حكام المسلمين الآخرين من حل ألغاز
تقوم على مسائل رياضية وفلسفية وفلكية . وقد
كان من بين هذه المسائل مسائل حلها عالم مصري ،
ومسائل هندسية فلكية فيها تربيع قطع الدائرة
وحل في الموصل ، وهذه الأسئلة هي نفس ما وجه
إلى الفيلسوف ابن سبين .

ورحل العالم الإيطالي جيرارد الكريموني
(١١١٤ - ١١٧٨) إلى صقلية لدراسة الفلك

وفي على الحياة والحيوان أنجز ميخائيل سكوت
للأمبراطور النورمان آنذاك ترجمة من العربية
إلى اللاتينية تتضمن موجز مؤلفات أرسطو في
هذين العلمين مع شرح ابن سينا لها وفي هذا المجال
أيضاً أهم فردريك الثاني بأنباء ابن رشد ليعلموه
دروس النبات والحيوان .

أما التاريخ الطبي فقد عرف أول ما عرف
في صقلية حيث عهد فردريك الثاني وهو المشهود له
بمحب الثقافة العربية واحترامها - عهد إلى مترجمه
ومنجمه ثاذري دنيودور ، بنقل رسالة عربية
عن تربية البزاة وكان لهذه الرسالة شرف الانضمام
إلى ترجمة أخرى فارسية ليكون أساس الكتاب
الذي وضعه فردريك نفسه في ترويض البزاة وبذلك
كان هذا التأليف أول ما عرف في مجال دراسة
التاريخ الطبي .

أما دراسة العلوم الطبيعية فقد أصبحت دراستها
العربية في القرن الثالث عشر أساس الدراسات
في أكسفورد التي قدر لها أن تنافس علم أرسطو
السكيني .

يقول هوبولد : « إنه ينبغي علينا أن ننظر
إلى العرب باعتبارهم المؤسسين الحقيقيين للعلوم
الطبيعية .

« والخلاصة أن الأفرنج نقلوا عن العرب ما نقله
العرب عن غيرهم واستنبطوا هم أنفسهم من علوم
الفلسفة والهيئة والطبيعية والرياضيات والكيمياء
والطب والصيدلة والجغرافيا والموسيقى والزراعة
والفراسة ...

فإلى العرب إذا يرجع الفضل في حفظ تراث
الأولين من علوم وخبرة انتقلا بسعيهم إلى أقطار
الغرب .

ومن الألفاظ الفلسفية ذات الأصل العربي Feloque من الفلك ومن الذين عرفوا تعبير الرؤى ابن المعلم الصقلي أحد تلامذة السمطاري والذي وصفه السلياني بقوله : « كان شيخاً صالحاً يعبر المنامات » .

ومنهم أيضاً محمد بن هيب بن عبد المنعم « من أصحاب العلم بعلى الهندسة والنجوم ماهر فيهما ، قيم بهما ، مذكور بين الحكماء هناك بأحكامهما » .

وللسلياني في مجالات الهندسة المعمارية وعمل الآلات منولة كبرى إذا اعتمد عليهم روجار في صنع آلات الحصار ، وهم الذين صنعوا القلاع المتحركة في حصار سالونيك عام ١١٨٥ ، وكانت منجنيقاتهم ذات أثر فعال في اختراق الأسوار ، وصنع أحدهم لروجر آلة لرصد الساعات لم يبق مما يدل عليها إلا كتابة باللغات الثلاث اللاتينية فاليونانية فالعربية . ويرجع تاريخها إلى سنة ٥٣٦ .

وفي معجم السلياني أن أحد المهندسين صنعها لقائد اسمه يحيى ليعرف أوقات النهار بواسطة الصنج التي ترى .

والأساليب المعمارية الإسلامية تشهد بها قصور بلرم .

وأخيراً فإن ما يقوله الباحث الفرنسي «دولامبير» في كتابه تاريخ علم الفلك خير شاهد بأهمية المسلمين ، يقول : « إذا عدت في اليونان اثنين أو ثلاثة من الراصدين أمكنك أن تعد من العرب هدداً كبيراً غير محصور » .

(٥) الجامعات والمدارس :

كانت التربية منذ الأزل من سمة كل حضارة غير أن الاختلاف يتحدد في مدى التقصيع بتلك التربية

وخاصة كتب بطليموس وخاصة المجسطي وترجمه إلى اللاتينية كما قدر له أن يترجم أكثر من سبعين كتاباً عربياً في الفلك والجبر والحساب والطب . أما «أرسطيبو» ، وزير غليالم فقد ترجم « الآثار العلوية » ، لأرسطو وكتاب المجسطي بمساعدة الأدميرال يوجينودي بالرمة حوالي سنة ١١٦٠ وترجم يوجينو أيضاً كتاب المناظر لبطليموس من العربية إلى اللاتينية .

أما الهندسة فقد دفع تفوق مسلمي صقلية فيها بلاط القاهرة إلى أن يغريهم بالهجرة إليها ، فقد عمل المهندس الصقلي أبو محمد عبد الكريم في زمن الحاكم في رصد القاهرة ، وعرف من الصقليين الفلكي أحمد بن مفرح الملقب بتليد ابن سابق وكان متصرفاً في التنجيم .

ومن بقى في الجزيرة نعرف منهم أبا الفضل أحمد ابن دابق ، وأبا عبد الله محمد بن الحسن العوفي وأخاه عمر ، وعبد العزيز بن الحاكم المعافري - ولهذا فإن المؤرخ (سسكوت) لم يتعد الحقيقة بقوله :

« من مآذن المساجد ببلرم كان الفلكي العربي يرقب حركات الأجرام ويعين موافيت الخسوف والكسوف ومواقع النجوم ، مستعيناً على ذلك بآلات اخترعت في حوض الوادي الكبير وعند نهر دجلة وبزيجات كتبت في سهول بابل قبل المسيح بقرون » . ويقول أيضاً : « فكانت مدن الجزيرة حافلة بمن يقرءون الطالع ويعبرون الرؤى ويتنبأون بالغيب كما كانت دار عالم الصنعة مزارة يومه الناس على اختلاف طبقاتهم وكان أحب نزيل يرحب به بلاط بلرم المنجم » .

الفترة المظلمة في تاريخ البشرية بما يؤكد تأثير الجامعات الإسلامية في جامعات أوروبا ، كما قرر ذلك جيوم الذي قال بقيام الصلات الأكيدة بين الفناحيين ، والذي مهد لذلك هو الاتصال الفكري بين غرب أوروبا والحضارة الإسلامية فأخذت المعارف العربية واليونانية تتدفق وشغف الأوروبيون بها حتى ضاقت المدارس الدينية من استيعابها ومن هنا أخذت الجامعات تحتضنها وترهاها حتى قدر للخطر الثاني من العصور الوسطى أن يتجر من تسمية « العصور المظلمة » ، وذلك واجع لمصاييح الفكر الإسلامي الوفاة إذ « أصبحت بلاد العرب على الفجاءة بسقانا من رجال ممتازين » .
وحيث قامت المساجد مقام الجامعات وأدت أكبر دور إنساني في نشر المعارف والأخذ بيد المتحضر ورفع ظلال الجهل .

ومن المعروف أن « سالفو » اشتهرت بدراساتها الطبية ، وقد كان الفضل في تأسيس هذه الجامعة راجعاً إلى العلماء العرب وإلى التنظيمات العربية والمترجمة ، ففي العهد النورمانى كان أسانذة الجامعة مسلمين وقد عهد قسطنطين الإفريقى مديراً لها .
أما جامعة بادوا فشأنها شأن الجامعات الإيطالية لم تبعد عن التأثير الإسلامى سواء بالأسانذة أو المؤلفات بما حدا ببيترارك (٣٠٤ - ١٣٧٤م) أن يعبر عن تأثيره وفوهه بقوله :

« يا للعجب استطاع شيشرون أن ينبغ في الخطبة بعد ديموستين واستطاع فرجيل أن ينبغ في قرض الشعر بعد هومر ، فهل قدر علينا ألا نكتب بعد العرب ؟ ... لقد أدركنا الإغريق وجميع الشعوب وسبقناها في بعض الأحيان ما هذا العرب ... فيا للحجاة ويا للجهل ويا للعبقريّة الجائدة » .

فإذا كانت الحضارات السابقة اختصت التربية بالسكينة أو الحسكام ، كما رأينا في الحضارة المصرية القديمة حيث كان العلم حقاً للسكينة ، وكما رأينا لدى اليونان حيث اقتصر العلم على أبناء الأشراف والأحرار . كما كان لدى المسيحيين في العصور الوسطى حيث انفرد الرهبان بالعلم . فعلى هذا السفن صغار الفرس والهند . أما الإسلام فقد انفرد بسمة عمومية التربية ، وأصبح شعاره « العلم للجميع » .

وقد صاحب النهضة الشاملة بصقلية ازدهار ثقافى هائل دفع الكثرين إلى الإقبال على العلم ورغبة في مزيد من الثقافة والعقل وقد تحدث ابن حوقل عن كثرة المساجد وكثرة المعلمين حيث كان للمسجد منزلة عليا كبرى ، ففي بلرم كان يوجد أكثر من مائتى مسجد ، كانت مدارس حافلة بطلاب العلوم وإلى جانب دلالة كثرتها على انتصار الإسلام على المسيحية فإنها بالإضافة إلى ذلك تدل على النهضة العلمية المتفخصة ، حيث كثر المعلمون ، وفي بلد وحدها وجد أكثر من ثلاثمائة معلم ، وقد أنصف ابن حوقل حين قرر أن معلمى صقلية في نظره يتفوقون على معلمى كل بلد ، أما نظرة أهل صقلية للمعلمين فإنهم : « أعيانهم ولبابهم وفقهاؤهم ومصلوهم » ... وهم الذين يوجهون الرأى العام . ومع هذا فلم يكن التعليم بدر خيراً على أصحابهم ومن الكتاب من احتوى على خمسة معلمين لهم رئيس ومن يرغب في المزيد سافر إلى المشرق .

والجدير بالذكر أن انعكاساً بعيد المدى بدأت طلائعه تتضح من خلال النقشابه العجيب بين نظم جامعات أوروبا وبين شقيقاتها العربية التى عاصرت

منذ القرن الثانى عشر ، وهى الثورة التى تمخضت
عن مولد الجامعات الاوربية نفسها ثم اعتماد هذه
فى حياتها أمداً طويلا على الغذاء الفكرى الذى
قدمه لها علماء المسلمين .

وقد أخذ الاوربيون فى التنظيم الجامعى عن العرب
وبما أخذوه نظام المعيدى حيث عرف المسلمون
ذلك فى حلقات العلم بالمسجد ، والمحاضرات المتنوعة
بالمدارس والجامعات .

أما لفظ (الباكالوريا) فيقرر جيموم أنه تحريف
لعبارة حتى الرواية المستعمل فى المدارس الإسلامية
بتحويل من الغير .

وقد كان الإقبال على التعليم شديداً فقد بلغ عدد
الطلبة أحياناً فى الحلقة الواحدة ثمانين طالباً من
مختلف البلدان ويزيد هذا العدد فى حلقات الجوفى
الذى يزيد عدد طلبته فى الحلقة الواحدة كل يوم
على ثلاثمائة رجل .

وقد كانت حرية المناقشة واحترام الرأى سائدة ،
فربما خالف التلميذ أستاذه أو نهه على الخطأ .

وبينا يبلغ المسلمون ذروة نضجهم الفنى فى شتى
المراكز الثقافية كان الإقطاعيون فى الغرب يحتلون
المراكز الثقافية غفورين بمعجزهم عن القراءة التى
لم يكن يعرفها إلا رجال الدين ولهذا شرعت العيون
المشدوه تتجه بشغف إلى الأشعة الوضاء المنبعثة
من البقاع الإسلامية ؟

روصف نرفل

وحين أسس فردريك الثانى جامعة نابلى عام
١٢٢٤ كأول جامعة أوربية اعتمد على المخطوطات
العربية وجعل منها أكاديمية لعقل العلوم العربية
وشرعت الترجمات والأصول تغزو جامعات باريس
وبولونيا .

وقد كان من طلاب جامعة نابلى توماس الاكروينى
الذى تأثر بفلسفة ابن رشد ، وأخذ عنه الكثير
بالرغم من حقه الواضح من حملاته عليه ، وقد كان
لجامعة بولونيا عناية خاصة بالفلسفة الرشدية ومنها
انتشر التأثير إلى شمال شرقى إيطاليا .

ومع الزمن كان الإقبال على الدراسات العربية
يتزايد ولا سيما فى القرن الرابع عشر حيث استمدت
جامعات اكسفورد وباريس عن العرب مؤلفاتهم
وذلك عن طريق صقلية ملتقى الثقافتين القديمة
والحديثة وواسطة نقالهما معا إلى الغرب ، والى
عاشت حضارتها الإسلامية بعد زوال الحكم
الإسلامى منها حيث ظل التشيع بالمدينة الإسلامية
مستمراً ، ذلك أن النهضة الاوربية فى القرن الثمانى
عشر — وهى النهضة التى كانت نشأة الجامعات
من أهم مظاهرها — ساعد على قيامها وأدى إلى
ازدهارها الاتصال بالمسلمين فى الأندلس وصقلية ،

(وإذا أدخلنا فى اعتبارنا الامر الذى تركه تدفق
العلوم والمعارف الإسلامية على الجامعات الاوربية
فى العصور الوسطى فلا بد من الاعتراف عندئذ بأن
هذه المعارف أحدثت ثورة ضخمة فى الفكر الاوربى



اختيار العمال في الإسلام

لدى الأستاذ محمد صالح المنجد

وفي هذا يقول افرعون : « اجعلنى على خزان
الأرض لى حفيظ عليم ، (١) ، فالحفظ والعلم
هنا مقابلان للأمانة والقوة البدنية فى قول ابنة
شعيب وقد أشار ابن نيمية إلى هذه الحقيقة
بقوله : « والقوة فى كل ولاية يحسبها ، (٢) ،
بمعنى أن كل عمل يحتاج إلى نوع من القوة يتلاءم
مع طبيعته .

وكى تحقق القوة على العمل ، اشترط الفقهاء
فى الخليفة أن يكون من أفضل الناس علماً وديناً ،
وأن يكون قنيا بأمر الحرب والسياسة وإقامة
الحدود والذب عن الأمة كما اشترطوا سلامة
الحواس بالدرجة التى تسمح له بأداء وظيفته (٣) ،
واشترطوا لولاية الأمصار ووزراء التفويض مثل
ما اشترطوا للخليفة (٤) .

واشترطوا للقاضى أن يكون عالماً بما جاء
فى الكتاب والسنة من أحكام شرعية ، وبأقوال
السلف فيما أجمعوا عليه واختلفوا فيه ليتبع
الإجماع ويمتد رأيه مع الاختلاف ، وبالقياس
الموجب رد الفروع المسكوت عنها إلى الأصول
المنطوق بها (٥) .

هذا أبو يعلى فى كتابه « الأحكام السلطانية »
هشرة واجبات للخليفة ، أحدهما يتصل باختيار
الاكفاء من العمال ، وهو قوله : استكفاء الأماناء
وتقليد النصحاء فيما يفوضه إليهم من الأعمال ،
قيلكه إليهم من الأموال ، لتسكون الأعمال ،
مضبوطة ، والأموال محفوظة (١) .

القوة والأمانة أساس اختيار العمال :

وقد أشار القرآن إلى دعامتين اثنتين يقوم عليهما
اختيار العمال فى الإسلام ، هما : القوة والأمانة . إذ يقول
تعالى على لسان ابنة شعيب : « يا أبت استأجره ،
إن خير من استأجرت القوى الأمين ، (٢) .

المراد بالقوة :

والمراد بالقوة مآرائه ابنتا شعيب من قوة موسى
البدنية ، إذ أراد أن يسقى لها المشاية ، فأزاح عن
هن برحماً لا يطيق رفعه إلا جماعة من الناس ،
ثم سقى لها (٣) . ولئن كانت القوة البدنية هى
اللازمة فى مثل عمل موسى ، فإن كثيراً من الأعمال
ذو طبيعة مختلفة جداً ، بحيث تلزمها أنواع أخرى
من القوة ، غير القوة البدنية ، ومن أجل هذا لم
يطلب يوسف الإمامة على خزان الأرض لقوته
البدنية ، وإنما طلبها لجبرته ، فضلاً عن أمانته ،

(١) السورة ١٢ / ٥٥

(٢) السياسة الشرعية ص ١٤

(٣) راجع أبو يعلى ، الأحكام السلطانية ، ص ٤٤ ، ٦٥

(٤) المصدر السابق ، ص ١٣ ، ٥٨

(٥) المصدر السابق ، ص ٤٥

() أبو يعلى ، الأحكام السلطانية ، ص ١٢

(٢) السورة ٢٨ / ٢٦

(٣) الطبرى ، جامع البيان فى تفسير القرآن ، ج ٢

لنا أن نقول : « إن الأمانة في كل ولاية بحسبها ،
على نحو قول ابن تيمية بشأن القوة .

فالأمانة في تولية العمال اختيار الأصحاب : فهمي
في القضاء عدل بين الناس ، وفي البيع انتفاء الغش
والنطيف ، وفي جباية الأموال حفظها وأداؤها
لمستحقين ، وهي على العموم أداء كل حمل على الوجه
الآكل ؛ إما خشية من الله سبحانه ، أو طلباً
لمغنى من مغايم الدنيا ، والمرء ونيت .

القوة لا تغني عن الأمانة :

ومن الملاحظ أن القوة لا تغني عن الأمانة ،
كما أن الأمانة لا تغني عن القوة ، فالعامل على الزكاة
قد يكون أحلم الناس بأحكامها الشرعية وأقدرهم
على جمعها فتتوفر له بهذا أسباب القوة على العمل ،
ولسكنه قد يخون الأمانة فتذهب الزكاة إلى غيره
بدل أن تذهب إلى المستحقين ، ولا تكون للقوة
بغير الأمانة قيمة إلا لنفسه .

والأمانة لا تغني عن القوة :

وعلى العكس من ذلك قد يكون الطبيب أشد
الناس رغبة في شفاء المريض ، وفي أداء واجبه على
الوجه الآكل ، فتتوفر له بهذا أسباب الأمانة ،
ولسكنه قد يكون قليل الحظ من العلم بالطب أو قليل
الخبرة والمران عليه ، فتتغني بهذا أسباب قوته على
العمل ولا تكون للأمانة قيمة . ومن أجل هذا
كان عليه السلام يرفض استعمال الضعيف ولو كان
من خيرة أصحابه ، إذ قال له أبو ذر يوماً :
« يا رسول الله ألا تستعملني ؟ فضرب عليه السلام
بيده على منكبيه ، وقال : « يا أبا ذر ، إنك
ضعيف وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي

واشتغلوا للإمارة على الحرب بشيعة القلب
والخبرة بالحروب والمخاضة فيها ، والقدرة على
أنواع القتال من رمي وطفن وضرب ، وركوب
وكر وفر ، ونحو ذلك (١) .

واشتغلوا للوالي على الفئ والحراج أن يكون
متضلعا في الحساب والمساحة ، مجتهداً في أحكام
الشريعة (٢) .

واشتغلوا للوالي الحسبة أن يكون خبيراً ذا رأى
وصرامة وخشونة في الدين ، وعلم بالمنكرات
الظاهرة (٣) .

واشتغلوا لإمام الصلاة أن يكون قارئاً فقيهاً
سليم اللفظ من نقص أو لثغ (٤) ، وهكذا .

المراد بالأمانة :

وقد أرادت ابنة شعيب بالأمانة غض موسى
لبصره ، إذ دعت إلى أبيها ليجزيه أجر ما سبق لها
وكافت الريح عاصفة فقال لها : « لا تمنني أممي
فيمضك الريح لي ، وسكن امشي خلفي ودليني على
الطريق » (٥) ، ولئن كان مثل هذا النوع من الأمانة
ضرورة لمن يقوم بمثل عمل موسى من تتاح لهم
فرصة الاختلاط بأهل بيت المستأجر كعمال المنازل
أو الإطلاع على نساته كالأطباء ، فإن الكثير من
الأعمال ذو طبيعة مختلفة جداً بحيث تلزمها أنواع
أخرى من الأمانة غير غض البصر ، وربما جاز

(١) ابن تيمية ، السياسة الشرعية ، ص ٩٤

(٢) أبو يعلى ، الأحكام السلطانية ، ص ١٢٤

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٦٩

(٤) المصدر السابق ، ص ٨٠

(٥) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ص ٢٠ ،

وقد التزم الصديق هذا المبدأ حين عهد إلى عمر بالخلافة إذ قال له الناس - وقد ساءم استخلاف عمر على غلظته - ماذا تقول لربك إذا لقيته وقد استخلفت علينا عمر ؟

فقال : أنخوفوني بربي ؟ أقول له : أسرت عليهم خير أهلك ^(١) ولهذا يقول ابن مسعود : د أقرس الناس ثلاثة : بنت شعيب وصاحب يوسف ، وأبو بكر في عمر ، ^(٢) ومرد فراستهم أن كلا منهم اختار الإصلاح للعمل الذي أرادته .

وكان عمر يشاور الناس لاختيار الإصلاح ، فحين أود من يوليه مساحة الأرض سأل أصحابه قائلاً : من رجل له جزالة وعقل يضع الأرض مواضعها ويضع على العروج ما يحتملون ، فاجتمعوا له على عثمان بن حنيف قائلاً : تبعته على أمم ذلك فإن له بصراً وعقلاً وتجربة ، فأصرح إليه عمر فولاه مساحة أرض السودان . ^(٣) وحين أراد من يوليه على الخراج بعث إلى أهل السكوفة يبعثون إليه رجلاً من أخيرهم وأصلحهم ، وإلى أهل البصرة كذلك ، وإلى أهل الشام كذلك ، فبعث إليه أهل السكوفة عثمان بن فرقد ، وبعث إليه أهل الشام ومعن بن يزيد وبعث أهل البصرة الحجاج بن علاط ، فاستعمل كل واحد منهم على خراج أرضه . ^(٤)

وكان يأتي الرجل ليواليه متوسلاً فيه القوة والأمانة فيأبى الرجل خوفاً من مغريات الإمارة ، ولا يدهم

وندامة ، إلا من أخذها بمقها وأدى الذي عليه فيها ^(٥) .

وقل مثل ذلك في أى عمل كان ، فبغير القوة لا يمكن للعامل أن يعمل أصلاً ، ولو كان أكثر الناس أمانة . وبغير الأمانة لا تستحيل القوة من طاقة كائنة في النفس إلى فعل محمود أو عمل مفسود ومن أجل هذا أشار القرآن في حديث ابنة شعيب لأبيها ، وحديث يوسف لملك مصر ، إلى ضرورة اجتماع العاملين معاً ، عامل اقوة وعامل الأمانة ، كأساس لاختيار العمال ، وكان عمر يود لو يوفى دائماً إلى استعمال القوى الأمين ، وفي ذلك يقول : د أهياني أهل السكوفة ، فإن استعملت عليهم ليلاً استغفوه ، وإن استعملت عليهم شديداً شكوه ، ولوددت أنى وجدت رجلاً قوياً أميناً مسلماً استعمله عليهم ، ^(٦) .

تولية الإصلاح :

وإذا أكثر الأكفاء من أهل القوة والأمانة ولى الأمثل فالأمثل إذ يقول عليه السلام : د ن ولى من أمر المسلمين شيئاً ، فولى رجلاً ، وهو يجد من هو أصالح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله ^(٧) وفي رواية أخرى : د من استعمل رجلاً على عصاة وفي تلك العصاة من هو أرضى لله تعالى منه فقد خان الله ورسوله وجهاده المسلمين ^(٨) .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، ص ٢٠٩ - ٢١٠ ، أبو سيف الخراج ، ص ١٠

(٢) ابن الجوزى ، سيرة عمر بن الخطاب ، ص ١٠٣

(٣) ابن تيمية ، السياسة الشرعية ، ص -

(٤) محمد بن اسماعيل الأمير ، سبل السلام ، ج ٤ ،

ص ١١٧ (أخرجه الحاكم والبيهقي)

(١) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٢

(٢) الفخر الرازى ، التفسير الكبير ، ج ٦ ، ص ٤٠٣

(٣) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٣١

(٤) المصدر السابق ، ص ١٣٥

لا تفتني^(١) . وكان رضى الله عنه ، على هذه ، لا يخاف على نفسه شيئا كالإمارة ، حتى ليقول والذى نفسى بيده لوددت أنى خرجت منها كما دخلت فيها ، لا أجر ولا وزير^(٢) ، ولهذا امتنع الشافعى لما استدعاه المأمون لقضاء الشرق والغرب ، وامتنع أبو حنيفة لما استدعاه المنصور خبسه وضربه^(٣) .

والحرص على الإمارة رغم تبعاتها الكبار يضع نفسه موضع الريب والشكوك ، ويدفع الناس إلى الظن بأنه أراد الإمارة طمعا في المال أو في المنصب أو في الشهرة أو في الجاه .^(٤) ولهذا رفض الرسول عليه السلام تولية الحريرى ، وقال لعبد الرحمن بن سمره يوما : يا عبد الرحمن ، لا تسأل الإمارة ، فإناك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها (أى إلى مغرباتها) وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها (أى على تبعاتها) .^(٥)

ولئن كان الرسول عليه السلام . قد نهى عن طلب الإمارة في أحاديثه ، لقد طلبها يوسف عليه السلام ، من فرعون بقوله : اجعلنى على خزانة الأرض إني حفيظ عليم^(٦) ، وليس ثمة من تناقض فوقف يوسف عليه السلام . حين طلب الولاية غير موقف الرجلين حين طلبا الإمارة ؛ إذ طلباها بغير صوغ يبرر استعمالها ، وكان مغمورين

عمر حتى يوليه قائلا ، والله لا أدعكم ؛ جعلتموها في عنق ثم تخليتم عنى^(١)

وكان أبو عبيدة يلوم عمر على إكشاره من تولية الصحابة وتعرضهم لمغريات الإمارة ، فيقول له عمر : وإذا لم أستعن بأهل الدين على سلامة ديني فبمن أستعين ؟ .^(٢)

وبرغم احتياطه عليه الرضوان - في اختيار عماله فقد كان يكتب أموالهم عندما يولاهم ، ليشاطروهم إياها^(٣) . إذا أغرتهم الإمارة فاستزدوا من المال بغير حق .

ومن باب الحرص على استبعاد ذوى المطامع والأهواء كان الرسول - عليه السلام - لا يولى طالب الإمارة أو الولاية فلقد قال أبو موسى : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم أنا ورجلان من بنى عمنى فقال أحد الرجلين : يا رسول الله أمرنا على بعض ما ولاك الله عز وجل ، وقال الآخر مثل ذلك ، فقال عليه السلام : إنا والله لا نولى على هذا العمل أحدا سأل ولا أحدا حرص عليه ،^(٤) ذلك أن الولاية مسؤولية كبيرة ، حتى ليقول الرسول عليه السلام إنما أمانة ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة ، إلا من أخذها بحقها ، وأدى الذى عليه فيها .^(٥) وخوفا من تبعاتها الكبار كان عمر يأتى الرجل يتوسم فيه الكفاة فيستعمله ، فيقول الرجل -

(١) ابن الجوزى ، سيرة عمر بن الخطاب ، ص ١٤٤

(٢) المصدر السابق

(٣) محمد بن إسماعيل الأمير ، سبل السلام ، ج ١ ، ص ١٠٧

(٤) راجع القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٤ ، ص ٢١٦

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ ؛

سنن النسائي ، ج ٢ ، ص ٣٠٤

(٦) السورة ١٢ / ٥٥

(١) ابن الجوزى ، سيرة عمر بن الخطاب ، ص ١٤٤

(٢) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٣٥

(٣) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٢١٩ ، ابن الجوزى ،

سيرة عمر بن الخطاب ، ص ١٠٦

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ٢ ، ص ٢٠٧

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٠٩ - ٢١٠

الكفاية والعدالة في مقابل القوة والأمانة:

وقد ذكر البعض في مجال الحديث عن بعض الولايات اصطلاحين مقابلين للقوة والأمانة، هما: الكفاية والعدالة^(١)، باعتبارهما شرطين للتولية. أما الكفاية، فهي - كما قال الرملي: الاهتمام إلى النصرف^(٢) (الذي فوض له الوالي أو العامل) وأما العدالة، فهي ليست قاصرة على الأمانة، وإنما تعني عندهم: الاستقامة أيضا^(٣)، فهي عند الجمهور كما قال ابن رشد: صفة زائدة على الإسلام، وهي أن يكون المسلم ملتزماً لواجبات الشرع ومستحباته، متجنباً للحرمان والمكروهات^(٤).

فسق العامل: متى يمنع التولية ويبرر العزل؟

وهكذا، فقد أدخل هؤلاء السلوك الشخصي في اعتبارهم، بالنظر إلى بعض الولايات، فجعلوا الاستقامة شرطاً لتولية، كمثل القوة والأمانة، كما جعلوا الفسق مبرراً للعزل، كمثل العجز والخيانة، وربما قاسوا بهذا الولاية على الشهادة، فلم يأتهموا الفاسق على العمل قياساً على اتهامه بالكذب في الشهادة^(٥).

وربما جاز لنا أن نقول: إن الفسق، وإن كان منطقة اتهام، فإنه ليس بالضرورة سبيلاً إلى الخيانة فن الجائز أن تتوفر دوافع الأمانة أو موانع الخيانة فيؤدي الفاسق حمله على الوجه الأكمل، كأن يكون أميراً على الغزو، ويكون حريصاً على النصر طمعاً في الغنيمة، أو رغبة في الشهرة، أو كراهية لمدد

لا تزكيتها مهارة مشهورة أو كفاءة معروفة حتى لقد أغفل رواة الحديث ذكر اسميهما، فأما يوسف عليه السلام فقد سأله بختيار مسوخ، إذ ذكر حفظه وعلمه، وهو كما قال القرطبي: «إنما طلب الولاية لأنه علم أنه لا أحد يقوم مقامه في العدل والإصلاح فرأى أن ذلك فرضاً متعيناً عليه»^(١) كما أن وصف الإنسان بالفضل عند من لا يعرفه جائز، وليس بالمحذور من تزكية النفس في قوله تعالى: «فلا تزكوا أنفسكم»^(٢).

وهكذا لا يجوز لما من أن يطلب الإمارة بدون مسوخ من كفاءة، فإذا كان للإمارة أهلاً، وعلم أولوا الأمر ذلك، وكل لإلهم أمر اختياره دون أن يسألها، فإذا جهلوا كفاءته، وخشى أن يوسد الأمر إلى غير أهله كان فرضاً عليه أن يطلبها، فإنه بهذا يعين أولى الأمر على حفظ الأمانة التي حذر الرسول من ضياعها بقوله: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة»، قيل يا رسول الله وما إضاعتهما؟ قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»^(٣).

وغاية القول أن اختيار العمال في الإسلام إنما يقوم على الكفاءة من قوة وأمانة، فلا المودة ولا القرابة ولا الجاه ولا المال، تصلح مسوغاً للعمل أو تقدم الضعيف على القوى، والخائن على الأمين وفي هذا يقول عمر - رضي الله عنه - من استعمل رجلاً لمودة أو قرابة، لا يستعمله إلا لذلك، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين^(٤).

(١) راجع: الرملي، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج،

ج ٤، ص ٢٩٠

(٢) نفس المسكان

(٣) نفس المسكان

(٤) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج ٢، ص ٦٢

(٥) المصدر السابق، ج ١، ص ١٥٠

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج ٩، ص ٢٠٦

(٢) الجصاص، أحكام القرآن، ج ٣، ص ١٧٤

(٣) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص ١١. (وسد الأمر إلى فلان أي أسند إليه القيام بتصرفه)

(٤) ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص ٦٧

ومضى كانت أمانة الفاسق بمسكنة ، فإن ما رآه البعض من جواز تولية الفاسق الأمين هو الرأى الصحيح ، لأن العبرة بقوة العامل وأمانته كما أشار القرآن : « إن خير من استأجرت القوي الأمين » ، بحيث يفتنى كل سبب لعزل العامل ما دام قوياً على العمل أميناً .

ومن الملاحظ أن طبيعة العمل قد تسمح للعامل بالخيانة دون أن ينكشف أمره ، كأن يكون إماماً للصلاة ويحرم الناس أنه استسكل شرائطها ، ثم يصل بهم جنباً أو دون وضوء مثلاً ، ولهذا حرم البعض على الفاسق إمامة المصلين (١) ، وربما جاز لنا أن نقول : إن كل عمل هذا شأنه لا ينبغي للفاسق أن يشغله ، لأن الفاسق متهم ، ولو لم يكن كذلك ما منع من الشهادة ، ومضى صح اتهامه ، وافتقد الدوافع التي تضمن أمانته ، أو استحال مراقبته ، وانتفت موانع خيائته ، كان من السفة استعماله ؟

فهرم جمال الدين هيار

(١) ابن رشد ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ج ١ ،

ص ١٤٥

أو دفاعاً عن الوطن ، أو حماية الأهل والعشيرة ، فإذا عرف أحد القادة بالفسق ، وبأن هذه الدوافع تدفعه وتستثيره ، جاز تقديمه على أهل الصلاح عن هم دونه في الكفاءة .

وأكبر الظن أن الإمام أحمد قد فطن إلى هذا المعنى حين سئل عن الرجلين يكونان أميرين في الغزو ، وأحدهما : قري فاجر ، والآخر ، صالح ضعيف ، مع أيهما يغزى ؟ فلقد قال : أما الفاجر القوي فقوته للمسلمين ، وجوره على نفسه ، وأما الصالح الضعيف ، فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين ، فيغزى مع القوي الفاجر (١) .

ومن باب الدوافع المسانعة من الخيانة لإحصاء الخليفة على الجباة أو ولاية الصدقات أموالهم قبل الولاية كما كان ، يفعل عمر فيما قدمناه ومعرفة مقدار الصدقات المنتظر جبايتها ، ومراقبة أعمال الولاية مراقبة دقيقة ، بحيث تتضح السرقات بنقص في الجباية أو بزيادة غير متوقعة في ثروة العامل ، ويتضح أى تقصير في العمل بالمراقبة الدقيقة ، فيضطر العامل إلى الأمانة ، إن لم تكن الأمانة من خلقه ، ولا يكون لنفسه أثر على العمل

(١) ابن تيمية ، السياسة الشرعية ، ص ١٦

من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :
لا إيمان لمن لا أمانة له
إذا ضيقت الأمانة فانتظر الساعة
إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه

التعليم الإسلامى فى إفريقيا دورُ النشأة والازدهار

للأستاذ محمد جمال عباس

- ١ -

مقدمة :

التعليم الإفريقى فيما قبل الإسلام :

عاشت الشعوب الإفريقية قبل دخول الإسلام فى نظم قبلية دقيقة اشتملت على جميع ألوان النشاط ، وكان التعليم أحسن تلك النظم الدقيقة التى كانت تقع مسئولياتها على طائفة المجتمع بمختلف مستوياته ، ولئن لم توجد مؤسسات تعليمية واضحة ، إلا أن وسائل التربية والتعليم كانت تسير على مستويات ومراحل يمر بها الطفل منذ ولادته حتى يصل إلى الأهلية الكاملة للمشاركة فى النشاط الاقتصادى والاجتماعى والروحى للقبيلة .

وكانت حياة الفرد فى طور التربية والتعليم تنقسم إلى مرحلتين : الطفولة ، والتعبئة .

فى مرحلة الطفولة تختلف طبيعة التربية والتعليم باختلاف مراحل السن ، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بمراحل نمو الطفل ، فكان الطفل فى فترة الطفولة الأولى (من الولادة حتى السادسة) يخضع خضوعاً تاماً لرعاية أمه وتقصر حياته على اللعب والتغذية اربية الجسد وخلق الروح الاجتماعية ، وفى فترة الطفولة الثانية (بين سن السادسة والعاشر) يبدأ الطفل فى تلقى بعض التعليمات الأخلاقية والاجتماعية وبعض التدريبات على الأعمال البسيطة والمساعدة التى يشارك بها فى نطاق الأسرة أو المحلة ، مع استمراره فى طور اللعب والتغذية ، أما بعد سن

خلف الاستعمار فى حياة القارة الإفريقية الكثير من المخلفات الثقافية من لغة أجنبية فرضها ، وولاء ذهنيًا للمستعمر لدى بعض المثقفين من أبناء الشعوب الإفريقية ، فضلاً عن النظم التعليمية التى أدخلها ودس فى مناهجها ما يوحى بالتخاذل وببسط الحكم فضلاً عما بثه المستعمر فى نيايا الكتب التعليمية من تحسيس لصعوبات التطور الثقافى والاجتماعى والاستغلال الاقتصادى وإرجاع التأخر الذى أصاب الشعوب الإفريقية إلى الإسلام ، مدعياً أنه دين يعوق النمو والتطور الحضارى ويقف بالشعوب الإفريقية التى تمتنقه هند حديد معين من الحضارة لا تتعداه .

وبرغم هذه المخلفات الاستعمارية ، وبرغم المحاربة الشديدة التى لاقاها الإسلام فى العهد الاستعماري ، فإن الإسلام ظل يكسب أرضاً وشعوباً جديدة ، واستمر التعليم الإسلامى فى أداء مهمته وتحقيق أغراضه ، ولئن كان التعليم الإسلامى قد أصابته بعض الهزات العنيفة فى عهد الاستعمار ، إلا أنه قد أخذ يستعيد مكانته فى حياة الشعوب بعد أن جازت استقلالها ، وزال عنها كابوس الاستعمار .

وسوف نتناول دواشنا هذه التعليم الإسلامى : تاريخه وحاضره ومستقبله فى هذا المقال وما يتبعه .

١ - تعليم الكبار فى مجالس العلم التى كان يعقدها الدعاة والمعلمون من علماء جدالة والمراطين والتجار المهاجرة المهاجرين فى غرب إفريقيا ، والمهاجرين المانيين والحضارة والبنية فى شرق إفريقيا ، وكانت هذه المجالس تعقد فى المنازل أحيانا وفى المساجد أيضا لتعريف معتنقى الإسلام بقواعد دينهم وتحفيظهم القرآن ورواية السيرة والحديث مع قلم بعض اللغة العربية ، وكان يحضرها أيضا بعض المؤلفة قلوبهم حتى يشهروا إسلامهم .

٢ - تعليم الصغار حيث كان المسلمون يرسلون أبناءهم وبناتهم إلى المشايخ فى منازلهم أو فى الكتاتيب أو أركان المساجد لتلقى اللغة العربية والدين والحساب .

وهذا دخلت المؤسسة التعليمية لأول مرة فى الحياة الإفريقية ممثلة فى المسجد والكتاب ثم المدرسة ثم الجامعة الإسلامية .

مرحلة الدراسة فى المجتمع الإفريقى المسلم :

وبدخول التعليم الإسلامى أخذ التعليم القبلى يتغير وتحل محله مراحل جديدة تبدأ من فترة الطفولة الثانية على النحو التالى (١) .

١ - الدراسة فى الكتاب من سن الخامسة إلى سن العاشرة حيث كان الآباء يرسلون أبناءهم وبناتهم جميعاً إلى الألفاوات أو المعلمين أو الفقهاء (الفقهاء) لتلقى مبادئ القراءة والكتابة والحساب وحفظ القرآن ودراسة السيرة النبوية الشريفة والحديث ، وقواعد الإسلام ، وننتهى الدراسة بانتهاء هذه المرحلة بالنسبة للفتيا .

٢ - الدراسة فى المدرسة فى مرحلة الطفولة الثالثة من العاشرة إلى الخامسة عشرة حيث كانت (١) معلومات مستفادة من رواية الشيخ فى غرب إفريقيا .

العاشرة حيث يدخل الطفل مرحلة الطفولة النهائية فإنه يعد إعداداً أكبر للمشاركة فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية بل وفى المراسيم الدينية والروحية ، وذلك عن طريق الاشتراك فى الأعمال الرئيسية بقصد اكتساب بعض الخبرات والمعلومات عن الحياة الاقتصادية ، وحضور احتفالات القبيلة فى مختلف المناسبات للتشجيع بالقواعد الاجتماعية ، والمعقدات التى تسير عليها القبيلة ، ويتم فى هذه المرحلة نقل حرفة الآباء إلى أبنائهم .

وإذا ما بلغ مجموعة من أطفال العشيرة أو المحلة سن الخامسة عشرة ، فإن ذلك يكون حدثاً هظياً فى حياتهم ، فإنهم يدخلون مرحلة جديدة من الحياة فيجتمع هؤلاء اللوات ، ويقام لهم مراسيم خاصة لإدخالهم فى مجموعة السن ، وتكوين الدفعة التى تمر باختبارات عديدة ، وتترك الدفعة لتكتسب بنفسها خبرات جديدة فى الغابات والمراعى والمزارع وتحمل مسئوليات جساما ، وتكلف بأعمال شاقة ، وفى ذلك تعليم وتربية اجتماعية وأخلاقية وروحية وإعداد للمستقبل ، واكتشاف المواهب والقدوات التى يمكن أن يفيد بها كل فرد مجتمعه ، وتستمر فترة التعبد هذه سنوات عديدة يعود بعدها الشاب ليدخل فى المجتمع بصفته عضواً عاملاً متكامل الشخصية له قدرات معينة اكتسبها ، وتخصص يسهم به فى حياة المجتمع .

دخول التعليم الإسلامى :

وبانتشار الإسلام بين القبائل الإفريقية بدأ التعليم يأخذ صورة جديدة تتفق مع التغيرات الحضارية التى دخلت على حياة القبائل ، ويقتبس من النظم التعليمية السابقة عليه ما يلائمه ، وقد اتخذ التعليم منذ فجر العهد الإسلامى فى إفريقيا صورتين :

دولة المرابطين كان أول من أدخل التعليم المنظم في غرب إفريقيا حيث أقام في رباطه بجزيرة في نهر السنغال مركزاً لتخريج المعلمين والدعاة والمحاربين من أبناء الملتزمين الذين اعتنقوا الإسلام وبخاصة أبناء قبائل لمتونة وجدالة الذين نشروا العلم بعد تخرجهم من رباط السنغال في الصحراء وبلاد السودان الغربي .

الدرجات العلمية وألقاب المتعلمين .

ولقد تبع دخول التعليم المنظم ظهور الدرجات العلمية والألقاب التي تدل على مستوى العلم الذي بلغه حاملوها ، أو مستوى الدراسة التي وصل إليها الشخص ، فالدارس كان يسمى طالباً أو (هان) في لغة الصنغاي ، ومعلم الأطفال كان يعرف في غرب إفريقيا باسم ألفا ، وهو الذي تخرج في الكتاب وتابع دراسته في المدرسة ، ولا يحصل على هذا اللقب إلا من أجازته شيخه بعد اختباره في دروس عملية يلقيها أمامه على صغار الطلاب .

وإذا تابع بعض الألقاوات دراساتهم العليا في حلقات الدراسة بالمساجد الكبرى مثل مسجد جاد وجامعة ستكوري ، بمبكتو أو المسجد الكبير في كانو وغيرها من مدن نيجيريا فإنه يحصل على لقب مالام (تحريف لكلمة معلم) أو موديبو (تحريف لكلمة مؤدب) ، أو سيكو (تحريف لكلمة شيخ) ولا يحصل على هذا اللقب إلا من ألقى أمام أستاذه دروساً وأجازته لتدريس الفقه والشريعة والنحو والفلك والتفسير .

وقليل من هؤلاء كان يتابع دراسته للتخصص فيقرأ في المصادر والمراجع ويزيد تحصيله في مجالس كبار المشايخ ومشاهير العلماء والفقهاء ، فإذا ما استطاع أن يجلس في حلقة علم يلقي دروساً عليها

حياة الذكور من الأطفال مقسمة إلى قسمين : وقت يكرس للدراسة في المدرسة ، ووقت يكرس لمشاركة الآباء في الأعمال . بينما الفتيات يبقين بالمنازل مع أمهاتهن للتدرب على شئون المنزل استعداداً للزواج . أما تقسيم الوقت بين الدراسة والعمل فيما أن يكون على أساس موسمي بمعنى أن يكون وقت العمل في موسم معين مثل موسم الحصاد أو موسم الهجرة الضليعية الرعى وتخصص بقية السنة للدراسة ، وعلى أساس تقسيم اليوم إلى فترة صباحية للعمل وفترة مسائية للدراسة .

وفي مرحلة المدرسة كان الأطفال يدرسون الفقه والتفسير ومزيد من السيرة والتاريخ ويضاف إليها النحو والصرف ومبادئ الفلك وبعض الأحكام الشرعية ، وتنتهي الدراسة بذلك بالنسبة لغالبية الأطفال .

٣ — الدراسة الإسلامية العالية وهي اختيارية صرفة ، فأما أن يتخصص الشاب في عمل معين بعد سن الخامسة عشرة ، ويشارك المجتمع مشاركة كاملة في نشاطه الاقتصادي بأن يلتحق الأولاد بآبائهم في الحقل أو المراهي أو يلحقون (باسطوات) المهن لتعلم الحرف ، أو أن يتابع القليل منهم الدراسة الإسلامية لتأهيلهم كعلمين أو أئمة أو دعاة وكثيراً ما كان يجمع الشباب في معسكرات لتعلم الرماية والمبارزة وركوب الخيل استعداداً للحرب أو لغزو .

وهكذا حل نظام التعليم الإسلامي بصورته هذه محل التعليم القبلي وأدخل الإسلام المؤسسة التعليمية المتخصصة في شكل كتاب أو مدرسة ذات فصول أو مجالس علم في المساجد والمنازل .

ومما يستحق الذكر أن عبد الله بن ياسين مؤسس

لم فى حاضرة غانة حى خاص ، كما اهتم ملوك مالى اهتماما بالغا بالتعليم الإسلامى ، فأحاطوا أنفسهم بالفقه والعلماء ، وبما يذكر أن السلطان منسى موسى فى هودته من حجه المشهور حمل معه أجهالا من الكتب الدينية والفقهية ، ودعا علماء مصر إلى تنبكت وجاو ، وقد ذكر ابن بطوطة فى رحلته أنه رأى فى تنبكت طيبيا مصريا ، وقد ذكر القلقشندى^(١) أن منسى سليمان الذى خلف منسى موسى بنى المساجد والمدارس والمنارات وجلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب مالك من مصر والمغرب وقد شاهدهم ابن بطوطة حينما زار تلك البلاد فى القرن الرابع عشر .

وسار سلاطين الصنغاي على نفس النهج فى عهدهم أقيم مسجد سنكورى يتمبكتو ذلك المسجد الذى اشتهر حتى أواخر القرن السادس عشر بأنه جامعة إسلامية تضم الكثير من العلماء والفقهاء وتخرج فيها الكتاب والمؤرخون ومن أشهرهم أحمد بابا التيمكتى ومحمود كعت وهب الرحمن السهدى ، وقد انفصل أسكيا محمد فى رحلته للحج بعلماء القاهرة وخاصة الإمام السيوطى ، وأحاط نفسه بالعلماء ، ويذكر محمود كعت صاحب تاريخ الفتاش أن السلطان أسكيا محمد قد أطل البدع ، واهتم كثيرا بشئون الدين ، كما حظيت جامعة تمبكت فى عهده بعناية فائقة ، وذكر أيضا أن أسكيا إسماعيل قد شجع العلماء وأكرمهم وأغدق عليهم ، وأن أسكيا داود كانت له خزانة تضم أمهات الكتب ، ينسخ منها النسخ لإرسالها إلى حواضر ملكه ، وقيل إنه كان يحفظ القرآن ، وإنه قرأ الرسالة حتى أتمها على

فى الفقه والشريعة والنحو والتفسير ويظهر تخصصه الدقيق فى المذهب المالكى السائد فى غرب إفريقيا (فإن تلاميذه يطلقون عليه لقب مولاي أو الإمام يعد أن يميزه بعض كبار العلماء الذين تلقى عليهم ، ومن هؤلاء أئمة المساجد الكبرى فى حواضر غرب إفريقيا .

فإذا ما زاد علم الإمام وكانت له مؤلفات وكتب يتداولها الدارسون ، وإذا ما اشتهر بين الفقهاء بقدرته على الفتوى الصحيحة فإنه ينقب بلقب (بابا) وقد حصل على هذا اللقب قليل من العلماء فى تمبكتو مثل أحمد بابا الذى ترك أكثر من أربعين كتابا ورسالة فى مختلف العلوم الشرعية والفلك والتاريخ والسير والفتاوى ، كما أطلق اللقب على جلال الدين السيوطى الذى عرف بين أهل تمبكتو باسم بابا سناطو (تحريف لكلمة السيوطى) . وكان يبادل هذا اللقب أيضا لقب سيوى الذى جسد فى القرن الثامن عشر بظهور زعماء الصوفية الذين اشتهروا أيضا بالعالم الغزير مثل المختار ، وسيدى أحمد البكاوى والإمام سيدى يحيى من علماء تمبكتو .

وقد عرفت مثل هذه الألقاب أيضا فى شرق إفريقيا وسودان وادى النيل حيث كان العلماء والمعلمون يميزون بلقب فقير (تحريف لكلمة فقيه) أو ملا (تحريف لكلمة مولاي) ولذلك لقب شيخ وحاج زيدى وإمام من يزداد عليه .

التعليم فى ظل المعالكة الإسلامية :

ارتبط هذا الازدهار الذى بلغه التعليم الإسلامى فى إفريقيا باهتمام السلاطين والملوك الذين تتابعوا على حكم بلاد إفريقيا ، ففى بلاد غانة القديمة أقام عدد من العلماء والدعاة ينشرون الإسلام ، وكان

(١) القلقشندى : صبح الأعشى - الجزء الخامس ص ٢٩٧ -

ظهرت فيها فيما بعد تعاليم الأباطنية التي حملها معهم المهاجرون من عدن وحمان ، وقد اشتهر في شرق إفريقيا من العلماء والفقهاء الكثير نذكر منهم الشيخ علي الجبرتي الذي اعتقد السلطان قايتباي في ولايته ، والذي سمي رواق الأحباش باسمه ، كما ذكر ابن بطوطة أنه شاهد في مقديشو طالما مصريا اسمه ابن البرهان ، وقد وفد إلى مصر عدد كبير من أبناء شرق إفريقيا للدراسة بالأزهر ، وأقاموا في الأروقة العديدة التي أنشئت خصيصا لهم مثل رواق الأحباش ورواق الجعوت ورواق زيلع وغيرها مما أنشأ ثروة القوم والسلاطين الذين حكموا تلك البلاد ليسرروا لأبناء بلادهم تلقى العلم في الأزهر الشريف .

وقد تأثر التعليم الإسلامي منذ القرن السابع عشر بالأحداث التي مرت بالقارة الإفريقية من اضطهاد في ممالك الغرب واضطراب في ممالك الشرق بسبب الحروب الصليبية التي شنها البرتغاليون وطلانغ المستعمرين مما سنتأوله في مقالنا التالي .

محمد مهدي عباسي

يد شيخ كان يأتيه بعد الزوال ويظل يقرأ معه حتى الظهيرة (١) .

وإذا ما اتجهنا شرقا في بلاد السودان نجد أن ملوك برنوقد اهتموا أيضا بالتعليم الإسلامي ، ومن أهم مظاهر اهتمامهم أن أرسلوا أبناء بلادهم لتلقي العلم في كانوا بشمال نيجيريا وفي الخرطوم وجدة والقاهرة حيث كانت لهم مدرسة لدراسة مذهب المالكية وكان لهم رواق خاص بالأزهر يسمى رواق البرنوقية .

أما السودان وادي النيل فقد انتشرت به المدارس الإسلامية في جميع أنحائه وكانت بين أهل السودان ومصر صلات في مجال العلم ، وعلما من أهله جلسوا للتعليم في الأزهر الشريف .

وفي الحبشة كانت هرر ومسجدها الكبير مركزا من مراكز العلم الإسلامي كما ظهرت سوقاك ودار السلام ومقديشو وكلوا في ساحل المحيط الهندي ، وازدهرت جميعا واشتهرت بالفقه الشافعي ، وقد

() محمود كمت التيمكتي : تاريخ الفتناء في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ترجمة هوداس باريس سنة ١٩١٣ ص ٥٩ و ٨٧ و ٩٤ .

العلم اولى

لقاء الناس ليس يفيد شيئا سوى الهذيان من قيل وقال
فأبعد عن لقاء الناس إلا لأخذ العلم أو لصالح حال
(الإمام الشافعي)

الحياة الأدبية في عصر سيف الدولة الحمداني

محمود محمد شبكة

فيه على طرف لسانه في محاضراته ورسائله (١).
ويحدثنا صاحب البقيعة عن الحركة العلمية والأدبية في بلاط سيف الدولة في معرض الكلام عن شعراء الشام فيقول: وقد رزقوا ملوكاً وأمرأاً من آل حمدان وبني ورقاء وهي بقية العرب والمشغوقون بالأدب والمشهورون بالجد والكرم والجمع بين آداب السيف والقلم وما منهم إلا أديب جواد يحب الشعر وينقده ويثيب على الجيد منه فيجزل ويفضل وسيف الدولة مشهور بسيادتهم وواسطة فلاذتهم وحضرته مقصد الوفود ومطلع الجود ومحط الرحال وموسم الأدباء وحلبة القهواء ويقال: إنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر وكان أديباً شاعراً محباً للجيد الشعر شديد الاهتمام لما يمدح به.

ويذكر صاحب مطالع البدور: أنه قد اجتمع له ما لم يجتمع لغيره من الملوك فكان خطيبه ابن نباتة الفارقي ومعلمه ابن خالويه ومطربه الغاراني وطباخه كشاجم وغزان كسبه الخالديان والصنوبري ومداحه المتنبّي والسلاوي والرواء الدمشقي والبيضاء والنائي وابن نباتة السعدي وغيرهم.

ولم يكن حظ سيف الدولة في مجلسه الحافل مجرد

لم يكن الأمير الحمداني ذا موهبة حربية لحسب بل كان إلى جانب شجاعته وحروبه الكثيرة التي أحرز فيها انتصارات خالدة على الروم وحفظ البلاد العربية من شرهم وخطارهم؛ يهوى العلم والأدب ويحب العلماء والأدباء وقد وجد الجميع في وحا به كل تقدير وتشجيع لذلك توافدوا على مجلسه وحشوا المطلى لقائه وقديماً قال الشاعر: —

تمسقط الطهر حيث ينتثر

الحب وتغشى منازل الكرماء

وقد دفعهم ذلك إلى الإنتاج والتجديد؛ فقد كان لسيف الدولة مجلس يعقده في الفترات التي أتضع فيها الحرب أوزارها بينه وبين أعدائه فيجتمع له في هذا المجلس العلماء والأدباء والقهواء والفلاسفة ويهل كل منهم بما جادت به قريحته فكان ذلك خيراً وبركة على العلم والأدب، ولذلك كان أبو بكر الخوارزمي شيخ أدباء نيسابور يقول: «ما فتق قلبي وشحن فهمي وصلل ذهني وأرهف لساني وبلغ هذا المبلغ بي إلا تلك الطرائف الشامية والطائف الحلبية التي علفت بمحفظي وامتزجت بأجزاء نفسي، ولقد كان الصاحب بن عباد يحرص على تحصيل الجديد من إنتاج شعراء سيف الدولة ويستلمى الطائرين عليه من حلب ما يحفظونه من تلك البدائع والطائف حتى كتب دفترًا ضخم الحجم وكان لا يفارق مجلسه ولا يملأ أحد منه حينئذ غيره وصار ما جمعه

(١) مصادر المقال: الجزء الأول من قيمة الدهر لشمالي
معجم الأدباء - الفهرست لابن النديم - وفيات الأعيان
سيف الدولة الحمداني الدكتور مصطفى الشكعة

في أول البيت أتبعته بذكر الردى ، وهو الموت
ليجانبه ، ولما كان وجهه الجريح المنزوم لا يخلو
من أن يكون عبوساً رعيناه من أن تكون باكية
قلت : ووجهك وضاح وثغرك باسم لاجمع بين
الأهداد في المعنى وإن لم يتسع الفسط لجميعها ،
فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله بخمسين ديناراً
من دنانير الصلات وفيها خمسمائة دينار .

وكان أبو بكر وأبو عثمان الخالديان من خواص
شمر سيف الدولة ، فبعث إليهما مرة وصيفة
ووصيفاً ومع كل واحد منهما بدرية وتخت من
ثياب مصر فقال أحدهما من قصيدة طويلة :
لم يغد شكري في الخلائق مطلقاً

إلا ومالك في النوال حبيس
خولتنا بدراً وشمساً أشرقت
بهما لدينا الظلمة الحفديس

وشأ أنا وأبو حسنا يوسف
وغزالة هي بهجة بلقيس
هذا ولم تقنع بذلك وهذه

حتى بعثت المال وهو نفيس
أت الوصيفة وهي تحمل بدرية
وأنى على ظهر الوصيف السكيس

وبررتنا بما أجادت حوكه
مصر وزادت حسنه نفيس
فقدنا لنا من جودك المأكول والـ

مشروب والمنسكوح والملبوس
فقال سيف الدولة : أحسنت إلا في لفظة المنسكوح
فليس مما يخاطب به السلوك ، وكان السرى الرفاه
جالساً يوماً بحضرة سيف الدولة وجرى ذكر المتنبي
فبالغ الأمير في الثناء عليه وكان يحمله ويكرمه
ويتعصب له فقال السرى : أشتى من الأمهـ

السماع بل كان يشارك في الحديث ويدلى برأيه في كثير
من المسائل التي تعرض أمامه وابتعد كثيراً
عن الأسماء التي يقال في مدحها ، بما يدل على عمق ثقافته
وسمة اطلاعه وبصره باللغة والأدب والشعر فبينما
كان المتنبي يفعد قصيدته التي مطلعها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم فلما بلغ قوله :
وقفت وما في الموت شك لواقف
كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلبي هزيمة

ووجهك وضاح وثغرك باسم
قال سيف الدولة : قد انتقدنا هليك هذين البيتين
كما انتقد على امرئ القيس بيتاه :

كأنى لم أركب جواداً ولم أقل
لخيلى كرى كرة بعد إجحاف
ولم أسبأ الزق الروى للذة
ولم أنبطن كاهباً ذات خلخال
ولك أن تقول :

ونفت وما في الموت شك لواقف
ووجهك وضاح وثغرك باسم
تمر بك الأبطال كلبي هزيمة

فقال المتنبي : أيد الله مولانا إن صح أن الذى
استدرك على امرئ القيس هذا كان أعلم بالشعر
منه فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ومولانا
يعرف أن الثوب لا يعرفه البراز معرفة الحائك ،
لأن البراز لا يعرف جملة والحائك يعرف جملة
وتفاريقه لأنه هو الذى أخرجه من الغزلية إلى
الثوبية ، وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة
الركوب للصيد وقرن السباحة في شراء الخمر للأضياف
بالشجاعة في منازلة الأعداء ، وأنا لما ذكرت الموت

يطردها قوس السحاب بأصفر
على أحمر في أخضر تحت مبيض
كأذبال خرد أقباب في غلايل
مصبة والبعض أقصر من بعض
وكان طبيعيا أن يطلق سيف الدولة لكرمه العنان
وأن يعطى الشعراء والعلماء بصلاته وعطاياه
ولا يدخروها في هذا الشأن طيبة بذلك نفسه حتى
أنه ضرب دنائير خاصة بالصلوات عليها اسمه وصورته
في كل دينار منها عشرة مثاقيل وقد أمر يوما لابن
الفرج البهلاء منها بعشرة دنائير فقال أرجعها :

نحن محمود الأمير في سحر
ترقع بين السعد والنعم
أبدع من هذه الدنائير لم
يجر يوما في خاطر الكرم
فقد غدت باسمه وصورته
في دهرنا عوزة من العدم
ولم تكن عطايا سيف الدولة مقصورة على المال
بل كانت تصل أحيانا إلى (ضيعة) كما حدث مع
أبي فراس ؛ فقد كان يوما بين يديه في نفر من خدمته
فقال لهم سيف الدولة : أيكم يجز هذا البيت :

لك قلبي تملة
فدى لم تحمله
فارتجل أبو فراس :

أنا لمن كنت مالكا

فلى الأمر كله
فاحتسن ذلك الأمير وأعطاه ضيعة بمئبج
تغل ألف دينار .

ولما ألتشد المتنبي سيف الدولة قصيدته التي أولها :
أجاب دمعى وما الداعى سوى طلل
دعا قلباه قبل الركب والإبل

أن ينتخب لى قصيدة من غر قصائده لأعارضها له
ويتحقق أنه أركب المتنبي في غير سرجه فقال له
سيف الدولة :عارض لنا قصيدته الثقافية التي مطلعها
لعينيك ما يلقي الفؤاد وما يلقى
وللحب ما لم يق منه وما يلقى
ويقول السرى : إنه كتب القصيدة واستعادها
في تلك الليلة فلم يجدها من مختارات أبي الطيب
ولكنه لاحظ أن الشاعر يقول في آخرها عن بمدوحه
إذا شاء أن يلمو بلحية أحق

أراه هبارى ثم قال له الحق
فقال : وافقه ما أشار الأمير إلا إلى هذا البيت
وأحجم عن معارضة القصيدة ولم يقف الأمر بسيف
الدولة عند تذوق الأدب ونقد الشعر ومعرفة الجيد
من الردى . وتعيين الغث من السمين بل كان يقول
الشعر نتيجة لتقافته الواسعة ودراسته العميقة ولذلك
جاء شعره عذبا رقيقا ومن ذلك ما كتبه لأخيه
ناصر الدولة .

رضيت لك العليا وقد كنت أهلا
وقلت لم بينى وبين أخى فرق
ولم يك بيني نكول وإنما
تجافيت عن حق قم لك الحق
ولا بد لي من أن أكون مصليا
إذا كنت أرى أن يكون لك سبق
وقال يصف قوس قزح :

وساق صبيح للصباح وعدته
نقام وفي أجفانه سنة الغمض
يطوف بكلمات العقار كأنهم
فن بين منقض علينا ومنقض
وقد نشرت أيدى الجنوب مطارفا
على الجود كنا والجواشي على الأرض

وزعمت أن له شريكاً في السلا
وجحدته في فضله التوحيداً

قسماً لو أنى حائف بغموسها
لغريم دين ما أريد مزيدا
فلما عاد الرسول إلى بغداد أخرج لأبي إسحاق
كيساً بحتم سيف الدولة مكتوباً عليه اسمه وفيه
ثلثمائة دينار .

ولقد كان الشعراء في حلب كالعقد النضير
يتسابقون في مدح سيف الدولة وكل منهم يلقي من
التقدير الأدبي والمادى ما يرضيه فلا عجب أن يضم
بلاطه أعظم شعراء العربية من مختلف الأوطان
بعضهم من أبناء الشام والجزيرة والبعض الآخر
وافدون فكان من حلب الصنوبرى والخليلع الشامى
ومن منطقة الموصل المرمى الرفاء وأبو بكر
الحالدى وأخوه أبو عثمان والبيضاء وابن جنى ومن
أصقاع الشام كشماجم والواواء الدهشقى والتلعفرى
وأبناء كيخلف وأبناء ورقاء والناسى وأبو الفرج
العجلي وأبو الفتح البكشمري ، ومن العراق
أبو العليخ المتهنى والزاهى والناسخ الأصغر وابن
نباته السعدى والسلاى ، كما وفد على مجلسه كثير
من أدباء أقاليم العراق المعجمى كخراسان وفارس
وجرجان مثل ابن خالويه وعلي بن هبة العزيز
الجرجاني وأبي بكر الخوارزمي .

ولقد ازدهر التأليف كذلك في عهد سيف الدولة
إذ كان يحب العلماء ويقربهم ويسمع منهم ويجزل
لهم العطاء ولذلك ألقت الكتب الكثيرة في الفنون
المختلفة .

ولئن كان سيف الدولة يدين بماتم له من شهرة
عريضة لنضاله الموفق ضد الروم في الحسل الأول
فليس من شك في أنه مدين بذلك في الحسل الثانى
لعطفه على الفنون والعلوم ورعايته لها .

محمد محمد سيكز

وناوله نسختها وخرج فنظر فيها سيف الدولة
فلما انتهى إلى قوله :

يا أيها المحسن المشكور من جهتي
والشكر من جهة الإحسان لا قبلى
أقل أنل أقطع عل سل أعد

زد هش بش تفضل اذن سر صل
وقع تحت أقل : أقلناك وتحت أنل : يحمل
إليه من الدرهم كذا وتحت أقطع : قد أقطعناك
الضيعة الفلانية ضيعة ببلاد حلب ... وهكذا
حتى وقع الأمير تحت سر قد سرناك قال ابن جنى :
قبلنى عن المتنبي أنه قال : إنما أردت سر من السرية
فأمر له بجارية .. وهذا كله يدل على مبالغة في تكريم
الشعراء وإسراف في عطاياهم ، هذا التكريم الذى
انفسح وامتد حتى شمل المخمورين منهم فقد كان
الشعراء بين يذى سيف الدولة يمشون فتقدم
أعراني رث الهيئة فاستأذن الحجاب في الإنشاد
فأذنوا له فأندد :

أنت على وهذه حلب
قد نفذ الزاد وانتهى الطلب
بهذه تفخر البلاد وبال
أمير تزمى على الورى العرب
وهبك الدهر قد أضربنا
إليك من جور عيدك الحرب
فقال له الأمير : أحسنت وقه أنت وأمر له
بماتى دينار .

وقد شمل جود سيف الدولة وكرمه الشعراء
في بغداد وإن لم يحضروا مجلسه فقد أرسل إليه
أبو إسحاق إبراهيم الصابى هذه الأبيات :

إن كنت خنتك في الأمانة ساعة
فدمت سيف الدولة المحمودا

الروحية الحديثة تبليس من الشيطان

للأستاذ احمد حنفى نصار

بنيت كل المعلومات التي تابعت في هذا الموضوع
اتسكالا على ما هو معلوم ، من أن الأرواح المجردة
ترى ما لا يرى الأحياء ، وتدرك ما لا يدركون ،
بما هو مكشوف لها بحجوب عن الأحياء ، بحكم
انطلاقها ، وزوال حجاب الأجسام عنها وإطلاعها
على جوانب من عالم الغيب المستور ولكن من أين
جاءهم أن المتحدث إليهم هو روح لإنسان قضى ؟
وكيف يمكنهم إثبات صحة ذلك ؟ وهو ضرب
من الخيال

والروح هي ذلك الجوهر اللطيف ، يظهر أثرها
لنا بحياة الجسم ، ولا يعلم كنهها ، كما لا تعلم هيئتها
على وجه القطع ، ولا كيفية اتصالها بالجسم على
التحديد ؛ لأن الروح سر لم يخرق عن الخلق ،
فالله تعالى يقول : : ويسألونك عن الروح ؛ قل
الروح من أمر ربى ، ، أى من شأنه وحده وسر
من أسرارها ، أسأثر بعلمه ، ولم يطلع عليه أحد ؛
وبعد ذلك يقول : : وما أوتيتم من العلم إلا قليلا .
وفي هذا التقرير إشارة إلى أننا لن نصل إلى العلم
بالروح ، فكل ما يقال في خلق الروح ، وكيفية
اتصالها بالجسد ، إنما هو من وادى الظنون ،
ويستحيل إثباته بدليل .

ولا شك أن اتصال الروح بالجسد هو سبب
حياة الإنسان ، وانصرافها عنه هو الموت له ، وأن
مقرها في داخل الجسد ، فهي متحدة به ، مقيدة
بأغلاله ، ولكن لا علم لأحد بكيفية هذا الاتصال .

لقد راجت عقننا منذ سنين دعوى تحضير
الأرواح ، وكان لها أول ظهورها دوى في كثير
من الأوساط ، وكانت تعد لها اجتماعات و جلسات
الاتصال الروحي ، أى الاتصال بين أرواح الأموات
والأحياء ، وقال أصحاب هذا الادعاء : إن الأرواح
تحضر هذه الجلسات ، وتحدث إلى الحاضرين في
مسائل كثيرة : كالأخبار بالغيب ، والقيام بعمل
المرضى إلى غير ذلك من الأمور ، ولم يك للقائين
على هذا الإفك المبين فيما ذهبوا إليه سند من قواعد
مسئلة أو مرجع من علم مستيقن ؛ وإنما خدعتهم
الظواهر التي يقولون : إنها تحدث في جلساتهم دون
أن يكلفوا أنفسهم البحث فيما وراءها على هدى
العقل الفاحص وفي نور العلم عن حقيقة الموضوع ،
فخدعوا العامة وسموا هذا اللعب و علم تحضير الأرواح ،
أر د الروحية الحديثة ، ، وقد ساعدتهم على فشوها
وتعلق بعض الناس حينها بها ، ما ركز في طبيعة البشر
من شدة تطلّعهم إلى معرفة المجهول ، والركون إلى
كل من يدهى الكهف عن المستقبل ، فهم يسلمون
أففسهم إلى هؤلاء في غمسة أقرب إلى الذبول عن
حكم العقل والمنطق لوقوهم تمتع سلطان هسه
الرغبة الملحة المتمكنة في قرار النفوس ؛ ولهذا
شاعت هذه الفتنة السكبرى .

والسبب الأساسى في ضلالة القائمين على هذه
الدعوى أنهم حسبوا جزافا أن المتحدث إليهم في
جلساتهم هو أرواح الموتى ، وعلى هذا الوهم الفاسد

حتى يبعثك الله يوم القيامة . . . وقال : « القبر إما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفرة النيران ، . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال : « إنهما ليعدنان ، وما يعدنان في كبير - ثم قال - بلى أما أحدهما فكان يمشى بالنسيمة ، وأما الآخر فكان لا يستبرئ من بوله ،

وبما ذكر في القرآن وورد في الأحاديث الكثيرة يعلم أن الروح بعد انتقالها من هذا العالم ، تصير في قبضة الله تعالى وحده لا سلطان لأحد عليها ، وهي إما في العذاب فلا تستطيع الخلاص منه ، وإما في النعيم فلا ترغب في الانصراف عنه . ومعنى هذا : أنها وهي في عالم البرزخ ، لا اتصال لها إطلاقاً بعمل في الحياة الدنيا ، ولا بأهلها . ولو جاز أن يكون لها عمل ، لكانت كل روح تعين أبناءها ، وأهلها ، وأحبابها ؛ فهم أولى برأيها وأحق بعونها ؛ ولما كشفت عما كان في حوزتها ، وهو مخبوء عن ورثتها ، ولدت على قائلها ، وعلم جراً ؛ وهذا ما لم يقل أحد : إنه حدث قط . وقد قال تعالى : « حتى إذا جاء أحدهم الموت ، قال رب أرجعوني ، لعلني أعمل صالحاً فيما تركت . كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ، وفي الحديث الشريف : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ، والمعنى أنه يكف عن هذا العالم ، لانتهاء وقت التكليف بالنسبة له ؛ أما ما بقي له من ثواب الصدقة الجارية ، أو العلم النافع ، أو دعاء الولد الصالح ، فإنما هو ثمرات عمله العاليم الذي كان منه قبل مفارقتة الدنيا . وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع على أهل

والإنسان في نومه يمشى في حالة غيبوبة ، بين الحياة والموت ، وروحاً ، مقيدة بجسمه لا تنفك عنه ؛ ولتوسلها بين عالمي الغيب والشهادة تبقى مذبذبة ، فلا هي تعمل عملها تماماً في عالم الحس الظاهر ، ولا هي قادرة على ترك الجسد نهائياً إلى عالم الغيب : « الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتي لم تمت في منامها ، فيمسك التي قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى . . . أى يبعث الأرواح عن الأبدان حال النوم ظاهراً فقط ، فيمتنع التصرف والشعور ، أو يبعدها عن الأبدان ظاهراً وباطناً ، فتمتنع كل آثار الحياة وذلك إن قضى عليها الموت .

ومن تحضره الوفاة تنزع روحه من كل أعضائه دفعة أو تدريجاً ، حتى تبلغ الحلق كما هو مشاهد محسوس ، ثم تخرج فيذهب من دنياه : « فلو لا إذا بلغت الحلقوم ، وأنت حينئذ تنظرون ، « كلا إذا بلغت القراقي ، وقيل من راق ، وظن أنه الفراق ، والتفت الساق بالساق ، إلى ربك يومئذ المساق ، . « ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت ، والملائكة باسطو أيديهم ، أخرجوا أنفسهم ، .

والثابت أن الروح باقية بعد خروجها من الجسم ، ونعيم القبر وعذابه ثابتان كذلك : « ... أخرجوا أنفسهم ، اليوم تجزون عذاب الهون ، بما كنتم تقولون على الله غير الحق ، وكنتم عن آياته تستكبرون ، ، وهذا الجزاء يبدأ من وقت خروج الروح ، لأن هذا الخطأ موجه للمستكبرين ساعة الموت . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، فيقال هذا مقعدك

ولا إحاطة لنا بهذه العوالم ، وما أوتيت من العلم إلا قليلا .

وعالم الجن من هذه العوالم ، يعيشون معنا في هذه الأرض ، ويحاطوننا بحيث لا نراهم مادامو على صورتهم التي خلقوا عليها ، إنه يراك هو وقيبه من حيث لا ترونهم . ومن هذا الجنس الشيطان : إبليس وجنوده . وقد حذر الله الإنسان منه ، وأكد له أنه عدوه المبين فقال : « إن الشيطان لكم عدو ، فاتخذوه عدوا ، أي على الدوام ، لأنه لا يمان ، ولا يتلع عن عدوانه للإنسان بحال ، ولا يزال الشيطان بما جبل عليه من القدرة على الشر والعدوة للبشر ، يزين لبني آدم الفحشاء والمنكر ويجرهم إلى السفه ، ويدخل عليهم لأجل ذلك من كل باب ، وقد ذهب في محاولاته إلى أبعد مدى ، حتى إنه لم يترك عالما ولا عبدا ، إلا تخابث له . وكثيرا ما يخرج عن صوته الخفية ، ويتشكل ، لأن ذلك من خصائصه . فيظهر لابن آدم - إذا أجزه بكثرة الذكر ومراقبة الله عن أن يوسوس في صدره - لأن له قوة أقوى في التلبس وأجدي في إنفاذ الخيلة ، ولم يتورع كذلك عن الظلم والظلمة ، مع علمه بأن لا سلطان له عليهم ولا على الذين يؤمنون بالله ويتقونه من أتباعهم ولا غوهم أجمعين إلا مهادك منهم المخاضين .

« إن عبادي ليس لك عليهم سلطان » . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم : « ... إن هدواك لم يضر جاء به شاب من نار ، ليجهل في وجهي ، فقلت : أعوذ بالله ، ثلاث مرات ، فلم يستأخر ، ثم أردت أخذه والله لولا دعوته أخي سامان ، لأصبح موثقا ، يلعب به ولدان أهل المدينة ، وروى البخاري عن أبي هريرة ،

القليب - قليب بدر أي البئر التي رمي فيها جثث قتلى المشركين في هزوة بدر - فقال : « هل وجدتم ما وعدني وبى حقا » . فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما تخاطب من أقوام قد جيفوا ؟ فقال : « والذي بعثني بالحق ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون جوابا ، أي لا اتصال لهم بالأحياء إطلاقا .

أبعد هذه النصوص القاطعة ، يقال : إن الإنس يستطيعون تحضير أرواح الموتى ، طوعا أو كرها ، وإن إظلام المكان ، وهزف الموسيقى ، وإيقاد الأنوار الملوثة ، هي الوسيلة لحضورها أو إحضارها فتسمع أصواتها وترى أشباحها ؟

والعجيب أن أصحاب هذا الادعاء ، يقولون في غير حياء : إن بعض أرواح الكافرين ، المقطوع بأنهم في عذاب ، تحضر وتنبئ أنها منعمة ، وفي حالة طيبة ، ثم تسأل وتهيب !!

ويقولون : إن بعض الأرواح التي تحضرهم تضحك ، وتقندر ، وتقبل على السخرية ، وتكذب أحيانا . والأرواح طاهرة لا يجوز أن يصدر منها شيء من هذا العبث على الإطلاق .

وإذن فما هو المصدر الصحيح لما يدعون حدوثه في جلوساتهم هذه ؟

قول : إن ذلك من عبث الشيطان بيقين ؛ إذ لا جدال في أن هناك هوالم غير منظورة لا تراها « فلا أقسم بما تبصرون ، وما لا تبصرون » لأن لنا بحسب طيعتنا طاقة محدودة ، تتناسب مع تكليفنا ، ونحن واقفون عند حدود حسنا الذي تكيفه لنا أبصارنا وأسماعنا ؛ وذلك من حكمة الله سبحانه ، الذي رتب لكل عالم ما يناسبه ،

يسيطرون بها على حقولهم ، ويتزبون منهم ما يريدون ، وهم مستسلمون .

والشيطان - كما ذكرنا - قادر على أن يتمثل بالإنسان فيظهر على شكله تماما ، وقد ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « مرأتى فى المنام ، فقد رأتى ، فإن الشيطان لا يتمثل بى ، وهذا كما أنه يدل على أنه من المستحيل عليه أن يقشبه بالرسول صلى الله عليه وسلم ، فإنه يحجز أنه يتمثل بغيره ، وبأتى فيحاكى صورته ، ويتحدث بصفته ، ويلبس على الناس ، ويخيل لآلهم بالتقليد والتقويه ، لأنه روح الميت .

والشيطان لا ينفك عن إغوائه لمن يستجيب له من الإنس ، يمثل هذا الاتصال غير المشروع . وقال أولياؤهم من الإنس : ربنا استمتع بعضنا ببعض ، وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا . قال النار مثواكم ، خالدن فيها ، إلا ما شاء الله .

وعلى هذا ، فكل ما يحدث فى جلسات تحضير الأرواح ، عبث بالإنس من طوائف الشياطين ، الذين يغترون بالناس ، ويضلونهم بهذه الخدع والباطيل .

أحمد منفى نصار القوصى

من أمر الشيطان ، الذى ظهر له ، وتعرض للزكاة ثلاث ليال ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لآبى هريرة : « أما لأنه صدقك وهو كذوب . تعلم من تخاطب منذ ثلاث يا أبا هريرة قلت لا - قال : « ذا الشيطان » .

ولما كان الجن يخاطبونا ، من حيث لا نشعر ، وهم مستخفون ، فهم يوسوسون لنا ، ويعلمون منا نوايانا ، وأخبارنا . ومن نوازع الشر عند حصاة الجن والشيطان ، الدوب على معاكسة الإنس ، ومحاولة التسلط عليهم ، والسخرية بهم ، استخفافا بهم يقظة ومناما لأنهم يحبون ذلك ، ويتلذذون به . وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال لأهرا بنى جاءه ، فقال : إنى حلفت أن رأسى قطع ، فأنا اتبعه فزجره النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال : لا تخبرن بتلعب الشيطان بك فى المنام .

ويغرم بالجن الإنس ، لمعرفة ما غاب عن أبصارهم ، وللاستعانة بهم فى الأمور التى لا يقدرون عليها إلا بهم ، من فعل الأعاجيب ، ومعرفة الأخبار الغريبة ، والإتيان بها من الأماكن البعيدة ، ليختالوا على غيرهم ، ويوهموهم أن لهم قدرة خاصة خارقة ،



مايقال عن الإسلام

الحضارة العربية

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

لم يكن إذن من الغريب أن يتسع صدر الإسلام عند ظهوره ، ومنذ انتشاره المفاجيء السريع ، للحضارة التي تبغى رفاعة الإنسان ومعيشته الرخدة . ولذلك اصطنع عمر بن الخطاب النظم الإدارية للفرس والروم كما هي ، وظلت الدواوين تكتب بالفارسية أو الرومية ، إلى أن عربها ، عمر بن عبد العزيز في أواخر المائة الأولى . ولم يكن من الغريب كذلك أن يعهد المسلمون - خلفاؤهم وأمرأؤهم وجمهورهم - بأمور معاشهم ومظهر عمرانهم لليهود والنصارى والصابئة والمجوس ، وبخاصة الطب والهندسة . ذلك أن الأعراب المخلص لم تكن لهم مشاركة في هذه العلوم . فلما اتسع ملكهم ، وامتدت أطراف دولتهم ، واستتب لهم الأمر ، وتدفقت عليهم الأموال لم يكن بد من ابتناء الدور ، والقصور ، والمساجد الجامعة ، وإقامة السدود والقناطر والجسور ، وغير ذلك من مظاهر الحضارة التي تصاحب كل دولة مزدهرة قوية .

وكانت الدولة الإسلامية أمبراطورية كبيرة واحدة ، زمان الأمويين ، فكانت دمشق قلب الإسلام النابض تشرف على حكم الأقاليم شرقا حتى حدود الصين ، وغربا حتى الأندلس . فلما سقطت الدولة الأموية وانتقل الحكم إلى العباسيين خسفت بغداد بنورها دمعق على عراقتها ، وأصبحت

قلنا ، ولا زال نقول ، وسنكرر القول حق يرسخ في الأذهان : إن الإسلام ليس ديناً فقط ، ولكنه دين ودنيا ، دين ودولة ، دين وحياة ، دين وحضارة ، دين وثقافة . وكان القدماء يقولون : إن الإسلام دين ودنيا . ومصطلح الدنيا ، أو الحياة الدنيا ، مصطلح قرآني ، ورد في أكثر من آية ، وهو الذي يقابل ما يجري الآن على الألسنة عند قولنا : الحضارة أو الثقافة ، أو الحياة ، يقصدون الأحوال المعيشية للإنسان ومظاهر سلوكه من ما كل ومشرب وملبس ومسكن وزينة ، والأدوات المختلفة التي يتخذها لتسهيل سبل العيش وتجميل الحياة .

وقد تميز الإسلام عن المسيحية بأن الإسلام جمع بين الدين والدنيا ، وتغلغل في شئون الحياة من سائر نواحيها ، ورسم السلوك الحلال والحرام طبقاً للشرع ، على حين أن المسيحية فصأت بينهما ، وحشت الإنسان على أن يعيش لمملكة السماء فقط ، واحتقرت كل ما يتصل بالمادة والجسد . وهذا وإن تيسر لئلا قليلة من الناس ، فإنه لا يصلح لجمهورهم الغالبة ، وقد أنزل الدين للناس كافة لا لطائفة مختارة . وقد كان فضل الإسلام في أنه نادى بالمساواة بين البشر ، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى .

وإننا لنجد لأول مرة كاتباً غريباً يعلم من شأن العرب ، وينظر إلى الأمور بعين جديدة ، ونظرة جديدة . فقد طال ما كنا نسمعه من المستشرقين من أن العرب كانوا أجلافاً خلوا من أى معرفة وحضارة ، حتى إذا اتصلوا باليونان بخاصة أخذوا عنهم كل شيء ، حتى علم النحو وعلم البلاغة ؟ هذا فضلاً بطبيعة الحال عن علوم الطب والهندسة والفلك وغيرها . وكان ذلك قولاً غريباً يستهدف التفكيك في العقيدة العربية ، وبالتالي في الدين الذى أنزل باللغة العربية وهو الإسلام . وهى مقالة قديمة وقف لها المسلمون ، وبخاصة أهل السنة ، بالمصاد ، وهاجموا الحضارة اليونانية ممثلة في فلسفتها وفى منطقتها . وموقف ابن تيمية وتلميذه ابن القيم معروف في هذا المجال .

وقد فتن في أوائل هذا القرن جماعة من كتابنا بالحضارة اليونانية ، وزعموا كما يذهب معظم المستشرقين أن فضلهم على الحضارة العربية عظيم ، وأنه لولا اقتباس العرب هذه الحضارة ما استطاعت أن تقوم لها قائمة . بل لقد ذهب بعض غلاتهم إلى أن الحضارة العربية في شق مظاهرها ليست سوى الحضارة اليونانية كتبت بحروف عربية . ولكن الأستاذ جاك رسلر يرى خلاف هذا الرأي .

* * *

وخلاصة رأيه أن اللغة العربية تميزت بخصائص جعلتها أداة طيعة للحضارة . ولذلك سمى هذا الفصل في كتابه " فتوحات لغوية " ، وجاء فيه : " إن أهز رغبة للإسكندر المقدوني كانت تحقيق الاندماج بين الإغريق والشرقيين على قدم المساواة ، ومن أجل ذلك أغرق الشرق في بحر من المستعمرات اليونانية ،

بضداد هروس العالم كله ، وقلب الإسلام النابض ، وقبلة أنظار المسلمين وغير المسلمين من أقطار الدنيا الأربعة . حتى إذا بدأت الأقاليم تستقل عن الخلافة في بغداد منذ أواخر القرن الرابع الهجرى ، ظلت هذه الأقاليم والإمارات عائرة بالعلم زاخرة بالعلماء ، تتنافس فيما بينها على حمل مشعل الحضارة . واستمر الحال على هذا المنوال إلى عهد قريب ، في القرن الحادى عشر الهجرى ، حين بدأ عصر التأخر والانحلال ،

إن حضارة تستمر مزدهرة متماسكة زهاء عشرة قرون من الزمان ، لاشك ظاهرة فريدة تحتاج إلى تفسير ، وبخاصة لأن معظم الحضارات الأخرى ، الأقدم منها ، والمعاصرة لها ، لم تكن تظهر حتى تزول .

فلا غرابة أن يقال : إن العامل الجديد الذى أسهم في بناء هذه الحضارة هو " الإسلام " ، ذلك الدين القويم المتين الذى أنزل على محمد عليه الصلاة والسلام في أوائل القرن السابع الميلادى ، وفى قلب جزيرة العرب ، أنزل عليه قرآناً عربياً ، وانتشر الإسلام مع انتشار العربية ، فكانت الحضارة الجديدة إسلامية ، أو عربية .

وقد اعترف بهذا العامل الجديد وفضله جماعة من المستشرقين ، فوقفوا من التاريخ موقف الإنصاف ، ومن أحدث الكتب التى أنصفت هذه الحضارة ، كما أنصفت الإسلام ، كتاب أصدره الأستاذ جاك رسلر ، الأستاذ بالمعهد الإسلامى فى باريس ، بعنوان " الحضارة العربية " مهد له يقول : " إنه يرجو مخلصاً لمن يتصفح هذا الكتاب - من الغربيين طبعاً - أن يحسن فهم الروح الإسلامية ، وكيف تشكلت على مر الزمن .

المؤلف هو تقارب اللغة العربية مع لغة البلاد المفتوحة باعتبار أن اللغة العربية من اللغات السامية ولذلك لم يجد العرب مشقة في أن يفهم عنهم سكان فلسطين وسوريا وفينيقيا والعراق وأرمينيا ومصر وشمال أفريقيا ، ولم يذكر المؤلف فارس ، إذ يبدو أن لها وزنا آخر .

إن مجموعة اللغات السامية تختلف في بنائها وتركيبها ونحوها وصرفها من اللغات المسماة « إندوأوربية » ومنها لغات الهند وفارس واليونان والرومان ، لهذا السبب لم يذكر المؤلف فارس في جملة الشعوب التي سهل على الإسلام الانتشار فيها بسبب اللغة العربية مهما يكن من شيء فإن مشكلة فارس لها وضع خاص يختلف عن غيرها من البلاد .

وفي رأى المؤلف أن « القرآن » يهوى خلاصة المعارف ، وهو يسمى في الدول الإسلامية : « الكتاب » . وكانت كلمتا : قرأ وكتب ، تفيدان قراءة القرآن وكتابته ، وقد ظل القرآن زمانا طويلا أول كتاب يتعلم منه القراءة حتى أصبح وحده مرجع المعرفة والتعليم ، ولا يزال حتى الآن المرجع الكلاسيكي التقليدي الذي يقوم على أساسه التعليم في الجامعات الإسلامية ، ثم إن « ترجمة » القرآن لا يمكن أن تؤدي ما فيه من روعة ، لأن جمال اللغة العربية ينطوي مع الترجمة كما تذبل الزهرة حين تقطع عن شجرتها ، ولهذا يجب أن يقرأ القرآن في لغته الأصلية . (ص ٤٥) .

إن قضية جواز ترجمة القرآن قضية قديمة ثار حولها الجدل بين الفقهاء ، وثارت مرة أخرى عنيفة منذ بضعة وثلاثين عاما ، وأخيرا قالوا : « ترجمة معاني القرآن » ، ولست أدري ما الفرق بين ترجمة القرآن ، وبين ترجمة معاني القرآن ، لأن الترجمة

وشيد سبعين مدينة . وأدى نظامه إلى ربط الشعوب المغلوبة وانتهى الأمر إلى ازدهار عظيم ، غير أن خلفاءه فشلوا في سياسة التقريب بين الشعوب والاحتفاظ بالامبراطورية . وفي ظل الحكم الروماني الذي بقي ظاهريا فقط ، احتفظت المجتمعات والثقافة بطابعها « يوناني » ، وبقيت اللغة اليونانية اللغة الرسمية زهاء ألف عام . ولكن لم يكده العرب يظهرون على المسرح حتى انهار ذلك البناء كله دفعة واحدة ، ابتداء من اللغة اليونانية إلى الفسك اليوناني نفسه . لاشك أن الروح اليونانية كانت قد غزت المدن ونفذت إلى بلاط الحكم ، ولكنها لم تستطع أن تنفذ إلى أعماق قلوب أفراد الشعب في القرى . ومعنى ذلك أن الإدارة والشرع والتجارة كانت يونانية في المدن ، ولكنها قامت على حرف من التقاليد الموروثة التي تختلف اختلافا حقيقيا في أساسها في الأقاليم عنها في المدن . وعلى الرغم من طول احتلال الثقافة اليونانية للشرق ، فإنها لم تستطع على الجملة أن تحمل محل الحضارات الشرقية القديمة . أما الإسلام ! لكان أقرب إلى الروح الشرقية فقد رأى نفسه منذ أول وهلة وكأنه في بيته .

وهذا تفسير جديد ولا نزاع ، وهو تفسير لا يذهب إلى حد القول بأن الإسلام قد فرض على الشعوب فرضاً بالغلبة والقهر ، وحد السلاح ، فهذا أبعد الأقوال عن الصواب . ولكنه تفسير أدنى إلى المعقول باعتباً بأن الإسلام دين يلائم الناس كافة ، الخاصة والجمهور على السواء . إنه الدين الذي يلائم الطبيعة البشرية في جميع صورها وسائر مستوياتها .

فهذا تفسير ، والتفسير الثاني الذي يقدمه لنا

ذلك، الثالث في الحروب الصليبية، والرابع في شعراء فارس، الخيام وسعدى وشيرازى، والخامس: في الأسرات العربية لأخيرة، والغزو المغولى، والمماليك، وعلمك غرناطة، والسادس في وقعة الإسلام، والتوسع التركى في أوروبا، ثم تراجع الأتراك.

ومن الواضح أن المؤلف يفصل بين العروبة والإسلام، وقد تلتحم الدائرتان كما كانت الحال في دولة الخلفاء الراشدين، والدولة الأيوبية والدولة العباسية إلى أن زالت الخلافة من بغداد، وانتقلت راية الإسلام إلى الأتراك في القسطنطينية وعندئذ لم يعد للرب كلمة مسموعة، بل لم تعد اللغة العربية وقتها صاحبة المنزل الأولى كما كانت من قبل، ومنذ ذلك لوقت بدأت الحضارة العربية في التأخر، بل بدأ الإسلام نفسه - يقصد المسلمين لأن الإسلام شريعة إلهية ثابتة - يضعف مع ابتعاده عن اللغة العربية.

إن النهضة الحديثة للإسلام، والتي تبدأ من القرن الماضى، والتي تستهدف تجديد الإسلام بتقوية العروبة والعمل على الارتفاع باللغة العربية عن حضيض العامية، وقد ارتقت فعلا، ثم تقوية الروابط السياسية والاقتصادية والثقافية بين الدول العربية الناطقة بالاضد من المحيط إلى الخليج جذيرة أن تثمر ثمارها في القريب بالمساهمة في الحضارة العالمية، كما أسهمت في الماضى عشرة قرون والعمل على نشر السلام في العالم، لأن الإسلام نفسه من السلام.

إن الناظر إلى الحضارة العربية إبان ازدهارها زهاء عشرة قرون من الزمان، ليعجب من العمران

لا يمكن أن تكون إلا للعانى، وانظر معى إلى هذا المؤلف الفرنسى الاجنبى المسيحى كيف حكم بأن القرآن لا يمكن ترجمته، وأن قراءته لا بد أن تكون بالعربية، وهى اللغة التي أزل بها، وهذا هو الرأى الذى انتهيت إليه منذ زمن طويل، ولا أزال أعتقده حتى الآن.

بهذه الروح العاشقة للإسلام أقدم المؤلف على تأليف كتابه^(١)، ورتبه على مقدمة، وأربعة أبواب كبيرة، استعرض في الباب الأول جغرافية الشرق وأصل الأديان، وشعوب الشرق، وظهور محمد والقرآن، وانتشار الإسلام ودولة الخلفاء الراشدين وطادات المسلمين وأخلاقهم وثقافتهم في الأسرة والجنائزات واتخاذ العبيد وحجاب المرأة والصحة البامة، والقهو والألعاب، والأغذية ويشتمل الباب الثانى وهو في بلوغ الإسلام الأوج على خمسة فصول، الأول في الحياة الاجتماعية، والثانى في الحياة الثقافية والفنية، والثالث في الزراعة والصناعة والتجارة، والرابع في بغداد وبلاط الخلفاء، والخامس في الإسلام في المغرب، والباب الثالث يتحدث عن تأثير الإسلام في الحضارة الغربية وتحتة خمسة فصول، الأول في الآداب والفنون، والثانى في العلوم (الكيمياء - الرياضة - فلك - الجغرافيا النبات - الطبيعة) وثالث في التطبيقات العملية، وصناعات الورق والزجاج، والذبيح، والمجلود، والمعادن وغير ذلك، ولرابع في الطب، والخامس في الفلسفة، والباب الرابع والأخير في انحطاط المسلمين، وفيه ستة فصول، الأول الأندلس ونهاية المأمم، الثانى في تفكك الأمبراطورية وأسباب (١) نقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية، ويصدر قريبا.

حق لا يهتموا بالسحر والشعوذة ، ولا يستطيعون إبداء آرائهم العلمية في حرية حق لا تهاكمهم الكنيسة ، و تهتمهم بالإلحاد والزندقه .

إن تاريخ الحضارة الغربية يدل على أن رجال الكنيسة حاربوا العلم وحرية الفكر وكانوا حجر عثرة في سبيل التقدم . على العكس من ذلك فإن تاريخ الحضارة العربية يدل بما لا يدع سبيلا إلى الشك أن الإسلام دينا هو الذي حث المسلمين على البحث والمعرفة والتعمق في العلوم حتى ينعم الناس في حياتهم الدنيا بمعيشة رغدة ، وما داموا بأكون حلالا طيبا .

وانظر إلى حجة الإسلام أبي حامد الغزالي الذي حمل راية الإسلام عالية مهاجرا الفلاسفة أعنف هجوم ، وكفرهم تكفيرا في كتابه دتافات الفلاسفة ، تجد أنه في المنفذ من الضلال ، يتحدث من العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية ، ويشي عليها ، وبين ضرورتها ومنفعتا للعمران ، ولكنه يخشى أن يتأذى العلماء في علومهم ، وأن يعتقدوا في دوائفها ، مما يؤدي بهم إلى الاقتصار على هذه العلوم والابتعاد عن الدين .

صفوة القول : الإسلام دين وحضارة ، لا يفصل أحدهما عن الآخر ، ومن واجب المسلمين في الوقت الحاضر أن يعيدوا إلى الإسلام مجده بالابتصار على الناحية الروحية في الإسلام فقط ، بل عليهم أن يرتفعوا كذلك بالجانب الخارجى من الحضارة ، كما كان الحال زمان الأمويين والعباسيين .

الذى ساد في كافة الأقاليم الإسلامية ، إلى درجة أن أوروبا كانت تفتتن ببراعة العرب في الفنون والصناعات ، وكانت تجارة المسلمين من المنسوجات والورق ، والمصنوعات الجلدية ، والأسلحة وغيرها رائجة رواجاً شديداً في أوروبا ومنذ القرن الثالث عشر الميلادى بدأ الغرب يتعلم هذه الصناعات من العرب سواء في فلسطين حين جاءت الحملات الصليبية ، أم في صقلية ، أم في طليطلة في أسبانيا .

ولم يقف الأمر عند حد الفنون والصناعات ، بل إن العلوم نفسها التي كان الأوروبيون صغرها منها ، قاموا بقلها عن العربية ، فزجم إلى اللغة اللاتينية كثير من كتب الفلسفة والطب والفلك والمهندسة والكيمياء ، حتى لقد كان « قانون » ابن سينا في الطب يدرس في جامعات أوروبا حتى القرن السابع عشر الميلادى .

وهكذا نرى أن الحضارة أخذ وعطاء ، أخذ الرب عن الحضارات القديمة ، وحثم الإسلام على العناية بالعمران ، فتقدموا بالحضارة وحلوا مشعلها وحفظوا نارها متوهجة ، ونفخوا في تلك النار وزادوها اشتعالا ، وبذلك سجلت هذه القرون العشرة بمداد من الفخار في سجل التاريخ .

إن الحضارة الأوروبية الحديثة هي ثمرة الحضارة العربية ، وامتداد لها ، وإذا كان أساس الحضارة الراهنة هو النزعة التجريبية ، فإن الاعتماد على التجريب في ضبط الوقائع العلمية والوصول إلى القوانين العامة إنما جاء من علماء العرب الذين توسعوا في المعامل والتكرروا وسائل الاختبار وأدوات البحث من بواتق وأنايب وذلك في الوقت الذى كان فيه علماء أوروبا ينحشرون لإجراء التجارب

انبثاء وآراء

من الإمام الأكبر شيخ الأزهر
إلى حكومتى الهند وباكستان

الامن والاستقرار والسلام ، وأن يقبلوا على حلها بالقلوب الكبيرة ، التى يعمرها الحق والإيمان ، وأن يكرموا العواطف الإنسانية النبيلة ، كرم الله بها الإنسان .

وإذا كانت السياسة قد اتسعت قديما لتقسيم الوطن الكبير إلى دولتي الهند وباكستان ، فإن من تمام الرشد ، سماحة الاتفاق على هذا القدر اليسير من كشمير لتعيش الدولتان فى طمأنينة استقرار وتراحيم جوار .

وحينئذ تفر عيون أصدقاء الدولتين ، ونهدا الأعصاب التى ترتبط بكلا الشعبين .

وأهيب أيضا برواد السلام فى العالم كله أن يسارعوا بالتدخل بوسائلهم السلمية بين الدولتين ليثبتوا الدنيا جدية الدعوات التى ينادون بها ، ويضمنوا البشرية تعايشا سلميا يجمع الشعوب على كلمة سواء ، يقوى بها الضعيف ويحترمها القوى . وإنى والله يشهد ، لم أفقد الثقة فى نخوة القادة ، ولا الرجاء فى الإنسانية الزعماء ، ولا الأمل فى عواطف الشعوب .

فبقيا يا دعاة الأمن وأنصار السلام . والله معكم على إصلاح ذات البين ، وإفراة السلام بين الشعبين ، وبهذا أمر الله ، وعليه تنتقى الأديان ويكون الإنسان فى عون أخيه الإنسان .

معكم مأموره

زارنى السيد سفير الباكستان بمصر ، وقص على ما تعرض له بلاده من عدوان وما يعيش فيه شعبها من روع وفزع ، والحق أنى قد استمعت لحديثه المؤثر بلا عصبية وبلا تحيز ، حتى أستطيع أن أعلن كلمة الإسلام بلا هوأى يفسد الرأى أو ميل ينحرف بالحكم ، وقد انتهيت والله يشهد إلى انفعال معقد المزج كربه من الأسف والحسرة والمرارة . أما الأسف فلا إهمال البت فى قضية كشمير إهمالا يطيل أمد النزاع ، وبؤجج انفعالات التحرش ، ويمكن لأعداء الشرق من المكيد له . والنيل من استقراره ، حتى لا يفرغ إلى طموح آماله ، ولا لرفاقية شعبه .

وأما الحسرة فلما يجرى بين دولتين يجمعهما تاريخ ويربط بينهما جوار ويوحدهما جنس .

وأما المرارة فلأن ما يحدث بين الدولتين يقع على سمع وبصر المنظمات الدولية التى أنشئت لإقرار الأمن وصيانة السلام . ومع هذا لم تحرك ساكنا ، ولم تبادر بتدخل سريع حازم يوقف التوتر ، ويحول دون تفاقم الخطب واستفحال الخطر .

وإنى بواجب الإيمان ، وحق الإنسان على أخيه الإنسان . أهيب بأولياء الأمور فى الدولتين أن يواجهوا المشكلة بالعدل الواسعة التى لا تضيق عن حلول الحسنة ، وعدالة الاتزان ، وأن يوقفوا القتال فى كل مكان ، ويعيدوا إلى أرض الدولتين

من أعداء الإسلام من المستشرقين والمبشرين وكيف نواجه أكاذيبهم وأضاليهم ، وذلك حيث كتب يندد بهم ويفضح نواياهم السيئة للإسلام وأهله فيقول : « وصية الله لنا معشر المسلمين ألا نفتدى على الطيبين من أهل الكتاب وهم في سلام معنا لا يعتدون . أما أهل السوء منهم لا ينفكون يهاجوننا بالأباطيل ومحاربتنا بالمفتريات ، فليس علينا جناح بعد ذلك إذا ما أوردنا لهم من نوع سلاحهم ودفعنا به عن بيضة الإسلام بهتانهم فواحدة بواحدة والبادي أظلم . »

وإذا نحن شئنا أن نحصى أكاذيبهم عاينا وجدنا منها صفحة هي أسود الصفحات خزيًا في سجل التعصب ، بل وجدناها مجموعة كبيرة تلك المثالب التي قام بها منهم لإعزاز الإسلام ، قديمهم وحديثهم ، سواء كانوا من هللائهم أو روادهم أو قساوسهم أو رجال حكوماتهم أو كتابهم أمثال : بيرون ، وبلجراف ، وجلاستون ، ومرجليوث ، وقسيس كاتزبرى ، والاب لوى برتران ، وسرفيه ، وغيرهم .

ولقد نشأ إثنين دينيه من أبوين مسيحيين ، ومارس الطقوس المسيحية ككل مسيحي نشأ في بيئة مسيحية يؤمن بالآب والابن والروح القدس ، وناقض ، وناضل عن عقيدة التثليث والصلب ، والفداء ، وما أن شب الصبي من الطوق ، وشق طريقه في الحياة حتى صار من كبار رجال الفن والتصوير فكان صاحب حسن مرهف ... كثير التأمل في ملكوت السموات والأرض .

وهكذا الفنان دوما يشرح بوجوده وإحساسه في الكون ، ويتدبر عظيم صنع الله ليهتدى بفكره

• نشرت إحدى المجلات الإسلامية فتوى ببطلان زواج المسئلة بالشيوعي ونسب الخبر خطأ إلى لجنة الفتوى بالأزهر وبيحت الموضوع تبين أن لجنة الفتوى بالأزهر لم تسأل في الموضوع ، ولم يطلب منها فتوى فيه ، وقد صدر بيان الأستاذ الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر ليعرف الناس « حكم الإسلام في هذا الزواج منعًا للبلبة ، وأداء للواجب الذي أوجبه الله على علماء الإسلام ، وجاء فيه :

« وواضح أن المسلم الذي يعامل بأحكام الإسلام ويحل له الزواج بالمسئلة هو المسلم الذي يؤمن بالله وحده ، ويؤمن برسله ، ويؤمن باليوم الآخر ، ولا ينكر شيئًا مما علم من الدين بالضرورة ، وإلا عد مرتدًا وهو مل معاملة المرتدين ، فيجرم عليه الزواج بالمسئلة ، ويبطل زواجه إن كان متزوجًا بها . »

إثنين دينيه = ناصر الدين

جاء في كتاب هن « إثنين دينيه » ، أنه مستشرق فرنسي شديد التعصب ضد الإسلام والذي نعرفه أن إثنين دينيه مستشرق فرنسي أسلم وحسن إسلامه وتسمى باسم « ناصر الدين » ،^(١) ودافع عن الإسلام دفاعًا مجيدًا — بقلبه ولسانه — ولم يأل جهدًا في الذر عن عقيدته الإسلامية ومن بين مؤلفاته القيمة : « أشعة خاصة بنور الإسلام » و « الشرق كما يراه الغرب » و « محمد رسول الله » و « الحج إلى بيت الله الحرام » الخ . . .

وعمًا يذكر هن إثنين دينيه (ناصر الدين) موقفه

(١) أنظر المقدمة التي كتبها د . عبد الحليم محمود لترجمة كتاب محمد رسول الله لإثنين دينيه .

ما يجعلها أكثر قبولا وأسهل تطبيقا في إصلاح ونظام ورضا ميسور مشكور حتى لقد سمي القرآن لذلك (بالهدى) لأنه المرشد إلى أقوم مسالك الحياة ، ولأنه الدال على أحسن مقاصد الخير ^(١) .

وبعد دراسة وبحت عميقين هدى الله إثنين دينيه إلى الإسلام ، وأعلن إسلامه رسمياً بالجامع الجديد بمدينة الجزائر عام ١٩٢٧ ، وبعد جهاد وكفاح من أجل الإسلام انتقل « ناصر الدين » إلى جوار ربّه .

ويكتب الأستاذ راشد رستم عن ناصر الدين (إثنين دينيه) فيقول : « وإنك لتجد السكائب واسعة الاطلاع ، لذلك كان صحيح الحجّة ، ناض البرهان ، فهو شديد الهجوم ، شديد الدفاع : لأنه غيور على دينه الذي لم يتخذه إلا بعد أن بحث وفكر ، وهكذا كان في عقيدته مكيّفاً وفي إسلامه كاملاً ^(٢) » .

فكرى زكى الجزائر

جامعة الأزهر - كلية أصول الدين

« نصح الأستاذ محي الدين الألوانى المبعوث الهنّدى بجامعة الأزهر والمدرس بكلية الطب فيها في امتحان الدراسات العليا لدرجة التخصص في شعبة الفلسفة بكلية أصول الدين بتقدير ممتاز في فترة يوليو من العام الحالى ، ويعتبر الأستاذ أول مبعوث يحصل على درجة التخصص هذه منذ إنشاء قسم الدراسات العليا بجامعة الأزهر .

على الخطيب

إلى الحق ... والخير ... والجمال . وكذلك نفس الفغان تتجلى فيها نورانية الفن وينعكس عليها جمال الطبيعة فيصير صاحبها من طلاب الحق والحقيقة .

وكان إثنين دينيه (ناصر الدين) يبحث عن الدين الحق الذى يتفق وكرامة الإنسان ، ويعمل لصالح المجموعة البشرية ، ويتسق والقطرة الإنسانية ولا يغمط لها حقاً ، ولا يكبت لها نزعة سوى نزعة الشر .

أخذ إثنين دينيه يبحث في السكيب المقدسة حتى هداه تفكيره ودراسته في الإنجيل أن يقول عن نصوصه : هذه النصوص تبعث في النفس الشك في صحة الانجيل التى بين أيدينا ، وكذا يقول : « لأنه لا شك أن الله قد أوحى الإنجيل إلى عيسى - عليه "صلاة والسلام" - بلفظه ولفه قرمه ، ولا شك أيضاً أن هذا الإنجيل قد ضاع واندثر ، ولم يبق له أثر ، أو أنه باد ، أو أنه قد أريد » ^(١) .

وبقارن إثنين دينيه بين المسيحية والإسلام فيقول : لا يتمرد الإسلام على الطبيعة التى لا تغلب وإنما هو يساير قوانينها ويزامل أزماتها وبخلاف ما تفعل الكنيسة من مغالطة الطبيعة ومصادمتها في كثير من شئون الحياة مثل ذلك الفرض الذى تفرضه على أبنائها الذين يتخذون الرهبنة فهم لا يتزوجون وإنما يعيشون عزباء .

على أن الإسلام لا يكفيه أن يساير الطبيعة وأن لا يتمرد عليها ، وإنما هو يدخل على قوانينها

(١) المصدر نفسه ص ٣١ .

(٢) المصدر نفسه ص ٣١ .

(١) انظر أشعة خاصة بنور الإسلام . إثنين دينيه ترجمة راشد رستم ص ٤١ .

الكتب

للاستاذ علي الخطيب

ابن رشيق الزاهر الشهير :

تأليف : عبد الرؤوف مخلوف .

(٤٥) سلسلة أعلام العرب مكتبة مصر .

في خمس وثمانين ومائتي صفحة .

قد سبق للسيد : عبد الرؤوف مؤلف الكتاب دراسة علمية أخرى في ابن رشيق حظيت بها الجامعة وهو في مقدمته لكتابته في السلسلة بين أن له نهجاً مختلفاً ، عن نهج الدراسة الجامعية ، وإن كان يضع الحقيقة في الصف الأول من الاعتبار ، ويلزمها ما بدت له ص ٥٥ .

وفي الحق بطل العنا في هذا التأليف شباب منصف ليس مراعياً بنقص القديم أو النيل منه ، بل أقد ينفذ تلك الدراسة في ابن رشيق ، كيف كان شمساً استمد منها الضياء كثير من الوجوه المعاصرة التي تحفل بالأدب وتحدث فيه .

وقد أدت فصول الكتاب السعة - في معظم أحوالها - أغراضها فيما عقدت له ، وكانت دراسته الموضوعية في الفصل الأول : عصر ابن رشيق ، قيمة أدت إلى نتيجة باهرة في محاولة دعوى اتخاذ العامية لغة أدب وكتابته . . . ومن ثم كانت محاولة هذه الدعوى دائماً وأبداً مستحالة كل مخلص للعرب والعروبة ص ٣٦ .

وجهد المؤلف بارز فيما كتب من قضايا ، وفيما

أبرز من تحقيق لاسميا في بيانه عن : زمن كتابة « العمدة » ، وفي استعماده كتاب « تزييف نقد قدامة » ، عن مؤلفات ابن رشيق ، وتحليلته بصدد هذا الكتاب ما يحيط به من غموض ، وردده دعوى أن يكون ابن رشيق مؤرخاً ، وعنايته الدقيقة في الإشارة إلى مضطرب الفسخ فيما استنسخ من كتاب العمدة ، وتنبيهه إلى الصفحات التي اختلف ترتيبها ، وأبلى أحسن البلاء في الحديث عن مصادر ابن رشيق ، ومثله الأدبية في المشرق ، وتنتهى تحقيقاته بمجد مشكور في مراجعة التأريخ الفلبي لوفاء ابن رشيق واختيار تاريخ وفاته ليلة غرة القعدة عام ٥٦٤ هـ .

وفي الكتاب جانب من الخطأ لا يحسب على المؤلف . فثمة أخطاء مطبعية كثيرة جداً ، منها ما يسهل دركه ومنها ما لا يدرك ، كما أن منها ما يفسد المعنى ، ومنها الساقط من الكلام ، ومنها فوق ذلك ما يكسر الشعر ويفسد فيه الوزن والمافية ، وحسبنا هذا التنبيه على بيتين :

قال : (يا موجهي) شبا هل أنه ص ٦٦ والصواب : يا موجهي فالبيت من « السريع » .

وقوله : هكذا تبني المعالي . ليس الأكل خير ص ٦٧ والصواب . ليس إلا فالبيت من الرمل .

وإعادة الخط الأول بوضعه في الشطر الثاني ص ٢٩ حيث تذكر قوله : ولي نحو أكتاف العراق صباية .

ثم بعد :

وأما بعد التكرار الذي وقع فيما هو بدهى ص ١٨ ، ٢٣٥ بشأن بيان أن تقسيم الدولة إلى دويلات كان سبباً في قوة الأدب والعلم ، فالكتاب جهد رائع ، وعلم مفيد .

أصداء العرب في الشعر المصري الحديث ج - ١
تأليف سعد الدين محمد الجيزاوي
مكتبة نهضة مصر

قطع كبير في سبع وعشرين وأربعمائة صفحة وهذا الكتاب رسالة علمية حظيت بدرجة الماجستير في الأدب والدراسات الإسلامية ، وقد قصر المؤلف رسالته على « بحث العوامل الدينية ، وصدائها في الشعر ، من مطلع العصر الحديث إلى نهاية الثورة المصرية في سنة ١٩١٩ ، وحوث الرسالة بعد المقدمة تمهيداً ، وبابين ، وجعل المؤلف التمهيد في جزئه الأول للحديث في الدين ومفهومه وأهميته في سلوك الإنسان ، وفي الجزء الثاني والآخر منه تحدث عن الأدب ، وعلاقته بالدين وأصالة هذه العلاقة من القدم ، وخلص إلى تحديد إطار الألوان من الشعر المصري الحديث تحتلف ظروفها ومناسباتها لكن باعتبارها عامل ديني وروحي خالص كالزهد ، أو ناشئ عن مناسبات دينية كتهنئة في مناسبة عيد .

ويتناول الكتاب بعد ذلك موضوعه في بابين خصص الأول منهما للفترة من الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ إلى نهاية الثورة العربية سنة ١٨٨٢ ، والثاني من أول عهد الاحتلال إلى سنة ١٩١٩ ، وتناولت الدراسة في كلا الفصلين الحديث عن الحالة السياسية والعامل الديني . كما يتفق الباقان في الحديث عن الشعر والشعراء ، ويزيد الأخير منهما في موضوعاته نظراً لانبعاثات مختلفة لأغراض مختلفة

نلاحظ السيد المؤلف استعداده لجلاء الأمر في قضية « اقتداء ابن رشيق بابن شرف في تأليفه رسالة قراضة الذهب ، وبعد فصل القول فيها حيث يقول ص ٥٧ : « وذلك ما نقف منه وقفة نقبين فيها وجه الصواب بمقدار ما يتسع له المقام ، ويتسع المقام لخمس صفحات نخرج منها بلاشئ » حيث يقول : « ولعل ظروفاً تسمح بتحقيق القضية فيما بعد ، ص ٦١ . وقد يكون ابن رشيق غير مؤلف شرحاً للموطأ كما يقول السيد المؤلف لكن ما ساقه بياناً لرأيه ليس بشئ » حيث يقول : « وليست ثقافة الرجل على ما عرفنا ترسخه لشرح الموطأ ، ولا هو بالذي اتجه لإياها ، وإنما تزرع ثقافته منزع اللغة وشعرها ونقدتها ص ٨٥ ، على أن نظير ذلك موجود فقد ألف الإمام النحوي بدر الدين العيني شرحاً لصحيح البخاري أسماء « حمدة القاري ، والعيني - كما لا يخفى - منزعه جانب النحو .

كذلك نرى المؤلف - وهو جامعي - أهلاً للاخذ بالأسباب ومراجعة الأصول العلمية طبق مناهجها الخاصة ، ولا أدري كيف استقام له في جانب التأليف أن يرد حديثاً بالرأى كما فعل ص ١٢٥ ، وكان عليه أن يلم برجال الحنن ، ثم يكرر على مراجع الجرح والتعديل فيحظى بالحديث بمرتبة من وضع أو ضعف أو صحة ، ومثله - أمام المناهج العلمية - كبير منه أن ينأى عنها إلى الرأي .

وهل من الاستطراد في كتاب العمدة أن يذكر ابن رشيق أنساب العرب وبيوتها ، أو جواز الصلات للشعراء ص ٩٧ ؟ وكيف إذن يتمرس الشعراء السابقون إلى ابن رشيق في الدراسة ، وكيف يدلون في بابي الهجاء والمفاخرة ، ثم كيف يتمكن دارس النقد إن غاب عنه ذلك ، وأما الصلة فهي أحد شيطاني الشعر للجود فيه .

من الخفيف والشأن من الوافر ، ولا حساب على المؤلف في هذه الأخطاء .

وللتقول في هذا الكتاب موضوع ، وقد اشتملت إجمالاً على ملاحظات تدونها فيما يأتي :

فهي أولاً : كانت عقبة كورد في سبيل تركيز الموضوع لعدم القصد فيها إلى موضع الاستشهاد أو للإكثار منه .

ثانياً : سلم المؤلف ببعضها على ما فيه من اضطراب فثلاً - فنقل - اليونان أنهم كانوا في جاهليتهم وروهم في عبادتهم مخلصين في معتقدهم (والحق أنهم كانوا غافلين عن الصلة الروحية بالله ، غافلين عن المعصية والثوبة وكتب عنهم لويس ديككنسون فقال : إنهم وهبو) أنفسهم أحراراً خالصين لفن الحياة) وقال : هاش الإغريق ، وعمل دين أن تتركه محاسبته نفسه محاسبة ارتياب أو شك ، وكانت وظيفة دينه هي تهذبة الضمير بالطقوس لا إحياءه بالتحذير والملامة ص ٩٣ الفن والمجتمع - هربرت ريد .

والأستاذ الجيزاوي عبارة عن العهد القديم ص ٢٩ تتضمن فصولها أن هذا الكتاب حوى عقيدة الحساب ومصير الإنسان . وليس العهد من بعيد فهذا العهد المتداول حذف منه تماماً هذان الأسران . الحساب الآخروي ومصير الإنسان ثالثاً وضع نقولا ذات مبادئ خطيرة في عالم الأدب كتملك التي تريد فرض قيود على الإنتاج الأدبي ، وسر بها سر الكرام . وقد كان عليه أن يحدد وجهة النظر فيها مهما كان ما يتجه إليه .

رابعاً : كانت نقوله عن الأزهر في الفترة الأولى نقولا تقليدية فلا عجب أن تنتهي إلى أحكام تقليدية تضع الأزهر والأزهريين في مقام التخلف والركود وتبرز محمد عبده في الطرف المقابل ، والشيخ هليش

في الشعر لم تكن في الحقيقة الأولى ، ويختصر في النهاية منها إلى حديث في تقييم هذه الشعر عامة .

والكتاب - بعد - ليس جهداً محتملاً ، وإنما هو مجهود ضخم للفت الأنظار إلى جزء أدبي مهم كان بعيداً - قبل هذا الكتاب - عن مجال الدراسة والاعتبار ، وجهود المؤلف في كثير من أجزائه شاقة مقسمة بروح الاستقصاء كاشفة أحياناً عن جديد غريب في باب كحديثه عن الشاعر حافظ إبراهيم الذي لم يجد له مدحة نبوية ، ويظفر الكتاب في فصوله السياسية بتسجيل الجهاد الديني والوطني الذي تحمله المصريون في بطولة وعزة وفداية عجيبة ، وخطط الكتاب هنا بياناً ثرا لنفسية المصريين وشعرائهم وجهودهم ضد أعداء الدين والوطن . وحماس الشعراء الذي دفع المجهود فتضاعفت حتى قضت على عوامل المنة وأبقت على مصر دينها ووطنيتها . وتوصيات المؤلف في كتابه تدل بجانب إنصافها على ما يذنبه بذلك من جهد لتكملة هذا اللون من الدراسة حتى يستوعب خيوطه ، ويؤتي ثماره .

وفي الكتاب بعد أخطاء مطبعية نادراً ما تخلو منها صفحة ، وبعض الصفحات ص ١٥ يحوى خمسة أخطاء ، وكانت الأخطاء سبباً في كسر البيت ص ٤٥ فقد كتب هكذا :

ربة الشعر هن أخيل بن قيسلا
أنشدينا واروي أحنداما ويلا
وهمزت فيه ألف (احتداما) والبيت ص ٩٠
وكتب :

لعلك يا سويجيم كنت شفعا
وقد أصبحت فرع الحب روعا
وفتمت واو (روعا) والحق التسكين ، والأول

في الدهر غدر ويرضى عنها رسول الله بعد أن قال
عن ربه : في حديث قدسي : يؤذني ابن آدم يسب
الدهر ، وأنا الدهر بيدي الأمر ، أقلب الليل
والنهار ، وواء الشيخان .

وللشعر في الرسالة موضوع .

فقد أثر المؤلف أن يلقى لبعضهم شعراء في سلة
الهامش مع ماله من قيمة في موضوع الكتاب ،
وعدم خروجه مطلقاً من دائرة الموضوع ، وليس
أصحابه - فوق ذلك - بالزبد بين الشعراء كما وقع
ص ٢٤٢ ، ٢٧٥ .

وأهمل قصيدة مصطفى صادق الرافعي حين كتب
(أي المؤلف) عن السقور والحجاب وهو وقف
المعارضين بالذات والقصيدة بعنوان « التبرج » ،
وتقع في تسعة وثلاثين بيتاً طبعت بمطبعة الشعب
لصحيفة الحال وسدرت بمقدمة اشتملت ست
صفحات بدأها المرحوم الرافعي بتوله :

دلائك في التبرج من ضللك

وما عاب الدلال سوى دلائك

ومنها :

أهني مشية الخفريات ، أم قد

غدا الشرف المفدى في نعالك

.. الخ

والرسالة - بعد - لا تعليك تقيماً فنياً لكل
أديب في هذا الباب ، وإنما اكتفت بالجمع والحكم
في باب مستقل كما مرّت بالزراجم فلم تعطها عنساية
فإما ترجمة يديرة . وذلك قليل نادر ، أولاً ترجمة
أصلاً وهو الكثير الشائع .

ثم هي - بعد تلك الملاحظات خطت لموضوعها
بغاية وأملت به في بابها فشقت طريقاً في الدراسات
الأدبية إلى معالم ناعمة ومفيدة .

على الخطيب

في الدائرة الأولى ، ومر دون حساب على بيت
الشيخ محمد عبده وموقفه من الثورة العربية حين قال :
قامت مصابة جند في مدينتنا

لزل خير رئيس كنت راجيه
قال ذلك . والشيخ هليش والأزهريون قد أصدروا
قوى بخيانة الحديوي وخلع طاعته وقد سجلها
الكتاب نفسه ص ٧٧ ، ومر الوطني الأول من
صفحات الكتاب سر الكرام .

ولترك حديث النقول إلى نقاط آخر :

فقد رأى الباحث استبعاد دراسة التواشيح
ص ٤٨ من كتابه دون رأى يفصح عنه .

وجبل بالمؤلف - وهذا موضوع - أن يمايه
حقه من الدراسة الدينية المتصلة بهذا الموضوع .
لكنه خرج إلى أكثر من ذلك فتناول - في حديث
عام - التوبة وما ينبغي أن يكون عليه المسلم ، وإيست
دائرة الوعظ من اختصاص كتابه .

وكتابة المؤلف طرق لباب جديد في الأدب -
ينبغي أن تكون معايير الدين فيه مأخوذة
في نقد الأبيات المتصلة بالدين ، فليس الدين أقل
منزلة من الممدوح ، ومن الممدوحين من سخط
على مادحه حين تعدى حدود اللياقة . وهذه اللقطة
ما كان ينبغي أن تفوت المؤلف حين ساوى بين بيتي
الساعاتي وابن حجة الحموي .

قال الأول في مدحة نبوية :

قالوا : هو البدر ، والتعريق يظهر لي

في ذلك نقص ، وهذا كامل الضم

وقد عارضه الساعاتي بقوله :

قالوا : هو الدهر ، قلت : الفرق متضح

في الدهر غدر ، وهذا حافظ الزم
ولا يمكن أن يراجه شاعر رسول الله بقوله :

فتاوى سحنات

(الاجابة للجنة الفتوى)

السؤال :

الوضوء ، وقد أخذ بذلك بعض الأئمة وأن هذا العمل الميسور في الصلاة لا يبطلها والله تعالى أعلم .

هـربت فعائشة رضي الله عنها :

السؤال :

الزنج باستعمال الآلات الحديثة :

هل يجوز في الذبح استعمال الآلات الحديثة كالماكينات أو غيرها من الوسائل المستعملة في السلخانات لآلية ؟

السيد / هياون كبير

وزير البترول والكيماويات بالحكومة الهندية

الجواب :

لا مانع شرعا من استعمال الآلات الحديثة في الذبح من الماكينات وغيرها متى كانت محددة مسيلة للدم كالسكين ونحوه وكان الذبح في موضعه المعروف شرعا ، ولم يكن إزهاق الروح بها بخنق أو نحوه ، واستعمل من تحمل ذبيحته من مسلم أو كتابي ، لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ما أهر - أسال - الدم وذكر اسم الله عليه فمكوا ليس السن والظفر ، .

فمك فمك أسال الدم من سكين أو حجر أو خشب أو ليطلة - فقرة القصب - داخل في حوم الحديث بل إذا كانت الآلات الحديثة أحد وأسرع في الذبح كانت أولى بالاستعمال لأنه من باب الإحسان والرفق بالحيوان والله أعلم .

أرسل إلينا السيد / محمد علي حسن المغترب العربي بالعرازيل خطا بأوضح فيه أ الجريدة العربية التي تصدر هناك نشرت حديثا نسبته إلى السيدة عائشة رضي الله عنها ، قالت : كنت أنام بين يدي رسول الله وأضع رجلي في قبلته فإذا سجد غمزني فقبضتها وإذا انتهى من الصلاة مددتها .

وقد اتخذ المغرضون هناك هذا الحديث وسيلة للتعريض بالديانة الإسلامية فترجو موافقتنا بالبيانات الوافية عن هذا الحديث والتفسير الصحيح له ؟ مدير إدارة العرب في الخارج

الجواب :

الحديث صحيح ولا مجال لاتخاذنا مطعنا في الدين فإن الحديث يدل على سماحة الدين وجواز الصلاة في فراش نومه وما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم مع عائشة لم يكن أمراً متكرراً ، ولم يكن في فرض بل كان في صلاة التهجد ليلا .

وكان السبب ضيق الحجر وظنها فلم يتبين الرسول صلى الله عليه وسلم مكان سجوده ، وعائشة كانت نائمة فلم تدرك أن رجلا تقع موضع سجوده عليه السلام فكان الرسول يذمها لذلك فتقبض عائشة رجلا لئلا يتمكن عليه السلام من السجود .

وفي تلك الحادثة تشريع لجملة من الأحكام منها جواز الصلاة في الفراش وأن لمس المرأة لا ينقض

السؤال :

الإيمان بالله وحده ، والتصديق بملأئكته ، وكتبه
وجميع رسله واليوم الآخر .

وقد أرسل محمد - صلى الله عليه وسلم - غاتم
المسلمين رجاء بالقرآن مهيمنا على جميع ما سبق من
الشرائع : « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا
لما بين يديه من الكتب » - الكتب - ومهيمنا
عليه ، « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً
ونذيراً » .

فأقول بأن غير الإسلام يسكن في النجاة قول
باطل : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل
منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين » .

فالقياس الذي جعله الإسلام مقياساً للقبول
والنجاة هو ذلك الإيمان الحق بالله وملأئكته ،
وكتبه ، ورسله إلى آخر ما تقدم .

والعمل الصالح إنما يعتد به ، ويكون عملاً
صالحاً إذا اقترن بالإيمان القلبي بجميع ما سبق .

ثانياً : أما ما يتعلق بالآيتين اللتين ذكرتهما
فآية الأولى منهما : « إن الذين يكفرون بالله
ورسله ... الآية » ، واضحة في ضرورة الإيمان بجميع
الرسول وبما جاءوا به حتى يتحقق أصل الإيمان
ولا يمكن أن يتحقق أصل الإيمان ببعض ذلك
دون البعض الآخر ، ويقولون تؤمن ببعض
ونكفر ببعض ... أولئك هم الكافرون حقاً .

والثانية : « إن الذين آمنوا والذين هادوا
والنصارى .. الآية » ، القصد منها فتح باب القبول
أمام جميع الملل وأرباب الديانات الأخرى ، وأن
من دخل منهم في دين الإسلام وآمن بمحمد صلى
الله عليه وسلم وصدق برسالته فهو مؤمن مقبول
ولا خوف عليه مما فرط منه قبل الإسلام ؟

شمس الدين محمد

السيبويه الملمحة :

راجعت في هذه الآونة فكرة يقال : إنها تقف
في وجه الشيوعية الملاحدة وهي :

أن الإسلام يجعل مجرد الانسحاب إلى الدين كافياً
وحده للنجاة ، بل يجعل النجاة مرتبطة كل الارتباط
بالإيمان والعمل الصالح بقطع النظر عن الدين الذي
ينتهي إليه المؤمن .

ووضع الإسلام للجميع مقياساً واحداً للتقرب
من الله واستحقاق ملكوته وإن ذلك المقياس
يتلخص في كلمتين : الإيمان والعمل الصالح ، فكل
من آمن بوجود إله أيا كان تصوره للإله وعمل
صالحاً في هذه الدنيا فله أجره عند ربّه سواء في ذلك
المسلم أو المسيحي أو اليهودي أو الوثني ...
فأمدى ذلك من الصحة ؟

وما مدى الارتباط بين قوله تعالى : « إن الذين
يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرغوا بين الله
ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض
ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم
الكافرون حقاً وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً » .
وبين قوله تعالى : « إن الذين آمنوا والذين هادوا
والنصارى والصائبين من آمن بالله واليوم الآخر
وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون » .. محمد سيد أحمد المسير

الجواب :

أولاً : إن القول بأن اعتقاد أي دين من الأديان
السابقة على الإسلام يسكن في النجاة بدون الإسلام
قول مفترى ، وضلال ، فإن الإسلام يدعو إلى

في محيط العالم الإسلامي

إذا عز العرب عز الإسلام :

● كان من أنباء العالم الإسلامي في رفقته العربية . نبأ الاجتماع الحافل في الدار البيضاء لأقطاب العرب في مؤتمر الثالث ، وفيه وقع أقطاب العرب ميثاقاً دعم التضامن العربي ، وصدرت قراراته التاريخية لتحرير فلسطين ، وتوحيد الدفاع عن قضيتها ، ومقاومة دسائس المستعمرين ، وأبواق الصهيونيين وتدعيم القسيادة الموحدة ، وتدعيم منظمة تحرير فلسطين ، واستكمال جيش تحريرها مع المضي في مشروعات استثمار نهر الأردن ..

وقد سادت المؤتمر ودوائره المختلفة موجة ارتياح عتبت توقيع هذا الميثاق ، وقالت الدوائر المطلعة : إن التمسك بمواصلة العمل في مشروعات مياه الأردن لإحباط مشروعات إسرائيل لتحويلها كان من أهم قرارات المؤتمر .

● ومن القرارات التي كان لها دوى ارتياح في نفوس العرب بما قوته من روابط ، وفي نفوس المسلمين بما أزالته من خلاف قرارات قضية الين في اتفاق جدة ، وقد تم فيها اتفاق بين السيد الرئيس جمال عبد الناصر وأخيه جلالة الملك فيصل تضمن تسع نقاط في صالح الين ، مستقبلة ، وشعبه ، وتعاون فيه الجمهورية العربية المتحدة . والملكة السعودية على تنفيذ الاتفاق ، وإمداد العمل من أجله بكافة القسبلات التي تضمن نفاذ الاتفاق ، وجاء في البيان الرسمي :

ولقد كانت الأهداف الكبرى التي توخاها جلالة الملك فيصل ، والرئيس جمال عبد الناصر طوال المحادثات بينهما للتمكين للإرادة الحرة اليمنية ، وحماية الممالك الوطنية للشعب اليني ، وتوفير الاستقرار على الأرض اليمنية لكي يستطيع شعبها المجيد أن يبدأ عملية بناء حياته شرقاً ، وتقدماً لنفسه وللأمة العربية كلها .

● تلقى دار الحديث الفقهية - مدرسة المعلمين الإسلامية العليا ، بـ « دالافع » أندونيسيا نجاحاً كبيراً في أداء رسالتها الإسلامية في هذا الوطن الإسلامي الكبير حيث تهتم بالطلبة الوافدين من مختلف أنحاء أندونيسيا ، وفيه يتلقون المعارف الإسلامية بجانب مناهج تربوية تؤهلهم للعمل المثمر للإسلام .

وقد أسس هذا المعهد المغفور له الأستاذ الإمام السيد عبد القادر بن أحمد بلفقيه العلوي رحمه الله وهو أحد المجاهدين الوطنيين في أندونيسيا ، وبطل من أبطال الإسلام والإنسانية ، وقد أذاع (راديو) أندونيسيا نبأ ذكره الثلاثة مصحوبة بكلمة تقدير ، وحضر حفل ذكره السيد سفير الجمهورية العربية المتحدة بجاكرتا .

● في ملحق لجلة « المشيخة الإسلامية العليا » بيوغوسلافيا قال الأستاذ حسين جوذو في نهاية مقاله في تفسير قوله تعالى : « وإذ قال موسى لقومه يا قوم لأنكم ظلمتم أنفسكم ... الآية - : إن العرب والمسلمين لم يضطهدوا اليهود لأنهم اليهود ؛

والعالم الإسلامي خاصة يرجو لتلك القضية حلاً سلبياً يرضى الأطراف المتنازعة ، ويحقق رغبة مواطني كشمير أصحاب الحق الأول والأخير في بلادهم . وقد أذاع الأستاذ الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر بياناً في هذا النزاع جاء فيه :

وإذا كانت السياسة قد اتسمت قديماً لتقسيم الوطن الكبير إلى دولتي الهند وباكستان ، فإن من تمام الرشد ، سمحة الاتفاق على هذا القدر اليسير من كشمير لتعيش الدولتان في طمأنينة استقرار ، وتراحم جوار .

● يبدأ تنفيذ مشروع إقامة المعارض الإسلامية الذي فطنته إدارة العلاقات العامة بوزارة الأوقاف بمولد سيدي عبد الرحيم القنارى في قنبا الذي يحتفل به ليلة النصف من شهر شعبان الهفيل ، ثم ينتقل المعرض خلال ليالي شهر رمضان المعظم في جميع محافظات الجمهورية ، وستضم هذه المعارض تسجيلاً وعرضاً للصحف المرتل والتواشيح والأغاني الإسلامية والكتب الإسلامية ، واسطوانات الوضوء والصلوات الخمس وشعائر الحج ، كما ستعرض الأفلام الإسلامية وستقوم الفرقة المسرحية الإسلامية التي شكلتها وزارة الأوقاف بتقديم مسرحيات عن قصص البطولة في الإسلام ، وعرض للتاريخ الإسلامي وفق مصادره الصحيحة ، وقد وافق المهندس أحمد عبده الشرباصى نائب رئيس الوزراء على ألا تقتصر رسالة المعرض على الجمهورية العربية المتحدة بل تهمل بلاد العالم الإسلامي كله ؟

على الطبيب

بل لم يضطهدهم على الإطلاق ، ولكن لما كثرت اعتداء اليهود على العرب والمسلمين سرّاً وعلانية ، لم يبق بد من دفع الاعتداء ، ولقد دفعه العرب بالحسنى أيضاً ، وبالحنق وأما الذين يعرفون تاريخ اليهود في فلسطين فإنهم يعلمون ما يكن اليهود للعالم من الحقد ، وما يضمرونه من إثارة القلاقل ، والإفكار ، وإضاعة الأخلاق .

● قال الدكتور ريفشارد دول الطبيب الأمريكي : إن مرض السرطان في الرحم غير موجود عند نساء المسلمين واليهود الذين يتخذون الحثان لذكورهم .

وقد حمل هذا أحد علماء أميركا أن يطالب ويقترح على العالم أن يقرر وجوب إجراء الحثان لكل ذكر بينما يقرر الدكتور كريستيا ديكرس الحثير البلجيكي أن مقاومة السرطان والعمل على إزالته وتخفيف خطره من الأمور الممكنة ، وأنه يوصى لكل ذكر أن يتخذ الحثان .

● شغلت أنباء القتال بين الهند وباكستان بشأن كشمير - الرأي العام في العالم عامة ، والعربي الإسلامي خاصة ، واستغلت الدول انغرضة الموقف لتتال من رآه مكاسب خاصة على أن لشعب كشمير نفسه رأياً في مصير بلاده ينبغي أن يكون في الاعتبار الأول ، وقد ترددت أنباء من باكستان أن أهالي كشمير أنفسهم كونوا مجلساً أعلى يسمى بمجلس الثورة تألف من شخصيات كشميرية تجمع بين مختلف العلم والثقة والقيادة الحربية ، كما تألفت فرق لشن حرب العصابات تسمى لاستخلاص حقوق البلاد .

News From the Muslim World

* An Islamic Conference was held in Alexandria under the auspices of the Supreme Council for Islamic Affairs. It was attended by six thousand (6000) muslim students representing 75 countries. The Conference was addressed, among others, by H.E. Ahmed Abdu Al Sharabasi, Deputy primeminister for Al-Azhar Affairs, Sheikh Ahmed Hassan Al-Baquri, Rector of Al-Azhar University and Mr. Muhammad Tawfik Oweida Secretary General of the Supreme Council for Islamic Affairs.

They spoke about the role to be played by youth in building the Islamic Society.

They also spoke about the unity of Islam and Muslims and the heroic role played by the U. A. R., under president Gamal Abdul Nasser for the welfare of Muslims and the realisation of peace and the freedom of all people.

* The Arab Kings and heads of state held their third summit Conference in Casablanca. The most important outcome is the charter for the strengthening of Arab Solidarity and the struggle against the zionist-imperialist plan. The Charter Contains the following points :

1— The Solidarity of the Arab Countries in the service of the Arab Nation and the case of palestine in particular.

2— Respect for the systems of Government in every Arab Country, and the compliance with all constitutions which stipulate non-interference in the internal affairs of any Arab country.

3— Respect for international laws in accordance with the laws of every country

relating to the right of political asylum.

4— Discouragement of any coup whatever their nature may be.

5— The Arab press must assume its duty in the service of Arab causes and Palestine. In other words to stop once and for all the exchange of press campaigns among Arab countries.

6— A revision of Press Laws in all Arab countries to stop the recurrence of press campaigns.

* The peace Agreement which has been concluded in Jeddah between president Nasser and King Feisal, is a Shining example of Arab Solidarity and care for Arab relations. King Feisal's visit to the U.A.R. which followed the Jeddah peace Agreement, Consolidated the bonds of friendship and brotherhood between the U.A.R. and Saudi Arabia. President Nasser and King Feisal agreed to resume meetings and visits between the U.A.R. and Saudi Arabia as a means of strengthening bilateral relations and fortify in the general Arab Struggle.

* King Feisal has issued a decree rasing all restrictions on travelling from Saudi Arabia to the U.A.R. Previous to that president Nasser himself abolished restrictions on travellers from the U. A. R. to Saudi Arabia.

* The delegation of Al-Azhar University Signed during its recent visit to Hungary an agreement with one of the foreign trade companies to supply Al-Azhar University with the Scientific instruments required for Al-Azhar's Scientific Colleges.

a tree, he rested under it for a while and then went on in his way.

His austere manners were not due to want or poverty but a concomitant to altruism; thus setting an example to be followed by his poorer companions. He was quoted as saying, "God offered me as much wealth and Gold as Mecca's desert would hold, but I refused. If one day I feel hungry I shall pray to you and glorify your name, if I am content I shall express my gratitude to you".

His wives fell in two groups, but all lived in peace and harmony. Sometimes, jealousy brought them into trouble; but Muhammad, through his impartiality and tender care, used to set things right without violating a religious rule or principle.

Once it happened that all his wives appealed to him to improve their conditions and to be more generous to them as rich people do. He was so angry with them that he deserted them for nine months and 20 days. Then God ordered him to tell his wives to accept their status quo and to think only of the

next life. God rewarded them in the following terms, "It is not permitted thee to take other wives hereafter, nor to change thy present wives for other women though their beauty charm you". 33:52

Again, two of his wives divulged a secret entrusted to them by the Prophet. God warned them not to do such a thing again. He says, "If ye both be turned to God in penitence, for now have your hearts gone astray, God will pardon you. But if ye conspire against the Prophet, then know that God is his protector and Gabriel and every just man among the faithful and the angels are his helpers besides. Haply if he put you both away, his Lord will give him in exchange other wives better than you, Muslims, believers, devout, penitent, obedient, observant of fasting, both known to men and virgins". 66:5

Muhammad's family life can be written in volumes, since there are aspects of this life that illustrates his perfection, purity and piety which are the cornerstones of family happiness.

لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم
بالمؤمنين رؤوف رحيم .
(التوبة : ١٢٨)

" There hath come unto thee a messenger, (one) of
yourselves, unto whom aught that ye are over burdened is
grievous, full of concern for you, for the believers full of pity,
merciful ".
(IX : 128)

when these battles came to an end, he did not marry. This, however, is an undisputable proof that his polygamy was due to certain circumstances created by war; each of his marriages had a high moral purpose.

Muhammad lived at Mecca until the age of fifty-one. Then he moved to Medina and lived there until his death at the age of 63. Therefore, he had two houses, one in each of these two cities.

He stayed at his first wife's house in Mecca until he emigrated to Medina. In Mecca Khadija gave birth to all their children, 2 sons and 9 daughters.

His daughter Zeinab married her cousin Ibn El Aas; Rokeya married Uthba ben Abi Lahab and his brother Utaiba married the third daughter Um Kolthom; this took place before God chose Muhammad to be a prophet. Rokeya and Um Kolthom were divorced and returned to their father's home. In this connection God says "Let the hand of Abu Lahab perish, and let himself perish!"

Othman - who had become the 3rd Caliph later on - married Rokeya. both emigrated to Abyssinia. Thus only Muhammad, Khadija and their two daughters Um Kolthom and Fatima stayed at Medina.

Khadija died three years before the Hijra. Then Muhammad married Sawdah. Later on, he emigrated to Medina with his family. He, after building a mosque, built a house for Aisha' southeast the mosque; he also built a house for Sawdah and for his other wives later on.

El Suhayli the historian, said that Muhammad's houses were nine; some were built of mud and some of stones. All these houses were annexed to the Prophet's Mosque during the rule of Umar ben Abd El Aziz.

Muhammad's bed was so simple; he used to sleep on a mat, on the ground or in bed.

His life was simple; he devoted his efforts to the spreading of God's message and to the guiding of his people to the right path. He devoted his life to the good of mankind.

On the Seventh Year of Hijra, the ruler of Egypt at that time Presented Mary as a wife to Prophet Muhammad. He married her and she gave birth to his son Ibrahim in the 8th year of Hijra; he died when he was two year old.

Muhammad had a number of servants, but he was very modest and he never abused them. Anas says, "I served Muhammad ten years during which he showed no impatience."

When "Aisha" was asked about his behaviour at home, she said that he was very tender. It was reported that he used to mend his clothes, shoes and to depend on himself in discharging his own affairs. When he had time, he used to hold meetings to listen to the complaints of his people and to solve their problems. He was in direct touch with his followers.

Once he said, I have nothing to do with this world. I am just like a horse-man travelling on a hot day. On seeing

Prophet Muhammad's Family Life

By Dr. Gamal El Din El Ramadi

If one tries to study the family life of historical heroes and social reformers, one may find weakness or injustice, surrender and submission, violence and fierceness as well as rashness. Muhammad's life was unique; at home, he was tenderly just, manly perfect, and considerate.

He treated his family in a noble way, respected all its members, and dealt with them tactfully.

We can divide his family life into four periods :

THE FIRST PERIOD :

This period covers 25 years, i.e. the period before his marriage. It provides a concrete evidence against those who claim that he was obsessed by voluptuous desires. If that was true, he would not have been able to control his sexual desires for 25 years. Through this stage his life was characterized by piety and purity that made the tribes call him Al Amin "the trustworthy". His enemies later on, did not find fault to be a handle of attack against him. In his book "The Life of Muhammad" Sir William Muir said that all references he had read spoke highly of Muhammad's behaviour during his youth.

THE SECOND PERIOD :

In this period, Muhammad lived for

29 years with Khadija, his first wife, until the age of 54. When he married Khadija, she was 15 years older. His life with her was sincere and pious until she died. After her death he married an old lady called "Sawdah" who had been the widow of one of those Muslims emigrated to Abyssinia after being persecuted on account of their faith.

THE THIRD PERIOD :

The third period in Muhammad's life opens with the 2nd year of his Hijra "emigration" when the conflict with Quraysh and other tribes started. This led to the death of a large number of men. This series of battles lasted until the 8th year of the Hijra. During this period, Muhammad married more than one. The motive behind his polygamy was sympathy and tenderness rather than voluptuousness. Each marriage was effected under political circumstances or religious and social motives.

THE FOURTH PERIOD :

It was in the 8th year of Hijra that the Muslims conquered Mecca; this put an end to the civil strife. The situation was back to normal despite some minor disturbances. From this year until the 10th of Hijra, which marked the death of Muhammad, he did not marry again.

Yet, before the battle with Quraysh, Muhammad married only Khadija, and

In such a statement, Abu Bakr has placed in juxtaposition his previous occupation as a trader and his new responsibilities as a Caliph. Both, in his view, are occupations and sources of income, both are "‘amil" and the one who follows either is a "‘amil" even though the nature and the rank of the two occupations be quite different.

Abu Muslim al-Khawlani also expressed this attitude when he said to the Caliph Mu'awiyah Ibn Abi-Sufyan: "Farewell, Oh hireling!" Mu'awiyah's court asked him to say "Farewell, Oh prince!", but he repeated once more "Farewell! Oh hireling!" Mu'awiyah then said to his court: "Leave Abu Muslim alone, he knows best what it is he says".

Then Abu Muslim said to Mu'awiyah: "You are the hireling whom the Master of these sheep has hired! If you cure their mange and treat their sickness and gather together their vanguard with their rearguard, then their master will pay you, but if you do not, then He will punish you,

Thus, we can essay the initial definition that every Muslim who earns a living is a *amil* no matter whether his occupation be high or low. True, the higher one's occupation is in rank and value, the higher it carries his status as a "‘amil". Even so, however high it becomes, it never carries him beyond the definition of the term.

(From page 10)

instead, assaulted the peaceful Arabs in the country which gave them refuge and applied on them the worst kinds of torture. They killed women, children, and the aged; they dispersed millions of Arabs; attacked houses of worship; bombarded the holy Rock and wiped out mosques and graves without fear or reproach.

Gentlemen :

The Israelites talk about the balance of power in the Arab East while our usurped country is inhabited by nearly two million Israelites as against nearly inhabitants in the Arab world. Again, the Jews totals number ts 15 million inhabitants as against 500 million Muslims and Arabs; what kind of balance of power is that which makes a handful of people blance a multitude ?.

Have we become so insignificant as to weigh fifty, or one hundred Muslims against one Israelite? God has led Muslems to victory when they were in small numbers, against their great hosts of enemies.

When we follow the spirit of Islam, its generous principles, kind and charitable teaching when our hearts are united and we stand together like a solid monument, God will lead us to victory and destroy our enemies.

May God unite our thoughts, purify our hearts, lead us to victory against our enemies and not hold us responsible for the deeds of those among us who are led astray.

Peace be upon you.

THE MEANING OF "AMAL" IN ISLAM

By: M. Gamaluddin Ayyad

According to the Arabic lexica, the term "amal" (عمل) means both a man's deeds and his occupation. A person who eats, drinks, fasts, or says his prayers, is thus said to be a "amil" (عامل) in the first sense, in regard to the deed which he performs; he who occupies a job in order to earn a living is, likewise, called "amil", but in the second sense.

While every occupation is a series of deeds, not every deed or group of deeds is necessarily an occupation. When people eat they perform a deed without receiving wages for it, but when they work in fields or markets, they both perform deeds and earn a living at the same time.

It is obvious, therefore, that the main difference between an occupation and a deed is that the first is often a source of income and the second is often not. But when a deed, which is ordinarily a mere act, becomes a constant source of income, it then acquires the status of an occupation. A man who volunteers, for instance, to lead the prayers or to deliver an address in a mosque performs a deed; but when he is paid for leading daily prayers and delivering Friday speeches, the act of leading the prayers, or delivering an address, will then become an occupation.

The term "'amil" is used in the Qur'an and the Hadith in both meanings, that is to say, the deed which is not a source of income, and the occupation which is.

The usage of the term "'amil", in the second sense as one who earns a living through an occupation, and it should be noted that it is the latter meaning around which our thesis revolves, was not confined during the age of the Prophet and the caliphs to hirelings and labourers but was used also to indicate some employees of high rank in the Islam state, such as the wali or the governor of an Islamic province.

It was even used to indicate the Caliph himself, the head of the Islamic state, as is shown in the following tradition: "That which I leave", says the Prophet, "beyond that which is sufficient to support my widows and my "'amil", is an alm". The term "'amil" [in this tradition, according to al-Qastalani, al-Nawawi and Ibn Hajar, means either the man who is employed to administer the "Wakf" (الوقف), or the man who succeeds the Prophet in the capacity of a Caliph. Abu Bakr used "ista'maltu" (استعملت) ('I have appointed as a 'amil') instead of "istakhlaftu" (استخلفت) (I have appointed as a Caliph, a successor) to indicate that he has chosen Umar, as a Caliph after him. He justified his taking a salary from the treasury upon being chosen as the first Caliph by saying: "All Muslims know that my previous occupation (as a trader) was quite sufficient to support my family. I am now obliged to engage myself fully in the affairs of the Muslim community, and so my family will be provided for from the treasury".

and I will overthrow the chariots, and those who ride in them, and the horses and their riders shall come down, everyone by the sword of his brother”.

In the Book of Zechariah we find “In that day will I make the governors of Judah like an hearth of fire among the wood, and like a torch of fire in a sheaf; and they shall devour all the people round about, on the right hand and on the left.

In the Book of Jeremiah: “Then the Lord put forth his hand, and touched my mouth. And the Lord said unto me, Behold, I have put my words in Thy mouth. See, I have this day set thee over the nations and over the kingdoms, to root out, to pull down, and to destroy, and to throw down, to build, and to plant”.

Gentlemen :

These are the sinister intentions of the enemy which stifles us, and occupies a spot of the earth which is dear to the hearts of all Muslims and Arabs. Our enemy has a past full of evil and transgression, a present armed with fire and iron; it is an enemy who threatens us ruthlessly.

What are we going to do about that? What is our attitude, whether in the past or now?

God is our witness, that we have never been anti-semitic. Judaism is essentially a living, heavenly inspired religion. The Jews are among the people of the Book and Islam has always safeguarded their rights. It is a true fact that throughout our history, we have

never oppressed the Jews. If any of them were ever severely treated, it certainly was in the form of punitive or corrective measures.

Their history in the West however, abounds with revolutions, and uprisings, pro and anti; but even though this is not the subject of this paper, there are two points which need clarification:

1 — The Islamic World has always been a refuge for the Jews even during the Occidental persecution era. They have lived in Islamic cities from Bagdad, to Cordova in perfect peace. Their commerce, transactions and studies have flourished under the protection of Muslims, and when the Inquisition persecution became unbearable in Spain during the 15th century A.D., most of the Jews emigrated to North Africa where they established themselves and became wealthy. Many of their descendant from Spain and North Africa became philosophers and scholars. Before Palestine was plagued with criminal Zionism, the Jews had a decent and wealthy existence.

The second point I want to clarify is that the Jews have not been grateful to either the Christians, or the Arabs; on the contrary, they have gloated in evil, and their old and new hatred they had for the Occident was turned against the Arabs who had fed them when hungry and protected them from danger.

The Nazi persecution was no lesson for them, and they didn't learn from the human tragedy of racial discrimination how to broaden their horizon and develop their humanitarianism. They have

(continued on page 12)

disappearance of Judea in 586 B.C. the Jewish rule would have lasted 414 years, whereas the Roman rule would have covered 677 years, and the Islamic rule, 1300 years with the exception of 200 years during which the Crusaders were in power over part of the country.

Thus, the three bases on which the children of Israel built their argument to prove their rights from an historical point of view are undermined.

The historical right itself is basically annulled. We can see, for example, that Muslims have ruled Andalusia for nearly 800 years, that is double the time that the Children of Israel have ruled Palestine. Would the Spanish people, under existing circumstances accept to have the Arabs back in Spain? It is worthy to note in this respect, that the Arabs left in Spain a great cultural heritage, highly praised by historians, whereas there is not one single cultural trait left by the Children of Israel in Palestine.

On the other hand, what about the danger threatening Arab and Islamic countries and the sinister plans of the Children of Israel? they hope to lay their hands on our country stretching from the Nile to the Euphrates, or even from the Ocean to the Gulf. Their policy aims at raising an army of men and women, young and grown ups, who would get hold of our land but by bit, who would destroy our villages and towns, our mosques and worship buildings, and annihilate our children and belongings. This has been clearly proved by their aggression against the U. A. R. in 1956, with the help of two imperialistic countries, and their proclamation that they

would not give up the land they have occupied. Fortunately, God has sent an Egyptian Arab leader who has plodged himself to the service of God and homeland, led his nation to victory and forced the aggressors to a disgraceful withdrawal from the country.

The Children of Israel, however, are imbued with an aggressive spirit inspired by their religion which spurs them towards a war of annihilation, fills them with a superiority feeling over humanity as a whole, and induces them to overcome all other nations. Here is the proof in the Book of Genesis: "In the same day the Lord made a covenant with Abram saying, Unto thy seed have I given this land, from the river of Egypt unto the great river, the river Euphrates". Again, in the Book of Isaiah: "Lift up your eyes to the heavens, and look upon the earth beneath: for the heavens shall vanish away like smoke, and the earth shall wax old like a garment, and they that dwell therein shall die in like manner: but my salvation shall be for ever, and my righteousness shall not be abolished".

We also find in the same Book: "And strangers shall stand and feed your flocks, and the sons of alien shall be your plowmen and your vine dressers". "But ye shall call you the Ministers of our God: ye shall eat the riches of the gentiles, and in their glory shall ye boast yourselves".

In the Book of Hosea we find: "I will shake the heavens and the earth; and I will overthrow the throne of kingdoms, and I will destroy the strength of the kingdoms of the heathen,

Palastine and Israel

By : Dr. Ishaq Musa Al-Husainy

(CONTINUED)

As to God's promise that the Israelites would return to Palestine their own God has cancelled it because of their evil-doings. Thus we find in the book of Numbers: "And the Lord said unto Moses, How long will this people provoke me?... I will smite them with the pestilence, and disinherit them... Doubtless, ye shall not come into the land, concerning which I swear to make you dwell therein, save Caleb the son of Jephunneh, and Josua the son of Nun. But your little ones, which ye said should be a prey, them will I bring in, and they shall know the land which ye have despised. But as for you, your carcases, they shall fall in this wilderness. And your children shall wander in the wilderness forty years, and bare your whoredoms, until your carcases be wasted in the wilderness.

God helped the Children of Israel to enter Palestine and establish a kingdom there. But they were no better than their ancestors who had been driven out of it.

In 600 B. C. they were cursed by God for indulging in evil deeds, so they forfeited the privilege and lost the Promised Land. Thus we can see that God's promise had been fulfilled with the rise of kingdom of David and his son Solomon, the kingdom which ended in slavery, and was wiped out forever with the coming of Christ who

predicted the disappearance of the Temple." And as he went out of the temple, one of his disciples said unto him, master, see what manner of stones and what buildings are here... And Jesus answering said unto him, Seest thou these great buildings? there shall not be left one stone upon another, that shall not be thrown down." And ever since, the temple of Jerusalem has not been rebuilt.

The Israelites "kingdom in Palestine was, according to the Old Testament, the worst kingdom that existed in history; thus we find in the Book of Ezekiel: "Thus saith the Lord God: This is Jerusalem: I have set it in the midst of nations and countries that are round about her. And she hath changed my judgement into wickedness more than the nations, and my statutes more than the countries that are round about her: for they have refused my judgements and my statutes, they have not walked in them."

The kingdom of David and Solomon lasted forty years under each one of them. After that it fell apart, a prey to discord, and since then, neither Israel nor Judea enjoyed real independence.

If we presumably admit that the ancient Jewish kindgoms were permanently independent, from the time David conquered Canaan in 1000 B.C. up to the

disbelievers in truth., and for disbelievers we prepare shameful doom. But those who believe in Allah and His messengers and make no distinction between any of them unto them Allah will give their wages, and Allah was ever forgiving, Merciful). (4: 150, 151, 152)

After establishing the necessity of belief in all prophets imperatively, the Quran declares that all believers are one community.

« وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقوا ، فنفطوا
أمرهم بينهم زبراً ، وكل حزب بما لديهم فرحون »

(And lo ! this your religion is one religion and I am your Lord, So keep your duty unto Me. But they (mankind) have broken their religion among them into sects, each group rejoicing in its tenets). (23: 52, 53)

The above Quranic verses call the believers to work for communal amity and harmony. In this way Islam aims at to establish unity, equality and brotherhood in humankind, through different means. All those means should be based on the idea of the peaceful spreading of Islam.

It is reported that the first introduction of Islam into Europe was the work of a muslim scholar who was taken prisoner in one of the wars between the Byzantines and the muslims. But we can not forget the muslims bigots and fanatics who ignored the high ideals of Islam and spirit of the Quran. The spread of Islam should be done on the example of the Prophet. There is not the least ground for the allegation that Islam was propagated by force and no war is permitted against non-muslims by the Quran or traditions.

A Single instance is not recorded in the whole history of the Prophet showing the conversion of an individual to Islamic faith under the pressure of the sword. As we not find any instance of an expedition being undertaken by him to convert unbelievers. It is the nature of Islam to face the realities of life because the true religion is to follow mans original nature.

This is clear in Islam's attitude to war and fighting. While it stresses peace as an ideal towards which muslims should strive as indicated in the very name of Islam, it permitted to muslims to conducting of war when the liberty of their faith and freedom of worship were threaten or they were actually attacked.

Islam, therefore, puts certain rules which govern both the causes and the conduct of wars. According to the strict instructions of the Prophet Muhammad and his succors to their army personal, it was forbidden to kill women, children, old an weak people, priests and monks. They did not allow their forces to kill animals and cut trees even some muslim Jurisprudents prohibited enemy horses in the battle field. The prophet strictly prohibited any kind of mishandling of enemy women. In the Islamic point of view fighting is not the thing to be liked and sought and the peace should be clung to as far as that is possible. This great human idea of a true Muslim is embodied in the following verses of Quran :

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، (٢١٦ البقرة)

(Fighting is enjoined upon men, although it is something disliked by them). (2: 216)

« وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ، (٦٢ الأنفال)

(But if they lean towards peace, you also lean to it (peace)). (8: 62)

ISLAM AND LIFE

(2)

By: A. M. Mohladdin Always

Universality of Islam :

The Quran declared the Universality of Islamic faith in the following verses :

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »

(And we have not sent you but as a mercy to the worlds). (21 : 107)

« وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً »

(And we have not sent you but as a bearer of good news and as a warner to all mankind). (34 : 27)

« قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً »

(Say : O ! mankind : Surely I am the messenger of God to you all). (7 : 158)

Thus the Holy Quran stated that the message of the prophet Muhammad is general to all nations till the end of this world. Those early muslims ardently belived that they were doing a great service to other people by guiding them to a faith that secures for its adherents the happiness of the two worlds. Although they were ready to give up their lives for propagating their faith, but they were carrying on that duty by preaching and Conveying the people the message of God in peaceful way.

The use of force in the spread of Islam is Contrary to the very spirit of Quranic principles. As an out come of the Universality of Islam it was Carried out side boundaries of Arabia through different means ; but all those means were based on the idea of the peaceful spreading of religious faith. The prophet

put this general call into practice by sending envoys Carrying the message of Islam, firstly to Arabian chiefs in the different parts of Arabia and then to the rulers of other countries.

Religious tolerance :

« لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم »

(There is no compulsion in religion, the right direction is henceforth distinct from error. And he who rejects 'satan' and believes in Allah grasped a firm handhold which will never break. Allah is Hearer and Knower). (2 : 256)

In this verse Quran declares that there should be no compulsion in religion. The Quran repeats also that the belief in all prophets is an essential part of Islamic faith. As the Holy Quran says :—

« إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً . أولئك هم الكافرون حقاً وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً »

(Lo ! those who disbelieve in Allah and His messengers, and seek to make distinction between Allah and His messengers, and Say : We believe in some and disbelive in others and seek to choose a way in between ; Such are

in every page, the Quran makes of truth the basis for its guidance, rests on knowledge and testimony of scholars, it warns against imagination which cannot replace true facts derides superstitions and old wives tales, sets a definite demarcation line between the divine and the human, and sternly warns against pitfalls; the Quran puts man in contact with God directly without mediator; it leaves the door open for those who repent and ask him forgiveness. Is there any room then, for fallacies or superstitions in such a Book?

Should the younger generation follow the true Sunnah which is the sum total of the theoretical and applied teachings of the Prophet, it would find that there is no trace in it of any fallacies or superstitions; that it has no place for magic, fetishism, bedevilment etc. According to the Prophet, we should appeal to God only; he never pretended to know the future or attempted to live above the level of his fellowman.

On the day his son Ibrahim passed away, it so happened that there was a sun eclipse which the people attributed to the death of the boy. Hearing this news, the Prophet hurried to the mosque, led the man in prayer, then addressed them saying: "The sun and the moon are heavenly phenomena. They are not eclipsed by the death or birth of any one. When you see an eclipse, remember God".

The Prophet prayed and fasted, but never exaggerated in conforming with the commands of God. He led a Godly life, but never went to extremes in expressing his devotion but kept his poise and sedateness all the time. He was austere and asectic but never trespassed the normal bounds. All the blemishes we find now crept into Islam from nations with which it came in contact after the conquests.

I do hope our younger people would realize all this.

The Suppression Complex :

Repression is among the reasons that lead the young astray from religion.

I know many educated young people who do not observe religious rites because when they were young their fathers or teachers forced them to perform these rituals.

Instead of forcing these rites upon them, we should show our guidance in an appealing, interesting, persuasive way and refrain from applying stern measures except when necessary, and always within limits.

A father can induce his child to pray by giving him some extra money the school can give him higher conduct marks, we could make of the first day of Ramadan an occasion for rejoicing, and presents may be given to children who fast. We can encourage children who help the poor by increasing their pocket-money etc.

The adolescents, however, need different persuasive methods. The scouts and sports teams should include the practice praying and fasting in their regulations. The force of persuasion in this respect, is by far stronger and more effective than rewards, promises or threats.

Employees and workers who observe prayers and fasting should be given certain privileges in the field of their annual leave, promotion, bonuses, etc.

Finally, I should like to point out that purification before prayer must be rendered easy so that whenever ablution is not within easy reach, other means (al tayammum) may be permitted so that the youth would get into the habit of praying and thus be automatically induced to avoid other moral deviations. Again, we should allow them to join two prayers into one when necessary; that is better for them than not to pray at all when they are rushed in the struggle for work which is characteristic of this era.

(to be continued)

sinking in a muddy spring) just as we see it setting in the Nile, although we are fully aware that it does not.

7 — To the cultured, youths, here is one more explanation showing, why they should not follow science blindly : I refer to verse 91 of Surah The Cave (Al-Kahf) again " Till when he reached the rising-place of the sun, he found it rising on a people for whom We had appointed no shelter therefrom ". This verse was anomalous when people believed that the earth was flat and immobile while the sun revolved around it. How was it, then that God left (the people) exposed to the sun ? Again, how could it be so, although the Quran admits the existence of night and day ?

Nowadays, however, when the old theory was replaced by the one stating that the Earth is round, that its annual rotation keeps one of its poles in permanent daylight and the other in total darkness during several months of the year, the meaning of the above mentioned verse became clear.

This is one of the best examples that warns us not to be so rashy, as to reject religious statements because of their seemingly apparent incongruity.

Comprehension simplified :

Simplifying the comprehension of religious teachings is one of the best means to attract youths towards observing the religious rites. These simplified teachings are not available, unfortunately, either in homes or in schools. The way to religious teaching is blocked by the huge pile of books which startle the youths by their size, and are difficult to understand even by some scholars. The way is also blocked by the mental stagnation of some teachers and leaders who

answer the questions and enquiries with anger and cursing and look upon any objections as anathema.

Here is an example of how difficult our religious teachings are for the Arabs.

The Quran, wherein God says to the Arabs : " We have sent it down as an Arabic Quran, in order that ye may learn wisdom " contains over one thousand Arabic words unintelligible to the Arabic speaking cultured youths who hear them night and day on the radio ... to say nothing of the non-Arabic speaking Moslems.

If we want an easy and effortless conveying of the religious teachings, we should furnish our youths with clear, simple, attractive books, we should provide them with broadminded, competent teachers, well versed in educational Psychology, and capable of coping with the modern youths of to-day.

The facilities we find in Cairo U.A.R. and some of the other Arab countries are not sufficient, many Moslems in Africa and Asia know nothing of Islam, except its name. They are as much in danger of being exposed to the attacks of atheism as those who are living in the neighbourhood of Al-Azhar.

Culture versus superstition :

The cultured youths feel a repugnance towards religion because of the fallacies, superstitions, fetishism etc, which stuck to Islam unjustifiably.

It is therefore imperative that the Academy of Islamic Research should free the religion from these blemishes.

If the youths read through the Quran, they will find that in every Surat, even

light of atomic laws ? power of gravity ? electricity ? all the history illusions which are robed in definite truths, opinion, and scientific theories which the progress of science has proved basically wrong, while others were partly altered. As science marches on, it uncovers the hidden secrets of nature, as we have witnessed with the theory of relativity.

Under the circumstances, the youths of to-day must not build their final opinions on religious matters on the basis of science, since the very theories which they use as arguments to prove their atheistic views might turn out to wrong, after all.

1 — *Examples of the power of reason in Islam :*

The existence of God as a Creator is an undeniable truth which has been stated in the Books of the living religions. Examined by reason, as commanded by God in many a Quranic verse, it is readily grasped by the mind. It is not the acceptance of the idea that arouses rational controversies, but rather its denial ; the latter makes of the effectively existing world a creation without a creator and that is a blatant, unacceptable contradiction ; it also makes the result responsible for its cause, and that also is a rational impossibility. The Quran refers to these two impossibilities when it says : " Were they created of nothing, are were they themselves the creators ? " .

2 — Monotheism is one more truth mentioned in the holy Books. Its acceptance rationally presents no obstacles like the idea of polytheism.

3 — Refuting miracles is an anomaly, because belief in God implies belief in Him as Creator of that laws of nature ; if a miracle is a breach of law, the

creator of that law can surely break it at His will. Hence, it is wrong to say that it is impossible for God to do that.

I should like to mention here that miracles are not to be explained from a scientific point of view because such an explanation would be incongruous with the nature of miracles, as mentioned by Shaikh Abu el Nour al Mawzoun al Samarqandin his book.

4 — Resurrection, mentioned and ascertained in the Quran, is no more than a new creation, God who created man a first time can surely recreate him again . . .

On this subject, the Quran states ;

It is He who begins creation, then repeats it ; and for Him it is most easy.

5 — Al Isra'a is a miracle, He that laid the laws of nature can break them. Besides, through science, it is possible, now to cross the distance between Mecca and Jerusalem in a shorter time than did the Prophet Muhammad, God's blessings upon him.

6 — If, however, we meet a statement in the Quran which is rationally unacceptable, such as in verse 86 of Surah The Cave (Al-Kahf) mentioning " the man with the two horns " " and he followed a road. Till, when he reached the setting place of the sun, he found it setting in a muddy spring . . " In such cases, an explanation becomes imperative, since the earth is definitely smaller than the sun, (the Sun being 1,300,000 times bigger) and the whole picture is thus impossible. Our predecessors did not fail to clear it up by saying that (the man with two horns saw the sun setting at the horizon, beyond the sea or some lake, as if it were

OUR CULTURED YOUTH AND RELIGIOUSNESS

By : Sheikh Nadim Al-Jir

Mufti of Tripoli and Northern Lebanon

(CONTINUED)

Any young man who argues with himself or any one else about any religious problem, should first be fully acquainted with these contradictory opinions so as not to fall a prey to illusive thinking.

The impossible thinking is that which is incompatible with rational thinking such as saying: one is half of three; or the fraction is bigger than the unit; or, the mokattam hills could be put in a cup.

The ordinary impossibility, however, is not incompatible with rational thinking. We only consider it impossible because it does not conform with our habits, such as breaking the laws of nature by divine miracles.

I should like our youths to watch this difference between the impossibility of comprehending something and the difficulty of imagining it.

There are many facts which are rationally accepted which we find difficult to imagine such as the following examples :

a) if you cut a thin pieces of paper into two pieces, put them on each other, repeat the process fifty times, and make a pile of the whole lot, it would reach the moon.

b) Science proved beyond doubt that sound is produced by $\frac{1}{2}$ a million vibrations per second. — All this can be

grasped by the mind, but is impossible for us to picture it to ourselves.

I hope our youths would keep in mind this difference between the impossibility and the difficulty to imagine certain things so that when they can't imagine something, it does not necessarily follow that this something is impossible in itself. Should they pay attention to this difference between rational comprehension of problem and seeing its picture in the mind's eye, they would save themselves the trouble of arguing and fooling about in the struggle between belief and doubt or any other questions concerning faith, when they think or talk about them with others.

This should also be applied in distinguishing between a rational belief universally accepted and the individual differences in points of view. A man cannot impose his idea against public opinion with the mere excuse that he is free to do so. No new idea is accepted ipsofacto ; it must first be universally approved.

Again, there is the difference between scientific facts that have been proved correct beyond doubt, and the scientific facts which are still pending approval and might turn out to be incorrect, examples of which are many and sundry for instance : the earth is round, it rotates, what is light ? colour ? the rainbow ? the visible and the invisible world ? cosmic elements in the

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYYAT

Jumâdal-ûla
1385

ENGLISH SECTION

EDITED BY :
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

September
1965

Islam and Terroristic Conspiracies

The Grand Sheikh of Al-Azhar, has issued a statement condemning the serious conspiracies of the terrorist group of the "Muslim Brotherhood" (Al-Ikhwan — Al-Muslimeen). After explaining what 'Islam' means he said : "Terrorist societies have been able to distort Islamic teachings and to give false interpretations to a handful of beginners. An Islamic orientation cannot be implanted by force or terror".

The Grand Sheikh added : "If Islam has made it a sin for a muslim to take another muslim's money illegally how, then, one can legalizes taking the lives of innocent people and spreading panic among the peaceful society. How can he calls for destroying the properties of the masses and utilities vital for the life and wellbeing of the people and the country". . . . "how can a person claim to be a muslim and then collaborate with the enemies of Islam against his Muslim country men ?".

He explained in his statement the role of colonialism in this conspiracy and said : "Colonialism, having lost hope in

being able to live amongst you, to control you, and to feed on your country's blessings, has tempted a faction of you to destroy your gains and put obstacles in the way of your progress. Beware of the evil envy of these people and their plotting, in order to protect your revolution from relapse and keep your country free from subjugation, feudalism and capitalism". He added : "God knows what responsibilities Egypt and her leaders are shouldring today. He, therefore, guides them and guards against traitors and enemies, in order to allow them to proceed on their great task and to attain the ends of a United Arab World, an honest Islamic belief, and noble human ideals".

The Grand Sheikh warned Muslims against deception in disguise and he said : "Islam is without enigmas and without secret implications". He ended the statement : "Al-Azhar with all its colleges, institutions and other means of informations, gives you all teachings of Islam as God will's, clear of deceptive interpretations".

مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

مجلة شهرية جامعية

تَبَيَّنَتْ عَنْ شَيْخَةِ الْأَنْدَلُسِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِي

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده

«بدل الاشتراك»

٤٠ في المبرور العربية المتحدة

٥٠ ضاحج المبرورية

والمدرسين الطلاب تخفيض خاص

الجزء الرابع - السنة السابعة والثلاثون - جمادى الآخرة سنة ١٣٨٥ هـ - أكتوبر ١٩٦٥ م

سما السامع السامع

١٢
٢٩٢٢٦
دور

لماذا يقدسُ المصريونُ الخبزَ؟

بقلم:

أحمد حسن الزيات



وترى القرويين إذا قعدوا للأكل جماعة حرصوا على أن يضعوا الخبز على شمالكهم أو فوق مناديلهم ، فإذا انتثر منه فتات على الأرض سارحوا إلى التقاطه وتقبيله . فإذا ندت عن أحدهم فتيته ولم يبادر إليها نهروه وقالوا : « التي ما يلم النعمة يعمي » ، وهم يطلقون على الخبز وحده لفظ (النعمة) أو لفظ (العيش) لانه سبب النعيم والحياة .

ومن آيات جهنم للخبز أنهم يسرفون في أكله ، وأنهم يضعونه بركة في أساس البيت الذي يقيمونه ، ويعملونه تيممة في حزام الطفل الذي يعزونه ، فما السر في هذه القداسة ؟ وما السبب في هذا الحب ؟

من العادات التي اعتادها المصريون دون غيرهم من سائر الناس تقدس الخبز دون غيره من سائر الأكلات . ترى المصري ولا سيما القروي يرى بقايا اللحم أو الحضر أو الفاكة مطروحة على الأرض فلا تلفت نظره ولا تشغل باله .

وربما سقط من يده أو من فيه بعض البيضة أو الثمرة أو السجارة فيأنف أن يلتقطها ، ولا يكلف نفسه أن يجنبها وطء الأقدام التي تليه . ولكنه إذا وجد كسرة من الخبز على سواء الطريق ، أو على جانبه وقف وانحنى وبسمل وتناولها بخشوع ، ونفخ ما عليها من التراب ، وقبلها ثم حملها معه أو دفنها في مكان أمين !

سود عن المجاعات التي كابدها المصريون في السنين العجاف التي دبر أمثالها من قبل نبي الله يوسف ابن يعقوب عليهما السلام .

من هذه المجاعات التي لازمها الطاعون (الشدة العظمى) التي ضربت على مصر الجوع والخوف والموتان ثمانية أعوام في عهد المستنصر بالله الفاعل سنة ١٠٥٣ م حتى أكل الناس القضا والسكاب ثم أكل بعضهم بعضا .

والمجاعة الكبرى التي حاقت بالبلاد في عهد الملك العادل سنة ١٢٠١ م خولتها في بضعة أعوام مقبرة هائلة وارى فيها الموت الأسود أكثر الأحياء من غير واحد ولا شاهد ! وكان يزور مصر وهى في هذه المحنة عبد الطيف البغدادى الكاتب العالم المؤرخ فكتب يصفها ١٠ ودخلت سنة سبع (٥٩٧ هـ) مفترسة أسباب الحياة ، وقد يئس الناس من زيادة النيل ، وارتفعت الأسعار ، وأعطت البلاد ، وأشعر أهلها البلاء وهربوا من خوف الجوع ، وانفضى أهل السودان والريف إلى أمهات البلاد وانجلى كثير منهم إلى الشام والمغرب والحجاز واليمن ، وتفرقوا في البلاد أيدي سبا ، ودخل إلى القاهرة منهم خلق عظيم ، واشتد بهم الجوع ، ووقع فيهم الموت ، واشتد بالفقراء الجوع حتى أكلوا الميتات والجيف والقضا والسكاب والبحر والأرواح . ثم تمدوا ذلك إلى أن أكلوا صغار بني آدم ! فكثيرا ما يعثر عليهم ومعهم صغار مشويون مطبوخون فيأمر صاحب الشرطة بإحراق الفاعل فلنك والاكل ...

ورأيت صغيرا مشويا في قفة وقد أحضر إلى دار الوالى ومعه وجل وامرأة زعم الناس أنها أبواه

كان القمح وحده هو مادة القوت منذ درج المصريون على جنبات الوادى (لأن النرة جاءت متأخرة من أمريكا) . وكان فلاحنا القديم عبدا لهذه الحبة ، لا يعمل إلا لها ، ولا يهتم إلا بها . يبذرهما في غرين النيل حين ينحسر الماء بعد مائة يوم من شهر مسرى ، ثم يطلق الخنازير في الحقل لتدفن البذور بأرجلها في التربة ، ثم يقتبع أطوارها المتعاقبة من إبراق وإسبال وإحصاء ، فيستفيد بالملاحظة والتجربة بعض العلم يصوغه في ضوابط مسجوعة لا تزال الأقباء تقناقلها من جيل إلى جيل كقولهم مثلا : إذا صح قبح باب ، غلب النهاية هاتور ، أبو الذهب المنشور . في برمات ، امرح الغيط وهات . في برموده ، دق بالعودة . وهكذا تدور أمثالهم وتقصر أحلامهم على إنتاج هذه الحبة ، وكان لإنتاجها موقوفا بحكم الجفاف على فيضان النيل وكان النيل بحكم الطبيعة يفي ويخلف .

فإذا وفي انطلق المادون بالبشرى في الشوارع والأزقة واحتلت الحكومة بوقاه في العواصم والأقاليم ، وجرت الجوارى على مائه النجى بالهجة والغبطة ، فيرقص النساء ويفنى الرجال ويكون من كل أولئك هيمد قوى يدخل الأفس في كل بيت والسرور في كل قلب . ذلك لأن وفاء النيل معناه وفرة القمح ورخص القوت وتخلف الوباء . وإذا أخلف اقتضعت الأرض وماتت الحياة واشتد القحط وغلا القوت وفشا الطاعون وأصاب الناس بلاء عظيم .

كان نقص الفيضان نذيراً بالبلاء والوباء والانحلال والفوضى ، وفي المقرزى وابن لياس وأبي المحسن والبغدادى من مؤرخى مصر صفحات

ثم يذكرون كلها وأوها تسيل دقيقتا في الطاحون أو تستدير رغفانا في الفسرن ، أو تستحيل لقما في الغم ، كيف كانوا يمسون رقمهم في غيبتها بأكل الميثة وما هو شر من الميثة ، فاذداد حبهم لها وضنهم بها فينسبون إليها الأعاجيب وينظمون فيها المواويل ، وينسجون حولها الأساطير فيقولون مثلا : إنما الحببة الوحيدة التي هبطت مع آدم وحواء من الجنة ! .

تلك عهود خلت ! وهيئات والحمد لله أن تعود ! فبذ العام الثاني من هذا القرن أمنا بحجران أسوان الموت الأضبر وهو موت الجوع ، وأمنا بالطب الوقائي الموت الرخيص وهو موت الوباء ، وعلى الرغم من ذلك ما زلنا متأثرين بالآلام الماضية ومآسيه فنسمى الخبز بالعيش (أى الحياة) وندهو على العدو بالكبة (أى الطاهون) ! وأغلب الظن أن هاتين الكلمتين المأثورتين لن تمرتا من لغتنا المصرية حتى بعد (السد العالي) الذى سيحول الصحراء جنة وسيجعل الناس من طغيان الصحرة والقوة جنة ! :

المحرم من الرزقات

فأمر بإحراقهما ... ثم فشا فيهم أكل بعضهم بعضا حتى تقام أكثرهم ودخل في ذلك جماعة من المياسير والمساكين ، منهم من يفعله حاجة ، ومنهم من يفعله استغابة ... وكثيراً ما يترامى النساء والولدان ، الذين فيهم صباحة هلى الناس أن يشتروهم أو يبيعوهم وقد استحل ذلك خلق عظيم ، ووصل سلبهم إلى العراق وأحماق خراسان ... ولو أخذنا نقتص كل ما نرى ونسمع لوقفنا في التهمة أو في الهذر وجميع ما حكيناه مما شاهدناه لم نتقصده ولا تبعنا مظانه وإنما هو شيء صادفناه اتفاقاً ، بل كثيراً ما كنت أفر من رؤيته لبشاعة منظره .

ذلك بعض ما كان يقاسيه المصريون في سنى يوسف من فقدانهم حبة القمح وحرمانهم لقمة الخبز وما يتبع ذلك بالضرورة من انتشار الطاعون واضطراب الأمن فإذا أدبرت السنون العجاف وأقبلت الأعوام السان امتلات الأجران بالحبوب الذهبية وأقبل الناس عليها فرحين مسقيبين يلبونها بالأيدي ، ويقلونها بالآفواه ، ويزولونها من أنفسهم منزلة حبات العيون وحبات القلوب ، فلا يتركون منها سنبلة في حقل ولا حبة في بيدر ولا عودا في طريق



هَيْئَةُ الْأُمَمِ فِي رَأْيِ الْأَسَازِ الْأَكْبَرِ ”مُنَاسِبَةُ عِيدِهَا الْعَشْرِينَ“

العالمى ، مادام قد خاف من أمرها ، ولم يخضع لمقرراتها .

وبموقف جدى واحد تثبت الأمم المتحدة جدية شعاراتها ، وإخلاص منهاجها وصدق نواياها ، وفاعلية وسائلها .

وإذا كانت الأمم المتحدة قد رأت أن تميز هذا العام بأنه عام التعاون الدولى لخدمة السلام والتقدم - فإنى لا أعلمها أن التعاون بمعناه المجدى لا يتم إلا فى صفاء أجواء ، واستقرار أوضاع ، وأطمئنان خواطر ، ولا يكون ذلك - وفى الأرض عدوان يحمى ، وباطل يجامل .

وإن خير حماية يقدمها الإسلام فى عيد السلام ، هى أن نعرض المنتج الذى شرعه الله لفضاء على كل ما يبذل سلام الأرض وأمن العالم . من خلاقات تنشب إلى حرب تشب ، فإن الإسلام الذى ارتضاه الله للناس ديناً ، وجعله للأديان ختماً يعتبر السلام على الأرض غاية منهجه ، وهدف تعاليمه ، ليعيش البشر بنعمة الله إخواناً ينعمون بما سخّر الله لهم من قوى الكون وأسرار الوجود - ولهذا كان السلام شعار الإسلام ، فتحية المسلمين عند اللقاء السلام - وتحيتهم يوم يلقون بهم سلام وحين يسود السلام يصبح التقدم الإنسانى نتيجة حتمية للفراخ للخير ، والقساوى فى الطموح ، لأن طاقات البشر حينئذ تتساند ولا تتعاند .

وإن المنتج الإسلامى الذى يضمن سلام الأرض ،

يستقبل العالم اليوم العيد العشرى لهيئة الأمم المتحدة ، وتحفل الدنيا بتكريم إنشاء هذه الهيئة ، وبواعت ميلاد هذه المنظمة ، وإن حياتها لهذا اليوم دليل الإيمان بمحتمية وجردها ، وضرورة اعتدائها ، حتى تقتلع من النفوس الشريرة هوس القوة ، ودهونة القسطنطينية ، وحق الدوافع ، وضراوة الأساليب ، وهذا يعيش العالم بتانون الحق يتعاون على خير الوجود ويستمتع بجمال الحياة .

وإن هيئة الأمم المتحدة بشمول تكوينها ، ومواد ميثاقها ، واحتياج أهدافها ودولية إمكانياتها ، تستطيع إذا أخلصت النية - وجدت فى العزم ، أن تخلص الدنيا من خلاقات تعيش أُمم الأرض منها فى قلق يبدد الطاقات ، وحيرة تعزل عن السبيل ، وترصد يستنفد الإمكانيات ، وإعداد يوهن المصادر ، ولا يتم لها ذلك النجاح إلا إذا مسحت أراضى هذه الخلاقات مسحاً نزيهاً ، لا يعترف بخرائط رسمها الهوى ، وحددها العطفان ولا يبقى على استثمار يهدر كرامة الأمم ، وينال من عزة الشعوب ، ولا يقيم وزناً لحدادات استعمارية حتى يقطع سبيل الاحتمال على تسلي النفوذ ، أو اختلاس القواعد .

وإن الأمم المتحدة حين تواجه مشاكل العالم ، وبغيره إيمان ، وحيدة درس ، وهدالة وساطة ، وعزم رجولة ، تستطيع أن تعزل المهر على العدوان ، عن مجالها الإنسانى وتجمعها

وجمعه قول الله تعالى : وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تنفي إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين .

فالأمم المتحدة - لا يتم لها ما تريد من إقرار الحق ، وتمكين السلام إلا إذا كان لها من القوة ما يعينها على فاعلية قراراتها ، وواقعية مواقفها .

وهي الشعوب أن تشد أزر الأمم المتحدة ، فإن خطر الحرب لا يقتصر على الحكومات التي تشعلها - ولا على الحاكين الذين يحالفونها ، ولكن الشعوب هي التي تدفع أثمانها غالية - فوما ودعبا ، ودماء وأشلأا ، وترملا ویتا ، وتشويها وخرابا ، فعل الشعوب جميعا أن تعين الأمم المتحدة بكل وسائل العون ، والتأثير على حكوماتها لتجعل من الأمم المتحدة قوة تقدر على إنقاذ ما تقرر ، وإرغام من يبيد .

واقه أسأل أن يجعل عامها الجديد خيرا على الإنسانية ، وسلاما على الأرض وأمنا للبشر وإسعادا للشعوب .

شيخ الأزهر

مصطفى مأمون

فأصلح بها يشمله من مفاوضة ووساطة وتحكيم ، وسيلة الإسلام الأولى لإنهاء الخلف ، فإذا رضخ له المتنازعان فقد كفى الله المؤمنين القتال ، وإلا فعلى الباغى يجب أن يكون التجمع حتى ينفي إلى الحق ، وحين ينفي إلى الحق ، وتهدأ المواطن يكون الصلح ، على أساس العدل ، الذى لا يميل ، والحق الذى لا يتحيز - ولا يجر منكم شنتان قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله .

فهذا المنهج الإسلامى الواقعى ، يوضح للعالم أسباب فشل المخططات الدولية في فض الخلافات وإنهاء المنازعات ، لأنها إلى الآن لا تنال من الحلول ، إلا التوصيات غير الملزمة ، وإن ظهر الإلزام في بعض قراراتها فهو إلزام نظرى لا يستند إلى قوة تحميه ، وتجبر عليه ، ولهذا فشلت هبة الأمم في فض النزاع قديما بين اليونان وإيطاليا وبين اليابان والصين ، وبين إيطاليا والحبشة ،



سُلْطَةُ الشَّعْبِ

فِي نَظَرِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ

لِلْأَسَازِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ الْمَدَنِيِّ

بهم عن مستوى الشكاية أو النقد شأننا من شئون الحكم في دولة تقوم على الاستبداد والتعالى على الشعب واعتباره رعية يملكها راع ، لا رعية يسوسها واحد منها ، ولكن ذلك لا يصلح في أمة تؤمن بالحرية والمساواة وأن الحكم إنما هو خدمة عامة تؤدي في الشعب باسم الشعب ، وأن الحاكم ما هو إلا فرد قد اختاره المحكومون ليجلس في مكانه باسمهم ، وينفذ الحق والعدل فيهم ، ويرعى المصالح بينهم ، خاضعا لرقابتهم ، مثلا لإراداتهم .

إن هذا هو ما كان يؤمن به عمر على أساس ارتضاه منذ أول لحظة حين قال له الله تل من أفراد الشعب : « لو رأينا فيك أهوجا لقومناك بسيوفنا فقال : « الحمد لله الذي جعل في المسلمين من يقوم أهوجا عمر إذا أهوج بمحمد السيف » .

والواقع أن هذه النظرة إلى الحكم هي النظرة الصائبة التي تتحقق بها سعادة الشعب ويضمن أفرادها ويستقيم ولائهم وحكامهم ، فإن الولاة وأصحاب السلطة في أي جانب من جوانب الدولة ، إذا علموا أنهم محاسبون مراقبون ، وأن لكل فرد من أفراد الشعب أن يراجعهم ويجادلهم عن حق ، ويشكوهم إلى الرئيس الأعلى إذا لم ينصفوه ، فإنهم يجتهدون في إقامة العدل ، وتحقيق المصالح ، والابتعاد عن الظلم والتمييز والإهمال .

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أشد الناس حرصا على أن يشعر الولاة والعامل الذين يسند إليهم أمور الناس أنهم أجراء الشعب وخدمته ، فليس لهم أن يبيدوا عن مصالحه ، ولا أن يتحكموا في أفرادهم ، ولا أن يميزوا أنفسهم وأهلهم بمقوق أو مزايا لا تكون لغيرهم .

كان حرصه على ذلك ربما دفعه إلى لون من القسوة في معاملة الولاة ومحاسبتهم والتحقيق معهم فيما يقدم إليه من شكاوى فيهم ، وبعض الناس يأخذ عليه هذه الشدة ويرى أن الولاة وقادة الناس يمثلون هيئة الحكم ، وسلطان الدولة ، فإذا شعر أفراد الشعب بأنهم قادرون على دفعهم إلى التحقيق والسؤال أطمعهم ذلك فيهم ، وجرائم عليهم ، ومن شأن ذلك أيضا أن يضعف الولي ، فلا يستطيع أن يسير في سياسته قويا لا يبالى بأحد ، بل يرى أنه في حاجة إلى مصانعة هذا ، ومداواة ذاك ، وأن يستجيب لمن يعلم فيه الجراءة والتبجح والقذرة على المشاكسة ولو كانت هذه الاستجابة على حساب الحق والمصلحة ومن يغلبهم الحياء من الناس ، أو يقعدهم الضعف عن مطلب ما لهم ، أو التشكي بما يحمل بهم .

وهذه النظرة التي يقوم عليها نفذهم لاسلوب عمر في معاملة الولاة ، إنما هي مستمدة من أصول للحكم غير الأصول التي يبني عليها الإسلام ، ويستمد منها عمر ، فقد يكون تفخيم الولاة وتضخيم أسرهم والعلو

وراية أخرى : «سويين الناس في مجلسك وجاهك ، حتى لا ييأس ضعيف من عدلك ، ولا يطمع شريف في حيفك» .

وهذا التوجيه الذي وجسه به عمر أباموسى رضى الله عنهما يدل على فقهه وبصره بالسياسة التي يستقيم بها أمر الولاية مع الرعية ، فإن مركز الولاية يمكن للوالي من ثلاثة أشياء يتطلع إليها الناس ويرقبونها ولا يفوتهم أمرها ، وهى :

(١) وجاهة الحاكم .

(٢) مجلس الحاكم .

(٣) العدل في الحكم .

فوجاهة الحاكم - وهى المعبر عنها فى النص بالجاه أو الوجه - هى تلك الحالة التى تصحب عادة من آتاه الله نصيباً منه ، فإنها تجعل له مهابة ومظهراً وروعة ورواقاً وتجعل الناس يؤخذون بها ويدهشون لها فإذا صدر من الحاكم قول أو فعل يدل على أن جاءه الحكم ، أو وجاهة الحاكم ، قد اختل توازنها وانحرف حيادها بدأ الخلل يعترى الحكم من جانب المحكومين ومن جانب الحاكم ، فالمحكومون يشكون ، فيساور الضعيف منهم قلق تضطرب به نفسه ، ويدخل القوي منهم طمع يغريه ، أما الحاكم حين يعمل بوجهه أو جاهه ، فإنه يكون قد بدأ أول خطوة فى طريق الانحراف عن العدالة ، والتزجيج لدوافع الحب أو البغض الشخصيين ، فيمهد بذلك لما يساور المحكومين أو يداخلهم من حكمة .

ومجلس الحاكم هو المظهر الآخر لهيبته ووقاره ، وإليه أيضاً تتطلع الأنظار وتتوجه الرقابة ، فإذا خص به ، أو قدم فيه ، أحد على أحد دون مبرر لذلك ، فقد مال ميزان العدل ، وبدأ الشك فى الحاكم يداخل النفوس .

والشأن فى الإنسان أنه يطنى بالسلطان ، وتزداد شراسته إلى الظلم بالظلم ، فإذا ترك لهذه الطبيعة الغالبة ، مع قدرته وتمكنه ووسائل تسلطه ، أهلك الحرث والنسل وأفسد الأمور وأتعب الناس والله لا يحب الفساد :

ولا شك أننا لو خیرنا بين احتمال طغيان الحاكم وجبروته واحتمال نجى المتجنين من الشاكين والفاقدين لاخترنا الشاكى ، لأننا نستطيع أن نتدارك ما فيه من انحراف ، وأن نخلصه للخير والإصلاح ، ولا نستطيع أن نصد تيار الظلم والظلماني إذا انحرف الحاكم فطنى وتجبر .

فعمد رضى الله عنه وازن بين أن يطلق أيدى الولاية فى الشعب ، ويتركهم كل إلى أسلوبه فى الحكم ليحفظ هيبتهم ، ويصون كرامتهم وبين أن يحاسبهم ويجعل للشعب رقابة عليهم ، ورأيا فيهم ، فاختر الثانية ، وكان موافقاً لأعظم التوفيق ، وسأيرا لعدل الإسلام وحكمته أعظم المسيرة ، وسباقاً إلى ما يعتبر الآن أحدث النظم الديمقراطية ، التى تقوم على أساس مراقبة الحاكم ومحاسبته ، وأنه مسئول عما يعمل أمام الشعب الذى ولاه وأناجه منه .

ومن نورد هنا بعض ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، مما يدل على شدة يقظته ، وعمق إدراكه للأمور ، وحرصه على تمكين سلطة الشعب على الولاية وأصحاب الإدارات والرتاسات .

فمن ذلك ما جاء فى كتابه إلى أبى موسى الأشعرى وهو الكتاب الذى أودعه دستور القضاء .

«آس بين الناس - أى سويين الناس - فى وجهك وعدلك ، ومجلسك ، حتى لا ييأس ضعيف من عدلك ولا يطمع شريف فى حيفك ، وفى

« متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ »
ومن ذلك أيضاً ما رواه ابن الجوزي ، قال :
كان عمر بن الخطاب جالسا مع أصحابه ، فربه
رجل ، فقال له : ويل لك يا عمر من النار ! فقال
رجل : يا أمير المؤمنين ألا ضربته ؟ وقال له رجل
آخر ألا سألته ؟ فقال عمر : على بالرجل ، ثم قال
له : لم قلت ما قلت ؟ قال : تستعمل العامل ، وتشترط
عليه شروطا ، ولا تنظر في شروطه ! قال عمر :
وما ذاك ؟ قال عاملك على مصر ، اشترطت عليه
شروطا فترك ما أمرته به ، وانتك ما نهيت عنه ! -
وكان يقصد بذلك حاملا لعمر على مصر يدهي
« عياض بن غنم » - فبعث عمر إلى مصر بوجلين ،
فقال : سلا عنه ، فإن كان كذب عليه فأهلباني ، وأن
كان صدق فلا تملكاه من أمره شيئا حتى تأتيا بي به ،
فسألا عنه ، فوجداه قد صدق عليه - وهذا نوع
من البحث يشبه ما نطلق عليه في عصرنا الحاضر
اسم « التفتيش الإداري » -

فاستأذن الرجلان بيباه ، وأهلباه أنهما رسولا
عمر إليه ليأتيه ، فأتيا به عمر ، فسلم عليه فقال له
عمر من أنت وبلك ؟ قال : عاملك على مصر « عياض
ابن غنم » ، وكان عياض هذا رجلا بدويا ، فلما رأى
من ريف مصر أبيض وسمن - فقال له عمر : استعملتك
وشرطت عليك شروطا فتركت ما أمرتك به ،
وانتهكت ما نهيتك عنه ، أما والله لا أعاقبك عقوبة
أبلغ إليك فيها - أي أشدد عليك وأؤثر فيك بها -
ثم قال عمر : ايتوني بدراعة من كساء - أي جبة
محقوقة - وبعضا وثلاثمائة شاة من شاء الصدقة ،
وقال له : البس هذه الدراعة ، وقد رأيت أباك
وهذه خير من دراعتي ، وهذه العصا خير من عصاه ،
اذهب بهذه الشاة فارعها في مكان كذا وكذا - وذلك

والعدل هو الثمرة التي لا ينبغي أن تعرض لآفات
الهدوى حبا كان أو بغضا ، واسمه يؤذن بالقسوة
فإذا وقعت فيه التفرقة انهدم ولم يبق له مفهوم
مطابق لفظه .

فمن هذه الجوانب الثلاثة يؤتى الحاكم ، ويشقى
المحكوم ، والقسوة فيها هي سر صلاح الحكم ،
واطمئنان الحاكمين والمحكومين .

ومن ذلك ما روى في التاريخ وكتب السير من أن
عمر رضي الله عنه كان إذا بلغه أن عاملا له لا يعود
المريض ، ولا يدخل عليه الضعيف ، نزهه - أي
حزله عن ولايته .

ولاشك أن هذا فيه إعزاز وتكريم للضعف
وفيه ربط لصفة المسودة والتراحم بين الحاكمين
والمحكومين .

وما أعظم أن يشعر المريض بحنو الرئيس
أو الوالي عليه ، وعبادته له ، إن ذلك يفعل في نفسه
فعل السم ، وربما أعان على شفاؤه أو على سرعة
هذا الشفاء .

وكذلك إذا شعر الضعيف أنه يستطيع أن يصل
إلى من يتولى أمره ، فيبته ما يجد ، أو يستعين به
على ما لا يطيق ، فلا شك أن ذلك يقويه ، ويعظمته ،
ويشعره بأنه عزيز كريم .

● وكان عمر رضي الله عنه يقول : « أيما عامل
لي ظلم أحدا ، وبلغتني مظلمته فلم أغيرها ، فأنا الذي
ظلمته » .

● ومن أمثلة تحقيقه مع الولاة إنصافا للرمية :
تحقيقه مع عمرو بن العاص فيما فعله ابنه مع أحد
المصريين ، إذ ضربه بالسوط على إثر سباق بين
فرسيهما وقال له « أنا ابن الأكرمين ، وهذه القصة
معروفة ، وفيها قال عمر لعمر وكنيته المشهورة :

قال : نعم ، قالت : فأنت آمن من هذا ، قال : فإن أمير المؤمنين أرسل إلى بأربعائة دينار ، وهزم على أن أنفقها على وعليك ، وإن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أنغيثهم بأربعين خريفاً ، وواقه ما أحب أن لي حر النعم وأنى أحبس عن الفوج الأول ! قالت له امرأته : فدونكها فاصنع بها ما شئت ، فقال : هل من خرق ؟ فأعطته قيصاً لها خلقة فزقه خرقة ، ثم صر فيه ما بين أربعة إلى عشرة ، ثم طوحها في غلظة ، ثم خرج إلى باب الرستن من حصص ، فجعل يعطى الناس صرة صرة حتى بقيت صرة في الخلعة ، فدفعها والخلعة إلى وجل ، ثم رجع فذهب منه همه واستراح !

● وكان لعمر وال على حصص اسمه د عمير بن سعد ، - وكان مثلاً أعلى في العفة والإمانة والنصح لله ورسوله وعامة المسلمين ، فكتب عمر ذات يوم إلى جماعة من أهل حصص يقول لهم : اكتبوا لي فقرائكم ، فكتبوا إليه أسماء الفقراء ، وذكروا فيهم د عمير بن سعد ، - الوالى - فلما قرأ اسمه قال : من عمير بن سعد هذا ؟ قالوا : أميرنا ! قال : أوفقر هو ؟ قالوا : ليس أهل بيت أفقر منه ! قال : فأين عطاؤه ؟ - أى راتبه الذى يتقاضاه - قالوا : يخرج له كله ، لا يمسك منه شيئاً ، فوجه إليه عمر بمائة دينار فأخرجها كلها فتصرف بها ، فقالت له امرأته : لو كنت حبست لنا - أى أبقيت لنا - منها ديناراً واحداً ، فقال : لو ذكرتى لفعلت ؟

محمد محمد المرنى

في يوم صائف - ولا تمنع السائل عن ألبانها شيئاً ، واهل أنا آل عمر لم نصب من شفاء الصدقة ومن ألبانها ولحومها شيئاً ، فضى الرجل ، فلما آمن في سيره رده وقال : أنفمت ما قلت لك ، وردد عليه السلام ثلاثاً ، فلما كان في الثالثة ضرب الرجل بنفسه الأرض بين يديه ، وقال : ما أستطيع ذلك ، فإن شئت فاضرب حتى ! قال عمر : فإن رددتك إلى عملك فأى رجل تكون ؟ قال : لا ترى إلا ما تحب ، فردده فكان خير حامل !

● وكما كان يراقب الولاة ويحاسبهم على هذا النحو ، كان يعرف أخبار الصالحين منهم ، وسيرتهم الحسنة فيعينهم ، ومن أروع ما يروى في ذلك ما جاء في كتاب أسد الغابة ، من أن سعيد بن عامر الجهمي كان والياً لعمر على د حصص ، فكان كريماً جواداً بالمال على الناس لا يقع في يده منه شيء إلا فرقه ، حتى اشتدت فاقته ، وتحدث الناس بفقره ، فبلغ ذلك عمر ، فأرسل إليه بأربعائة دينار ، وكتب إليه بعزم عليه لينفقها على نفسه وأهله ، فلما قرأ الكتاب اهتم بها شديداً حتى تبين ذلك عليه ، فقالت له امرأته : نفسى فذاك ، مالى أراك مهتماً ؟ أبلغك موت أمير المؤمنين ؟ قال : أعظم من ذلك ! قالت : أبلغك من تغور المسلمين شيء ؟ قال : أعظم من ذلك ، قالت : وما هو ؟ قال : ابتليت بالدنيا ، وقد كنت محبب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أبتل بها ، وصحبت أبا بكر فلم أبتل بها ، وابتليت بها في حبة تمر ، ألا إن شر أياى لأيام عمر ! قالت له امرأته : وما ذاك - بأى أنت وأنى - قال : إنى أخافك ! قالت : إياى أعنى ،

فِيحَاتِ الْقُرْآنِ

تَقْلِبَاتِ الْإِنْسَانِ فِي سَرَّائِهِ وَضَرَّائِهِ

لِلْأَمْتِ أَذْغَبَ اللَّطِيفُ التَّبَكِّي

(١) وإذا مس الإنسان الضر . دعانا لجنبه ، أو قاعدا ، أو قائما

(ب) فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدنا إلى ضره

(ج) كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون — يونس — ١٢

« فلما كشفنا عنه ضره مر ، كأن لم يدنا إلى ضره » .

(ج) وحيث فكل الإنسان من الوفاء ، ولم يشكر لله تفريج بأسائه ، فإن الله يتركه لشيطنه الذي أنساه ذكر ربه ، فيظل مستحوذا عليه ، وسادرا به في الانحراف . كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ، « وإن أذقناه — الإنسان — نهارا بعد ضراء مسته : ليقولن ذهب السيئات عني ، إنه لفرح غفور ، يعني يغتر بتفريج كربته ، ويتأدى في بطره .

ثم يعرج القرآن في هذا الإنكار على حالة الإنسان حينما يكون في البحر ، وتلاحقه المخاوف أكثر ، وأكثر . فيتعرف إلى الله ، ثم يكون من شأنه مثل ما كان ، أو أشد نكرا . « هو الذي يسيركم في البر والبحر . حتى إذا كنتم في الفلك ، وجرين بهم بريح طيبة ، وفرحوا بها ، جاءتها ريح عاصف . وجاءهم الموج من كل مكان ، وظنوا أنهم أحيط بهم : دعوا الله مخلصين له الدين ، لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم : إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق ، يا أيها الناس إنما بنيناكم على أنفسكم » .

« وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ، فلما نجاكم إلى البر أهرضتم ، وكان الإنسان كفوورا » .

(١) يحدثنا القرآن في هذه الآية عن بعض ما في الإنسان من خصائص ، ونزعات تتطلب على كثير من البشر . . وبهذا البيان لا يكون المرء جاهلا بذاته ، ولا يزعم لنفسه شأنًا غير شأنه ، فيظل بعيدا عن مستواء الإنسان في التعقل الذي من أجله ، وبسببه كرمه ربه ، وفضله على كثير من خلقه تفضيلا والآية — تقرر أن الإنسان — في مجموعة أفراد — حينما يمس ضره في نفسه ، أو فيما يتصل به من أهل ، ومال يفرغ إلى دعاء الله : ضارعا ، مثلها بما تهيش نفسه من رغبات ، ولا يفتر عن دعائه وهو على جنبه ، أو في قعوده أو في قيامه . . حتى كأنه مستعصم بالله في كل آوته .

وتلك ظاهرة العبودية المتممة برهبها في إقبال دائم . . وهي — حقا — أكرم ما يلقى بالإنسان : تواضعا في نفسه ، وقداسة لله تعالى .

(ب) غير أن القرآن يكشف عن طوية الإنسان ويبدى أنه قد يكون على غير هذا الصفاء . وإنما هي ضرورة الجأته — وساجة أخضعته . فعندما تتجلى رحمة الله ويكشف عن عبده ضره ، ينسى ما كان يدعو إليه ، ويمر في مسلكه الذي كان عليه في هوج . كأنه لم يصادف بلاء ، ولم يواصل دعاء .

وهو حينئذ يأخذ نفسه بهذا الاتصال يكون معدودا
فيمن ذكرهم الله بقوله : « والذاكرين الله كثيرا ،
والذاكرات .. أعد الله لهم مغفرة وأجر عظيما » .
ولسنا نسوي هذه التوهية لمجرد الترغيب ، أو
لمجرد التوجيه : تلقفا من أسلوب القرآن بل المنطق
الصحيح أن المرء بحاجة قصوى إلى المولاة ربّه ،
ومناجاة : في يسره ، وعسره .

فإن تلك المولاة ، والمناجاة ، يحصن بهما العبد
نعم الله عليه حين سراته ، ويستديم بهما عناية الله
من زوالها ، ومن عادات السوء .

وتلك المولاة ، والمناجاة - أيضا - حين ضرته
يلطف بهما الإنسان مأساته ، قشيع في جنباته
ملاح الأمل لأنه تعلق دائما بذكر الله فاطمأن ،
وحسبه ذلك الاطمئنان ألا يذكر الله تعلقه بالقلوب ..
ولم جانب المنطق : واقع الحياة ، وما نرى على
مسرحتها من شئون ، فإن تعقل ذلك ، يوحى إليك
في هوادة من التفكير أنه لا بد لكل ذي نعمة ،
أو يؤمى أن يجد أسبابه إلى الله ، وأن يحتسى دائما
في رحاب الله ، فإن الله - وحده - هو الذى يسدى
نعماء لمن والاه ، بل ، ولمن عاداه ، وهو - وحده -
الذى يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء عن
عباده ، لا سواه ...

وإن يكن الإنسان مأخوذا عليه أنه يتلون
في موقفه حينئذ يدعو ، ثم ينصرف ، أو حينئذ يأس
ويحجم ، فإن له مساسكا ثالثا يهدف إليه القرآن
- كما أشرنا من قبل - وهو أن يفتح عقله ، وذممه
لوعى جديد ، وأن يستشعر من تلك التوجيهات
المقرونة بالترغيب ، والترهيب أن الله لا يرضى
على عبده بالعمى ، والتوفيق ، إذا وجه نفسه إلى
تركيبه نفسه قد أفلح من تركى ، ، ومن يؤمن
بالله يهد قلبه ، ،
هبر اللطيف العليم

وهكذا : من آيات مترادفة ، تعيب على الإنسان
أن يكون لاقباله على الله حين شدته لحسب ، فإذا
تكشفت غيمته انقلب إلى هتو . وكأنه آمن من
السوء ، أو نسي أن الدهر حوله قلب ، وأن نعمة الله
لا تكسب من طريق الكفران بها .
على أن للإنسان شأنا أقبح من هذا التردد ...
وهو أن يكون في ساعة شدته غير لاجئ إلى الله
ولا به الدعاء ، ولو تظاهرا .
بل يقف موقف اليأس في تحجم . فلا تهز البؤس
ولا يلين قلبه لضراعة .

وهذا شر ما تتمخض عنه نفسية الإنسان : فإنه
- حتى في فترة بلائه - يكون قلبه متحجرا على نفسه
أو أشد قسوة من الحجر . فهل يكون هذا الإنسان
متفاهما ، أو متجاوبا مع أحاسيسه الشخصية ، كما
كان سلفه الذى أخذ بالدعاء وقتما ، هذا دون ذلك
على ما بالأول من قصور وتقصير ... « وإذا مسه
الشركان يشوسا » ، « ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك
فأخذناهم بالأساء والضراء ، لعلمهم يتضرعون ..
فولوا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ، والمعنى أنهم لما
بغوا على رسلكم : بلوناهم بالأضرار في أنفسهم ،
وفي أموالهم ... لنعطهم فرصة الرجاء المفروض
فيهم ، ليتضرعوا إلى الله بالتوبة ، والدعاء ويحاولوا
كسب مرضاته .

ولكنهم لم يخشعوا لقدرة الله ولم يطمعوا في فضله
بل قست قلوبهم تلك القسوة الصخرية .
فهذا الإيمان في صلب الإنسان ، حتى في فترة
بلائه ، غاية ما تتصوره من حماية عن الرشاد .
وهي غفلة لم تقارنها فطنة ، لجاء القرآن تنبيهنا لنا
من سكرات الغرور ، أو الجهالة ، واجتذابا للعبث
أن يكون قريبا من ربه ، بعقله ، وقلبه ، ولسانه .

الإخوة الفتيان : صورة من اشتراكية الإسلام للأستاذ محمود الشقاي

في هذه البلاد كلها ، ويكون من ذلك كتابه العظيم الحافل : د تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ...

من هذا السجل الحافل الذي يصور حياة الناس في هذه الفترة : د القرن الثامن الهجري والرابع عشر الميلادي ، نختار صورة جماعة عاشت في بعض بلادنا الإسلامية كان نظامها وكانت فضايلها وآدابها أقرب ما تكون إلى مجتمع التآزر والتآخي الذي يدعو إليه الإسلام .

صورة كانت أقرب ما تكون إلى تلك المواخاة التي سجلها التاريخ لمجتمع المهاجرين والأنصار عندما هاجر الأولون إلى المدينة قتلقاتهم لإخوانهم الأنصار وأخى بينهم النبي عليه الصلاة والسلام فقسموا فيما بينهم أموالهم وما يملكون .

ونجد مما سجله ابن بطوطة عن جماعة : د الإخوة الفتيان ، هؤلاء أنهم لم يكونوا طائفة قليلة العدد ولا ضعيفة الجاه ، بل نجد أنه يذكر أنه لقي منهم مائتين في بلد واحد صغير ، ويذكر أنه لقيهم في كل بلد وقرية حل بها في تلك البقعة من البلاد الإسلامية التي زارها ويذكر أنه كان منهم الصانع العامل والفقير العالم والأمير ذو السلطان .

ولو أن هذه الجماعة الممتازة من الجماعات شملت رقعة البلاد الإسلامية كلها ؛ ولو أن منها هذا

د رحلة ابن بطوطة ، من أهم مصادر المعرفة عن البلاد الإسلامية والعربية قبل ستائة سنة ، ومن أعظم ما سجلت فيه صور المجتمعات التي عاشها الناس في تلك البلاد قبل هذا التاريخ ، وناهيك برحلة يقوم بها رجل يخرج من أقصى الشمال الغربي د من طنجة ، فيسير مخترقا بلاد الساحل الشمالي الأفريقي كلها : المغرب والجزائر وتونس وطرابلس وليبيا حتى يصل مصر فيعبط إليها ثم يتركها إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والصومال والبحرين والعراق وتركيا والقسطنطينية — قبل فتح الأتراك لها — وقرم والهند وجزر ملاديف ، التي يسميها : د ذبية المهل ، ثم يرحل إلى الصين ، ويعود بعد هذا إلى المغرب ثم يخرج منه مرة أخرى فيعبط الصحراء الكبرى حتى يدخل بجاهل إفريقيا فتهر النيجر وينعطف منه صاعدا حتى يصل أسوان ..

أليس هذا هو : د العالم المسكون ، يوم ذاك ، هذا بعض الدول الأوربية ..

فيذا انتهى من رحلاته تلك كان قد أمضى سائحا في الأرض نحو ثمان وعشرين سنة ١٠٠٠ وهو في كل ذلك يشاهد البلاد ويتعرف إلى الناس ويدرس ويسجل ويختزن في ذاكرته العجيبة حتى ينتهي من رحلاته كلها فيجلس إلى الناس في مدينة د فاس ، يحادثهم عما شاهد من العجائب والغرائب

نقيبا لهم ، ويكون النقيب وجاعته من الشبان العزاب ، ثم يبنى هذا النقيب زاوية ودارا للضيافة ، ويشترك الجميع في نفقاتها وخدماتها ونفقات ضيوفها : يخرج الجميع إلى صناعاتهم وأعمالهم ثم يجيئون في عصر كل يوم بما كسبوا فيشترون به الطعام والفاكهة ويضعونه بين يدي نقيبهم ، فإذا شهدوا ضيفا أو غريبا أو سمعوا أن واحدا منهم نزل بدمه أو قرع بينهم أنزلوه في زاويتهم ، وهي دائما مفروشة مضادة بالسرج والقناديل ، ولا يزال الضيف أو الغريب مقيما عندهم يأكل الطعام الطيب والفاكهة التي يجمعونها ويقدمونها إلى رئيسهم عصر كل يوم ، ويظل هذا حاله معهم حتى يستريح أو يرغب في السفر مهما طالت به وبهم الأيام ، فإذا لم يجدوا ضيفا اجتمعوا على طعامهم وشراهم فأكلوا وشربوا وغنوا وأقاموا زمنا في مرحهم داخل زاويتهم ثم انصرفوا إلى بيوتهم . وفي الصباح يقومون لأعمالهم ثم يجتمعون في العصر بما كسبوا واشتروا من الطعام والفاكهة ، وهكذا كالיום السابق .

وقد اتفق هؤلاء الفتيان الإخوة بآب بطوطة أول دخوله بلاد الروم : د الترك ، فتحدث واحد منهم إلى صديق له - لابن بطوطة - باللغة التركية - وكان لم يتعلمها بعد - فلما أنهى حديثهما سأله الصديق : هل تعرف ما يقول الرجل ... ؟ ثم أخبره بأنه يدهوه ومراقبته إلى ضيافته ، ونظرا إلى بطوطة إلى ثياب الرجل وهيئة فأشفق عليه ولكنه لم يشأ أن يرد ضيافته أمامه فيخجله ، فلما انصرف قال ابن بطوطة لصديقه : هذا رجل ضعيف لا قدرة له على ضيافتنا ولا نريد أن نثقل عليه ، فضحك الصديق وقال له : هذا فتى من الإخوة وهو خراز ، ولكنه

في هذه الاشتراكية التي تقوم عن طوعية ورضى نفس ، وتمسك بالأسس القوية الراسخة للتكافل الاجتماعي الذي يأمر به الإسلام ، ولو أن الناس في شرقنا العربي أدركوا هذه الحقيقة وساروا - وبخاصة أغنيائهم - على نهج هذه الجماعة فأقاموا هذه الاشتراكية المرضية فيما بينهم وبين الفقراء ، لو أن الأمر سار في هذا المسار لما قهرهم الحاكم على الاشتراكية بسطوة القانون .

• • •

أهلها : د أجل الناس صورا وأنظفهم ملابس وأطيبهم مطاعم وأكثر خلق الله شفقة ، ولذلك يقال : البركة في الشام والشفقة في الروم .

بهذه الكلمات الطيبات بدأ ابن بطوطة حديثه عن بلاد الروم . وما فصله من الأحاديث والأخبار عن زيارته لها ، وما حدثنا به من الصور والمشاهد والوقائع التي شهدناها فيها ، كل ذلك ينبي عن صدقه في وصفهم بهذه الأوصاف ويفصح عن وجودها عندهم ، وبخاصة تلك الأنباء والأحاديث والوقائع التي ذكرها عن طائفة د الأخبة ، التي كانت منقشرة في كل بقعة من تلك البلاد والتي كان أفرادها مثلا رائعا كريما في الشجاعة والكرم وصفاء النفس والتهافت على استضافة الغريب وإكرامه والقيام على خدمته . يصفهم ابن بطوطة بقوله : د لا يوجد في الدنيا مثلهم أشد احتفالا بالغرباء من الناس وأسرع إلى إطعام الطعام وقضاء الحوائج والأخذ على يد الطلبة ومن لحق بهم من أهل الشر ... وهم بجميع البلاد التركانية الرومية في كل بلد ومدينة وقرية ، ..

وكان نظام هذه الجماعة أن يختار أهل كل صناعة

وخاف ابن بطوطة وقومه وظنوا أنهم اصول قتلة وسخر الله عند ذلك رجلا يعرف العربية فسأله ابن بطوطة عن شأنهم فقال : هم فريقان من الإخوة الفتيان ، يريد كل فريق أن يستضيفكم . ولم يقع بين الفريقين شر ، رضوا أن يقترعوا على الضيوف وذهب القوم إلى من وقعت عليه القرعة ، لجاء باقهم وسلوا وأخذهم إلى زاويتهم وجاءهم بالطعام الوافر الجيد ، وذهب رئيسهم مع ابن بطوطة وقومه إلى الحمام فكان يقوم على خدمته بنفسه ويقوم أصحابه بخدمة رفقاء ابن بطوطة ، وكان الثلاثة والأربعة يخدمون واحدا من الضيوف ، وبعد الطعام والغفلة والحلوى قرأ القراء آيات من القرآن ثم أخذوا في الغناء والرقص ، وأرسلوا من أخبر السلطان خبر الضيوف فبعث بطلبهم .

فلما عاد ابن بطوطة ومن معه من زيارة السلطان وجدوا الفريق الذي لم تقع عليه القرعة ينتظرهم فذهبوا بهم إلى زاويتهم ، وهناك صنعوا معهم مثل ما صنع الأولون وزادوا عليهم أن صبوا ماء الورد على أيديهم بعد خسرو وجههم من الحمام ، وأقاموا على هذا الحال عندهم أياما . وقد لقي ابن بطوطة وقومه من الإخوة الفتيان في بعض البلاد والقرى أكثر مما لقي وروى في هذه النصة .

ويقول : إن بعض الفتيان الإخوة هؤلاء كان يتولى منصب القضاء ، وبعضهم كان شريفا يتولى النيابة عن ملك العراق . وكان بعضهم من الأمراء والحكام وكانت البلاد التي لا يوجد بها حاكم تخضع لحكم الفتى من الإخوة فيها . وله نظام الحاكم في ركوبه وخروجه . وبعضهم كان من الزهاد الصالحين وحيثما سار ابن بطوطة في تركيا شمالا وجنوبا وشرقا وغربا كان ينزل عند واحد من هؤلاء الفتيان

كريم النفس ، وأصحابه نحو ما قتين ، قدموه عليهم واختاروه نقيبا ، ثم شرح له نظامهم وأنباء بحالهم ، فإذا جاء المغرب قدم الفتى الخراز فأخذ ابن بطوطة ورفاقه إلى زاويتهم فوجدوها حسنة مفروشة بالبسط الحسن . معلق فيها الكثير من ثياب الزجاج العراقي والمواقد النحاسية الجميلة والفوانيس عليها خادم خاص بها . وكان في الزاوية جماعة من الإخوة في لباس حسن ونظام حسن في وسط كل واحد منهم سكين طولها ذراعان ، ويجلس الجميع في الوسط وضعت مرتبة ، للضيوف . فلما استقر ابن بطوطة ومن معه في مجالسهم جاء لهم الإخوان بالطعام الكثير والغفلة والحلوى ثم أخذوا يغنون ويرقصون حتى انصرفوا عنهم آخر الليل ، وهم يمججون من سماحتهم وكرم نفوسهم

وفي جميع البلاد والقرى كان هؤلاء الإخوة الفتيان يتلقفون ابن بطوطة ومن معه فيصنعون معهم هذا الصنيع الذي يصنعونه مع كل ضيف وقادم .

ويقول ابن بطوطة إنه نزل قرية صغيرة ، هند لإمامها ، لجاء الإخوة لاستضافتهم ولكن الإمام أبى عليهم ذلك ، لجاء الفتيان بطعامهم وضيافتهم إلى بستان واحد منهم وذهب الجميع فأكلوا وسعدوا ثم يقول : إنه وقومه لم يكونوا يعرفون لغة القوم ، وكذلك هؤلاء لا يعرفون العربية ، ومع ذلك أمضوا يومهم في هناء ومرح وسعادة .

وعندما دخل ابن بطوطة وقومه مدينة لاذق ، أزعجه وهم يبرون في سوقها أن رأى جماعة يخرجون من حوانيتهم فيمسكون بأهنة خيلهم وبرز آخرون ينافزونهم ذلك حتى سل كل من الفريقين السكاكين

في طريقهم ماء عتيق أرادت أن تجسزه على فرسها فلما توسطته ألفت بها الفرس عن ظهرها ، وشهدا جماعة فرموا بأنفسهم إلى الماء حتى لحقوا بها وأخرجوها وقد كاد أن يدر كها الفرق . ومات خادمها غرقا .

ولم تسكن زوجات السلاطين وحدهن السافرات بل كانت نساء الترك جميعا غير محجبات : يقول لانه ومن معه كانوا كلما نزلوا بلدا يتفقده أحوالهم الجيران من الرجال والنساء ، وهن لا يحتججن فإذا سافروا هنهم ودعوهن وودعهن كأنهم أقارب ونزى الفساء باقيات لفراقنا متأسفات .

ومن ذلك نعرف ما كان للدرأة التركية يوم ذاك من منزلة وخلق وأن منهن من كانت تسافر مع خدمها وتواجه المخاطر على فرسها حتى تكاد أن تهلك غرقا .

ومن المظاهر الاجتماعية التي سجلها خروج بعض السلاطين لصلاة العيد في مدينة دلازق ، حل هاهيم عيد الفطر فخرجوا وخرج السلطان إلى المله ليحيط به عسكري والفتيان الاخوة وكلهم يحمل سلاحه كما يخرج أهل الصناعات يحمل أهل كل صناعة أعلامهم وأبواقهم وطبولهم يفاخر بعضهم بعضا في حسن الهيئة وكال البهاء والرونق وكثرة السلاح وهم يسوقون أمامهم البقر والغنم وأمال الخبز يتوجهون أولا إلى المقابر فيذبجون الذبايح ويفرقون لحومها وما معهم من الخبز على الفقراء ثم يقصدون بعد ذلك إلى صلاة العيد . وبعد الصلاة يذهب الرحالة ورفقاؤه مع السلطان إلى منزله حيث يقوم سباط للفقهاء والمشايخ والفتيان وآخر للفقراء ، فيأكل الجميع ولا يره يوم ذاك عن طعام السلطان أحد .

محمد الشرفاوى

وكانت زواياهم لا تنطفئ نارها في الشتاء أبدا ، يصنعون في كل ركن من أركان الزاوية موقدا ، يصنعون فوقه مداخن يصعد منها الدخان فلا يؤذي الزاوية ولا من فيها .

وفي بعض البلاد كانت توجد - إلى جوار الزوايا الخاصة بالإخوة الفتيان - دار أخرى تسمى دار السيادة ، لا ينزلها إلا الأشراف ، وكان نقيهم يقيم فيها ، ويخرج لهم ، مدة مقامهم فيها ، الفرش والطعام والشمع وغيره ثم يتزودون منها عند منصرفهم .

المدراة : شجاعة عاملة كريهة :

ونعرف بعض أحوال البلاد الاجتماعية مما سجله ابن بطوطة فيها : وأكثر ما نعرف من ذلك من المرأة ، في حديثه عن « كوتامية » يقول إن أكثر الصناعات فيها من الفساء يقمن بنسج الثياب من القطن الملم بالذهب . وفي حديثه عن « قيسارية » يقول إن إحدى زوجات أمهرها علاء الدين كانت من أكثر الناس ذكاء وأكرمهم وأحسنهم خلقا وأبرعهم حديثا ، ولم تكن تحجب عن الرجال دخل إليها ابن بطوطة ، فقامت وأحسنست السلام والسلام وأمرت بإحضار الطعام فأكلنا ، ولما انصرفنا بعثت إلينا بفرس ملجم وخلعة ودرهم مع أحد غلمانها واعتذرت من التقصير ، وفي مدينة « يزنيك » كانت ، الخاتون ، زوج السلطان هي التي تحكم المدينة ، وهي فاضلة صالحة كما يقول وكانت من النساء في تركيا من تعلم الفروسية وتركب الخيل ، عند خروجه وقومه من « نكجاء » كانت تتقدمهم امرأة على فرسها ومعها خادم ، وكانت تقصد البلد الذي يقصدون ، فتبعوها وكان

الجبـال في القرآن الكريم

لأستاذ الدكتور محمد أحمد النمرى

- ١ -

وهاتان الآيتان وما قبلهما وما بعدهما أحداث يتلو بعضها بعضاً ، والله أعلم بفترات ما بينها ، وهى فى العدد اثنا عشر حدثاً عظيماً ، وتأملها يدل على أن نصفها الأول من الأشراف ، ونصفها الثانى من الوقائع التى تكون بصد قيام الساعة فى يوم البعث فقسيم الجبال حدث من أحداث ستة عظمى تقع بين يدى يوم البعث ، ولذا جاء الفعل فيها مبنيًا للجهول (ولذا الجبال سيرت) كما جاءت أفعال الآيات العشر الأخرى فى أوائل سورة التكوين .

وتجىء آية سورة الكهف (ويوم نسير الجبال) بضمير المتكلم ، ضمير الجلالة ، فتدل على أن الجبال حين سيرت إنما سيرها الله سبحانه ، فأمره قامت وبأمره سارت سيراً فعلياً كما تدل عليه آية الطور (وتسير الجبال سهواً) ثم تجىء آية النبأ فيها الفعل مبنى للجهول مرة أخرى بعد أن سبق النص بضمير الجلالة فى آية الكهف على أن المسير هو الله سبحانه . لكن ليس فى هذه الآيات الثلاث بترتيب نزولها هذا ما يدل على مصير الجبال بعد مسيرها ، حتى تأتى فائدة آيات التفسير ، آية سورة النبأ : (وسيرت الجبال فكانت سراباً) فتنبئ بأن الجبال حين تسير فقسير إنما ينتهى بها سيرها إلى الفناء فلا يبق لها من الوجود الذى كان إلا كالموجود الذى يكون فى السراب . هذه أربع آيات كريمة يجمع بينها اشتراكها فى ذكر ظاهرة تقع بالجبال عند الرجفة الأولى بين يدى يوم البعث يوم القيامة الكبرى . وهناك أربع آيات أخرى تتعلق بظاهرة أخرى تقع أيضاً بالجبال هى ظاهرة

جاء ذكر الجبال فى القرآن الكريم بلفظها فى نحو تسع وعشرين آية ، وبوصفها أنها رواسى فى نحو تسع آيات ، وماكلة نحو هنا لإلا من باب الاحتياط فقد يكون ندعنا موضع فى العدد أثناء الاستقراء .
الجبال والقيامة :

ومن الآيات التسع والعشرين التى ذكرت فيها الجبال بلفظها إحدى عشرة آية تتعلق بالقيامة وأشرافها جاءت فى إحدى عشرة سورة هى حسب ترتيب السور فى المصحف : الكهف وطه والطور والواقعة والحاقة والمعارج والمزمل والمرسلات والنبأ والتكوين والقارة .

أومى حسب ترتيب نزول الوحي بها : المزمل والتكوين والقارة والمرسلات وطه والواقعة والكهف والطور والحاقة والمعارج والنبأ . من بين هذه الإحدى عشرة سورة أربع أنبأت أن الجبال تسير فقسير ففسير ألا وهى : التكوين والكهف والطور والنبأ . فى آيات أربع هى حسب ترتيب لنزول (ولذا الجبال سيرت) التكوين .

(ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة) الكهف (يوم تمور السماء موداً ، وتسير الجبال سيرا) الطور (وسيرت الجبال فكانت سراباً) النبأ وآية سورة التكوين جاءت تسلوها آية (ولذا العشار عطلت) فدل ذلك على أن تسير الجبال هلامه من علامات الساعة أومى بدء قيامها إذ العشار كانت لا تزال موجودة فى الدنيا وإنما أصابها التمثيل ،

بالجبال أما على التعاقب فيسهر الجبل ثم ينسف ،
وإما على التقسيم فيسهر بعض الجبال وينسف البعض
الآخر ، ولأثالث لهُذين الاحتمالين . لكن الاحتمال
الأول تتمتع منه آية سورة النبأ : (وسُيِّرَتِ الْجِبَالُ
فَكَانَتْ سُرَابًا) إذ الجبال بعد أن انتهى ما القصير إلى أن
تفنى وتكون سُرَابًا لا يمكن أن يلحق بها نفس وقد
اندمت بالفعل . فلم يبق إلا الاحتمال الثاني . قيتعين
أن يكون الفناء عن طريق التسيير خاصاً ببعض
الجبال ، والفناء عن طريق النسف خاصاً ببعض
الآخر . وهذا يقتضى أن تكون الجبال صنفين :
أحدهما : يقبل بفطرته التي فطره الله عليها أن
ينسف بعد أن يصير بالرجفة كثيباً مهيباً والآخر
يقبل بفطرته أن يسير حتى يصير سُرَابًا ولا بد
من تغيير في هذا الصنف يعهد للتسيير كما مهد للنسف
في الصنف الأول بالانهيال ، إذ كل من الصنفين
في حالته الدنيوية راسخ راس ، لا بد في حكمة الله
من إعداده للنسف والتسيير .

وفي آيتي المعارج والقارعة - أو القارعة
والمعارج حسب ترتيب النزول - ما يؤيد هذا
الاستنباط من أن الجبال صنفان ؛ لأنهما تذكيران
تحولاً لتصير إليه الجبال يخالف ويقابل ما تصير إليه
من كشيء مهيل كما في آية المزمل . فإن الآيتين
كثيماً تذكيران أن الجبال تكون كاللحم ، وتزيد آية
القارعة وصفاً للحم : (يوم يكون الناس كالفرش
المبشوث وتكون الجبال كاللحم المنفوش) والحم
هو الصوف المصبوغ ؛ فالآية الكريمة تقول : إن
الجبال يوم القارعة تكون كالصوف المصبوغ
المنفوش ، وانكل من هذه الكلمات الثلاث دلالتها .
فالصوف فيه من التماسك ما ليس في الرمل الذي
يكون في السكيب المسيل ، وإن الجبال التي تصير

الذسف . هذه الآيات الأربع هي حسب ترتيب نزولها :
(يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال
كثيباً مهيباً) المزمل .
(وإذا الجبال نسفت) المرسلات .
(ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً
فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً) طه .
(إذا رجفت الأرض رجاً . ونسف الجبال بساً .
فكانت هباءً منثباً) الواقعة .

والآيات الأربع المقصودة هي طبعاً التي ذكرت
الجبال فيها بلفظها . وقد ذكر معها من الآي ما يزيد
موضوعها وضوحاً . وقد ذكر النصف صراحة في
الآيتين الثانية والثالثة ، وذكر بمعناه في الآية الرابعة .
أما الآية الأولى ، آية المزمل فهي تتمد للنسف
بذكرها مقدمته من صيرورة الجبال كثيباً مهيباً ،
إذ من الواضح أن الجبال إذا صارت كثيباً مهيباً
فقد أعدت لأن تنسف نفساً وتكون هباءً منثباً .
ومن هنا ألحقت آية المزمل بالآيات الثلاث الأخرى
وإن لم يذكر فيها النسف لا باللفظ ولا بالمعنى .

هاتان إذن مجموعتان كل من أربع آيات تتحدث
عن ظاهرة تقع بالجبال ، ظاهرة تسيير وسهر
(وتسيير الجبال سيرا) ، وظاهرة نسف (ويسألونك
عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً) فهل ما ياترى
ظاهرة واحدة فيكون تسيير الجبال هو عين نسفها ،
أو هما ظاهرتان مختلفتان ؟ إن التغيير الذي قطعته
الجبال فتسهر سيراً حقيقياً غير النسف الذي تَبَسَّ
به الجبال بَسّاً فتكون هباءً منثباً . واتحادهما
يقتضى حمل أحدهما على الجواز . والجواز يقتضى
قرينة تدل عليه في نفس الكلام ، وهذه القرينة
مفقودة في أي الآيات الثمان . فالتسيير والنسف
إذن على حقيقةتهما . هما ظاهرتان مختلفتان تتولان

حيث تؤكد تقسيم الجبال إلى ذينك الصنفين اللذين يصير أحدهما بالرجفة كثيبا مهيلا ويصير الآخر كالعين المنفوش ، فلولا وصف العين بالمنفوش في الآية الكريمة لجاز أن يكون تشبيه الجبال بالعين راجعا إلى التشابه في اللون والصبغة لحسب لا إلى التشابه في شيء من صفات الصوف الأخرى كالتماسك الذي يكون بين الياباه وفيها ، والذي استندنا إليه في التفرقة بين الجبال التي تنهال كثيبا والجبال التي تنفث كالصوف .

تبقى من الإحدى عشرة آية المتعلقة ، بالجبال وأحداث القيامة آية واحدة هي آية الحاقة : (وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة) . والله أعلم بكيفية ذلك الحمل ثم بكيفية ذلك الدك . لكنهما على أى حال يستبعدان تلك الأحداث التي تقدمت بها تلك الآيات الكريمة العشر . فالدك يحول الجبال إما إلى كسبان مهيلة ينسفها الله بما يشاء كيف يشاء ، وإما إلى حافة من التحلل والتفكك تصير بها بقية الجبال كالصوف المنفوخ المنفوش ثم يسيرها الله بعد ذلك بما يشاء كيف يشاء حتى تصير سرايا وأثرا بعد حين .

بقيت آية من الجبال هي معجزة قرآنية علمية لأنها تقرر حركة انتقالية للأرض قبل أن يعرفها العلم بقرون ، ويعلقها قدامى المفسرين بالآيات السابقة ذكرها إذ لم يكن يحظر بياهم أن للأرض حركة ، وينسكروا بعض المحدثين أن تكون الآية من الجبال في الدنيا ، في حياتنا هذه ، صونا للآيات القرآنية أن تقع علميا في النظريات العلمية ، بل أن تقع علميا الحقائق العلمية فأسين أن الطريق الصحيح لصون القرآن عن مثل هذا ليس هو إيراد الباب دون إثبات الإعجاز العلى للقرآن ولكن هو النقد الدقيق لدليل ذلك الإعجاز .

بالرجفة كثيبا مهيلا غير الجبال التي تصير كالصوف في طبيعتها وتكوينها وفيما تصير إليه يوم الرجفة ، وإذا كان انهيار الأولى يهونها للنسف ، فنفسك الثانية حتى تكون كالصوف يهونها للسهو بالتدوير الذي تصير به بعد سرايا .

والجبال التي قال الله عنها في الآية من سورة فاطر (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود) .

هي التي تصير بالقارة كالصوف المصبوغ ، (ومن) التبعية في هذه الآية الكريمة تدل على أن الملون من الجبال هو الذي يصير كالعين ، وأن ليس كل الجبال كذلك . ففيها مثلا الأبيض كله مثل جبال الطباشير والحجر الجيري المتبلور أو غير المتبلور ، وهذه لا يمكن أن تكون هي المشبهة بالعين ، والصوف المصبوغ .

فالجبال في الآيتين السكريتين (وتكون الجبال كالعين) (وتكون الجبال كالعين المنفوش) مقصود بها الملون من الجبال لا مطلق الجبال وهذا محل لنا الإشكال الناشئ عن المعنى المتبادر من فهم الجبال على إطلاقها في هذا النص وغيره من نصوص الآيات الثمان السابقة . فالجبال كلها مصيرها إلى الزوال والفناء بين يدي الساعة أو حين تقوم الساعة لكن لا بطريقة واحدة . فليس كلها يصير كثيبا مهيلا ، وليس كلها يصير كالعين قبل أن يذهب ويذول ، إذ ليس كلها ذا تكوين واحد ولا خواص واحدة ، وعلاء طبقات الأرض الذين تعددت أقسام الجبال عندهم هم الذين يستطيعون زيادة هذه الناحية من الموضوع بياناً .

ووصف العين بالمنفوش في آية سورة القارة له أهمية ودلالة ، لأن حيث تيسر تسيير الجبال بعد أن تصير إلى هذه الحال فبا يبدو ، ولكن من

تلك الآية العجيبة هي آية أواخر سورة النمل :
(وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ،
صنع الله الذي أتقن كل شيء ، إنه خبير بما تفعلون) .
وكل حجتهم فيما أنكروا أن آية الجبال مسبوقة

بآية النفخ في الصور : (ويوم ينفخ في الصور
ففرع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء
الله ، وكل أنه داخرين) فالسياق في رأيهم يقتضي
أن تكون آية الجبال متعلقة بيوم النفخ في الصور .

وقد تناولنا هذه المسألة في غير إفاضة في أواخر
مقال سابق (١) لم يسمح المقام فيه باستيفاء بحث
نقطة السياق هذه اكتفاء بما سبق معها من دلائل
هلى أن الآية الكريمة تنبئ بمحركة للجبال في الحال

تشبه حركة السحاب الذي يتحرك لا بالذات ولكن
بواسطة الرياح التي تحمله ، وإذن فللجبال حركة
لا بالذات - لأنها في رأى العين جامدة - ولكن
بواسطة الأرض التي تحملها . أى أن الآية الكريمة
ثبتت للأرض حركة انتقالية عن طريق إثبات حركة
للجبال تشبه حركة السحاب وهي معجزة علمية قرآنية
لا شك فيها والسياق الذي استند إليه منكر هذا
المعنى أو المفزى للآية الكريمة لا ينبغي أن يقتصر
فيه على الآية قبلها لحسب . وإذا توسعنا فيه ليشمل
أربع آيات آخر وجدنا مثالا كالذى احتجوا به إلا
أن الحجة فيه عليهم لا لهم وجدنا ثلاث آيات في
يوم البعث أو الحشر تلها آية كونية لا يمكن أن
ترجع إلى يوم الحشر بوجه ما . والآيات الأربع هي :
(ويوم نحشر من كل أمة فوجا من يكذب
بآياتنا فهم يوزعون حتى إذا جاءوا قال : أكذبتهم
بآياتي ولم يحيطوا بها علما ، أم ماذا كنتم تعملون ،

فصلو صحت حجة من يزعم أن آية (وترى
الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) متعلقة
بيوم النفخ في الصور لجرد أنها مسبوقة بآية (ويوم
ينفخ في الصور) الآية لصحت حجة زاعم أن يزعم
إن آية (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه
والنهار مبصرا) متعلقة بيوم الحشر لجرد أنها
مسبوقة بآيات ثلاث عن يوم الحشر أولاها (ويوم
نحشر من كل أمة فوجا من يكذب بآياتنا فهم
يوزعون) .

فالساق في هذه الآيات الكريمة الأربع دلالة
على عكس ما يظنون : يذكر بيوم القيامة لئلا
ووعيدا وزجرا لغير المؤمنين ثم يأتي ببعض آيات
الله في الكون الدالة عليه سبحانه لعلمهم يؤمنون ،
وكذلك الحال في الآيتين التابعتين للآيات الأربع :
يذكر وينذر بيوم القيامة في آية (ويوم ينفخ في
الصور) ثم يذكر آية أخرى لله في الكون تدل عليه
سبحانه في آية : (وترى الجبال تحسبها جامدة) الآية
ثم يتابع حديث يوم القيامة في الآيتين بعدها : (من
جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون
ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل
يجزون إلا ما كنتم تعملون) ثم يعود إلى الدعوة إلى
الله على لسان رسوله وهي المقصود الأول في هذا
وفي القرآن كله : (إنما أمرت أن أعبد رب هذه
البلدة الذي حرما وله كل شيء وأمرت أن أكون
من المسلمين) الآيات الثلاث حتى آخر السورة ؟

إلى أي مدى تنغير الأحكام الشرعية بتغير الأزمان؟ للأستاذ بدر عبد الباسط

- ٨ -

ليلة الإسراء والمعراج وكانت بمكة قبيل الهجرة بثلاث سنوات تقريباً .

وذهب جماعة من أهل العلم إلى أنه لم تكن - هناك - صلاة مفروضة قبل الإسراء اللهم إلا ما كان قد وقع الأمر به من صلاة الليل من غير تحديد ثم نسخت فرضيتها، وفرضت الصلوات الخمس على الأمة، وبقيت مشروعية التغفل بها، وبالنسبة للرسول صلوات الله وسلامه عليه بقي اقتراضها على أصح الأقوال ؛ وهذا وقد روى غير ذلك ولا حاجة إلى استيعاب ما قيل لقلة الجدوى بعد أن أصبح أمر هذه الصلوات غير ذي موضوع كما أنه لم يرد إلينا نص يعتمد عليه عن كيفية الصلاة قبل الإسراء .

هذا ولا يجوز لأحد أن يقول بالاكتفاء بركعتين - في الحضر - في كل من صلاة الظهر والعصر والعشاء لأية علة كمرض أو مطر أو خوف بعد انتضاء الإجماع على أن الصلوات الرباعية لا يجوز قصرها في حالة الحضر ، نعم شرع فيها التخفيف على وجه آخر كأن تكون من قعود أو اضطجاع أو إيماء .

(ب) التطور في بعض شروطها :

وأذكر من ذلك استقبال القبلة وتحريم الكلام . روى البخاري ومسلم بسنديهما عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال : كان رسول الله صلى الله

قلنا في المقال السابق : إن هناك أحكاماً تطورت بالنص ثم استقرت - أخيراً - على وضع لا يجوز لأحد - مهما كانت مكانته - أن يغير فيه أو يبدل أو يرجع إلى تشريع قد فسخ وصار غير مشروع ؛ وتحدثت من تطور الدعوة ، واليوم نتكلم عن تغييرات آخر تطورت ثم استقرت وهي على سبيل المثال لا الحصر .

١ - الصلاة وهي الركن الثاني من أركان الإسلام ، وقد دخلها التطور من حيث العدد وبعض الشروط وكيفية الأداء إليها .

(١) التطور من حيث العدد :

روى البخاري بسنده إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت : فرض الله الصلاة ركعتين ركعتين في الحضر والسفر ؛ فأقوت صلاة السفر ، وزيد في صلاة الحضر .

وذكر ابن حجر في شرح البخاري (فتح الباري) عن ابن خزيمة والبيهقي وابن حبان عن عائشة رضي الله عنها من طريق الشعبي عن مسروق أنها قالت : فرضت صلاة الحضر والسفر ركعتين ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأطمأن ، زيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان وترك صلاة الفجر لطول القراءة وصلاة المغرب لأنها وتر النهار .

هذا ومن المعلوم أن الصلوات الخمس شرعت

عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يتوجه إلى الكعبة ، فأُنزل الله عز وجل : « قد نرى قلبك وجهك في السماء » فتوجه نحو الكعبة ، وقال السفهاء من الناس : وهم اليهود : « ما ولام من قبلهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » .
والبراء هذا أنصاوى وخبره عما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم حينما هاجر : ومن المعلوم أن الصلاة - كما تقدم - فرضت ليلة الإسراء بمكة قبل الهجرة فإلى أى قبلة كان يتجه في صلاته ؟ أخرج الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما : كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه ، فكأنه كان يتجه إليهما معا ، وهذا يمكن ما دام بمكة بأن يتجه إلى الشمال بحيث تكون الكعبة أمامه ، وأما في المدينة فلا يتأتى ذلك لأن بيت المقدس شمالها ومكة جنوبها فإذا استقبل أحدهما استدبر الآخر ؛ وهذا الآخر المروى عن ابن عباس رضى الله عنهما من تخريج الإمام أحمد أولى بالقبول من الآخر الذى رواه الطبرانى عن ابن جريج من أنه صلى الله عليه وسلم أول ما صلى إلى الكعبة ثم صرف إلى بيت المقدس وهو بمكة فصلى ثلاث حجج ثم هاجر فصلى إليه بعد قدومه المدينة ستة عشر شهراً ثم وجهه الله إلى الكعبة ،

والذى تضافرت عليه الروايات أن توجهه إلى الكعبة أولاً وثانياً وتوجهه إلى بيت المقدس كله كان بوحى وتوقيف من الله تعالى ، وما ورد أن توجهه إلى بيت المقدس كان من اجتهاد منه صلى الله عليه وسلم - لأن النبي صلى الله عليه وسلم

حينما هاجر كان اليهود كثرة في المدينة فأراد أن يتألفهم ، - فقول ضعيف قد رواه الطبرى عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وهو كما قال ابن حجر ضعيف ، ثم هو قول مردود لقوله تعالى « وما جعلنا القبة التي كنتم عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه » فقد أسند جعلها قبلة إليه تعالى بضمير التعظيم ، وهذا ينبغي أن يكون اتجاهه إلى بيت المقدس بمحض اجتهاده صلى الله عليه وسلم لقصد التأليف ؛ ومع هذا فإنه على فرض صحة الخبر بأنه توجه تأليفا لليهود ، فإنه يمكن أن يقال : إن التوجه إلى بيت المقدس كان من وحي وإن الحكمة فيه هو تأليف هؤلاء اليهود وإقامة الحجة عليهم بأنهم قوم أشربوا العناد وحب المخالفة وإقامة الحجة عليهم - أيضاً - أنهم قوم لا تنفع معهم سياحة الملاينة والملاطفة فن يقر : إن الرسول توجه لتأليفهم فقد نظر إلى الحكمة من التشريع ؛ ولم ينظر إلى مصدر التشريع اطمئناناً منه إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينطق من الهوى إن هو إلا وحي وحي ، وما كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن يشرع شيئاً من تلقاء نفسه - مهما كانت الدوافع إليه - ولا سيما في أمر كآمر الصلاة .

وأياً ما كان فليس لأحد بعد أن نزل قوله تعالى « قول وجهك شطر المسجد الحرام » ، وكررها في أكثر من آية أن يقول بجواز التوجه في الصلاة في حال الأمن والقدرة إلى غير الكعبة مهما كانت المسوغات التي يتوهمها ، فليست هذه المسوغات إلا حبال تلجأ إليها الأهواء الكاذبة وما هي إلا من وحي الشياطين .

هذا ما يتعلق بأمر استقبال القبلة ؛ وأما مسألة

من عالم بالتحريم متعمد لغیر مصلحة الصلاة أو لغیر إنقاذ مسلم من هلكة مبطل للصلاة ؛ وأما إذا فقد قيد من هذه القيود ففيه اختلاف بين الفقهاء ليس هذا مجال تفصيله ؛ والذي يهنا أن كلام الناس في الصلاة أخذ طورين الإباحة مطلقا والحظر مطلقا عند بعض الفقهاء أخذوا بظواهر هذه النصوص التي سقطت أو الحظر في بعض الأحوال دون بعض الأدلة رجحت عند البعض الآخر .

ولا يجوز لأحد - الآن - أن يقول بإباحته مطلقا مهما كانت الأسباب والدواعي .

(ج) النداء للصلاة :

لم يصح من وجه يمكن الاعتماد عليه أنه كان للنبي صلى الله عليه وسلم ولاصحابه وم بكم وسيلة خاصة يدعون بها إلى الصلوات إلى أن هاجروا وكثر المسلمون بالمدينة ؛ ويحدثنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما على ما رواه الهيثخان بسنديهما أنه قال : كان المسلمون حين قدموا المدينة مجتمعون فيتحينون الصلوات وليس ينادي بها أحد فتكلموا يوما في ذلك فقال بعضهم : اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى ، وقال بعضهم : قرنا مثل قرن اليهود فقال عمر رضي الله عنه أولاتبعثون رجلا ينادي بالصلاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بلال قم فتاد بالصلاة .

وكان هذا النداء مجرد إعلام بالصلاة ليس على صفة الأذان الشرعي ؛ فإن الأذان لم يكن قد شرع بعد . وروى مسلم بسنده عن أنس بن مالك أنهم ذكروا من وسائل الإعلام بالصلاة أن ينوروا نارا . هذا وقد بقي الاكتفاء بالإعلام فترة إلى أن شرع الأذان بالصيغ المعروفة وكان ذلك في السنة الأولى من الهجرة أو السنة الثانية ، ولذلك قصة لا بأس من ذكرها .

التكلم بكلام الناس في الصلاة فقد اجتاز طورين الأول الإباحة والثاني الحظر .

فقد روى البخاري ومسلم بسنديهما إلى عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : دكنا نسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة فيرد علينا فلما رجنا من عند النجاشي (أى في المرة الثانية) سلمنا عليه فلم يرد علينا ؛ وقال صلى الله عليه وسلم إن في الصلاة شغلا ، أى بقراءة القرآن والذكر والدعاء ، ولأنها مناجاة بين العبد وربّه تستدعي الاستغراق في خدمته فلا ينبغي أن يشتغل بغيره .

وكذا روى الشيخان عن زيد بن أرقم أن كسا تتكلم في الصلاة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم أحدا صاحبها حاجته حتى نزلت وحافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ، فأمرنا بالسكوت وزاد مسلم : ونهينا عن الكلام ولا شك أن الكلام المنهى عنه هو كلام الناس وإلا ففي الصلاة قراءة ودعاء وهما كلام .

ومن هذا الباب ما رواه مسلم بسنده عن عطاء ابن يسار عن معاوية بن الحكم السلمي قال : بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم فقلت : يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم ، فقلت : واثكل أمياه ١١ ما شأنكم تنظرون إلي ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأتهم يصفتموني ... سككت ؛ فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبأبى هو وأبى ما رأيته معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه ، فو الله ما كهرني (أى ما اتهرني) ولا ضربني ولا شتمني قال : « إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن هذا وقد أجمع العلماء على أن التكلم بكلام الناس

حقوق العمال في الإسلام

د. استاذ جمال الدين عياد

من العمل :

للواطنين ، وتتبع أخبارهم ، حتى يستقروا في أعمالهم الجديدة ، ويحققوا النجاح (١) .

ومن الملاحظ أن المجتمع الإسلامي نفسه ، وملا في بعض أفراده ، كان له دوره في تيسير سبل العمل للأشخاص العاطل ، فلقد عرض الرسول عليه السلام مناسكات الرجل على من حضر مجلسه من المسلمين ، وقال : من يشتري مني هذين ؟ يريد الفصح والكساء ، فقال رجل : أنا أخذهما بدرهم . فقال عليه السلام : «من يبيد على درهم ، مرتين أو ثلاثاً ؟

أتى رجل من الأنصار رسول الله يسأله ، فأمره عليه السلام أن يأتيه بما يملك ، وكان يملك قدسا وكساء ، فباعهما له ، ثم أمره أن يأكل بنصف الثمن هو وأهله ، ويشتري بالنصف الآخر قدوما ، فشد عليه السلام عودا ، وأمره أن يحتطب به ، ولا يأتيه قبل خمسة عشر يوما .

وقد استدلل بعض الكتاب بهذا الحديث على مبلغ اهتمام الدولة الإسلامية ، بمثل في شخص الرسول عليه السلام ، بمحاربة البطالة ، وتيسير سبل العمل

(1) The Islamic Review, September, 1952

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

ولا هجرة باختلاف العلماء في صيغ الأذان والإقامة كثنائية التكبير أو تربيعة أولا وكالتجميع في الشهادتين وكإفراد ألفاظ الإقامة إلى غير ذلك فإن كل هذه وردت عن صاحب الشرع وترجع عند كل منهم صيغة خاصة أخذ بها لكن أصل الأذان وألفاظه متفق عليه ؛ لا يجوز لنا أن نستحدث وسيلة أخرى للإعلام بدخول أوقات الصلاة ؛ فإن الأذان من شعائر الإسلام .

هذا وإلى مقال آخر لنتحدث - إن شاء الله تعالى - عن تشريعات أخرى تطورت وتدرجت ثم استقرت على وضع ثابت .

بسم الله تعالى عبد الباسط

روى أبو داود في سننه والترمذي في صحيحه وغيرهما أن عبد الله بن زيد بن عبد ربه رأى في المنام رجلا يؤذن فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقص رؤياه فقال عليه السلام) لأنها رؤيا حق إن شاء الله تعالى فقم مع بلال فألقها عليه فإنه أُنذرى صوتا منك ؛ وأن عمر رضى الله عنه جاء وأخبر أنه رأى مثل ذلك .

وسواء كان أمره صلى الله عليه وسلم بلال أن يتعلم الأذان من عبد الله بن زيد كان من وحى أو من اجتهاده صلى الله عليه وسلم فإنه تشريع لا يجوز أن نعيد منه وتتخذ وسيلة أخرى للإعلام بدخول وقت الصلاة ؛ فإن كان من وحى فالأمر واضح وإن كان من اجتهاده منه فإن تقرير الله تعالى على اجتهاده يعتبر تشريعا من الله تعالى يجب العمل به .

فقال رجل : أنا آخذهما بدمعيني ، فبأحدهما إياه . وكان ثمن هذه الصنفقة وأمس مال الأنصارى في عمله الجديد ، وهكذا تضارفت جهود الأمة نمشة في رئيسها عليه السلام ، وبمض أفرادها ، ليجد أحد العاطلين سبيلا إلى العمل والكسب الحلال .

ومن الملاحظ أيضا أن الرسول عليه السلام لم يعن الرجل من بيت المال ، لأنه كان يملك ما يستطيع بشئنه أن يشق طريقه في الحياة ويكسب قوته من طريق حلال ، وعليه فربما جاز لنا أن نقول : إن الدولة لا ينبغي لها أن تعين العاطلين من بيت المال متى كان لهم ملك يستطيعون استئثاره بالعمل . ومع أن الرجل لم يكن يملك غير حاجات ضرورية لا غنى عنها بغير مشقة ، فلربما أثر - عليه السلام - أن يحمله هذه المشقة بدلا من أن يعينه من بيت المال ليشعره بفضيلة الاعتماد على النفس وليضرب المثل للعاطلين أن يكونوا عوناً للدولة في حل مشاكلهم ، بدلا من أن يلقوا بثقلهم كله عليها .

تأمين العامل منه نظيره :

ومن حق العامل ألا يكلف من العمل ما لا يطيق إذ يقول عليه السلام في حق العمال من الرقيق : ولا تسكفهم ما يطالبهم فإن كلفتمهم فأعينهم^(١) ويقول : للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف من الأعمال إلا ما يطيقه^(٢) . وكان عمر يذهب إلى العوالى (وهي اقربى المجتمعة حول المدينة) كل يوم سبعة ، فإذا وجد عبداً في حمل لا يطيقه وضع عنه منه^(٣) . ومن الملاحظ أن هذه الأحاديث خاصة بالرقيق كما قدمنا ، غير أن الرسول - عليه السلام - إنما

(١) صحيح مسلم بفتح الميم ، ج ١٦ ، ص ١٤٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٤٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٤٦ .

(٤) السورة ٢ ، الآية ٢٨٦ .

(٥) السورة ٤ ، الآية ٢٨ .

(٦) السورة ٢ ، الآية ١٨٥ .

(٧) السورة ٢ ، الآية ١٨٤ .

(٨) سنن ابن ماجه ، ج ٢ ، ص ١١٨ .

(١) صحيح البخارى ، ج ١ ، ص ١٥٠ .

(٢) محمد بن إسماعيل الأمير ، سهل السلام ، ج ٣ ، ص ٧٧٢ .

(٣) مالك بن أنس ، لموطأ ، ص ٩٨٠ .

(من وقت العمل) ما جرت به العادة من الوضوء والصلاة وسننهما والرواتب وقضاء الحاجة والاستراحة المعتادة عند الخلل على الظهر ونحوه... وكذا السبت لليهودي، والأحد للنصراني، والأجرة لازمة (١).

وربما تضمن هذا الحق الراحة أثناء العمل اليومي أو تضمن راحة أسبوعية أو شهرية أو سنوية، أو تضمن هذا كله أو بعضه تبعا لظروف العمل المختلفة. وكذلك كانت سنة الرسول في العبادات إذ كان عليه السلام يضطجع للراحة إذا أتعبت العباد، كما كان لا ينهض من سجوده حتى يستوى جالسا وتسمى هذه الجلسة في كتب العبادات جلسة الاستراحة (٢) والفقهاء فيها على قوانين: فريق يعدها من سنن الصلاة بحيث يستحب فعلها لكل مصل، وفريق لا يعدها من السنن وإن كان يجيزها لمن يحتاج إليها أو لمن يجد في نفسه حاجة إلى الراحة (٣) أثناء الصلاة (٤).

وقد كان عليه السلام يقعد بين السجدين ويعطيل القعود حتى يقول الصحابة قد أوهم أو نسي (٥).

كفالة العامل عند عجزه عن العمل:

فلقد صالح خالد أهل الخيرة على أمور منها: كفالة كل عامل ضعف عن العمل لكبر أو مرض أو كارثة وفي ذلك يقول: «وجعلت لهم أيما شيخ (عامل) ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فاقترع وصار أهل دينه يتصدقون عليه،

ولقد سمع عليه السلام امرأة من الليل تصلي، فقال من هذه؟ فقيل له: هذه الحولاء بنت توبت؛ لا تنام الليل؛ فذكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى هرفت السكرامية في وجهه ثم قال: «إن الله تبارك وتعالى لا يمل حتى تملا، أكلفوا من العمل ما لكم به طاقة» (١).

وهن عبد الله بن عمرو قال: «دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ألم أخبر أنك تقوم الليل وتقوم النهار؟ قلت بلى. قال: فلا تفعل: قم ونم وصم وأفطر فإن لجسدك عليك حقا؛ وإن لعينك عليك حقا وإن لزورك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا» (٢).

وخلق يدين ينهى عن إرهاق النفس بالعمل الديني أن يكون أشد نهيا عن إرهاقها بالعمل الدنيوي (٣). وعليه فربما جاز لنا أن نقول: إن من حق العامل ألا تطول به ساعات العمل بحيث ترهق سينا وأن الله سبحانه قد فرض على العامل فرائض شتى غير العمل كعبادة وبه، ورعاية زوجته، وتربية ولده وأداءه حتى (٤) بدنه وطلب العلم النافع له في الدين والدنيا، بحيث لا يجوز أن يشغله العمل عن شيء من هذا، وهي حقيقة ينبغي أن يضعها موضع الاعتبار كل قانون يحدد ساعات العمل.

ومن حق العامل نفيا للإرهاق أن يستريح بين الحين والحين بما يجد نشاطه، وقدرته على العمل وقد أشار أبو الحسن بن مفتاح إلى هذا الحق فقال: ويستثنى للخاص — أي للأجير الخاص —

(١) مالك بن أنس للطوائف ١ ص ٢٩٠.

(٢) صحيح البخاري ٨ ص ٣١.

(٣) كلهم راجع وكلهم مستثله عن رعيته «حديث شريف»

(٤) راجع ما رواه عبد الله بن عمرو عن رسول الله

في هذه الصفة.

(١) أبو الحسن بهداه بن مفتاح، شرح الأزهاري ٣ ص ٢٧٨.

(٢) راجع أيضا الرمل، نهاية المحتاج، ٤ ص ٢٠٨.

(٣) ابن السبكي، زاد المعاد في هدي خير البهادر ١ ص ٨٣.

(٤) المصدر السابق ص ٦١.

(٥) نفس المكان.

ولما يجب أن تتفاوت بتفاوت الأعمال التي أنجزوها كما وكيفما .

وهذا بطبيعة الحال ، لا يمنع الدولة من أن تقر حدا أدنى للكفالة يضمن للعاجزين عن العمل حياة طيبة مهما يقل مستوى خدماتهم السابقة كما أو كيفا .

كفالة زوج العامل وأولاده بعد وفاته :
وفي هذا يقول الرسول عليه السلام - بوصفه رئيساً للحكومة الإسلامية الأولى : « من ترك مالا فلورثته ، ومن ترك كلاً فإلينا ، والكمل كل عيّل ، والذرية منهم فجعل كفاتهم على أولى الأمر أو على بيت المال ، والحديث - كما نرى - عام يعم أبناء الدولة الإسلامية ، بما فيهم عمال الدولة وسائر ما تواف العمال .

وكان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - خير مطبق لهذا المبدأ الذي وضعه الرسول عليه السلام . فلقد خرج يوماً إلى السوق فلحقته امرأة شابة فقالت : يا أmeer المؤمنين ، هلك زوجى وترك صبية صغاراً ، ولا لهم زرع ولا ضرع ، وخشية عليهم الضياع (أى السنة الجسدية) ، وأنا ابنة خفاف بن أيمن الغفارى ، وقد شهد أبى الحديدية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوقف عمر ولم يمتض ، وقال : مرحباً بنسب قريب ، ثم انصرف إلى بعير ظهير (أى قوى) ، كان مربوطاً في الدار ، لحمل عليه غرارتين ملاءهما طعاماً وجعل بينهما نفقة وثياباً ، ثم ناولها خطامه فقال : اقتاديه فإن يغنى هذا حتى يأتيكم الله بخير .

ولقد عمر كان - عليه الرضوان - يقرر للأرامل حقهن في بيت المال مهما تختلف بين الديار ، حتى ليقول : « أما لئن بقيت لأرامل أهل العراق لأدهن لا محتجن إلى أحد بعدى » .

جمال الدين عباد

طرحت جزيته ، وعيّل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام .

كما أمر عمر بكفالة العامل إذا أقدمته الشيخوخة عن العمل ، إذ مر يوماً بشيخ كبير ضرير يسأل الناس - فضرب هضده من خلفه وقال : من أى أهل الكتاب أنت ؟ فقال يهودى . قال : فما ألجأك إلى ما أرى ؟ قال : أسأل الجزية والحاجة والسنة فأخذ عمر بيده وذهب إلى منزله فوضع له بئى ، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال : أنظر هذا وضرباءه فراقه ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم .

ولهذا يقول أبو يوسف : لا تؤخذ الجزية من أعمى لا حرفة له ولا عمل ولا من الشيخ الكبير الذى لا يستطيع العمل ولا شئ له .

ولئن كانت هذه الأخبار خاصة بأهل الكتاب ، فإن المسلمين أولى بالرعاية وهذا واضح من قول عمر « والفقراء هم المسلمون » .

ومن الملاحظ أن كفالة العامل أو سد حاجته عند عجزه عن العمل قد تكون بالرخيص كما تكون بالغالى النفيس ، فهل تكفل الدولة العمال على اختلاف أقدارهم بمستوى واحد ، أو تكفلهم بدرجات متفاوتة تفاوت أقدارهم أو أقدار المناصب التي كانوا يملكونها ؟

هذه مسألة لم تعرض لها المراجع الإسلامية ، ولا نجد نصاً صريحاً بشأنها ، غير أن العدل الذى أمر الله به يقتضى أن يأخذ كل إنسان بقدر ما أعطى ؛ وعليه فلا يجوز أن يعطى من أكلت الدولة شبيبته - على حد قول عمر في قصة اليهودى - أو من قدم لها الجليل من الخدمات كمن لم يعط شيئاً أو لم يقدم غير اليسير ، ولهذا ربما جاز لنا أن نقول : إن كفالة الدولة للعمال لا يجوز أن تكون بمستوى واحد ،

مكانة الأسرة في الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

وتنتهى بهم وبآبائهم وأجدادهم سلسلة النسب إلى ذكر وأنتى كما يقول الله : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لنعرفوا ، فالأسرة هى حجر الأساس فى بناء المجتمع ، والمجتمع القوى السليم هو الذى يتكون من أسرة قوية سليمة ، ومن ثم نجد الإسلام - وهو دين الفطرة - يؤكد روابط الأسرة وبقرىها . ويباركها ويكرمها ثم يتعهد بما يصلحها وينتجها بها الوجهة المثلى حتى لا تنحرف إلى عصبية ظالمة تطفئها القوة . وتنسبها حق الضعيف كاليتم والمساكين ، وحق الجار القريب والجار البعيد وحق الصاحب بالجانب وابن السبيل ، وكل ذلك بعض ما يفهم من قوله تعالى : واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجانب وابن السبيل وما ملكتم أيما نكح إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا . وتظهر عناية الإسلام بالأسرة فى تكرار الأمر بالإحسان إلى ذوى القربى . وفى الحديث على صلة الأرحام ، كما تظهر فى النفقة التى أوجبها على القادرين الموسرين للحتاجين المعسرين من الأصول والفروع كالأب والجد والابن وابن الابن ، وفى تحريم الزواج بمن يتصل بقرابة قريبة كالعمة والحالة وأم الزوجة وبنتها ، والأخوات من الرضاعة .

كل هذا وما إليه من الأحكام التى أوجبها الإسلام يدل على أن الأسرة حرمة يجب أن ترحى ، وكرامة يجب أن تسان ، وحقوقا يجب أن تؤدى ، ولا شك أن فى نظام الميراث ما يؤكد ذلك ، فإنه يقوم على

من الوالدين والأقربين تتكون الأسرة ، وقد لوحظ فى تسميتها بهذا الاسم معنى الأسر وهو القوة ، ومعنى الإيسار وهو الرباط القوى أو السير من الجلد يشد به الشيء ويحكم جمعه ووضع ، والمناسبة فى ذلك قوية غير خفية ، فإن الإنسان يتقوى بعشيرته وأهل بيته كما يتقوى به عشيرته وأهل بيته ، لأن رابطة قرابته منهم تجمعهم بهم . وتصل حبله بحبالهم . وأمله بآمالهم ، هذا إلى ما يسود جو الأسرة من المعاني الفطرية السامية كالولد المتبادل . والشعور بمعاني الأمومة والأبوة والأخوة والعمومة والحنو له وما إلى ذلك من المعاني التى تحقق التقارب والتجارب والتعاون على جلب الخير ودفع الشر ، وهذه المعاني هى الأساس أو المنبع الذى تقوم عليه أو تنبع منه المعاني الإنسانية العامة ، كالرحمة فإنها مشتقة من الرحم وكالمساواة فإن أساسها الشعور بالأخوة الإنسانية ، وكالكرامة فإنها ترد إلى شعور الإنسان بقيمته التى منحه الله إياها حين جعل أباه آدم خليفة فى الأرض وحين جعل بنى آدم كما يقول فيهم : ولقد كرمنا بنى آدم وجعلناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ، فإن المتأمل فى التعبير بسكلة د بنى آدم ، عن الناس أجمعين يشعر بأن النبوة لأصل واحد تقتضى الشعور بالأخوة بين الجميع ، وبأن تكريم الله لهم يقوم على أساس هذا الشعور وهذا الاعتبار ، فبين الناس جميعا رحم جامعة ، وهم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم أسرة كبرى تتكون من أسر صغرى

والحياة الطيبة الكريمة ، فان رأى منها ما لا يسره في بعض الأحيان ذكر لها ما يسره في كثير من الأحيان وتذكر مع ذلك قول الله في ذلك ، وما شروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ، وقوله تعالى ، والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ووزقكم من الطيبات أفبا باطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون .

من ذلك - وغيره - تظهر عناية الإسلام بالأساس الذي تقوم عليه الأسرة ، وبالمكانة التي ينبغي أن تكون عليها الأسرة ، لأن الأسرة هي أساس المجتمع كما جاء في أول دستور أهلته الثورة ولأن أبناءها كما يقول الله فيهم ، وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين ، وقد قرن الله صلة الأرحام بتقواه حيث يقول : ، واتقوا الله الذي تسألون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ، وامتدح اسماعيل عليه السلام بجره على هداية أهله حيث يقول : ، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا ، وأمر المؤمنين بأن يقر أنفسهم وأهلهم نارا حيث يقول : ، يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ، ومن ثم يتبين مدى التبعة التي ألقاها الله على كل مؤمن نحو أسرته وأهله ، كما يتبع مكانة الأسرة من اهتمام الإسلام ولهذا قال صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي ، .

صلى الله عليه ، ونفعنا بالصلاة عليه ، والاعتناء به ، والمسير على هدايته كما يقول الله فيه ، لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله

هذه الرميمة فوده

أن التركة شركة بين الأقربين . يأخذ كل منها بمقدار ما فرض الله له فيها . على حسب درجة القرابة ووفق ما يقضى به العدل والفضل ، للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو أكثر نصيباً مفروضاً ، وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فازقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً . بل إن عناية الإسلام بالأسرة تبدأ من حيث تنشأ الأسرة ، فهو يعنى أول ما يعنى بالعلاقة الوثيقة بين الزوجين ، فيسمى عقد الزواج « ميثاقاً غليظاً » ثم يتعمد الحياة الزوجية بما يصلحها ويجعلها واحدة خضراء ، تجمد فيها الأسرة نعيمها وسكينتها وأمنها واطمئنانها كما يفهم من قول الله تعالى : ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، فإن في قوله تعالى ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، ما يشعر بأن التفكير في ذلك يهدي إلى خير كثير ، وبأن نعيم الحياة الزوجية خليق بهذا التفكير ، وبأن الأسرة التي تنشأ من هذه الحياة ، وفي جو هذه الحياة . سينشأ أبناءها على ما ألفوه فيها من توافق بين الزوجين وتواد وتراحم ، وأخلاق فاضلة كريمة سمحة ، وقد جمعت الآية على إيجازها كل ما يطمح له الزوجان ، وأى نعيم يطمح إليه رجل أعظم وأكرم من أن ينزى إلى بيته فيجد فيه ملاذ راحته ، وسكون نفسه ، وهدوء باله ، ومجد في ظل الود المتبادل بينه وبين زوجته والرحمة التي تسودها وتسود جوها ما لا يرق إليه تعبير أو تصوير ، وأى نعيم تطمح إليه امرأة أكرم وأعظم من أن يجد زوجها فيها ذلك . فيفهرها بحبه ، ويسمى ما وسعه الجهد ليوفر لها ولابناتها أسباب الخير والرخاء

الفراغ النفسى عند الشباب

للأستاذ محمد محمد أبو شهبه

- ٣ -

الفراغ الخلقي :

والى لأضع أمام هؤلاء قول الحق تبارك وتعالى
عاطبا خيرا نساء هذه الأمة : يا نساء النبي لستن
كأحد من النساء إن اتقين فلا تخضعن بالقول
فيطمع الذى فى قلبه مرض ، وقلن قولا معروفا ،
وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى
وأقن الصلاة ، وآتين الزكاة ، وأطعن الله ورسوله
إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيرا ، وقد ذكر المفسرون أن هذه
الآداب التى أدب الله بها نساء النبي ليست خاصة بهن
وإن نساء الأمة كلهن تبع لهن فى ذلك ، وإنما خاطب
نساء النبي ؛ لفضلهن وكرامتهن ومزلاتهن وقد
ذكروا فى تبرج الجاهلية أن المرأة كانت تلقى الخمار
على رأسها ولا تلفه حتى يوارى قلائدها وقرطها
وعنقها ويبدو ذلك كله منها فنهى عن ذلك وأمرن
بأن يضربن بخمرهن على جيوبهن^(١) حتى لا يظهر
شئ من زينتهن فإين تبرج الجاهلية الأولى مما
وصل إليه التبرج اليوم ؟

وإليكن أيتها الفسوة قول الله تعالى أيضا :
وقل للؤمنات يفضضن من أبصارهن ، ويحفظن
فروجهن ، ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها ،
وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدن زينتهن
إلا لبعولتهن ، أو آبائهن ، أو آباء بعولتهن ،
أو أبنائهن ، أو أبناء بعولتهن ، أو إخوانهن ،

وقد كان لاقصا لنا بالغرب ، وتقليدنا له بعد أن
غلبنا على أمرنا ، أكبر الأثر فى إفساد أخلاقنا
الموروثة ، وعاداتنا الكريمة ، وأصبح الكثيرون
ولاسيا الشباب والشابات مولعين بالتقليد فيما لا ينفع
وأوغلنا فى باب التقليد حتى زدنا عنهم فى التحلل ،
وكادت تذهب النخوة العربية ، والغيرة الإسلامية
من النفوس ، وأصبح الحياء مفقودا عند الكثيرات
من النساء ، وبالفن فى التبرج حتى صرن كاسيات
عاريات ، بل وبما يؤسف له أنه ما من بدعة من
بدع الغرب فى الزى والدل ، واللهو والمجون إلا
وتجد لها هندا فى بلاد الإسلام والعروبة أنصارا
ومقلدين ، فلا تكاد البدعة تظهر هناك حتى تنتشر
هندنا انتشار النار فى الهشيم ، والمرض فى الجسم
الذى تقل فيه المناهة ، فبدعة الرقص بالاطواق
ظهرت هناك وسرعان ما انتشرت هندنا ، وكان
منظر مؤلما حقا أن تبارى فى هذا الشباب
والشابات ، والصغار والكبار ، ثم أذن الله لها
أن تموت ، وبدعة إطالة الاظافر ، وصبغها بالاصباغ
أصبح أمرا مألوفا ، ولازما عند الكثيرات من
النساء ، على ما بها من مخالفة للدين ، وإضرار
بالصحة ، وتشويه لآثرته المرأة ، وهما هما عند
أصحاب الفطرة السليمة ولا أدرى أى جمال فى أن
تظهر المرأة فى هذا المنظر الذى يسلخ عنها وداعتها
ورقتها ويظهرها بمظهر الحيوان المفترس .

(١) فتحات ثيابهن من عند العنق والخمار ما تشده المرأة
على رأسها وسدنها وعنقها .

والله أن كنت قرأته لقد وجدته (١) ، قال الله تعالى : وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، وقد ثبت رفع ذلك إلى النبي صريحا في الصحيح ، قال العلماء : إن كل ذلك حرام بل كبيرة لعن صاحبه وأن المعين على ذلك يشارك فاعله في الإثم ، وإنما حرم الشارع ذلك لما فيه من التغيرير والخداع ، وظهور المرأة بما ليس فيها ، والمتشبع بما ليس فيه كلابس ثوبي زور ، وكثيرا ما جر هذا على الأسر والبيوت الحراب والطلاق .

ولو أن الأمر اقتصر على دور الملاهي والمسارح والحياة لهان الأمر ولكان الضرر مقتصرا على وادها ، ولكنه أصبح يهدد الناس في بيوتهم عن طريق التلفزيون والإذاعة ، والصحافة والمنشور حتى أصبح أنصار الفضيلة والأخلاق الكريمة في حيرة وخرج من نقشة أبنائهم وبناتهم نقشة أخلاقية سليمة ، أيعدون كل هذه الوسائل عن بيوتهم وأسره ويعيشون في عزلة عن الدنيا ؟ وكيف وهذا أمر متعسر متعذر ؟ ثم إن وسائل الإعلام إن كان فيها شر ف فيها خير ، وإن كان فيها لحر ف فيها جد ، فلم يكن بد إذا من أن تعدل وسائل الإعلام من منهجها ، وتنقي مادتها ، وترفع عن اللغو والرفث والإسفاف .

إن هذا الفراغ الخلق في النفوس لابد من القضاء عليه ، وذلك بالقضاء على الأسباب الباعثة عليه ، فإذا ما قضينا على هذه العوامل الهدامة في نفوس الشباب نبداً بنبي ونعم ما خبرته ، وذلك بملء هذا الفراغ بالأخلاق الكريمة ، والمعاني الفاضلة ، ولن نجد أفضل في هذا الباب من الأخلاق الفاضلة

(١) زيادة الياء امة وعليها جاء لفظ الحديث .

أو بنى لأخوانهم ، أو بنى أخواتهم ، أو نساتهم ، أو ما ملكت أيمانهم ، أو التابعين غير أولى الأربية من الرجال ، أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذنaban من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربن بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، ميلات مانلات ، رؤسهن كأسمنة البخت (٢) المائلة . لا يدخلن الجنة ، ولا يمجدن ربحها ، وإن ربحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا .

وقد تضمن الحديث وصفا دقيقا لما نفايه اليوم من مساوئ التبرج والصفور ، والأزياء القصيرة الضيقة الشفافة ، التي تصف ولا تستر ، والمشية المثنية المتكسرة ، والإغراء المسف المشين ، والقسريحات المتكلفة المصطنعة .

وروى الشيخان في صحيحهما عن عبد الله بن مسعود قال : لعن الله الواشمات ، والمستوشمات ، والمتنمصات ، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله (٣) ، فقالت أم يعقوب ، ما هذا ؟ قال عبد الله : وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ، وهو في كتاب الله ، قاله : والله لقد قرأت ما بين اللوحين ، فما وجدته فقال :

(١) في القاموس : البخت : الأبل الحراسانية !

(٢) الواشمة : التي تصنع الوشم والسموشمة : طالبة ذلك للتنمصات : للزيارات حواجبن مع صنع غيرها بقلم ونحوه ، أو الأخذات منها بما يغير من خلقها ، والمتفلجات محدثات الفالج وهي الفرجة بين اللذينين الأميتين .

إذا نهجنا في ملء فرغ النفوس الخلقى بهذه المعاني النبيلة ، والأخلاق السكرية والاعتزاز بالشخصية الإسلامية فسيكون للشباب عاصم من ذات أنفسهم ووازع من ضنائهم بنأى بهم عن التقليد الأعمى ، وبعضهم عن الزوال والانسياق في تيار الأهواء والشهوات ، والترفع عن الإسفاف .

إن هذه الشخصية الأخلاقية الإسلامية هي التي ترفعت بكثير من المسلمين الصادقين أن يفجروا أو يخونوا أو يفتدروا حتى في مواطن الحرب والانتقام من الأعداء وإليك مثلاً كريماً لذلك لما أسر السيد الجليل خبيب بن عدي في سيرة الرجميع ، وأخذته بنو الحارث بن عامر ليقتلوه بأيديهم أبوه أسيراً عندهم حتى يقتل ، حتى إذا أجمعوا على قتله ، وهزموا على ذلك استعمار موسى من بعض بنات بني الحارث ليستجد بها ويتطهر فأعطته إياه ، ثم غفلت عن صبي لها فدرج إليه حتى إناء فوضعه خبيب على فخذه وربت على كتفه فلما رآته أمه فزعزت خشية أن يناله بمكره ، ولا سيما أن بيده «الموسى» وأنه يعلم يقيناً أنه سيقتل ظلماً بعد قليل ، وقد استنصر خبيب هذا المعنى في نفسها فقال لام الغلام : أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل هذا إن شاء الله ١١

نعم ما كان ليفعل هذا بسلام برى ، لأنه ليس من خلق المسلم الغدر ولا الخيانة ، ولا الإسفاف حتى ولو ظلم ثم كان من أمر خبيب أن قام إليه أخو هذه المرأة وخال هذا الطفل هبة بن الحارث فقتله ، فرضى الله عن خبيب وأرضاه ؟

محمد أبو شامة

التي دعا إليها الإسلام ، والتي هي خير ما يقوم عليها إصلاح الأسر والجماعات .

لا بد أن نربي نفوس هؤلاء الشباب والشابات على أن للدماء حرمة لا تدن منها حرمة ، وللأعراض حرمة وقداسة ، وللأموال حرمة واحترام ، وصدق المبلغ عن رب العالمين حيث قال : « ألا أن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا ، رواء الشينخان وأن نربي النشء على أن الفلاح في الدنيا والآخرة إنما هو بتزكية النفس ، وتطهيرها من الأقدار والأرجاس الخلقية والنفسية ، قد أفلح من زكاهما وقد خاب من دساها ، وأن الحياة ليست بجمية ولا شهوانية وإنما الإنسان بروحه وخلقه وأدبه ، وأن الحياة ليست لهواً وعبثاً ومجوناً وإنما الحياة جد وعمل وعفة وكرامة وترفع عن الدنيا وسفاسف الأمور من أقوال وأفعال ، وأن نفوس في نفوس الشباب والشابات أن المسلم يجب أن تكون له شخصية إسلامية مستقلة متبوعة لا تابعة ، ومبدعة لا مقلدة ، وأن يعترف بشخصيته تلك غاية الاعتزاز ، وأن هذه الشخصية هي خير الشخصيات وأزكاهما وأصلحها لحياة حرة كريمة فاضلة ، وأن تصل التربية في هذا إلى حد الاعتقاد واليقين حتى يكون لها أثرها في سلوك المسلم أو المسلمة وهديه وسمته ، وإيجابته في الحياة .

لقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن المسلم ينبغي أن يكون ذا شخصية مستقلة تؤثر ولا تتأثر ، وتبدع ولا تقلد حينئذ قال « لا يكن أحدكم إمعة يقول إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساء الناس أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم إذا أحسن الناس أن تحسنوا ، وإذا أساء الناس أن تحسنوا ، وطبعي

ممن تطلب الحاجات

للأستاذ على الجندى

لا تطلبين إلى لثيم حاجة
 سيصد عنك ! ! وإن أراك بشاعة
 لا حبذا خلق اللثيم ! ! وحبذا
 كالتر من دحجر ، وهذب الماء من
 يقربك بشراً بالنجاح مبشراً
 وعليك يحملو بسمة رفاة
 وكأنما هو من تهلل وجهه
 يرضيك في قول وفي فعل وفي
 أما اللثيم فأنت من أخلاقه
 فطر اللثيم على غرائز لم تكن
 هو خصم إخوان المروءة والنسدى
 فاصعد بقدرك لا تذله لمطلب
 وابخل بماء الوجه لا تسمع به
 والسحب لولا الماء تمريه (٢) لنا
 واربأ بنفسك أن ترى مستعبداً
 زمن المروءة لا تدو صفاته (٣)
 وأشد من وقع الأسنة في الطل (٤)

فتعود منه بصفقة المضبور
 فبشاشة الخداع ذى التلوين
 خلق الكريم الشاخ العرين ! !
 د مصر ، وحر المسك من دارين ،
 كالرج تحمل نفحة الفسرين
 من ثغر مأمون الوداد أمين
 - فرحاً لمن يرجوه - بدر وجون
 غلظ - إذا جدد الحفاظ - ولين
 تأوى إلى خث الطباع أفين
 معهودة إلا من د التين ،
 وعدو إخوان التقي والهدين
 من كيزبان (١) مذم لمعون
 فالسيف - لولا الماء - كاسكين
 كانت أذى لمسامع وهيون
 يلجئ من مخوب الفؤاد مهيون
 خلقت يداه كخلفة العرجون
 طلب الرفيع إبانة من دون

على الجندى

(١) الكيزبان - يفتح الكاف وإسكان الياء وفتح الهمزة : الكذاب . لا تذله : لا تهنه .

(٢) تمريه : قد خرجته .

(٣) لا تدو صفاته : كناية من البخل كقولهم : لا يرشح حجره . وزمن للمروءة : مقلها .

(٤) الطل : الأعناق جمع طلية بضم الطاء فيها .

تيارات منحرفة في التفكير الديني المعاصر

للأستاذ علي العمّاري

٧ - محمد رسول الحرية

يعنى به عناية خاصة ، وإنما عرض لطرف من حياة الرسول ، وأرخ لأكثر غزواته - في أسلوب قصصى طابعا - دون أن يقف منها ومشيرا إلى ما في هذه الغزوات من عناية الإسلام بالحرية في شتى مظاهرها

ومع أنى لا أميل إلى هذا النوع من العناوين ؛ لأن دعوة الإسلام لم تكن في جانب من جوانب الحياة الإنسانية أظهر منها في بقية الجوانب ؛ فقد هالج الإسلام كل القضايا التي تشغل الناس في حياتهم من اجتماعية ، وسياسية ، ودينية ، وأخلاقية ، كما بين لهم طريق الخير والشر ، وأكد لهم أن هناك يوما آخر يحاسبون فيه على أعمالهم ، إلى غير ذلك مما هي به الإسلام : (وكل شيء فصلناه تفصيلا) . مع هذا كنت أحب المؤلف أن يتجه في بحثه إلى ما أؤم نفسه به ، وعنون له حتى لا يكون العنوان مجرد اجتهاد القارىء .

وسواء كان الموضوع متفقا مع العنوان ، أو مختلفا معه فليس هذا من مأخذنا على الكتاب ، هذه المأخذ التي نعتق بها في هذه الأحاديث ، وإنما قدمتها لآنبه على خطأ في أسلوب التأليف شاع بين المؤلفين المحدثين الذين يرون التأليف محلا تجاريا أكثر منه تعبيراً عن فكرة اختتمت في رأس المؤلف ، وأحب أن يذيعها في الناس .

وأول ما نأخذ به المؤلف اعتياده الاعتدال السكلى على ما كتبه (المحشرون) ولا أظن أن

هذا عنوان كتاب ألفه أحد العاملين في الصحافة وقد ضمنه مواقف من سيرة رسول الإسلام محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، واختار الأسلوب القصصى شكلا عرض فيه هذه المواقف .

ولعل القارىء المتوسط الثقافة يدرك بدون هناك أن الأسلوب القصصى يعنى على الحقائق ، ويبالغ في مجسيمها ، وتلوينها .

وإذا اغ هذا وهو عدى غير سائغ في عرض تواريخ الخلفاء ، والملوك ، والولاة والقواد - كما فعل جورجي زيدان في رواياته الإسلامية فإنه لا يسوغ في كتابة سير الأنبياء والرسول ؛ ذلك أن أى تزايد فيها ، أو تحوير في نصوصها يعد انحرافا في التفكير الدينى .

وقد بذل العلماء السابقون ، والمعاصرون جهودا مضنية لتتقية سيرة الرسول وأحاديثه من كل دخیل عليهما ، فن غير المقبول أن نقر كاتباً على زيادته في سيرة الرسول ما ليس منها ، ونزى أنه من الحتم على كل من يوجه نفسه للكتابة عن الإسلام ، أو عن رسوله أن يشعر بجلال الموضوع ، وأن يقدر كل كلمة يسطرها . وعنوان الكتاب يوحى بادىء ذى بدء - أن المؤلف سيمهد إلى مواقف خاصة من مواقف الرسول يتجلى فيها لإقرار مبدأ الحرية ، ودفاعه عنها والمبادئ التي جاء بها ، وأكد بها حق الإنسان في أن يكون حراً في عقيدته ونفسه وماله .

ولكن المؤلف لم يبرز هذا الجانب ، بل لم يبد أنه

فيل أو قبيلة مع جيش أبرهة ، لأنه - كما زعموا - لا يمكن الاحتفاظ بالقبيلة في اليمن ، وتسييرها في صحارى نجران ، وأن القبيلة الإفريقية التي قد يكون الأحباش جلبوها إلى اليمن من الصعوبة ترويضها ، حتى أن بعض الفئات من علماء الحيوان يرون استحالة ذلك ، وأن الأحباش لم يكونوا على دراية بزويض القبيلة .

هذه بعض مزاعم المستشرقين حول قصة الفيل ، نقلتها عن كاتب كان مسلماً ، وقد كان الواجب على كتابنا إذا عرضوا لمثل هذا الموضوع أن يرجعوا -

أولاً - للقرآن الكريم ولتفسيره ، غير أنهم ينظرون إلى ما كتبه المستشرقون ، فهم من يأخذ كل ما قالوه قضايا مسلمة ، وفي ذلك تردى بعض كتابنا ، ومنهم من يأخذ ببعضاً كما فعل هذا المؤلف .

فقد تابعهم في جزئية من هذه الجزئيات ، فزعم - كما زعموا - أن مكة قبل ميلاد النبي بقليل كان يفساها الوباء (جاء مع أبرهة ملك الحبشة) وأن جيش أبرهة (لم يكذب) تقدم حاصف رجاله الوباء الذي كان يعصف بمكة ، فإذا برجال أبرهة يتساقطون مرضى بالجدرى ، ومعهم أبرهة نفسه) .

وغير المؤلف يشخات ، ويتعالم ، ويدعى أن ذلك تؤيده المصادر العربية ، ويؤيده القرآن .

قال إسماعيل أدم في مقال له بمجلة الرسالة القديمة (العدد ٢٤٨) : (تقدم الأحباش بقواتهم شمالاً ، لمكنهم لم يكادوا يقرّبون مكة حتى أملت بهم كارثة أودت بهم . وبعض المراجع العربية ترجع أن تكون هذه الكارثة هي نقشى الجدرى في جيش الأحباش ، والقرآن الكريم يؤيد كلام المؤرخين العرب) . وزعم أن ذلك في كتاب الكشف للزغشري .

وواضح من كل ذلك - وهو كما قلت متابعة لتخريفات المستشرقين - التقصد إلى تمكذيب القرآن . فالقرآن أثبت أن الذين جاءوا بالحملة كانوا (أصحاب الفيل) . ومن البدهى أنه لا يصفهم بذلك حتى يكون

أحداً من الذين لهم أدنى دراية بأغراض الاستشراق ونشأته ، وتطوره يجهل أن هؤلاء المستشرقين لا يلتزمون الأمانة العلمية ، وأن من أغراضهم الأولى محاربة الإسلام ، وقرآنه ورسوله ، وتاريخه .

فن الخطأ والخطر أن يعتمد مؤلف يكتب عن الإسلام - بعامة - وعن سيرة الرسول - بخاصة - على ما زوره هؤلاء الأعداء الذين يتخذون من قداسة البحث العلمى وسيلة للطمع والتجريح ، بل ولسوء الأدب ، واستغلال الشعوب .

ولكن من المؤسف حقاً أن بعض الكتّابين هندنا لا يرون أرق من هؤلاء ، وبعضهم يتابعهم عن هوى ، ومرض نفسى ، وآخرون يتابعونهم من غفلة ، أو من شهوة للتعاليم وأياماً كما كان الدافع إلى الاعتماد على هؤلاء فهو جنائية وطنية قبل أن تكون جنائية دينية ، ونحو نوم - وبهذه - أولئك الذين يكتبون عن سيرة الرسول بروح هؤلاء المستشرقين وتوجيههم .

عرض المؤلف في كتابه لقصة (الفيل) ولهذه القصة أصل معروف ، واضح ، صادق كل الصدق ، فن الانحراف في العقيدة أن تتابع أحداً يتجه لهذا الأصل ، ويحاول أن يعكس في تأويله وتفسيره ، أو يحاول - بحيث ومكر - أن يكذبه .

والمستشرقون قد حرفوا في هذه القصة ، فادعوا أن (أبرهة) الذى جاء بحميشه إلهدم السكعبة لم يكن يقصد مكة ، وإنما سربها في طريقه لمحاربة الفرس مجاملة من الأحباش للروم ، قالوا : والطريق الطبيعى الممتد من اليمن إلى حدود فارس يمر بمكة ، وينتهى عند وادى الرمة أحد روافد الفرات فيما مضى .

وزعموا أن ما أصاب جيش أبرهة كان وباء جاء معه من اليمن ، وأن العرب أيقنوا أن ذلك أثر من تدخل العناية الإلهية .

وزعم المستشرقون - كذلك - أنه لا يمكن وجوه

في تفسير سورة الفيل - : (فأرسل الله طيراً سوداً ، وقيل خضرأ ، وقيل بيضاء مع كل طائر حجر في منقاره ، وحجران في رجله أكبر من العدسة ، وأصغر من الحصة) ، وبعد أن يتحدث عن بعض الغرائب في هذا الموضوع يقول : (وعن أبي سعيد الخدري : من أصابته - يريد الطير - جدوته ، وهو أول جدري ظهر على الأرض) .

فالزخري فسر الآية - أولاً - بما هو الظاهر منها ثم أضاف - ثانياً - رواية عن أحد الصحابة لم ينف فيها أن الله أرسل طيراً ، بل جعل (الجدري) ناشئاً عن رمي الطير للجيش بالحجارة . فآين الترجيح في هذا الصنيع ؟

الحق أن بعض الكتّابين يريدون أن يفهموا القرآن على أهوائهم ، بل هم لا يريدون بالقرآن خيراً ، وربما أدام ذلك إلى الكذب والافتراء على المؤرخين وعلى المفسرين .

وهذا هو ما عرفته من كل منحرف : يرى الرأي ، ثم يبحث عن رواية أو قول يؤيده ، فإذا وجد أشاد به دون أن يحاول معرفة درجته من الصحة ، ولا بأس هذه أن يتكذب على الرواية ، أو يحرفها . وإنى لأعتقد أن ما جاء به القرآن مما يحاول هؤلاء تحريفه أو تكذيبه لوجاء من طرق أخرى لآمنوا به ، وناضلوا دونه ، ولكنها الرغبة الدفينة في النفوس التي تبغى الخط من الإسلام ، وتشويه فصوصه ، ولكنها - أيضاً - الحط في حبال المستشرقين والإيمان الأعمى بهم ، وبما يكيدون للإسلام ؟

هل العماري

مهم فيل ، والمؤرخون العرب ، والغريون لا يشكون في أن الجيش الذي جاء إنما هو جيش حبشي ، والأحباش غير معروفين بالفيلة حتى تحمل التعبير (أصحاب الفيل) على أنهم شهبوا بذلك ، وإذن فلا يمكن إصافتهم الفيل إلا إذا كان في حلتهم فيل . والقرآن يثبت أن أصحاب الفيل كانوا يريدون بمكة شراً : ألم يجعل كيدهم في تضليل ، فهم قد جاءوا كافرين ، والكيد لا بد أن يكون بالبيت الحرام ، ولا يمكن أن يكون الكيد للفرس ، لأن الله لا يمنح هنيئته لقوم وثنيين ، ثم ينف هذه العناية ، ويوجه إليها رسوله الذي بعثه ليدعو إلى التوحيد الخالص .

والقرآن يثبت أن الله هو الذي أهلك جيش أبرهة فأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميم بحجارة من سجيل . ولا أدري ما الذي يدعوننا إلى أن نلجأ إلى التأويل في مثل هذا . والقرآن قد صرح بأن الله أرسل طيراً ، وأن هذه الطيور رميت الجيش بحجارة ، وأن هذه الحجارة هدت قوتهم ، وجعلتهم كعصف ما كول ، فما الذي يحدث لو أننا بهذا كله على ظاهره ؟ والحياة كل يوم تأتينا بالعجائب والغرائب التي نكاد نسكرها العقول لولا المشاهدة ؟

ولكن الذي لاحظته أن مؤلف كتاب (محمد رسول الحرية) يميل إلى تجاهل كل ما أيد الله به رسوله من أمور غير معتادة . وسنعرض لذلك فيما يأتي من حديث . أما ما زعمه (آدم) من أن الزخري يرجح - كغيره من بعض مؤرخي العرب - أن الذي حل بجيش أبرهة هو الجدري ، فهو كذب واختلاق . فالزخري لم يرجح هذا الرأي ، بل لم يذكره بصورة تناقض ما جاء في القرآن ، وهبارته - كما جاء

للإنصاف : ذكر المؤلف الذي عناه الكاتب وهو الأستاذ عبد الرحمن الشراوى في مقدمة كتابه أنه لم يكتبه للسليبي ، كما ذكر ذلك لبعض من لأموه على ذلك من أصحابه . (عبد الرحيم فوده)

الصراع الأدبي بين القديم والجديد

للاستاذ علي العمّار

للاستاذ كامل السيد شاهين

- ٢ -

ولم يقل أحد إنه خارج عليه لمجرد أنه خارج على الأوزان الواردة عن العرب ..

وجاءنا الموشح سائراً على نهج الشعر القديم ، وخارجاً على هذا النهج ، فلم يدفعه أحد من ميدان الشعر باعتبار هذا الخروج ..

ولو استقام في الرجل أن تكون ألفاظه عربية صحيحة فهو شعر ، وإن يكن خارجاً على الموازين الموروثة .

إذن فكل شاعر أكبر من العروض ، وليس للأروض أن يهيب بالشاعر أن يقف عند حدوده فليس للشعر حدود ، وإنما العروض تسجيل لما جاء عن العرب القدامى ، وذلك لا يلزم غيرهم بالوقوف عندما داروا فيه .

فلسنا إذن مع المؤلف الفاضل في دعوته إلى هدم الخروج على الوزن القديم ، فإن الأوزان لا تنضب . هذا حديث الأوزان ، فأما نبأ القوافي ، فالأمر فيه - عند شعرائنا - أمر تقليد محض .

فإن شعرائنا وجدوا الشعر الغربي - إلا أقله - لا يلتزم القافية ، فظنوا ذلك تحرراً من القيد ، وإطلاقة عاطفة ، وإجراء المعنى إلى منتهى غايته ، وإعفاء من اللازمة الرتيبة البغيضة المرهقة .

وإذا كانت اللغات الأجنبية تفضن طبيعتها بالقوافي ولا تسمح بالتفتية منها إلا اللاتينية في حدود ضيقة ، ومن طريق الضائر ، فإن هذا لا يتخذ حجة على العربية التي تسخو ولا تعوز ، وتندفق ولا تنضب .

١ - بل كل شاعر أكبر من العروض :

الفصل المفقود بعنوان « أكبر من العروض » ، فصل ضاف ، مشحون بما ليس منه ، فأما القضية فلا ينبغي أن تكون محل خلاف ، فكل شاعر أكبر من العروض .

وما العروض إلا هلم حصر الأوزان العربية القديمة في ثمانية وستين ضرباً . وهي الأوزان التي جرى عليها الأوائل ، ودار فيها الشعر العربي القديم ، ولسنا نشكر أنها اتسعت لتسجيل المواطن هنيئها وهادئها ، وللعناء بالمواقف جادها وهازلها . ووسعت الأغراض النبيلة والحسيسة ، وأن فيها ما يطرد أطراداً ، وفيها ما يفور فوراناً ، وفيها ما يتزائل ويتخث ، وفيها ما يهيج في الممعة ، وفيها ما يبعث على الرقص وهز الأصطاف ، وفيها ما يمكن أن يزدوج ليتسع لنوعين أو أنواع .

ولكن ذلك كله لا يعني أن السلائق العربية قد استوفت كل ما يمكن أن تستطبعه الأذن من ألوان الموسيقى ...

فالمعيار الذي لا يخون : أن يتزن الكلام بحيث تترشح إليه الأذن الموسيقية ويلذ لها . والحكم في ذلك هم الشعراء والمطربون من النقاد .

ومن ثم جاءنا الوزن المحدث :

يأبى المأمود قد شفق الصدود ، فلم يستطع أحد أن يدفعه من ميدان الشعر ،

وأهل أقرب شيء إلى الشعر المرسل من شعرنا القديم
ما جاء من العرب من مقصورات فإنها تشبه الشعر الحر
في أنها لا تلتزم إلا ألفاً في آخرها تشبه أن تكون
إطلاقة للحركة . لا التزاماً للقافية . كقول أبي العلي:

وماذا بمصر من المصحات

ولكنه ضحك كالبسكا

بها نبعث من أهل السواد

يدرس أنساب أهل الغلا

وأسود شفره نصف

يقال له أنت بدر الدجى

ومن جهات نفسه قدره

وأى غيره منه ما يرى

وهذه المقصورات لم ترج عند العرب ولم يكتب
لها النجس إلا في ضرب من المقطوعات ، ونوع من
الحكم على أنها - مع ذلك - لا تفوق نظائرها من
الشعر هير المقصور القوافي .

ولما قرأ المؤلف لبعض الباحثين من دعاة التحرر
من القافية ، أن الزام القوافي فرت على العرب
القول في الملاحم . . دفع هذا الادعاء بأن هناك
خبرين وثيقين يثبتان وجود الملاحم في الشعر العربي
هما ما جاء في النجوم الزاهرة من أن لمحمد
ابن أحمد بن الربيع قصيدة في أخبار العالم ، وقصص
الأنبياء ، بلغت ثلاثين ألفاً ومائة بيت ،
وما ذكره ياقوت من أن لعل بن عبد الجبار
ابن سلامة قصيدة في الرد على المرتد البغدادى تبلغ
أحد عشر ألف بيت على قافية واحدة

وهذا كلام عجيب من العالم الباحث .

فشعر الملاحم ينبغي أن يعتبر معجزة للشعر اليونانى
على الشعر العربى ، لأن لكل شعر طبيعة تتصل
بالبيئة والمعتقدات .

ومن العجيب أن قوماً من شعراء العرب جربوا
الخروج على القافية فوقعوا في الثثرة حيناً
وفي التكلف أحياناً .

ولو قانوناً بين قصيدة فرحات في اللاجئين :

أضحية الكذب المقنع والحياة والرياء

أوت الذئاب إلى مضاجعكم وأتم في العراء

وفيها بعد خروج على القافية .. وبين سائر شعره
في هذا الموضوع .

وقارنا بين قصيدة نعيمة التي زعم المرحوم الدكتور
مندور أنها من الشعر الهامس ، ومطلعها : أخى
إن ضج بعد الحرب .. وبين سائر شعره .

وجدنا هاتين القصيدتين ليس في حرارة
قصائد السائرة على النج العربى الذى تلتزم فيه
قافية واحدة ، ولا في حرارة معانيها .

مما يدل على أن القصد إلى التحرر من القافية
إنما هو ضرب من التعمت والمعاناة ، لا ترناض
له اللغة ولا تطوع .

وادعاء قلة المحصول اللغوى عند شعراء اليوم ،
ذلك المحصول الذى تيسر معه القوافي الملزمة ...
ليس مما يستحق الاعتبار ، فإن الأمر في ذلك أمر
دربة ومعاناة وملاحظة وجيعان معنى في قلب ...
ومع ذلك فليس هناك ما يدهو إلى استعمال
القوافي الحوش ، والقوافي النفر ، فإن في القوافي
الذل مراراً لمن أراد .

ولم أطالع أسكاتب كبره انتصاراً لتعدد القوافي
أو لإرسالها ، وليس ذلك راجعاً إلى أن العادة
ألزمتهم بذوق لا يستطيعون عنه حلاً . فإن
المقارنة بين الشعر المرسل والشعر الملتزم ، من
ناحية الغرض والمعنى والخيال والمتانة والتأسك ،
يبوء منها الشعر المرسل بالخسار والصقوط .

ودلالة هذا الكلام بيّنة ، في أن الجاحظ إنما يتكلم عن اللحن ، وهو خروج الكلمة العربية من الإعراب الصحيح ، بنصب المرفوع أو جر المنصوب ... وليس هو في عامة الكلمة أى بنائها على غير الوجه الذى يتكلم به الفصحاء ... والفروق بين اللحن الذى يتعلق بآخر الكلمة المعربة عند التركيب ، وبين العامى ، وهو خروج الكلمة من البناء العربى لا يخفى على دارس ، وكلام الجاحظ في شأن استحلاء اللحن أو استهجانها ظاهر .

ثم انشئ المؤلف يناقش ابن خلدون في أمر بلاغة العبارة الملحونة ، وخروجها من البلاغة . ولم يتبين الباحث الجليل أن ابن خلدون يتكلم عن البلاغة من حيث هى بلاغة ، وأن كل قوم لهم بلاغتهم التى شقيت بها أعرافهم ، ومرت عليها سلاتهم . ومهما يكن من شيء فكلام ابن خلدون ككلام الجاحظ ، من حيث إن موضوعه الكلمة الملحونة وليس الكلمة العامية ، فالإضافة في مناقشتها مع اعتبار أن قصدهما الكلمة العامية ، عن إصابة الغرض بمعزل .

على أن مسألة إشاعة العامية أمر تقرره ظروف قومية ودينية ، وليس أحد يقر تعميمها . لأن العامية ليست لغة فردة موحدة كالعربية ، بل هى لهجات تفوت الحصر ؛ إذ تختلف من إقليم إلى إقليم ، وتختلف في الاقليم الواحد من منطقة إلى منطقة ، وربما نالها بعض الاختلاف بين بلد وبلد .

ولكن هذا لا يمنع أن لهجة الإقليم تكون أحلى وقفا ، وأكثر صداقا إذا كان هذا الإقليم مسرح الحوادث ، وقد سقطت كثير من المسرحيات التى اعتمدت العربية لغة للأداء .

ومن ثم فإننى مع الكاتب المصوفى في أنه لا بد

والملاحم اليونانية القديمة أشعار أسطورية تقوم على ادعاء أعمال خارقة يأتها الآلهة والأبطال ، وقوامها الخيال ، ولا تتصل بالوقائع الجارية ، وإنما تكون هذه الملاحم في طفولة الشعر . . . فالملمحة الآن ليست ذات موضوع ، ولم يكن من الممكن وقوعها في الشعر العربى القديم ؛ لأن العربى لا يعرف الآلهة الذين همزون بالافس ، ويقتتل بعضهم مع بعض ، ويصرع بعضهم بعضا .

هل أنه من الطبعى ألا تكون القصيدتان اللتان جوى حديثهما في النجوم الزاهرة ومعجم الأدباء من الملاحم بهذا المعنى ، ضرورة اختلاف الموضوع ومباعدته مباحدة تامة عن موضوع الملمحة ... فلا أخبار العالم ولا قصص الانبياء ، ولا جسد الموتدين يصلح أن يكون موضوعا للملمحة ... وليس بين القصيدتين وبين الملاحم صلة إلا مطلق الطول . وليست الملاحم على أية حال بذات قيمة أدبية أكثر من أنها تسجل لونا من الخيال والشعر اليونانى لبان طفولتهما .

٢ — الدعوة إلى العامية :

أما الفصل المعقود للدعوة إلى العامية ، فيبدوه الكاتب الفاضل بكلمة للجاحظ يقول فيها :

« ومتى سمعت — حفظك الله — بنادرة من كلام الأعراب ، فيأبى أن تحكيها إلا مع إعرابها وخارج ألفاظها ، فإنك إن غيرتها بأن تلحن في إعرابها وأخرجتها خارج كلام المولدين والبلديين ، خرجت من الحكاية . »

ثم يقول :

« واللحن من الجوارى الظراف ومن الكواهب والنواهد ، ومن العوالب الملاح ومن ذوات الحدود الغرائر أيسر ، وربما استحل ذلك منهم . »

بأن الشعراء قد ارتفعوا إلى مستوى هذه الأحداث الجسام .

ولكن ما هلاقة وصف الأحداث الجارية بالالتزام في الأدب ؟ .

إن وصف مأساة فلسطين ، وحرب السويس ، والسد العالي ، ليس من الأدب الملزم في شيء .

إن الالتزام في الأدب أن يحدد الشاعر موقفه من الأحداث الحائرة التي تضطرب فيها الآراء الاجتماعية أو الدينية أو السياسية ، ثم يلتزم الأديب الترويج له ، والمحاماه دونه ، ودعوة الناس إليه ، ومصالوة المعارضين له .

ومعنى هذا ألا يقف موقف المتناقض الذي يمدح الشيء ، ويمدح ما يعارض ذلك الشيء ولا موقف الحائر الذي لا يستطيع لاضطراره أن يهزم بشيء . ومأساة فلسطين ، وحرب السويس ، والسد العالي ، ليست من الأمور التي تختلف فيها الآراء ويختصم الناس في أمرها ، وينقسمون إلى محامين منها ، ومهاجمين لها ...

ولأنهم يختصمون حول تحديد النسل ، وعمل المرأة في المصنع وحول الذاتية والموضوعية وحول الحكم المطلق والحكم الشورى . فإذا اتخذ الأديب موقفا منها ، ونافح عنه ، وروج له ، فهو أديب ملتزم .

ثم إن الكاتب عاب في هذا الفصل على شعرائنا تجهيمهم للحياة ، وزعم أنه لم يجد منهم من ابتسم للحياة إلا اثنين : صاحب ديوان دلو وهبت ، وصاحب ديوان الفجر الضاحك ، أراد نفسه . وليست المسألة مسألة عنوانات تطبع على أغلفة الدواوين .

فديوان الفجر الضاحك لا يجرى مع تسميته ، فهو يفيض بالشكوى والألم .

من ازدواج اللغة ، وأن حرب العربية حرب جائرة ظلوم ، وإشاعة العامية أمر ما إليه سبيل .

ولقد حاول الدكتور محمد حسين هيكل في رواية « ذئب » أن يدس بعض الكلمات العامية في أطوائها لجأت محاولة موفقة ، وقد طابت - والله - مواقعها ولكن هل يستطيعها غيرنا نحن أبناء الفلاحين ، ممن نشئوا في المدن ، ولم يعرفوا لكنته القرى ؟ ثم هل يستطيعها أبناء الانظار العربية الأخرى فلاحهم ومسيوهم ؟ . ما أحسب أن موقعها من نفوس هؤلاء موقع الرضا والاستحسان .

٣ - في مستقبل الشعر :

تسود هذا الفصل الأحكام الشخصية المتصلة التي تحتاج في قبولها لأسانيد لم يسمح لنا الكاتب ببناء منها ، واعتقد أن مثل هذه الأحكام لا تطلعنا على جديد ، اللهم إلا رأى الكاتب في بعض الشعراء والأسانيد تحتاج إلى جهـد . وتقدها يحتاج إلى تحليل ، وكل هذا وراءه عمل طويل لا يسمح به فصل ضيق كهذا الفصل .

ورأى الكاتب قد يقبل أو يرد ... فالأوفق إذن أن يفرّد مستقبل الشعر بتأليف ضاف يحدد أهداف الشعر ، وبين مواقع شعرائنا من هذه الأهداف ، ومبلغ قدرتهم على الأداء الفني ... فأما الشريط الاستمراري الذي أورده المؤلف ، فالفائدة به بالغة غاية الضالة .

وعما جاء في هذا الفصل ، قول الكاتب : « إنني لم أقرأ قصيدة جيدة في حرب السويس ، أو في مأساة فلسطين ، أو في السد العالي ... قصيدة ترتفع إلى مستوى الأحداث : » ثم يقول : « ولست بذلك أدعو إلى الأدب الملزم ، الخ .

وحق ما قال من أن ما اقتتل من القصائد لا يشعر

ولا أفكر كذلك أن كثيراً مما في هذا الكتاب كان ينبغي . .

فهو أحياناً ينبغي أن ينفصل بالحدة والانفعال ، فإذا جازت الحدة واستحمد الانفعال في المقالات لأنها تتصل بأحداث الساعة فإنها لا تجوز في كتاب يقرأ على مهل ، وبعد فوات الأحداث التي توجب الاهتمام . وهو أحياناً ينبغي أن يورد كلاماً غيره ، ويناقشه ويعاسره ، ويخاشنه ويغفل له ، ثم لا يذكر ذلك الذي نقل عنه وأغلظ له ، ونسى أن من حق القارئ أن يسمي الظن بالسكاتب ، وأن من حقه أن يراجع ما نقله من غيره ، لعل في النقل تحريفاً أو سوء فهم كثيراً ما يقع فيه السكاتب ، ومن يدري فلعل فيه تدليلاً أو ابتساراً لغرض يسره السكاتب ، ويرى إليه .

وهو ينبغي أيضاً بالانتماءات الكثيرة التي تشيع في كتابه ، وبسوء الظن الذي لا يفارقه حتى إن العالم الاجتهادي الجليل ابن خلدون ، قد ناله نصيب من لواخه ، فرى بالعصية في شرسورها ، وهي عصية الإقليم . ولقد كنت أوشى أن ينهج في نقاشه وعرضه المنهج التحليلي . يعطيك الجهر الذي يكشف الصغير ، وبكبر الجليل . أو يسلط الأشعة لئرى ما لم تكن ترى ، ونسقبين ما وراء الأظلية ثم يترك لك الحكم وهو مطمئن إلى أنه فتح عينيك .

ولكن المؤلف آثر أن ينهج في نقاشه وعرضه المنهج التدليلي ، بأتيك بالحكم ، ثم يكر على مقدماته أو على نتيجته في جبرية تهو ك أحياناً إلى معاندته والوقوف منه موقف الخصومة والمكابرة .

ولكنني أشهد أنني تمتعت بالكتاب وأقدت به ، سواء في ذلك ما غاظني ، وما طيب نفسي ؟

طامل العيسر شاهين

وما الفخر الذي يضيع فيه إلا شكوى من قلة الإصاف ، ولو وجد الشاهر من الناس تقديراً ونصفه ، ما احتاج إلى أن يعلن عن نفسه ، ويكاثر بقمته .

فصاحب الفجر الصاحك كصاحب الطلل الباكي يفيض شعرهما بالأم والشكوى ، وبصطبغ باللون والرومانسي ، الحزين .

ولكن لماذا كانت هذه الظاهرة ؟ .
أهي نتيجة راقنا الاجتهاد فتلقاهما بالقبول ؟ .
أم هي ظاهرة مستوردة من الأدب الفرنسي في صدر هذا القرن ؛ فنقبل منها ما يلاقى واقعنا ، ونرفض ما يجافي هذا الواقع ؟ .

ذلك هو ما كنا ننتظر من المؤلف المحقق أن يفصل فيه ... لا أن يلاحظ الظاهرة ، ثم يمضى ...
٤ — خاتمة :

ولقد كنت أوشى للسكاتب أن يستغنى عن الفصل الأخير في النقد التطبيقي ، لأنه من ناحية خارج على موضوع الكتاب ، وهو الصراع الأدبي بين القديم والحديث ، ثم إنه وقف عند قصائد ثلاث لعمراء ثلاثة ، كلهم من ذوى اللون الاتباعي . ومهما تكن نفاسة هذا النقد ، فإن ذلك لا يبرر إلصاقه بالكتاب ، دون كبير مناسبة .

وبعد :

فأنا لا أنكر أن هذا كتاب مفيد في تسجيل الحركات الأدبية ، وفي شرح الظواهر التي تراوت فيها ، وأن هذا كتاب كتبه صاحبه في مجرد فأصاب في أكثر أحكامه ، وأخطأه التوفيق في قليل منها ، وأن هذا هو السكاتب الأول الذي يعبر عن وجهة نظر الأزهرى المثقف الواسع الاطلاع الشامل النظرة ، الذي زاول الأدب قراءة وفهما وإنتاجاً ونقداً .

الفكر الديني في مصر

للأستاذ عبد الجليل شلبي

وفي تعاليم الفيثاغورية بصفة خاصة ما يلائم المسيحية ويدهو أتباع المسيح إلى الأخذ به ، فأتباع فيثاغورس كانوا يعتقدون أن ابن الإله أبولون ، وأن الذئبات منه إنما هو الجسد الفاني وأنه سيعود إلى الحياة بعد حين ، وكانوا يتأخون في العبادة وإقامة الشعائر ويفضلون الاتباع عن صخب الحياة ويحرمون ذبح الحيوانات وأكل لحومها ويؤثرون التفتش بوجه عام .

ووجدت تعاليم فيثاغورس في مدرسة الاسكندرية وبين المصريين تربة صالحة لنموها ففي الجائر والتوقع أن تكون بقاياها سرت إلى العهد المسيحي وأثرت في نساكه ورهبانه ، وهذا أمر لا يجد ما يعارضه غير أن هناك أمرين لا ينبغي أن تغفل ههما ، أولهما أن أفكار فيثاغورس كانت مزيجاً من الهندية والفارسية والمصرية إلى جانب عنصرها اليوناني ، فهناك إذن جانب مصري في هذه الفلسفة ، وثانيهما أن هذه التعاليم لم تلق وراجاً في بقعة أخرى كالذي وجدته في مصر .

وأما الإبيقورية والرواقية فكانتا كلتاهما رد فعل لحالة الترف ومعيشة البذخ التي شاعت في عصرهما فكان منهجهما - على ما بينهما من خلاف - يدعو إلى التفتش وطلب اللذة الروحية وترك الشهوات وأعمال الفكر ، وامتازت الرواقية بإيمانها بالقدر واطمئنانها لما يصيب النفس بما تكره نفة منها بأنه خير في حقيقته وإن كان شراً أو بغضاً في ظاهره .

امتاز الشعب المصري من قديم جداً بنزعة الدينية العميقة ، وألمحته هذه النزعة صفات خلقية خاصة ، من الصبر على المساكه وهزاء النفس عما يفوتها من متاع الحياة الدنيا بارتقاب الجزاء في الدار الآخرة ، إلى صفات أخرى كانت ذات أثر ملحوظ في سلوك المصريين وطريقة تعاملهم .

وبينما أهملت التوراة - والمفروض أنها دين سماوي - ذكر الدار الآخرة والجزاء على ما حمل الإنسان في الدنيا ، فصلت ديانة المصريين القدماء حياة الناس بعد البعث ووضعت الجزاء على الأعمال بما لم نجد في الديانات القديمة .

وأبرز مظاهر التدين في حياة المصريين - بعد اليهود الوثنية - هي مظاهر النسك والرهبة في العهد المسيحي ، ثم حياة التصوف في العصر الإسلامي ، وقد سبقت مصر بهذين المظهرين كل دول العالم ولا يعزى ذلك إلى مجرد المصادفة وإنما كان له أسبابه من طبيعة المصريين قبل كل شيء .

وهناك عوامل أخرى غدت هذه الفطرة المصرية ، ويمكن أن تكون أسباباً مباشرة أو غير مباشرة لظاهرتي الرهبة والتصوف .

فهناك التراث الذي تخلف عن مدرسة الإسكندرية وأخصه بما يناسب موضوعنا خلاصة الفيثاغورية والرواقية والإبيقورية ، فثلاثتها تتلاقى إذا وقعنا هند - الجانِب الروحي منها - في نمط سلوكي يقوم على رياضة النفس وتوجيهها تدريجياً إلى الترفع عن المادة ولذا نذ الحياة .

الأعمال لله ، رداً على ما شاع بين اليهود من التفراف بالاعمال الصالحة والتظاهر بالعبادة خداعاً للناس وطلباً للكسب عن طريق الدين ، ودعوة إلى القساح والصفع محاربة لما تخلق به اليهود من الإصرار على الاحتقاد وإضمار السوء للناس .

لهذا نقر المسيح من الانهماك في طلب الدنيا وجمع المال : لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والهدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون ، بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون . ، لا يقدر أحد أن يخدم سيدين ... لا تقدرون أن تخدموا الله والمال . . دخول جبل في سم الخياط أقرب من دخول غنى في ملكوت الله . طوبى للفقراء والمساكين . . طوبى للجياع العطاش إلى البر .

فهذه - وأمثالها كثيرة - دعوة إلى الزهد وتنفيذ من متاع الدنيا وترغيب في التوجه إلى الله . ويقول :

لا تقاوموا الشر . . . من اعطاك على خدك الايمن فحول له الآخر أيضاً ، ومن اراد أن يحاصلك وبأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين . . . احبوا أهداءكم باركوا لاعدائكم ، صلوا لاعدائكم الذين يديتسون إياكم . هذه الأقوال كلها تركت في نفوس المصريين

أثراً عميقاً وجعلتهم يستسلمون للرومان يذبحونهم ويحرقونهم وهم راضون مستسلمون طمعاً في ثواب الآخرة وطاعة لأقوال المسيح ، ويمكن تأييداً لهذا ما فعله أوريجين بنفسه تأثراً بكلمة المسيح : من الناس ناس يخلصهم الله وناس يخلصهم الناس وناس يخلصون أنفسهم ، إذ حمل الكلمة على ظاهرها

وكانت الرواقية إلى جانب هذا ذات سمات شرقية وظفرت بانتشار واسع في البلاد الشرقية . وقد لاقت هذه المذاهب الثلاثة قبولا بين طوائف من اليهود لاسيما الآسيثيين والسامريين ولم ينبُ عنها جماعة الفريسيين الذين كان المسيح من تلاميذهم في صباه وناصبوه العداء بعد رسالته .

ومن السهل إذن أن تكون هذه الأفكار تسربت إلى المسيحية عن طريق المسيح نفسه وعن طريق أتباعه ممن تأثروا بها ، وقد كانت دعوة المسيح في حياته روحية بحتة ثم كان أتباعه بعد ما يزيد على قرن من انتهائه هم الذين أدخلوا على المسيحية تهاليجاً الأخرى وكان من أصحاب الإنجيل والرسل والوطاظ من لهم صلة وثيقة بهذه الفلسفات كما يبدو ذلك لدى لوقا الطيب ويوحنا صاحب الإنجيل المسمى باسمه وصاحب سفر الرؤيا ، والفلسفة فيهما واضحة كل الوضوح .

وهناك آخرون دخلوا المسيحية أخيراً لهم صلة بمدونة الاسكندرية ولهم في تلوين المسيحية دور خطير ، وتلعب دائماً بينهم أسماء أوريجين وكليمنس Clement .

هؤلاء كان لهم أثر ملحوظ في نشأة الرهبنة وصبغها بصبغتها الخاصة ، وغنى عن الذكر أن المصريين أخذوا من كل هذه الفلسفات جانبها العلى التعبدى دون الجانب النظرى .

والمسيحية أيضاً كانت دعوة صارخة تهيب بالناس إلى ترك الدنيا والدخول في ملكوت الله وحسباً تصورهما الإنجيل تنحصر في ثلاثة جوانب ، دعوة إلى الزهد وترك الدنيا رداً على ما شاع في عصره من الترف وحب البذخ والتظاهر بالثراء ، وحملته على الرياء بطلب الإخلاص وتوجيه

عقائدهم السابقة ، وفى عهد الاضطهاد لم يكن التبشير بالمسيحية الحقة وبث تعاليمها ميسورا .

فاذا انتقلنا إلى العهد الإسلامى وجدنا أن التصوف لم يظهر إلا فى القرن الثالث الهجرى ، وظهر لجأة بلون لم يألفه المصريون ولا يناسب طبيعتهم إذ ظهر فى ثوب فلسفى وكان ذو النون المصرى أول من طلع على المصريين بهذا اللون ، وغنى من الذكر أن التصوف غير الرهبنة والإسلام لا يرضى عنها ولا يقرها ، ولكننا نجد صلة بينهما بوجه ما ، فقد عاش ذو النون فترة مع الرهبان ، ويقال إن أول باحث للفكر الصوفى فى قلبه حكمة قديمة رآها مكتوبة على بعض المعابد المصرية القديمة وظهور التصوف بعد هذه المدة من فتح العرب مصر يعنى أنه لم يظهر بهذا الوجه إلا بعد أن ظهر الفكر الفلسفى بين المسلمين ، وفى العصر الفاطمى تلون التصوف بلون آخر جديد ، واستجاب له المصريون وأقبلوا عليه ، إقبالا لم يحدث مثله مع دعوة ذى النون ، ولا تزال آثار التصوف الفاطمى باقية إلى الآن ، لأن هذه الدهرة كانت أنسب لطبيعة المصريين وأقرب إلى عواطفهم ، ويعنى هذا أن الطبيعة المصرية أقوى من السبب الخارجى .

فاذا اتينا من هذا كله إلى أن الطبيعة المصرية على استجابتها للثقافات الدينية المختلفة كانت هى أيضا ذات توجيه لهذه المؤثرات ، وأن العوامل المؤثرة فى طبيعة المصريين فى مختلف أدوارها كانت تتفاعل بهم أيضا ... لم تكن بعيدة من الحق والصواب ؟

عبد الجليل شلى

لجب نفسه . . فاذا كان هذا هو الذكى المفكر فكيف بالبسطاء قليل التفكير .

والشئ الذى يحد من عزو الرهبنة إلى تعاليم المسيحية وحدها هو أن الرهبنة لم توجد بالأقطار المسيحية الأخرى كما وجدت بمصر ، بل قد وجدت بمصر طائفة متنسكة تقرب فى نسكها من الرهبنة قبل المسيحية بنحو قرنين وكانت تعيش بمقربة من بحيرة مريوط نفس المسكان الذى بدأ منه الرهبان المسيحيون ، وهؤلاء هم أساتذة الأسىين اليهود الذين اشتهروا بنسكهم .

وعن مصر أخذ العالم كله نظام الرهبنة ، وجاء الناس من بعيد لهرؤا رهبان الصحراء ، ونقل إلى الهند وفارس ورقمة العالم كلها وإلى البلاد الأوربية هذا النظام بل والاسم أيضا حتى إن الصوامع التى أنشئت فى جزر أيرلندا سميت أيضا باسم الصحارى وليس هناك صحراء .

أظن أنه من السهل بعد هذا كله . ومع الأخذ بالأسباب السابقة جميعا . أن نرؤو إلى الطبيعة المصرية كل هذه المظاهر الدينية ، ولا تكون هذه الأسباب الأخرى أكثر من موجه لها ، فهى طبيعة تجنح إلى التدين وتتنج إلى الله ترقب هوته وتخشى انتقامه ، وتؤمن بحساب الآخرة ، وهى فى هذا الإطار قابلة للتوجيه حسبما تملى عليها النصوص التى تؤمن بها .

وليس من المستنكر أن يترك كل دور من هذه الأدوار أثرأ ما فى الدور الذى يليه ، فالعهد الوثنى ترك أثرأ واضحا فى العهد المسيحى إذ أقبل كثير من المصريين على المسيحية من غير أن يفقهوها ، وتحولت بعض المعابد إلى أديرة أو كنائس ولم يكن من الهين اليسير أن يتحلل الذين تنصروا من كل

فِنْ نَحْوَتْ جَمِيعَ الْجَوْتِ

التَّأْمِينُ

لِلْأَسْتَاذِ عَلَى الْخَفِيفِ

- ٣ -

أَسَسَ آرَاءَ الْمَنَاعِينَ :

وهذا المعنى موجود أيضاً في صور التأمين الآخر فإن الشركة لا علم لها فيها بما سيقع فقد يقع الخطر فتلزم بأدائه مبلغ التأمين أو بالتعويض وهو لا يقاسب مع ما دفع من أقساط التأمين .

ذهب فريق من الباسحين إلى تحريره ومنعه بجميع أنواعه وقد بنوا رأيهم هذا على الأسباب الآتية : —

وقد لا يقع فلا تلزم بأداء شيء وقد سلمت لها أقساط التأمين دون مقابل وكذلك فيه معنى المراهنة ذلك لأن التزام الشركة معلق على خطر قد يقع وقد لا يقع فإن وقع التزم الشركة بأداء مبلغ التأمين أو بالتعويض وإن لم يقع لم تلزم الشركة بشيء من ذلك - ويقول أصحاب هذا الرأي أيضاً في بيان معنى المراهنة والمقامرة فيه : إن هذا العقد لا يقوم إلا على المراهنة والمقامرة فإن ما يدفعه المستأمن ليس إلا رسماً يقامر به على ما أمن من حريق أو من تلف أو من موت وحدث شيء من ذلك أمر مجهول فإن وقع ما قامر عليه خسرت الشركة فدفعت له أضعاف الرسم المدفوع وإن لم يقع خسر رسم المقامرة وهو قسط التأمين .

الأول : أنه يقوم على المقامرة والمراهنة وكلاهما أمر محرم شرعاً . يقول المرحوم الشيخ محمد نجيت في فتاواه التي أصدرها فيه : إنه عقد فاسد شرعاً لأنه معلق على خطر تارة يقع وتارة لا يقع فهو قمار معنى .

ويقول أستاذنا المرحوم الفقيه أحمد إبراهيم في التأمين على الحياة قد يموت المؤمن له بعد دفع قسط واحد من أقساط التأمين فتؤدى الشركة المبلغ المتفق عليه كاملاً لورثته أو لمن جعل له ولاية قبضه دون أن يكون ذلك في مقابلة شيء أخذته الشركة إلا قسطاً ضئيلاً وقد يكون المبلغ عظيماً . أليس في هذا مقامرة ومخاطرة وإذا لم يكن هذا من صميم المقامرة ففي أي شيء تكون المقامرة إذن . على أن المقامرة حاصلة فيه من ناحية أخرى فإن المؤمن له بعد أن يوفي جميع الأقساط يكون له مبلغ التأمين، وإذا مات قبل أن يوفيه كان المبلغ لورثته أليس هذا قراراً ؟ إذ لا علم له ولا للشركة بما سيكون .

ذلك ما يذكره المدافعون في هذا السبب وهو بيان لم يؤسس إلا على نظرية السلطانية الخاطفة التي حال دون نفاذها إلى حقيقة عقد التأمين بشكله الخارجي وأغنتها الصورة الظاهرة عن الاستيعاب والدقة والتحقيق .

هند وقوع الخطر وهو ضمان أو تحمل يورث المستأمن أمناً وطمأنينة باعتبارها وسيلة إلى أمنه بتعويضه مما يصيبه إذا وقع ما يخشاه ثم هو إلى هذا يهدف إلى ترميم آثار الكوارث التي تصيب الإنسان في نفسه أو في ماله وذلك عن طريق التعاون بين المستأمنين أصحاب العقود الأخرى على توزيع الخسائر التي تحدث من تلك الكوارث عليهم فيما يدفعونها من أقساط وذلك بواسطة الشركة التي تقوم على تنظيم هذه العملية وإدارتها كوسيط بينهم . .

وليس يحول دون هذا التكييف ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من أن الضمان لا يصبح أخذ العوض عنه ذلك لأنه رأى لهم بنوه على ما صرحوا به من أن الضمان من قبيل المروءات وليس يؤخذ على المروءة وعمل الخير عوض لمنافاة ذلك للخلق الكريم القويم، وعلى ذلك قام عرفهم وأسعوا رأيهم أما وقد تغير العرف فاتخذ الناس من الضمان وتحمل التبعة وسيلة أمن وطمأنينة تدفع إلى النشاط في العمل والجد فيه وتوحى بالإقدام والمثابرة على تنمية الأموال واستثمارها في المجال التجاري والصناعي وسائر نواحي النشاط الاقتصادي فليس ما يمنع شرعاً من تقويم هذه الوسيلة ومعاوضتها بالمال لقاء ما تدهو إليه ويترتب عليها من الجدي في تنميته، والأمن في مباشرة وسائل استثماره وبما قد تأتي به حوادث الزمن ومصائبه - على أن من الفقهاء السابقين من ذهب إلى جواز - الاحتياض من الضمان فأجاز الكفالة نظير عوض يأخذه الكفيل .

وخلاصة القول أن ما يوجد في المراهنة والمقامرة من الأوصاف التي اقتضت حظرهما هي التي جاءت الإشارة إليها في قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا

فليس في عقد التأمين تلك العناصر والمعاني الجوهرية التي توجد في المراهنة والمقامرة وتستوجب حظرهما شرعاً وقانوناً إذ ليس مجرد وجود الخطر والاحتمال فهما هو الذي استوجب منعهما فإن كثيراً من الالتزامات والتصرفات تصح مع التعليق على شرط هو على خطر الوجود فترتب عليها آثارها إن تحقق الشرط المعلق عليه ، ولا يترتب عليها أثره إن لم يتحقق - وليس هذا إلا نوعاً من خطر تضمنه هذا التصرف ومع ذلك لم يستوجب بطلانه - وإنما الذي استوجب الخطر شرطاً في المراهنة والمقامرة ما في كل منهما من تعريض المال للضياع جرياً وراء طمع في ربح أو مال موهوم علق تحققه على حدوث أمر حدوته معلق على المصادفة والحظ المجردين دون أن يتخذ لوجوده وتحققه أية وسيلة من الوسائل العادية في الأحداث والخلق فيعطي الشخص ماله من غير دافع سوى الطمع في الحصول على أكثر منه إذا ما حدث مصادفة أمر موهوم هو على خطر الوجود فإذا حدث كان له من المال ما طلب وطمع فيه وإلا ضاع عليه ماله - وكالذي يراهن بماله على حدوث أمر قد يقع وقد لا يقع فيلزم نفسه بمال صاحبه عند تحقق حالة معينة من حالتيه وإلا كان له من صاحبه مثل هذا المال أو أكثر - منه إلى غير ذلك من الصور التي يكون فيها دائماً أحد المتراهنين غانماً والآخر غارماً والتي تلعب فيها الحظوظ وتؤدي بالأخلاق وتوقع العداوة والبغضاء بين المتراهنين وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وقد التأمين ليس فيه شيء من ذلك إذ أنه عقد يقوم على المعاوضة بين بدلين أحدهما ما يدفعه المستأمن من الأقساط والثاني ما يلزم به المؤمن ويلزم به نفسه من الضمان وتحمل التبعة

ذلك قولهم في منع التأمين لهذا السبب . غير أننا نراهم قد جعلوا الغرر بإطلاق سبباً للحظر ولكننا نجد أن كثيراً من البيوع يلاحظ فيها الغرر وهي معة جائزة ، وإذن فليس كل غرر يصلح علة للحظر منه ما لا يصلح . وعلى ذلك يجب البحث فيما يحويه عقد التأمين من غرر أهو من النوع الذى يصلح سبباً للحظر أم من النوع الذى لا يصلح سبباً له ، وليبيان ذلك نذكر فيما يلى معنى الغرر وأنواعه وما يصلح منها سبباً للحظر وما لا يصلح .

في القاموس : غره خدعه وأطمعه بالباطل والاسم الغرر - وقال القاضي هياض : الغرر لغة هو ما له ظاهر محبوب وباطن مكروه ولذا سميت الدنيا متاع الغرور - والغرر الشاب لا تجربة له - ويطلق الفقهاء الغرر على الجهالة لما بين معنى الغرر لغة ومعنى الجهالة من الاشتراك والاتصال سواء تعلقت الجهالة بالوجود أو بالصفات ولذا يستعملون أحدهما في موضع الآخر كثيراً ويتبعون أحدهما الآخر للبيان والتفسير ، ويقول ابن تيمية : إن الغرر هو جهل العاقبة فكل عقد جهلت عاقبته فيه غرر والتصرفات بالنظر إلى الغرر ثلاثة أنواع . أحدها ما هو إحسان صرف لا يقصد به تنمية المال كالمضاربة والهبة والإبراء والضمان . وثانيها : ما هو معاوضة يقصد بها تنمية المال كالبيع والإجارة .

وثالثا : ما كان وضعه بين الفوهين السابقين فلم يشمخص للمعاوضة ولا للإحسان كالتسكح إذ المال غير مقصود منه وإنما المقصود منه المودة والألفة والولد وليس المال فيه تبرعاً محضاً .

وليس للغرر في النوع الأول تأثير في صحته

إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام وجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون .

وذلك ما ينبعث عن المقاربة من العداوة والبغضاء واضطراب النفوس وثورتها وسوء الخلق وقتل الرغبة في العمل المثمر وليس يوجد شيء منه في عقد التأمين بل أنه ليدى أن ما يصدر عنه على خلاف ما يصدر منهما فهو مبعث أمن وطمأنينة ومصدر آناو طيبة في المجال التجارى والصناعى والاجتماعى بما لا تستقيم معه مقاييسه أو انتظامهما تحسب حكم واحد .

الثانى ما فيه الغرر والجهالة — قالوا أيضاً إن

الغرر والجهالة مبنى عقد التأمين وأساسه أوهى طيبة هذا العقد ألا يرى أن فقهاء القانون الذين أجازوه عدوه ضمن عقود الغرر وذلك هو نظر البديهية فإن كلا من طرفى هذا العقد لا يدرى عند إنشائه ما سيأخذ وما سيعطى بناء عليه فالأمر لا يدرى كم قسطاً يأخذ قبل وقوع الحظر ولا أى مقدار يعطيه تمويضا في الصور التى لا تضمن الاتفاق على مبلغ معين للتأمين - وكذلك المستامن لا يدرى أيضاً عند التعاقد كم قسطاً سيدفع ولا ماذا سيأخذ بل أنه لا يدرى أهو الذى سيأخذ ماتم الاتفاق عليه أو يأخذه ورثته وهكذا يرى أن هذا العقد يكتنفه الجهالة والغرر ولقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الغرر - ونهى عن بيع الغرر يقتضى النهى عن كل معاوضة فيها غرر لأنها في معنى البيع والتأمين من شروط المعاوضة .

في المبيعات لا يجوز ، وأن القليل يجوز وأنهم يختلفون في بعض أنواع الغرر فمنهم من يفتقره ومنهم من لا يفتقره في مثل بيع أحد شيئين معينين يختلف الفقهاء : منهم من منع هذا البيع كالشافعي ومنهم من أجازة كأبي حنيفة ، وذلك بناء على اعتبار ما في ذلك من غرر كثيرا أو قليلا بينما أنهم متفقون على منع بعض البيوع لما فيها من الغرر الكثير وقد جاءت الآثار بمنعها لما فيها من الغرر ومن هذه البيوع بيع ما لم يخلق وبيع ما ليس عند البائع وبيع الثمار قبل بدو صلاحها وبيع ما يتعذر تسليمه وبيع المبيع المجهول سواء أكانت الجهالة في جنسه أو في مقداره مثل بعتك هبداً وبعثك جميع ما في هذه الدار ولا يعلم المشتري ما فيها أو بعتك ما في هذا الصندوق ونحو ذلك مما وردت بمنعها الآثار كبيع الملامسة وبيع المتباذرة .

وبما اختلفوا في تقدير ما فيه من الغرر فاختلّفوا لذلك في حكمة بيع المعين المعلوم جنسه وقدره ولكن جهل نوعه وصفته مثل بعتك الثوب الذي في كى أو العبد الذي أملكه - وكما اختلفوا في جواز بيع ما في الصندوق إذ أجاز ذلك الحنفية ومنعه الشافعية وكذلك بيع الأهيان الغائبة أجازة الحنفية ومنعه الشافعي في الجفيد وعن أحمد فيه ثلاث روايات - أحدهما لا يصح بحال وهو قول الشافعي في الجديد وثانيها يصح وأن لم يوصف وللشترى الخيار وهو قول أبي حنيفة وروى عن أحمد جوازه بلا خيار وثالثا يصح مع الوصف ولا يصح بدونه .

(للبحث بقية)

ونفاذه إذ قد اقتضت حكمة الشارع وحته على البر والإحسان فيه بكل طريق دون أن يمنع من نفاذه غرر إذ أن ذلك أيسر لوقوعه ولهذا صحت الوصية مع الجهالة والغرر كالوصية بهم من المال وصح الإبراء مع جهالة المبرى مقدار الدين الذي أسقطه وصحت الكفالة إذا قال شخص : أنا كفيل بما يابعت به فلانا وصحت هبة مال مجهول العين أو القدر للمعاقدين أو لأحدهما كونه بعتك ما في جيبى وهو لا يعلم . ذهب إلى ذلك المالكية كما في الشرح الكبير للدردير . وإنما جاز ذلك في التبرع والإحسان لأنه خير لا ضرر في الجهل به ولا يؤدى الجهل فيه إلى نزاع إذ لم يعط فيه عوض حتى يتوهم الغبن فيه وليس بضير المتبرع أن يصير إليه بالتبرع شئ قليل .

أما في النوع الثانى وهو المعاوضة التى يقصد منها تنمية المال فقد اقتضت حكمة الشارع أن تحجب من الغرر والجهالة ما إذا فات بسببه المبيع ضاع المال المبذول فيه وهو العوض أو الثمن ولا يستثنى من هذا الأصل إلا ما دعت الضرورة إليه عادة - وقد قسموا الغرر بالنسبة إلى هذا النوع من المعاملة ثلاثة أقسام : أحدهما ما لا يحصل معه العقود عليه أصلا ، وثانيها ما يحصل معه العقود عليه دنيا ونزرا وثالثا ما يحصل معه غالب العقود عليه - فيتجنب الأولان في المعاوضة لفسادها معهما ويفتقر الثالث فيها .

ويقول ابن الوائى : الغرر كثير وقليل ووسط وجعل الكثير عبارة عن القسمين الأولين السابقين وذكر أن الفقهاء متفقون على أن الغرر الكثير

ما يقال عن الإسلام

بحث في الإيمان والإسلام

لأستاذ الدكتور أحمد فوزي الإلهواني

وهذه ، والاعتقاد في صحة النبوة والرسالة والبحث في الآخرة ، وعلى عبادات معينة كالصلاة والزكاة . وبعد موت النبي ارتد العرب ، أرادوا عدم دفع الزكاة بوجه خاص ، فقدم أبو بكر كفاراً وحاربهم وفي خلافة عثمان زعم بعض المسلمين أن عثمان بن عفان بما قام من أعمال قد خرج على الإسلام ، من أنه ابتنى الدور والقصور مما لم يكن معروف في عهد الرسول ، من أنه أعطى المناصب الكبرى لأقربائه ، وغير ذلك مما نسبته أصحاب الفتنة إليه ، وهم الذين اعتدوا عليه وقتلوه . فأصحاب الفتنة رأوا أن عثمان قد كفر ، ولذلك استحق في نظرهم القتل . وفي خلافة علي بن أبي طالب ظهر جماعة يرددون هذه النعمة نفسها ، نعمة التكفير التي تستلزم القتل . وقد سبى أصحاب هذه الفتنة بالخوارج ، خرجوا على الخليفة لأنه قبل التحكيم . فكان الخوارج أول الفرق الكلامية ، وأساس ظهورهم البحث في الإيمان والكفر . والخوارج يتشددون في الحكم بالكفر ، ولا يكتفون بإصدار حكم نظري بل يلحقون ذلك بالتنفيذ ، على عكس فرقة أخرى ظهرت فيما بعد ، وأرجأت الحكم على مرتكب الكبيرة ، ولذلك سماوا بالمرجئة . وعندما ظهر المعتزلة في أواخر المائة الأولى ، زمان واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ، قالوا : إن مرتكب الكبيرة لا هو مؤمن ولا هو كافر

تحدثنا منذ عام في هذا الباب الذي يدور حول ما يقال عن الإسلام ، عن المستشرق الياباني الدكتور طوشيكيو إيزوتسو ، الأستاذ بجامعة كيو ، بمناسبة كتابه الذي أصدره في ذلك الحين بعنوان ، الله والإنسان في القرآن .

واليوم نحدثك عن أحدث كتبه ، الصادر هذا العام ١٩٦٥ بعنوان ، معنى الإيمان في علم الكلام الإسلامي ، وله عنوان فرعي هو ، تحليل سمى للإيمان والإسلام . . والسميتي : هي هذا العلم الجديد الذي يعرف باسم علم المعاني أو علم الدلالات وهو منهج في البحث يتخذ من المصطلحات الأساسية محوراً تدور الدراسة حوله مع النظر في الدلالات المختلفة لهذه المصطلحات بحسب تطورها وفهم الناس لها .

ولا نزاع في أن مفهوم الإيمان والإسلام من المفاهيم الأساسية في علم الكلام ، وهو علم أصول الدين والعقيدة ، ولقد كان بدء النزاع حول العقيدة ، والذي عنه نشأ علم الكلام وظهرت الفرق المختلفة ، هو البحث في هذا الشخص أو ذاك أهو مسلم أم كافر . والإسلام نفسه دين أنزل على محمد عليه السلام الذي بعثه الله إلى العرب يدعوهم إلى الإيمان بالله وبيناهم عن الكفر به . ثم أقيم بينان الدين بعد الإقرار بوجود الله على توحيده ،

ونود بهذه المناسبة أن نتجه بملاحظة أخرى لصاحب الكتاب ما كنا نشير إليها ، لولا التزام المؤلف منهج « السمعية » ، وهو البحث في دلالة الألفاظ والملاحظة أن المؤلف يخطئ ، وأعلى الألف يسوى بين الاعتقاد والإيمان ، مع العلم أن بينهما فرقا واضحا ، سواء في اللغة العربية أم في الإنجليزية . يفتتح المؤلف الفصل الأول من الكتاب بقوله : « لا ينكر أحد أن الاعتقاد belief ، أو الإيمان faith ، جوهر الدين ، ولكنه جرى بعد ذلك في سائر الكتاب على ترجمة الإيمان بالإنجليزية بما يقابل الاعتقاد ومن أجل ذلك كان ينبغي أن يعقد فصلا خاصا يميز فيه بين الإيمان والاعتقاد .

ويتألف الكتاب من أحد عشر فصلا وخاتمة وملحقا . أما الملحق فهو ترجمة إلى اللغة الإنجليزية لكتاب الإيمان من صحيح البخاري ، الحقه المؤلف في آخر الكتاب . ومن هنا نرى أن الكتاب نافع لقراء الإنجليزية من الأجانب ، أو من المسلمين الذين لا يعرفون اللغة العربية . وتبحث الفصول الثلاثة الأولى في الكافر والتكفير والفاسق . والرابع عن الإيمان والإسلام . والخامس تحليل لمفهوم الإيمان ، والسادس والسابع والثامن والتاسع عن الإيمان والعلم ، الإيمان والتصديق ، الإيمان والعقول ، الإيمان ، والعمل ، والفصل العاشر تحليل عبارة « أنا مؤمن إن شاء الله » ، والحادى عشر في خلق الإيمان . وهذه كلها موضوعات مألوقة عند قراء العربية تدارسوها . وعرفوها ، وحفظوها ، وبخاصة الذين تدارسوا علم الكلام . ولكن الجديد في الكتاب هو هذا التنظيم الجديد

بل هو فاسق ، فهو في منزلة بين المنزلتين ، فكان هذا أحد أصولهم الخمسة . وهذا الفهم الكلامي أقدم الأستاذ إيزوتسو على عرض وجهات نظر الفرق المختلفة من خوارج ومرجئة ومعتزلة وأشعرية وماتريدية وحشابلة متقدمين ومتأخرين في قضية الإيمان والكفر . رجع في ذلك إلى كتبهم المطبوعة بل والخطوط . وإذا كنا نمتدح سعة اطلاعه وإحاطته التي تكاد تكون تامة ، فإننا نأخذ عليه أنه غفل عن الرجوع إلى كتاب حديث ببسط آراء المعتزلة ببسطا مستفيضا ، ونعني بهذا الكتاب المغنى في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار الحمداني ، وهو كتاب يقع في عشرين جزءا صدر منها حتى الآن ما يقرب من عشرة أجزاء ، وننبه بوجه خاص إلى الجزء الثاني عشر الذي يبحث في النظر والمعارف ، لأنه يتناول معنى المعرفة العقلية الضرورية التي اشتهر المعتزلة بالقول بها . وكنا لا نعرف رأى المعتزلة في هذه المسألة ، وغيرها من المسائل ، إلا من خلال ما يذكره عنهم خصومهم بمناسبة الرد عليهم . أما الآن بعد ظهور كتاب القاضي عبد الجبار - ونضيف إلى ذلك أيضا كتابه شرح الأصول الخمسة ، والمحيط بالتكليف ، وكلاهما ظهر هذا العام وطبع - فإن عدم الاطلاع عليه يعد نقصا كبيرا . وقد عقد الأستاذ إيزوتسو الفصل السادس من كتابه على « الإيمان والمعرفة » ، وناقش رأى المعتزلة الوارد على لسان غالفهم . والحق في ذلك أن المعتزلة حل خلاف في الرأى ، فكان أبو القاسم البلخي يقول : إن العلم غير الاعتقاد ، ومن رأى أبى على الجبائي وابنه أبى هاشم : أن العلم من جنس الاعتقاد .

إلى كتب الماتريدية أنفسهم وهذا التمييز ضروري لصاحب البحث التاريخي . أما المسلمون أنفسهم فإنهم ابتداء من القرن الخامس الهجري ، بعد أن مرقت المنازعات الكلامية أوصالهم ، وفرقت بينهم ، وأدت إلى فتن شديدة يؤسف لها ، أخذوا يوقفون المذاهب المتعارضة حتى انتهى بهم الأمر إلى دعةقيدة ، رسمية لاهي اهتزالية ولا ماتريدية ولا أشعرية وإنما هي مزيج من هذا كله ، وانتقاء للأوفى من الآراء التي يكاد يكون عليها شبه إجماع ، أنظر مثالا لذلك « العقائد » للنسفي ، وشرحه للنفتازاني ، فإن صاحبه من الماتريدية ، ومع ذلك فإن الأشاعرة يتخذونه أساساً للعقيدة ، وكان ولا يزال يدرس بالأزهر .

وكنا نود ألا يقف المؤلف في عرضه للتاريخي عند القرن الثامن أو التاسع الهجري ، عند ابن تيمية أو البيضاوي الماتريدي ، بل يمتد إلى أواخر القرن الماضي وبداية القرن الحاضر ، وهذا الشيخ محمد عبده بوجه خاص ، لأنه يمثل روح التجديد في الاتجاه التغلبيدي ، أو عند تلميذه مصطفى عبد الرازق ، وله مباحث معروفة مشهورة يجردها في كتابه « الدين والوحى والإسلام » .

أحمد فؤاد الأهواني

للبحث ، مع سلوك المنهج السمنى . ومن نماذج تعاطيات هذا المنهج أن مفهوم المؤمن والكافر ، والإيمان والكفر ، ورد في القرآن ، مع التمييز الحاسم بين الكفار والمؤمنين . وهنا يفترض المؤلف أن المؤمن والمسلم شئ واحد . فالذين قبلوا دعوة الرسول إلى الإسلام أصبحوا مسلمين مؤمنين ، ودخلوا في دائرة الإسلام . وتوجد خارج هذه الدائرة ، دائرة أخرى تشمل الكفار والمؤلف يوضح رأيه برسم دائرتين بالفعل . واتسعت بغيره الحال دائرة المسلمين مع انتشار الدعوة الإسلامية في حياة النبى ، وبذلك أخذ يقتل بعض الكفار شيئاً فشيئاً من دائرة الكفر إلى دائرة المسلمين .

أما تفسير الخوارج للإيمان والكفر فإنه يختلف عن الصورة القرآنية ، لأن الكافر عندهم بعض المسلمين ، وبمعنى آخر وطبقاً للتحليل السمنى أن دائرة المسلمين تشمل على كفار في نظرة الخوارج . ألم يكن على بن أبى طالب مسلماً ، ولكنه في نظرهم وعندما قبل التحكيم أصبح كافراً ، وكذلك المسلم الذى يرتكب كبيرة من الكبائر . وعلى هذا النحو يفسر رأى المرجسية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم من الفرق .

والجديد أيضاً في هذا الكتاب تمييز صاحبه بين الماتريدية والأشاعرة ، الرجوع في هذا التمييز



الكتيب

لآلاء المتم

للدكتورة عائكة الخزرجي
نقديم: الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات

الطبعة والتراكيب السبعة كانت الملائكة في السرخ تنزل بالموارد الروحية والأحاسيس العلوية على العباد والزهاد فلا يجدون السكينة المواتية، ولا الجملة الدالة فيصطنعون لغة بشار والعباس وأبي نواس فينتعون المرأة، ويصفون الخمر، ويذكرون السكر والعشق، والشوق والفناء، يرمزون بذلك كله للعبود الأذلي الأبدى الذي لا يحيط به علم، ولا يتعلق به وهم، ولا تعبر عنه لغة.

فإذا جمعت إلى ذلك أن عائكة، صريحة النسب في العروبة، فأبوها خزرجي، وأما هجيدية، وأنها عريضة النزعة في الصوفية، لجدها كان يقرض الشعر الصوفي، وأبوها كان يكسر من المحفوظ منه، وأنها قوية الفطرة بحسب الطبع والوراثة والبيئة على استقبال مواحي الحب، واستكناه أسرار الجمال، أدركت سر هذا التفقح الذهني المبكر في التليذة عائكة، وهي لا تزال في العاشرة من عمرها، توقع شعرها الغزلي على صبرات الذكر في مغاني السرخ وشذوات الطير في أعالي النخل، وصفقات الماء على غوارب دجلة، كان شعرها في هذا الطور إرماس شاهر ودندنة قيثارة، وسقعة بلبل،

هذا الديوان الثاني من شعر الدكتورة عائكة الخزرجي، أستاذة الأدب بسلكية الآداب من جامعة بغداد، صدر منذ أسابيع في القاهرة، وقد قدم له الأستاذ ورئيس التحرير هذه المقدمة:

في السرخ نصات، وفي السرخ تميش، والسرخ منذ تعهر جوه الصافي بأنفاس الملائكة يسبحون بالجمال ويهتفون بالحب على ألسنة المصطفين الأخيار من المتصوفين والزهاد الذين اجتباهم الله ليكونوا حقيقة لشريعته، وشرعية لحبه، لا يزال مبعثا للحب الإلهي المجرد، وصرحا للجمال الروحي المطلق، ومثارا للذكريات المجنونة، ودالحلاج ومعارف، وأضرابهم ممن يمشون جمال الله في خلقه، ويعبرون عن حبه إياه، وفنائهم فيه بالرمز الموحى، والغزل المثير، فينقش بياضه الزاهد، ويلتصم بظاهره الماجن، والقصور إنما هو في اللغة المحدودة التي لا تستطيع أن تعبر عن معاني الروح إلا بالفاظ الحسن ولا أن تصور مداخل النفس إلا بمخارج الحروف.

فبينما كانت الشياطين في الرصافة تنزل بالغزل الجسدي الشهوان على القيان والمجان فيجدون الألفاظ

إنه يحيا ... وإن كان بمعياه عذاب
سادرا نشوان يحسوا الخمر من كرم شباب
إنه ريان لا يغبني من يشكو الأواما
آه لو حطمت حتى ولو كفت الخطا (١)

إن الشباب من قصب ، ولكن اللحن من نار ،
فكلما نفخت فيها من روحها ذاب قلبها في حبها فتنب
أو تمن أو تصكو أو ترجو أو تثور بألفاظ
منسقة كالنغم موقفة كالزهر منسقة كالوشى تمرى فيها
المعاني الشاعرة سريان النشوة في الرقيق ، أو الفجوة
في الطيب ، فأسلوبها نسق مطرد من الفكر والخيال
والعاطفة ، يصقله طبع وذوق ، ويقوم به درس
واطلاع ، فلا تجدد فيه ما تجدد في أكثر الشعر
الفسوى من قلق في لفظ ، أو نبو في قافية ،
أو غموض في معنى ، أو تجوز في قياس ، أو شذوذ
في غرض ، ولقد وقاما كل ذلك تنشئة هربية قومية
ودراسة أدبية عميقة ، ومرانة فنية طويلة وحصيلة
متخيرة من روائع الشعر الخالد طبعها على الأسلوب
الصحيح ، وهدتها إلى الطريق الواضح ، وعصمتها
من الزيغ الذى أصاب نقرا من الشعراء والشواعر
فسموا العجز فنا ، والنثر شعرا ، والفوضى طريقة
فهى تتصرف في المضمون الشعرى تصرف الفنان
المتطور الحر الذى يواكب ركب الحضارة ويتعمق
أسرار الطبيعة ويتقصى أطراف المجتمع ، ويدفع
المتخلف بفكره إلى الامام ، ويرفع المتدلى بشعره
إلى فوق ، ولكنها تقف في الشكل الأدبي عند
الخصائص التى تميز أدبا من أدب ، وتفصل جنسا
من جنس ، فهى تعدد في الأوزان ، وتنوع في القوافي
في حدود الأوتار الستة عشر التى تتألف منها قيثارة
الشعر العربى .

ثم لم يلبث أن صار بقوة السليقة ، وسناء القريحة ،
وفيض الخاطر ، وعمق التأمل واكتمال الأداة
أغاريد صباية ، وأناشيد حسنة ، وتراويل أرغن ،
وتسايبح صلاة .

إن الينابيع الصافية الثرة التى ارتوى على فيضها
واغتذى على جناها شعر الدكتور عاتكة هى : الله
والطبيعة والنفس ، والينبوع القديمى هو أندى
على كبدهما ، وأروى لشعورها من الينبوع النفسى
والينبوع الطبيعى لأنهما حين تصف النفس أو تصور
الطبيعة يتمثل فيها بدیع السموات والأرض الذى
أحسن كل شيء خلقه ، ومنع كل جميل جماله :

والذى رفرق الصباية في القلب
ووشى بالحب أثناء نفسى
والذى برا الحنايا وأصفا
ها صفاء الانداء في ضوء شمس
أنت عندى معنى به أجده

حيالى في الصباح أو حين أمسى (١)
وإذا تقسم هواها خواطر النفس ، وظواهر
الحس فقالت في النخل والنهر ، ونوهت بالوطن
والإنسان ، وغنت بالحب والحبيب ، فذلك لأن
الحب من طبيعة قلبها يصدر عنه كما يصدر العبير
من الزهر أو النور عن السراج لا يقصد به سمما
بينه ، ولا بصرا بذاته إنما هو الحب للحب ،
والعبق للعبق ، والفناء في الوجود ، واللذة في الألم ،
وكثيرا ما يضيق جسدها المشغوف بقلها المشغوف
كما يضيق الغلاف البلورى الفوف بوهج المصباح
المحرق فتقول :

أنا أهواك يا دنياى أم ذلك قلبي ؟
شأنه العيش ، ولا عيش له من دون حب

فيجتمع في غزلها وضوح الصورة ، ودقة العبارة ، وقوة التأثير ، فيقول الناقد الذي لا يؤمن بصوفيتهما : إنها تدخل في الغزل باعتباره باباً من أبواب الشعر لا يجري من بجارى الشعور ، فهي تعبر بالفن لا بالوحى ، وتؤثر بالصنعة لا بالطبيعة ، ومهما يكن الاختلاف في طائفة بين السكاكبة والهاجرة فإنه لا يتطرق إلى بلاغتهما في الحالتين ، وبراعتهما في الصناعتين ، وقديماً قالوا : إن إجادة النثر والشعر قلما تتفق لأحد ، وصاحبة الأنفاس من هذه القلة .

أما اللقيا الثانية فكانت منذ أيام في فندق البرج على النيل ، وكان قد مضى على اللقيا الأولى قرابة عام توفقت فيها بيننا صلة الأدب بما تحدثت عنى في الرسالة والإذاعة ، وبما قرأت لها من المقطعات والمقالات ، فلما التقينا ، التقينا على ألفة . وجرى بيننا الحديث كأنه صلة حديث انقطع لا بداية لحديث نشأ ، ثم أخرجت من حقيبتها مخطوطة ديوانها الجديد (لآلاء القمر) وأخذت تفتشني بعض مقطعاته وأقول : تنشدين ، لأن إلقاءها المطرب المعجب بصوتها الرخيم ، وجرسها الواضح وفبرها المجهور ، ولهجتها المعبرة كان أشبه باللحن الموسيقى في حسن تنويعه ، وجمال توقيعه ، فإذا أضفت إلى ما تسمع بعض ما ترى من أناقة في الشكل ، ولباقة في الدل ، وسحر في الجاذبية ، تذكرت أو تصورت (ى) وهى تحذلك حديثها الشهى الذى يمتزج بالقلب والروح ، ويتصل بالعقل والعلم ، وتيقنت أن الله جل شأنه لن يخلق دنيا العروبة من (ى) مادام في الأرض حياة ، وفي الناس حى ؟

أحمد محمد الزيات

وما كان لابنة بغداد ، وفتاة العروبة ، ومريدة الحلّاج ، وصاحبة ابن الأحنف ، وربيبة المعلمين وخريجة السربون ، وأستاذة الأدب أن تفنكر لأدبنا ، وتتردد على شعرنا طمعاً في اقتحام الأدب من الباب الخلفى ، واكتساب الشهرة بالرأى المخالف فإن موهبتها الأدبية ، ومنزلتها الاجتماعية ، وثقافتها الجامعية ونتاجها المتصل لرباً بها عن التحلى بالعطل والتفرد بالشرود .

تبيأت لى الفرصة مرتين أو ثلاثاً للقاء صاحبة أنفاس الشعر ، ولآلاء القمر ، بالهاجرة وكانت اللقيا الأولى وهى على وشك الرجوع إلى بغداد فلم يكن بين السلام والوداع إلا بعض ساعة تبادلنا فيها التعاميا وتهادينا الكتب وتذاكرنا الأدب بالقدر الذى يشير ولا يعرف ، ثم عادت إلى الكرخ وفى نفسها أن تزيدنى معرفة بها ، وعلماً بأدبها ، فكانت ترسل إلى ما تهجد من شعر ، وما تصدر من بحث فأنشره في الرسالة ومن طريق هذا الاتصال الأدبي المتجدد استطعت أن أعرف أى كاتبه كانت ، وأى شاعرة تكون .

لأما الهاجرة فلعلك تستخرج رأيي في شعرها من جملة هذه الكلمة ، وأما السكاكبة ، فالأمر بينها وبين الهاجرة جسد مختلف : السكاكبة تستمد موضوعها من الحقيقة التى يشهتها العلم ، ويؤيدها المنطق ، ويصقلها الطبع فالتعبير عنها واضح لا مبهم مفصل لا بجم ، مقيد لا مطلق ، مجسد لا مجرد ، كما تراها في كتابها القيم عن العباس بن الأحنف ، والهاجرة تستنبط شعرها في الغالب من وعياها الباطن لا من حسها الظاهر ، فهى تعبر عن حب لا صورة له ، وعن معنى لا ذات فيه ، وأحياناً يطق الخيال ، ويرحف الحس ، ويصدق الحدس

فتاوى مختارة

(الإجابة للجنة الفتوى)

أموال شخصية :

السؤال :

موظفة تعمل بإحدى الوزارات ، وتبلغ من العمر عشرين عاماً ، ويعمل معها بنفس المكتب مدير يبلغ من العمر أربعين عاماً .

كانت ظروف العمل تجمع بينهما فكان يتحدث معها عن ظروفه العائلية القاسية ، حتى استدرجها وتدخل في شئونها وهلم أنها بقيمة الأبوين وليس لها إخوة .

وفي أحد الأيام قال لها : قولي كما أقول ، وبدأ بقوله « وهبتك نفسي » فرددت هذه الجملة بعده ، ولم يكن معها أحد بالمكتب وقتئذ ، كما لم تدون ورقة بهذا المعنى .

وقد أفهمها بعد ذلك أنها أصبحت زوجة له أمام الله . وبعد أيام سألها أمام اثنين من الموظفين « أنت مش ببقيت زوجتي ؟ » فقالت « أيوه » فقال لها : مش احنا اتجوزنا . فقالت « أيوه » .

وبعد فترة تشاحنا وقررت هي أنها لم تتزوجه ولم يحدث عقد زواج أو غيره ، وإنما قالت هذا الكلام أمام الناس بناء على طلبه ، وهي لا تعرف أن هذا الكلام يقوم مقام عقد الزواج .

وتفرقا وانتهى الموضوع على ذلك وتقدم الفتاة شخص يريد الزواج بها وقد عرف بما سبق أن حدثت الفتاة المذكورة مع مديرها ويريد أن يعرف حكم الشرع في مدى صحة الزواج السابق وهل هناك ما يمنع من تزوجه بها .

الجواب :

نفيد أن ما حصل بين الفتاة المذكورة والرجل

الذي كان يحتمل على الزواج منها بهيمة نفسها له لا يعتبر شرعاً عقد زواج عند الأئمة الأربعة رضى الله عنهم .

أما لعند أبي حنيفة فلعدم الشهود وأما عند باقي الأئمة فلعدم المهر والولي وما حصل منهما أمام الشاهدين من قوله لها ما هس احنا اتجوزنا وقولها له أيوه فلا يعتبر عقد زواج : هذا إذا صح ما جاء بالاستفتاء والله تعالى أعلم ؟

السؤال :

سيدة مطلقة وليس لها عائل سوى بنت تعمل في حانة للرقص وتتفق عليها وتقيم السيدة المذكورة في مسكن مستقل عن بقية ، وفي بعض الأحيان تقيم معها مضطربة حينما تهددها البنت بمنع النفقة عنها إذا لم تقيم معها في مسكن واحد والسيدة تتحاشى الإقامة معها بسبب سوء سلوك البنت .

وفي أمام المأخى أرادت السيدة أن تؤدي فريضة الحج وكان معها بعض المال الذي لا يكفي لأداء الفريضة فتبرعت بنتها بشكلة المصايف وقد زاد المال فاشترت بعض الثياب للتجارة وهي تسأل عن الآتي :

١ - صحة الحج ؟

٢ - الإقامة مع بنتها والصرف من المال الحرام ؟

٣ - النفقة التي تأخذها منها من المال المذكور ؟

٤ - هل المال الذي باعت به الثياب حلال ؟

الجواب :

نفيد عن الأول بأن هذه السيدة غير مكلفة بالحج

ولجميع حقوق الزوجية بما فيها النفقة والمسكن وغير ذلك. وتنصح اللجنة هذا الزوج بأن يحسك عن الكلام في مثل هذا ؛ وأن يحسن إلى زوجته ، ويعاشرها بالمعروف ، ولا ترضى فيما ذكره عيبا يستوجب نفورا أو سوء عشرة والله تعالى أعلم .

السؤال :

والذى رجل متدين يحفظ القرآن جميعه ويلم بتفسيره ، وشأت الأقدار أن تقع بعض خلافات عائلية زالت بمرور الأيام ثم حدث أن قصر والذى هذه الخلافات على أحد أصدقائه فإذا بهذا الصديق يعرفه بأحد الأشخاص الذين يدهون أنهم على صلة بالجنس ويقوم بتحضير الأرواح وبدأوا يعقدون الجلسات فى الظلام ويذبحون الحمام ... الخ .
فارجو التكرم بإفادتي برأى الدين فى هذه المسائل ؟

الجواب :

للجن وجود حقيقى لا ينسكه مسلم ، وبعض الناس نوع اتصال خبيث بأفراد من الجن ، كما يستفاد ذلك من نصوص شرعية وإن كان هذا كله لا يدل على تصديق كل ما يدعيه المشعوذون والدجالون الذين يتخذون من هذه وسيلة فى الظاهر بمظهر المستخدم للجن وتحضيرهم وذبح الذبائح من أجلهم وتكليفهم بما يطلبون معتقدين أن الجن يخبرون بأمر الغيب ويشفون المريض ، وبحقون رغبات الناس ، وهذا كله من قبيل الدجل الذى يتخذه المحتالون سبيلا إلى الكسب على حساب البسطاء .
فالواجب إهمال هذه الخرافات التى شاعت بين الأغراب ، وأن يكون إيمان المسلم وتصديقه فى بعد عن هذه السذاجة الضارة به ، وبسمعة الدين الإسلامى والله تعالى أعلم ؟

شمس الدين محمود

لعدم استطاعتها مالياً وحيث إنها حجت من المال المخلوط بالحرام ، فحبها صحيح إذا كان قد استوفى شروطه وأركانها وأما قبوله والثواب عليه فالأمر فيه إلى الله تعالى .

وعن الثانى وما بعده بأن إقامتها مع بناتها والصرف من مالها الحرام منهى عنه لا يجوز لها أن تفعله إلا إذا اضطرت إليه كما تقول ولم تجد باباً تنفق منه سواء ، فحينئذ لها أن تأخذ منه بقدر الضرورة ، وإذا لم تجد طريقاً مشروعاً تعيش منه سوى الاتجار بما بقى من المال المخلوط بالحرام ، وكان ذلك أخف من أن تمد يدها إلى بناتها للأخذ منها والصرف من هذا المال الحرام جاز ارتكابها لأخف الضررين والله تعالى أعلم .

السؤال :

زوجت ابنتى من أحد أقاربي ، وقد ادعى يوم دخوله بها أنها ليست بكرًا ، وقد اجتمع بها فى اليوم الثالث ونزل منها بعض نقط الدم ، ولكنه لم يقتنع ويؤكد أن يطلعتها ، واشترط أن يسترد جميع ما دفعه من هدايا وشبكة ومهر ، وأهل الفتاة فى حيرة من هذه المشكلة ، مع العلم بأن الثمة فى هذه الفتاة لا يشوبها أى شك ، فإذا تفعل ؟

الجواب :

إن البنت قد تخلف بلا بكاراة وقد تكون غورا (عميقة) وقد تسقط بكاراتها بسبب وثبة شديدة فلا يصح للزوج بمجرد الحالة التى ذكرها فى السؤال أن يدعى أنها ثيب ، أو أنه سبق لها اتصال بغيره ، ولا سيما أنه دخل بها ، ووجد منها أثر الحم فى ثالث يوم وإن هذه قليلا ، ولا يحل له أن يستولى على شيء من المبالغ التى تثار لها من أهلها بهذا السبب بل بدخوله بها فقرر لها جميع مهرها الممحل والمؤجل

في محيط العالم الإسلامي

● الدول العربية بأن يقدم هذا التقرير إلى الإدارة الثقافية بالجامعة ، وتقرر الانتهاء من هذا التقرير قبل ١٠ ديسمبر القادم .

● عقد مجمع البحوث الإسلامية اجتماعاً في ٢٧ / ١٠ / ١٩٦٥ برئاسة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر لمناقشة تقرير اللجنة الفرعية المكلفة بدراسة لشر الثقافة الإسلامية في الخارج ، وإعداد البرنامج الخاص بتنفيذ المشروع ، وتدير الإمكانيات المادية والفنية اللازمين له حتى يتم التنفيذ .

● تتفاوض وزارة الثقافة بالجمهورية العربية المتحدة في شراء مكتبة المرحوم الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق ، وقد كان رحمه الله ثاني شيخ للأزهر يطوف بالبلاد الإسلامية في الشرق الأقصى ، وترك مكتبة ضخمة تشهد بفضله وسبقه .

● أصدرت الحكومة السودانية قراراً بالموافقة على تنفيذ مشروع إحياء مصلحة الشؤون الدينية كما تقرر إنشاء مركز تجريبي نموذجي للحفاظة على القرآن الكريم بإحدى ضواحي الخرطوم ليكون قريباً من المراقبة المتصلة بالشؤون الدينية ، وينتظر إقامة مركز آخر بمدينة دارفور .

● ستشأ مدرسة إسلامية بتيانلاند . تقوم بخدمة أبناء المسلمين في هذه المنطقة للتعريف بالإسلام ، وخدمة اللغة العربية ؟

● تم في اجتماع قريب بين الأمين العام للمجلس الأهل للشئون الإسلامية ، وسفير باكستان في القاهرة بحث أحوال المسلمين ، والنشاط الإسلامي في باكستان ، والمساعدات التي يمكن أن يقدمها المجلس الأهل للشئون الإسلامية لنشر الوعي الديني كما اجتمع السيد الأمين العام للمجلس بالسفير السنغالي للغرض نفسه .

● تشغل أبناء أندونيسيا اهتمام المسلمين في العالم أجمع ، وما يطمئنهم على سلامة هذا الوطن الإسلامي وكال وعيه لإعلان الرئيس سوكارنو تأييده المطلق للجيش في كل ما يتخذ من قرارات لاستئصال الشيوعية من هذا البلد الأمين ، ونأمل أن يقضى الجيش على فتنتهم في تلك المناطق التي يقومون فيها بحركات تخريبية مسلحة ، وقد استطاع الجيش والقعب كما دلت أنباء ١١ / ١٠ / ١٩٦٥ من أن محمد نشاط المنظمات الشيوعية كمنظمة الشباب ، واتحاد نقابات العمال اليساريين ، ومنظمة السيدات الشيوعيات ، كما ناشد الجيش الشعب مساعدته في التخلص من العناصر المناوئة للحكومة ، وفي ١٤ / ١٠ / ١٩٦٥ وودت أنباء تنفيذ حل الحزب الشيوعي الأندونيسي .

● شرعت لجان المجلس الأهل للفنون والآداب بالجمهورية العربية المتحدة في إعداد تقرير مفصل عن نشاط الجمهورية في ميادين الأدب والترجمة وغيرهما في كافة الاتجاهات السائدة في كل ميدان وذلك استجابة للتوصية التي أقرها مجلس جامعة

(O mankind ! Lo ! We have created you male and female, and have made you nations and tribes that ye may know one another. Lo ! the noblest of you, in the sight of Allah, is the best in conduct. Lo ! Allah is knower, Aware.)
 XLIX : 13. Thus we are reminded that the man is the purposeful product of a single and Divine Creator. He is not the product of chance and he has not an unguided destiny. God created man and provided for him the wherewithal of life. He also gave him freedom to act and to use that wherewithal as he desired.

It is for man to use his opportunity well or ill and it is his own responsibility that whether he extracts good or evil from his environment, for he is not a puppet but a free agent. As a guide to him the Quran gives to man a code of social and moral conduct. The Quran addresses always to man's natural instinct because the sentiment of God worship is, according to the Quran, is ingrained in human nature. Once his instinct is awake and active he will need no argument or guide to take him to his natural upright.

« فَأَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ، فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ... »

(So set thy purpose for religion as a man by natural upright, the nature (framed) of Allah, in which He has created man. There is no altering (the law of) Allah's creation).

One of the basic facts of Islam is the common origin of all mankind and

it condemns any form of discrimination, whether it is class division or racial prejudice. This argument naturally leads also to the oneness of God, who cherishes and sustains the entire universe.

« وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ، وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ »

(And this your community is one community and I am your Lord, So keep your duty to Me).

The Lord Who has created man and provided every necessary thing for his material well-being, He also has provided a order of life and a moral code for his spiritual sustenance and progress. The spirit has needs just as much as the body. This Divine order comes to world of human by revelation through messengers from God. The Qu'ran calls this Divine order "Islam". It means complete and unqualified Submission to God. The Qu'ran has Stressed the universality of Divine guidance and proclaimed that there have been countless messengers of God in various places and different times. In this way Islam gives to man a code of social and moral conduct so as to help him to live as a good member of the human community and a most perfect creature on the earth. He walks through this guided path. His acts are always abiding by the order and design framed by his Lord. He regards himself to be the real agent (Khalifa) of Him on the earth, striving after truth, upholding justice and supporting goodness of the entire humanity.

Islam and Life - 3

Why man is Created ?

By: A. M. Mohladdin Always

Everything in the Universe is so made that it is subject to a particular law and order and part of a well ordered system. There is nothing without benificent ultimate purpose and good reason. The Quran says :

« خلق الله السموات والأرض بالحق ، إن في ذلك لآية للمؤمنين » .
(العنكبوت - ٤٤)

(God has created the heavens and the earth with good purpose. verily, in this there is a sign for those who believe).
XXIX : 44

The doctrine of purposeful creation is applied to, in a special way, man who is 'God's finest hand work' and the most perfect link in the chain of His Creation. The Lord who has created, Cherished, nourished and fashioned man through many stages and forms will not leave him without purpose or aim. God says :

« انحسب الانسان أن يترك سدى . ألم يك نطفة من مئى عنى . ثم كان علقة مخلق فسوى » . (القيامة - ٣٦-٣٨)

(Does man think that he will be left aimless ? Was he not a drope of fluid emitted, then a clot and then shaped and fashioned in due proportion ?)

LXXV : 36-38

Thus man is created to be the agent (Khalifa) of God on the earth. He upholds justice among the people, he inhabits the earth and reforms it. The Holy Quran says :

« وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إني أعلم ما لا تعلمون » . (البقرة : ٣٠)

(And when thy Lord Said unto the angels : Lo ! I am about to place an agent (Khalifa) in the earth, they said : will you place therein one who will do harm therein and will shed blood, while we, we hymn Thy praise and sanctify thee ? He said : Surely I Know that which ye know not) 11 : 30.

This agency of man on earth requires, first of all that man should Know his Lord in a real Knowledge and serve Him Sincerely. As the Quran says :

« وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » .

(I created the jinn and Human Kind only that they might serve Me).

Man by his nature and by his position in the universe, is created for the service of God alone and nothing else. What differentiates man from the animal species is his capacity to this knowledge. It is his beauty, perfection and honor in this world and his reward in the hereafter. By this knowledge he excels other kinds of creatures. It is the service of God and piety which entitles man to be the agent of God on earth and makes him the most noble in the sight of Him.

« يا أيها الناس إن خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوياً وقبائل لئلا تعرفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » . (الحجرات : ١٣)

Pre-Islamic women of noble descent would prefer to starve rather than work as wet-nurses. The Arabic proverb says: "It is better for a freeborn woman to suffer hunger than to earn a living by means of her breasts". It was not even an excuse for the Jahilite to work as a wet-nurse for the children of Kings. This is clearly illustrated by the following incident. Hajib ibn zurarah boasted one day of the fact that his family included the wet-nurses of the children of kings, saying: "We had nursed the children

of Ma'ul-Muzn and Muharriq until their beards and moustaches appeared." But people criticized him for that, saying: "We have never seen any other man who boasts of such infamies" Abu Hilal al-'Askari, the author of Jamharat al-'Amthal, commented on their criticism by the following: "That is because the wet-nurse is a servant and serving (others) does not honour but degrade." Thus, jahilites despised serving others in general, and wet-nursing in particular.

(To be Continued)

(From page 4)

his light shines through all the intervening centuries to guide us in this bewildering perplexity of our civilization's discordancy. The music of the Qur'an which the Prophet gave us will erase the cacophony of contemporary life if we will only listen to the grandeur which cannot be surpassed. Open your ears, your eyes, your heart, shed the chains that imprison your mind, live Islam as the Prophet intended you to live it and life will know a fullness you have never known... banished will be sorrow and despair to be replaced by a happiness and contentment that is achieved only by one's submission to the will of Allah, by being a Muslim.

In every way the Prophet is the supreme example for us and if we study the various aspects of his life we find it is like a fine jewel cut with many facets, each facet showing us how to

approach life at its various levels, from the standard one should maintain in the humdrum world of trade to the correct way of worshipping Allah; he has given us the perfect blueprint to follow. We know that no two persons are ever born absolutely alike, not even twins, and that while for some it is easy to follow the example of Muhammad for others it is very difficult no matter how much they may try, but the major thing to remember is this most important fact that Muhammad gave us certain immortal principles to observe and honour. They are like the silvery stars that shine in the heavens of night by which travellers guide themselves to their destination, even so are these perfect principles and if we follow them to the very limit of our capabilities then they will guide us our destination... The One and Only God, ALLAH.

THE MERITS OF LABOUR IN ISLAM

By : M. Gamaluddin Ayyad, M.A.

Islam's attitude to labour and labourers was quite different from that of "al-jahiliyyah". To the Bedouin of the pre-Islamic age, animal husbandry, hunting, robbing, and guiding the commercial caravans across the desert were the only occupations worthy of men. They held in contempt agriculture, handicrafts, navigation, and trading.

Ibn Khaldûn, in his Muqaddimah, has a chapter entitled : " Places that succumb to the Arabs are quickly ruined " One of the reasons he gives for his theory is : —

"Arabs, (i. e. Bedouin) cause damage to the work of professional workers and craftsmen. They neither see any value in it, nor find it worthy of any price or wage. Now, as we shall mention, labour is the real basis of profit. When labour is not appreciated and is done for nothing, the hope for profit vanishes and no (productive) work is done. The sedentary population disperses and civilization decays".

The settled Arabs held many occupations which the nomads scorned. Some were farmers like the dwellers of Medina, others were tradesmen like the people of Mecca, and a third group were navigators like the inhabitants of Oman. There were, in addition, the craftsmen such as the carpenter, the blacksmith, and the hirelings in different fields of

labour. However, their acceptance of earning a living by such occupations did not give dignity to labour, or labourers in general. Some occupations continued to be held in contempt and some individuals were scorned and ridiculed for choosing such occupations. Navigation, for example, was held in contempt by the Tamimites, who scornfully called the Azd "sailors" because their kindred in Oman were navigators.

Quraysh, also, looked down on the inhabitants of Madina because they tilled the soil. When Abou Jahl was dying in the battle of Badr, he did not regret his approaching death so much as the fact that his death was at the hand of an agricultural worker who tilled the soil. He said : "Would that I had been killed by someone other than an agricultural worker !" As Ibn Al Athir puts it "Abu Jahl indicated by such a phrase how he scorned the man who killed him, how he was astonished when an agricultural worker such as Ibn Mas'ud dared to kill a nobleman such as Abu Jahl.

According to another "version" Abu Jahl exclaimed when Ibn Masoud placed his foot upon his neck : "O, miserable little shepherd ! you have mounted a very difficult place of ascent !" Such statements show quite clearly how the agriculturalists and hired herdsmen were scorned, by Abu Jahl and other Arabs of noble descent.

contemplation amidst the vast solitude of sand and burning rock. It was during one of these periods that he received his first divine revelation from Allah and when the Angel Gabriel appeared to him in a wondrous vision after he had heard the words of Allah, the words now known as the Surah "The Clot", "Read, in the nam of Thy Lord who-creates, creates man from a clot. Read, and thy Lord is most Bounteous, who teaches by the pen, teaches man that which he knew not...". It was a dazed man who stumbled out of the cave after this soul chaking experience only to find that his trial had not yet finished for there before him stood a dazzling figure which said to him, "O Muhammad Thou art Allah's messenger, and I am Gabriel", whith this mysterious message the figure vanished leaving a very bewildered man. One may imagine the effect this experience must have had on this exceptional being, a man of the world and yet also of the spirit with a character both strong and noble. We know he instinctively turned to his wife in his need and she encouraged him with her firm belief in him and the turth of his revelation from Allah. In the following years he had more revelations from Allah but these he told only to his intimate family until in one vision he was finally given the command, the command to preach to the world for the time had now come for all peoples to hear the last prophet of Allah tell His eternal message once more.

Now the fight began, a fight that has really been waging from the dawn of time between the lower and higher forces of man until this present day and

which will continue untill all men sumbti to the will of Allah, this is the inevitable tragedy of humanity which bears such stains as genocide and other acts of vile bestiality that sprawl across the pages of man's recent history like an ugly and vicious virus — one has only to peruse these pages to see the truth of this statement. In spite of the strong opposition, our beloved Prophet never wavered even though he was attacked from all quarters and his cause appeared hopeless to all, but with Allah giving him guidance and strength he went forward like a might surging tidal wave... a wave that was to eventually swamp the then known world, bringing in it's wake the light of knowledge and progress to a tyrant ridden people of darkness and giving the world the impe us it needed to escape from the labyrinth it was lost in.

Muhammad, through his affinity with Allah, was able to give the world a sanity and way of life it had never known before, so checking humanity's mad rush into oblivion. He enjoined the liberties and rights of man which are only now beginning to be practised and recognised as the essential birthright of all both in the west and, after long disuse, in the East. It is the tragedy of the Muslim world that it has neglected the command of the Prophet to seek knowledge even if it be at the ends of the earth, such neglect of this and other teachings of the Prophet has cost much and is in many ways responsible for our present position today. Muhammad lived a life which is a beacon to us all in this present wilderness we live in,

(See page 6)

THE MAGNIFICENT MAN

By : RASCHID ANSARY

(ROBERT WELLESLEY)

"It was the unique life of Muhammad that first attracted me to Islam, I admired him tremendously for being so true to his belief and refusing to compromise, which is a degree of perfection that is unfortunately very rare in this world "

In the 53rd year before the Hijra, during the month of April, there was born into the family of Hashim which belonged to the Tribe of Kuraish at Mecca, the last of a long line of blessed beings whose illustrious name was to become an essential part of this world's history and who was to renew in its purity the true religion of Allah, Islam. This man who is revered by millions is known by the name of Muhammad and given the imposing title of "The Prophet" he was, and still is, the honoured leader of Islam, the Theocracy of Humanity.

The Prophet lived in a world as careless and ignorant of Allah as it had ever been, many worshipped idols and were full of a superstitious nonsense that made their lives a mockery and was an insult to the world they lived in, they defiled the wondrous beauty that Allah had given them and wallowed in their stupidity which was often most foul and cruel. Ever since the creation of Adam, Allah had sent prophets to help humanity in its struggle through life towards the eternal Light, He must have sent many throughout the world and in every case the essential purity and truth of their message had been distorted by the pettiness of man . . .

until the coming of the last prophet of all when Allah in His wisdom caused His message to be written down for all time, His message which He sent through our Prophet Muhammad and which is known as the Quran. A blessed book which has remained unaltered in any way since it was first written in the Arabic language of that time, this is a true fact which no one can dispute,

It was the unique life of Muhammad that first attracted me to Islam, I admired him tremendously for being so true to his belief and refusing to compromise, which is a degree of perfection that is unfortunately very rare in this world. The picture that is formed after studying the Prophet's history is a really fascinating one for although he had little formal education he was a man of such inherent genius that this proved no problem and, apart from this, it becomes obvious that he was blessed with divine guidance all through his life.. a life which started so sadly with the death of his father before he was born followed by that of his mother when he was but a child. His mystic nature showed during his happy marriage with Khadija when he annually retired for the month of Ramadan to a desert cave and there spent his time in prayer and

not disorder and maling for improvement and progress not deterioration and retrogression? Human knowledge and reason have not been able to answer this question; they can only say that this constant constructiveness and improvement are due to the adjustment of the primeval elements and to an inherent balance and proportion in matter. To the further question however as to why there should be this balance and proportion in nature, why matter should have these characteristics or why the elements should come together in the right proportion and a balanced order, man's knowledge and intellect have no answer to give, except to say lamely that the "law of necessity" demands that nature should be both constructive and selective, that not only should there be construction but good construction. There is no answer at all to the further obvious question as to why there should be such a law, why everything should be according to 'need' and why the 'need' should be construction and good order and form, not destruction and disorder. Philosophy can take us no further, but the Quran offers guidance and says that nature is merciful and it is the quality of mercy always to better not to worsen.

We see from each and every thing around us that all acts of nature have separately the characteristic of being systematically and uniformly useful, and together they make it appear that the entire universe is organised for our benefit, to fulfill our needs.

• الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر داثين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله فلا تحصوها •

(Allah is He who has created the heavens and the earth and causes water to descend from the sky, thereby producing fruits for your food. And He has made the ships subject to you, that they may traverse the oceans by His command. And He has subjected to your service the rivers and also the sun and the moon, constantly pursuing their courses, and the night and the day. He has granted you all that you require and if you would count His gifts you could not reckon (His bounty). (XIV : 32 - 34).

• ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها مايش •
• قليلا ما تشكرون •

(We have placed you upon earth, with power to make use of it, and have provided for you there (all) the requisites of life. Little do you render thanks (for these gifts). (VII : 10).

• إن الإنسان لظالم كفار •

(Verily, man is given to injustice and ingratitude). (XIV : 34)

No matter how restricted and uncivilised the life of a man may be, he cannot be ignorant of the fact that he derives all kinds of benefit from his environment. A wood cutter in his forest hut, as he looks around, cannot but be aware of how that forest ministers to all his needs. When he is ill, the forest provides him with health-giving herbs; when the sun is hot, the trees offer him shade; when he has leisure, he can refresh himself with the soothing scenery of the forest and the pleasing colours of flowers; the trees, which provide him with fruit while they are young, supply him with planks of wood when they are mature and with fuel when they are old. (1)

(1) The Quintessence of Islam.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYYAT

Jumâda'l-Akhirah
1385

ENGLISH SECTION

EDITED BY :
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

October
1965

The Qurânic Conception of God-V

By : Moulana Abul Kalam Azad

« الرحمن الرحيم »

(THE MERCIFUL, THE COMPASSIONATE)

The Two words « رحمن » (rahman) and « رحيم » (raheem) are akin, alike in their root and in their meaning, but they are not the Same. The root word is « رحم » (raham) and the Arabic word « رحمة » (rahmat) means mercy but in a comprehensive sense which includes the sentiments of kindness, compassion, love, bounty and favour. It is in this sense that both words mean merciful. The difference between them can be fully appreciated by only those who are conversant with the Arabic language. These are two forms of the same adjective, one which indicates a passing quality and the other which denotes that the quality is a permanent distinguishing mark of the person to whom the adjective refers. "Rahman" means merciful in the former sense and raheem in the latter sense. Both the words are to gether used here in order to emphasise

this divine attribute from which, in a sense, flow the other attributes and without which the world could not exist.

« ورحمى وسعت كل شيء »

(My mercy embraceth all things).
(VII : 156.)

Then we look at the universe around us, the first thing that strikes us is the functioning of some force organised for the sustenance of all beings. Reflection leads us to another stage of knowledge, and we see that there is a force even greater than that of sustenance, that of improvement.

This whole set-up of life and motion would not have come into existence if it did not carry within it the quality of correction and improvement. But why is it that nature is essentially constructive not destructive, bringing about order



مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
«بدل الاشتراك»
٤٠ في المبرور العربية لغدة
٥٠ خارج المبرورية
وللمراسين الطلاب تخفيض خاص

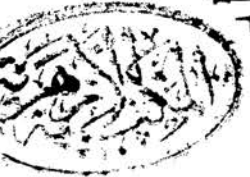
تصدر عن شيخنا الأزهر في أول كل شهر جمادى

الجزء الخامس والسادس - السنة السابعة والثلاثون - رجب وشعبان سنة ١٣٨٥ هـ - نوفمبر وديسمبر ١٩٦٥ م

سما الله تعالى

من معالم القاهرة

جريدة الروضة في التاريخ
بقلم أحمد حسن الزيات



السيوطي بجزيرة الروضة وأحبها فانقضاه هذا
الحب أن يكتب في تاريخها كتابا جامعا سماه
«كوكب الروضة» .
ثم رجعت في الرؤيا الخيالية إلى ماضى هذه
الجزيرة التي خلقها الطبيعة على صورة سفينة هائلة
أرسى على مدى قصر من ساحل مصر القديمة ،
مقدمها اليوم قصر المناسرتي والمقياس ، ومؤخرها
المسكن في الجامعي والفندق الجديد المتيد ، فوجدتها
على توالي القرون وتماقبات الدول قد كانت إمامنا
يحفظ الأموال والأنفس ، ولما روضا يتمتع
الأرواح والحواس .

اعتصم بمصنعا القديم المقوقس حين استولى
العرب على قصر الشمع فطم الجسر ثم حك بها هو
ومن تبعه من الروم والقبط ردحا من الزمن ،
ثم أخلاها للبدنية العربية فقامت بها القصور والدور
والرياض في ولاية عبد العزيز بن مروان . وكان

ضحوت للشمس على سطح دارى بجزيرة الروضة ،
وكانت برودة الريح قد ضربت في حرارة الشمس
فدنى الجو دفئا معتدلا يلذ الشعور به ويعطيب
المسك فيه . وإذا عمك الدفء وشملك السكون
وهزئك الوحدة فلا مفر من حديثك إلى نفسك
وانطوائك على وعيك .

وكان الذى مهد للحديث يبقى وبين نفسى وقوع
بصرى على جامع قايتباى الذى بناه القاضى نغز الدين
ناظر الجيش سنة ٧٣٠ هـ وجمده الملك الأشرف
قايتباى ، وهو قبالة دارى من جهة الغرب تمثل ،
لخاطرى الشيخ جلال الدين السيوطى وهو يغدو
إليه كل يوم من داره المجاورة له فيعقد فيه مجلسا
للعلم والأدب يغضاه طلاب المعرفة من القاهرة
والجيزة . ثم يخرج في أيام الثلاثاءات إلى المشتى ،
وهو متنزه أريض كان يقع في شرقى هذا الجامع
ويطل على الفرع الصغير للنيل . وقد طاب مقام

وتلاهننا برملات الحى
حيثما شاء طليق سلكا
فأجابها بقوله :

بنت عمى ولاقى غزبتها
بالهوى حتى جلا واحتبكا
بجت بالشكوى وعندى ضعفها
لو غدا ينفع منا المشتكى

مالك الأمر إليه يشتكى
مالك وهو الذى قد أهلكا
شأن داود غدا فى عصرنا
مهدياً ياليت ما ملكا

ويبلغ هذه الآيات مسامع الخليفة فقال :
لولا بيته الرابع لجمعت بينهما على شريعة الله .
ولهذه القصة سابقة ولاحقه : فأما السابقة فقصة
ميسون زوج معاوية فقد أتى بها من القفر إلى القصر
ولكنها لم تلبث أن قالت :

ليبت تحفك الأرواح فيه
أحب إلى من قصر منيف
ولبس عبادة وتقر عيني
أحب إلى من لبس الشفوف
وخرق من بنى عمى نحيف

أحب إلى من علج عنيف
وأما اللاحقة فقصة البدوية التي تيمع فؤاد
الحديد عباس الأول فتزوج منها وأنزلها قصرأ
في ظاهر القاهرة وأخذ يختلف إليها مرأ حتى أقعد لها
منه من اغتاله في قصره ببنها .

وسار على الأفواه حديث هذه البدوية فنسجت حولها
الأساطير ونظمت فيها الأغاني . ولا يزال المغنون
الشعبيون يرددون هذه الأغنية ويأحاليح البدوية .
وفي أواخر الدولة الأيوبية ابتنى الملك الصالح
نجم الدين أيوب قلعة بهذه الجزيرة غرب المختار
والهودج ، ودمر الدور والمساجد ، وقطع النخل

مقياس النيل في حلوان ، فلما سقط عموده هناك أمر
سليمان بن عبد العزيز عامله أسامة بن يزيد أن يقيمه
في الطرف الجنوبي من الجزيرة ، فأقامه ولا يزال .
وكان على الأرض الواقعة على الشمال من المقياس
دار الصناعة فنقلها محمد بن طنجح الإخشيد إلى ساحل
الفسطاط سنة ٣٢٥ هـ وشاد في مكانها قصرأ سماه
المختار كان آية في جمال الفن وغاية في حسن الزخرف ،
وظل بستانه متنزه الخاصة في عهدى الإخشيدية
والسكافورية وأوائل عهد الفاطمية . وكان البنيان في
الجزيرة قد اتصل والعمران قد استبحر حتى عينوا لها
والياً وأخصوا كوالها في التقسيم الإدارى لحاضرة الدولة :
القاهرة ومصر والجزيرة . فلما استبد الأفضل ابن أمير
الجيوش بأمر الخلافة خطه في شمال الجزيرة بستانا
وقصرأ سماه الروضة فسميت الجزيرة كلها باسمه .
وكان الخليفة الأمر بأحكام الله مولماً بالبدويات
الحسان ، فترأى إليه أن بالصعيد أعرابية بارعة
الحسن تقول الشعر وتحميد الحديث تسمى الغالية ،
فتزوجها بقوة السلطان ونقلها إلى قصره فضافت
نفساً فيه واشتتت القضاء ، فبنى لها على النيل
في جنوب الروضة قصرأ على طراز فريد سماه الهودج .
وكانت الغالية تحب فنى شاعرأ من بنى همها يقال
له ابن مياح ، فنازعتها نفسها إليه وبرمت بمقامها
هذه الخليفة . ولهج المصريون بمحدث الغالية
وابن مياح ، وشاع في الناس أن الشاعرة أرسلت
إلى الشاهر هذه الآيات :

يا ابن مياح إليك المشتكى
مالك بعدكم قد ملكا
وأما الآن بقصر موصد
لا أرى إلا خبيثا مسكا
كم تثنيينا كأغصان النقا
حيث لا نخشى علينا دوكا

والمندورة . ثم هبثت يد الفناء بالناس ، وهصفت
ريح البلى بالدور ، فذهبوا وبقيت الأطلال ؟ .
ثم جرى على هذه الأطلال حكم الديمقراطية فتوزعها
الشعب وأقام على القصور دورا ومدارس ، وعلى
الدوائر عمائر ومناجر ، وعلى الملاهي إنتاجا وخدمة .
على أن الروضة كانت في عهددها المختلفة أرحب
البقاع صدرا بالشعب ، فكانت متفحفة في الضيق
ومستراة في الزمة ومحفلة في المواسم وبخاصة في يوم
شم النسيم وفي ليلة الغطاس ، وهي الليلة الحادية عشرة من
شهر طوبة ، وكان الأقباط يحيونها في الروضة فيوقدون
النيران ويشعلون المشاعل ويقبسطون في القصف
والعزف واللهو حتى تحين الساعة فيغطسوا وينصرفوا .
وكان المسلمون حتى الخلفاء يشاركونهم في إحيائها
بالوقود واللهو . قال المسعودي في مروج الذهب
« حضرت سنة ٣٣٠ ليلة الغطاس بمصر والإخشيدى
في داره المعروفة بالختار في الجزيرة ، وقد أمر
فأسرج من جانب الجزيرة وجانب القسطنطين ألف
مشعل غير ما أسرج أهل مصر من المشاعل والشموع
وقد حضر النيل في تلك الليلة ألف من المسلمين
والنصارى ، منهم في الزوارق ، ومنهم في الدور
الدانية من النيل ومنهم على الشطوط ، لا يتناكرون
كل ما يمكنهم إظهاره من المآكل والمشارب وآنية
الذهب والفضة والجواهر والملاهي ... وهي أحسن
ليلة تكون بمصر وأشملها سرورا ، ولا تغلق فيها
الدروب ، ويغطس أكثرهم في النيل ويدعون أن
أن ذلك أمان من المرض . »

تلك صورة الروضة وميلها في شتى العصور منذ
الفتح ، مرت بمخاطر السيوطى لجعل منها كتابا ،
ثم مرت بمخاطرى فجعلت منها مقالة .

أحمد محمد الزيات

والشجر ، ثم رفع أبراجها الستين على المثلث
الجنوبى كله من الروضة . ثم جعلها مقر ملكة
ومعسكر عماليك ومستودع أسلحته . وكان
من مفاخر هذه القلعة الإيوان المسمى الذى افتنت
فيه الأيدي الصنائع فصنعوا أبوابه بالذهب ،
وجعلوا جدرانها بالمرمر ، وشوشوا سقفه بالزخرف ،
وزينوا أرضه بالجزع . ثم جعلوا من وراء سورده
معرضا لسباع الوحش والطير يتفرج به السلطان ،
ومن خلف معرضه مروج يتدفق فيها النيل ، فيكون
لها منظر رائع وهى المنيل .

فلما حكم الممالك تقسموا أبراج القلعة ونقلوا
ما كان فيها من رخام وحجر وخشب فبنوا به بعض
المباني العامة . ثم جرت بعد ذلك على الجزيرة
جواربالانس والوحشة بالنعيم والبؤس حتى استهل
العصر الحديث فاخطط إبراهيم باشا البستان الكبير
في طرفها الشمالى وجلب إليه أنوار من الشجر
والزهر ، والأوابد من الوحش والطير ، وشق به
القنوات وسلسل فيها الماء ، وأرسي الرابى ونظم
فوقها التنبه ، على نحو ما نرى اليوم في بستان
الخدو لإسماعيل بالجيزة « حديقة الحيوان » ، ثم جعله
متنزها للناس يرتادونه في الأعياد والمواسم . وبنى
حسن باشا المناسلى كتبخدا مصر في عهد عباس
الأول قصره في طرفها الجنوبى . ثم قضى نظام
الطبقات أن يسكن العامة الجانب الغربى على النيل
السكىر ، وأن يسكن الخاصة الجانب الشرقى على النيل
الصغير ، فبنى إسماعيل قصره وبستانه في الشرق من
جامع قايقباى وهو قصر محمد على الذى صار متحفا
في عهد الثورة . ثم تتابع السراة على البناء فقامت
قصور قاسم باشا وذى الفقار وعلى شريف وسليم
الجزائرى ، ونفأت بساتين شاكر بك . والبارودية

التحذّر من الجوع

للإمام الأكبر شيخ الأزهر

خلق الله الإنسان وفضله على كثير من خلقه ، وسخر له ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ، وضمن له قوام حياته العادية ، بما قدر في الأرض من أقوات وسما بحياته الروحية بما أنزل له من تشريعات ، وتتابع فضل الله على البشر فأرسل رسوله مبشرين ومنذرين ، يبلغون رسالات الله ، ويحذرونه ولا يخشون أحداً إلا الله ، حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، ولما شاء سبحانه وتعالى أن تبلغ الإنسانية رشدها ، أرسل رسوله الخاتم محمداً صلى الله عليه وسلم بكتاب ما فرط فيه من شيء ، يهدي للتي هي أقوم ، ويعلن في الناس قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » ، وكانت معجزته صلى الله عليه وسلم في القرآن ، هي عين دعوته ودستور رسالته . حتى يكون لها من الخلود ما يسعد الإنسان في كل زمان ومكان .

فتلك الأيام ندأولها بين الناس والله كما يقول : « له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم » ، فيحفر الأغنياء الذين يخالفون عن أمر الله أن تصيبهم بما صنموا قارعة ، قدور عليهم دائرة الفقر ويعصمهم ألم الحرمان ويتحقق فيهم قول الله : « هأنتم هؤلاء تدهون لتنفقوا في سبيل الله فنسكم من يبخل ، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه ، والله الغني وأنتم الفقراء ، وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

ولا يحمان أحدكم على الشح ، ما يعلل به نفسه من تأمين وورثة بترك ماله كله لهم والبخل بجزء منه على إخوانه في الإنسانية ، فإن الله الذي خلقهم أرحم بهم ، وآمن عليهم ، ولا يخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضافوا غافوا عليهم ، فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً ، ولما يك أيها الأغنياء أن يستبدكم المال ، فإن المال سيد ردى ، ولكته هب

خلق الله الإنسان وفضله على كثير من خلقه ، وسخر له ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ، وضمن له قوام حياته العادية ، بما قدر في الأرض من أقوات وسما بحياته الروحية بما أنزل له من تشريعات ، وتتابع فضل الله على البشر فأرسل رسوله مبشرين ومنذرين ، يبلغون رسالات الله ، ويحذرونه ولا يخشون أحداً إلا الله ، حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، ولما شاء سبحانه وتعالى أن تبلغ الإنسانية رشدها ، أرسل رسوله الخاتم محمداً صلى الله عليه وسلم بكتاب ما فرط فيه من شيء ، يهدي للتي هي أقوم ، ويعلن في الناس قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » ، وكانت معجزته صلى الله عليه وسلم في القرآن ، هي عين دعوته ودستور رسالته . حتى يكون لها من الخلود ما يسعد الإنسان في كل زمان ومكان .

وإن منظمة الأمم المتحدة التي أنشئت لضمان الأمن وإقرار السلام ، حتى ليقس نشاطها لتنظيم حملة دولية للتحرر من الجوع ، تخمد فكرة الإسلام ، في إنقاذ العالم من خطر الجوع ، وهي بذلك تعين الإسلام على تحقيق أكرم ما أمعن الله به على البشرية ، من نعمتي الأمن من الخوف ، والإطعام من الجوع ، قال تعالى : « فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » ، وإن المنظمة ، حين تمد يدها إلى الأديان تطلب معونتها في هذا الجهاد النبيل . فإنها ستجد في الإسلام معهما

له ولأن يعوله ، وإن الإسلام ليهتدى في رعاية هذا النوع من الفقراء فلا يفتن من الغنى بإعطاء الفضل استنادا على قول الرسول صلى الله عليه وسلم (من كان له فضل زاد فليعده به على من لا زاد له) بل يحب الواحد لئلا يثار المعدم . قال تعالى : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » ، ويقول « وآتى المال على حبه ذوى القربى والمساكين وابن السبيل » ، ويقول « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتقى وأسيرا » ، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ، إنا نخاف من ربنا يوما محبوسا قطربا ، فوقام الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا .

وإن الإسلام ليستغل حب المرء لماله ، ورغبته في الإبقاء عليه ، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم (ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت أو لبست فألبست أو تلبست أو تصدقت فأبقيت) .

أيها الناس :

إن منظمة الإغذية قد استعانت على قلوبكم بواضع الدين ، ونور الإيمان فكونوا عند حسن ظنها به كان الإيمان من نفوسكم ، وامتناسكم لأمر ربكم وأعينوها على أمرها ، واجعلوا هذا الأسبوع لطف تبصير ، وسماحة تذكير ، وسخاء بذل ومخلص مشورة ، فإنكم بما تبذلون من طاقات ومواهبكم تسمعون في إنقاذ نصف البشر من الدمار ، وتنفذون شرف إنسانيتكم من عار ، والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه . وقل أعمالوا فيرى الله عملكم ورسوله المؤمنون وصددون إلى عالم الغيب والشهادة فينبشكم بما كنتم تعملون .

من مأمور

مخلص ، واذكروا جيدا أن ما تكفرون ، ولا تنفق في سبيل البر والخير سيعود عليكم بالويل يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنتم تفترون لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكفرون .

أيها الناس :

إن الله الذي خلق الأرض وقدر فيها أقواتها قد استعمركم فيها ، فأدوا واجب هذه العمار ، كشف أسرار واستخراج كنوز وتخطيط تنمية . ولتتعاون قوى البشر بما فيها من رحمة قلوب ، وسمو عواطف ونبل مشاعر ، وأفكار عقول ، وحقائق علم ، وإمكانات مال ، وقوة عمال ، وحزم سيطرة ، وحكمة توجيه حتى تحيوا موات الأرض ، وتستنبطوا خيرات الوجود ، وتحققوا قول الله « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » ، واعلموا جيدا أن الغنى كما يكون بالمال يطلب لإنفاقه ، فكذلك يمكن أن يكون بالعلم تبذل حقائقه ، وتخدم نظرياته ، وتتوالى تجاربه ، ويكون بالقوة قد نحو بالعمل ، ويكون بالحكم يحلل الناس على الجادة ، ويرغم الأمة على الفضال ، فإن الله يزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن ، ألا وإن الإسلام قد وضع التكاليف الاجتماعية والتضامن الإنساني على أساس كريم تتفاهل عناصره الكريمة لتعطي مزاجا رائعا من أريحية غنى ، ورجولة فقير ، فكم طلب من الغنى أن يبذل ، طلب من الفقير أن يعمل ، وفي ذلك يقول رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام (لأن يأخذ أحدكم حبله فيجتمعت على ظهره ، خير له من أن يسأل واحدا أعطاه أو منعه) ويقول : (اليد العليا خير من اليد السفلى) .

وهذا لا يكون المجتمع مسئولا إلا عن فقير عاجز له في مال الغنى حق ، وعلى المجتمع واجب الكفاية

مالا يد منه للفقيه

للأستاذ محمد محمد المدني

وبحسب الحاجة إلى معرفة القانون الذي يضبط أصول الفهم الصحيح ، ويجعل الناظر في السلام قادرا على أن يفهم مراد المتكلم من كلامه ، وأن يعرف دلالة العموم في العام ، ودلالة الخصوص في الخاص ، ودلالة الإجمال في الجمل ، وفائدة البيان في المبين ، ونحو ذلك ، وهذا هو ما يتكفل به علم أصول الفقه الذي عرفوه بأنه (معرفة دلائل الفقه لإجمالا ، وكيفية الاستفادة منها ، وحال المستفيد) .

وبحسب الحاجة إلى معرفة مقاصد الشريعة ، أى ما يهدف إليه الشارع من تشريعه في مختلف أبوابها وكلياتها وجزئياتها ، حتى يكون على بينة من هذه المقاصد ، فيجول في دائرتها ، ويحذر الخروج عن مناطقها المحددة . وبحسب الحاجة إلى معرفة قواعد الفقه ، أى دستوره السلكي الغالب المرشد إلى أحكام الفروع باعتبارها مندرجة تحت ضوابط عامة ، تجمع بين المتباينات ، ولا يخرج عنها إلا المستثنيات .

وبحسب الحاجة مع هذا كله إلى الاضطلاع بالكشاف والسنة وكثرة التردد عليهما والاتصال بهما ، لمعرفة الروح الخاص الذي يسرى في كل منهما ، والذوق الفني والمعنوي الذي يحكمهما ويسيطر عليهما .

إذا توافرت هذه العشرة في باحث ، وتوافر له من كل منها قدر صالح من العلم به ، والبصيرة فيه ، وكان إلى جانب ذلك ذاهمة وعزيمة ونية خالصة وقدرة على التعبير عما يجول في خاطره من المعاني التي يلهم بها ، أو يدركها من غيره ؛ أمكننا أن نرجو منه النظر للصديد ، والرأى الرشيد والتجارب العملية مع مطالب عصره وأحوال مجتمعه ، في دائرة ما شرع الله ، وحدود ما أنزل .

إن الناظر في الشريعة الإسلامية يحتاج إلى الترس بنوع من العلوم لا بد من معرفته ، والتبريز فيه : يحتاج إلى الترس بعلم اللغة الذي يعرف به معاني الألفاظ المستعملة ، ويفرق بين موادها المختلفة .

وبحسب الحاجة إلى علم الصرف ليعرف بنية الكلمة وما تنصرف إليه من مشتقات وما يدل عليه كل مشتق بطبيعته وبصيغته ، وما هي أن يكون قد اعتري الكلمات من قلب أو حذف أو تضعيف أو زيادة .

وبحسب الحاجة إلى علم النحو ليعرف اتقريب الأساليب التي تقتضى أنواعا من الإعراب ينضبط بها السلام ، وترشد إلى مراد المتكلم .

وبحسب الحاجة إلى علوم البيان ليعرف أن التعبير عن المعنى الواحد يأتي بطرق مختلفة منها الحقيقة ومنها المجاز ومنها الكناية ، وأن أساليب هذا التعبير تختلف بين إطناب وإيجاز ومساواة ، وبين تقديم وتأخير وبين حذف وذكر ، وغير ذلك .

وبحسب الحاجة إلى علم المنطق ليعرف كيف يصمم فكره بقانون يربط بين المقدمات والنتائج ، ويميز بين ما هو صحيح منها وما هو فاسد ، وما هي الأشكال المنتجة من الأقيسة والأشكال العقيمة ، وما أسباب الإنتاج والعقم ؟ وبحسب الحاجة إلى معرفة علم السلام ليدرك الأصول العقيدية أو النظرية التي يتأثر بها الناظرون في الشريعة حين يقررون حكما من الأحكام ، أو يستنبطون قاعدة من القواعد .

وبحسب الحاجة إلى علم تاريخ الفقه ليكون على بينة من التطورات التشريعية ، والحركات الفقهية ، في مختلف العصور ، وفي شتى البيئات والمناهج .

وبعض هذه العلوم التي ذكرناها ، والتي لا بد منها في فقه الفقيه ، واجتهاد المجتهد ، إنما هو قواعد وأحكام يكتب الحنفى فيها بالمران والتعليم والتطبيق والحفظ ، كالو عرف إنسان باب الفاعل وأحكامه ، أو باب المفعول وأقسامه ، أو باب المبتدأ والخبر ونواسخها ، وكالو عرف أن أصل وأشياء ، وشيئا وأن أصل ، قضاي ، وأن وزن ، بيع ، « غل » ، وأن « مقل » يدل على الزمان تارة ، وعلى المكان تارة ، أو عرف أن (السالبة السكينة) نقيضها « الموجبة الجزئية » ، أو أن قرينة الجواز ما نعة ، وقرينة السكينة غير مانعة ، ونحو ذلك .

فكل هذا من السهل تحصيله ، ومن الممكن في العادة التبريز فيه عن طريق الحفظ والتطبيق على القواعد . لكن نوعا آخر من هذه العلوم لا بد فيه من ذوق وموهبة ورجاحة فكر ، وقوة عارضة ، وألمعية ذهن ومن هذا القبيل معرفة علم « مقاصد الشريعة » ، وعلم « قواعد الفقه » ، فإن ذلك لا يكاد يسقط بمران ، ولا يجمع أمره عن طريق التلقين والحفظ وإنما هو قبل كل شيء فيض من النور يفيض أله به على من يشاء ، فالفقهاء كثير ، والحفاظ منهم للفرع كثير ، والمفتون كثير ، ولكن أرباب المواهب منهم ، كمالك وأبي حنيفة ، والشافعي ، وابن حنبل ، والليث ، وسفيان ، وزيد ، وجعفر ، قليل .

بيد أن المواهب تحتاج إلى كشف ، ثم تحتاج إلى صقل ، ثم تحتاج إلى إنماء وإيقاظ وبعث ، وإنما الدراسات تهينة لفرص قد تصادف مستعدا ، أو تضيء الطريق لمالك ، وقد يبعث الله بها في الناس أمثال أولئك الأعلام الذين نهضوا برسالة هذه الشريعة نهضة كبرى حتى يبروها ، وذلولوا من دونها الصعاب والعقبات ، ولا حرج هل فضل الله ؟

محمد محمد المرنى

والتجارب العملية مع العصر يقتضى فهم أحوال المجتمع وإدراك أساليبه في الحياة ، ومعرفة ما يجد فيه من أوجه التعامل ، وماله من اتجاهات فكرية أو علمية ، أو عملية ، وما هو محكوم به من نظم مباشرة أو غير مباشرة لا يستطيع الفكك منها ، ولا الانفصال عن مقتضياتها ، فمقد كان الفقهاء الأولون - ولاسيما الأئمة المجتهدون - عارفين بأحوال عصورهم ومجتمعاتهم ملابسين في كثير من الأحيان لنظم الحياة في مجتمعاتهم ، مكابدين مع شعوبهم للشكلات التي تعرض ، والصعوبات التي تعترض ، محيطين بكل التيارات التي توجهه المجتمع ، سواء أكانت تيارات ملائمة أم غير ملائمة ، وبذلك انطبع فقههم بروح الواقعية - ولا أقصد بالواقعية مجازة ما هو واقع كائننا ما كان ، ولكن إبداء الرأى فيما هو واقع سواء كان ذلك الرأى موافقا لأغفالنا وبعبارة أخرى : أقصد عدم الانعزالية والانفصالية التي يشعر بها من يدرس الفقه في كتبه التي ألغت منذ قرون ، قبل أن يتطور العلم والفكر والصناعة والحضارة ، إلى ما تطورت إليه الآن - إنه يرى نشاطا عقليا في هذه الكتب ، ورغبة في طبع الحياة بطابع الفقه والشريعة .

ولكنه يجد ذلك مطبقا على عصور وأحداث وشكلات ووجوه من التعامل تغيرت أوبادت أو اختلفت معالمها ، وبذلك يكون الازدواج بين حياة المتفقهين بهذا الفقه في كلياتهم ومعادهم ، وحياة الناس في مجتمعاتهم ومراكز الحكم فيها وعاداتها الجديدة وتفاصيل حياتها الحاضرة منفصلا فيشعر هؤلاء هؤلاء بالفجوة التي تفصل بينهم ، وينظر كل منهم إلى الآخر نظرة الاسترابة والشك ، أو نظرة الطائفية والانقسامية - إذا صح هذا التعبير - .

الطريقة الحديثة لعرض الأدب

دكتور الدكتور إبراهيم عبد المجيد اللبان

المياه إلى مجاريها وتحفظ على الأمانة أديها الخالد .

نموذج :

طرق العرض التقليدية :

وان نحاول هنا استقصاء كل الأسباب التي تضافرت فادت إلى هذه النتيجة المحزنة فغرضنا أضييق من ذلك . ومن ثم فسنبذل إلى تقرير حقيقة أساسية ظاهرة وهي أن طرق العرض التقليدية من أهم أسباب انتشار العجز عن تذوق الأدب القديم في الوقت الحاضر، وإن نثبت إذا ما وضعناها موضع البحث أن نرى أثرها واضحا في عروق النفوس ههنا ونفورها منه .

ومن أجل هذا رأيت أن أعرض لنماذج من طرق العرض القديمة لأبين الحدود الضيقة التي كان المؤلف يعمل في نطاقها، وأشير في إجمال إلى الفرواح الهامة التي أغفلها .

هذا المبرد في كامله يختار ثم يعرض للنصوص التي اختارها فلا يكاد يهتم بأكثر من النظر في ناحيتها اللغوية البحتة وبخاصة ما يتصل منها بقواعد النحو والصرف .

وكذلك القائل في أماليه يستمر من النصوص ما يحفل بالغريب ثم يحبس نفسه وقراءه على تعقب الغريب ومشتقاته بالشرح والدرس الطويل .

ويبدوا أن كلا الرجلين قد غلبت عليه صناعته الخاصة في الاختيار والدرس معاً . وهما يكن من شئ فإن الأسلوب لا الموضوع هو الجانب الذي استبدت به العناية والدراسة كلها أو جلها .

يمر الأدب العربي القديم بفترة من أقصى الفترات التي مرت به في حياته الطويلة فقد توارى من الصحف اليومية وخلا مكانه في مجالس السمر وأجواء المرح والفكاهة وبدا وكأنه أدب أمة قديمة قد بادت منذ عصور طويلة ، فإذا أنهتد بيتا منه في مجمع مثقف أدهشك أن أحدا لا يستجيب له أو يستسيغه ، وهي ظاهرة أدبية حديثة العهد ، ولكنها تندر بشر قريب ذلك أنها تزداد عاما بعد عام حتى ليوشك أن يأتي يوم تطلع شمس على جيل قد انقطعت الصلة بينه وبين الأدب القديم انقطاعا تاما . وإذ ذاك تصبح ذخائر الأدب العربي في وضع مماثل لوضع الآداب الإغريقية والرومانية في الممالك الأوروبية المعاصرة فإن تلك الآداب واللغات التي كتبت بها كانت تمثل الثقافة العامة في تلك البلاد ، وهامي ذى قد تملك الآن عن مكانها هذا اللغات القومية المتولدة منها وهن سواها ، فكان هذا تمزقا جديداً لوشائج المجتمع العربي وإضعافا لوحدة الثقافة وليس ثمة شك في أن واجهنا في الوقت الحاضر هو مواجهة هذه المعضلة بشجاعة ومحاولة حلها في هزم وإصرار .

يجب أن يتجه البحث في بدايته إلى الكشف عن الأسباب التي أدت إلى استغراق الأدب القديم وتنحيته عن مجرى الحياة اليومية على أن ينعطف التفكير بعد ذلك إلى اقتراح الوسائل التي تعيد

الأدبية وهو الوحدة والوحدة عامل أساسي لا يمكن بدونه أن يصل إدراك التجربة الأدبية إلى كماله ويستتم جميع مقوماته .

وقد جنحت الكتب المدرسية أخيراً نحو هذه الطريقة طريقة تقديم البديل المزيل . وهذا الصنيع الحاطي تذهب دون شك بالتذوق الأدبي الصحيح . فإنه يغري التلاميذ بترك الأصل فراراً من الجهد الضروري لدراسة الأسلوب فتفتوتهم بذلك فرصة لغوية من أهم الفرص الثقافية ، فدراسة الشكل في الأدب هي السبيل الوحيد لرؤية الفروق الدقيقة بين معاني الكلمات وتعقب فن الشاعر في صياغة التشبيهات والمجازات والاستعارات وتحديد أثر الموسيقى المنبعثة من القافية والوزن وجرس الكلمات . وهذه الدراسة هي الذريعة التربوية الفعالة التي تربط بين الأدب وميول الناشئ برباط وثيق يقدم مدى الحياة .

وسبب كل هذه الأخطاء واضح فإن عرض الأدب في الماضي لم يكن موضوع دراسة علمية تكشف عن مبادئه وتحديد أهدافه ووسائله الصحيحة . أما الآن فقد استطاع الباحثون في ضوء ما جدد من العلوم أن يقوموا بدراسة مسنونة لهذه المسألة الأدبية الهامة وقد أدت النتائج التي انتهت إليها بحوثهم إلى ثورة كبيرة في أسلوب العرض وطريقة التدقيق للشعر والنثر فأصبح العرض الآن عملية فنية دقيقة تقوم على أسس علمية ثابتة .

ولا نريد أن نتوسع في بيان العلوم المختلفة التي ساهمت في هذا الانقلاب الأدبي الكبير ؛ فإن هذا يتعلنا كما قصدنا إليه وسنجزئ من ذلك بالإلماع دون الإفاضة والإسهاب .

فإذا ما اتجهنا إلى شروح دواوين الشعراء وقصائدهم استوفيتنا ظاهرة جديدة . فإن العناية لم تعد بعد مقصورة على الأسلوب ؛ بل تناولت الموضوع أيضاً ، فإذا اخترنا شرح الزوزني للبطقات كنموذج لهذا النوع من أساليب العرض وجدنا المصارع يبعد إلى البيت فيشرح غريبه . وقد يمس نحوه أو صرفه مسأ خفيفاً ثم يتخطى حدود الأسلوب إلى الموضوع فيقدم معنى البيت بعبارة سهلة واضحة .

وواضح أن هذا النوع من العرض أكثر من سابقة شمولاً لعناصر النصوص الأدبية . فإنه يمس الأسلوب والموضوع معاً . ولكنه مع ذلك لا يخلو من عيوب كثيرة تحدد من قيمته وتعجزه عن أداء مهمته فهو يغفل كثيراً عن العناصر الأساسية في التجربة الأدبية كالأنفعال وغيره .

وثمة عيوب أخرى لا تقل خطراً عن العيب سابق الذكر . فإنه يفصل المعنى عن التعبير . والنقد الأدبي المعاصر يرى أن فصل المعنى عن الأسلوب خطأ فني كبير ذلك أن المطلوب هو رؤية المعنى من ثنايا تعبير الكاتب والشاعر فهو وحده الذي يستطيع أن يصور ما عناءه وقصد إليه ، أما أثر الشعر وتقديمه في ثوب لغوي غير الثوب الذي أضافه عليه الشاعر فإنه يذهب بكثير من مقومات المعنى وخصائصه حتى ليحسب لنا أن نقول : ليس هذا هو المعنى بل هو بديل هزيل . أين أثر النظم وأين جرس الكلمات ورنينها وضياء الاستعارات وبريق المجازات والتشبيهات ؟

يضاف إلى هذا أن تقديم القصيدة على هذا النحو يمزق أوصالها ويخني عنصرها من أهم عناصر التجربة

أو المسرحية بدون الوحدة تصبح أشلاء ممزقة وأشتاتا مبددة، والواقع أننا إذا لم نبدأ فنجمع أجزاء القصة أو المسرحية في وحدة مترابطة متماسكة، فإن كشمراً من عناصر التجربة يغيب هنا وإذ ذلك تبدو فقيرة عقيمة لا تشف عن رسالة ولا تأثير وجدانا أو تداعب خيالاً. وذلك لأن الشعور بالوحدة شرط ضرورى لإدراك الفكرة التى ينطوى عليها الأثر الأدبى فى جملته ولا يستطيع الأدب أن يشف عن رسالته أو يؤثر فى الوجدان وبشء الانفعال إلا إذا تكونت وحدة الخيال والموضوع وظهرت لنا واضحة جلية.

والحق أنه بدون الوحدة تترايل أوصال الخيال ويفقد تأثيره فى الوجدان ويتوارى معنى الأثر ورسالته فلا يبق له أحد على أثر. وحينئذ تضيع رسالة المؤلف ولا يتحقق الغرض الذى قصد إليه.

وهذا واضح فى القصة والمسرحية والفصل والملمحة. وهناك من يكتفى فى الشعر بالوحدة الانفعالية ولكنه مع ذلك لا يخلو من وحدة أو وحدات فكرية متعددة.

الانفعال :

قدمنا أن الشعر حقيقة مركبة من عناصر متعددة، وقد أشرنا إلى الوحدة فأتسع أمامنا المجال لعرض سريع لأهم عناصر التجربة الأدبية. ويعد الانفعال من أقوى عناصرها وأهمها، فالأدب يتجه إلى الوجدان ويحاول إثارة انفعال أو انفعالات متعددة.

والواقع أن القدرة على إثارة الانفعال هى سبب ما تتمتع به الآثار الأدبية الرفيعة من حياة دائمة وخلود لا تحظى به السكتب العلية التى تفقد ما لها

وطبيعى أن يجرى النقد الأدبى فى المقدمة فإن الجهود التى بذلها فى تحديد معنى الأدب وفنون الأدب قد أثارت السبيل وعبدت الطريق لإدراك عناصر الأدب ومبادئ العرض الحديث.

ولا يقل عن هذا أثراً ما قام به هلم هلمس من دراسات كشفت لنا عن طبيعة التذوق وعن العمليات النفسية المختلفة التى تتم متعاقبة متضافرة فى إطار عملية التذوق وبينت الطريقة المثلى التى يجب أن نسلكها لرفع مستوى هذه العمليات إلى أقصى مدى وأبعد حد وإلى نظرية (الحشائلك) بوجه خاص يعود الفضل فى العثور على كثير من مبادئ العرض الأدبى الحديث وبخاصة ما يتصل من ذلك بالوحدة والجو وترتيب الخطوات.

وليس فى مقدورنا الآن ولا يدخل فى نطاق مهمتنا الحاضرة أن ندرس هذه المسائل العلية دراسة مستفيضة ولكننا سنكتفى من ذلك بما يحس مبادئ العرض ويؤثر فيها تأثيراً مباشراً. وسنبداً من ذلك بتحديد معنى الأدب.

الأدب وعناصره :

إن الأدب حقيقة مركبة ولا بد لمن يريد أن يدرس مبادئ العرض الحديث من الإلماع إلى طبيعة الأدب وعناصره المختلفة التى يجب أن يتناولها العرض السكامل. فإن هذا أمر يحتاج إليه كل من يحاول بحث التجربة الأدبية، وإيقاظها من رقبتها وإضفاء ثوب الواقعية عليها.

الوحدة :

فالوحدة الفكرية أو غير الفكرية هى العنصر الأول من عناصر التجربة الأدبية وهى بالذات لتذوق الأدب والفنون تحمل على الصدارة، فالقصة

الأخرى حتى الأدب فكيف يفعل الأدب إذا أراد أن يثير انفعالاتنا .

الأمر واضح فهو يستطيع أن يفعل ذلك إذا صور لنا الأشياء التي تثير الانفعال فالأشياء الجزئية المحددة تمتع بالقدرة على التأثير في الوجدان . ونحن نشعر بالأسى والحزن إذا عرض علينا شخص تاعس في قصة حزنة وتدهر بالإعجاب بنفوسنا حينما يصور لنا الكاتب صورة عمل جليل لبطل من أبطال التاريخ ، والقدرة على رؤية الأشياء في صورتها الجزئية وصيغتها الوجدانية وعرضها علينا في قوة الحقائق الواقعة ووضوحها هي الموهبة الأدبية التي تقبض على مفاتيح الانفعالات وتفض أغلقها .

وتسمى هذه القوة قوة التخيل وهي ضرورة لتكوين الشاعر والقصصى ومؤلف المسرحيات ، هي في الواقع ضرورة لكل أديب .
العنصر الفكري :

والعنصر الفكري أساس كل كتابة مستنيرة وهو في بعض الآثار الأدبية الغاية التي من أجلها ألف الكاتب ، ولذا أن نقسام إزاء أي كتاب من كتب الأدب ماذا يعنى وما هي الحقائق أو المبادئ التي تضمها وسنجد أنه لا سمو الأدب إلا إذا تضمن فكرة كبيرة أو معنى جليلاً ، أن قيمة الكتاب تعلو تبعاً لما فيه من الأفكار وعمقها .

ويجب أن نفرق بين الوقائع والمبدأ الفكري الذي تمثله الوقائع فالوقائع هي الحوادث الجزئية ونحى هادة من قوة الخيال وتكون في الأدب عنصر الخيلة أو الصور الممثلة للإنسان والطبيعة . وهي في الغالب مصنوعة حتى في القصة التاريخية

من قيمة طالية بمجرد أن تفرغ ما فيها من حقائق علمية أو فلسفية . وهذا يفسر لنا بقاء إلياذة هوميروس على حين أن المكتب العلمية المعاصرة لها والمتأخرة منها قد سحبت النسيان ذيله على الكثير منها .

وتختلف أنواع الأدب باختلاف مركز الانفعال فيها فإذا كان التأثير في الوجدان هو الغرض الأكبر فذلك هو . الشعر أما إذا كانت إثارة الانفعال وسيلة أو أسراً مرضياً فتلك مؤلفات تتفاوت في صيغتها الأدبية تبعاً لقوة تأثيرها . ولكن هذه القوة هي التي تجعل المكتاب أدياً وقد قضى عليه صفة الخلود .

وليس هذا مقصوداً على الأدب بل هو أمر مشترك بين الفنون كلها ، ولكن يجب أن نتذكر أن الوجدان ليس العنصر الوحيد في الفنون فإلى جانبه توجد عناصر أخرى متعددة . ومع ذلك فيبدو أن هذا العنصر يوجد منفرداً في الموسيقى ومن أجل ذلك كانت الموسيقى تمثل جوهر الفن وغالصة فيها وحدها يوجد بيميزه الأساسى وحده بمنزل عما سواه . فالموسيقى تؤثر في الوجدان مباشرة دون أن يتوسط في ذلك عنصر من عناصر الفكر على الإطلاق ومع ذلك قد تلتقي في النفس أفكاراً غامضة غير نامية لتكوين ولكنها متصلة بالانفعالات التي تثيرها .

ومهما يكن من شيء فالظاهر أن تأثير الموسيقى في الوجدان مستقل عن جميع العمليات الفكرية وأنه على عكس ذلك بسيط مباشر غير قابل للتحليل واستخراج الوسائط .

الخيال :

تتماز فالموسيقى إذا بأنها تثير الانفعال مباشرة من غير واسطة وهو أمر لا تستطيعه الفنون

يضاف إلى ذلك جرس الكلمات وموسيقى الشعر
فلهذه الموسيقى الصوتية المنبثقة من لغة الأدب أثر
بين في إثارة الانفعالات أو تقويتها .

ولفنون البلاغة دور تعبيري وتأثيري كبير وهي
من أهم الوسائط الشكلية التي يستخدمها الأدب
في تحقيق أغراضه الفنية .

النتيجة :

والنتيجة العامة لهذه الدراسة النقدية هي وجوب
تطور فهمنا لمعنى الأدب فليس الأدب مجرد تعبير بليغ
كما ظن بعض المتقدمين ولا تقتصر عناصره على
التعبير ومعنى التعبير كما تصور آخرون ولكنه
أوسع من هذا نطاقاً فهو حقيقة مركبة من الخيال
والأفكار والانفعالات التي يثيرها الخيال والأفكار
ثم الشكل الذي يستخدمه الأدب للتعبير عن
هذه العناصر .

ويرتّب على هذا أن يتغير تصورنا لطبيعة
التذوق ، فالتذوق الكامل لا بد أن يشمل كل هذه
العناصر ، وأن يستخدم الخيال والإدراك والوجدان
في تلقي الآثار الأدبية بكل عناصرها وتفصيلاتها .
وكذلك يجب أن يتغير إحساس الاختيار في ضوء
هذا المعنى الجديد للأدب فلا يجرز أن يستهيننا
الغريب أو يستخفنا النحو والصرف وفنون البلاغة
فنختار لأسباب متصلة بالشكل وحده بل يجب أن
نتوخى بالاختيار ما تكاملت فيه العناصر السابقة
الذكر جميعاً فأنقد خياله وسمت تعالجه وحى وجدانه
ودق ورق تعبيره وبهائه ؟

المكتوب عبد المجيد إبراهيم اللباني

فقد يكون لميكها العام صحة تاريخية ولكن تفصيلاتها
تسكون في العادة وليدة الخيال

أما المبدأ الفكري فهو الحقيقة الفكرية التي
تتضمنها القصة ويقدها لنا الكاتب . هو رسالة
المؤلف العامة التي تمثلها لنا الوقائع والحوادث
الجزئية المعروضة . ويهكون عادة من النواميس
الكونية أو نواميس الطبيعة البشرية ولا تشترط
فيه الجودة ، فقيمة الكتاب لا تتأثر بذلك ولكنها
توقف على الوضوح والقوة التي تعرض بها الحقائق
الأساسية للكون والطبيعة البشرية وليست مهمة
الكاتب الأساسية أن يعلنا هذه الحقائق أو يحاول
إثباتها ولكن مهمته أن يصورها ويستغل ما فيها
من قدرة في التأثير على الوجدان الإنساني .

وهذه الحقائق هي روح الأدب الرفيع ومادته
الأساسية ومن استطاع أن يصور أكبر عدد منها
ويعطينا فهماً عميقاً وجدانياً لا كبر قسم من الحياة
البشرية فهو الكاتب الكبير حقاً .

الشكل :

يرتبط العنصر الشكلي بالموضوع ارتباطاً وثيقاً
فالشكل هو وصلتنا إلى نقل الموضوع ويتكون
الشكل من مجموع الوسائط التي يستخدمها الأدب
في نقل أفكاره وانفعالاته إلى القارئ أو السامع .
وهذه الوسائط كثيرة ومختلفة ولكن أساسها
هو الكلمات ودلالاتها المباشرة وغير المباشرة ،
وذلك أن الكلمات إلى جانب معانيها الحرفية
أو المباشرة لها قوة لإحاء وهذه القوة توحى إلينا
معاني إضافية . تذكرنا بها في غموض أو وضوح
ومن هذه القوة تكسب قدرًا غير قليل من قيمتها
الأدبية وتقديرها الفني .

فِيحَابَةِ الْقُرْآنِ

نِعْمُ اللَّهُ عَلَيْنَا تَفْضِي الْإِيمَانُ بِهِ
وَبِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِهِ

لِلْأَسْمَاءِ عَبْدِ اللطيف التَّبَكِّي

د قل من يرزقكم من السماء والأرض ، أم من يملك السمع والأبصار ؟؟ .
آية ٣١ - ٣٥ يونس

القرآن كلام الله ، وهو العليم بكل شيء ...
وكتابه مصدر العلم لنا في كل ما جاء من عنده ، وعلى
لسان رسوله ... ومن ذلك كان الاستفهام في القرآن
لإفادتنا ... لا يطلب العلم منا ... والاستفهام
في القرآن تنوع أساليبه ... وتعدد أغراضه .
وهما يمكن ذلك التعدد ... فهمي تلتقي كلها عند
غرض عام ... هو : بيان الحق ، والإقناع به
وهذا يقينا إلى الصواب الذي يراودنا متى أخذ به .
وإذا نظرت معنا في أساليب الاستفهام وأغراضه
من تقرير ، وتأكيّد ، وإنكار وتعجب وتوبيخ ،
وتعظيم الخ ، فسترى ما رأينا ، من تلاقيها عند
غرض عام ... كما حدثناك .

ثم - لا شك - أن تنوع الأسلوب ، وتعدد
الأغراض الجزئية : فرصة للدراك المتفاوتة .

فربما تمهياً لإنسان أن يفهم من بعض الأساليب
أكثر مما يفهم من بعضها الآخر : « ولقد يسرنا
القرآن للذكر » .

٣ - وفي ضوء ما أسلفنا نذكر خمس آيات
متوالية في سورة يونس - التي نحن بسبيلها -

١ - من مكارم الله علينا أن يبسط لنا
في الأرزاق ، وبما جئنا في كتبه ، وعلى أسننه وسله
بما يوقظ وعينا ، ويفتح قلوبنا ، ويبصرنا بما هو
الخير لنا .

ولكن الناس - إلا قليلاً منهم - لا يقنهنون إلى
فضله فيما رزق ، أو لا يفتنون إلى معالم هدايته فيما
خلق ... ففعلوا وكانت الغفلة ساجية عليهم كليل
مظلم ، وكان جهودهم متغلغلا في نفوسهم بدلا من
نور الإيمان ، وحجابا بينهم وبين استماعهم لدعوة
الرحمن ، والعقل الواعي يأبى أن تكون نعمة الله
علينا مثاراً لقرئنا عليه .

ولكن العقل وحده قد ينهزم أمام نزغات
الشیطان ... لذلك كانت هداية مشكورة .

وكانت الهداية وسائل ميسورة .

٢ - ومن أساليب الهداية في القرآن أن يخاطب
الله الناس كثيراً بصيغ الاستفهام ... والمعهود
في الاستفهام أن يراد به تحصيل ما عند الغير من
معرفة ... فهل الأمر كذلك في الاستفهامات
الموجّهة إلينا من جانب الله - تعالى - ؟؟

من آية ٣١ - ٣٥ . وفيها خمسة عشر سؤالاً ...
تلتقى كلها عند غرض عام .

(١) دقل من يرزقكم من السماء والأرض ، ؟
فهذا استفهام أول ... موجه إلى الناس عامة ...
وإلى الكافرين خاصة ... ويراد منه تذكيرهم بنعمة
الأرزاق ، وبأبوابها من جهة السماء والأرض :
كالأمطار ، والرياح ، والضوء ، والظلة ، والحرارة ،
والبرودة ... وكالحطب في الأرض ، واليخنة ،
والطراوة ، ونحو هذا كله : مما تسبب في تنوع
الأرزاق ، ونضجها ، وتلوينها ، واختلاف صفوها
من خيرات البر ، والبحر ، وكندوها .

فالناس يشهدون كل ذلك ، ويتمتعون به .
ولا يرون له خافئاً غير الله الذي خلقهم ، ومربيهم
أرضه . ويسر لهم أسباب العيش فيها ... فهم يحكم
الفطرة ، والمجاهدة يؤمنون في قرارة أنفسهم
أن الله وحده هو الخالق لأرزاقهم ، وهو المبدع
لأسبابها ...

وهم مع ذلك لا يقدرُونَ الله حق قدره .

(ب) ثم يسألهم - ثانياً - أم من يملك السمع ،
والأبصار ؟ أي : من الذي يخلق لكم المسامع ،
والأبصار ، ويجعل فيها القوى التي تميزون بها
الأصوات عن بعضها ، والمرئيات في قربها ،
وبعدها ، واختلاف أشكالها . كما جعل نصيب
الإنسان في هذا التمييز فوق نصيب الحيوان
الأعجم ... وفي ذلك قدرة باهرة ، ودقة عجب ،
ومع ذلك لا تستجيبيون لمن خلق هذا .

(ج) ثم يسألهم - ثالثاً - د ومن يخرج الحمى
من الميت ؟ ؟ من يفيض الحياة على شيء لم يكن
حياً : كالنبات من الأرض ، فيخرج نافعاً ، ومتاعاً

لکم ولأنعامکم ... وكالإنسان ، يخرج من ماء النسل
خلقاً سواها في أحسن صورة .

(د) ويسألهم - رابعاً - د ومن يخرج الميت
من الحى ، بأن يصلب الحياة بقدرته ، فيصير الحى
إلى العدم : كالحطاب الذي يجف بعد نضاره ،
ويصبح هشياً ، وكالإنسان الذي يصبح جيفة ،
ثم تراباً ، وكالبيضة تخرج من الفجاجة .

ثم يجعل سؤالنا في غير إسهاب ، فيقول .

(هـ) د ومن يدبر الأمر ، ؟ ؟ من الذى يقدر
على تدبير الأمر في سائر الكائنات : خلقاً ، وفناء ،
وتحويلاً من حال إلى حال ، فلا يخرج من سلطانه
شيء . ولا يشذ عن حكمته تدبير ؟ ؟ .

ويكون عليهم بذلك كله جواباً منطقياً ،
لا يجدون حولاً عنه ، هو .. الله !! هو الله الفاعل
لهذا .. ولا سواء .

وهم على علم وجداني بأنه الجواب الحق ..
فتكون الحججة قائمة عليهم ، ولازمة في
إقناعهم .

وإذا كان ذلك الحوار المفروض كاشفاً عن
الاصواب ، فكيف يجيدون عن الإيمان الحق الذى
تتطوى عليه الفطرة ، وتهتف به المشاهد في ملكوت
الله ؟ ؟ .

هذا مقام التقرير والإلزام بمقيدة التوحيد .
ثم ينتقل هذا الحوار إلى مجال التوبيخ ،
والإنكار ، والاستنهاض إلى المبادرة ، وتدارك
الفرصة .. فيقول : د أفلا تتقون ، ؟ ؟ يعنى : هل
تسكرون ما تتطوى عليه الفطرة ، وتشهد به الحواس ،
فلا تتقوا الله حق تقاته ؟ ؟ يعنى : لا ينبغى هذا
الإنكار منكم ، وهلكم بفقوى الله .

إن التوبيخ يكون لمن لزمته الخطيئة ، وقام عليه الحجة . . وقد تورط هؤلاء المتخلفون أسوأ تورط ، لحمل عليهم بالتوبيخ .

وتعقبهم بأسئلة أخرى تزيدهم حرجا . وأكدهم أن الخالق الذي اعترفوا به هو ربهم الحق ، وليس سواه ، والحق لا يتعدد ، لأنه الشيء الموجود الذي ينتهي إليه العلم ، وتستقر عنده العقول ، ولا تتعدد فيه ، وجهة النظر .

ولا يتصور وجود شيء بعده إلا أن يكون ضلالا ، فإذا بعد الحق إلا الضلال .

وقد ضاقت على الجاهلين سبل الفرار ، وتعرث حيلهم فيما يصنعون . والله يأخذهم بذلك . فيقول : « فأنى تصرفون ؟ » فإلى أى جهة تتجهون للإفلات بكمفركم ، وخطاياكم .

ثم يسألهم - المرة الثالثة - تشديعا على الآلهة التي يشركون بها مع الله ، قال : هل من شركائكم

من يبدأ الخلق ثم يعيده ؟ ، إنكم تزرون بدء الخلق للإنسان وغير الإنسان ، وتشهدون أن هذا عمل الله . . وتعرفون بالأدلة ، وبالعقول الرشيدة أن إعادة الخلق في اليوم الآخر : كذلك من عمل الله .

والجواب المطلوب منهم بالنفي . . . يعنى ليس لشركائنا عمل في هذا ، ولا قدرة ، بل ولا صلاحية لأى تأثير . . . د قل : الله يبدأ الخلق ثم يعيده . فأنى تؤفكون ؟ ؟ يعنى فإلى أى جهة تنصرفون ، وتقلبون الحق إلى باطل ، تزعمون لتلك المخلوقات عبادة . .

« قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق ، هذه أشباح تصيدونها ، وهى لا تستطيع هدايتكم إلى حق تقبعون ، ولا حسابكم على باطل ترتكبونه ، ولا مشو بكم على خير تظنون .

والله - تعالى - هو الذى يملك ذلك ويستعاضه ؟

عبر اللطيف السبكى

خشوع ودموع

عن عبد الله بن مسعود قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ على . قلت : يا رسول الله اقرأ عليك ، وعليك أنزل ؟ قال : « نعم » فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا . » قال : « حسبك الآن » ، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان .

الحقيقة في مشكلة فلسطين

للكاتب الهولندي ق. ه. ليونارد

ترجمة عن الإنجليزية : محمد حسام الدين

- ١ -

وفي التقدير السكاني لفلسطين أن مستوطنها من اليهود كانوا أقل من أربعة آلاف في سنة ١٢٥٣ . ثم نما العدد إلى خمسة آلاف في سنة ١٧٧٠ م . وكانوا وحدة من الشعب الفلسطيني والغريب أن هذه الأقلية اليهودية لم تستقر في فلسطين فكثيرا ما كانت تنشط للهجرة منها خلال مختلف العصور حينما تجد الظروف في البلد غير مريحة لإيها .

أما الشعب الوطني العربي فقد كان على العكس من ذلك يتكاثر ويمتد امتدادا ضخما منذ القدم وقبل أن يستوطن الإسرائيليون هذا البلد ، فهو في أصله الفلاح تربطه بالأرض وشائج .

وإذا كان شعب فلسطين القديمة قد تمرد ثم انتقل إلى المسيحية فإنه أخيرا قد تعرب ثم أسلم في أكثر الأجزاء بسبب زحف العرب المسلمين الذين عمدوا إليه في القرن السابع الميلادي ثم استقروا هناك .

ولقد شهدت فلسطين رخاء عظيما خلال القرون الأولى لحكم العرب فهم الذين استحضروا البرتقال وبذور الفواكه إليها بين باقي المزارعات .

ولكن هذا الرخاء لم يستقر ، نتيجة للوضع الجغرافي والأهمية الروحية لهذا البلد ، فهي منذ القدم مطمح الغزاة ، وكأنا ندر لها أن تكون مجال صراع عالمي ، ولقد تحمل شعبها الفلاح قسوة

إسرائيل ... دولة تتسلح من أعلى الرأس إلى باطن القدم ، تناصب جيرانها العرب العداء ، وهم بدورهم يتجمعون مقاطعة لها وتحفزا ، تطوقها خيام اللاجئين وتقوم على حدودها منذ اثني عشر عاما . هذه هي الصورة المبسطة لمشكلة فلسطين المعاصرة .

أما تاريخها فيبدأ في القرن السابع الميلادي حين قدم العرب المسلمون إلى فلسطين وتركوا هذا البلد مفتوحا لهجرة اليهود واستقروا هم . وحين وجد اليهود الذين كانوا يطاردون في كل مكان الملجأ والامن في هذه المنطقة في عهد خلافة العرب وفي ظل الإسلام ، وجاءت الخلافة التركية العثمانية فاحتفظت بهذه الساحة وأقرت هذا التقليد .

ولم يرث الإسلام كراهية لليهود ولم يحتفظ العرب بشيء منها - على العكس من شعوب أخرى - وكان طبيعيا لذلك أن يعيش اليهود بين العرب المسلمين في سلام وصداقة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . ثم تغيرت العلاقة وابتدأ التغير يظهر بوضوح في أعقاب هذه الحرب .

وطوال هذه قرون كانت الهجرة اليهودية إلى فلسطين - في نظر المسلمين - مجرد حركات دينية . وظل هذا البلد مفتوحا لم رغم أنه يختلف عن غيره من البلاد العربية والإسلامية . فهو أقل مقدرة وأضعف اقتصادا ولذا فلم يكن قادرا إلا على استيعاب عدد صغير من اليهود .

في هذه المنطقة ، ولم يكن هذا التعاون الاستعماري خفيا عن ملاحظة السلطات العثمانية في فلسطين ولذا فإنه عند ما احتلت إنجلترا مصر عام ١٨٨٢م ، كانت فلسطين ولأول مرة في تاريخها تحت الحكم الإسلامي منفصلة في وجه الهجرة اليهودية ولكن اليهود احتلوا لهذا ، ووجدوا في فساد الأتراك الرسميين وفي استسلامهم سبلا لتفادي وقف الهجرة ، - وينتد دخلت الصهيونية السياسية مرحلة التحقيق والوجود العملي .

وطرد العرب من قرايم لصالح اليهود بمساعدة الأتراك العثمانيين ، وانتهج اليهود مع العرب سياسة هدروانية قاسية ، وانتقصوا حقوقهم وأهالهم بغير سبب ، وترفعوا عنهم في حياتهم العملية ، ولم يكن هناك من يقوم بأى عمل تجاه هذا السلوك المازرى والانحراف الخطير .

ولقد استخلص (حشاد ها آم) من تصرف اليهود إزاء العرب ، أن اليهود لم يتعللوا شيئا من التاريخ وأن التاريخ يقر ضرورة تفادي الأعمال الظالمة تجاه الجماهير الوطنية ، وتساءل : وماذا سيفعل إخواننا اليهود في فلسطين ؟ ، الحقيقة أنهم كانوا هميدا للطرده والاضطهاد وسيجدون أنفسهم فجأة في حال من الحرية الفوضوية التي لا تخضع لقيادة أو لضبط ، هذا التغيير المفاجئ سيؤديهم إلى ميل نحو التحلل والانفلات كما يحدث دائما عندما يصبح العبد سيدا .

وفي الوقت ذاته قام في أوروبا الصحفي اليهودي النمساوي ثيودور هرتزل فوضع للصهيونية قاعدتها في نظرية محددة . وأساس تنظيمي .

وبناء على نظريته أصبح هداه السامية الذي كان أصلا للمشكلة اليهودية غير صالح لبناء الكيان

الأنفاد ، ولأق عديدا من الكوارث ، كوارث طبيعية ، وأوبئة ، وجماعات ، وجموش مخربة ، ومستعمرين أجاناب . وجامعى ضرائب قساة ، وبقي على حقيقة لم يتغير على امتداد الزمن وتتابع المحن فلم يصرفه شيء عن أرض وطنه الخصبة .

إن الفلاح العربي الفلسطيني ذكى وهوب ويجد صابر ، ولقد حاول بعنصره الصلب أن يتغلب على هذه المصائب وأن يبرأ منها إلى أن سقطت فلسطين .

كتب المفكر اليهودي (حشاد ها آم) تقريراً بعد رحلة طاف بها فلسطين سنة ١٨٩١ فقال : إنه من العسير أن تجد أرضا صالحة للزراعة غير مزروعة هناك .

وتقرير آخر كتبه (أذريلون) في مطلع القرن التاسع عشر في سنة ١٨٨٣ عن الزراعة والفواكه قال فيه : وغالبا ما تجد كل فدان في فلسطين على أرفع مستوى من الإنتاج الزراعي .

ولاند استتبت العرب حول يافا أحجاما بمنازة ونادوة من البرتقال تلفت النظر وتثير الدهشة . منذ أوائل القرن الثامن عشر .

• • •

ثم قامت الصهيونية السياسية في مطلع القرن التاسع عشر ، وكان هذا داعيا إلى تغيير جذري هنيف في الموقف اليهودي بالنسبة لفلسطين ، حين تطلعت الصهيونية إلى إقامة الدولة اليهودية ، دولة صهيون ، في فلسطين والمناطق المحيطة بها فوضعت تخطيطا ضخما للهجرة اليهودية إليها وللزراعة البلد بأيدي اليهود أنفسهم .

ومنذ سنة ١٧٩٨ والاستعمار الصهيوني يستند إلى فرنسا وإنجلترا في تثبيت أقدامه بسبب نفوذهما

ولقد اتفق هرتزل جهودا وأموالا ضخمة لفسر الانحلال والرشوة بين الشعوب . وأصبح هو واللجنة التنفيذية الصهيونية علما في الإكراه . وانهاج أقوى وأخس السبل لأهدافه . وكان شعاره (إن من يطلب الغاية لابد أن يقبل الوسائل) .

وكما دأب أن يعرب اليهود بالشعار المصنف (عداة السامية) فإنه حاول أن يبعث بين غير اليهود الخوف من اليهود أنفسهم وبخاصة أعمالهم العقلية الثورية .

وحيثما استطاع كان يضع رجال الدولة الأوربيين في مأزق . ثم يهددهم (إما الصهيونية وإما ثورة يهودية تفور بالدم) .

أما موقفه تجاه الشعب الفلسطيني فقد اقترح في كتابه (دولة اليهود) أن يحصل على المساواة في الحقوق .

ومع هذا فإن تخطيطه لهذه الدولة - كما جاء في مذكراته التي لم تنشر إلا بعد ٢٦ سنة من وفاته - ينص على أن الأرض الزراعية يجب أن تنزع من أصحابها بالحيلة ثم تملك لليهود . على أن إعادة بيعها للملاك الأصليين محرم نهائيا . وجميع المقارات الثابتة لابد أن تبقى في يد اليهود خاصة .

أما الشعب الفقير فيجب أن يعمل على الحدود وفي الصحراء . بعد أن يكون قد طهر الصحراء من حيواناتها المأذية كالثعابين مثلا . وذلك لصالح اليهود أنفسهم . ثم لا يسمح بتوظيفه في الأرض التي ولد فيها .

وفي مارس سنة ١٨٩٩ تلقى هرتزل خطابا موجها إليه ومعنوننا بهذا العنوان . من عمدة القدس إلى الحبر الأعظم في باريس . هذا الخطاب يحوى

الصهيوني وإنما كان منهجه أن ينشر فيما بين اليهود إحساس الأمة . لذا فقد أصبحت مشكلة اليهود مشكلة أمة . لاحت لها إلا بأن تجمع في دولة واحدة جميع اليهود الذين يرغبون أن يقبضوا ثمن الصفة اليهودية ...

وكما كانت بقايا اليهود ممزقة بين الأمم أصدر هرتزل الأجزاء الأساسية من نظريته ممزقة موزعة على فترات . ونشرها سنة ١٨٩٦م في مجلد بعنوان (دولة اليهود) .

ولقد لقيت آراء هرتزل وأمانيه مقاومة يهودية واسعة فحاول بمختلف الأساليب - ومنها الإكراه ورفع شعار معاداة السامية - أن يجبر اليهود على معاونته الصهيونية . وكان يناصر الدول التي تنحاز إلى دولته . ويهيء لها المعونة المادية لتظهر بالنصر العسكري . وفي غيبة القوة اليهودية . رفع صوته طالبا المعونة من القوى غير اليهودية .

وكانت أساليبه في الحصول على معونة الدول تشمل استغلال تأثير المركز التجارى ورأس المال اليهودى في الضغط عليها . وتشمل اللعب بشهوات الدول الاستعمارية تجاه بعضها . وتنمية العدوات فيما بينها .

أما بين اليهود أنفسهم كعشرة ملايين نسمة فقد لجأ إلى الوكلاء السريين يذثرون بينهم الإغراء والتهديد معا .

هذا الصهيوني كان يؤمن بأنه سوف يشق طريقه خلال جور من الحقد المتبادل بين الكائنات بعضها البعض وبين الدول كذلك .

وحينما قامت الحرب العالمية الأولى لم تمس الصهيونية بأذى وإنما دفعتها إلى الأمام .

الذي تعطي المادة الثالثة منه لليهود حق إجماع السكان الوطنيين .

لم ينجح هرتزل في الحصول على ميثاقه ، موافقا عليه من العثمانيين . وفي نفس العام سنة ١٩٠١ انعقد المؤتمر الصهيوني الخامس المؤسس تحت قيادته باسم « أساس العالم اليهودي » ، وطالب المؤتمر طبقا لقانونه الخاص بأن تصبح أرض فلسطين في حوزة الملكية اليهودية وأن لا يسمح ببيعها أو أن تؤجر أو تستغل لغير اليهود .

وفي سنة ١٩٠٧ وبعد ثلاث سنوات من وفاته وطبقا للخطة التي وضعها ابتداء منع الشعب الوطني من العمل في الأرض اليهودية . وفي نفس العام قام أول « كيبوتز » ، « مستعمرة زراعية جماعية كوسيلة لإنهاء العمال العرب . والسيطرة على الأرض بالعمال اليهود .

وأعيد تخطيط فلسطين . الاختصاص بالأرض الحصة مع مقاطعة العمال العرب . وأتبع ذلك بمقاطعة البضائع العربية حينما بدأ اليهود أنفسهم في إنتاج سلع بمائة . .

وبدأ فوراً الإقصاء السري للسكان الوطنيين - طبقا لمخطط هرتزل - وتكوين جيش يهودي حقيق . .

وقد سبق هذا بمجدال حاد بين شابين من قادة الرواد اليهود الذين سبوا إلى استيطان فلسطين . أحدهم وهو دافيد طلب أن يقام مجتمع يهودي بقوة ذاتية أما الآخر وهو شالوم فقد عارضه في هذا . .

ثم احتدم المجدال مرة أخرى فقال شالوم : يجب أن نقود السلام في الأرض المقدسة

تحذيرا للصهيونية من نتائج خطتها العدوانية ويطالب بالأماكن المقدسة العربية . وينذر بمقاومة الشعب العربي الفلسطيني لكل عدوان .

وقد رد هرتزل على هذا الخطاب متسائلا : ومن الذي فكر في إجماع غير اليهود من السكان ؟... إن هؤلاء السكان سيجدون في اليهود إخوة مخلصين ممتازين . .

وبعد أشهر قليلة ابتداء هرتزل يكتب قصته « الأرض القديمة الجديدة » ، « أرض الميعاد » ، وفيها يقول : « إن نظرة في المستقبل لفلسطين اليهودية بعد عشرين سنة . سوف تكشف عن نموذج للدولة الراقية . وستكون فوق وصف الزائرين . وسيظهر في الصورة في أرض الميعاد قادة من العرب البارزين يطلعون الزائرين على الرخاء في القرى العربية . وعلى سكانها السعداء . ويلهبون بالثناء والحب لإخوانهم يهود فلسطين الذين يدنون لهم بالشيء الكثير » .

قصة أرض الميعاد لم يكتبها هرتزل لليهود وإنما كتبها للرأى العام العالمي واستهدف بها الدعاية وأن يكسب آراء غير اليهود للصهيونية .

وفي سنة ١٩٠١ حين تمت هذه القصة تقريبا حاول هرتزل بدأب وإصرار أن يحصل على ميثاق بالحقوق لليهود من العثمانيين . وامتيازات لها أسماء « الشركة اليهودية العثمانية لتعمير واستيطان فلسطين وسوريا » .

ومن الملاحظ أنه أعطى ميثاقه صبغة استعمارية توسلا منه إلى تسجيل الميثاق وتحقيق الفكرة .

وحين توفي حاول خلفه في قيادة المنظمة الصهيونية أن يحصل من الأتراك على ميثاق مشابه لميثاق هرتزل

التقدم الذى أحرزته في علاقاتها بأحد الأطراف المتعادية . لعب به لدى الطرف الآخر .
وأمكن لوابزمان أن يصرح - في اللحظة المناسبة -
مهدداً وبنجاح في لندن وفي وزارة الخارجية ذاتها
بأن اليهود يمكن أن يستألفوا بعرض المائى فينقلوا
ولام . كما سبق أن حدث مثل هذا التهديد بلسان
هرتزل نفسه .

وقد وضعت الصهيونية جميع الإمكانيات اليهودية
من قوى بشرية وقدرات مالية في خدمة أغراض
الاستعمار . من أجل تأييدهم في إقامة دولتهم
المقترحة .

وقد أقیم تمثيل يهودى لدى الحلفاء في أكتوبر
سنة ١٩١٦ على أن يكسب الحلفاء أمريكا إلى جانبهم
بفعل النفوذ اليهودى الأمريكى القوي . وعن طريق
الزعيم الصهيونى الكبير القاضى برانديز . الذى كان
يدين له الرئيس الأمريكى ويلسون بفضل كبير .
وكان يرتبط به بعلاقات قوية من أجل أنه قد أنقذ
الرئيس الأمريكى من أن يظهر اسمه في قضية ذات
وقائع ثابتة وذات تأثير بالغ وضار .

ومهما يكن التغير في السياسة الذى يعقب الحرب
حينما تكون الخدمات الصهيونية قد استنفدت
أغراضها وأصبحت عديمة القيمة . فإن الحقوق
السياسية التى وعد بها العرب فيما سبق ظلت موقوفة
وبعيدة عن التنفيذ رغبة في تفادى العمل أو التهديد
الصهيونى الذى أنشع بعد الهدنة . ومتابعة لسياسة
هرتزل التى فضلت لدى التقدميين اليهود في روسيا .
وضع قادة الصهيونية في روسيا في مأزق . إما الانتصار
للمصهيونية وإما الثورة . وفي حالة المعارضة هددوا
بقولهم : إن قوتنا البناءة سوف تتحول إلى قوة مدمرة
تضع العالم جميعه في حال من الضياع .

إنه إذا طرد العرب من ديارهم فلن يكون فيها سلام
إلى الأبد .
وقال داليد : إنه العالم الذى فيه القوة .. والقوة
وحدها تمخلى بالاحترام ، ورحل شالوم إلى باريس
وبقى دافيد في فلسطين . وهذا هو دافيد
ابن جوريون .

وتفاقم الاضطراب بين العرب الفلسطينيين .
وخلفت مقاطعة العمال العرب فيهم هبوط المستوى
المادى والاجتماعى وعزلتهم . وسيطر عليهم
الخوف من أن اليهود سوف يعادونهم من بلادهم .
وفي نوفمبر سنة ١٩١٤ انحازت تركيا إلى جانب
ألمانيا في الحرب ضد الحلفاء . ولجأت بريطانيا
إلى حركات التحرير العربية السرية . ووعدت
بتحقيق الاستقلال العربى في الأرض العربية ومنها
فلسطين ... ووضعت بريطانيا في حسابها معونة
هذه الحركات التحررية في القتال ضد الأتراك .

وقد صدر هذا الوعد للعرب في سنة ١٩١٥
في معاهدة بين بريطانيا ويمثل العرب الشريف حسين
و الملك حسين فيما بعد .

ثم أعادت بريطانيا هذه المعاهدة في أشكال أخرى
ولأطراف آخرين . ومنها الإعلان الإنجليزى
الفرنسى بتمسيم سوريا الكبرى في نوفمبر سنة ١٩١٨ .
ورأت الصهيونية في الحرب العالمية د فرصة
صهيون ، كما هو رأى هرتزل فاتخذت لنفسها
موقف الحياد . وانتشر أعضاء المنظمة اليهودية
التنفيذيون سريعاً في مختلف العواصم المتحاربة منها
والحايدة على حد سواء . وكانت علاقاتهم قائمة
خلال الحرب بجميع الأطراف حتى المراكز
المتعادية . وبهذه الطريقة أمكن الصهيونية أن تستغل

لتوقيعها مع وايزمان . ووجد فيصل نفسه في موقف صعب إذاء الضغط البريطاني العنيف . ولم يكن يعرف اللغة الإنجليزية حينما وقع هذه المعاهدة . فأضاف إلى مشروع المعاهدة تعقيباً يحتوى تحفظات شديدة كانت في مجموعها هدية القيمة في نظر بريطانيا والصهيونية .

وأياً ما كان . فقد ظهرت هذه الوثيقة بمظهر الاتفاق المقدم إلى مؤتمر السلام . كما أنها أدرجت في المحاضرة اليومية لمؤتمر السلام غالية من هذا التعقيب .

أما رد الفعل لهذا الموقف فقد ظهر في معارضة العرب لهذا الاتفاق في تصريح صحفي للأمير فيصل أذيع في أول مارس أبدي فيه ترحيباً باليهود في فلسطين . ولكنه حذر من إقامة دولة يهودية بها ورأى في إقامتها كارثة لهذا البلد .

أما وايزمان وفرانكفورت رئيس وفد الصهيونيين الأمريكيين إلى مؤتمر السلام فقد قدما خطاباً إلى الأعضاء . زعم وايزمان أنه مكشوب من فيصل إلى فرانكفورت . تعرض فيه لإنكار التصريحات الصحفية السابقة . وتضمن تقديراً وشكراً لفرانكفورت كما تضمن قبولاً وإقراراً لإماني اليهود من الوفد العربي .

وقد أبدت الدوائر الصهيونية اهتماماً كبيراً بهذه الوثيقة وتمسك بها . لأنها تتيح لها فرصة من الثبات والطمأنينة لمن يتردد في تأييد الصهيونية خشية أن يؤدي ذلك إلى اضطراع في فلسطين .

واحتفظت بها الصهيونية كأداة فعالة تستند إليها إذا تراجعت بريطانيا إذاء ضغط أو نفوذ لقادة العرب . (يتبع)

محمد حسام الدين

مجمع البحوث الإسلامية

وكان لتهديد اليهود وضغطهم القوي أثر كبير . فإن الصهيونية نجحت في إزاحة الوعد الذي أعطى للعرب سنة ١٩١٥ بشبح تشكل في وعد بلفور في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ .

وقد وصلت أحداث وعد بلفور آذان العرب بينما الحرب لاتزال مشتعلة . ولما كانت دعوتهم لاتزال ضرورية لتحرير بلاد العرب من الأتراك فقد دعوا إلى أن يشعروا بأن تحرير فلسطين تحرير فعلي لهم . وأكد لهم الحكام البريطانيون أن إعلان بلفور يضمن لهم الحرية الاقتصادية والسياسية . بينما هو في الحقيقة لا يضمن إلا الحقوق الدينية والمدنية .

أما وايزمان فإنه من جانبه أئذّر قادة العرب في القدس أثناء زيارته لفلسطين في ربيع سنة ١٩١٨ بأنهم يجب أن يدركوا حقيقة التلميح الصهيوني ، بأنه يعنى المطالبة بالقوة السياسية في فلسطين بينما اقترح في الزيارة ذاتها وفي المحيط الخاص باليهود الفلسطينيين ، أن القوة الفعالة يجب أن تتركز لحاكم دولتنا ، مادامت القوة اليهودية مازال قاصرة . وحتى يأتي الوقت الذي يكون فيه اليهود قادرين على تكوين قوة ذاتية .

أما في بريطانيا وفي دوائر الصهيونية العالمية فقد كان واضحاً ضرورة أن تخضع الوفود العربية إلى مؤتمر السلام للضغط . حتى تظهر موافقة العرب الرسميين على وعد بلفور ليم التظاهر بأن حق تقرير المصير في فلسطين قد احترم . طبقاً للفقرة ٤ من المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم .

وكان الأمير فيصل هو الذي حضر مؤتمر السلام ممثلاً لوالده الملك حسين فسلم مشروع معاهدة

في مقارنة الأديان الأديان السماوية والنقد الحديث

للاستاذ عبد الجليل شلبي

المقدس إلى أدلة جديدة في مخطوطات المؤرخين القدامى ، ولكن الفضل الأكبر في صد هذا التيار يرجع إلى علماء الآثار وأعمال الحفائر والتيكّن من قراءة اللغات القديمة ودلائل نقوشها ونخر بشاتها وما خلفت من رسوم وتماثيل ، فقد طبقت هذه الدلائل كثيراً مما جاء في العهد القديم ، ولم تقنع بطبيعة الحال نوازع الفك الجعّة ولكنها حالت دون وضع الكتاب كله موضع الإنكار ، وأخيراً انتهى الأمر عند كثيرين إلى أمر وسط وهو فصل البحث العلمي والاستنتاجات العقلية عن مقدسات الدين ، ولهذا وجد كثيرون من المفكرين - يهوداً ومسيحيين - يحترمون الكتاب المقدس كل الاحترام ولا يؤمنون بما فيه من أخبار التاريخ .

ويرجع ذلك في الواقع إلى أمرين يبدو فيهما جلال الإسلام وسموه عن الشبه وقدرته التي لا نهاية لها على الثبات أمام النقد والتجسس .

وأول هذين الأمرين وجود أشياء كثيرة - في العهد القديم والعهد الجديد جميعاً - لا يستسيغها العقل وهي أدنى إلى الوثنية وكثير منها وجهه في ديانات سابقة ، وقد كان هذا فعلاً مما ردهه الشكّاكون . وقد خلا القرآن من كل هذا لأنه نزه الخلق سبحانه كل التنزيه عن أى مشابهة للحوادث

منذ قامت حركة البروتستانت في عصر النهضة الحديثة هبت على الأديان بوجه عام عاصفة من الشك بلغت ذروتها في القرن الثامن عشر ووضعت أقوم ما جاء في الكتاب المقدس موضع الإنكار ، فاستبرت إبراهيم عليه السلام ورحلته من أور الكلدانيين وما ذكره من ذريته أسطورة خيالية لا تفترق عن إلياذة (هومير) إلا في تفاصيل الحوادث . وقد كانت مدرسة بولنجبروك الإنجليزية التي زارها فولته تدرس لتلاميذها أسباب الشك في وجود السيد المسيح وترجح أنه شخصية خيالية ، وكان فولته نفسه قائم مدرسة الشكّاكين وسخر بته من القس حتى ساعة احتضاره مشهورة معروفة ، وظل تلاميذه ينمون نزعة الشك من بعده ، وكان (وبلاند) الألماني يؤكد لنا بليون ألا حقيقة لشخصية المسيح وأنها مجرد خيال .

ولما جاء القرن التاسع عشر وجد عدد من الكتاب في مختلف البلاد الأوروبية يرجحون بأدلة كثيرة ما رده الشكّاكون من قبل ، ويضعون كل ما كتبه المؤرخون عن السيد المسيح موضع الزيف والتفنيد .

وبدأ طغيان هذه الموجة ينحسر قليلاً في أواخر القرن التاسع عشر إذ اهتمدى أنصار الكتاب

في عهد المسيح كانوا يشكرون الحياة الآخرة ولا يؤمنون بالبعث .

وقد ذهب لإنجيل عيسى أيضا ، وحفظت أناجيل الرسل جانبا من أقواله ، ولكنها لم تحفظها كلها - والرسل لم ينقلوا كلامه سمعا عنه لأنهم لم يروه وإنهم رواه عن آخرين ليسوا معروفين ولا معروف درجة حفظهم فهي رواية آحاد . ويقال : إن لإنجيل يوحنا كتبه يوحنا حواري المسيح ولكنه قول لم يتفق عليه ، والإنجيل على أي حال كتب سيرة وليست كتابا من السماء ، وقد كان القرآن الكريم وهو بإعجازه وصحة روايته حفيظ على ما جاء في التوراة والإنجيل - أبر باليهودية والنصرانية من أتباعهما وصدق منهما ما كذبه الدارسون المحدثون .

من ذلك ما أثبتته فرويد - العالم النفساني المعروف - في كتاب له عن موسى عليه السلام من أنه مصري وليس عبرانيا وذلك رأى مشهور عنه ، وقد نصت التوراة على نسبه العبراني وذكرت قصصه كاهن^(١) ، ولكن فرويد اليهودي يؤمن بكتاب اليهود ولا يصدق ما فيه من أخبار .

ومن ذلك ما أفاض فيه المؤرخ الكبير هنري بريستد من تأثير الديانة المصرية في العهد القديم^(٢) وقد رد إليها فكرة التوحيد وأقوم ما يشرق به الكتاب المقدس من لمحات وروحية .

فهو يرى أن موسى عليه السلام استفاد فكرة التوحيد من المصريين ، إذ كانت ثورة أخناتون

ليس كمثل شئ وهو السميع البصير ، ثم لأنه يحار العقل ويعتمد على التفكير وأكثر من هذا أنه يعيب التقليد ويكره المقلدين - وأدع هذه المسألة الآن وإن كانت من أمم ما حمل على فصل الدين عن العلم لدى الأوروبيين ولكن تفاصيلها مما يطول الحديث فيه .

أما الأمر الثاني فهو فقدان السكتب المقدسة التي جاء بها الأنبياء وعدم تلقها وروايتها بطريقة متواترة تقطع الشك كما روى القرآن الكريم . فمن الملقطوح به لدى الباحثين أن القرآن المدون في ملايين المصاحف الآن يختلف رواياته . هو هو القرآن الذي أقرأه محمد صلى الله عليه وسلم أصحابه لم ينقص حرف واحد منه ولم يزد عليه حرف ، وزيادة على ذلك وضع له علم خاص يحفظ طريقة أدائه والنطق به على ما كانت عليه في عهد الرسول . وليس الأمر كذلك في التوراة ولا في الإنجيل فالتوراة لم يكمل جمعها إلا بعد موسى بنحو سبعمائة عام ، وقد استغرق تأليفها وجمعها زمنا متطاولا جدا تعرضت خلاله - وهذا أمر طبيعي - للزيادة والنقص والتغيير والتبديل ويقول فولدكه كبير المستشرقين في الجيل الماضي : إنه من العسير أن نجد جملة متكاملة في التوراة مما جاء عن موسى ، لأن التوراة لم تدون في عهده ولا في الجيل الذي تلاه ،^(٣) والحق أنها لم تثبت أمام النقد والدرس الحديث ، ومن قديم تخلى عنها بعض طوائف اليهود وفرقهم ، فالسامريون آمنوا بكتب موسى الخمسة وتركوا بقية الأسفار ، والصدوقيون

(١) خروج ص ١٢ - ١٦ .

(٢) راجع الفصلين ١٦ ، ١٧ من فجر الضمير .

(٣) اللغات السامية ترجمة عبد التواب رمضان ص ١٩ .

ولا من منطق الانجيل ما يقنعه بوجوده فاعتبره من خلق الخيال .

ونحن - المسلمين - نؤمن بموسى وهيسى وغيرهما من الانبياء رسالة وشخصية ، ونزهم جميعا عن شوائب الوثنية وكل ما يدعو إلى الاتهام ، وليس في القرآن ، ولا عقيدة الإسلام ما يدعو إلى فصل العقل عن العقيدة .

وقد حمل التقليد الاعنى صاحب كتاب دى الشعر الجاهلى ، أن يحاكي ربهان في منهجه فوضع أخبار القرآن موضع الشك أيضا لكن أهوته الأدلة التي توفرت لدى صاحبه إذ القرآن ثابت الرواية والإيجاز ، فلم يثبت أمام المحاكمة ، ولم يثبت كتابه أمام النقاد ولم يصبر بعد ذلك على رأيه ولعله كان نزوة من نزوات الشباب ، وقد خيل لبعض الناس أن شهرته قامت على هذا الكتاب ، وأنهم قد يظفرون بمثل هذه الشهرة إذا عادوا لفكرته أو ما هو قريب منها ، وقدمت للجامعة - بغية الشهرة - إذ ذاك - رسالة هزيلة باسم الفن القصصى في القرآن الكريم ، وخيل لصاحب الرسالة والمشرع عليهما أنهما أصبحا من المفكرين لا من المقلدين ، وكان من المضحك أن ماتت الرسالة نبيل أن تولد . فلم تظفر بالقبول ولا شرف المناقشة ، وكانت أضعف من أن تحيى الفكرة أو تجلب الشهرة ، وصدق الله تعالى : إذ يقول : د إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ، ؟

في القرن الثالث عشر قبل الميلاد تهدف إلى عبادة إله واحد كما أن المعابد المصرية على تباين معبوداتها وكهنتها كانت في الواقع ترمز إلى عبادة إله واحد . وقد كانت دهوة موسى في الجيل التالى الثورة أختناون وكانت أفكاره لا تزال تعيش بين المصريين ، وحتى اسم موسى يرى أنه في الأصل كلمة د مس ، المصرية بمعنى ابن أو هبة إذ يقولون بتناح مس أورع مس ، وقد حذف المضاف إليه من اسم هذا النبي وأطيل نطقه بهذا المد ، والذى في التوراة أن بنت فرعون أنفصلته من الماء وتبنته وسماه موسى (١) وقال الشراح معناه المنقشل من الماء .

فهذا المؤرخ المسيحي بدوره لا يصدق أخبار التوراة وهى كتابه المقدس .

وقد عقد موازنة طويلة بين أدعية أختناون وسفر المزامير ورأى من التقسابه بل المماثلة بين النصين - أن ذلك لا يمكن أن يرد إلى مجرد المصادفة والاتفاق العارض في الفكرة والتعبير .

ومن ذلك أخيراً ما كتبه أرنست رينان في كتابه د حياة المسيح ، إذ فصل بين العقل والعقيدة ، وأهلن - مع إيمانه بالمسيحية - عدم إيمانه بشخصية المسيح لأنه لم يجد من أدلة التاريخ

إلى أي مدى تنغير الأحكام الشرعية بتغير الأزمان؟

للاستاذ بدر عبد الباسط

- ٩ -

تطور أحكام الصيام

عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كانت قریش تصوم عاشوراء في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فلما هاجر إلى المدينة صامه وأمر بصيامه ؛ فلما فرض شهر رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه ، وظاهر هذه العبارة أنه لا تخيير قبل وجوب صيام رمضان ، ولا معنى لفرض سوى ذلك ؛ وروى مسلم - أيضا - من عدة طرق عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما حديثا قريبا من الذي رواه عن عائشة رضي الله عنها ؛ وروى - أيضا - بسنده عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بصيام يوم عاشوراء ويحثنا عليه ويتعاهدنا هذه فلما فرض رمضان لم يأمرنا ولم ينها ولم يتعاهدنا هذه .

ولعل أصرح حديثين من وجوب صوم عاشوراء - أولا - هو ما رواه مسلم - أيضا - بسنده إلى صلبة ابن الأكرع رضي الله عنه أنه قال : « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من أسلم يوم عاشوراء فأمره أن يؤذن في الناس من كان لم يصم فليصم ، ومن كان أكل فليتم صومه إلى الليل ، أي فليمسك عن المفطرات لحرمه اليوم .

وروى - أيضا - بسنده عن الربيع بنت معوذ بن هفراء قالت « أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار التي حول المدينة ، من كان أصبح صائما فليتم صومه ، ومن كان أصبح مفطرا فليتم بقية يومه ، فسكننا - بعد ذلك - نصومه ونهصوم أطفالنا الصغار منهم إن شاء الله ونذهب إلى المسجد

من التشريعات الإسلامية التي تدرجت مع الزمن - بالوحى - ثم استقرت أخيرا على وضع لا يقبل التنغير ولا التبدل الصيام ؛ نعم في الصوم أحكام تفريعية اختلف فيها الفقهاء لاختلاف أنظارهم في الأدلة من الكتاب والسنة ؛ ويسع المسلم أن يأخذ بأي رأى منها متى كان من أهل التقليد ، وهم الكثرة الكثيرة من المسلمين الآن ؛ وإن وجد واحد من أهل الترجيح فلا يسمه أن يأخذ إلا بالرأى الذى ترجح عنده دليله ، وإذا تتبعنا تشريع الصوم في الإسلام وجدناه أخذ أطوارا مختلفة حتى استقر أخيرا على ما عليه المسلمون الآن ؛ وهذه الأطوار ثلاثة :

الطور الأول : كان المفروض صيامه - أولا - ثلاثة أيام من كل شهر ويوم عاشوراء على ما ذهب إليه جماعة من العلماء ؛ وقد استدلوا على ذلك بما رواه الإمام أحمد بسنده إلى معاذ بن جبل رضي الله عنه في حديث طويل قال فيه : « أحيلت (أى تطورت وتحولت ، الصلاة ثلاثة أحوال ، وأحيل الصوم ثلاثة أحوال ، إلى أن قال « وأما أحوال الصيام ؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فجعل الصوم من كل شهر ثلاثة أيام وصام عاشوراء ، إلى آخر الحديث ؛ وليس في هذا الحديث ما يدل على أن هذا الصوم كان واجبا ؛ ولكن ورد في شأن عاشوراء ما يدل على أنه كان واجبا ؛ فقد روى مسلم من عدة طرق عن أم المؤمنين

ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : ليست منسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا ، ففسر الإطافة في قوله « يطيقونه » بالتجشم والمشقة وقد وردت في هذا المعنى ثلاث قراءات شاذة وهي « يُطَيِّقُونَهُ » ، « يُطَيِّقُونَهُ » ، « يُطَوِّقُونَهُ » ، وكل هذه القراءات تدل على المشقة والجهد وذلك في الشيخ الغفاني والشيخة الغانية والمرضع والحبل .
والذى تميل إليه النفس هو ترجيح الرأى الأول وذلك بجملة أدلة .

الأولى : أن سنة الله تعالى في تشريع الأمور التي فيها مشقة ولم تكن معتادة وقت النزول هو التدرج والتزقي حتى لا يقع الناس في المخرج كما في تحريم الخمر والميسر والربا (وسند كذا ذلك إن شاء الله في مكانه) .

الثاني : أن فهم الآية على هذا الرأى متجه وسليم ولا تنكف فيه ، وذلك أن الله تعالى قال عقب ذلك : « فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم ، ويكون معنى الآية فمن تطوع بأن أطعم أكثر من مسكين فهو خير له وأن تصوموا أيها الأصحاء المتيقنون خير لكم ، وأما على الرأى الثاني فيكون المعنى فمن تطوع خيرا بالإطعام فهو خير له وإن تصوموا أيها المجتشمون للصيام من الشيوخ والمرضى والمسافرين والحلبات والمراضع خير لكم ، وهذا لا يتفق مع مبدأ الإسلام العام من رفع الحرج ودفع المشقة .

الثالث : إذا أسقطنا القراءات الشاذة من اعتبارنا - ويجب أن تسقط - وقارنا بين الخبرين المرويين عن سبله بن الأكوع وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما ؛ تبين لنا ما ذهب إليه ابن عباس رضى الله عنهما ؛ تفسر فهمه من الآية بيننا خبر سبله بن الأكوع في حكم المرفوع فإنه قال : كنا في رمضان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من شاء صام ومن شاء أفطر مسكين ، وهذا هو المعنى الذي لا ينفك عنه .

فجعل لهم اللعبة من العهن (الصوف) فإذا سالونا الطعام أعطيناهم اللعبة نلهم حتى يتموا صومهم .
فهذه الأخبار صريحة في أن صوم عاشوراء كان واجبا قبل إيجاب صوم رمضان ، كما أن الإجماع منعقد على عدم وجوب صومه الآن ؛ فهذا هو الطور الأول في تشريع الصوم .

الطور الثاني : التخيير بين صوم رمضان وبين الفدية عن كل يوم طعام مسكين .

من الحديث الذي رواه الإمام أحمد ورضي الله عنه بسنده عن معاذ رضى الله عنه أنه قال بعد العبارة التي نقلتها عند الحديث عن الطور الأول « ثم إن الله تعالى فرض عليه الصيام وأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) إلى قوله (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) فكان من شاء صام ومن شاء أفطر مسكينا فأجزأ عنه ؛ ثم إن الله عز وجل أنزل الآية الأخرى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) إلى أن قال (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فأنبت الله صيامه على المقيم الصحيح ، ورخص فيه للريض والمسافر ، وثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام ؛ فهذه حالان ، أحدهما حديث معاذ ؛ يؤكد هذا الرأى ما رواه مسلم بسنده عن سبله بن الأكوع رضى الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، كان من أراد أن يفطر ويفتدى حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها .

وفي رواية أخرى لمسلم عنه أيضا أنه قال : كنا في رمضان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من شاء صام ومن شاء أفطر مسكين حتى أنزلت هذه الآية « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .

هذا وقد ذهب ابن عباس رضى الله عنهما إلى أن الآية لا تنسخ فيها ؛ فقد روى البخارى بسنده عن

فأصبحت حين أصبحت صائماً قال : وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأذن له فزولاً له (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم - إلى قوله - ثم أتوا الصيام إلى الليل) وأخرج حديث معاذ المذكور أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه من حديث المسعودي بهذا اللفظ .

وقد روى مثل ذلك عن البراء وابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم بألفاظ متقاربة من شاء أن يراجمها فلم يرجع إلى تفسير ابن كثير في آيات الصيام ؛ وقد ورد من هذه طرق أن الذي وقع من عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمر ليلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد امرأته قد نامت فأرادها فقالت : إني قد نمت فظنها تعطل عليه ، فقال : ما نمت ثم وقع عليها ؛ وأيا ما كان الخبر فلي ندمي لعمر هزيمة حتى تتكلف الناس الاعتذار له ؛ ولكن الله - سبحانه - جعل للمسلمين رخصة ونزل قوله تعالى :

« أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن فمأكل الله أنكم كنتم تختاتون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشرؤهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخطيط الأبيض من الخطيط الأسود من الفجر ، ثم أتوا الصيام إلى الليل ، » وبهذه الآية استقر أمر التشريع في الصوم ، ولا يحل لمسلم أن يقول بغير ذلك ؛ تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون .

ولعل في التشديد في أمر الصيام بعد التخيير والتخفيف لإظهار رحمة الله بالمؤمنين ولطفه بهم .

نسأله دوام اللطف إنه سميع مجيب ؟

بدر الختلي عبر الباطل

أفطر ، ، وهذا - كما قرر الأصوليون يعتبر في حكم المرفوع فيكون أولى بالقبول من رأى ابن عباس فإنه موقوف ؛ وأيضاً فإن خبر سلمة رضي الله عنه فيه إثبات وخبر ابن عباس فيه نفى وإذا تعارض النفي والإثبات قدم الإثبات على النفي .

ولعل قائل يقول : إنه لا يصار إلى النسخ متى أمكن القبول بعدهم ويرد على ذلك بأن هذا إذا كانت الأدلة في درجة واحدة من القوة ، وقد تبين لك توجع القول بالنسخ ، وأن المصير إلى القول بعدهم فيه تكلف واضح هل أنه ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما رواية أخرى بالنسخ ، فقد روى ابن كثير في تفسيره عن الحافظ أبي بكر بن مردويه بسنده عن ابن أبي ليلى قال : دخلت على عطاء في رمضان وهو يأكل فقال : قال ابن عباس نزلت هذه الآية أي (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فنسخت الأولى إلا الكبير الفاني إن شاء أطعم عن كل يوم مسكينا وأفطر ، فهذا الخبر صريح بأن ابن عباس رضي الله عنهما كان يرى الفسخ الجزئي في حق المقيمين الأصحاء

الطور الثالث :

وقد ذكره معاذ رضي الله عنه في الخبر الذي رواه عنه الإمام أحمد فقال بعد أن ذكر الحالين الأولين : وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون الفساء ما لم ينأوا فإذا ناموا امتنعوا ، ثم إن رجلاً من الأنصار يقال له صرمة كان يعمل صائماً حتى أهسى فجاء إلى أهله فصلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح فأصبح صائماً فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جهد جهداً شديداً فقال : مالي أراك قد جهدت جهداً شديداً ؟ قال يا رسول الله : إني عملت أمس فجئت حين جئت فألقيت نفسي فتمت

الرجال الجوف في الأرض الخراب

للأستاذ رشاد محمد خليل

- ٣ -

فقبل لايوت كانت المدرسة الرومانتيكية بفروها المختلفة ترى أن الأدب تعبير عن تجربة شخصية الأديب سواء أكان هذا التعبير عن ذات الأدب كما ذهب المدارس السيمكولوجية التي تأثرت بفرويد ؛ أم كان تعبيراً عن الظروف البيئية والاجتماعية كما ذهب المدارس المادية التي تأثرت بمجدلية كارل ماركس . ثم جاء الناقد الإيطالي العظيم (بنديتو كروتشي) في مطلع القرن العشرين لينادي بأنه ليس صحيحاً أن كل فن تعبير ، ولكن الصحيح أن كل تعبير فن ، وعلى ذلك فليست مهمة الناقد أن يكشف عما يعبر عنه العمل الفني بل يرى العمل في ذاته ولذاته فلا يقيمه بمقاييس خارجية عنه سواء أكانت هذه المقاييس خلقية أم اجتماعية أم تاريخية أم لغوية لأن كل ما لا ينبع من العمل الفني نفسه هو في الواقع دخيل عليه . فلما جاء لايوت عمل على تعميق دهوة كروتشي ووضعها على الصعيد العالمي ؛ ونادى بأن العمل الفني خلق لا تعبير ؛ وأن العمل الأدبي كائن مستقل له حياته الخاصة ، كما أنه يستمد وجوده من عناصره الكامنة فيه . وأن الأديب لا تقاس أهميته بقدرته على التعبير ولكن بقدرته على الخلق ، وعلى ذلك فلا تقاس قيمة العمل الأدبي بمقاييس من خارجه بل تقاس قيمته بمقاييس من داخله ، أي أن قيمة العمل الأدبي ترتكز أساساً على مقدرته الداخلية على الإقناع .

التقينا في هذين صابقين (١) مع الأديب الإنجليزي الكبير ت. س. لايوت يناقش لنا بأسلوب المناقذ المتمكن قضيتين من أخطر قضايا الفكر الإنساني المعاصر : القضية الأولى : هي علاقة الدين بالأدب . والثانية : هي صلة الموروثات بالأدب المعاصر ومسئولية الأدب في كلتا القضيتين .

لكن لايوت ليس مجرد أديب نافذ وكفي ، وإنما هو صورة نادرة لالتقاء ملكتي النقد والإبداع في شخص واحد ؛ بل هو الناقد الذي استطاع أن يخضع شعره لمقاييسه النقدية ، وأن يحقق بالإبداع كل دعا إليه بالرأى ، فهناك التقاء حقيق ومركز بين طاقة لايوت العقلية وطاقته الوجدانية .

لقد درس لايوت التراث الأدبي والفكري بتوسع وعمق ، كما درس المذاهب والمدارس الأدبية في عصره وقبل عصره ، ثم نقد هذا التراث نقداً بلاغياً غير به الكثير من المفاهيم ، وأضاهه بالكثير من الأفكار الناضجة ، ووضع أساساً منهجية لدراسة ونقده ، فتميزت بهذه الدراسة صورة هذا التراث وتعدل موضعه في تيار الفكر الإنساني ، كما تعدلت بالتالي صورة الفكر المعاصر في هذا التيار .

ثم جاء لايوت الشاهر فوضع آراء لايوت الناقد موضع التجربة الفنية ، واستطاع بتعميقه الخلافة المبدعة أن يخلق من كل ما دعا إليه لايوت الناقد صورة شعرية غالدة طارت بشهرة لايوت في كل أفق .

(١) مجلة الأزهر - ٩ ، ١٠ السنة الرابعة والثلاثون ، ٧ ، ٨ السنة الخامسة والثلاثون .

في تصوّره للوجود ومعالجته لمشكلاته الفردية والاجتماعية والبيئية، وإلى ضرورة الاهتمام بالقرات الإسلامية ككل واعتباره المجدور الأساسية لأي حركة أدبية أصيلة يراد لها الامتداد والاستمرار. وقد حقق إليوت الشاعر مادعا إليه إليوت الناقد من آراء ونظريات مثل الأدب: خلق لا تعبير «البناء الداخلي»، النقد الداخلي. المعادل الموضوعي. وجهة النظر الدينية والأخلاقية المحددة. التمسك بالعضوي ... في مجموعة من القصائد الرائعة التي أصبحت لتجمل الشعراء الذين المعاصرين.

وإليوت الشاعر شغف جداً، والقارئ الذي تريد قراءته سيجد نفسه مضطراً إلى معرفة الكثير من ثقافة إليوت ومصادرها، فإليوت لا يكتب للنسبة أو النسبية، وإنما تحس إحساساً حقيقياً بمسؤوليته إزاء عصره؛ ومن ثم فهو يحاول أن يفهم رحلة الإنسان التاريخية، وأن يستهدى في أمر الإنسان المعاصر ومصيره، ومن ثم لجأ إليوت إلى الرمز بدلاً من طريقه قصائده بإشارات كثيرة إلى قصص وأساطير، وأحداث من تاريخ الإنسانية، وأدبها، وهو يعطى هذه القصص والأساطير دلالة جديدة، ويحملها عن طريق الرمز بكل الإيحاءات الكاشفة لروح العصر ومأساته. وبرغم «صعوبة» التي يعانيها قارئ إليوت فإن قارئه سرعان ما يحس بالانهار وهو يتابع رحلة الحياة والمصير مع إنسان العصر الذي يعيش مأساته التاريخية. إن إليوت يصور مأساة الإنسان المعاصر الذي يعاني من رد الفعل العنيف للحضارة المادية الجوفاء التي تجردت من الروح والإحساس الإنساني والهدف النبيل.

حضارة الدولار والاسترليني، والعصج الرهيب. إن إليوت في القرن العشرين هو الصوت الصارخ

وإيس معنى ذلك أن إليوت يقطع كل صلة بين العمل الأدبي ونفسية الأديب، أو ظروف المجتمع والبيئة، فلم يكن إليوت أبداً بهذا القدر من السذاجة، وإنما كان إليوت حريصاً على ألا يتقلب العمل الأدبي إلى دعاية يفرض باسمها على الكاتب ما لا يؤمن به وما لا يستجيب فيه لداعي أصالته وصدقه، أو أن يتحول إلى مجرد وثيقة نفسية يسجل فيها الأديب بأسلوب الشهر العقاري - أحاسيسه وانطباعاته ... كما أن ذلك لا يعنى أن إليوت يذهب إلى القول بنظرية الفن للفن، بل هو على العكس من ذلك يدعو إلى أنه «يجب أن يكمل النقد الأدبي بنقد من وجهة نظر دينية وخلقية محددة ... وعظمة الأدب لا يمكن أن تتحدد بمعايير أدبية لحسب، على الرغم من أن علينا أن نتذكر أنه سواء كانت أدبية أم غير أدبية، فإنه لا يمكن تحديدها إلا بالمعايير الأدبية (١)».

بل إنه يذهب إلى نظرية الفن للفن «كأن دهوة أصابت النقد والأحكام الجمالية (٢)».

واقدر رأينا في تقديمنا لآرائه في صلة الدين بالأدب والتراث كيف شدد على أهمية وجود وجهة نظر أساسية يتناول الأديب الوجود من خلالها، وكيف شدد على ضرورة ارتباط الإنتاج المعاصر بالتراث القديم باعتبارهما وحدة لا تتجزأ.

ومن هنا كان اهتمامنا بالتعريف بإليوت وعرض آرائه في محاولتنا عرض وجهة نظر عمالة تدهو إلى ضرورة ربط الأدب العربي المعاصر بوجهة النظر الإسلامية، واعتبار الإسلام قاعدة يصدر عنها

(١) T.S. Eliot: Essays Ancient and modern, London, 1935. P. 93.

TS. Eliot: Selected Essays, P. 382. (٢)

مأساة الإنسان الذى يعيش حياة ضائعة بلا معنى
والذى يعنى تماماً أنه يعيش هذه الحياة الضائعة بلا معنى .
والرجال - كل الرجال - يعيشون كذلك ، ويحسون
بذلك ، ويعيشون فى جميع هذا الإحساس : لأنهم
يتمنون جميعاً :

نحن الرجال الجوف
بالقش حُسينا
نميل معا

وقد حشيت بالقش ره وسنا . ووا أسفاه !
إن أصواتنا الجافة ،
حينما تنهاس .

هادئة خالية من المعنى
كالريح فى الحشائش الجافة
أو كأقدام الجرذان على الزجاج الممشى
فى قبونا الجاف
حيث نخزن المؤن .

شكل بلا قالب . ظل بلا لون ،
قوة مشلولة ، إشارة بلا حركة
إن من هبروا

إلى تلك الموت الأخرى ، شاخصة أبصارهم .
لا يذكرونها ، إن ذكرونا ،
كأرواح هائجة ضائعة ،
واكن يذكرونها
كالرجال الجوف

بالقش حشينا
لا أكثر من ذلك .

وهذا الإنسان الذى يعيش حياته النعسة الضائعة
هذه لا يجرؤ على أن يحلم بحياة مريحة أو سعيدة
واضية النفس والضمير ، بل إن أحلامه على العكس
من ذلك تواجهه بعالم من الفراغ المرعب الرهيب ؛

فى البرية ، وهو التذير العربان الذى أدان فى شعره
الاتجاه المفرق فى المادية للحضارة الغربية ، التى
أطلقت كل شهوات الإنسان وزواته إلى أقصى
طاقاتها فى ثورة معرّبة ، وشدت كل أوتار الجنس
واللذة الحسية ، ثم تركته هبداً لغرائزه قد اتخذ
إلهه هواه ، وأصله الله على علم ، وجعل على بصره
غشاوه ، ثم سلطت عليه الإرهاب القدرى بعد أن
طحنته بلا رحمة فى حربين عالميتين متتاليتين .

إن إليوت ينبهنا إلى انهيار الذى يمكن أن تنتهى
إليه متابعتنا للغرب فى بناء حضارة لا يكون
الإسلام قاعدتها الأساسية ، ويكون بناء الإنسان
فيها بناء متوازناً - روحاً وجسداً ، فكراً وقيمة
مبدأ وسلوكاً - هدفاً أساسياً لها .

كما ينهنا إلى مسئولية الأدب ، وإلى النتائج الخطيرة
التي تترتب على تجاهل الأدب لمسئوليته مما يمكن
أن يتعرض له وجودنا العربى والإنسانى من تصدع
نتيجة لإصرار الأدب على عزل القيم الروحية عن
تياره ، ودفع الإسلام بعيداً عن مناطق الرؤية
ومراكز الإشعاع ، وإغفال وجوده الحيوى ،
وأهميته فى بناء الإنسان المتوازن فى المجتمع المتوازن .
صور إليوت أزمة الإنسان المعاصر وأزمة
الحضارة الغربية فى قصائد كثيرة أهمها : الرجال
الجوف ... الأرض الخراب ... أسقف كاتدربرى
أربعاء الرماد .

فهو فى قصيدة الرجال الجوف ، يصور الإنسان
المعاصر فى صورة الإنسان التافه الفارغ الذى
يعيش حياة خالية من المعنى ، فى أرض موات
لا تنبت إلا الصبار .

وتشتمد مأساة الإنسان بإحساسه بهذه الحياة
وإحساسه بفراغها وعمقها وهنا تمكن أزمة مأساته

وتتجنب الكلام
وقد تجمعنا على شط النهر المكتظ
كالسكوفين

إلا إذا

تجلى العيون من جديد
كالنجم الدائم

الوردة الكثيرة الأوراق

في مملكة الموت ، دولة الغسق ،

التي لا يطعم فيها

إلا الرجال الجوف .

ها نحن ندور حول شجرة الصبار ،

شجرة الصبار ، شجرة الصبار .

ها نحن ندور حول شجرة الصبار

في الساعة الخامسة صا

هكذا تنتهي الدنيا * * *

هكذا تنقضي الدنيا

هكذا تنتهي الدنيا

لا بقعة واسكن بنشيج .

* * *

من قصيدة الرجال الجوف The Hollow men .

ماذا كسبت الحضارة المادية من تفردها على الدين !!

وماذا أنتجت بعد أن وضعت المال في محرابها

مكان الله . . . ١١٠

ماذا أنتجت ... هؤلاء الرجال الجوف . ١١١

صدق الله العظيم : « إن ربك لبالمرصاد » .

ولكن كيف بدأت هأسة لإنسان الحضارة

الحديثة ، وكيف انتهت ، إن إليوت يتحدثنا

عن ذلك في قصيدته الخالدة : « الأرض الخراب

The wast land » ،

وهو من أجل ذلك يريد أن يهرب ، لا من نفسه
فقط ، بل من أحلامه أيضاً ؛ وأن يستخفي في صور
أحط المخلوقات وأهونها :

ليتنى لا أدنو من ذلك

في مملكة الموت ، دولة الحلم .

ليتنى أيضاً أمتحن عامداً

في جلد فأر ، في ريش غراب ،

في زى ناطور المقات

بمحقل

أميل مع الريح حيث تميل

لا أقرب من ذلك

فلا أشهد ذلك اللقاء الأخير

في مملكة الغسق .

وهو في بأسه الأسود هذا ؛ يعلم أنه أضاع مملكته

وبدد يديه أمته وراحته ، إنه يسير في عالمه مشدوداً

إلى لا هدف ؛ مسلوباً بلا إرادة لا ينظر لنفسه

خلاصاً لأن خلاصه أن يكون إلا إذا استعاد

روحه ؛ ولكن هيئات فذلك أمل فات ، ولا مطعم

فيه إلا لآحمي أو مجنون ، لقد كتب عليه أن يسير ،

وأن يدور بلا أمل حول شجرة الصبار إلى أن تنتهي

لدنيا لا بقعة ولكن بنشيج :

العيون ليست هنا

لا هيون هنا

في هذا الوادي

وادي النجوم الخائبة

في هذا الوادي الأجوف

في هذا الفك المحطم

حيث مملكتنا الضائعتان

ههنا مكان اللقاء الأخير ،

تتلسس معاً طريقنا

حقوق العمال في الإسلام

للاستاذ جمال الدين عياد

٢ - حق الأجر

ورعاها نخذ ! فقال اتق الله ولا تستهزئ به ، فقلت لا أستهزئ به بك نخذ ! فأخذه .
وهكذا حفظ الرجل للعامل أجره سنوات طوالا استحاله فيها العامل القوى إلى ضئيف وزاد من عنده أن رعى له هذا الحق ونمأ حتى استحاله من فرق من أرز إلى بقر ورعاة !
وكان رسول الله يسلكه العمل خير راع لهذا الحق ، إذ كان عليه السلام لا يظلم أحدا أجرا ، كما روى عن أنس .

والأجر - أو العوض المقابل - لا يسقط لفساد العقد ، فللعامل - في حالة الإجارة - أجر المثل بالغاً ما بلغ ولو كان صبييا مجبورا عليه ، وله - في حالة المضاربة - أجر المثل أو ربح المثل ، على خلاف في الرأي ، وله - في حالة المزارعة والمساقاة - حظ المثل أو أجر المثل ، على خلاف في الرأي أيضا وإذا فسد العقد في شركة الأبدان والأموال اقتسم الشركاء الربح على قدر رموس أموالهم ، ورجع كل واحد منهم على الآخر بأجر عمله . وطبعي أن يأخذ العامل من أجر المثل أو ربح المثل بقدر ما حمل إذا فسخ العقد - لفساده - قبل تمام العمل . وهكذا لا يضيع حمل العامل أو يسقط أجره لفساد العقد سواء أكان العقد إجارة ، أو شركة من الشركات بمختلف أنواعها ، ذلك أن العمل حرمة ، كما يقول ابن حزم - والحرمات قصاص ، ومن حق العامل أن يقتص بمثل عمله .

أجر العامل - حق ثابت له ، إذ يقول تعالى في حق المرضعات : « فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن ، وكل عامل كمثل المرضعات في هذا الحق . وقد حذر سبحانه من منع الأجور أو إلتقاصها إذ يقول في الحديث القدسي : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة » : رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ، ولم يعطه أجره ، وفي رواية أخرى ولم يوفه أجره .

وقد ضرب عليه السلام المثل الطيب في حفظ هذا الحق ورعايته ، إذ روى - في مقام المدح والثناء - قصة ثلاثة أروا إلى غار في جبل لما أخذهم المطر ، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبعت عليهم ، فقال بعضهم لبعض : انظروا أهالا عملتموها صالحة لله ، فادعوا الله بها لعله يفرجها عنكم فدها أحدهم بدعاء فأفرج الله لهم فرجة فرأوا السماء ، ثم دعا الثاني بدعاء فأفرج الله لهم فرجة أخرى ، ثم دعا الثالث بدعاء ، فأفرج الله لهم مابق ، فنهضوا من الغار سالمين .

ودعاء الثالث هو الذي يهمننا ، فلقد قال « إنى استأجرت أجيرا بقرق من أرز ، فلما قضى عمله قال أعطني حقي ، فعرضت عليه ، فرغب عنه ، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرأ وراعيها ، فجاءني فقال : اتق الله ! فقلت : اذهب إلى هذا البقر

لقد قدم عبد الله بن السعدي هلي عمر في خلافته ، فقال له عمر : ألم أحدث أنك تلي من أعمال الناس أعمالا ، فاذا أعطيت العمالة كرهتها ، فقال عبد الله : بلى . فقال عمر : ما تريد إلى ذلك ؟ قال عبد الله : إن لي أفراسا وأعبدا ، وأنا بخير ، وأريد أن تكون همالي صدقة هلي المسلمين . قال عمر : لا تفعل . . . فاني كفت أردت الذي أردت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني العطاء فأقول : أعطه أفقر إليه مني ، حتى أعطاني مرة مالا فقلت : أعطه أفقر إليه مني . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : خذته فتموله وتصدق به ، فما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذ ، وإلا فلا تتبعه نفسك .

والأجر يحل لولاة أمور المسلمين ولو كانوا أغنياء ، إذ يقول عليه السلام لا تحمل الصدقة - أي الزكاة - لغني ، إلا لحسنة د لغاز في سبيل الله ، أو لأهل عليها ... الخ ، فللعامل هلي الزكاة أن يؤجر منها - ولو كان غنيا - بنص الحديث .

هلي أن الله سبحانه قد أمر بالتنازل عن الأجر عند الغنى في حالة الولاية على مال اليتيم ، وفقا به ورعاية له وإحسانا إليه ، وفي هذا يقول تعالى : - والخطاب لوالى اليتيم - ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ، والمعروف ضد المنكر ، كما يبدو من المقابلة بينهما في قوله تعالى : - كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، فهو - أي المعروف - ما سكنت إليه النفس من قول أو عمل ، لحسنه عقلا وشرعا ، والذي تسكن إليه النفس وترضاه فيما يتعلق بالأجور هو أن تكون هلي قدر المنفعة

والأجر يلزم من استعمال الصغير في غير المعتاد من العمل اليسير الذي يتباح فيه كمنولة شيء قريب ، كما يلزم من أكره التكبير على عمل له أو لغيره .

وللعامل - كما يرى البعض - حبس العين بعد الفراغ من العمل حتى يقبض الأجرة ، ولا يحتاج في هذا إلى حكم حاكم ، وإذا حبس العين لاستيفاء الأجرة بقى الضمان بماله ، ضمان أجبر مشترك لاضمان غضب ، بمعنى أنه لا يضمن التلف الناتج عن أمر غالب لا حيلة له في دفعه ، ذلك أن العمل - كما يقول ابن القيم - يجري مجرى الأعيان ، ولهذا يقابل بالعوض ، فصار العامل كأنه شريك لمالك العين يعمل ، فأثر عمله قائم بالعين ، فلا يجب عليه التسليم قبل أن يأخذ عوضه .

ولا يمس الأجر ولا أداة العمل وفاء لضريبة أو خراج . فقد قال رجل من ثقيف : استعملني على بن أبي طالب رضى الله عنه هلي حكبرا . فقال لي ، وأهل الأرض معي يسمعون ، أنظر أن تستوفى ما عليهم من الخراج ، وإياك أن ترخص لهم في شيء ، وإياك أن يروا منك ضعفا ، ثم قال : رح إلى هند الظهر ، فرحت إليه عند الظهر ، فقال لي : إنما أوصيك بالذى أوصيت به فدام أهل هملك . انظر إذا قدمت عليهم فلا تبيعن لهم كسوة شتاء ولا صيفا ، ولا وزقا يأكلونه ولا دابة يعملون بها ، ولا تضربن أحدا منهم سوطا واحدا في درهم ، ولا تقعه على رجله في طلب درهم ، ولا تباع لأحد منهم عوضا في شيء من الخراج ، فإنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو ، فإن أنت خالفت ما أمرتك به يأخذك الله به دوني ، وإن بلغني منك خلاف ذلك هزلتك .

يراد به الاستعفاف عن أكل مال اليتيم هند الغنى ،
فلزم أن يكون الأكل بالمعروف من مال اليتيم ،
لا من مال الولي .

٢ — وقال البعض : إن الآية منسوخة بالآيات
الناحية عن أكل مال اليتيم ، وهو قول لا دليل
عليه ، حتى أن أصحابه حملوه على الجزم ، فقالوا :
يجوز أن يكون منسوخا .

وربما جاز لنا أن نقول : إنه لا تعارض بين
الآيات حتى نقول بالنسخ ، فالآيات التي احتجوا بها
يفسر بعضها بعضها بما لا يتنافى مع آية الأكل
بالمعروف ، إذ يقول تعالى في إحداها : « إن الذين
يأكلون أموال اليتامى ظلما » ، محددا بصفة الظلم
الأكل المنهى عنه ، وليس الأكل بالمعروف ظلما .

وقد رأى الذين حرموا أكل الوصى من مال
اليتيم أنه لا يجوز له استحلال الأكل باعتباره أجرة
على عمل ، لأنه لو كان أجرة لما سقط بالغنى ،
ولوجب تعلم به ، كما هو الحال في سائر الإجازات .

وربما جاز لنا أن نقول : إن ولاية الغنى على
مال اليتيم تطوع لأن القرآن أمر بالاستعفاف عند
الغنى . وولاية الفقير لإجارة ، لأن الله أباح له الأكل
بالمعروف ، ولا سبب لاستحقاقه الأكل غير العمل ،

حتى أنه لو اعتزل العمل لم يجوز له الأكل ، فصح أن
ولاية الفقير لإجارة ، لأنها لقاء عوض . ولكن
الأجرة فيها مقدرة بالأكل من الحاجة وأجر المثل
بمخلاف سائر الإجازات ، لما يفيد النص الذي ورد
في هذه الولاية خاصة ، فهو استثناء من القاعدة
العامة التي تجعل الأجر على قدر العمل في الإجازات
عامة وتضع الحاجة موضع الاعتبار بالنسبة لعمل
الدولة خاصة .

وتقدير الأجر على النحو الذي قدمناه لا ينطوي

المبدولة ، فهذا يتحقق العدل الذي أمر الله به ،
ولا يضار الأجير ولا المستاجر .

غير أن قيمة المنفعة قد تزيد على حاجة الأجير ،
وكل ما زاد من حاجته فهو عنه في غنى ، وقد أمر الله
الوصى بالاستعفاف عند الغنى ، ولهذا وجب أن
يتنازل عما يزيد من حاجته من الأجر ، وهذا يتفق

تماما مع ما ذهب إليه الشافعي من أن لوالى اليتيم
الأقل من أجر المثل وحاجته ، وأما ما ذهب إليه
مالك من أن له أجرة مثله مطلقا ، ولو زادت عن
كفايته وربما جاز لنا أن نقول أنه مذهب لا يستقيم
لأنه لا يحقق ما أمر الله به من الاستعفاف عند الغنى .

وقد ذهب البعض إلى أن والى اليتيم لا يستحق
على الولاية أجرا ولو كان فقيرا ، وقد استندوا
في ذلك إلى الآيات الناهية عن أكل مال اليتامى ،
كقوله تعالى : « وآتوا اليتامى أموالهم ولا تبدلوا

الخيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم » ،
لأنه كان حوبا كبيرا ، وقوله : « فإن آنستم منهم رشدا
فادفعوا إليهم أموالهم » ، ولا تأكلوها إسرافا وبدارا
أن يكبروا » ، وقوله : « ولا تقربوا مال اليتيم إلى الباطل »

هي أحسن حتى يبلغ أشده » ، وقوله : « إن الذين
يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في
بطونهم نارا » .

وقد أول هؤلاء قوله تعالى : « ومن كان غنيا
فليستعفف » ، ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ،
على وجهين :

١ — فقال البعض : إن المراد أن ينفق على
نفسه من ماله حتى لا يصيب من مال اليتيم شيئا ،
وربما جاز لنا أن نقول إن هذا القول لا تحتمله
ألفاظ الآية ، ولا دليل عليه من السياق بل إن
السياق ينفيه ، لأن الأمر بالاستعفاف في الآية إنما

مئوية من الربح العام ، فإذا انعدم الربح العام انعدم ربح المضارب ، وانعدم بالتالى حقه على المالك ، فلا مجال للضمان .

وهكذا فالمضارب بمال اليتيم نصيبه من ربح المضاربة ، لا لأن نصيبه هذا لم يكن مالا لليتم ، وإنما لأن الأكل بالمعروف من مال اليتيم حق للوصى كما قدمنا ، ولكل عامل في مال اليتيم تحت إشراف الوصى ، ومتى جاز للمضارب الأكل من مال اليتيم ، فهو كسكك عامل في مال اليتيم إنما يحل له الأقل من الحاجة ورجح المثل ، وما ذكره من أنه يأخذ مقدار ورجحه ، لا يجوز إلا إذا كان ما يأخذه أقل من الحاجة .

وقد ألحق عمر بولاية اليتيم ولاية الوقف ، فقد وقف أرضاً له بخير ، فقصديق بها فلا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث ، فى الفقراء والقرى والرقاب وفى سبيل الله والضيف وابن السبيل ، وأباح لوالها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقاً غير متمول به . وفى رواية أخرى غير مثائل مالا .

وربما جاز لنا أن نقول : إن ورود الأكل بالمعروف فى الآية الخاصة بوالى اليتيم ، وفى حديث عمر عن ناظر الوقف ، يوحى بأن المراد بالمعروف فيهما واحد ، وهو الأقل من الحاجة وأجر المثل كما قدمنا ، سيما وأن ثم شبها بين ولاية اليتيم ونظارة الوقف ، ووجه الشبه كما قال المهلب هو أن النظر للموقوف عليهم من الفقراء وغيرهم كالنظر لليتامى . وهو ما تنبه إليه البخارى فى صحيحه ، إذ عقد فصلا عن حق الوصى فى أن يأكل من مال اليتيم ، واستشهد لذلك بقول عمر حين وقف أرضه بخير : « ولا جناح على من وليه أن يأكل منه بالمعروف » .

على جملة منضية إلى نزاع ، لأن أجر المثل متعارف عليه ، وقدر الحاجة يمر فيها العامل ، ويعرف تبعاً لهذا إذا كانت زائدة عن أجر المثل فيستحقه أو نافعة عنه فيستحقها .

ويؤكد ما قدمناه من الأكل فى ولاية اليتيم هوذا عن العمل ما ورد من أن رجلاً جاء إلى ابن عباس فقال إن فى حجرى أيتاما لهم أموال ثم استأذنه أن يصيب منها ، فقال ابن عباس ، أأنت تبغى ضاها ؟ قال بلى ، قال : أأنت تلوط حياضها ؟ قال بلى ، قال أأنت تفرط عليها يوم ورودها ؟ قال : بلى . قال فاشرب من لبنها غير ناهك فى الحلب ولا مضر بنسل .

ومن الملاحظ أن من حرروا أكل الوصى الفقير من مال اليتيم قد أباحوا له القدر المتفق عليه من الربح إذا ضارب بالمال ، واحتجوا بأن الربح الذى يستحقه الوصى لم يكن مالا لليتم ، لأنه لو كان ملكا لرب المال مشروطا للمضارب بدلا من عمله لوجب أن يكون مضمونا عليه كالأجرة . وربما جاز لنا أن نقول : إن ما احتجوا به غير صحيح ، لأن الربح فى المضاربة نماء مال المالك الضامن للمسكة ، فهو له بدليل أنه لو شرط للمضارب ولم يشرط لنفسه استحق باقى الربح ، أما قولهم : إن ربح المضارب لو كان ملكا للمالك مشروطا للمضارب بدلا من عمله لوجب أن يكون مضمونا عليه كالأجرة فقول غير ذى موضوع ، لأن ربح المضارب إنما يتحقق فى حوزته لا فى حوزة المالك ، فلا مجال للقول بضمان المالك له إذا هلك ، أما إذا كان المراد ضمان المالك ربح المضارب إذا لم يتحقق الربح ، فقول لا يستقيم أيضا ، لأن ربح المضارب نسبة

كنظارة الوقف ، وهو في الحالة الثانية يأخذ نفسه بالزهد الذى عرف منه ، وتستبد به نزعة الزهد هذه ، فيوصى ولاته الثلاثة بما يأخذ به نفسه من إزال النفس منزلة والى اليتيم وأهل هذا رد فعل لما ثار من شبهات بسبب الثراء الذى أصاب بعض الولاة بعد فقر .

وإن كان الأجر حقاً للعامل كما قدمنا ، فإنه يقطع متى أدخل العامل بالقرابات العقد على وجه يفسد المنفعة التى استوجرت لتحقيقها كأن يصيب الثوب لوئاً آخر غير ما وقع عليه العقد .

وكذلك الحال إذ هلكت المنفعة بتعدى العامل أو بإهماله قبل تسليمها للمستأجر ، بل إن العامل يضمن في هذه الحالات كل ما ضيعه على المستأجر . وإذا سقط الضمان عن العمل لقيام البيعة على أن المنفعة هلكت منه بسبب خارج عن إرادته ، وجب له الأجر في رأى البعض ، لأن المصلحة إذا نزلت بالمستأجر وجب ألا يعضى عمل الصانع باطلاً ، ولم يجب في رأى البعض ، لأن إلزام المستأجر بالأجر مضاهفة لغرمه ، وإعفاءه منه تخفيف من هذا الغرم .

وربما جاز لنا أن نقول : إن رأى الأخير هو رأى الصحيح ولكن لغیر السبب الذى أبدوه ، لأن العامل غير ملزم بتخفيف ما يصيب المستأجر من كوارث . والسبب الذى نرضيه هو أن المستأجر إنما يلزم بالأجر إذا وقعت المنفعة مسلمة إليه ، فإذا لم تسلم لم يلزم بالأجر لأن إلزام المستأجر بالأجر على منفعة لم يتسلها إلزام له بموضع ليس له مقابل ، وهذا يخالف لمقتضى العقد ، فهو عقد معاوضة ، وسواء في ذلك أن يكون حرمانه من المنفعة بسبب يوجب الضمان على العامل

أضف إلى ذلك ما يفيد قرول عمر د غير متمول به ، أو د غير متائل مالا ، من أن ولاية الوقف لا تجوز أن تكون سبيلاً إلى اتخاذ مال أو ملك ، فالتأثر لاتخاذ أصل المال ، وأثرة كل شئ أصله ، فاشتراط نفس التأثر لا يجوز للوالى إلا الأقل من الحاجة وأجر المثل لأن أجر المثل إن زاد عن حاجته أمكنه التأثر بما زاد ، كما أن الحاجة إن زادت عن أجر المثل ، وأخذ الوالى بقدر حاجته ، كان مستحلاً من مال الوقف أكثر من قيمة عمله ، وكلا الأمرين لا يجوز .

وقد عد الفقهاء ، ولاية اليتيم وولاية الوقف ولاية نظر ، أى ولاية نفع وفائدة ، لليتيم ، ولأهل الوقف من اليتامى والمساكين حتى أن أبا حنيفة لم يجز فسخ العقد لزيادة أجر المثل إلا في إجازات الوقف ، كالعقار مثلاً ، ولم يجز الفسخ في هذه الإجازات إذا نقص أجر المثل .

ومن الملاحظ أن عمر يثبنا يأمر عبد الله بن السعدى بأخذ العمالة رغم غناه - كما قدمنا - تراه ينزل نفسه منزلة والى اليتيم ، فلا يميز لنفسه العمالة على الخلافة لو كان غنياً ، ويريد لبعض ولاته أن يكونوا مثله ، فقد ولي عمار بن ياسر على الصلاة والحرب وعبد الله بن مسعود على القضاء وبيت المال ، وهثمان بن حنيف على مساحة الأرضين ، وقال لهم : إني أنزلت نفسى وإياكم من هذا المال بمنزلة والى اليتيم ، فإن الله تبارك وتعالى قال : « ومن كان غنياً فليستعفف ، ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » .

وليس في الأمر تناقض ، فعمر في الحالة الأولى يقرر حكماً شرعياً ، وهو أن الأجرة لا تسقط بالغنى - إلا في حالة الولاية على مال اليتيم وما شابهها

- في هذه الحالة - لا يكون له ما يبرره ، ما استطاع المستأجر أن يتعاقد مع عامل آخر على العمل هذه طيلة الفترة المقدرة لشفاء الأجير الأصلي . كما أن إلزام المستأجر بدفع أجرة لا تقابلها منفعة يقناني مع مقتضى العقد ، إذ العقد عقد معاوضة . واستحلال العامل لهذه الأجرة - إن كان قد أخذها سلفاً - أكل لأموال الناس بالباطل وليس المستأجر مسئولاً عن كفالة العامل أثناء المرض ، إنما المسئول الدولة . .

وكذلك الحالة الرابعة ، وهي حالة تعيب المنفعة فترة مؤقتة دون فواتها بالكلية ، فطالما أمكن استئجار عامل آخر لسد النقص في إنتاج العامل الأصلي إلى أن يبرأ تماماً ، لم يكن الفسخ مبرراً والمستأجر أن يخص من أجر العامل الأصلي بقدر ما نقص من إنتاجه .

وفي كلتا الحالتين ينبغي أن تتدخل الدولة بما تسن من قوانين لكي لا يفسخ المستأجر العقد ، لهوى في نفسه ، متمللاً بعجز عماله المؤقت أو بقلة إنتاجهم العارضة ، في الوقت الذي يجسد فيه من يتعاقد معهم لأداء عملهم فترة مرضهم ، أو لسد النقص في إنتاجهم فترة ضعفهم .

ومن الملاحظ أن الخلفاء والولاة وغيرهم من عمال الدولة كان يصيبهم المرض ويقعدهم بعض الوقت عن أداء أعمالهم . من ذلك أن أبا بكر رضي الله عنه مرض قبل وفاته بخمسة عشر يوماً ، كما أن عمر رضي الله عنه مرض في خلافته شهراً يعود الناس لا يدرون ما مرضه ومن المؤكد أن الشيخين لم يكفيا عن الأكل من بيت المال بسبب المرض ، فقد اهتزلا التجارة بعد ولاية أمور المسلمين ، ولم يكن لهما مصدر للرزق غير بيت

أو لا يوجهه ، فالعبرة بالتسليم ، لا بسبب هلاك المنفعة .

وآسقط الأجرة أيضاً بالبطلان الكلي الدائم للمنفعة بتعذر أدائها أصلاً طيلة الفترة المتعاقد عليها ، فإذا مرض العامل مرضاً يعجزه عن أداء العمل بالكلية مدة العقد انفسخت الإجارة ، كمثل انفساخها بخراب المدار المستأجرة أو غصبها ، وما أشبه .

فإذا لم تزل المنفعة المعقود عليها بالكلية ، وإنما تعيبت ، كأن يصاب العامل بعاة تقلل إنتاجه ، لم تنفسخ الإجارة - كما يرى البعض - والمستأجر خيار الفسخ : إن شاء أمضى العقد ، وإن شاء فسخته للعيب .

فإن رضى العامل ، رغم عيبه ، ولم يفسخ ، فقد لزمه جميع الأجر لأنه رضى به ناقصاً أو معيباً ، فأشبه ما لو رضى بالمبيع معيباً .

وهكذا فإن الفقهاء إنما ذكروا حالتين اثنتين ، هما : حالة البطلان الكلي الدائم للمنفعة ، وحالة تعيبها تعيباً ينقصها كما أو كيفاً ولا يفوتها بالكلية . فأما الحالة الثالثة ، وهي حالة البطلان الكلي المؤقت للمنفعة بتعذر أدائها أصلاً لوقت محدود - طال أو قصر - من الفترة المتعاقد عليها ، فلم نر فيما بين أيدينا من مراجع إشارة إليها .

وإراى عندنا - إذا جاز لنا أن نبدي الرأي - إن المستأجر الحق - في هذه الحالة - في إسقاط الأجرة عن الأجير مدة يعجزه عن أداء المنفعة ، كما أن للأجير الحق في استئناف العمل بعد شفاؤه ، وإلى أن تنتهي الفترة المتعاقد عليها .

ذلك إن الله سبحانه إنما أمر بالوفاء بالعقود ، بحيث لا يجوز الفسخ دون ضرورة ، وفسخ العقد

إلا بتمامه . ومقتضى هذا الرأى أنك إذا تعاقدت مع عامل على بناء بيت من طابقين أو ثلاثة فبنى العامل طابقاً واحداً ، وامتنع عن العمل لغيره ، استحق أجر بناء هذا الطابق ، لأنه بما يفتتح به بسكنى صاحبه له ، أو بتأجيله للفقر .

وربما جاز لنا أن نقول : إن الرأى الأول يضييع على العامل ما أنجز من عمل ، وهو من جانب المستأجر ، أكل ، لأعمال الناس بالباطل ، كمثل المنهى عنه من أكل أموالهم بالباطل ، فلا يجوز . وأما الرأى الثانى فلا يضييع على العامل عمله ، ولكنه لا يوضع المستأجر مما قد يعيبه من أضرار بسبب نكث العامل للعقد ، فلا ترتضيه أيضاً ..

والرأى الذى ترتضيه هو أن يكون للعامل من الأجر بقدر ما أنجز من العمل بما يفتتح به ، على أن يضمن ما قد يؤدى إليه امتناعه عن العمل من أضرار بالمستأجر . فهذا لا يذهب عمل العامل باطلاً ، ولا يضر المستأجر ، ويكون الضمان رادعاً عن النكث .

محمد جمال الدين عباد

المال . ولكن الراجح أنهما استحقا ذلك لا باعتباره أجراً على عمل ، وإنما باعتباره حقاً على الدولة لكل محتاج أقعده المرض عن الكسب . وقد كان هو - كما قدمنا - ينزل نفسه منزلة والى التيمم ، إذا استغنى استعفف ، وإذا افتقر أكل بالمعروف ، وأكبر الظن أن أبا بكر رضى الله عنه كان كذلك .

وإذا امتنع العامل عن إتمام العمل دون عذر ، فالعبرة - فى رأى البعض - بالنص على مقدمات العمل فى العقد ، فإذا نص عليها استحق العامل من الأجرة بقسط ما فعل ، وإذا نص على بلوغ الغاية من العمل دون المقدمات لم يكن للعامل شئ ..

ويرى البعض أن العبرة بإمكان الانتفاع بمقدمات العمل ، فإذا كانت المقدمات التى أتتها العامل بما يفتتح به ، استحق العامل من الأجر بقدر ما عمل ، وإلا سقط حقه فى الأجر . وفى هذا يقول الكاسانى : « الخياط الذى يخطط له فى منزله قميصاً فإن خاط له بعضه لم يكن له أجرته ، لأن هذا العمل لا يفتتح ببعضه دون بعضه ، فلا تلزم الأجرة

الحلال والحرام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الحلال بين وإن الحرام بين ، وبينهما أمور مشبهات لا يعلمن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام : كلراهى رعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه . ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله بحرمه . ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القاب ،

رواه البخارى ومسلم

عبثية إمام

للدكتور محمد محمد أبو شهبه

المشرقة وهو ذكاؤه المفرط وألمعيته الصادقة ، وسرعة بديته الفائقة ، وقدرته العجيبة على حل المشكلات من أقرب طريق ، وبدون لجأ في الخصومة والجدال ، وعلمه الغزير بالغرائز وأحوال النفوس البشرية في وقت لم تكن المباحث النفسية قد فضجت ، ووصلت إلى ما بلغته في العصر الحديث .

وليس أدل على براعته وقوته في الحجاج والمناظرة مما روى أنه قيل للإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة : هل رأيت أبا حنيفة ؟ : قال : نعم رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهابا لقام بحجته .

ومن لطائف الإمام أبي حنيفة وأجوبته المسكتة التي تدل على العقلية الناضجة وقوة العارضة أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري جل وعلا فقال لهم : دعوني فأني مفكر في أمر قد أخبرت عنه : ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر ، وليس بها أحد يسوقها ولا يجرسها ، وهي مع ذلك تذهب وتجي ، وتخترق الأمواج العظام حتى تتخلص منها ، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد ، أو يرشدها مرشد فقالوا : هذا لا يقوله هائل !! فقال لهم : ويحكم فكيف تكون هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي ، وما اشتملت عليه من الأشياء المحسكة ليس لها صانع ؟ III فهت القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه .

لما اتسعت رقعة الإسلام ، وأطل بلوائه دولتي فارس والروم ، اهتمت هذا الدين عن طواعية واختيار الألواف المؤلفة من أبناء هاتين الدولتين ، وصاروا عربا بالمرءى واللسان ، وقد تناسى هؤلاء ماورثوه من عقائد وأفكار وأخلاص غاية الإخلاص لهذا الدين الحق : دين الإسلام ، ولغته العربية : لغة القرآن ، ولقد وصل الإسلام بثقافته الحكيمة من هؤلاء وكون منه فئة يشار إليها بالبنان في العلم والفقه ، والقيادة والسياسة ، والفصاحة والبلاغة ، والورع والزهد ، والفضائل والأخلاق العالية وتاريخ الإسلام حافل بالأنمة الأعلام ، والعلماء المبرزين في كل فن ، وقد بلغوا من السكثرة حدا لا نكد نجد في أي أمة من الأمم قديما وحديثا ، وتركوا لنا رصيدا ضخما ، وثروة طائلة من العلوم والمعارف ، والخصائص النفسية والمذاهب العقائدية .

والإمام الذي أهنئ به هذا العنوان هو إمام الأنمة أبو حنيفة النعمان إمام المذهب الحنفي ، والمقدم إذا ما ذكر الفقهاء المسلمون بله غيرهم من فقهاء الأمم والشعوب ، وبمسبنا تبيانا لمنزلته في الفقه والاجتهاد مقالة الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله ، والناس في لغته عيال على أبي حنيفة ، وما أجملها شهادة من مثل الإمام الشافعي .

وليس من قسدي في هذا المقال التحدث عن الإمام أبي حنيفة من جوانبه الخصبة المتعددة فذلك أمر بطول ، ولكنني سأتناول جانباً من جوانبه

حصين أمّس ، ليس له باب ولا منفذ ، ظاهره كالقضة البيضاء ، وباطنه كالذهب الإبريز ، فيبنا هو كذلك إذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ، ذو شكل حسن ، وصوت مليح ، يعن بذلك — رحمه الله — البيضة إذا خرج منها الفوخ . ومن عبقریات الإمام أبي حنيفة — رحمه الله — التي تدل على علم أصيل بالنفوس البشرية وغرائزها ومواطن الشعور فيها أنه كان للإمام جار ، وكان له طاووس ، فسرق فجاء صاحبه إلى الإمام ، فقال له : سرق طاووسي ماذا أفعل ؟ فلما غدا الإمام إلى المسجد قام بين الناس فقال : أما يستحي من يسرق طاووس جاره ثم يحجى يصلي ، وأمر الريش على رأسه ، فسح الرجل الذي سرق الطاووس رأسه ، فقال الإمام أبو حنيفة : يا هذا رد على هذا طاووسه فإ كان من الرجل وقد ظهرت إدانته إلا أن رده إلى صاحبه .

وهذه القصة تدل على أن بعض أئمة المسلمين وعلمائهم كانوا يعرفون بعض قواعد علم النفس وأصوله قبل أن يعرف الغربيون ذلك ، وهذا العلم وإن لم يدون في الإسلام على أنه علم مستقل إلا أننا نجد الكثير من بحوثه ومسائله مبثوثة في بعض كتب الأئمة الأعلام من كتب الفقه ، والتفسير والحديث ، والتاريخ والسير ، والتراجم وقد سبق الإمام أبو حنيفة رجال العصر الحديث الذين يحاولون التوصل إلى الجاني عن طريق الانفعالات النفسية وقياساتها ، وقد أسسوا لذلك مدارس تعرف بمدارس « علم النفس الجنائي » ، وهذا العلم يدرس عندنا الآن ببعض السكليات والمعاهد التي تعنى بالتحقيقات الجنائية والقضائية ، والجاني مهما حاول إخفاء جريمته فلا بد أن تظهر عليه

وبهذه الطريقة السهلة توصل إلى اقتناع هؤلاء الزنادقة وإلزامهم بالإقرار بالخالق جل وعلا من غير أن يسلك معهم ما ساقه علماء الكلام والمناطق من ذكر الأقيسة والمقدمات من مثل قولهم : العالم حادث ، وكل حادث لا بد له من محدث وقولهم : إن الممكن لا يترجح أحد طرفيه إلا بمرجح ، وهذا المرجح لا بد أن يكون قديما ، وإلا لزم الدور أو التسلسل وكلاهما باطل .

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر ، فقد روى أن الإمام مالك سئل عن وجود الصانع جل وعلا فاستدل له باختلاف اللغات والأصوات والنغات ، وقد أخذ ذلك من قول الحق تبارك وتعالى : « ومن آياته خلق السماوات والأرض ، واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين » .

وسئل الإمام الشافعي عن ذلك فقال : هذا ورق الثوت طعمه واحد تأكله الدود فيخرج منه الإبريسم وتأكله النمل فيخرج منه العسل ، وتأكله الشاة والبقر والأنعام فتلقيه براء وروثا ، وتأكله الظباء فيخرج منها المسك ؛ وهو شيء واحد ، وكأني بالإمام يرد على الطبيعيين الذين يتكرون وجود الإله ويرون أن العالم وجد بالطبيعة ، ولو أن الأشياء استفادت خواصها من ذاتها لا من الله سبحانه لما تكون من الشيء الواحد أشياء متباينة ، وقد استوحى الإمام هذا الدليل من قول الحق تبارك وتعالى : « وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب ، وزرع ونخيل ، صنوان وغير صنوان يسقي بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون » .

وسئل الإمام أحمد عن ذلك فقال : ههنا حصن

والتوجهات القرآنية ، وهذه الأقوال الماثورة عن علماء السلف الصالح لكانوا هم أسبق الناس إلى تدوينه ، وتوسعة القول فيه .

ومن الأمثلة الدالة على ذكاء الإمام أبي حنيفة وقدرته الفائقة على حل المشكلات ما ذكر في الكتب التي هيئته بمناقبه ، والكشف عن خسائسه ومزايده وهو أن جماعة من اللصوص دخلوا على رجل فأخذوا متاعه واستحلفوه بالطلاق ثلاثة أن لا يعلم أحدا فأصبح الرجل وهو يرى اللصوص يبيعون متاعه وهو لا يقدر أن يتكلم من أجل يمينه ، فجاء الرجل ليشاور الإمام أبا حنيفة ، فقال له الإمام أحضر لي إمام حيك والمؤذن والمستورين منهم ، فأحضروهم الرجل فقال لهم أبو حنيفة : هل تحبون أن يرد الله على هذا متاعه ؟ قالوا : نعم ، قال : فاجمعوا كل داعر وكل متهم ، فأدخلوهم في دار أو مسجد ثم أخرجوهم واحدا واحدا ، ثم قولوا له : هذا لك ؟ فإن كان ليس بلكه قال : لا ، وإن كان لهه فليسكت ، فإذا سكث فاقبضوا عليه ، ففعلوا ما أشار عليهم به الإمام ، وبهذه الطريقة العجيبة التي لا تتفق إلا عن ذهن حاد ، وهقل واسع ، توصلوا إلى معرفة الجناة السارقين ، وردوا على الرجل جميع ما سرق منه ، وفي الكتب التي تحدثت عن الإمام أبي حنيفة من أمثال هذه الحلول الموفقة شيء كثير .

ألا ما أشد حاجتنا ولا سيما فقهاؤنا وقضاتنا إلى الإحاطة بهذه الجوانب المشرفة من سيرة هذا الإمام العبقري الذي يعتبر من أفذاذ العلم المعدودين .

المركنور محمد محمد أبو شهبة

انفعالات أو تصرفات من غير قصد هند ذكر الجريمة أو ما يتصل بها إما بتغيير في قسمة الوجه أو التعلم في السلام ، أو القيام بمركات لا شعورية ألا ترى إلى هذا السارق قد رفع يده بطريقة لا شعورية ليزيل ما عسى أن يكون على رأسه ، من الريش حينما سمع مقالة الإمام ، ولو أنه فكر قليلا لايقن أن لا ريش على رأسه ، ولكن القصور بالجريمة لم يدع مجالاً للتفكير وصدق القائل : « كاد المرئيب أن يقول : خذوني » .

وما لنا نعجب من علم الإمام بالمباحث النفسية ، وهذا القرآن الكريم قد أشار إلى بعض قواعده وأصوله في أثناء آياته قال عز شأنه في شأن أعداء الإسلام والمسلمين « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يآلؤنكم خبالا . ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر »

قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ، ويقول في شأن المنافقين « أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ، ولو نشاء لأرينا لهم فلعرقتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم » وقد ورد عن سيدنا ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه في تفسير (لحن القول) قوله : « ما أسر أحد سريرة إلا أظهرها الله على صفحات وجهه وفلمات لسانه ، وهذا الذي ذكره ذو النورين يعتبر سبقا لبعض ما يذكره علماء النفس في مبحث (الشعور) و (اللاشعور) والعقل الظاهر ، والعقل الباطن ونحوها .

ولو أن المسلمين استفادوا بهذه الإرشادات

هل سُمِّيَ النبي صلى الله عليه وسلم "أحمد" بعد وفاته؟

للاستاذ السيد احتشام أحمد الندوي

ومعناه أن الرسول الذي سيأتي سيعلم اسمي ويجهل ولعل المسلمين أخذوا هذا التعريف من الإنجيل ثم اخترعوا له اسم "أحمد"، وأن ابن إسحاق لم يرض بهذا الاسم لأنه يشابه ما جاء في الإنجيل (١).

وقد كتب الدكتور د. عبد المعيد خان، ناظر دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن، ورئيس قسم اللغة العربية بالجامعة العثمانية مقالاً في هذا الموضوع باللغة الإنجليزية في مجلة "الثقافة الإسلامية"، التي تصدر بالإنجليزية، نقل فيه هذه الاعتراضات ورد عليها (٢) بما أنقله بحرف في التعقيب على هذه الاعتراضات التي أوردتها المستشرقون على اسم النبي صلى الله عليه وسلم "أحمد"، فقد حاول المستشرقون بهذه الحيلة أن يحرفوا القرآن، ويفسدوا الدين مع أن هذا الاتهام لا أصل له، ولا دليل عليه.

وهذه الأدلة الواضحة، والحجج الدامغة تجعل هذا الاتهام باطلاً، وتكشف الآثار عن وجه الحقيقة وهي:

١ - من الحقائق البينة أن ابن إسحاق لم يقتبس جميع الآيات المتعلقة بالنبي عليه السلام في أمثاله، ولم يلزم نفسه في كتابه بأن ينقل الآيات كما زعم المستشرق؛ فلم يكن هناك داع لنقل آيات القرآن

زعم بعض المستشرقين أن اسم النبي صلى الله عليه وسلم "أحمد"، لم يوجد في زمنه، وادعوا أن الآية السريانية التي جاء فيها: "ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد" (١)، لم تكن موجودة في القرآن زمن حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن المسلمين أضافوا هذه الآية إلى القرآن بعد سنة ١٣٥ من الهجرة النبوية، وقد رأوا - أو ادعوا - أن هذا الاسم لم يستعمل من قبل ذلك، واحتجوا لذلك بالأدلة الآتية:

١ - أن ابن إسحاق وابن هشام قد بينا في كتابيهما أن اسم "محمد" Mohamna، في اللغة السريانية هو "محمد"، في الحقيقة، وهذا هو الاسم الذي يقال له: "بيركليطس" Praketos، باللغة اليونانية، وأن هذين المؤرخين لم يكتبوا اسم النبي "أحمد"، في سيرتهما، ولم ينقلا هذه الآية: "ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد".

٢ - أن النحاة وأهل اللغة لم يمدوا عبارة "اسمه أحمد"، من اللغة الفصيحة.

٣ - أن اسم "أحمد"، قد استعمل وراج بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن كتب القدماء لم تستعمل هذا الاسم للنبي صلى الله عليه وسلم، وأن كتب التاريخ والسير والمغازي لم تذكر هذا الاسم، ولعل اسم "أحمد" قد أخذ من أحد الإنجيل، لأنه قيل في موضع منها: "He shall glorify me".

(١) The Muslim World April 1953
"His name is Ahmed" By Montgomerie Watt.

(٢) "Islamic Culture" Quarter by
October 1964 Hyderabad Daccan.

في هذه الآية ما يخالف النحو ، وذلك مما يدل على أن هذا المستشرق ليس له علم باللغة العربية فكيف يتطاول ، على جملة - إلى أن يتهم القرآن بالتحريف .

٣ - ومن الخرافة قوله : إن المسلمين أخذوا اسم د أحمد ، من الإنجيل ، دون أن يعتمد في ذلك على حجة أو دليل ، أما قوله : إن استعمال اسم د النبي ، كان بعد وفاته فهو كذلك قول يدل على الجهل لأن اسم النبي أحمد كان شهيراً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد استعمل الشعراء هذا الاسم في أشعارهم ، وذكروا د أحمد ، و د محمداً ، كليهما وأن حسان بن ثابت نفسه قد استعمل هذا الاسم مراراً ، فكيف يدعى المستشرق دانت كورمى وات ، - مع هذه الأدلة الواضحة - أن اسم النبي أحمد لم يعرف في زمانه ، بل سمي به بعد وفاته .

لقد حرف الشعراء اسم أحمد وذكروه في أشعارهم ومنها على سبيل المثال قول عطية بن يغوث :
فوارسنا من خير فرسان أحمد

لهم همة تصلو على هم الدهر (١)
وقول كعب بن مالك :

يرى القتل مدحاً - إن أصاب شهادة
من الله يرجوها وفوزاً بأحمد (٢)

اعتقادهم أصح النورى

مدرس بدم اللغة العربية
جامعة ونكتيشور الهند

في كتابه ، وعبادة صريحة واضحة ليس تركه لهذه الآية دليلاً على انتحالها ، ثم إن الأمة الإسلامية تعرف من قديم الزمان هذا الاسم ، ولم ينكره عالم من علمائها ، ولا فرقة من فرقها في أى زمان من الأزمان ، وأى قطر من الأقطار ، بل إن المسلمين قد حسبوه يقيماً من أسماء النبي لانه ورد في القرآن وأجمعت الأمة أن القرآن لم يحذف منه حرف ، ولم تبدل فيه آية ، ومن ثم نرى أن المسلمين في العالم الإسلامى كله يسمون أولادهم باسم د أحمد ، لشرف الانتساب إليه ، كما يسمونهم د محمداً ، ، ولم يشك في ذلك شاك عبر القرون الطويلة إلى الآن ، ولو كان الأمر كذلك لأبرزه الزنادقة والملاحدة في العصر العباسى ، ولو عرفه الدهويون لخلوا به على الإسلام ولاحتجوا به على أن القرآن محرف ، ولكن هذا المعنى ، أو هذا الاتهام ، لم يخطر ببال أحد لأنه لا يقوم على أساس كما توهم المستشرق د وات ، فإن ابن إسحاق بين في باب د صفة رسول الله من الإنجيل ، أخبار النبي التي توجد في الإنجيل ، ولم يكن هناك داع لنقل الآيات من القرآن .

ومن العجب أن يستنتج من هذا الأمر أن ابن إسحاق لم يعتمد على هذه الآية ، لأنه - كما زعم هذا المستشرق - غالها محرفة ؛ فمن أين تسرب إليه هذا الوهم ، أو هذا الزعم ... ؟ .

إن نقله الآيات لا يثبت صحتها ، كما أن تركه الآيات لا يثبت بطلانها .

٢ - وبما يشير السخرية والازدراء أن يزعم أحد أن هذه الآية ليست بصحيحة من جهة اللغة والنحو فإن من له أقل لملم بالغة العربية لا يرى

(١) مجلة الثقافة الإسلامية أكتوبر ١٩٦١ ص ٢٨٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٨٣ .

فلسفات ترقية الفلسفة الجينية

للدكتور محمد الدين الزواوي

الجيني المشهور د. مهاييرا ، في القرن السادس قبل الميلاد ، فرفع شأنها ووسع نطاقها ، وترك أثرها في الفكر الشرقي عامة والهندي خاصة . وإن نظرية عدم العنف التي تعد بمثابة الجوهر الأخاذ في وشاح الفلسفة الهندية ناتجة عن الفلسفة الجينية .

ولخص أصول ومبادئ هذه الفلسفة وأهدافها في الرسايا والمخطب والرسائل التي وجهها في مختلف المناسبات أمام أتباعه .

مهاييرا - مجمل الجينية :

د. مهاييرا ، هو الرابع عشر من سلسلة دعاة الجينية ، من عهد مؤسسها الأول د. بارشونات ، ولد مهاييرا في عام ٥٩٩ قبل الميلاد في قرية د. وايشالي ، في ولاية د. بهار ، بالهند .

وكان أبوه من أسراء القرية ، فنشأ في وسط حياة هائلة ، وفي حظيرة التميم ، وكان يتيه محط الرهبان والفساك من جميع البقاع ، وجرت العادة أن ينزل عدد منهم في يتيه يقيمون فيه مدداً عديدة ، تحت كنف الإكرام والاحتفاء بالبالغين .

هكذا نشأ د. مهاييرا ، الطفل في بيت له صلة وثيقة بالرهبانية والرهبان ، وكانوا يتلقون فيه كل أنواع الحفاوة والترحيب ، وكان يعيش منذ الطفولة بعيداً عن الترف ، مترهداً في الملهذات والمتع التي يرغب فيها أقرانه .

هي فلسفة هندية قديمة ، بنيانها الزهد والتشرف والقشدد في العيش والبعد عن ملذات الدنيا وعمادها الرياضيات المتعبة والمراقبة الذهنية الشاقة ، أسس بنيانها ، في القرن التاسع قبل الميلاد ، الحكيم الهندى الشهير د. بارشونات ، المولود في مدينة د. بنارس ، بالهند ، ويقول المؤرخ الكبير اليعقوبى في معرض الكلام عن الجينية :

إن بارشونات هو المصدر الذى يتهى إليه الآن سلسلة رجال هذه الطريقة ، ووضع أربعة أصول رئيسية لفلسفته : وهى عدم العنف ، والصدق في القول والعمل ، وعدم السرقة ، والبعد في الدنيا عن جميع أنواع المتع والملذات . وقسم أيضاً النظام الجيني إلى قسمين : نظام الخاصة ، ونظام العامة .

ويراد بالأول الرهبة التامة ، والتبتل السكلى والانفاس في الرياضة الشاقة ، والمراقبة النفسية ، وهو النظام المختص بالرهبان والسكنة ، ويراد بالثاني مساعدة الرهبان في جهودهم بالأموال وغيرها ، واتباع أوامرهم والإيمان بدعوتهم ، والتمسك بمبدأ عدم العنف .

وساعد هذا التقسيم على انتشار الجينية في العامة والخاصة بطريقة ملحوظة .

ودامت هذه الفلسفة على هذه الحال بدون توسع في بيانها وشرح في تفاصيلها إلى زمن ظهور المبشر

فأضى اثنتي عشرة سنة كاملة في السفر والتجوال متأملاً في نفسه ، ومفكراً في أمره ، ومستغرقاً في معرفة الحقيقة ونيل العرفان ، وكان حذراً في أقواله وأعماله ، بل في جميع حركاته وسكناته ليلاً ونهاراً سرّاً وجهاراً ، ويظهر نفسه بالرياضات الصعبة والتأملات النفسية العميقة حتى نال العلم الأعلى المعروف بـ « العلم المحيط » - على حد تعبير أتباع الجينية - وبعد سنة من الرياضات والتأملات فاز بدرجة « هادي السبيل » المعروف لديهم باسم « سير تنكرا » ، ثم بدأ يدعو الناس إلى الطريق المستقيم بما يلوح له من الدهوات القيمة والإرشادات النبيلة التي تؤدي إلى الفوز بالنجاة الأبدية .

وكانت دعوته موجهة أولاً وقبل أى شيء إلى أقاربه وأسرته ، فدعا أفراد عائلته ، وهم أهل السيطرة والبخس والرفاهية - فأجابوه بغير جفاء . حتى التفت حوله آلاف الاتباع الخواص والعوام ، مهتدين بتبشيريه ، وملينين لدعوته ، وصار قطعاً لدعوة رهبانية خاصة . واستمرت دعوته الشخصية حتى تجاوز سن الاثنين والسبعين من عمره .

وفي عام ١٢٧٧ من قبل الميلاد ، ألقي خطبته الأخيرة الهامة من سلسلة خطبه البالغ عددها خمسا وخمسين خطبة . وعقب إنتهاء الخطبة الأخيرة التي ألقاها في قرية (بنابورى) التي كانت تدهر قديماً باسم (بابا) في مدينة (باننا) بمقاطعة (بهار) حان أجله وتوفى بعد أن ترك وراءه تراثاً عظيماً من الوصايا والموعظة والفلسفة التي تستحق البحث الدقيق لكل من يتطلع إلى الوقوف على حقيقة الأديان القديمة ، والآراء الفلسفية الهندية الأصيلة -

ولما بلغ رشده قرأ أن يعيش هيبة الرهبان المتبتلين الأصفياء . ولكن لم تكن الظروف تسمح له تماماً للاقتداء بهدى مؤلاء الرهبان نظراً لوضع الوالد الأمير والعائلة الكبيرة التي تعودت على الترف والبذخ ورفاهية الحياة منذ أمد بعيد ، فزوج وولدت له بنت ، وعاش كما يعيش أفراد عائلته دون أن يبلغ باب التزهد والتتشف فلما توفى أبواه وافته الفرصة لتنفيذ رغبته الملحة ، واشتدت فيه بواهت الرهينة والتزهد والورع والبحث عن الحق طلباً للنجاة الأبدية .

وانتقلت أسرة القرية والعائلة بعد وفاة الوالدين إلى أخيه الأكبر - وكان « ماهاريرا » أوسط أنجال أبيه - وعقب وفاة الوالدين طلب « ماهاريرا » من أخيه الأكبر أن يصرح له بالانضمام إلى الطريقة الرهبانية ، فخاف أخوه الأكبر أن يهجم الناس بأنه أساء معاملة أخيه فضاق بالعيش واختار الرهينة ، وأشار على « ماهاريرا » أن يؤجل رغبته سنة كاملة من موت أبيهما ، فوافق على ذلك بكل سرور ، حتى إذا بلغ الثلاثين من عمره ، وانتهى الأجل عقد احتفال عام اشترك فيه أفراد العائلة وأهالى القرية ، وكان الاحتفال تحت الشجرة المشهورة باسم « شجرة أشوكا » .

وأهلى « ماهاريرا » رسمياً رغبته على الملأ وتنازل عن كل ما يملكه من متاع الدنيا ، وخلع ثيابه الفاخرة ونزع حليه وحلق شعره ، وترك الدنيا على أعين الناس ، لئلا يشك أحد في حقيقة الأمر وصدق الخبر .

وفي أول الأمر صام « ماهاريرا » يومين كاملين ، ثم بدأ يجوب البلاد حافياً وفي زى الرهبان والنسك ،

والروح أى ، جيداً ، لدى الجينيين قسبان : الأول روح مطلقة وهى الروح التى تخلصت من جميع أنواع شوائب المادة ومظاهرها ، وبعدت عن أوساخ الأفعال الفاسدة ، وبقيت هلى فطرتها الأصلية دون أن يعلوها صدأ الماديات الفانية ، والثانى : روح مقيدة وهى التى اختلطت بالمادة وتأثرت بها وانطبعبت بمظاهرها الدنيوية . ويقال للقسم الأول من الروح فى اللغة السنسكريتية : سدھا ، والثانى : نتياسدھا .

وتقول الجينية : إن الروح الواحدة لا تقيم فى جسم واحد أكثر من اثنين وعشرين ألف سنة وأقل مدة للإقامة فيه ثمان وأربعون لحظة أو ما يعادلها . والأرواح تختلف مراتبها ، فهى فردسية أو جهنمية ، أو إنسانية ، أو حيوانية ، أو نباتية ، أو جمادية ، أو مائية ، أو ترابية ، أو هوائية ، أو نارية ، وكذلك تختلف بالنظر إلى تعدد قوة الحواس فيها ، ذات حس واحد مثل الجمادات ، وحسين مثل الحشرات ، وذات حواس ثلاث كالنمل ، أو حواس أربع مثل الونابز أو خمس كالذباب أو خمس مع القوة الذهنية أو الفكرية كالإنسان .

وتقول الجينية بوجود أشجار ذات أرواح استقرت فيها بعد أن تخلصت من الأجساد البشرية المادية ، حتى قالوا : إن فى الكون بعض الأشجار غير المرئية لشدة لطافتها تسبح فى الفراغ ؛ ولكل منها أرواح غير متناهية ، وهى الروح التى تشعر وتتألم وتسرح وتحس عندما تكون فى الجسد الإنسانى ، وهى قابلة للتدخل والتكاثف .

اللاحى : وينقسم إلى قسمين : الأول ذو الصورة والثانى : هديم الصورة ، أما ذو الصورة

ويدعى الجينيون أن طريقهم هذه هى الطريقة المتوارثة عن السكاملين أمداً بعد أمداً وجيلاً بعد جيل ، وما من دورة للكون إلا أتى فيها دعاء لهذه الطريقة ، وتنتهى الدورة الحديثة من الكون (بمهاويرا) .

واشتهرت الطريقة باسمه ، فلا تعرف الجينية الآن إلى منسوبة إلى مبشرها الكبير الآخر (مهاويرا) وهو الرابع والعشرون ، وغاتم سلسلة المبشرين للكون - كما تقول الأساطير الجينية .

نصوم الكون فى نظر الجينية :

إن الكون فى نظر الفلسفة الجيلية عبارة عن الروح وتأثيرها فى المادة ، وتألفها بها ومكان التألف وعارقه ومقوماته وموانعه . وحسروا الكون كله فى تسع مقولات هى الأجناس العالية للكون ، وتسمى أيضاً فى اصطلاح الجينيين الحقائق التسع أى (نواتاتوا) وهذه هى الحقائق التسع المعروفة لدى الجينيين :

- | | |
|------------------|-------------|
| (١) الحى | (٢) السلاحى |
| (٣) الحسنة | (٤) السيئة |
| (٥) النجاة | (٦) التطهير |
| (٧) الوثائق | (٨) العقدة |
| (٩) مجرى الأفعال | |

ولم يمان مفصل ، وتحقيق مدقق حول كل من هذه الحقائق التسع .

الحى : .. ويطلق فى الأدب الجينى على القوة الروحية ومظاهرها : من الحياة والشعور وقوة العمل والحركات ، ويشمل التصورات الذهنية ، وله أقسام مختلفة من حيث الكمال والنقص ، وهذه القوة قابلة للزيادة والنقص حسب العقيدة الجينية

قسموا عديم الصورة من اللاحى إلى ثلاث ظواهر مستتقة ، فالحلاء هو المتسع ، والمسافة هى ما فيه الحركة ، والمقام عبارة عما فيه السكون .

الحسنة : هى عبارة عن فعل الخيرات التى تبتعث على العطاء نية والأمن الروحى ، ومنها على حد تعبير الجينين - إطعام المساكين خصوصا الرهبان الجينيين وسقى الماء ، وغيرهما ، وقسموا الحسنات إلى تسعة أقسام ، وقالوا : إنها تنجز إلى اثنين وأربعين جزءا نظرا إلى الطرق التى تؤدى بها هذه الأعمال .

السيئة : وهى عبارة عن ارتكاب الأعمال الخبيثة والفواحش وقسموها إلى ثمانية عشر نوعا ، منها : الكذب ، والسرقة ، والفسق ، والفجور ، والخيانة والطمع وما إلى ذلك ، وأشهد أنواع الجنائيات وأفظعها لدى الجينيين هو الاعتداء على الحياة ، وبعبارة أخرى ، العنف والتشدد ووضعوا كفارات خاصة لكل نوع من السيئات ، منها الفقر والزهة فى الحياة ومتاعها والتناضح فى قوالب الحيوانات والجمادات وأنواع من النباتات وغيرها على سبيل الكفارات .

النجاة : هى من أنواع الحقائق الرئيسية . وكانها غاية السكون كله وهدفه المنشود ، هى عبارة عن الظهور من أوصاف العواطف والشموات الحيوانية والمتخلص من قيود الحياة الدنيا والتمسك بالخير والتخلي عن السيئات وارتكاب الشر .

وللجينية تعسيف رائع ، وبين النجاة فقد قالوا : إن النجاة طور من الوجود يختلف عن أطوار الحياة الدنيا الفانية ، والفوز بالسرو والخالد الذى لا يشوبه ألم ولا حزن ، ولا هم ، ولا تسكون للأرواح الناجية فيه مطاعم خاصة ، ولا أهداف

فهو المادة الخاصة ، وأما عديم الصورة فينحصر فى ثلاثة أنواع : الحلاء ، والمقام ، والمسافة .

وهرفوا المادة بتعريفات كثيرة ، ويقال لها فى الأدب الجينى ، بذلك ، منها ؟ حاملة للصورة والأخرى المتواردة عليها . وقابلة للاتصال والانفصال وغير متغيرة بذاتها ، وعرضة للشعور ؟ غير شاعرة ، وجواهر غير منقسمة ، وغيرها من التعريفات النادرة الرائعة ، وتنقسم المادة أيضا إلى أجزاء لا تتألف وتبقى منفردة ، ومن المادة ما هو مادة لأجسام كثيفة كأجساد الحيوانات ومنها ما هو مادة لأجسام لطيفة كأجسام الكائنات الصاوية ، وأما مادة لأجسام متزدة كأجساد المرتاضين الإشرقيين التى ينتزعونها من أنفسهم عندما يريدون وفقا للإرادة الروحية ، وكذلك هنا مسواد الألفاظ والآنفاس والأزهار والأفكار والأعمال .

وأما عديم الصورة أى الحلاء أو الفراغ والمسافة والمقام فشكل منها أوصاف خاصة تمتاز عن أخواتها امتيازاً وفق الأجسام المتمكنة فيها من الحركة والسكون والانساع والابتعاد .

١ - الحلاء : يقال له دأ كشأ ، وهو جوهر خارجى ذو حجم وغير مرئى . وهو نوعان : خلاء كونى وخلاء غير كونى ، مقسع وراء السكون .

٢ - المسافة : ويقال لها دهرما ، وهى أيضا جوهر خارجى وراء الحلاء يساعد الأشياء على الحركة والعمل والتفعل .

٣ - المقام : أو دأ دهرما ، جوهر خارجى وراء الحلاء والمسافة يساعد الأشياء على السكون والاستقرار فى مكان واحد ، وبعبارة أخرى ،

السير ؟ وما أقرب الشاطئ ؟ فسر إلى الامام ،
وبادر إلى السكال ، حتى تستقر في دوام السرور
حيث القرار ، وفي هذه السكنة الوجيزة لحص
مهاويرا الخطوط الرئيسية لتعاليمه ، ومبادئ
وأصول طريقته :

التطهير : وهو عبارة عن إقلاع مادة الأعمال
واستئصال مظاهرها الشفافة ، والسبيل المتبع
للوصول إلى هذا الهدف المنشود هو القيام بالرياضات
الصعبة بدنية ونفسية بوضع منظم ، وفقا لطرق
مقرره خاصة ، وهندم أنواع وأشكال في باب
الرياضات النفسية والبدنية ، ويقولون : إن للصوم
والإمساك عن الطعام والشراب قيمة جليلة واضحة
في الرياضات التي تساعد الإنسان على استئصال مادة
الأعمال وصقل الروح والنفس في شتى الميادين .

الوثائق : وهو العواطف والميول الإنسانية :
وتختلف باختلاف الطبائع حسب تمدنها وقصبتها
وتركيبتها الفطرية .

أما العقدة : فتطلق على العوائق والعقبات التي
تمنعها عن الأعمال وتسد طريقها السوي .

فيكون مجرى الأعمال : عبارة عن الأعمال
ومجاريها وآثارها وتناجيجها المادية والظاهرية
ومنها الحواس الخمس الطبيعية للإنسان .

وللجنيين تعريف طريف للدهر : ويقال له
في السنسكريتية كالام ، يقولون : الدهر جرم خارجي
مستمر أزلي دائم وهو عبادة عن استمرار محض
ودوام خالص وليس له حجم ولا لون ولا شكل
معين وهو ينقسم إلى الأعدوام والشهور والأيام
ولا يرى ولا يسمع ولا يمشى ولا يشم ، ومظاهر
وجوده الحركة والتغير والحدوث والفناء والتطور ؟

نحي الربيع الطلواني

تهدف إليها ، ولهم وصف عجيب للشخص الناجي
قالوا : إن الناجي من غير جسد مادي وليس
بطويل ولا قصير ، ولا متصف بالسواد والزرق ،
ولا بارد ولا حار ، وهو يحيط بكل شيء ، وهو
مطلق من جميع القيود ، وهو دائما في سرور
وطمأنينة . وخلود واستقرار ، ونعيم مقيم ومكانة
فوق الخلاء الكوني ، يسكن فيه بدون عائق
أو ازدحام ، وليست للنجاة نهاية ، وهي أبدية
سرمدية ...

ويعتقد الجينيون أن النجاة الحقيقية لا تحصل
إلا بعد عبور المرحلة البشرية ، فلا يتخلص أحد
إلا بعد اجتياز هذه المرحلة المليئة بأنواع من
العوائق والمصاعب ، ولماؤسس الجينية «مهاويرا»
وصف مفصل لهذه النقطة الهامة من الحقائق التي
تتألف منها الحياة الكونية ، وقد أتى «مهاويرا»
هذا البيان في شكل نظم ألغاه على أحد أتباعه أعظم
«كوتم اندرا» وهذه نبذة ومقتطفات من آراء
«مهاويرا» حول هذا الموضوع .

إن الحياة كورقة تدبيل يوما فيوما ، فإذا جاء
أجلها سقطت بنفسها كقطرة ، عمرها قصيرة
المطر على ورق العشب ولا ينال الإنسان النجاة
السرمدية إلا إذ صادف مولدا بشريا في سلسلة موالده
المتكررة ، فالذي للروح لا يتقيد بالهواء والنار
والتراب أمدا طويلا وربما يتطور بمظهر الفجوة
أو الحشرات أو الدواب ، وفي الحقيقة لا حياة
ولا نجاة إلا للبشر ، ثم أردف .. مهاويرا مرشدا
لصاحبه «كوتم» أن يفك عنه أغلال الاعتلاق
التي تربطه بتناسخ المولد وقد جعل الزهد والرهبة
سبيلا إلى النجاة الأبدية وقال له «مهاويرا» في الختام :
الآن قد عبرت البحر المحيط فلماذا توقفت في متابعة

تِيارات منحرَفة في التفكير الديني المعاصر

للأستاذ علي العمّاري

٨ - محمد رسول الحريّة

وللقصة أصل في التاريخ ، ولكن رواية المؤلف لها على هذا الوجه - يجعلنا اتهمه بقصد الإساءة إلى الرسول ، أو على الأقل يجعلنا نؤكد أنه لا يعني يتحرى الحقيقة عندما يتحدث عن هذا المقام الكريم .

ذكر البخاري هذه القصة ، مهمة مرة ، ومفصلة مرة أخرى ، ففي الأولى روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا زيدا أن يأكل من سفرته كانت قدمت إليه فأبى زيد أن يأكل قائلا : إني لا أكل بما لم يذكر اسم الله عليه .

وفي الثانية روى عن ابن عمر - رضي الله عنهما - (أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي زيد بن عمرو ابن نفيل بأسفل بلدح قبل أن ينزل على النبي الوحي فقدمت إلى النبي صلى الله عليه وسلم سفرته فأبى أن يأكل منها ، ثم قال زيد : إني لست آكل مما تذبّهون على أنصابكم ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه) .

ففي هذه الرواية تصريح بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأكل ، وفي الأخرى إلهام ، فليس ما فيها يدل على أن النبي أكل أو لم يأكل ، فن البدهى أن تحمل الرواية المبهمة على الرواية المفصلة .

على أن العلماء قد أجابوا عما عساه يفهم من الرواية الأولى ، وكان من إجاباتهم أنها خالية مما يثبت أن النبي أكل .

قال السهيلي : : فإن قيل فالنبي صلى الله عليه وسلم كان أولى من زيد بهذه الفضيلة ، فالجواب أنه ليس

زيد بن عمرو بن نفيل أحد الخلفاء الذين كانوا يتعبدون على ملة سيدنا إبراهيم ، وقد هجر عبادة الأوثان ، وأطال البحث عن التوحيد الخالص ، ونفر مما كان عليه قومه من باطل وزور .

وقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال « زيد بن عمرو كان أمة وحده » ، وقال يجيب سيدنا عمر بن الخطاب - وهو ابن عم زيد - حين سأله عنه : « غفر الله له ورحمه فإنه مات على دين إبراهيم » .

كل هذا حسن ، ولكن مؤلف كتاب (محمد رسول الحريّة) يحاول أن يجعل من زيد سلفا للرسول ، يقتني أثره ، ويسير على نهجه ، فهو يقول مقاسماتلا من الرسول : (أهو مبشر جديد إذن مثل زيد بن عمرو) ويبدى ويعيد في هذا المعنى . بل يبلغ به الأمر أن يضع محمداً صلى الله عليه وسلم في مقارنة مع زيد بن عمرو ، ويصرح في العبارة بتفضيل زيد .

يقول في صفحة ٣٧ من الكتاب بعد أن ذكر أن محمداً كان في إحدى البلاد يعمل أجيرا بإحدى القوافل ، وأن زيدا حل هذا البلد باحثاً عن الحقيقة يقول بعد هذه المقدمة : (وعلى مائدة الطعام رفض زيد أن يأكل ما ذبح تحت قدمي تمثال أحد الآلهة وحاور محمداً ... أما محمد فأكل ، ولكن زيدا آثر الجوع على الشبع من ذبيحة نهرت أمام صنم ، ولم يذكر عليها اسم رب إبراهيم) .

(١) فتح الباري ج ٧ ص ١١٢ .

بفهم كامل لعابعية دوره ، وبنظرة كاملة من الحياة والموت ، وبإدراك كامل الحاجات البشر المعذبين .
فكأن النبي كان يعد نفسه لهذا العمل ، وكأنه قبل أن يهبط عليه الوحي - قد رسم منهجاً دقيقاً لما يريد أن يعمل ، وحسبنا بهذا إبعاداً في فهم طبيعة الرسالة .

فالنبي لم يتلق علماً عن أحد قبل النبوة ، ولا بعدها إلا عن الله عز وجل ، وقديماً ادعى المشركون أنه صلى الله عليه وسلم كان يتعلم من بشر فرد عليهم القرآن الكريم : « ولقد تعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذين ياهدون إليه أجمعى وهذا لسان هربى مبين » .

وعلى نهج المؤلف من بجانب الدقة ، وتحري الحقائق ساق قصة بدء الوحي على هذا النحو :
(ولكنه في تلك الليلة من رمضان أغفى قليلاً فنام ، فرأى من يعرض عليه كتاباً ويطلب منه أن يقرأ ... فقال له : (ما أنا بقارئ) ... ولكنه ألح عليه أن يقرأ ، فسأله : (ماذا أقرأ) فقال له : « أقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم ، ... وعندما استيقظ من نومه كان يحفظ ما سمعه في النوم ، وهو يستوضح حله فيما بينه وبين نفسه إذا به وهو بين اليقظة والنوم كأنه يسمع صوتاً من بعيد يقول له : يا محمد ... أنت رسول الله ، وأنا جبريل) .

فالمؤلف - كما يبدو من كلامه - يحاول أن يؤكد أن بدء الوحي إنما كان في النوم ، وأن الذي جاء محمداً إنما هو حلم . وهذا - كما قلنا - تقصير في تحري الحقيقة . إلا إذا كان للمؤلف هدف آخر . حديث بدء الوحي حديث معروف مشهور ، ورواه

في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم أكل منها ، وعلى تقدير أن يكون أكل فزيد إنما كان يفعل ذلك برأى يراه ، لا بشرع بلغه وأياً ما كان فقد كان على المؤلف ، وهو يكتب كتاباً يشيد فيه بعظمة محمد أن ينأى به عن مقام التفاضل والحق أنى لم أنهم لماذا هي المؤلف بتسجيل هذه القصة على هذا الوجه

وكما حاول المؤلف أن يجعل النبي صلى الله عليه وسلم مقلداً لزيد بن عمرو وغيره ، من تركوا عبادة الأصنام حاول أن يثبت أن محمداً أخذ (علمه) عن آخرين .
فالنبي صديق أبي بكر ، وأبو بكر - كما يذكر المؤلف - ما زال يقرأ ، ويحفظ كل ما ينتهي إليه ، ويحول رحلاته التجارية إلى فرص لمزيد من الاطلاع حتى أصبح اليوم أكثر فتیان قریش ثقافة ... وفيه كان يقرأ أبو بكر ؟ يجيب : كان يقرأ ما انتهى إليه من كتب الأولين .

وطبيعي - عند المؤلف - أن محمداً - وإن لم يكن يعرف القراءة - كان يأخذ عن صديقه أبي بكر ما قرأه في كتب الأولين . بل إنه - عند المؤلف أيضاً - أخذ عن الأحبار والرهبان ، فهو يقول :
(لقد طالما تحدث محمد بن عبد الله مع صديقه أبي بكر بن أبي قحافة في هذا كله - يريد ما عليه قومها من ضلالات - ولقد رحلا معاً ، وعانیا معاً ، وشاهدا الرهبان والسكان في بلاد بعيدة ، وسمعا معاً من الأحبار) .

وليست هذه فقط مصدر ثقافة محمد ، بل إن فتیان قریش ورجالها كانوا يجتمعون في ساحة حول رجل يروى لهم حكايات تلهب خيالهم المعذب . وكان محمد قد شهد هذا كله .

وكان نتيجة لهذا كله - عند المؤلف - أن محمداً صلى الله عليه وسلم أقبل ليلاً مكانه المرتقب مسلحاً

وكما يجمع المؤلف خياله في تصوير حياة الرسول يجمع به أيضاً في تصوير حياة أصحابه ، ولعل أشنع ما وقع فيه المؤلف اتهامه لحزة عم النبي صلى الله عليه وسلم ، ورميه بجرمة شنعاء .

فقد ورد في حديث صحيح رواه البخارى أن سيدنا هلى كرم الله وجهه شكاً حمزة إلى النبي صلى الله عليه وسلم : لانه - أعنى حمزة - جب سناى ناققين له ، وبقر خواصرهما ، وأخبر على النبي أن حمزة في بيت معه شرب من الأنصار ، فذهب النبي مع على ، وزيد بن حارثة : (حتى جاء البيت الذى فيه حمزة فاستأذن فأذنوا لهم فإذا هم شرب فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يلوم حمزة فيما فعل ، فإذا حمزة قد شمل بحمرة هيناء) .

هكذا أورد البخارى الحديث في أول (كتاب الخس) ثم أعاده عند الكلام هلى غزوة بدر ، وزاد فيه - والضمير لحزة - (وعنده قينة وأصحابه ، فقالت في غنائها : ألا يا حمز للشرف التواء (١)) . وكل ما فى الروايتين أن حمزة - رضى الله عنه - كان قد سكر ، فى جماعة من أصحابه ، وكانت معهم مغنية تغنى .

وقد كان ذلك قبل أن تحرم الخمر ، ولكن المؤلف - كما قلت - جمع به خياله ، فهو يقول : إن حمزة يعود إلى سلوكه السابق ، وحياته القديمة من الخمر والغزل ، بعد أن اقتطع طويلاً عن حياة الليل هكذا (حياة الليل) ، وقد عاد (يجرع من متاع الحياة بظماً غريب) ، لا يرويه شىء . . . حتى

كل كتب السنة ، وها هو ذا كما رواه مسلم : وعن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أنها قالت : كان أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة فى النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حجب إليه الحلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه ، وهو يتعبد الليالى أولات العدد ، قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى يجئته الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال : ما أنا بقارى ، قال : فأخذنى فغطى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ . قال : قلت : ما أنا بقارى ، فأخذنى فغطى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارى ، فأخذنى ، فغطى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم . . . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره . . . والحديث واضح فى أن الرسالة إنما جاءت للرسول بقظة ، واتعلماء يقولون : إنما ابتدئ رسول الله عليه وسلم بالرؤيا لثلاث أسباب : وبأمره صريح النبوة بقتة فلا تحتملها قوى البشر ، وقال العلماء أيضاً : والحكمة فى الغط شغله من الالتفات والمبالغة فى أمره بإحضار قلبه لما يقوله له ، وكرره ثلاثاً مبالغة فى التنبيه .

نعم . جاء فى بعض كتب السيرة أن ذلك كان مناماً ، ولكن المحققين من العلماء ردوا هذا القول ، فلا يفنى لمن يكتسبوا سيرة الرسول بعد هذه التحقيقات أن يقتبعوا بنيات الطريق :

(١) الشرف - بضمين - جمع شارف وهو من المسن من التوق ، والتواء - بكسر التاء - جمع نايبة وهى الناقاة السمينة .

خب رقية - إذن - أحد الدوافع القوية التي دفعت عثمان إلى الإسلام ، وعبد الرحمن بن حوف - رضى الله عنه - وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، اتهم - كما يذكر المؤلف - من كبار الصحابة بأنه - وهو للتاجر الغنى - مازال على الرغم من إسلامه يعطف على نفس أفراد طبقة القديمة من أسرة قريش . ما زالت صلاته الشخصية وعواطفه الخاصة أعق من إيمانه ... وهو لا يأبى القتل لصديقه أمية ابن خلف إلا لأنه غنى مثله .

هذا هو منطق المؤلف . . . وله من أشباه ذلك كثير ، حتى عند حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يحسن اختيار الالفاظ في بعض الأحيان .

بقيت كلمة واحدة أحب أن يعرفها المؤلف ، وبعض المؤلفين الآخرين ، ذلك أن دخول النبي وأصحابه مكة بعد صلح الحديبية بعام لم يكن للحج ، وإنما كان للعمرة ، فالتبى صلى الله عليه وسلم لم يحج في حياته إلا مرة واحدة هي حجة الوداع . ولكن المؤلف تبعاً لبعض المؤلفين المحدثين يظنون أن النبي حج في ذلك العام الذى تلاعب الحديبية ، فهو يقول مثلاً : (وذو الحجة يقترب) . (هذا هو موسم الحج) . (فقد أقام المسلمون في مكة ثلاثة أيام وانقضت مناسك الحج) - (لقد أتاح لهم هذا الحج أن يهادثوا كثيرين من أهل مكة) ، (وحشد محمد كل الذين صدوا عن مكة في العام الماضى) يريد عام الحديبية .

هذا ما رأيناه ، وقرأناه في السطور ، أما الذى وعيناه بين السطور فتمسك عنه ، فربما كنا غططين فيما فهمناه ، وإن كانت الدلائل واضحة ، والله يهدينا جميعاً إلى سواء السبيل ؟

هل العمارة

لقد ظل ليلة كاملة يشرب الخمر ، مع فائتين من بنات إسرائيل ، رقصنا له ، وغننا ، ومتعنا ، فعدنا على المسجد يتحدث عن جمالها ، ولا يخفى أنه استمتع بها . كان يتطوح ويتضاحك ، وهو يقبل على المسجد .

وأخيراً يعلنها المؤلف صريحة ، وهى نكراه شنيعة ، فى رضى إحنة فى عفته ، دون سند أو دليل ، فيقول : (هل أن حمزة أفاق لنفسه ، فأعلن ندمه أمام الجمع ، وأقسم ألا يقرب الخمر ، ولا نساء غير زوجاته) . وإذن فحمزة عند المؤلف - كان يفجر بفاتنات إسرائيل . كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً .

حمزة الذى كان قد بلغ الخامسة والخمسين فى ذلك الوقت ، والذى أعز الله به الإسلام مع عمر ابن الخطاب ، يقرب نساء غير زوجاته . والنبي محمد صلى الله عليه وسلم الذى أعلن يوماً كلبته الخالدة : (لو أن قاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) هذا النبي الذى لا يتهاون فى حدود الله . يرى حمزة يرتكب الفجور ، ويراه يترف ويكبر من الندم فلا يصنع إلا أن (يخفف عنه) - وهذه الأخيرة عبارة المؤلف .

وهكذا يسف المؤلف عند الحديث عن الصحابة فعلى - كرم الله وجهه - فتن بابتة أبى جهل الصغيرة الجيلة الغنية ، ويضعف حين يدخل مكة فيدير رأسه جمال بنت أبى جهل ويطمعه مالها . لقد أعجبك حسنهما وقتنك مالها . هذا هو كل ما فى الأمر .

وعثمان - رضى الله عنه - إنما مال قلبه الإسلام ، لأن محمداً رجلاً أميناً ، ولأنه والد رقية ، وقد وقع منها فى قلبه شيء .

أرسل الأستاذ الشرفاوى رداً على المقال الأول فى هذا الموضوع سينشر فى العدد التالى لأنه جاء وقت تم فيه طبع هذا العدد . المجلة .

الأدب الفاحش

للأستاذ محمد عباس محمد

أجسام الشبان فهدموها بالمخدرات والإغراء الجنسى
الرخيص وحولونا عن تراثنا ولغتنا حتى يمتلكوا
أرواحنا بعد عقولنا .

فالأجسام باتت عليه فارغة ، والعقيدة والأخلاق
أصابها العطب وتسرب اليها الشك والانحراف .
وجذبونا نحو ثقافتهم حتى بات من يتكلم لغة
أجنبية هو الراقى ومن يدعو لثقافتهم هو المتدين ،
وما قاله الأجنبي هو الصواب وما كنا عليه أطلال ،
ومن يستبدل به رجلى ، حتى كثر يفتنا من يعتقد
أن أسلوب معيشتهم هو الأصلى ، وما ورثناه عن
أجدادنا غير صالح لأن نطبقه في حياتنا ، وخير لنا
أن نطويه في دار المحفوظات ، أو نعرضه في دور
الآثار ، وأصحا آذانهم عن الأبحاث القيمة التي
أخرجها منصفوهم عن التراث العربى والإسلام ،
وسمعوها توجيه رهبانهم وأخبارهم الذين رأوا - لكى
يخففوا حالة الصراع العقائدى بيننا وبينهم ، وما دام
قد عز على بعضنا المجر - أن لا بأس بتطويه
حيث إنه سبب تأخر ركبنا عن ركب الحضارة
لأنه لزمان غير زماننا . هكذا قالوا ؟ .

وهذا يقال من الفرنسيين كما يقال مثله وأكثر
عن الإنجليز والأسبان والهنود والامريكانيين
والطليان ودول أخرى استعجلت لنفسها استعمار
غيرها من الشعوب الآمنة .

ولكن الله أكبر وهو الحكم العدل واقف للظالم

قرأت أخيراً خبراً استوقفنى ، وهو أن أدب
الانحلال والانحراف الخلقى فى العالم يمتدثر وأنه
إلى البوار سائر .

هذه الظاهرة الحديثة الملبوسة فى الآداب العالمية
سببها ما أصابهم من زعر من جراء حالة الفجور
والشذوذ الجنسى التى اجتاحت العالم وبلغت بهم
الحضيض ، كما استبانوا سوء تقييمهم للفرصة الجنسية
وأنها ليست الدافع الأول لمواد الحياة ورأوا
أن هناك محركات أقوى : إنها القوة ، ويتلوه حتى
الشعرب فى الحياة الحرة .

صح هذا الخبر أو فيه مبالغه من رايه إلا أنه
أيقظ فى نفسى أحاسيس طالما جاهدت فى أن أخفف
أثرها على فأهياى ، لحفظتها فى صدرى سائر الأسرار
وهى تنتقل بين أضلعي فى كل آن ، والله يشهد أنها
جعلت الحياة على نكدنا ، وعلى أبناء الشعوب العربية
منغصة .

أوحى مدلوله إلى نفسى ذكريات أيام أليمة كنا
نعيشها فى حسرة من جراء ما فرطنا فى حق مبادئنا
وعقيدتنا وبلادنا حتى أصبحنا لعبة عابثة فى أيدي
حكام الدول الاستعمارية الذين لم يتركوا وسيلة فيها
هدم لغربنا إلا اقترفوها .

وقد رأوا ضياعنا لطول استغلالهم لبلادنا وقهرهم
لنا السيطرة على عناصر المقاومة فينا ، فأتوا على

تخدم الاهداف الصهيونية من حيث يشعرون
أو لا يعرفون .

في بريطانيا : هذه صورة وأما صورة أخرى
عن الامبراطورية البريطانية العظمى سابقا وهي التي
اشتهرت بيننا بأنها أمة عاقلة على تقاليدھا
المسيحية والحقوق بين أبنائها مصنوعة ، وعلاقتهم
ببعضهم طيبة .

وهذه الصورة في خبرين ، تستجلى منها حقيقة
حالتهم وتعرف منها ما يغفل في بطونهم :

فأما الاول : فهو خبر منقول عن جريدة
(الصنداي ميرور) البريطانية تقول في تحقيق صحفي لها
ما ترجمته : « من بين كل ثلاث آ نسات بلغ سن
الخامسة والعشرين في بريطانيا توجد آ نستان فقدتا
هذه قيمتهما إلى الابد » .

ولاداعي لذكر جزئيات الخبر فإن الله يحب
الستر حتى على الباغى ، ويكنى أن أذكر أنه ورد
في ختامه ما يفيد « أنه حامل لحقائق خطيرة وينتهى
بصراخ على الحالة التي آلت إليها الاخلاق
البريطانية » .

وأما الخبر الثاني فظهر في كتاب صدر في بريطانيا
لطبيبة إنجليزية مشهورة اسمها الدكتورة « دى كوك »
صرحت فيه بمعلومات أحدثت ضجة كبرى في بريطانيا
سيما وأن الاتحاد الطبي البريطانى وهو أعلى هيئة
طبية ، أقر ما جاء فيه وجميعه يصور الانهيار
الاجتماعى ، منه : الماضى المشين للزوجات بلا استثناء
وانتشار العلاقات غير الشرعية بين الجنسين وتعداد
الابناء غير الشرعيين الذين يتن من مسئولياتهم
الاجتماع الإنجليزى ، وتفكك الأسر وتدهور القيم
الأخلاقية .

بالمرصاد فلا يفر تلك الدعايات الجوفاء ، لأنهم يعيشون
وفي داخل نفوسهم نار مشتعلة .

استمع معى لهذا الكلام لأنه للسيد القائد الأردنى
« عبد الله التل » جاء في كتابه عن « خطر اليهودية
على الإسلام والمسيحية » :

« سار الشعب الفرنسى في الطريق الذى رسمته
اليهودية العالمية ، طريق الهلاك والخراب . فقد يسر
اليهود للفرنسيين الانغماس في حياة الترف والفجور
بحجة المدنية التابعة من باريس ، مدينة (الموضة)
السنية والأزياء وأدوات الزينة وأصناف الخور
الجديدة وملامى الدعارة والانحلال والإباحية
والوجودية . وفي أقل من نصف قرن حول اليهود
فرنسا إلى مأخور كبير يؤمه جميع طالبي المتعة
الحرام من مختلف بقاع الأرض ، وتختل الشعب
الفرنسى وأصبح لا يجه إلا المتعة والرفاهية التى
أوجد اليهود جميع أسبابها ومفرقاتها ، وساء
الفرنسيون في طريق الضعف والانحلال
والميوعة » .

على مبدأ : « تشجيع الانحلال في المجتمعات
غير اليهودية فيم الفساد والكفر وتضعف الروابط
المتينة التى تعتبر أهم مقومات الشعوب ، فيسهل السيطرة
عليها وتوجيهها كيفما تريد » .

ومقصدها : « تدمير الاخلاق في العالم ونشر
الرذيلة والفجور والإباحية والتجسس والإرهاب
والحروب والفتن على اعتبار أن الكذب والغدر
والافتراء من الفضائل » .

والوسيلة : « السيطرة على وسائل الإعلام :
الصحافة والإذاعة والسينما والمسارح والملاهي لتدمر
بواسطتها أخلاق الشعوب وتخرجها من دينها وتحولهم
إلى قطيع أمى لا هوائهم حتى يصبحوا آلة صماء

والرجال الذين ننظر منهم الأخذ بيدنا أصاوا
إلينا أكثر من هدونا .

الخلاصة : أن الحياة لا تتسع للجديليات والقوى
لا يحسن استهلاكها في الصراع بين الإخوان وقد
فاتنا الكثرة ، وأولى بالنفوس الضارة أن تتوارى
عن عالمنا فكفانا ما لا يقينا طوال السنين على أيديهم
وأبى أهداء الشعوب العربية .

مر الاندهاش : بعد هذا الكلام الواضح يتردد
على نفسى سؤال منذ أكثر من ربع قرن : طالما
شغل بالى وهو : هل هناك واطقة بين ما رسمه اليهود
لشعب فرنسا وغيرهم من شعوب الأرض ، وبين
ما رسمه لنا بعض القائلين على الشعوب العربية
من توجيه وتخطيط ؟ . أم أن الأمر لا يبدو توارد
خواطر ؟ ...

إنى لا أصدق أنهم لعبة في يديهودية ، كما استبعد
أنها مصادقات وأميل إلى التصديق بأن علة ذلك
خداع النفس .

البشائر : إنى الملح فى الاتفاق لافتات صارخة ضد
الأدب المكشوف أدب الفراش ، ونقد القصص
الفاحشة فى السفينة ، وهدم ارتياح للأغاني المراهقة ،
وضيق من الإنتاج المعروض للقبان المستهترين
واسمع أصواتنا تنادى بالعودة إلى الأخلاق الفاضلة
والتخطيط للبادئ المثالية القائمة على ديننا .

وإن كان الصراخ والنقد والنفرة والضيق
والنداءات غير جديدة ، إلا أن ذلك جميعه دليل
يقظة ، وحيوية ، وحسن إدراك - نحن أحوج
ما نكون إليه ليوقف بهوار الثورات السياسية
والنزعات التمردية ويكون لها أساساً وظهيراً .

محمد عباس محمد

وقفة : هل تتصورون أن ذلك وليد يوم وليلة ،
إنه نتاج سنين ، وأنسياق وراء موجات من الاستهتار
والغفلة . إنه ثمرة عوامل متعددة لها مقدمات
مضرة لاهية .

فإن أردتم التفصيل أو إيضاح أكثر ، فاسألوا
أرباب الثقافات الفرنسية أو الإنجليز سكسونية أو .
أو .. ماذا نقلوا إلينا من آداب أجنبية ، وفلسفات
فكرية ، وروايات وقصص تمثيلية و ... و ... ؟
واسألوا التاريخ ماذا كتما ؟ وكيف صرنا ؟ .

وارجعوا إلى مقررات مؤتمر الإلهام العربى
المنعقد أخيراً بالأردن ؛ سيجيب لكم صوته الذى
ارتفع من يمثل البلاد العربية منها إلى خطورة
أجهزة الإعلام والثقافة والصور الذى يجب أن تلعبه
فى حياتنا وفى مواجهة أهدائنا ، كسلاح لا يقل
أهمية عن القذائف والمعدات الحربية : حامية
الأوطان .

إن الشباب المنحل المحطم لا يمكن أن يخوض حرباً
أو يصبر على جهاد .

الحياة : إما أن تكون الأجهزة معاول هدم
وتخريب أو قتل خيانة . ويبد من ؟ . بيد أخى
وأخيك ، وأبى وأبيك ، وأختى وأختك ، وأى
وأهلك . فذاك عذر .

وبأى أسلوب ؟ ... بانتهاز غفلة الضمءاء ،
وانشغال الدعاة بما هو أكبر ، وبالغلب على المحافظين
المعتزين بالقيم الأخلاقية حيث هم قلة زاهدة .
فانتهازية رخيصة .

إن هذه هى الطامة الكبرى ، فالطامات التى هى
ذلك للشعب تستخدم بعضها فى هدم البناء الاجتماعى
لهيكل العروبة ، وفساد العقول ، وانحلال الأخلاق
وتحطيم العزائم .

الموااسم الإسلامية وصداها في الشعر الحديث

للأستاذ سعد الدين الحنيزاوى

وعيد الفطر، وعيد الأضحي، هما العيدان اللذان سئما صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم، وقد وردت في شأنهما أحداث كثيرة، وشرعت فيهما ألوان خاصة من العبادات، مثل صلاة العيد، ومثل الأضحية، وتكبيرات التشريق عقب الصلوات في العيد الكبير، واستحباب الزاوار والتأخي فيهما لحكم بالغة أرادها الله تعالى.

وقد مرت سنوات وصنوات من لدن ظهور الإسلام، والمسلمون لا يعرفون الاحتفال بغير هذين العيدين، إلى أن قامت الدولة الفاطمية في حوالى منتصف القرن الرابع الهجرى، فعرف المسلمون موااسم أخرى.

والمعروف أن الفاطميين أقاموا دعوتهم على أساس أنهم أحق الناس بخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنهم وحدهم الذين ينبغي أن توكل إليهم حراسة تراثه، ورعاية شريعته، لأنهم من سلالة الطاهرة التي تنحدر من السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها؛ وأنهم بهذا أشد الناس حرصا على الإسلام ومبادئه ولا سيما بعد أن أصاب الدولة ما أصابها من ضعف وتفكك على يد العباسيين بسبب تهاونهم، وتمكينهم للفرس ثم للأتراك من تملك القيادة والتوجيه، والعبث بما رسمه الإسلام من سياسة عليا.

وطبيعى أن يلجأ الفاطميون للقيام بأوفر قسط من الدعاية في الميدان الجماهيرى، لإحياء مآثر

تشهد الأهوام الهجرية ليالى ذات شأن، يحتفل المسلمون بها على صورة ما. وبعض هذه الليالى يكون الاحتفال بها عاما، تشترك فيه سائر الأقطار الإسلامية حكومات وشعوبات وذلك مثل مناسبة المولد النبوى الشريف. وبعضها يلقي اهتماما فى بعض الأقطار مثل الاحتفال بأول العام الهجرى، وليلة السابع والعشرين من رجب بمناسبة الإسراء والمعراج، وليلة النصف من شعبان. وهناك ليالى يسكد الاحتفال بها أن يكون محليا، يقتصر على أهل المنطقة التي يكون بها مقام واحد من آل البيت السكرام، أو ضريح ولى من أولياء الله الصالحين، وذلك مثل الاحتفال بمولد الحسين رضى الله عنه ومولد السيدة زينب، والسيد إسماعيل الأمباني... وهكذا، ومثل مولد السيد البدوى بطنطا، والسيد عبد الرحيم القناوى بقنا، وأبى الحجاج بالأقصر...

والمعروف أن المصور الإسلامية - إلى العصر الفاطمى - لم تكن تعرف من الموااسم الإسلامية غير العيدين: عيد الفطر عتب صوم رمضان، وعيد الأضحي في الحجة إبان موسم الحج، ثم ما كان يصحب ليالى رمضان من حفاوة بتلاوة القرآن الكريم ومظاهر السكرام، وما كان يصحب أيام الجمع من أهبة بخروج موكب الخليفة لصلاة الجمعة في عاصمة الخلافة، وما يضيفه هذا اليوم من روحانية خاصة على سائر المسلمين.

بعد أن تحروا تاريخها في أوجح الأقوال فكان الثاني عشر من ربيع الأول ، وصارت هذه المناسبة موسماً عظيماً يحتفلون به في كل عام ، ثم ظل احتفال المسلمين بهذه الليلة المباركة موضع اهتمام المسلمين في سائر الأقطار إلى يومنا هذا ، وسيظل كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ثم اختاروا مناسبات أخرى هدية مثل : مولد الإمام علي بن أبي طالب ، وزوجه البتول وولديه الحسن والحسين ... ثم الخليفة القائم ، وحددوا موعداً لكل من هذه الاحتفالات حتى ليكاد الناس حينذاك لا يخرجون من احتفال إلا ليدخلوا في احتفال ، ثم أضافوا مناسبات أيام مشهودة في الإسلام ، مثل ليلة أول العام الهجري لما فيها من رمز التضحية والفداء ، ثم ليلة الإسراء والمعراج في السابع والعشرين من شهر رجب لما عرفت به من رحلة الرسول الكريم من بيت الله الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى ، ثم ليلة النصف من شعبان .

وقد ذاع عن هذه الليلة أن الدعاء فيها مستجاب إذا تلى بصيغة خاصة عقب صلاة المغرب .

والواقع أن هذه الليلة جديرة بالاحتفال بها ، ولكن لسبب آخر ، وهو أن هذه الليلة قد تم فيها تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة ، وهذا أمر له أهميته في تاريخ الدعوة الإسلامية .

وقد كان هذا التحويل أثناء تأدية الرسول الكريم صلاة الظهر جماعة في مسجد هرف بمسجد القبلتين ليلة الخامس عشر من شعبان في أوجح الأقوال ، حيث نزل جبريل الأمين على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي بالآية الكريمة : قد نرى قلب وجهك في السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها ؛

الرسول الكريم وتذكير الناس بالصلاة التي بينه وبين آل بيته الأطهار ، والإشادة بفضل بعثته الزهراء وزوجها علي بن أبي طالب الذي اعتبروه وصي الرسول الكريم وأحق الناس بالامر من بعده ، ثم سلالة الحسن والحسين ، ومن جاء بعدهما من ذريتهما حسب ما رتبته الفاطميون من أئمة متسترين ثم آخرين ظاهرين في مراتب سبع واعتبروا أن عبد الله بن المهدي أول طبقة الظاهرين وأنه جدير بتأسيس الدولة الإسلامية الجديدة التي عرفت باسم الدولة الفاطمية .

ولقد استغل دعاة الفاطميين ما ذكره التاريخ من أن آل علي رضي الله عنه كانوا مضطهدين من بني أمية ، إذ حاربهم بلا هوادة وقتلوا منهم بلا هوادة ولم يتورعوا عن قتل الحسين بن علي . ثم صرفهم عن أمور السياسة والحكم بشتى الوسائل ، ثم إن العباسيين لم يفتحوا صدورهم للعوليين بل استمروا في مناداتهم وإبعادهم عن السياسة ، ومن ثم أخذ الفاطميون يشيدون بآل علي وما أكرم وصبرهم على الاضطهاد .

وقد رأى الفاطميون أن خير وسيلة للدعاية هي أن يتخذوا من سيرة الرسول الكريم وآل بيته الأطهار مناسبات تكون موضع الاحتفال والإشادة ، تتقبلها الجماهير بنفوس راضية وسرور وقد اختاروا مصر مركزاً لتركيز دعوتهن ، وقيام دولتهن وسط الأقطار الإسلامية ، وهم يعلنون ما في نفوس المسلمين من سرعة الاستجابة لكل نداء يوجه تكون فيه ذكرى الرسول الكريم أو آل بيته الأبرار .

وكانت مناسبة مولد النبي صلى الله عليه وسلم في مقدمة ما اختاروا ، فأحيوا هذه الذكرى العطرة

والفكرة جاءت من الخلفاء أنفسهم ، تأييداً لتلك الدعوة ، وتثبيتاً لها .

ولنا أن فسأل مرة أخرى :

هل أخطأ الفاطميون فيما ذهبوا إليه من تلك المواسم العديدة ؟

لإننا لو دققنا النظر لوجدنا أنهم أحسنوا صنعا للتاريخ الإسلامى - من قصد أو عن غير قصد - ؛ فإن في إحياء هذه المناسبات ، وتدارس ما فيها من عبر وذكري ، لحبراً كثيراً في استعادة الصور الأولى للإسلام ، والذكرى تنفع المؤمنين ، ولكن هلينا في زماننا هذا أن ننظم إحياء تلك الليالي على صورة تضمن الإفادة منها ، ولقد رأينا الاتجاه إلى تنظيم الاحتفالات في عهد الثورة المبارك يأخذ صوراً جدية مجدية ؛ فكان المراقص وتجميع المشعوذين رأينا السراقات تقام ، وتصف الكتب الدينية والاجتماعية والأدبية والسياسية تصف على جوانبها للاطلاع ، وبدلاً من حفلات الصفيير وتدخين الخددرات أصبحنا نرى التجمعات لاستماع المحاضرين في سيرة صاحب الاحتفال .

وبعد : فإذا كان من موقف الشعراء إزاء هذه الاحتفالات ؟

قد يطول بنا الحديث ، ويطول كثيراً لو أننا حاولنا أن نتبع ما أنشد الشعراء في هذه المناسبات منذ أن عرفت في عهد الفاطميين إلى يومنا هذا ؛ فإن هذا يحتاج إلى مجلدات ومجلدات ...

وكيفما كان الأمر فإن هذه المناسبات كانت خيراً وبركة على الشعر العربى ؛ إذ كانت مصدراً للفيض قراخ الشعراء : سواء بإظهار الشعور الطيب نحو المناسبة وبين ما فيها من فضائل ... أو للتقرب والرفق كما كان يحدث في تهنات الخديوية والحكم بتلك المناسبات

قول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، ؛ فانتقل الرسول الكريم من أول صف ووقف أمام آخر صف فتبعه أصحابه ؛ لأنهم يعلمون أنه لا يصدر إلا بأمر ربه . وعندما حاول اليهود بلبلة الأفكار بسبب تحويل القبلة ، ردت عليهم السماء في تمسك لاذع : سيقول السفهاء من الناس : ما ولامهم من قبلتهم التي كانوا عليها ؟ قل : لله المشرق والمغرب . يهتدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

ولنا الآن أن نسأل :

هل كان المسلمون يجهلون هذه الأيام والليالي التي شرح الفاطميون إحياءها والاحتفال بها ؟

الواقع أن المسلمين كانوا شديدي الحرص على دراسة السيرة النبوية منذ أول عهد الرسالة ، وقد اهتموا بتجميعها وتدوينها منذ أن عرفوا التدوين في أواخر بنى أمية ... وقد عرف العلماء والمفسرون كل هذه الأيام والليالي ، غير أن أحداً من رجال العلم والسياسة لم يفكر في إقامة الاحتفالات بها كما فكر الفاطميون ؛ إذ كان العلماء منصرفين إلى الدراسة والتحريض والتأليف ، وكانت الدولة تعتمد على القوة والسلطان زمان بنى أمية ، وقامت الدولة العباسية على ما يشبه دعاية الفاطميين غير أنهم لم يحتاجوا إلى ما احتاج إليه الفاطميون إذ استطاعوا بث دعائهم سرّاً بعيداً عن أعين الحاكمين ، ثم كان لمساعدة الفرس فضل في الإسراع بتأييدهم ، وثم أمر آخر ، وهو أن العباسيين كانوا يخشون شوكة العلويين ، فلو سمحوا لهم بالدعاية لتحول الأمر إليهم لما لهم من المكانة في نفوس الجماهير .

أما الفاطميون ، فإن أساس دعوتهم كان الإشادة بآل البيت ، فسلوكوا كل سبيل يوصلهم إلى هذا ،

ولكن بعد أن بدأ الوعي الشعبي يتنبه وظهرت آثار دعوة مصطفى كامل وتمسك الشعب أنفد حافظ قعيدة حامرة بدأها بقوله :
أطل هلى الأكوان ، والخلق تنظر
هلال وآه المسلوبون فكبروا
وهى من خمسة وستون بيتا ذكر فيها أحداث
العالم الإسلامى وما أصاب سائر أقطاره بشكبات
الاستعمار ومنها قوله .

مضى زمن التنويم يا نيل وانفضى
ففى مصر أيقظ على مصر تسهر
إذا الله أحيا أمة لن يردما
إلى الموت قهار ؛ ولا متجبر
وفى عام ١٩١٩ إبان انفجار الثورة المصرية
أنشد أحمد محرم قصيدة حامرة ذكر فيها فظائع
الإنجليز ومظلمها .
حيو الهلال ، وحيوا أمة النيل
واستقبلوا العيد ، عيد العصر والجيل
ومنها فى فظائع الإنجليز :

ما تبصر العين من شئ يلوح لها
إلا رأت عنده تمثال عزيل
ثم يتسكع بوهود الإنجليز وبمبادىء ولسن
المشهوره فى تقرير المصير :
لو قيل : يوم يقوم الناس مرهنا
قالوا : مساريح ، راهونا بتعجيل
قالوا : السلام ، فهز القوم صارخهم
هن منهل بدم الأبطال معلول
واسترسلت ترفع التجوى وتنفضها
أيدى اليتامى ، وأفواه المراميل
ويشرون بما شن الرئيس لنا
من شرهه ذات تبيان وتفضيل

أو بتصوير الشعور العام أيام المحن ونذكرهم المسلمين
بالإيجاد التى تشير إليها المناسبات ، وحشهم على
استعادة تلك الأجناد ، كالشعر الذى كان ينشده
شعراؤنا فى مناسبات المولد الشريف ، وذكرى
الهجرة ، وبدر .. أيام ضغط الاستعمار على الشعوب
الإسلامية ، لاسفحاه صور البطولة من ذكرى
تلك المناسبات .

وسنكتفى بعرض نماذج لما قيل فى هذه
المناسبات من بعض شعراء عصرنا الحديث ،
والمعروف أن الشعر فى كل فترة من الزمن يأخذ
الطابع العام للحياة الاجتماعية والظروف السياسية
والتيارات الفكرية والأدبية لتلك الفترة .

ولنأخذ مثلا مناسبة ذكرى الهجرة أنرى كيف
تطور الإنشاء فيها بتطور الأحداث ومرور الأيام
فالسيد هلى أبو النصر شاعر الخديو إسماعيل
حينما كان ينشد فى هذه المناسبة لا يذكر إلا فضائل
الخديو واستحقاقه للجسد .. يقول من قصيدة
فى عام ١٩٢٠ هـ :

وقد أقبل العام الجسد بسعده
يقول له : أبشر : فلا كانت العدا
له ممن تحيى الوجود ، وجوده
يفيد من استسقى غواديه سؤددا
وما دمت حيا لا أزال مؤرخا
أهنى الخديو كل عام تجسدا
وحافظ إبراهيم يرفع تهنئة للخديو فى عام ١٩٠٤
بمناسبة ذكرى الهجرة يقول فيها :
هسى ذلك العام الجسد يسرنى
ببشرى . وهل للبائس بشرى ؟
وينظر لى رب الأريكة نظرة
بها ينجلي ليل الأسى وينير

وفي عام ١٩٤٥ بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها أنشد الشاعر محمود نعيم قصيدة بهذه المناسبة ، وكانت الدعوة إلى توحيد صفوف العرب فد أخذت طريقها إلى القلوب ، قال فيها :

يا أيها العام المثل تحية
من خير سكان بغير بقاع
أمل العروبة فيك أهرض جانباً
من سؤدد نسكى على مضاع
أبناء يعرب : لا حياة لامة
بالذكريات ، بل الحياة مساع
فتبوا إلى الأهداف وثب مغامر

لا واجب قلباً ، ولا مرتاع
وهكذا لو تتبعنا كل المناسبات . خذ مثلاً ما جاء في إحدى قصائد محرم عن مناسبة المولد النبوي الشريف (عام ١٩٣٦) والإنجليز يلعبون بمقوماتنا ويفرضون علينا معاهدة جائرة .
القوم صم في السلاح ، وقومنا
مستهرخ يعوى ، وآخر ينق (١)

إن كنت ذا حق ، فخذ بقوة
الحق يخذله الضعيف فيزهق
لغة السيوف تحمل كل قضية
فدع السلام لجاهل يقشـدق
وكن اللبيب ، فليس من كلماتها
شرح يداس ، ولا نظام يخرق

(١) القوم : يقصد الإنجليز . وقومنا : يقصد الزعماء المتطاحنين . والقصيدة من سببها بيتا تفيض حماسة وتصويراً لأجواء اللبؤولات الإسلامية فيها مضى وما يذبى أن يكون عليه الزعماء .

الخيل ، والرهج المثار ، حروفها
والنار ، والدم ، والبلاء المطبق
ففتت ما بين السطور ، فلم أجد
أن الأسود بصيدها تصدق
ومن العجيب أن الشاعر في تلك الحقبة من الزمن
كان قوى الإيمان بالمستقبل ، وكأني به يتنبأ
في ختام قصيدته بقيام ثورة الجيش المباركة
في عام ١٩٥٢ إذ قال :

لا بأس من نفحات ربك ، إننى
لأرى السنا خلل الهجى يتألق
وبما جاء في قصيدة له بمناسبة ذكرى غزوة بدر
من عام ١٣٦٠ هـ :

سلام علينا يوم يصدق بأسنا
فيمضى بنا في كل أمر نحاوله
ويوم تكون الأرض تحت لواننا
فليس عليها من لواء يمانه
ألا همة بدوية تكشف الأذى
وتشقى من الهم الذى أحتاج داخله
ألا دولة للحق تسلك نهجه
وتصنخى إلى القول الذى أنا قائله :

إذا نحن لم نرشد ، ولم تتبع الهدى
فلا تنكروا يا قوم ما الله فاعله
ورحم الله (محرم) فقد استجاب الله رجاءه ، ومن
على هذه الدولة بدولة الحق التى قوضت معالم الظلم ،
واجتمعت جذور الشر والطفيلان ورفعت منارة
العروبة عالية ، وضربت أروع الأمثال في التقدم
والنهوض للعالمين ؟

سعد الربيع الجبراوى

جديدها ، فإذا اليهود ركلم بعضه فوق بعض من "فن العجيب المتين ، وبنيان مرصوص من الأدب يروح الناظرين ، قرى الخليل المدهى الأدب ، إذا حسر وعي دون جزالة القديم وسموه ، واح يشكلف ويتنطع ، وما هو إلا كالقال معاوية (ما تزيد متزيد في أمر إلا لنقص يجده في نفسه) .

لقد ولوا وجودهم شطرا هذا الذي سموه بجديد دون تدبر ولا وزن ، فكل جديد أمسى في هيونهم شيعا جميلا ، ولوحائف النصوص والأصول ، بل صاروا ويعجبوا ! يتظاهرون بحب الجديد ، ولو كانوا له كارهين ، لثلا ينعتوا بالتأخر ، ويوصوا بالانحطاط ! اقد ترا كض إلى هذا الذي سموه بجديد كل مسترخ فاطر الهمة ، يستقرب الموارد ، ويستصعب المطالب يروم السعى من حيث يهون ، والسكد من حيث لا يكون ، فكلما شاق ذرع كاتب ولوى به استرخاؤه وكلما أنى أن الأدب ، كما هلناه ، يتطلب من تورد مواده ، الغوص لاستخراج درر اللغة العربية ، وإدمان الاطلاع على كسب اللغة ، وبسطة العلم بأساليب البلاغة المضرية وإطالة الكد في استيعاب علوم الأدب وفنونه ، ويكون مع هذه الهمة الفائرة فيه والقرينة المكسدة ، قد تعلم لغة من لغات الفرنج وأولع بها ، غدا إلى أساليب هذه اللغة الأوربية يخطها بأساليب العربية ، فأقبل يخاطبنا بمذق عجيب ، ويلطم وجوهنا به على أنه تجديد ! ونظير ذلك أولئك المشاعررون الذين ظلموا أنفسهم ، وظلموا الشعر بانتسابهم إليه ، والشعر برى منهم . إن من السماء لا يسر لهم من ذلك ! .

يا هؤلاء . ليس معنى الجديد أن تجعلوا اللغة مسخا ، وأن تعدوا على الجمال فتحيلوه قبحا ، وعلى الفن فتردوه إلى عبث ولهوجة ، لقد رميمت إلى غير

كأحد خير يجيها . . فأرجوك أن تحررهما إلى مكان درس اليوم فقلت : وأنا لا يخالفني شك في أنها ليست بالعربية : بالفرنسية طبعاً ؟ - فقال غير متلثم : لا ، بالعربية . عجبت ، وتأملت ، وكظمت ولم أر إلا أن ألبى طلبه ، وأخذ الخطبة ليلقيها في الحفل شاخ الالف على أنها من إنتاج قريحته ، ونخيل أدبه ، زوراً وهتاناً !

ألا تعجب ، ويعمن في غيظك أن يكون هذا الغلام ، وهو واحد من يدعون الأدب الجديد ، وشعر الجديد ، وتد أوشك أن يزابل الجامعة ، فيكون مثلاً أستاذا يعلم أبناءنا ، أو أدبيا ينمق المقالات ؟ فما أسعله ، ليت شعري ؟ وما كنه أدبه ؟ وكيف لإنشائه وقله ؟ فقل ، يا أديب الأمس ، يا أديب الأدب القديم الفحل ، وقد هايت أدب أحباب زعم الجديد والتجديد اليوم ، ما قال لبيد : ذهب الذين يعاش في أكتافهم

وبقيت في خلف كجلد الأجر ب
إلى وربك . فلولا بقية كريمة هم بين ظهرانيها من كتاب وأدباء مبرزين ، تعرفهم بنصاعة البيان ومثابة البلاغة العربية ، لسكان الأدب مطوياً في رمسه ، ذاهباً مع أمسه .

الجديد ! الجديد ! .. يا ويلتا من هذا الجديد ! لؤة وخبال ، وعجز وصغار فمن أراد في الناس أن يعرف ، وأن يظهر ، ولم يكن عض على العلم بضرس قاطع ، وكان دعياً في أدب أو فن ، زعم لنا أنه قد جاء بجديد ، وما جديدهم إلا مذق وترقيع ، وما ينمق فينا ناعق بهذا الزعم إلا من سقه نفسه ، وهانت عليه همته .

يا هؤلاء ! إن هذا القديم ، لو تعلمون تراث أجيال طوال ضم جيل خلف إلى جيل سلف جهدا

مرى ، إنما الجديد فرع من القديم وغرس منه . إن يتجه الفصن إلى وجهه فأسه مع ذلك في أصل الفجرة ، ومفرسه في عروقها ثابت ، أما أن يتنكر الجديد لقديمه ، ويكون جنساً آخر غيره ، وقديم مع ذلك صالح قويم ، فذاك ما لا يستقيم بحال . ولا جرت به سنن العليدة والاجتماع .

كذلك هو الحال في الآدب عند الغربيين ، ففي فرنسا مثلاً ، كان القديم ، ويسمى كلاسيك (Classique) وحده لاشريك له . هو السائد على أقلام المكاتب ، حتى إذا أهل القرن التاسع عشر نبت منه غصن ، وسى ذلك الفصن رومانتيك (romantique) وهو الجديد .

وكان رائده الأول فسكتور هوجو وتابعه جان جاك روسو وفلاهما الكتاتبان الأشهران شاتوبريان ومدام دوستال ، فهل كان الاختلاف بين قديمهم وجديدهم في اللغة وذات أساليبها ، ومحاسن صياغتها كلا . فسكتور هوجو ، مثلاً ، وهو كبير أدباء هذا الجديد ، كان أدبه من الروعة في غاية ، وكان قلبه ينثر الدرر الفوالى ويباهى كان الناصع الباه هو والقديم صنوان مؤلفان ، إلا رجحة هو مولها مع معشر أدباء الرومانتيك ، من أنداده ممن ذكرنا أمثال لامرتين ، وروسو ، وشاتوبريان ، ودوماس الكبير ، ودوماس الابن ، وجورج ساند وألفريد دو موسيه وألفريد دى فيفى الذين خلصوا من قيود جماعة الآدب الكلاسيكى .

فإذا كان تحررهم ؟ وما جاء به جديدهم ؟ ليس إلا أنهم أخذوا بألوان مستحدثة ونهجوا مناهج لم تكن في الآدب القديم ، كالانطلاق في آفاق الخيال ، ومطارح العواطف الإنسانية ، وتغليبها على العقل وأحكامه ، وبروز الشخصية في أقلام كتائبهم ، فإذا كان تحررهم ؟ وما جاء به جديدهم ؟ ليس إلا أنهم أخذوا بألوان مستحدثة ونهجوا مناهج لم تكن في الآدب القديم ، كالانطلاق في آفاق الخيال ، ومطارح العواطف الإنسانية ، وتغليبها على العقل وأحكامه ، وبروز الشخصية في أقلام كتائبهم ،

والرجوع إلى آدب العصور المتوسطة ، والآثار الخوالى في ذات بلادهم والوقوف على الآداب الأجنبية وأميز ما امتاز به آدبهم هذا الجديد ، ظهور الشعر الغزلى والغنائى في أفلامهم هذا مع ما اكتسب به آدبهم من تعابير جديدة بنشأة العلوم المتطورة في ذلك العصر . كانت صحافة القديم عندنا ، صحفاً ومجلات سوق عكاظ . كنت تقرأ الأعلام الذين أوتوا معجزات البلاغة وسحر البيان في هرية خالصة ناصعة : أحمد فارس السدياق ، وإليازجى ، ونجيب الحداد ، وأديب إسحق ، والمويلجى ، وتوفيق البكرى ، والمنفلوطى ، والسباعى ، وولى الدين يسكن ، ومصطفى صادق الرافعى ، ومن إليهم .

إنما الآدب فن ، والفن قصر في إحمال فكر ، وإطالة روية ، وإبداع نقش يتلهم ضياء وحسنا . فتخرج الصورة على قدر وافر من الانقان والوقت ، فيها لك متاع واستطابة سمعاً وبصراً وحسناً وإدراكاً . فإذا يؤهلك لذلك إلا الحذق ، والجهد ، والذوق السليم . فإذا أنت تزف إلينا المقال أو القطعة من أدبك صفيها من الكلم الثواقب ، والتأليف المحكم ، والصنعة البارة . فهذا ، وأبيك ، الحسن الذى ما يخرج به للناس إلا الجهد ، والنصب ، ولطف الذوق . والآدب رفيع يتسأى إلى الطبقات العليا ، ويرتفع بمن يتقوه ، إن كان من غير الخاصة ، أى هو لا ينهات ولا يرك ، ولا يكفى ثوب العامية والابتذال . أو يثر رداء العجمة . بل يرفع سامعه وقارئه إلى الفصيح المبين ، والبديع المتين .

أما الزعم بأن الجمهور لا يفهمك إلا إذا هبطت إلى مستواه ، كأن تنزل بقلبك إلى السوقية والزكاة وتجرد كلامك من الجمال ومستلزمات الفن ، فذاوم وخطأ محض ، فالجمهور إن ترتفع به ارتفع معك

وإن تنزل به ، نزل حيث نزلت ، ولا يقول ذلك إلا رجل انقطعت علاقته بالأدب الصحيح ، وعرى من ملكه البلاغة ، ولم يشرب من معين اللغة بالكأس الروية ، ولم يدر أن ما يلتقطه السمع ، ويتعاقب عليه من الألفاظ والمعاني ، إن فصاحا ، وإن سواقط سوقيات ، نطقت به الألسنة ولم تنطق بسواه ، فالطفل إنما يتعلم الكلام بذات الألفاظ التي طرقت مسامعه ، فلو كلبه أبواه بالعامة ، كبر واشتد ساعده لا يتكلم إلا بها ، ولو أخذ الآباء والمربون أنفسهم على أن لا يكلموه إلا بالكلم الفصاح إلى أن يبلغ تمام نموه ، أصبح الفصيح ملكة له واستقام على ذلك ؛ وإن أردته على أن يكلمك بكلام العامة استعصى عليك ونفر نفورا شديدا .

لقد كانت المقاهى البلدية منذ عهد بعيد محفلة فيها إرهاط من الشعب ؛ خليط من عامة الناس الذين لم يدخلوا مدرسة قط : هذا نجار ، وهذا حوذي ، وذلك بدال ، وما أشبه ، يحسون صنوفاً من الشراب الحلال ، ويدخنون (الجوزة) والرجيلة فيقهضون سواد ليلهم يستمعون إلى الفاص الذي استوى على منصة في صدر المنتدى يقص عليهم قصة هزفة بن شداد ، باللغة الفصحى ، والشعر العربي الفصيح ، وكلهم آذان صاغية أنشرفت صدورهم بما سمعوا ، وغدوا يروون ما ووهه من هذا القصص الفصيح ، بما يقرب من نص ألفاظه الفصيحة لغرط تسكراره على أسماعهم ، أو ليس جمهورنا ، وأعني به العامة قبل الخاصة ، هو الذي يفهم ويعتبر بشعر شمرقي ، وما مثله مما تغنيه أم كلثوم ويغنيه عبد الوهاب ؟ أو ليس هو هو الذي كان تغص به المسارح في عهد النهضة الماضية ليُشاهد روايات ، شكسبير وغيرها مترجمة إلى اللغة العربية الفصحى

نثرنا وشعرنا ناصعا جزلا ، بأقلام الكتّاب المبرزين أمثال خليل مطران ، ونجيب الحداد وأنذادها ؟ وأقرأ الأدب ، إن كنت ذا بسطة في علم لغة أجنبية كالفرنسية مثلا ، فانك تجد في أبي صورة ، وأربع نقش ، وأسمى منزلة . حشوه الاستعارة ، وأنجاز ، والمحسنات البديعية . وعندهم من علوم البلاغة ، وقسمي ريتوريك (rhétorique) ، ما عندما ، فتجد الاستعارة ، والتشبيه ، والجناس ، والسكتاية ، والمجاز ، وهم جرا ويعدون من عيوب الفصاحة مثل ما نعهده كخافعة القياس ، والتناثر ، وضعف التأليف ، والتعقيد اللفظي إلى ما هنالك .

وايت شعري كيف صرت تسمع بكتاب فرنسا النوايخ وأدبائها العابقة وتقرأهم ؟ أليس لأنهم هم الأهلون عند قومهم ، لهم منزلة الإبداع في التعبير ، والإجادة في الصياغة ، وروعة الصنعة في تصفيف الكلام ، ونج العبارة ، أمثال روسو وفولتير ، وأنا طول فرانس ؟

واسمع ياسيدي ، ما يقول فولتير في ذلك : «إن المعاني أكثرها في قلوب الناس ، وقد تجد رجلا من عامة الناس وسوادهم ، ما تعلم حرفا ولا تلا كتابا ، فتسمع منه الرأي الحصيف ، والفكر السديد ، ولكنك يلقى إليك على عواهنه ، لإحسان ولا تزويق ، وتسمعه هو عينه من رجل من أصحابنا حفا من الثقافة ، أوتي حلالة القول ، وبلاغة التعبير ، فيجد من نفسك مزلجا عجبا ، وتطرب له طربا جما . وكان ما جاء به فكر جديد ، وأنه لم يكن هو نفسه الذي اسمعك إياه ذلك الرجل الساذج » .

لعل فيما أوردتك الحجة الصادقة لفئة منا أرادوا بالأدب القديم ، نثره وشعره ، السوء . وهمي أن نكون أوعيناها أذنا وإعية .

أحمد أبو النضر ماضي

الأزهر بين القديم والحديث

للأستاذ محمد علوى عبد الهادى

الدراسى نصف سنة . وعندما يستشعر الطالب القدرة على الامتحان يتقدم الأستاذ فى أى وقت يشاء ليمتحنه فيحدد له هذا موعدا تتخبط به إدارة الجامعة لتوافق عليه والامتحانات نوعين محليّة Colloquium وحكومية Rigorous فالامتحان المحلى وادل الاختبارات الدورية عندنا يعقده الأستاذ أو أحد مساعديه بمحضروهما وعادة يكون فى أحد فقرات البرنامج الدراسى كل فقرة على حدة ، أما الامتحانات الحكومية وتعادل امتحان نهاية الدراسة السنوى أو امتحان النقل فتم بمحضرو متجن يمثل وزارة المعارف مع الأستاذ المشرف ، فى الموعد الذى وافقت عليه إدارة الجامعة وتعلن النتيجة لها ، فيمنح الطالب شهادة بنجاحه إن كان ناجحاً ، أو يترك للتقدم مرة أخرى إن ركب وعندما يحصل الطالب على عدد من شهادات النجاح فى الامتحانات الحكومية التى تقرها اللائحة يسمح له بإجراء بحوث معملية إن كان من أصحاب الدراسات المعملية أو نظرية إن كان من أصحاب هذه الدراسات لمدة حوالى سنتين (١-٤ فصول دراسية عادة) يتقدم فى أعقابها برسالة مكتوبة يمتحنه فيها ثلاثة أساتذة كل على حدة فى الجوانب المختلفة المتعلقة بموضوع البحث ويمنح بعدها درجة الدكتوراه .

ويعين طلاب البحوث وحاملوا الدكتوراه عادة فى الجامعة كمساعدين وهى وظيفة تعادل معيد عندنا ومهمتهم مساعدة الطلاب فى فهم الدروس ، ويتم تعيين المحاضرين من بين هؤلاء المساعدين عقب اختبار عام تجريه هيئة الأساتذة مشتركة ويعين

احتفل يوم السبت الرابع من ذى القعدة من العام الماضى بافتتاح الدراسة فى القسم العالى بجامعة الأزهر لتكون الدراسة فيه إحياء واستمراراً للأزهر فى قديمه . وإذ شاركت فى الاحتفال وهزنتى فرحة الأخوة من المعايخ الأجلاء بعودة تراث قديم نشئوا فى رحابه وعاشوه شبابهم وصباهم . فقد كان الأمر فى نظرى أعمق وأخطر .

فإذا اتصلت فى الأسباب بالتعليم الجامعى فى مصر والخارج . ومنذ أن اطلعت على نظم التعليم الجامعى فى النمسا وألمانيا وبعض البلاد الأوربية الأخرى التى كانت تابعة للإمبراطورية النمساوية القديمة ، والامسى يملأ القلب لما أصاب أسلوب التعليم وشكله فى الأزهر من تغيير .

فلقد كان نظام التعليم بالأزهر هو النموذج الذى نقلت عنه أوروبا فى بداية نهضتها هذا النظام القائم على احترام الأستاذية وإعلاء شأنها وجعل اختيار الفرد لهذه الوظيفة السامية متوقفاً على قدراته الذاتية وعلى تحصيله - هو النظام السائد الآن فى جامعات النمسا وغيرها من بلاد هذه الإمبراطورية السابقة . فالدراسة فى هذه الجامعات مفتوحة حتى ينتهى الطالب بالأجازة العالية المسماة بدكتوراه الفلسفة . Dr. PHIL . وليست هناك مواعيد محدودة للامتحانات العامة ، إنما يسجل الطالب نفسه فى إدارة الجامعة للاستماع لعدد من المحاضرات أو الدروس المعملية لا تقل عن ساعات محدودة أسبوعياً من جدول المحاضرات الجامعية الذى تنشره الجامعة فى أول كل فصل دراسى . والفصل

وكان الطالب الذي لا يرغب في البقاء بالقاهرة يحصل على العدد من الإجازات من المشايخ في شتى فروع العلوم ونقلا ما يعد نفسه له .

أما إذا كان ينوى البقاء في القاهرة ومزاولة التدريس بالأزهر ، فإنه يلتمس الإذن له بالتدريس وعندهئذ يخضع له جانب ويحضر دوسه الأول شيوخته وجميع الطلاب ، فإذا انتهى من درسه تعرض لعواصف من الأسئلة والاستفسارات من الطلاب والمشايخ ، فإذا ثبت لها وأثبت قدرته أجاز للتدريس بالأزهر ، أما إذا اضطرب وغانه التوفيق ، عاد ليجلس إلى شيوخته يستزيد منهم العلم . ألا ترى معي أن النظام النسائي قد أخذ روح نظام الأزهر وأعطاه اشكلا محسنا .

والأ ترى أن الأزهر في تيارات الإصلاح المتعاقبة منذ سنة ١٨٧٢ حتى سنة ١٩٦١ قد ترك تقاليد عبرت معه القرون ليأخذ بشكل لا روح فيه^(١) . إن قصة الإصلاح بالأزهر - واست هنا لارويها فهي معروفة للشيخ الاجلاء الذين أردت أن أسوق هذا الحديث إليهم - ترتبط أشد الارتباط بقصة الشعب المصري كله منذ أن بدأت يقظته قبيل عهد الحملة الفرنسية حتى الآن ، وهي قصة تشابكت فصولها واختلطت أحداثها واختلطت الأسباب بالمسببات ، وقد نشأ عن هدم وضوح الرؤيا أن ضلت كثير من حركات الإصلاح السبيل .

(١) من بين تلك الحملة التي نبذت في حق الإصلاح ما خلفه الأزهر من تراث على يعرفه بالأمالى ، وهي مجموعة الدوس أو المحاضرات التي كان يلقيها المشايخ ويعيدها المستمعون في أرواقهم ثم ينشرونها بعد اعتمادها من الشيخ ، وهذا النظام كان ممولاً به في الجامعات المصرية لهمد قريب حيث كانت يقوم الطلاب بطبع محاضرات الاساتذة في ملازم كما يقوم بعض الطلاب بالجامعات الأجنبية بطبع محاضرات الاساتذة وبيعها لزملائهم .

الناجح في وظيفة محاضر خاص Privat Dozent ويدوج اسمه في كشوف المحاضرين أول كل فصل دراسي ويكون مسئولاً عن تدريس مقرره بعينه ويسجل الطلاب أسماءهم في أول كل فصل دراسي لدى المحاضر الذي يروق لهم ، وعادة يأخذ المحاضر الخاص أجره من المصاريف الدراسية التي يدفعها الطلاب في أول كل فصل دراسي ، وإذا ما أثبت المحاضر الخاص جدارة في التدريس ، وفي البحث العلمي ، وأصبحت له مكانة وسمعة في الوسط الجامعي بين الطلاب والاساتذة عين محاضرا رسميا ويحصل على مرتبه من ميزانية الدولة .

ويختار الاساتذة أو رؤساء المعاهد^(١) . من بين المحاضرين الرسميين إذا خلا محل أو إذا أثبت المحاضر من واقع أبحاثه وقدراته العلمية جدارته بأن يرأس معهدا من معاهد الجامعة^(٢) .

قانون هذا مما كان عليه الأزهر في قديمه .

كان الطالب يسجل^(٣) اسمه لدى شيخ معين يتلقى عليه العلم في مادته حتى إذا أنصر في نفسه القدرة طلب من الشيخ إجازته ، فإذا وجدته الشيخ كفتا منحه إجازة بذلك يذكر فيها ما تلقاه الطالب وما أتقنه ويختتمها بالدعاء له بالتوفيق .

(١) يسمى القسم معهدا ويرأسه أساتذة المادة ويكون مسئولاً عن إدارة شئون الدراسة والأبحاث والاساتذة والمحاضرين والمساعدين أن يقوموا بجوئهم داخل للعمل ويجوز لهم أن يقدموا الخبرة وللشورى إلى الهيئات الخارجية بأجر لهم ، وفي كلية الطب يجوز لهم استقبال مرضاهم الخصوصيين في مستشفيات الجامعة وفي عياداتها الخارجية ويحصلون على ٩٠٪ من الأجر التي يدفعها لاضى العلاج .

(٢) قد يسمى أحيانا الأستاذ في هذا الحلة أستاذ زميلا

Assotcie Parofessor

(٣) كان تسجيل الأسماء تقليدا هنيئا منذ بدأ ابن النعمان محاضراته الأولى في الأزهر سنة ٩٧٢ .

وبعث هذه الروح وإشاعتها في الناس ، رسالة سامية ، أمانة في عنق كل مسلم قادر .
والأمر لها ، يستدعى أن تجتمع القلوب وترضى وأن تشرق النفوس بضياء المحبة وأن ينطلق الجميع رحما بينهم ليجتمعوا على تحقيق هذا الهدف .
وأن يتساح كل عن بعض ما يظنه صوابا أو أصولا ، فلا يضيق المنهجيون بترك الصورة إلى المضمون ، ولا يلزم أن يضيق أهل الحقيقة ، بالتمسك بالشرعية .

ولذا كان إهدار الحلقة والانتقال إلى المندرج قد اعتبر في عرف أقوام إصلاحا أفكره قوم آخرون ، فعمل افتتاح الدراسة في القسم العالي لا يضيق به قوم ويفرح به أقوام .

ولعل التقاء النظامين معا ، يعني معنى آخر . هو بلا شك إضاءة مستقبلية واعية ، تسعى المرونة لتحقيق لسلك نفس هداها فلا تلبث نفس على هوى وتنطوى أخرى على مرارة ، بل يمسد الجميع في النظامين شفا .

والأهم بعد ذلك أن يستشعر الناس حرية العلم وحرية التعليم . وتتخلص الأجيال المقبلة مما عاناه هذا الجيل من صراع حطمت طاقات هذا الشعب وأوقف تقدمه منذ بدء يقظته الأولى حتى قيام الثورة .

والسبيل إلى ذلك ليس بمجرد العودة إلى الحلقة كما سجن القول بل هو في انبعاث روح جديد . وحتى يتهيأ هذا الانبعاث ، يقتضى الأمر وقفات طويلة من التأمل ، تحلل فيها أحداث التاريخ انتدس الطريق وسط متاهاته إلى مصدر الداء الذي أصاب المسلمين بالوهن ، فإذا عرف الداء أمكن الناس السبيل إلى الدواء .

محمد هادي عبد الرهادي

ولما كان السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، قد نقل حركة الإصلاح من صفوف المصلحين المغلوبين على أمرهم ، إلى كرسى الحكم وصولجان القوة ، فإن حركة الإصلاح التي أشعلها قد أضاءت العالم العربي والإسلامي والإفريقي ، فتألفت إلى مصر يستمد منها العون والمدد والتأييد وأي شيء في مصر أشهر من الأزهر وأثبت مكانه في قلوب الناس في مشارق الأرض ومغاربها ، لذلك لم يكن غريبا أن تسيطر الأضواء على الأزهر وتبرز الحاجة إليه ليساند دعوة الإصلاح والتحرر والجد ، وليعدها من يقودها ويغذيها .

ولهذا فمسئولية الأزهر الآن لم تصبح مجرد دوره التعليمي على جلاله شأن هذا الدور ولا كونه مستودع الفتيا ردار البحث والاجتهاد .

ولكن الأزهر مسئول الآن ، ولعله يجعل الآن وحده هذه المسؤولية ، هو مسئول أمام الله وأمام هذا الجيل والأجيال القادمة ، من إعادة البعث ، إعادة بعث روح الإسلام تلك الروح التي همرت جوانبه وملأت جوانح المسلمين من قبله فانطلقوا هرب الصحراء ، لينشروا في العالم رسالة المحبة والسلام والعزة والكرامة والقوة .

هو مسئول أن يقدم للإنسانية جمعا : الإسلام روحا حية متحررة ، تواجه مطالب الحياة وتحل أزمت الفرد والأمة والجماعة ، وترسم الطريق للإنسان المسلم لبشق سبيله في هذا العاصروسط زحام التيارات والأفكار المذهبية المستوردة أو التي رسبتها أحداث القرون الماضية ووسط احتياجات المجتمع "صناعي الغريب على فقهاء المسلمين الأوائل وبين شرور المفاتن التي يبتها أعوان الشيطان في كل وقت وأن لتلاسمه وتشد بصره .

العلم لا يغني عن الدين

للأستاذ محمد إبراهيم الجيوشي

بمعاني الإنسانية النبيلة وقيمتها العليا من غير تفريق بين جنس وجنس ، ولا بين لون ولون .

وبما لا شك فيه أن الاتجاه السائد في أمم الحضارة الغربية من الاهتمام بالناحية الفكرية والسير في طريقها إلى أبعد الغايات قد حقق للإنسان تقدماً حضارياً باهراً ، وممكنه من التحكم في قوى الطبيعة والوقوف على أسرار الكون .

ولكن هل استطاع هذا السلاح الجبار الذي يحضر له كل قوى الكون أن يبدط عليه جناح الأمن .

إن الإنسانية في عصرها الحضاري الزاهر لازالت تنوق إلى الحطّات تنعم فيها ببرد السعادة ، وتبعد عن أحلامها أغوال القلق اندسر الرهيب ؛ وإذا كانت هذه هي نتيجة هذه الأساليب ، فإذا عند الإسلام ؟ وما الذي يمكن أن يقدمه للإنسانية لينشلها من هذا اللجج المتلاطم الذي أغرق سفينة أمنها واستقرارها ؟

إن علينا أولاً - قبل أن ننهي إلى الإجابة عن هذا السؤال - أن نبحت عن الخطوة التي رسمها الإسلام للإعداد والتوجيه ، وأن نتعرف خطاها النظرية ، ونعرض بعض تطبيقاتها العملية ، لكي نرى إذا كان من الممكن حقاً أن يحقق الإسلام بمنهجه للنفس الإنسانية التقدم الرفاهية ، والسلام ، أو أنها دهوى لا يسعها التطبيق العملي .

ونبادر فنقول : إن الإسلام ينظر إلى الإنسان نظرة شاملة تتناول كل جوانبه المختلفة ، ويشرع لكل منها ما يحق لها النور والاطراد إلى جانب الاتساق التام مع بقية الجوانب الأخرى ، والتعاون

نحن والحمد لله نملك أمن ثروة من المثل والقيم والمبادئ في العالم . وهي ثروة قادرة على تحقيق سعادة الإنسان ، وعلى أن تهني له الأثران النفس والروح الفكري إلى جانب السبق الحضاري ، والوقوف على أسرار الكون بكنه الحياة ، ولكنتنا لم نقف على حقيقتها وقدرتها على صنع سعادة البشر وتحقيق رفاهية الإنسان على هذه الأرض .

ولهذا كان لا بد لنا أن نتردد دائماً من هذه المبادئ بما يمكننا من الوقوف في وجه المغريات في قسوة لا تعرف المحور ، والرد على الطاعنين والمتعصبين والحاقدين حينما يتناولون ديننا بالغمز لا أن ننظر نظر البلهاء ، ونحن نستمع إلى الطعن في ديننا والأضرار على عقائدها ، وهي في الواقع افتراءات لا تمت إلى الحقائق بصلة .

ولكي نكون منصفين لأنفسنا قبل إنصافنا لغيرنا نرى لوأما علينا أن نستعرض الخطوط العريضة لأساليب التربية في العالم ، ونضع بإزائها أساليب الإسلام في تربية الأفراد ، وإعدادهم للحياة .

أما هذه الأساليب فتراها تركز على جانب من جوانب القوى الإنسانية ، وتحمل بقية الجوانب الأخرى ، فبعضها يركز على تربية القوى الجسمانية وبعضها يركز على تربية القوى الروحية وبعضها يركز على تربية القوى الفكرية في الإنسان ، وهذه النظرات التي تلونت على أساسها أساليب الإعداد والتوجيه تبعاً لاختلاف المبدأ الذي صدرت عنه لا يمكن أن تعد الإنسان السوي الذي يعمق إحساسه

في ميدان الجسم أو العقل أو الروح ، والعبادات الإسلامية كلها تجمع بين هذه المعاني وتبرز هذه الخطوط ، وما ذلك إلا لأن العقل والروح والجسم وحدة يتكون منها الإنسان . حقاً إن لكل منها ميدانه وبجانه ، ولكنها مع ذلك لا يفك واحد منها عن الآخر ، وأول ما ركز الإسلام ركزه على الجانب الروحي ، لأن النفس إن سلت طواياها ونظفت حناياها ، واستضاءت بصورتها سارعت إلى جلب الخير للإنسان وتنافس في تقديم العون له ولازماً ركز الإسلام على تحقيق السلام الداخلي للنفس الإنسانية لأن الإنسان إذا كان مدفوعاً من داخله بالرغبة في السلام انسكست هذه الرغبة على كل أعماله كلها ، وأصبح يسيراً على الناس أن يحققوا السلام بينهم ، وهذه القوة الدافعة الموجهة هي التي يسميها الباحثون المحسوثون (بالضمير) ولعلماء الإسلام بحوث مستفيضة في هذه الجوانب ليس المجال محتملاً لها - ولعل في قول النبي صلى الله عليه وسلم « لا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله ألا وهي القلب ، أقول لعل في هذا القول المضيء الموجز ما يشير إلى التفسير الذي ذهبنا إليه .

وإلى جانب عناية الإسلام بالجانب الروحي في تربية المسلم وإعداد نبيه إلى العقل وقيمه في إدراك الحقائق ، والتعويل عليه في معرفة الكون والحياة ، واتخذ القرآن منهاجاً فريداً في التدليل على قدرة الله والإقراء برؤيته ، وذلك بلفته الأنظار إلى بدائع مخلوقاته في السموات والأرض ، وأثر حكمته في تقدير الأمور وضبطها ، ثم التعقيب على ذلك بلفت الإنسان إلى التفكير والتدبر والبحث حتى يقف على سر الكون وكنه الحياة ، فينبئ ويشيد

مع كافة القوى العاملة في النفس الإنسانية من غير أن يسمح بطغيان واحدة منها على الأخرى .

لأنه ينظر إلى الإنسان : جسمه وعقله وروحه ، إلى حياته المادية ، والروحية ، وألوان نشاطه في شتى ميادين الحس والعقل والروح .

وعن طريق النظرة الشاملة ، والتناسق بين القوى المختلفة في النفس الإنسانية يحقق الإسلام التوازن النفسي للبشر ، وهو الدعامة الأولى التي لا بد منها لكي نبني فرداً سوياً ، ومجتمعاً قوياً ، وأمة قتيبة . وإنما كان ذلك كذلك : لأن الإسلام دين الفطرة ومبادئه أوحى بها من يعلم خفايا النفوس وأسرارها . فطرة الله التي فطر الناس عليها ...

أما وسائل النظم الأخرى ، فهي من صنع البشر ، والناس معها بلغوا من المقدرة الفكرية لا يستطيعون أن يتخلصوا من سلطان الوراثة ، ولا من أثر البيئة ، فأى توجيه أو تخطيط أو تفكير إنساني ، إنما هو خاضع لمؤثرات البيئة والوراثة من غير أن يشعر صاحبه ، وأيس ذلك عيباً فيه ، لأنه بذلك يصدر عن الطبيعة التي فطره الله عليها .

وآية ذلك ما نراه من الصراع الرهيب بين ممسكات الأرض التي تتنازع على سيادتها والتحكم فيها ، وسبب ذلك كله أن النظرة التي بحثت في آفاق العلم ، وجابت في نواحيه لم ترتبط بمثل أهل تسعى إليه ، ولم يكن عملها هذا استجابة لدعوة أخرى هي دعوة الله إلى التفكير والعمل ، ومراقبته حينما تفكر وتعمل ، وهذا هو الفصيل بين الإسلام وغيره من النظم .

فكل عمل أو تفكير أو سعي في الإسلام مرتبط بالله مقصود به وجهه سبحانه سواء كان

حينما أشار إلى أن زواج الأقارب ربما يكون سبباً في ضعف النسل وقد أكد العلم الحديث هذه الحقيقة وقال : إن الزوج بالقربيات يجعل الأولاد عرضة للأمراض أكثر من الزوج بغير القربيات ، وقد سبق الإسلام إلى ذلك منذ أربعة عشر قرناً حينما قال على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم : « اغتربوا لا تضربوا ، أى لا تضعفوا » .

وبعد ما وجه إلى الأساس السليم الذى تنشأ على أساسه الأجيال المتعاقبة ، دعا إلى التربية السليمة والإعداد القوى لتكوين الأجيال أصح أجساماً وأقوى بنياناً ، وشجع كل ما من شأنه أن يحقق هذه الغاية من غير عدوان أو ظلم حتى قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل ، بعد أن سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إن لبدنك عليك حقاً ، ونهى هؤلاء النفر الذين تعاهدوا أن يقوموا الليل ولا يناموا ، ويصوموا ولا يفطروا ، ويتجنبوا النساء بقوله : أما أنا فأصل وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج الفساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » ، فهل استبان لنا بعد ذلك أن الإسلام قار على تلبية حاجات الروح والعقل والجسد وأنه من من أنظم التربية ووسائل الإعداد ما يجعل المسلم قوياً في روحه فيتحمل المصاعب ، ويتغلب على العقبات ، قوياً في عقله ، فينتشى ويعمر ويبقى ويبحث ويكتشف ويخترع ويحقق السعادة لبنى الإنسان ، قوياً بدنه فلا يكسل ولا يخمل ولا يفتنه العلل وتنشئه الأسقام حتى قال نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، ؟

ويعمر ويخترع ، ويجوب آفاق المجهول ، ولكن ليعقق سعادة الإنسان ويعمر في الأرض ، ويحظى برضا الله الخالق الباري المصور .

ولنلق بأسماعنا إلى بعض آيات الكتاب الحكيم التى تهدف إلى هذه الغاية ، يقول سبحانه في سورة (ق) : « أقم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها روائى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ، ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد ، رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج » .

وما أجدر الشباب أن يمشى على الطريق ويحمل الراية ، ويبنى كما بنى الأسلاف على أساس أصيل من دعوة القرآن إلى المعرفة ، ووقف هذه المعارف على خدمة الإنسان ورفاهية البشر ، بدلا من أن تكون سلاحاً يدر حياته ويقضى على أمنه واستقراره .

أما الجانب الأخير فلم تكن غاية الإسلام به أقل من سابقه ، فكما نشد الإسلام الإنسان القوى الروح ، وهياً السبيل لياخذ العقل بسبيله السوى إلى البحث والدرس والتأمل والإبداع وربط كل ذلك بالمثل الأعلى ، واعتبر كل جهد في هذه السبيل عبادة يتقرب بها إلى الله ، وعملاً ينال المرء به ثواب خالقه ، كذلك دعا إلى أن يكون المسلم قوياً في بدنه وأعضائه سليماً من النقص والآفات والأسقام فوجه المسلم أولاً إلى أن يتخير لأهله فقال : « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس ، وهذا التوجيه كشف عن أثر الوراثية في الأجيال بل زاد على ذلك

الدراسات الإسلامية وعلاقتها بالدراسة القانونية للأستاذ عباس طه

الحرام فانسمت المسافة بين مذهب وآخر ، ثم بدأت هذه المذاهب تقل باندثار بعضها حتى انحصرت في المذاهب الأربعة المعروفة ومذهب داود الظاهري الذي عاش فترة أطول ، ثم فشل أتباعه ولا يزال منهم بقية إلى اليوم .

أما المذاهب الأربعة المشهورة فأقدمها هو مذهب أبي حنيفة - وهو المذهب الذي كفل الحرية الفكرية للمسكن الأول وهياً بجالا واسماً لأعمال الرأي والاعتماد عليه .

وقد ولد أبو حنيفة النعمان صاحب هذا المذهب بالكوفة عام ٨٨ هـ ، وكان جده من الموالى الفرس . وكان من المنتصرين للعلويين ، ووضع بضع رسائل صغيرة ، وجمع تلاميذه من بعده مجموعة الأحاديث التي كان يعتمد عليها في أعماله الفقهية ، كما وضع مؤلفاً في العقائد لا يثق الكثرة من المؤرخين بنسبته إليه .

وعلى الرغم من أن أبا حنيفة لم يكن مؤيداً للسياسة العباسية لغيت تعاليمه لديهم وراجا ووصلت على يد تلاميذه الأول إلى مرتبة الحكم واتخذ الصيغة الرسمية لإبان عصره .

وأبرز تلاميذه وأولهم هو أبو يوسف المتوفى سنة ١٨٣ هـ ، وهو صاحب كتاب الخراج الذي أهداه إلى الخليفة هرون الرشيد ، وتولى القضاء ببغداد في عصر الرشيد وعصر المهدي .

ونال هذا المذهب تصفيته الأخيرة على يد محمد

أكثر ما اهتم به المسلمون من فروع المعرفة الإسلامية هو درس القرآن والحديث ، وتركزت الدراسة بآدى ذى بدء على استخلاص القوانين والأحكام الشرعية ، فبعد عصر الرسول صلى الله عليه وسلم دعت الحاجة وتجدد الحياة إلى استعمال الرأي في كثير من المسائل ، وكان لا بد - ليكون الرأي إسلامياً - أن يرتكز على القرآن والحديث حتى لا يكون رأياً شخصياً منبثقاً عن أصول الإسلام .

وبعد أن انسمت الفتوحات وتنوعت المراكز العقلية تباينت البيئات وتباين تبعاً لها اتجاه الفقهاء ، وأبرز ما ميز اتجاهاتهم هو حظوظهم المختلفة من الأحاديث ومقدار ما صح منها لدى مجتهد أو فقيه ، فالبيئة الحجازية توفر لها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة أهله ما لم يتوفر لآية بيئة سواها ، وبيئة العراق واجهت من مشاكل الحياة وأعمال الزراعة ومستلزماتها ما لم يواجهه الحجازيون ، وكانت الفترة التي سبقت تمذهب المذاهب وظهور الأئمة المجتهدين فترة فقياً يرجع فيها إلى البارزين من رجال الفقه والدراسة الإسلامية القانونية ، وفي القرن الثاني ظهر عدد من المجتهدين كان لكل منهم أتباع قليلون أو كثيرون ، واختلف المجتهدون في مدى تقيدهم بالآثار أو جراتهم على استعمال الرأي كما اختلفوا في مدى التضييق والإباحة ، ونظر بعضهم إلى حاجة الناس وتطور الحياة ونظر آخرون إلى مبدأ الحيطة والبعد عن

فهو مذهب الشافعية أسسه محمد بن إدريس الشافعي وكان يطلب العلم أول أسره على الإمام مالك فلما فرغ منه اتجه إلى العراق ثم إلى اليمن حيث تعرض لتهمة سياسية سيق للمحاكمة عليها في العراق فأقام به فترة . وقد قامت بينه وبين محمد بن الحسن الشيباني مناظرات معروفة كشفت عما يمتاز به الشافعي من مهارة وذكاء وقدرة على استنتاج الأدلة وتعمقه في درس الآثار .

ومذهبه وسط بين المذهبين الأولين يأخذ بجانب من الرأي وجانب من الآخر ووجد مذهب أنصارا في جهات عديدة وبقي من مؤلفاته كتابه الأم الضخم وهو مجموعة من الرسائل رواها تلميذه البيهقي وكان وقد وضع رسالته الأولى بالعراق ثم عدلها في مصر وأقام عليها مذهب الجديد .

ويجمع هذه المذاهب الثلاثة نوع من القسامح وجمع بين الرأي والحديث ثم جاء المذهب الرابع على يد أحمد بن حنبل وهو شديد التقيد بالحديث قليل الأخذ ببحرية الرأي وقلة تسامحه سببت قلة أنصاره . وأحمد بن حنبل تلميذ للشافعي ببغداد ويعد من المحدثين وقد لقي محنته المشهورة على يد المعتصم لامتناعه عن القول بخلق القرآن .

وقد قل أنصار هذا المذهب وكاد يضيق جداً حتى أتبع له أن يحيا على يد محمد بن عبد الوهاب بالحجاز .

ومن مجموع هذه المذاهب الأربعة الآن يمكن أن نستخلص مجموعة واسعة منظمه من القوانين التشريعية يختلف جوانبها وهذه القوة في القانون الإسلامي مما لم يتوفر مثلاً في أية نحلة أخرى .

عبد الله طه

ابن الحسن الشيباني وهو ممن تقولوا على أبي حنيفة نفسه في بادىء الأمر ، وأتم الدراسة على أبي يوسف ، واختتمها في المدينة على الإمام مالك مؤسس المذهب المالكي المعروف بتمسكه بالحديث . وكان لهذه الدراسة أثر في اجتهاده بخالف في بعض المسائل أستاذه وتوفي سنة ١٩٠ .

وقد اهتمت الأجيال المتعاقبة بتسكلة بقاء هذا المذهب الحنفي وكثرت فيه المؤلفات فلما قصر القضاء الشرعي في مصر عليه نال اهتماماً أكثر وكثر أتباعه ومقلدوه واشتهرت فيه مؤلفات السكال بن المهام والتدويري ولا تزال كتبهما تدرس إلى الآن وتعتبر مرجعاً هاماً في المذهب .

والمذهب القشيري الثاني ظهر به مالك بن أنس بالمدينة وتوفي مالك سنة ١٧٩ هـ .

ويختلف مالك عن أبي حنيفة في جعله الحديث قبل كل شيء مرجع الأحكام والتشريع وترك مؤلفه الكبير الشهير المعروف باسم الموطأ ولم يحو كل الأحاديث التي أخذ بها كما أنه كان يسقط منه أحاديث لا يطعن لها ولوجوده في المدينة المنورة ووفرة الحديث حوله ومعرفة الكثير من أحوال النبي وأعماله اعتمد على الحديث واتخذ أهل المدينة قاعدة يعتمد عليها في بناء الأحكام ، وانتشر مذهب في غرب العالم الإسلامي وخاصة في شمال افريقية وفي الأندلس ، ووضع تلميذه عبد الرحمن ابن القاسم كتاب المدرسة وهي متنازعة بينه وبين أسد بن القرات ولكنها قوام المذهب في دراسته ثم وضع أبو زيد القيرواني رسالته المشهورة خلال القرن الرابع فالت رواجاً واسعاً .

وتوفي أبو زيد سنة ٣٩٠ هـ .

أما المذهب الثالث من المذاهب السنية المعروفة

فِنْ نَحْوَتْ حَمَّجَ الْجَوْتِ

التَّامِيَّةُ

لِلأستاذ على الخفيف

- ٤ -

أو شجرة واختلفت الرواية عن أحمد في حذيفة من الحدائق هل يجوز بيع ما فيها من الثمر جميعاً أم لا يباع إلا ما صالح منه على روايتين : رواية بالجواز لأن صلاح البعض يدل على الأمن بالنسبة للباقي وهذا اعتماد كثير من أصحابه ، ورواية لا تجوز إلا لبيع ما صالح .

هذا ويقول ابن تيمية كذلك في فتاويه : إنه لا يصح أن يقاس كل هقد فيه غرر على بيع الغرر في هدم الجواز إذ أن كثيراً من العقود لا يكون فيها المسال مقصوداً فإذا كان فيه غرر لم يؤد ذلك إلى مفسدة .

وأما ما كان من العقود خارجاً عن المعاوضة وليس فيه معنى التبرع والإحسان كالزواج فقد اغفر فيه من الغرر ما لا يغتفر في عقود المعاوضة فبينما يرى أن الحنفية لا يجوزون بيع فرس أو هبد يرى أنهم يجوزون أن يكون المهر فرساً أو هبداً ويوجبون الوسط وإلى هذا ذهب المالكية ومنعه الشافعية وهمل المجوزون ذلك بأن المسال ليس مقصوداً في عقد الزواج ؛ فلا يكون مثلاً للشاحنة والضنة ، ولا يتوقع بسبب ذلك فيه نزاع بخلاف البيع .

قال ابن تيمية : إن مفسدة الغرر أقل من مفسدة الربا ولذا رخص فيما تدهو إليه الحاجة مثل بيع المقار وإن لم يعلم ما بداخل جداره وكذلك اختلفوا في بيع اللبن في الضرع : منعه بعضهم إلا أن يحلب ، وأجازوه بعضهم إذ أجاز مالك بيع لبن الغنم أياما معدودة إذا كان ما يحلب منها معروفا في العادة ولم يجر ذلك في الهاة الواحدة .

وقال أيضاً في فتاويه : أشد الفقهاء قولاً في الغرر أبو حنيفة والشافعي ؛ فقد أدخل الشافعي فيه ما لا يدخل فيه غيره مثل بيع الحب في قشره كالبنديق واللوز والجوز والحب في سنبله إذ منع ذلك في الجديد وجوز ذلك أهل الرأي ومالك وقد روى عن الشافعي أنه رجع عن هذا القول فأجازوه واعتفروا الغرر في إجارة الأجير بطعامه وكسوته - وأجاز جمهور الفقهاء الجهالة في المهر كعبد ومهر وأوجبوا في ذلك الوسط - وكان مذهب مالك أوسع المذاهب في الغرر فجوز معه ما تدهو إليه الحاجة أو ما كان فيه الغرر محتماً لا يؤدي إلى نزاع كبير المقاتي جملة وبيع ما غيب بعضه في الأرض كالجوز والفتل والفجل ومنع ذلك الشافعي ، وجوز بعضهم بيع جميع ثمر البستان إذا بدا صلاح بعض نخله

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما جاء في مسند أحمد عنه صلى الله عليه وسلم يدل على أن علة المنع في الغرر يؤدي إلى نزاع هي عاقبته أما ما لا يؤدي إلى نزاع فقد أجازاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألا يرى أنه أجاز السلم فرخص فيه على الرغم من أنه نهي عن بيع ما ليس عند البائع والسلم منه وإنما أجاز ذلك حين رأى الفارس يتعاملون به دون نزاع يترتب عليه بينما يرى أنه نهي عن بيع الثمر قبل بدو صلاحه وقد كان الناس يتعاملون عليه حين قدم إلى المدينة وذلك لما رأى من حدوث النزاع بسببه وما في عقود التأمين من غرر وأن حد أنها تتضمنه - غرر لم يؤد إلى نزاع على كثرة تعامل الناس به وشيوعه فيهم وانشاره في كل مجال نشاطهم الاقتصادي وعليه فإذا كان فهو غرر لا يترتب عليه منع ولا خطر .

ذلك ما يتعلق بالغرر — أما ما يتعلق بالجهالة فليس تمنع صحة العقد بل يفرق في الحكم بين جهالة تؤدي إلى هدم إمكان تنفيذه أو إلى نزاع فيه وأخرى لا تؤدي إلى ذلك — فالنوع الأول منها يمنع صحة العقد مثل أن تباع شاة من قطيع تغاوت أحاده دون تعيين فإن البائع يرغب عادة في إعطاء المشتري أدناه ، والمشتري يرغب عادة في أن يأخذ منه أعلاه فيتنازعا ولا يؤدي ذلك إلى هدم التنفيذ . أما الجهالة التي لا تؤدي إلى مثل ذلك فلا تؤثر في العقد كالمالك لو صالح شخص آخر على جميع الحقوق التي له قبله فظهير يدل على معنى دون أن يعرف ماله قبله من حقوق ، فإن الصلح يصبح وتسقط جميع الحقوق في ذمته فلا يكون للصالح أن يطالب بحق سابق على هذا العقد ذلك لأن جهالة هذه الحقوق لا تحول دون سقوطها بالصلح ولا تؤدي إلى نزاع مع هذا الوضع وهذا بخلاف ما لو صالحه على بعض

وجملة القول أن الغرر الذي عبده الفقهاء مانعاً من جواز المعاملة هو ما أدى إلى نزاع يدل على ذلك ما روي عن زيد بن ثابت : كان الناس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبايعون الثمار فإذا جدد الناس وحل تعاطيهم ، قال المبتاع : إنه أصاب الثمر عاهات يذكرونها ويحتجون بها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كثرت عنده هذه الخصومات : لا يتبايعوا حتى يبدوا صلاح الثمر ، وروى أحمد في مسنده قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونحن نتبايع الثمار قبل أن يبدوا صلاحها فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه خصومة فقال : ما هذا ؟ ف قيل له : إن هؤلاء ابتاعوا الثمار ويقولون : أصابها الدمان والعشام . فقال صلى الله عليه وسلم : لا يتبايعوها حتى يبدوا صلاحها ، فقد ثبت أن سبب نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ما أفعت إليه من الخصام والنزاع .

ذلك ما يتعلق بالغرر وما يصلح منه سبباً لمنع المماوضة وما لا يصلح وقد تبين مما سبق اختلاف الفقهاء في تقدير ما تضمنه . فبعض العقود فحهم من اعتبره كثيراً فحهم من اعتبره قليلاً فلم يمنعها وقد استظهرنا أن مرد ذلك التقدير والاختلاف فيه إلى ما قد يؤدي إليه هذا الغرر الذي هو محل النظر أي يؤدي إلى نزاع فيمنع أم لا يؤدي إلى نزاع فلا يمنع ولا شك أن لتعارف الناس في معاملاتهم الأثر في ذلك فما تعارفوه دون نزاع يجب أن يجوز لعدم المفسدة المترتبة على الغرر فيه أما ما لم يتعارفوه فهو الذي يكون محل النظر والخلاف وما يظن أنهم يتعارفون فقد يحوى غرراً يؤدي إلى نزاعهم ، ثم يشيع بينهم ولا يتركونه إذا المقبول أنهم إذا تعاملوا به فتنازحوا تركوه ولا شك أن مثل هذا يكون غير جائز وما ذكرناه مروياً عن زيد بن ثابت عن

وإذا كان مع شركة من الشركات التي أسست لهذا الغرض فإن ما تبشره ابتداء من هذه العقود تحوى فيما يرى من الجهالة والغرر ما يظن أنه يؤدي إلى فسادها ويمتنع معه جوازها ولكن بعد تكاثر العقود بالقدر الذى نوهنا عنه فيما مضى ينقلب ما فسد منها صحيحا ويكون ما يعقد منها لذلك صحيحا لانتفاء ما فيها من الجهالة والغرر بسبب ذلك إلى الضالة التي لا يمتنع معها تعاقد بل يقبل ما هو أشد من ذلك كثير من العقود فتصح معه فقد أشرنا فيما مضى إلى أن المؤمن إنما يجمع بين أكبر عدد تقيحه له مكنته من المستأمنين يشتركون جميعا في التعرض للخطر المؤمن ضده ، فيتقاضى منهم من الأقساط السكفيلة برفاء ما يجب من التعويض لمن أصابه ذلك الخطر منهم ، وذلك بناء على أساسين فنيين أحدهما تقدير الاحتمالات ولأنهما قانون الكثرة وقواعد الإحصاء فآؤن من خطر معين كالحريق يجمع بين أكبر عدد ممكن من المستأمنين المعرضين لهذا الخطر ويقدر احتمالات وقوع الحريق بالنسبة لمائهم جميعا طبقا لقوانين الإحصاء فيتمشى عدد مرات الحريق التي وقعت في الماضي وبلغ أهمية كل حريق منها ومدى احتمال تحقق ذلك أو توقع حدوثه في المستقبل وعلى هذا الأساس يستطيع تقدير ما يطلب منه من التعويض على وجه يقارب الدقة كلما كثر عدد المستأمنين وعلى هذا الأساس يقدر القسط المطلوب من كل مستأمن مع مراعاة ما يتطلبه العمل من نفقات وأرباح - ويزيد هذه العملية أمنا ما أشرنا إليه فيما مضى من اللجوء إلى إعادة التأمين وهذه العملية تستطيع الشركة أن تبين ما سيطلب منها في مدة معينة وأن تبين كذلك أن ما تقاضاه في هذه المدة يزيد عما يطلب منها

هذه الحقوق دون بعضها من غير بيان أو صالحه على بدل غير معلوم فإن هذه الجهالة تمنع صحة الصلح ونفاذه لأنها تؤدي إلى النزاع فيما يسقط من الحقوق وما لم يسقط أو في مقدار البذل (١) .

وبناء على ما قدمنا من بيان نستطيع أن نقرر أن ما قد يوجد في التأمين من غرر أو جهالة لا يؤدي شئ منهما إلى نزاع بل إنه ليرى أن هذه المعاملة مع ذبوعها وانتشارها وتدخلها في كثير من المجالات التجارية والصناعية والمنزلية لم يحدث منها نزاع أساسه الخلاف في عنصر من عناصرها الجوهرية التي تقوم عليها وأن ما حدث فيها وهو قليل نادر يرجع إلى خلاف في قيام المستأمن فيما اشترطه عليه المؤمن من شروط تضمنتها هذه المعاملة وهي شروط لا تعد عنصراً فيها ولا تقتضيها طبيعتها .

إن عقد التأمين إذا ما كان مع جمعية تعاونية أقيمت لهذا الغرض من المستأمنين أنفسهم خلا من معنى المعاوضة بتاتا إذ أن ما يدفعه كل مستأمن إنما يريد به التعاون مع زملائه في تخفيف الضرر أو رفعه عن أحدهم إذا ما نزل به بحدوث الكارثة المؤمن عليها فمكان ما يدفعه إنما يدفعه لهذا الغرض وكان ما يأخذه إنما يأخذه بما خصصه أصحابه لذلك تبرعا منهم وإرسادا فانهدم بذلك معنى المعاوضة ، وانتفى لذلك معنى الجهل والغرر أو مفسدة الجهل والغرر في هذا النوع إذ لا يوجد ذلك إلا في معاوضة تقوم على التكافؤ والتعادل بين البديلين

(١) البداية لابن رشد ج ٢ ص ١٢١ وما بعدها الفروق لأقراي تهذيبه ج ٥ ص ١٥ ، ج ١٧ ص ٢٦٦ ، ص ٢٧ والباحث على الموطأ ج ٤ ص ٢١٧ وج ٥ ص ٤١ - فناوى ابن تيمية ج ٣ ص ٢٧٥ / ٢٢٢ نيل الأوطار ج ٥ / ١٢٥ الدر المختار وابن عابدين عليه ج ٤ من أوائل كتاب البيع

يصيرورتها أسرا متعارفا عليه وذلك ما نص عليه في الشرط الذي جرى به العرف ولولا ذلك لكان فاسدا ، ومن هـ هذا البيان يظهر أن ما قد يرى في التأمين من غرر أو جهالة هو دون ما يوجد في كسور من العقود التي أشرنا فيها مضى إلى صحتها عند كثير من الفقهاء كبيع ما في هذا الصندوق دون أن يعلم المشتري ما فيه وكمدخول الحمام نظير أجر معين دون أن يتحدد مقداره ما يستعمل من الماء وما يقضى فيه من الزمن وكبيع السلم وهو بيع لمعدوم لا يتصور أن يسلم من الغرر وكبيع الثمر قبل بدو صلاحه وكإجارة الأجير نظير كسوته وطعامه إلى غير ذلك من الماوضات التي تحصى من الغبن والغرر ما يفوق ما يحويه التأمين منها وليس يفوتنا في هذا المقام أن نذكر أن من أخيه العقود بعقد التأمين عقد المصالاة وأنه عقد صحيح مع ما فيه من الغرر ، ذهب إلى صحته عدد من كبار فقهاء الصحابة منهم عمر وابن مسعود وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وإلى رأيهم هذا ذهب الحنفية وكان مستندهم في ذلك حديث تميم بن أوس ابن عاوجة الداري إذ سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن الرجل ليأتين فيسلم على يدي ويواليني فقال عليه السلام هو أخوك ومولاك فأنت أحق به بحياه وماتته - يعني بحياه - في تحمل عقل الجنابة عنه وماتته في الإرث عنه ^(١) وصورة هذا العقد : يتعاقد شخص مجهول النسب مع آخر فيقول له : أنت هـ ولاي ترثني إذا مت وتعقل هني إذا جنيت فيجيبه صاحبه بقبلت وما في معناه ويصير القابل بذلك العقد وارثا عاقلا ويسمى مولى الموالاة ، وإذا كان الآخر أيضا مجهول النسب وقال للأول مثل قوله هذا ورث كل منهما صاحبه وعقل هنه ^(٢) .

بما يحقق لها الربح المطلوب لها وبناء على ذلك لا يكون في هذه المعاملة بالنسبة للمؤمن غرر أو جهالة وإذا وجد شيء من ذلك فهو غرر يسير جدا لا يؤدي إلى نزاع ولا إلى امتناع عن دفع التعويض وهذه النظرة تقوم على مراعاة جميع المستأمنين ولكن إذا نظرنا إلى عقد كل مستأمن على حدة فإننا نجد أن الغرر ظاهر فيه . ذلك أن المؤمن لا يدري عند العقد أي دفع إليه تعويضا أم لا وإذا اقتضى الأمر دفع تعويض إليه لم يدرك عند العقد ماذا سيدفع إليه من المال أمو كثير أم قليل ولا شك أن هذا غرر - غير أنه غرر يتوقفه المؤمن بناء على ما قدره ابتداء وقد أعد لذلك عدته فلم يكن بالغرر المفاجيء المربك ولكنه غرر أعد له ما يذهب بضرره ويفارق الغرر المنوع وكان إلى العدم أقرب .

هذا بالنسبة إلى المؤمن أما بالنسبة إلى المستأمن فعملية التأمين بالنسبة إليه تقع محض إن نزل به الخطر إذ أن ما يأخذه لدفع الضرر أو تخفيفه يفوق ما دفعه وليس يضيره أن يكون ما دفعه دون ما قدره لأن من رضي بالكثير فقد رضي بالأقل منه أما إذا لم ينزل به الخطر في مدة العقد ولم يدفع إليه شيء من المؤمن فإن ما دفعه من الأقساط فيها قد دفعه وهو عالم بمقداره دون جهالة أو غرر نظير أمنه وطما نيته من طرارية واختيار مصحوبين بالرضا والمسرة بما قدره له من سلامة ينشدها طيلة المدة وذلك ما لا يجتمع معه غبن ولا غرر .

وليس يضير أن تكون العقود الأولى فاسدة حتى إذا تكاثرت العقود استحال صحتها فذلك أمر له نظير في المعاملة إذا جرى بها التعارف فإن ما يكون منها في البداية قبل أن تصير هرفا قد يكون فاسدا ولكنها بعد أن تصير هرفا عاما تنقلب صحيحة

فترى من ذلك أن أشبه أجاز هذا الاتفاق مع الكراهة وأن ما لسا قيد عدم جوازه بمخالفة مدة الاتفاق ومدة الحياة ومقتضى ذلك أنه إذا تم الاتفاق على أن ينفق عليه مدة معينة صح عنده مع ما في ذلك من الغرر وعليه فلو عرض عقد التأمين على مالك لذهب إلى تجوزها بناء على ذلك .

٣ - أنه أكل للبال بالباطل :

جاء في كلام بعض المسامعين أن التأمين من قبيل أكل المال بالباطل وقد نهى الله عن ذلك في قوله تعالى .
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ » .
وليس التأمين من باب التجارة ويقوم هذا الاستدلال على أساس أن أخذ المؤمن للأقساط محظور بتناوله اسم الباطل وأن استيلاء المستامن على مبلغ التأمين محظور بتناوله اسم الباطل وأن هذه المعاملة معاملة التأمين ليست من قبيل التجارة وذلك ما يستوجب بيان ما تدل عليه كلمة الباطل في الآية وبيان معنى التجارة حتى نتعرف انطباق الآية على موضوع التأمين أو عدم انطباقها .

الباطل لغة المضائع والذاهب والوائل وضد الحق والحق هو الوجود الثابت وقال السدي المراد بالباطل ما خالف الشرع كالربا والقمار والنجس والظلم وهو مروى عن الجافري . وقال الحسن هو ما كان بغير استحقاق من طريق الأهواض وفسر الطبري أكل المال بالباطل بأكله من غير الوجه الذي أباحه الله لأكله وقال الزنجشري أكل المال بالباطل أكله بمالم تحبه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقتال وعقود الربا .

« يبقع »

على القبيح

وهذا العقد كما يرى فيه من الغرر ما قد يظن أنه يمنع صحته ومع ذلك فقد ذهب هؤلاء جميعاً إلى أنه صحيح مع ذلك وإن خالفهم في ذلك سوام وليس ينزل بهذا الرأي عن أن يكون رأياً له مكاتته واعتباره أن بخلاف فيه آخرون فيذهبون إلى عدم صحته أما الغرر فيه فواضح إذ لا يدري من التزم بالعقل أي مبحث ما يستوجبه أم لا ، وإذا حدث ما يستوجبه فك مرة يحدث وبأى مقدار من المال يطالب كما أن العاقل لا يدري أي موت صاحبه عن توكه فيرث أم لا وإذ ورت فإذا يترك صاحبه ليصير إليه ميراثه .

ولاشك أن الغرر في هذا العقد أشد وأكثر من الغرر في التأمين فإذا جاز هذا العقد في رأي من ذكرنا مع ما فيه من هذا الغرر فأولى أن يجوز عقد التأمين والغرر فيه أقل وليس مما يقدر في ذلك ما بعقد المروالة من أثر في إلتئام عاقده الأدنى إلى قبيلة الأعلى بحيث يصير به غير العربي عربياً ينتمى إلى أسرة من أعاقد معه فإن القائل من حيث الغرر بان لا يرتفع باختلافهما في الأثر ولو كان الغرر يستوجب الفساد دائماً لاستوجبه على أى وضع وعلى هذا يرى أن منع التأمين له ما فيه من الغرر أو الجهالة لا يقوم على أساس ويؤيد ذلك أننا قد وجدنا من فقهاء المالكية من يجيزانفاقاً يشبه عقد التأمين تمام الشبه ويحوى كثيراً من الغرر لاجتماعه عقد التأمين فقد جاء في شرح المنتقى على موطأ مالك للباجي ج ٥ ص ٤١ / ١٢٣٢ : ومن دفع إلى رجل داره على أن ينفق عليه حياته روى ابن المراز عن أشهب قال لا أحب ذلك ولا أفسخه إن وقع وقال أصبح هو حرام لأن حياته مجهولة ويفسخ وقال ابن القاسم عن مالك لا يجوز إذا قال على أن ينفق عليه حياته .

ما يقال عن الإسلام

نظرة جديدة إلى الفلسفة الإسلامية

لأستاذ الدكتور أحمد فؤاد الأهواني

ظهر في عالم الكتب أخيراً ، وبالتحديد في العام الماضي (١٩٦٤) مؤلف باللغة الفرنسية عن تاريخ الفلسفة الإسلامية ، للأستاذ هنري كوربان ، وهو مستشرق معروف مشهور ، اختص بدراسة الإسلاميات ، وبخاصة من زاويتها الفارسية ، ذلك أنه قبل أن يشغل الآن منصب مدير مدرسة الدراسات العليا بالسوربون ، كان ولا يزال مديراً للمعهد الفرنسي للدراسات الإيرانية في طهران ، وهو معروف بمؤلفاته ودراساته عن السهروردي صاحب حكمة الإشراق . وقد أشرك معه في الكتاب الذي نعرضه تلميذين له درساً في باريس ، أحدهما إيراني شيعي اسمه سيد حسين نصر ، وهو الآن أستاذ بكلية الآداب بجامعة طهران ، والآخر سوربي سني يسمى عثمان يحيى ، يعيش في باريس ومكلف بأبحاث هلمية في مركز البحوث الشرقية .

قال المؤلف في ختام مقدمته ما نصه : « وبيننا نحن الثلاثة نظرة عميقة موحدة بما يؤلف جوهر الإسلام الروحي أحسب أن الصفحات التالية تمكك » .

وهذا صحيح . لأن لمة الكتاب وسداه تدور حول تفسير الإسلام تفسيراً شيعياً ، أو بالأحرى باطنياً . وما بالك بكتاب في ٢٤٧ صفحة - ما عدا الصفحات الخاصة بالمراجع والفهارس - يبدأ

الفصل الأول منه بما يسميه التفسير « الروحي » للقرآن ، والروحي ، صطلح يخفى وراء ستار الباطنية ويقع هذا الفصل من الصفحات ١٢ إلى ٣٠ . ويشمل الفصل الثاني الترجمة (من ٣٠ إلى ٤٠) . وعنوان هذا الباب هو مصادر التفكير الفلسفي في الإسلام ولا تكاد تمضي في قراءة بضعة سطور من الفصل الأول حتى تجد حديثاً عن الكتب المقدسة كالتوراة والإنجيل ، والأفستا كتاب زرادشت ، وعن المسيحية وأن الكنيسة تؤلف جزءاً لا يتجزأ من عقيدتها ، على خلاف الإسلام الذي يخلو من الكهنوت حتى إذا تناول الإسلام وتفسير القرآن رأينا تقسيم الكتاب المنزل إلى « شريعة » و « حقيقة » . ثم ينقل عن المؤلف الشيعي الإسماعيلي المصري خمرو أن الشريعة هي الجانب الظاهر من الحقيقة ، وأن الشريعة هي « المثال » ، وأن الحقيقة هي « المثل » ، من أجل ذلك كان لابد في معرفة الحقيقة من « مرشدين » ومن « مريرين » . ثم ينقل عن الإمام جعفر الصادق أن كتاب الله يشتمل على أمور أربعة هي : العبارات ، والإشارات ، واللطائف ، والحقائق . فالعبارات هي الكلام الظاهر ، والإشارات المعنى الباطن ، واللطائف هي العلوم الخفية المتعلقة بعالم ما فوق الحس ، والحقائق هي المذاهب العالية الروحانية .

حين تسلم عن الكندي ومدرسته في خمس صفحات بما لا يتناسب مع ما يجب أن يكون ، لأن منزلة أبي البركات لا ترقى إلى الكندي أو الفارابي أو ابن سينا وغيرهم . ويبدو أن الذي يشفع عند المؤلف لأبي البركات أنه يهودى اعتنق الإسلام ، طاش حتى بلغ الثمانين أو التسعين وتوفي سنة ٥٦٠ هجرية . فأنت ترى أنه فيلسوف متأخر ، كانت له بعض فطرات شخصية في الفلسفة ، ولذلك ذهب أحد المستشرقين وهو الأستاذ ديبس ، - وهو يهودى كذلك - إلى أن تسمية الكتاب بالمعتبر جاء من التأمل والاعتبار .

الباب السادس في التصوف يتكلم فيه عن خمسة متصوفة هم أبو يزيد البسطامي ، والجنيد ، والحكيم الزمزمي ، والحلاج ، والغزالي ، وهذا الباب كله يقع في عشرين صفحة .

الباب السابع عن الهروردي وفلسفة الإشراق وهي في ثلاثين صفحة . ولا غرو فإن الأستاذ كوريان متخصص في دراسة الهروردي ، نشر كتبه وألف عن حكمته الإشراقية مقالات وكتبها .

الباب الأخير عن الفلسفة في الأندلس من صفحة ٣٠٥ إلى ٣٤٢ ، يبدأ بأبن مسرة وابن حزم ، وينتقل إلى ابن باجة وابن السيد البطايوسي وابن طفيل وابن رشد . وبذلك يتم الكتاب ، فلم نكن مغالين حين ذكرنا أن المؤلف يتجه في كتابه اتجاه شيعيا واضحا .

وعلى الرغم من طرافة البحث ، وحسن دفاع المؤلف وتلذذه عن القضية التي يدافعان عنها إلا أن الأمر في الواقع ليس مسألة قضية ، وتحمس لها ،

ويتناول الكتاب من الصفحات ٤١ إلى ١٥١ الباب الثامن وهي الشيعة وفلسفة الإمامية أما الباب الثالث فيحدثنا فيه عن علم الكلام السني من الصفحات ١٥٢ إلى ١٧٨ . فانظر إلى اختلال التناسب بين الحديث عن الشيعة والسنة ، كان الإسلام هو الشيعة ، بل هو الشيعة الإسماعيلية في نظر المؤلف .

أما الباب الرابع فعنوانه فلسفة الطبيعة وعلموها . ويكفي أن ننظر إلى فصوله التسعة ليتبين لنا كيف يؤول الفلسفة الطبيعية بحيث يخضعها للشيعة والزعة الباطنية . في الفصل الأول يتكلم عن الحراسة ، والثاني جابر بن حيان ، والثالث عن إخوان الصفا (ويعلم القارئ أن أصحابها قد كتبتوا أسماءهم وأنهم كانوا من الشيعة الإسماعيلية) ، والرابع عن الرازي الطيب والفيلسوف ، والخامس عن فلسفة اللغة والسادس عن البيروني ، والسابع عن الخوارزمي والثامن عن ابن الهيثم ، والتاسع عن شاهمردين رازي .

وهو يسمى الباب الخامس الفلاسفة الآخذين بالفلسفة اليونانية ، كالكندي ، والفارابي ، وابن سينا ، وابن مسكويه ، وأبي البركات البغدادي ، مع اختتام الباب بهجوم الغزالي على الفلسفة . ولأنه ليوجه هؤلاء جميعا توجيها يتفق مع نظريته ، فالكندي شيعي لأنه نفا بالكوفة ، والفارابي طاش في بلاط سيف الدولة الأمير الهيمى ، وابن سينا تعلم على أيدي دعاة الإسماعيلية ، وابن مسكويه اتصل بأبن العميد ثم بعلاء الدولة الديلمي ، مما يدل في نظر المؤلف - على أنه شيعي (ص ٢٤٦) ، وأبو البركات البغدادي صاحب كتاب المعتبر في الحسكة يتحدث عنه في أربع صفحات كاملة ؛ هل

وتزيينها للناس ، والتعاس الأدلة المؤيدة لها ،
ولأننا الأمر في البحث طلب الحقيقة والدفاع
عن الحق .
ونحن هنا بإزاء قضية خطيرة تمس حياة أرواحنا
مليون نسمة من المسلمين في أقل تقدير ونحو ستمائة
مليون في الأصح . والفلة القليلة من هؤلاء الملايين
شيعة ، وأقل من هذه أقلية إسماعيلية ،
لا يتجاوز عددهم في إيران والهند ثلاثين مليوناً
أى خمسة في المائة من تعداد المسلمين . فبال
المؤلف يحاول أن يزعم أن عقيدتهم تمثل الإسلام
الصحيح ، والفلسفة الحققة .

وليس الأمر كذلك ، لأن الإسلام حين أنزل
على محمد ، لم يكن ثمّة شيعة ولا سنة . وما محمد
إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، جاء مصداقاً
لما بين يديه ، وأنزل عليه الكتاب الباقي بين أيدينا
حتى اليوم ، لا مبدل لكتابه . وقد دعم الذين
أرادوا الكيد للإسلام والهدس له والطعن عليه
أن القرآن الموجود الآن مختلف عن القرآن الهدي
أنزل ، وقالوا : إن هناك سوراً حذفت منه ،
وموجودة عند الشيعة . وهذه مقالة ينفخ في نارها
المسشرقون ويحاولون تثبيتها ، دون جدوى ،
لأن الشيعة أنفسهم ، وبخاصة الاثنى عشرية ، وهم
الموجودون الآن بالعراق وجزء منهم في إيران
لا يؤمنون إلا بالقرآن القائم ، وليست عندهم
مصحف تختلف عن مصاحفنا .

ونحن نعلم أن الصابئة طبعوا مصحفاً محرّفاً ،
وأخذوا في توزيعه على مسلمي الدول الإفريقية ،
ولكن بقلّة رجال الأزهر الشريف وعلماؤه نهت
إلى هذه المكيّدة واتخذت الاجراءات الى تكفيل
استبعاد المصاحف المزيفة والدخيلة .
ومن السهام التي صوبت قديماً إلى كتاب الله بنية
هدم الإسلام ، القول بأن آيات الله ظاهراً وباطناً
وأن هذا العلم الباطن لا يعلمه إلا أئمة الشيعة
القائمون منهم والقائون ، وأنهم المهيمنون على
التأويل ، المسكفون بالإرشاد ، إلى آخر هذه
الباطيل التي يأخذ بعضها برقاب بعض .
وأساس قضايهم الباطلة التي يترتب عليها بعد
ذلك كل بطلان ، أن القرآن كتاب له ظاهر وباطن
ومتى كان الأمر كذلك فهو كتاب (مستور) ،
(محجوب) عن الجمهور . والقرآن منذ أنزل
على محمد ، وقام النبي عليه السلام بتبليغه للناس
كافة ، لم يختص به قوماً دون قوم ، ولا طبقة دون
طبقة . آمن به أشراف العرب كما آمن به الأرقاء
والعبيد . ولم يكن ثمّة وسطاء في تبليغ الدعوة ،
وبخاصة في الصدر الأول من الإسلام ، لأن كل من
حفظ القرآن ، وعرف تعاليم الإسلام كان يتطوع
بتعليم هذا الدين الجديد . وهذا هو السر في انتشار
الإسلام بهذه السرعة المذهلة . واستمر هذا التقليد
جارياً إلى عهد قريب ، لأن انتشار الإسلام في جاوة
(إندونيسيا حالياً) وفي كثير من الدول الإفريقية
لم يكن على أيدي رجال دين وفقهاء كلفوا بنشر
الدعوة ، وإنما قام بها التجار المسلمون بسوى من
أنفسهم ومن إيمانهم .
ولقد كانت الحرية ، والعلمية ، أخص خصائص
الإسلام ، حرية الاعتقاد ومناقشة أسس العقيدة
بما نجاه واضحاً أشد الوضوح في القرآن نفسه حين
كان النبي يحاور الكفار ، وأصحاب الكتاب ، وكان
يحادلهم بالحسنى ، ويدعو إلى سبيل ربه بالتي هي
أحسن ، فأنت لا تجد حرية فكر في أى مجال من
المجالات أسى من حرية الإسلام ، وقد قامت

نعرف الكثير من نشأته وأصله ، ولكنه ظهر شابا في بغداد حيث تعلم على يوحنا بن حيلان ، ثم درس بعد ذلك المنطق والفلسفة والموسيقى والعلوم الرياضية ، حتى أصبح يسمى « المعلم الثاني » ، فأخذ بذلك الرتبة الثانية بعد أرسطو المعلم الأول ، وفي سنة ٣٣٠ ترك بغداد إلى حلب ليعيش في بلاط سيف الدولة الحمداني ، ولم تكن هذه الحماية الشيعية مجرد مصادفة - كما يقول المؤلف - لأن فلسفة الفارابي في تفسير النبوة تقوم على أساس من تعاليم الغيبة الإمامية .

لقد اجتهد المؤلف أن يبين الصلة بين الفارابي والشيعية ، فضلل ذلك عن وضع الفارابي في إطاره الصحيح من التاريخ الفلسفي ، ذلك أن نظرية الحاكم أو الإمام التي يذكرها الفارابي في المدينة الفاضلة ، والشروط التي ينبغي أن تتوفر فيه ، إنما استمدتها من نظرية أفلاطون في الجمهورية المشهورة بنظرية الحاكم الفيلسوف . وكان الفارابي يعرف أفلاطون وفلسفته معرفة جيدة ، كما كان يعرف فلسفة أرسطو وله في التوفيق بينهما كتاب خاص ، فإذا كان للشيعية مذهب يلتقي مع ما يذهب إليه الفارابي ، فكلاهما استقى من نبع واحد ، غير أن الفارابي لم يكن باطنيا ولا كتم آراءه ، كما فعل الإسماعيلية . وإذا كان شيعة إيران يرددون فيما بينهم أن الفارابي أحد فلاسفتهم ، فلم يكن هذا الفيلسوف خاصا بهم وحدهم ولكنه يحكم أنه فيلسوف كان مفكرا حرا ، اتخذ اللغة العربية لسانا ، والإسلام ديناً ، فهو أحد فلاسفة الإسلاميين ، وزهرة يافعة في بستان الحضارة الإسلامية .

الحضارة الإسلامية على هذه الحرية المستمدة من القرآن نفسه ، وكتب الفقهاء والمتكلمين والفلاسفة من أهل السنة خير شاهد على ذلك ، إذ تجد فيها الرأي ونقيضه ، وحجة كل فريق ، ثم ترجيح رأى على آخر ، بعد المناقشة والمناظرة ، ولكنك لا تجد شيئا من ذلك في كتب الشيعة ، لأن هندم أصولا لا تقبل مناقشة . وهي لا تقبل المناقشة لأنها مستورة ، باطنة ، وكيف يمكن مناقشة مبدأ العصمة ، مثلا ، نفى عصمة النبي ، وعصمة الإمام ، أو مبدأ الترجمة .

* * *

ومن الواضح أن المؤلف جعل الكلام والنصوف والفقه والعلوم الرياضية والطبيعية داخلة في جملة الفلسفة ، ما دام قد خصص لها فصولا في كتابه الذي جعل عنوانه « تاريخ الفلسفة الإسلامية » ، وهذه وجهة نظر معظم المؤرخين المحدثين ، ولكننا لا نتفق وإياهم ؛ لأن الفلسفة ضرب محدد من البحث يختلف عن علوم الكلام والفقه والنصوف وعن العلوم الرياضية ، ويكفي أن تفتح كتاب الفهرست لابن النديم لئلا يصف المفسرين بحسب دراساتهم الغالبة عليهم ، فهذا فصل عن الفقهاء ، وآخر عن المهندسين ، وثالث عن المنجمين ورابع عن الأطباء ، وخامس عن الفلاسفة ، وهكذا ، مما يدل على تمييز الفلاسفة عن غيرهم .

ولترك هذه الملاحظات العامة الشكلية ، ولننظر - فيما اتسع لنا من صفحات - في مناقشة شيعة الفارابي (٢٧٩ - ٣٣٩ هـ) . وهو أبو نصر محمد ابن محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي . ولسنا

فتاوى مختارة

يقدمها الأستاذ : شمس الدين محمود

[الإجابة للجنة الفتوى]

السؤال :

تمكن له من السلطة على المسلمين والله سبحانه يقول :
« ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » ،
وهذا وإن كتابة القرآن الكريم وقراءته لا تجوز
بغير العربية . وأما تعلم أى لغة أخرى وقراءة
الكتب العلمية بالحروف اللاتينية فلا حرمة فيه
ما دام ذلك بعيداً عن القرآن الكريم بل هو
مستحسن شرطاً للتمكن من الثقافة العلمية .

السؤال :

ما مقدار الزكاة في المسائل الآتية :
أ- سهم جمعية البترول التي تحولت إلى شهادات
استثمارية متزايدة القيمة واشترط ألا تسدد قيمتها
إلى في حدود ٥٠ سنة منها لمدة ثلاث سنوات يمكن
بعدها الاسترداد بلا شروط .
وكذلك سهم الشركة القومية لإنتاج الأسمنت
التي تحولت إلى شهادات استثمار .
والمدخرات بكل من صندوق التوفير
والمدخرات النقدية .
السيد / أحمد أحمد عثمان

الجواب :

أن الزكاة في أسهم كل من جمعية البترول والشركة
القومية للأسمنت واجبة وقيمتها ربع العشر من سنة
واحدة فقط في مضي . وأما المدخرات من صندوق
التوفير فتجب الزكاة فيها من سنة واحدة فقط وقيمتها
كما تقدم من أصل المبلغ المدخر ، أما الزكاة
في المدخرات النقدية فهي واجبة في المال المدخر
وذلك عن المدة كلها ، لأن المال لا يعتد ديناً بل
هو مال مقدور عليه في كل وقت ؟

نحن أقلية إسلامية ومن أصل تركي نعيش
في اليونان ونقتبع المذهب الحنفي لنا مداوسنا
ومساجدنا ولنا مؤسسة دينية يرأسها مفتي ويقوم
بإدارة بعض الشؤون الدينية في الأقلية وبعض
الأحيان يتهم المفتي وبعض المعايخ بالانحياز إلى
بعض الأطراف السياسية وهدم مراعاة الصدق
في فتاويهم والمهروب من الحقيقة فيها . لذلك نرجو
الفتوى في المسائل التي هي موضع خلاف بين علمائنا .
نحن نقيم في دولة مسيحية وندفع جميع التزاماتنا
من ضرائب وخلافها . ونقوم الدولة بمساعدتنا
في بعض الأحيان في بناء المساجد فهل يجوز ذلك
ولو أن المال أو جزءاً منه يأتي من مسيحيين ؟
وهل يجوز انتخاب المسيحي وترك المسلم إذا كان
الأول يؤدي خدمات للمسلمين . كذلك اللغة في الدولة
التي نقيم فيها هي اليونانية ، وهي مفروضة علينا
في المدارس كما أن كثيراً من الكتب باللغة اليونانية
فهل يجوز لنا تعليلها لقراءة هذه الكتب العلمية
الهامة وما حكمها بالنسبة للقرآن الكريم .
السيد / حصن القشال - اليونان

الجواب :

حكم الله أنه يجوز بناء المساجد بمال مدفوع من
غير المسلمين لأن هذا عمل خيرى عندنا ولا مانع
من قبوله من غير المسلم ؟ كذلك حكم الله أنه لا يجوز
إعطاء صوتك في الانتخابات لغير المسلم ما دلم
يوجد مرشح من المسلمين لأن في انتخاب غير المسلم

الكتاب

للأستاذ : تحسين عبدالحى

الفاروق القائد

تأليف : اللواء الركن
محمود شيب خطاط

من أجل البناء الاشتراكي والاندصال في الوقت نفسه
من أجل التحرر وقهر الاستعمار قد صهرا في اتجاه
موحد صحيح .. والبناء الاشتراكي الذي أهنيه هنا ..
هو البناء الاشتراكي العربي الموحد .. لأن الوعي
الصحيح للقومية العربية لا يعرف إلا رفع
الحواجز المصطنعة ليلتحم الشعب العربي في جدل
حياتى هو شرط التطور ، بل هو التطور ذاته
إلى الاشتراكية .

أما الاعتقاد في أن تحمل المشكلات في كل جزء
قبل أن تتحقق الوحدة فإدراك قاصر للقومية والأمة
التي تحتم وحدتها العضوية ألا تحمل مشكلات الأجزاء
إلا في الشكل . إننا نسأل أنفسنا كناضلين من أجل
القومية العربية والوحدة العربية - وكناضلين من أجل
الاشتراكية سؤالاً هاماً :

ترى لو كان من الممكن أن يحمل كل جزء مشكلاته
فيصبح اشتراكياً ديمقراطياً حقاً في ظل التجزئة ،
فما جدوى الوحدة ؟ ونضيف أنه لو كان ذلك ممكناً
امكان علينا أن نراجع فوراً فكرة القومية العربية ،
ونتحقق بالتالى من وجود الأمة .. إذ أن وجود
الأمة كوحدة عضوية ، تتضمن عناصر المشكلات
وإمكانات حلها لا يمكن أن يقوم معه تصور إمكان

مهما قيل عن نوع المعارك التي تخوضها جماهيرنا
العربية في الوقت الحاضر . سواء في معاركها
الضارية في الجنوب المحتل أو يفظتها الثورية في العراق
ضد تفتيت وحدة الوطن العراقي ، أو محارلة تهزئة
القربة العربية في السودان لصالح عملاء الاستعمار
في الجنوب .. وحتى معركتنا العربية المصيرية
الكبرى على أرض فلسطين .. مهما قيل عن هذه
المعارك من حيث أهميتها . فإنه لا يقل عنها أهمية
ذلك الذي نراه الآن .. !!

والذى أهنيه بذلك هو التجسيد العملى للضامين
عزيرين هلينا هما - الاشتراكية - والوحدة ..

إن انما في الاشتراكية مستقبلاً وغاية نتجه إليها
ونبذل الجهد في سبيلها ، ونحن بذلك اشتراكيون
متميزون بغايتنا هـ القانعين والمنحرفين . والطريق
إلى الاشتراكية التي نريد أن نحققها في الوطن العربي ،
هو أن نرصد لها كل إمكانيات الوطن العربي ،
المادية والبشرية ، كل الإمكانيات الطبيعية والعلمية
وكل الجهود لتحقيق هذه الغاية ، وهذا غير ممكن
عملياً ما دام المستعمرون يهيئون من ثرواتنا
وجهودنا ما يبنون به الحياة في بلادهم سلباً لمصادر
بناء حياتنا الاشتراكية .. ومن ثم كان اندصال

- وللشعارات التي تناضل من أجلها خوفاً من اللبس والغموض فإننا نحتاج الآن إلى قيادات واعية - حرة - مناضلة - ومستنيرة في الوقت نفسه . . قيادات تتميز أولاً بمضمونها الأخلاقي الراسخ .. ولا شك في أن التاريخ الطويل الذي قضته الأمة العربية في ظل الدين الذي تكونت به أمة ، ثم صنعت الحياة على هدى القيم التي أوساها ، قد وفر لها حصيلة بالغة الخصوبة والسمر مما هي ما يمكن أن نسميه بالأخلاق الإسلامية .

ولا يزال العربي يتميز بالعزة والصدق والهجامة والمروءة والكرم .. إلخ . ميزات لم تأت من البداوة الضاربة ، ولكن من حياة الآخرة في ظل الثقافة الإسلامية .. وإذا كانت السمة الإنسانية العامة للقيم الخلقية الإسلامية قد تركت الفرصة للغرضين من أديعاء الدين ، الجاهلين به ، إلى استغلالها في اتجاه عكسي مضاد لقوى التقدم والثورة .. فإن ذلك ليس عيباً في هذه القيم الإسلامية ، بقدر ما هو استعمال مضاد لقدورها في الاستحواذ على النفس الإنسانية . ونحن إذ نذهب إلى إبراز قيمنا من خلال تراثنا المضي وناريخ أممتنا العربية .. سواء عن طريق نماذجها البشرية - أو الحضارية .. لا نكون بذلك مجرد هبة قبور .. ولكننا نكون فقط مناضلين واعين ومدركين لأهمية دورنا الإنساني في عالم اليوم . .

وكتابتنا لهذا العدد يتم ما بدأناه من بحث عن هذه القيم في صورتها البشرية .. البناءة .. وهو سيرة أحد عظماء شعبنا ، سيرة خليفة رسول الله - عمر بن الخطاب - رضي الله عنه وأرضاه .. والمؤلف وهو اللواء الركن محمود شيت خطاب ..

حل الأجزاء لمشكلاتها حلاً سليماً بدون أن تسهم الأمة بمجموعها في حل تلك المشكلات . لهذا . إذا كان المنطلق الإقليمي خيانة قومية ، فإن الانطلاق إلى الاشتراكية - نفضاً فوق التجزئة - مثالية عقيمة .. ولا نغني هنا بالطبع أن تتوقف الحياة حتى تتوحد .. لأن كل تقدم اقتصادي في كل جزء من أجزاء وطننا هو دعامه قوية لبقية الأجزاء في فضالها من أجل التحرر . ولا نغني كذلك شعار لقاء الثورات على المستوى الرسمي وبخاصة بعد أن فشل هذا الاتجاه مع رافعي الشعار نفسه ، ولكن الذي نغنيه ألا يقلل اندفاعنا نحو الاشتراكية وبناء بعض الكيانات الاقتصادية القوية هنا وهناك . نقول : لا نريد أن يقلل هذا الاتجاه من حدة اندفاعنا وبكل قوتنا الأساسية نحو التحرر والوحدة .. ولا نريد أن نفلسنا إطلاقاً أن نكون مناضلين وطنيين كما يحلو للبعض أن يقول .. ولكننا مناضلون قوميون تتجاوز ذلك مرحلياً إلى النضال الوطني عندما تكون بعض قطاعات شعبنا سواء في الجنوب المحتل .. أو في غيره من الأماكن في معركة مع الاستعمار من أجل الحرية . ولكننا نرفض النضال الوطني عندما نكون أحراراً على أرضنا ولدينا المقدرة المتزايدة على حرية العمل .. لأننا هنا .. وفي كل جزء تحرر من أجزاء وطننا العربي يجب أن نكون مناضلين وجدديين أولاً ... ولا مانع لدينا في أن نكون اشتراكيين في الوقت نفسه فكل المعنيين بكل بعضهما الآخر . أما أن نركز على معنى واحد في سبيل دحر المعنى الأساسي فهو ما نرفضه .. ولا جد كلفة أخرى أهدر بها ما اعتقده سوى كلفة الرفض . وما دمنا الآن محتاجين فعلاً إلى درجة كبيرة من الوعي واليقظة لسبل فضالنا

إن متنا أرحمنا ؟ ، قال : د بلى والذي نفسى بيده
لأنكم على الحق إن متتم وإن حييتم ، ، فقال : فقيم
الاختفاء ؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن ، فخرج
المسلمون فى صفين : فى أحدهما حمزة وفى الآخر
عمر ، حتى دخلوا المسجد ، فنظرت قریش إلى حمزة
وإلى عمر فأصابتهما كتابة لم تصبهم مثلها ، فسمى
النبي صلى الله عليه وسلم عمر يومئذ بالفاروق .

لقد شد سيدنا عمر رضى الله عنه أزر الإسلام
فى أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان وزيره
ومستشاره المقرب ، وكان من المهاجرين الأولين ،
ومن صلى إلى القبلتين وشهد سائر المشاهد مع النبي
صلى الله عليه وسلم وثبت يوم (أحد) ويوم
(حنين) .

وإلى عمر يرجع الفضل فى تولية أبى بكر الخلافة ،
وحسم النزاع الذى أوشك أن يتفانم بين المهاجرين
والأنصار على أثر التحاق النبي صلوات الله وسلامه
عليه بالرفيق الأعلى .

وكان عمر الوزير الأول لآبى بكر وقاضى المسلمين
وساعده الأيمن فى حرب الردة وفى حروب الفتح ،
وكان موضع ثقة أبى بكر فأوصى بتوليته
من بعده .

وبعد تولية أمر المسلمين .. غافه الناس لقوته
وشدة سيطرته .. وإلى ذلك أشار عمر فى قول
صريح حين قال لمن هابوه وتحذثوا بخوف الناس
منه : .. بلغنى أن الناس هابوا شدى وخافوا غلظتى
وقالوا : قد كان عمر يشهد علينا ورسول الله
صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، ثم اشتد علينا
وأبو بكر والينا دونه ، فكيف وقد صارت الأمور
إليه ؟ ومن قال ذلك فقد صدق ! فقد كنت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكنت عبده وخادمه

قد قدم لنا قبل ذلك كتابه عن الرسول القائد
الذى دحض فيه ادعاء المتعصبين للإسلام .

بأن انتصار الرسول كان بالحوار والمعجزات
وبين فيه أن هذا الادعاء ا ادعاء خاطئ لا يقل
خطورة عن غمز المتعصبين على الإسلام ولا يدل
إلا على جهل بروح الإسلام الصحيح .

وفى كتاب اليوم (الفاروق القائد) يتقدم لنا
المؤلف : القائد الذى فتح بلاد الفرس كلها ، وفتح
الشام والجزيرة ومصر وبرقة ، القائد الفاتح ، الفارس
المغوار البطل الكرار ، النوى الأمين ، القاضى
العاقل ، الحاكم العبقري ، الفقيه المحدث العالم العامل ،
الذكى الأملئ ، التقي النقي ، الخليفة الورع ، المجتهد
المشرح : الفاروق عمر بن الخطاب العدوى القرشى :
الذى كان إسلامه فتحا ، وهجرته نصرا ، وإمارته
رحمة ..

يقول المؤلف :

لقد أبدى عمر يوم إسلامه وبعده ضروبا
من الشجاعة الحارقة التى قل أن تجد لها مثيلا
فى تاريخ الشجاعة والفداء . فبعد إسلامه ظهر
الإسلام ودعا إليه هلاكية ، وجلس المسلمون
حول البيت حلقا وطافوا بالبيت وانتصروا من
غلظ عليهم وردوا عليه بهض ما يأتى به .

قال عبد الله بن مسعود : ما زلنا أهزة منذ
أسلم عمر ، وقال محمد بن حبيب : ولقد رأيتنا
وما نستطيع أن نصلى بالبيت حتى أسلم عمر فلما
أسلم قاتلهم حتى تركونا نصلى . ، وقال عبد الله بن
عباس : أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب ،
فقد قال عمر : يا رسول الله ألسنا على الحق

بالمسير إلى (المدائن) وأن يخلف الفناء والعيال
بـ (العتيق) وأن يجعل معهم جنداً د كشيفاً ، ،
وأن يشرّكهم في كل منضم ما داموا يخلفون المسلمين
في عيالاتهم . وفي هذا الأمر المختصر ، طبق عمر
مبدأ (اختيار المقصد وإدامته) ومبدأ (التعرض)
ومبدأ (تحشيد القوى) ومبدأ (الاقتصاد بالجهود
ومبدأ (الأمن) ومبدأ (لإدامة المعنويات) ومبدأ
(الأمور الإدارية) ولا نعلم رسالة قليلة الكلمات
كثيرة الفائدة مثل هذه الرسالة الموجزة .

وبعد فتح المدائن ، انسحب الفرس في اتجاه
(جلولا) وعسكرت قواتهم الضاربة هناك فكتب
سعد بن أبي وقاص إلى عمر بذلك فكتب إليه عمر
يقول « سرح هاشم بن هبة إلى (جلولا) في اثني
عشر ألفاً ، واجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو
وعلى ميمنته مسعر بن مالك ، وعلى ميسرته هرو
ابن مالك ، واجعل على ساقته عمر بن مرة الجرمي ،
ويدل هذا على معرفة عمر بالرجال وبالأساليب
(الاستراتيجية) التي تحقق لجيشه مبدأ (الأمن) .

وبعد معركة (اليرموك) في أرض الشام ،
استخلف أبو هبيرة على اليرموك بشير بن كعب
الخميري وسار حتى نزل بـ (الصفر) فأناه الخبر
أن الروم وحلفاءهم المنهزمين اجتمعوا بـ (خل)
وأناه الخبر أيضاً بأن المدد قد أتى أهل دمشق
من حمص ، فكتب إلى عمر في ذلك ، فأجابه يأمره
بأن يبدأ بدمشق فإنها حصن الشام وبيت ملكهم
ويشغل أهل (خل) بخيل تكون يازاتهم ، وإذا
فتح دمشق سار إلى (خل) فإذا فتحت عليهم سار
هو وغالد إلى حمص وترك شرحبيل بن حسنة
وعمر بن العاص بالاردن وفلسطين .

وكان من لا يبلغ أحد صفته من اللين والرحمة ،
وكان كما قال الله ، بالمؤمنين رءوف رحيم ، فسكنت
بين يديه سيفاً مسلولا حتى يغمدني أو يدهني فأمضى
فلم أزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك
حتى توفاه الله وهو عني راض ، والحمد لله على ذلك
كثيراً وأنا به أسعد ، ثم ولي أمر المسلمين أبو بكر
فكان من لا ينكرون دهنه وكرمه ولينه ، فمكنت
خادمه وعونه ، أخلط شدقي بلينه ، فأكون سيفاً
مسلولا حتى يغمدني أو يدهني فأمضى ، فلم أزل معه
كذلك حتى قبضه الله عز وجل وهو عني راض ،
فأهلوا أن تلك الشدة قد أضعفت ولكنها إنما
تكون على أهل الظلم والتعدي على أهل المسلمين
فأما أهل السلامة والدين والقصد ، فأنا ألين لهم
من بعض لبعض .

ولقد كان خليفة رسول الله عمر بن الخطاب
هو القائد الأعلى لجيوش المسلمين وكان هو المسئول
الأول عن إعداد الخطط (الاستراتيجية) ، ويشمل
ذلك ، إعداد هذه الخطط من الناحية العسكرية
وإصدار الأوامر أو الوصايا لتنفيذها ، وإعداد
جيوشه بالإمدادات من الرجال والمعدات لإدامة
الحرب ، وتزويد تلك الجيوش بالأمور الإدارية
ومراقبة وصول تلك المواد الإدارية إلى جيوشه ،
والعمل على رفع معنويات رجاله في ساحة الحرب
وفي كل مكان ، واختيار القادة العاملين والقادة
المروسين القادرين على تنفيذ أوامره ووصاياه
نصاً وروحاً .

ومن الأمثلة على ذلك أنه لما فرغ سعد بن أبي
وقاص من أسر القادسية أقام بها بعد الفتح شهرين
وكانت عمر فيما يفعل فكتب إليه عمر يأمره

وفي ذلك يقول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه مقتنع تماماً بضرورة المساواة المادية بين المسلمين بحيث لا يكون هناك غنى ولا فقر . . . وقد مارس هذا فعلاً وعلى نفسه أولاً خرم على نفسه أن يأكل اللحم والسمن طالما أن الناس لا يجدونهما . . . ولا يريد وهو الخليفة الأمر الحاكم التام أن يكون شيئاً غير للناس . . . وإنما هو واحد منهم .

هذه بعض أعمال عمر التي جعلته ينشئ دولة وقيم وحده وينشر لغة ويرفع بنياناً - لقد نسي نفسه وذكر رعيته وأخلص لله . كانت له عقلية مدركة منظمة : يؤمن بالشورى ، ولا يجحد عن العدل المطلق ، فكان أول من كتب التاريخ الهجري ، وأول من اتخذ بيت المال ، وأول من دون الدواوين وأول من أمم الأرض المفتوحة ، وأول من مصر الأمصار .

ولقد كان لعمر ماضٍ ناصع مجيد في كل أدوار حياته : مرساً ورئيساً ، حاكماً ومحكوماً ، قاضياً ومشرفاً ، إدارياً وقائداً ، في السر والعلانية ، في الحرب والسلم ، في الناس وفي أهله . في كل عمل من أعماله العامة والخاصة . لقد جمع المجد من أماراته ، فكان ملء السمع والبصر في حياته ، ملء صفحات التاريخ بعد موته .

إنه مثال لكل ملك وأمير وزعيم ورئيس ، يريد لأمنه المجد والرفعة والبقاء .

نعمى عبد الحمى

تلك هي الخطوة (الاستراتيجية) لعمر التي بموجبها فتحت أرض الشام (سورية والاردن ولبنان وفلسطين) .

وكان عمر يثق بنفسه ويعرف قيمتها ويعتمد على شيائها لا على المظاهر الزائفة والدعوى الفارغة . وكان موضع ثقة الناس حتى أعدائه فقد حضر أبو عبيدة بن الجراح حصر بيت المقدس ، فطلب أهله منه أن يصالحهم على صلح أهل الشام وأن يكون المتولى المقعد عمر بن الخطاب ، فكتب أبو عبيدة إلى عمر بذلك ، فسار من المدينة المنورة واستخلف عليها علي بن أبي طالب ولما قدم عمر إلى الشام ، لقيه الجنود وهليه لإزار وخفان وعمامة وهو أخذ برأس راحلته يخوض الماء وقد خلع خفيه وجعلهما تحت إبطه ، فقالوا له : يا أمير المؤمنين ! الآن تلقاك الجنود وبطارقة الشام وأنت على هذه الحال ! فقال : إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نتمس العز من غيره .

وكان خليفة الرسول صلوات الله وسلامه عليه عادلاً رحباً واصلًا لذوى القربى واليتامى وراعياً مخلصاً لأبناء أمته .

فعندما تراكت لديه الأموال كنتيجة طبيعية لاتساع الفتوحات الإسلامية أنشأ الدواوين التي توثب الراتب للجنود والمسلمين كافة حتى لا يكون في رعيته مظلوم أو محتاج ... وقال عمر يوماً : ... وواقعته ببيت ليسانين الراعى بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو مكانه قبل أن يهجر وجهه ، وهو بذلك يعنى توزيع الثروة بالعدل على الناس دون السؤال المفضل .

انبياء وآراء

● استقبل الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون في ١٩٦٥/١١/٨ السيد الحاج محمد خير الوزير الماليزي وبرفته السيد حمدان بن الشيخ طاهر وكيل وزارة التربية والتعليم ، والسيد وان محمود وان وكيل الاستعلامات ، ودار الحديث على شئون المسلمين بماليزيا .

كما استقبل فضيلته في ١٤ / ١١ / ١٩٦٥ سماحة الشيخ منير طاهر مدير المركز الإسلامي بالفلبيين وتحدث إليه عن حاجة المركز إلى الكتب الدينية ، وقد أجاب الإمام الأكبر طلبه .

● ألقى الإمام الأكبر كلمة بمدينة المنصورة زود فيها الشباب بمخلاصة حية للتعاليم الإسلامية جاء فيها : الله الذي خلق الإنسان من مادة وروح ، جعل غذاء المادة فيما قدر في الأرض من أقوات ، وفيما سخر له من كائنات ، وجعل غذاء الروح فيما أنزل من وحى ، وشرع من هدى ، وبهذين الغذائين تنسق حياة الإنسان تنسيقاً يجمع لها بين مادة تموت وروحانية تهذب ، ويجمع لها بين الارتقاء الحضارى والنقاء الخلقى ، ولن يستقيم للناس أمر هذه الحياة إلا إذا تقب الناس عن أسرار هديه كما ينقبون عن أسرار كونه لأنهم - باكتشافات أسرار المادة ، ويعزوفهم عن قومات الروح - يمتعون وياً كلون كما تأكل الأنعام ، والنار مثوى لهم .

● أعادت الأمانة العامة للجامعة العربية إحصائية شاملة بالمجمعات الإسلامية في الخارج ليستعين بها مجلس الوحدة الثقافية في تادية رسالته .

● أجاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر - في مناقشاته مع الشبان بمعسكر التدريب في حلوان يوم ١٩٦٥/١١/١٨ - عن سؤال وجهه إلى سيادته أحد الشبان جاء فيه :

هل هناك خطة للقضاء على إسرائيل ؟ ومتى يتحقق أملنا في استرجاع فلسطين ؟ فقال : إن استرجاع حقوق شعب فلسطين كآلة هي هدفنا الطبيعى ، ويمنى هذا الهدف القضاء على إسرائيل ، وقد تقرر في مؤتمر القمة الأول أن تكون هناك وحدة عمل من أجل فلسطين ، وتحدد العمل في هدفين : هدف عاجل هو أن نستكمل القوى الدفاعية العربية ، وهدف قومى هو القضاء على إسرائيل ، واستعادة حقوق شعب فلسطين .

وأستطيع أن أقول بعد مؤتمر القمة الأخير : إننا أدبنا عملاً كبيراً من أجل تحقيق الهدف الأول ، وهو إيجاد القوة الدفاعية لكل من الأردن وسوريا ولبنان لتكون تلك الجبهة قادرة على مواجهة أى عدوان إسرائيلي .

وعن الهدف القومى قال سيادته : هذا خطوة ولكن لست في حل من أن أحدث عنها إليمكم وأرجو أن نستطيع السير في وحدة العمل العربى حتى تتحقق الحرية لفلسطين ...

إن إسرائيل هي إسرائيل وما وراء إسرائيل ، ولذلك فإن أى عمل ارتجالى معناه أن إسرائيل تنكسب ، ولا بد أن يكون العمل مدروساً وكاملاً وثورياً ومضمون النجاح ، وبهذا يتحقق الهدف ولا نكرر ما حدث عام ١٩٤٨ .

During our conquests, we fought only the warriors who resisted us; and when the struggle was over, whether through victory or by treaty, we safeguarded the lives of the conquered. We did not follow the example of the Israelites who were told: "if you enter a city, kill all the men, women, children and infants Burn it with fire".

We proclaimed our faith but did not impose it on the others by force. Our God Tells us "Let there be no compulsion in religion", and tells the Prophet: "wilt thou then compel mankind, against their will, to believe?".

We did not torture with fire or iron, or knife. Nor did we roast our enemies on fire as others did with the Arabs in Andalusia, nor did we burn them in ovens as did the Germans.

During our conquests we fought the warriors, but never attacked peaceful civilians, women, the aged, children, or priests. We did not kill, 285000 persons with one bomb as others did in Hiroshima.

Bad example :

Bad example in the home often leads to the weakening of faith everywhere. A young man cannot respect a religious leader and obey his teachings unless he finds that he practises what he preaches. That of course requires that we prepare a whole generation of good sheikhs whose duty will be to prepare a whole generation of future parents. For this purpose, we shall have to do the following :

1 — Select a group of responsible, promising students and give them the required training.

2 — Help them financially so that they would be presentable learning in mind the old saying.

" If people saw a poor prophet, they would not follow his teachings".

3 — Keep them under strict observation to make sure that they are fit for the job.

The force of Public Opinion :

Above all, we should give a great deal of attention to public opinion. All those youths who are so misguided as to proclaim their atheism and tempt others to follow their example, are mentally and emotionally sick and need help. They must be treated gently, coaxed, encouraged, guided, or rebuked, according to the circumstances, Guidance is the job of the leaders, severity is the share of public opinion.

In Islam, public opinion is one of the pillars of reform, As the Koran states.

"Ye were the best of peoples, evolved for mankind, enjoining what is right, forbidding what is wrong..." Again "let there arise out of you a band of people inviting to all that is good, enjoining what is right and forbidding what is wrong, they are the ones to attain felicity.

Public opinion is all powerful, it can be more effective than governmental authority because it can creep everywhere. So much so, that no matter how cash his behaviour, a young man always fears public opinion and knows when and where to hold his own.

So if public opinion were to be used as a weapon, it could be most effective in this respect as a tool to reform.

(to be continued)

Such young people, who are ashamed of their own religion and origin would nevertheless stand proudly in defence of any scouts association, or measly political party, or atheistic group. Strange as it may seem, those Moslem youths belong to a great nation that represents one third of the world and possesses a heritage of high principles that gives it a supreme position in the world. Those youths who deride their own creed and would deny their origins if they could, are simply ignorant of authentic historical facts, even if they pride themselves on going university graduates. I say that because I know how history is being taught in the Arab and Islamic countries which were till the near past, under the Yoke of imperialism; I know of the additions and deletions that have been made in their history books, intentionally or not.

I feel that the remedy to this condition is to provide a book in comparative history which would cover the social moral and cultural give and take between the Muslem nation and the rest of the world.

Any great nation has had glorious periods and faltering days in the fields of thought, legislation achievement and morality. The history of cultures however, was recorded by the West and our youths hardly read any other. That history was written by people who were still influenced by their national and religious motivations, and some of them were moreover, insufficiently acquainted with the Moslem and Arab history. The result was that the authors pointed out most of our short-comings and barely mentioned our glorious past. They also attributed our short-comings to the Islamic religion. An accurate comparative his-

tory would clarify the situation and prove that our past achievements in moral fields are by far superior to those of the West and our points of weakness are markedly less serious. We would thereby prove it the Western historian who invited the Arabs to wash their dripping swords in the Mediterranean sea, that in these same waters many dripping swords have been washed before the Arabs came to them and many should be after we are gone; we would prove to him that to this day there are many swords which carry on them not only blood but also the stains of intolerance, cruelty and barbarism which all the waters of the Mediterranean could not wash.

To clean them it would require the waters of the three oceans from the shores of the black inhabitants of Africa to the Red Indians of America plus some water from Japan and Hiroshima.

We would prove to him that like the Greeks we have held high the torch of knowledge and philosophy. That we have kept it burning with intelligent studies and research. There is a difference, however; we had no polytheism, no licentious gods. Like the Romans we have our legislations, literature, conquests, wars and slaves, but we took no pleasure in throwing them, or the christians in the arena to be devoured by the lions in spectacular entertainment.

We had our conquests, like other nations, to spread our religion like a flowing, invigorating river, instead of leaving it to turn into a stagnating pool which will dry up in the arid Arab Peninsula as "Gothe" said, still, according to Gustave Lebon, we were the most merciful of all conquerors.

Our youths find themselves in mental vacuum because of their ignorance of the essentials of Islam, because of their priggishness and complexes caused by suppression of frustration their attempt to fill this vacuum, they have been swept by misleading currents, blindly imitating the trends of the West. The economic difficulties of our era added to this mental turmoil and pushed them towards Marxism, communism and athiesm.

In this long struggle the younger generation as well as we, men of religion have not given attention to the reasons that led the European Renaissance thinkers to fight against religion, not to the reasons that led Marxism towards atheism. Had we examined these reasons, we would have found that there is no trace of them in Islam.

The struggle against religion in Europe, is due to five causes :

1 — Religious sects, controversies under the rule of Arian the Alexandrian concerning divine and human nature.

2 — The atrocious armed struggle between rulers, emperors kings and the Church.

3 — The conflict which started under luther and the Protestant Reform and led to bitter wars.

4 — Cruelty exerted against rising scientists and thinkers who were tortured or burnt at the stake for expounding new ideas in the field of astronomy or other theories which were proved correct in later years.

5 — Ownership of large property by

men of religion who lived like feudal princes. This eventually led to class struggle under the French Revolution and its aftermath, until the rise of Marxism came to look upon the men of religion as capitalist feudal lords who abuse the working classes and held them responsible for class distinction.

In Islam, however, we find no such things, from the rise of Islam up to the present most of its men of religion have lived in dire poverty a very small minority on the verge of indigence while less than a handful are wealthy.

All this goes into proving that the reasons which led the West to fight religion, are nonexistent in Islam. We have to convince our youths, that Islam has been, and still is in a position to solve economic problems and to eliminate social injustice. It is hoped that the Academy of Islamic Research would give this question all its attention to help our misguided youths.

The Cowardice Complex :

Some of the youths who failed to complete their studies through carelessness or lack of interest, resorted to indifference to religion on the grounds that it is a reflection of progressive thought.

Such lost souls are not atheists in the sense of the word; some of them may even be true believers. However, they are so helpless as to cling to those around them in clubs or parties and try to save their faces by attacking their own faith and pretending that it is an old-fashioned fad.

OUR CULTURED YOUTH AND RELIGIOUSNESS

By : Sheikh Nadim Al-Jisr

Mufti of Tripoli and Northern Lebanon

(CONTINUED)

Frustration Complex :

Adolescents are exposed to moral weaknesses, If and whenever one of them makes a slip of any kind then hears of the wrath and curses of heaven against sinners, he develops sense of guilt or a frustration complex. This usually results in making him revert to the other extreme and indulge deeper in misconduct. If the religious leaders were less stern in their teachings, and followed the Qur'an more carefully they would give such youths a chance to repeat and reform. The Almighty God gives the sinner the chance to repent as proved in His words :

" Say : " O my Servants who have transgressed against their souls ! Despair not of the mercy of God : for God forgives all sins : for He is oft-Forgiving, Most Merciful.

The pleasure of giving vent to one's feelings :

The young man who suffers from a feeling of frustration finds pleasure in giving vent to his feelings through one of the following Three ways : advocating atheism, deriding religious rites, or tempting others to follow suit. Nevertheless, the religious conscience never dies completely in men's hearts, and there is still a sense of responsibility, whatever

happens. It is a feeling that has grown through past generations and become part of our being . . . No one can fearlessly defy heaven, no matter what he says or writes or does, to prove his atheism. However, the one who stumbles in the mire of atheism feels that he has to have an outlet of some kind to relieve his mental turmoil, he either argues to prove atheism or he derides religious rites in self defence for his neglect of them, or he tries to pull the others down to his level so that he would be alone in his pit. That of course, being the usual behavior of hardened sinners who have gone astray : those about whom Satan said-after he had been cursed and thrown out of paradise :

" (Iblis) said : " O my lord ! Because thou hast put me in the wrong, I will make (wrong) fair seeing to them on the earth, and I will put them all in the wrong :

Suffering a mental vacuum and blind imitation :

Our modern youths have been influenced by the history of religious controversies that took place in Europe, controversies which led some scholars to doubt, and culminated through materialistic Marxism into atheism, contempt of religion, its men and its rites.

This point can be further illustrated by the following quotation: "The deed which is correct but not devoted wholly to God' is not accepted. If it is devoted to God, but is not correct, it will not be accepted. Deeds are not accepted unless they are both correct (i.e. according to the sunna of the Prophet), and devoted to God". If religious deeds are so judged, it may be permissible to say that labour, even more so, is unacceptable to God unless it is accompanied by the good intention that it means to obeying and pleasing Him.

The importance of labour and its near-sanctity are illustrated by the passages in the Qur'an which call "iman" (إيمان), i.e. the articles of belief itself, commerce; and associate earning one's living with attending Friday prayers, and jihad i.e. the holy War.

The same attitude is selected in the permission extended to pilgrims to trade during the pilgrimage season, as the following verse shows:

ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ٢٠ : ١٩٨

(It is no sin for you that ye seek the bounty of your Lord (by trading in the pilgrimage season). (2 : 198)

Pilgrimage, in fact, was imposed upon Muslims in order that they might benefit from trading as well as from worshipping God, as the following Qur'anic verse points out:

وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات . . (٢٢ : ٢٧ - ٢٨)

(And proclaim the Pilgrimage among men. They will come to thee on foot

and mounted on every kind of camel lean on account of journeys through deep and distant mountain highways, that they may witness benefits provided for them and celebrate the name of God through appointed days). (22 : 27,28)

The benefits referred to in the verse are interpreted by al-Tabari and others as both the profits of trading during the pilgrimage season, and the rewards given in the world to come to those who carry out the pilgrimage.

The theme of the significance of labourer is further exemplified in the 'aya' of the Qur'an which refers to worship at night. This verse lightened the burden of worshipping at night when it interfered with the responsibilities of one's occupation.

• إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلاثة وطائفة من الذين معك ، والله يقدر الليل والنهار ، علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسر من القرآن ، علم أن سيكون منكم مرضى ، وآخرون يضربون في الأرض ، يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون في سبيل الله ، فاقرؤا ما تيسر منه . . (٢٠ : ٧٣)

(Your Lord knows how you keep vigile sometimes nearly two-thirds of the night, or (sometimes) half or a third of it, as do a party of those with you. Allah measures the night and the day. He knows that you count it not, and turns to you in mercy. Recite, then from the Qur'an that which is easy for you. He knows that there are sick folk among you, while others travel in the land in search of Allah's bounty, and others are fighting for the cause of Allah. So, recite of it that which is easy (for you).

earn money) and supports a widow or a poor man, is rewarded as if he were fighting in a Holy war and as if he were fasting throughout the day and worshipping God all night long". The same attitude is reflected in the following : "When is one most rewarded for freeing a slave", asked Abu Dharr. "When the slave he frees is most dear and valuable". said the Prophet. "But what can I do if I have no slaves to free?" asked Abu Dharr. "You should help a labourer or do some manual work for someone who is a clumsy worker" answered the Prophet. A further example of the dignifying of labour by comparing it to devotional exercises is found in al-Bukhari : "God will reward those who go to bed exhausted by their work by forgiving their sins". Similarly, : "Any one who builds a building or sows a seed (in his own land) and without violation (of another's possessions), will be continuously rewarded by God as long as his building or plants are utilised by others". The same point of view is reflected in the following tradition, also from al-Bukhari : "No Muslim who sows a seed or grows a plant to be eaten by any bird, man, or animal, but he is rewarded as if he had given alms".

Al-Tibi, commenting on this last tradition, says :- "The Prophet, in his tradition, has used the word "Muslim"; in the indefinite form, put it in the negative ; added the preposition (من) in its comprehensive usage, (من الاستغرافية), and used the words "animal" and "bird" in their generic sense : all this in order to show that any Muslim, whether he is a free man or a slave, obedient to God or disobedient who does any law-

ful work which profits any animal will be rewarded for it".

It is to be remarked that the word "man" was used in some of the foregoing traditions instead of "Muslim", although it includes both Muslims and non-Muslims. However, it is generally agreed, according to certain traditions in the Sahih of Muslim, that non-Muslims are not rewarded for their beneficial occupations except in this world.

If we take into consideration the high status of farmers in the concept of Islam, both in this world and the world to come, as revealed in the foregoing traditions, we can see how Islam has elevated the status of this group of labourers. While farmers are rewarded in Islam for every single seed of their fields that is utilised by any bird, man or animal, they were scorned in the Jahiliya, as we have mentioned before, to the extent that Abu Jahl, who exemplifies these Jahili attitudes did not regret his death nearly as much as he regretted the fact of his being killed by an agricultural labourer. (أكار)

It is noteworthy that worshipping God in all its forms is not accepted by God unless it is devoted to Him alone. The prophet says in this respect : Deeds are judged according to the intentions (of the doers), and every person has nothing but what he intended. He whose emigration is for the sake of God and His messenger, his emigration will be for God and His messenger. He whose emigration is for some worldly gains he wants to achieve or a woman he wants to marry, his emigration will be for what he has emigrated for".

THE MERITS OF LABOUR IN ISLAM - 2

By : M. Gamaluddin Ayyad, M.A.

The jahilites' contempt of labour can be further illustrated by the term "al Mahna" that they gave for labour in general, and serving others in particular, and associated with humiliation. "Yumtahan", a derivation from the term, means to be humiliated, down-trodden and discarded. "al-Mahin", another derivation from the term, means the weak.

Besides the "Mutabadhdhil", which means the one who humiliates himself, was used by Arabs as a description of that who does his own work by his own hands. He who hires others to do his work for him, and lives without an occupation, is, thus, the noble one who preserves his dignity and does not humiliate himself. Such was the jahilite view to labour and labourers, but when Islam came, its view was quite different, being full of respect.

Islam has honoured labour by raising it to the sacred standard of worship in general, and holy war in particular. Some companions of the Prophet said, when they saw on one occasion a healthy and active youth hurrying to his work: "It would have been better for him if his youth, health, and activity had been spent in the service of God". The Prophet said, "Don't say this! If he has gone out to work to support his children this will be in the way of Allah; if he has gone out to work to support his two old parents this will be

in the way of Allah; if he has gone out to work to support himself and protect himself this will be in the way of Allah; but if he has gone out to perform an act of boastfulness and ostentation this will be in the way of Satan".

On another occasion the Prophet said: "The alms collector (or wali) is (rewarded) as if he were a fighter who has gone on a holy war, until he comes back home. Umar also said to a man who left his occupation and asked him permission to join those fighting in a holy war: "Return to your work for righteous work is as (noble and rewarding as the Holy War". Again, Sufyan ibn Malik, one of the collectors of zakat, asked Umar to send him to Holy war. Umar refused and said to him. "Are you not now in a Holy War? (i. e., being occupied in alms collecting)."

Just as a Muslim is rewarded in the other world for worshiping God by fasting, saying prayers and the like, so will he be rewarded for carrying out the responsibilities of his occupation. This is quite clear in the following traditions:- al-Tirmidhi quoted the Prophetic saying that "The honest merchant will be a companion of the Prophets, the righteous men, and the martyrs in the other world". Al-Bukhari records that "The Muslim honest treasurer who carries out what he is ordered to do with a good heart is one of the alms givers" Again "One who works (to

to these ancient manuscripts, one reading afresh the words of truth that lie there. Christianity inherited much from Judaism and the two faiths are closely connected through the Old Testament which contains the beautiful Psalms of David, here too I found another fragment of truth. However, as one must be born a Jew it offers no hope to mankind and in this respect the Jew is something like the Hindu, for not only is he a member of a religion but also of a race. It is also rather incomprehensible why the Jews are still called the "chosen people", an interesting theory is that they have been persecuted so much for this very reason.

The third revealed religion of the trilogy is Islam, unfortunately, apart from a few orientalists, this is not well understood in the West. I found the English translations of the Koran and other books on Islam, usually gave a picture which is a grand mixture of the Christian and Jewish faiths painted with the beauty of a legendary past; while the average person thinks of the Muslim as a completely immoral person living in the land of "A Thousand and One nights". Yet a fragment of truth was to be found here in spite of the distortion and I refused to accept this as representative of a religion which millions follow.

Hinduism offered another fragment, for the writers of the "Gitas" were originally invaders from a northern country beyond the Himalayas. Hinduism has many gods and an interesting belief in re-incarnation, unfortunately this developed the caste system which has been the curse of India and only now is it slowly releasing it self from the chains of a belief in a pre-destined fate inherited from a former life. I found a great sense of the spiritual in India and the lines from one of their holy books,

the Bhagavad Gita, are immortal... "Give Me your whole heart, love and adore Me, worship Me always, bow to Me only, and you shall find Me; this is My promise who love you dearly". Buddhism is the child of Hinduism, originated by the Prince Buddha who revolted, as many today, against the empty ritual of his faith. It is a fine religion containing another small fragment of truth, but it is far too abstract, for even when Buddha was asked if there was God, he kept silent inferring that such questions were a hindrance in one's attempt to escape the cycle of life's existence in the bondage of desiring.

(5)

All these religions, and others, presented their small pieces of truth to me and, as I studied what lay before me with what I had learned three facts stood out most clear. 1) They all, essentially, worshipped One God, who was their Creator; 2) They all originated long ago in the birthplace of man, the Arabian Continent; 3) The Truth lay somewhere in the East. All the books I read, the people I talked with, the countries I visited, all pointed to these facts and I came to the conclusion that if I would find the answer I sought then I would have to leave the sophistication of the west for the spirituality of the East. I hesitated over such an important decision as it meant leaving all I knew and understood, my own world, for something strange and different. It was only after much doubt and soul searching delay I made up my mind and finally said goodbye to my friends and family to set out on the most momentous journey of my life . . . a journey I vowed would not end until I found the reason for my being, the Truth . . . the Way . . . God.

The world of the spirit appeared to have vanished with the explosion of the atom bomb. Even Thibet, which had been the refuge of centuries of mystics, was now part of the Communist empire and incense no longer burned to the Budda amid the wavering shadows of the temples. The prayer wheels had indeed ceased to turn and man only knew the physical world in which he dwelt. The world of genocide and the "cold war", the jet age, the nuclear era of mankind where man knew much but had forgotten even more. Forgotten that his first duty is to God. I searched among the ruins of man's imposing dreams, in the empty churches and even more empty hearts, trying to find the answer I knew must be somewhere... but it was only in man's music I heard the call of God. For the rest, the cacophony of civilization had blurred the celestial and eternal message of God so that only fragments remained, but it was these fragments of truth that gave me the clue as to where the whole truth was to be found, the truth of the knowledge of the Way to God.

(4)

The first fragment I found was in Christianity. As I was born into this faith it was naturally the first one I should study and as I did so I became aware of the unescapable fact of Divine Love, that God is Love and therefore must love us, His own creation to whom He gave life. Jesus, (may peace be with him), I came to understand as a great man, a prophet, but I could not accept his divinity upon which rests the whole structure of Christianity... that he was God incarnate and allowed Himself

to be crucified to atone for a sin His own creation committed in a long lost Eden. Is not God the All-Forgiving and All-Powerful? To my dismay I found that Christianity had absorbed too many pagan rites in it's fight to survive, (those who have read "The Golden Bough" will know what I mean.), and while some of these rites appeal to the aesthetic sense they have no real meaning in the pure faith of man. This is true of the other religions where ritual has overcast the simple and pure worship of God, where man alone adores his Creator in silent truth.

While I found much that was self-contradictory in Christianity, I also found much beauty. I remember while staying in a majestic monastery on the Isle of Wight, sitting in the stillness of a small incense scented chapel after the evening prayers and, as the dusk gathered through the dark tinted hue of the long windows, the tiny flame over the distant altar twinkled like the far off star over Bethlehem. There was a quietness of the soul there that I often found in the old cathedrals of Europe, one felt the pious devotion of a million prayers mingling with the soft breath of heaven.

As I studied the Bible I realised the many translations that had been made, the alterations, the change of meaning which are inevitable when translating from one language into another — however good intentioned and a scholar the translator may be. Which was the true version and where was the original? The Dead Sea Scrolls promise to throw valuable new light on this subject and it will be a most interesting moment for all when the Bible is translated according

filled the world and became like an angels anthem, a glorious rhapsody of the stars; the word taking an entire new meaning yet it was as if my heart had known it all along and, exalted, my whole being surged out to Him who was the whole meaning of life. I knew then that there was God; that I had to go to Him, somehow to find the way that would lead me to my destiny no matter how or where it took me and I asked for His help, which in His mercy He gave and continued to give.

That was how it began. It was strange for I had not been a particularly religious person as a young man, going to church and all that sort of thing, frankly the Bible and the Church bored me for I could find no inspiration in either — on the contrary I found them embarrassing and incomprehensible, as a matter of fact at that time I found more mental stimulus in the book "she" by sir Rider Haggard, than in the "Thees and thous" of the new Testament. However, after my experience of that night and with a more mature mind that came with the passing of the years, I began to study the contemporary religions in an attempt to find some help in indicating the correct religious approach to life and therefore to God. I eagerly read all I could find on any and all religions, attending lectures and speaking with knowledgeable people; seeking, finding much but never what I really sought, the whole truth. Only so many platitudes and an archaic thought that had no relation to man's essential role in life. Many of them offered peace of mind if I would only surrender my persistent enquiry, but this I could not

do and remain true to myself for in certain things there can be no compromise.

(3)

After the war, my subsequent rather bizarre marriage and hectic life in the artistic world, was not exactly an inducement to my spiritual aspirations and it was an impossible task seeking the Light of Truth among the lights of London. My life fast became too swift and superficially full with too many strange love affairs mixed with a too glib synthetic talk. My wife, being a materialist, was symbolic of all that was physical in me and she once made the somewhat inane remark after a rare moment I found for meditating, that to look into my eyes made her shiver with fear of the unknown. When we finally parted my life, for a while, became even more wild until I reached the very abyss where life had utterly no meaning... when suicide appeared inevitable... and nearly was. Perhaps each of us must go through certain terrible experiences in order that we may mature and so let our souls shed the surrounding darkness. For over a year I lay seriously ill and, when I recovered, I said goodbye to my old life to devote myself to social work hoping to find God in my service to others; it was very hard work and at times I found myself doing the most menial tasks, at others simply holding the hand of a dying man to ease his passing. Like many before me I found that in helping others I helped myself and I felt a change taking place within me, but as I changed so did the world about me as I looked at it anew and my heart became depressed at what my eyes beheld.

was extremely unusual. I wanted to LIVE, to taste and experience everything there was in life regardless of the cost... and live I did never looking at the price. But also I wanted God very much, to know Him completely, for I instinctively knew this was the real secret of life which man had sought throughout the years. In the end the spiritual part of me won, though not without a poignant struggle, and by the grace of God there came a point in my life when the only thing that mattered was to find Him, even if it meant my going to the ends of the earth and beyond.

(2)

Where should I begin my story — Lewis Carroll once wrote "... the best place to begin is at the beginning", but it is often difficult to find the beginning in a chain of events, the law of "cause and effect" always taking one a step further back until eventually one finds oneself as a babe in the womb. That is far enough back for anybody, unless one is studying re-incarnation and this is not on such a subject, it is merely an attempt to show how and why I decided to become a Mmslim. So many people have asked me this question again and again, by men of more than one faith and in more than one country, that I at last decided that the story of my acceptance of Islam may in some way be of help and interest to others who are also seeking to come closer to God, and I pray that God may bless their quest as He blessed mine.

I think the beginning for me was one night during the last world war.

I was a very young man, with all the problems of youth and of those terrible times when all the familiar things we thought secure and safe were shown as a shattered image. I remember the moment it happened so well... I was in London at the time and the all-clear syren had not long ago sounded after a rather nasty air-raid during which I had taken shelter as the many enemy bombs came whining down to explode with an earth shaking "Blam"! My heart had now recovered it's normal pace and those of you who have lived through such times of danger know the wonderful feeling of relief that comes when you realise you are safe for a little while longer. As I walked home idly looking at the stars which, as it was a fine night (hence the air-raid) filled the sky with a myriad magic of gleaming jewels, and as I looked at this ancient scene I began to think of how this earth was just one small star in this vast universe. That our earth was only a part of our solar system, that our solar system was but a part of our galaxy and that our galaxy, together with others, formed only a part of this immense universe. I began to think of how old was the beautiful scene I gazed up at, of the trillions of years that had past and it suddenly seemed as if I was as old as this universe too, so old one could not comprehend the years, that though this body I was in was but a puff of wind in the cyclonic gale of life, my spirit had known the weariness of centuries existence.

I pondered why this strangeness should be and as I did so my heart heard the echoing answer from the oracle of the stars... "God". The one word

« الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة الزجاج
كأنها كوكب دري ، يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء
ولو لم يمسسه نار ، نور على نور ، يهدي الله لنوره من يشاء . . . »
(القرآن الكريم)

"Allah is the Light of the Heavens and the Earth. His light is like a lamp in a niche, the glass of which as it were a glittering star. Kindled from a Blessed Olive tree, that is neither of the East or West, whose oil would near shine though never touched by fire. Light upon Light, Allah guides to His Light whom He will".
(The Qur'an)

THE BEGINNING

It is said that each man must find his own path to God for as individuals no two men tread the same path, this is true but I would like to qualify this by adding that a man follows his own path until he reaches the only Path and it is to this that all our separate paths lead, once we attain this stage on our journey then all of us walk together joined in harmony along this Path towards our glorious destination, The Throne of God. If we would find God then we must find this Path else we stumble through the wilderness of an arid land, a soul lost in the limbo of life. It is not easy and many lose heart for the way is hard, not only does one have to struggle with one's own fears but also with the doubt and mockery of others for often the reflection of Truth causes them to feel ashamed; there are a few who understand and their encouragement helps to strengthen one's determination to go on no matter what. Really it is something like a subconscious instinct of a certain desire that will not be stilled, weak in some and strong in others and in the rare an overwhelming force that will not let them

rest, these are the mystics of the world and their journey is a long and arduous one leading through a strange country that few have ever known; they are the ones who have been the guides to others along the way, by their example showing that the perilous journey is not impossible, only very, very difficult.

The mystic's prayer is an important part of his life for it provides and strengthens the link between him and God, by it the soul communicates with it's Beloved and His Light illumines the deep darkness of the heart. For all, prayer is essential to one's spiritual progress, without it one remains static and the soul is mute, for prayer is the song of the soul.

While some have called me a mystic I am reluctant to put myself among that high sphere of men for I know I have far too many faults and failings. In fact my life has been a constant pull between the physical and the spiritual, a conflict that has sometimes led me into the oddest places and most stupid situations for the pull of the spiritual part in me caused the physical part to lead a life that, to say the very least,

My Experience of Islam

THE RIGHT PATH

(1)

By : *Raschid Ansari*

(Robert Wellesley)



[Mr. Raschid Ansari, formerly Robert Wellesley of London, England, has kindly consented to write about his experience of Islam for Al-Azhar Magazine. This will be published in a series which are positive to be of great value for all Muslims and we take great pleasure in first presenting this valuable work by such an esteemed Muslim.

Mr. Ansari, who comes from an old aristocratic family, was educated by a tutor untile the outbreak of the last World War, during the latter part of which he saw distinguished service in the Pacific theatre of operations. After the war years he became well-known in the theatrical world of Europe due to his brilliant performance on the stage and screen, his long and serious illness brought about his retirement when he then directed his talent to painting and poetry. Here, too, he achieved success, painting many famous personalities and having his poetry published in many countries.

Though a man of the world he is foremost a Mystic and a philosopher ; in 1960 he went to India to live as a monk and it was there, after a great religious experience, that he became a Muslim. On his return to England he founded an Islamic Society where he was living and shortly after embraced his mother into Islam, propagating his faith wherever he went.

Because of his brave search into the theological realms he has become a personality here, too, giving many lectures and writing much on Islam. At present Mr. Ansari is living in Cairo to further his studies in Arabic and Islam at Al-Azhar and where he is also a lecturer at the University of Al-Azhar.]

M. Always.

"the survival of the most beneficent". The quality of mercy in nature demands that what is beneficial should increase and what is harmful should diminish.

That is the true meaning of natural selection.

« أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً الآية » .

(He sends down water from the sky, so that valleys flow according to their measure, and the flood bears away (the dirt and litter in) its swelling foam. And so from that which they smelt in the fire in order to make ornaments and tools rises a foam like unto it As for the foam, it passes away as scum upon the banks, while that which is of benefit to mankind remains in the earth).

XIII : 17.

There is mercy not only in the principle of natural selection but also in the manner in which it operates. The laws of nature are unalterable, and because they are inexorable they appear to the Superficial observer as pitiless. That is, however, not so, for nature is essentially lenient and for giving ; it aims at reform and improvement not destruction. It acts not arbitrarily and suddenly but systematically and gradually, so as to give us ample opportunity to prepare and adjust our selves. Life and death are not sudden unforeseen events but gradual processes, with clear warnings at every step. That is true for men and plants and also for all natural phenomena, such as day and night. It is to this divine mercy that the Quran. refers when it says :

« ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى » .

(If Allah took mankind to task (at once) for that which they deserve by their conduct, there would not be left a living creature on the Surface of the earth ; but (in His mercy) He reprieves them for an appointed term) XXXV : 45.

Another aspect of Divine Mercy is that even hardship assumes an attractive character. Man's life is one continuous struggle for self-preservation and advancement, and it is thus full of heavy responsibilities, great hardships and severe trials. At the same time nature has imbued man with such desires and ambitions, sentiments and enthusiasms that every corner of life is alive with activity and interest and it is this zest for life which not only makes every living creature bear all the hardships of life but also makes those hardships a source of interest and pleasure. The greater the hardships and exertions, the keener is the pleasure derived from them and the more interesting and attractive ones life. If life was devoid of hard labour and challenging trials it would also be deprived of all interest and joy would become dull and unbearable.

This is true of all mankind, men and women, old and young, rich and poor, learned and uneducated, strong and weak, healthy and sick. Their circumstances are different, their natures, activities, interests and objects are all different, but they are equally interested and engrossed in their various pursuits, and it is impossible to say for whom life is more interesting, meaningful and attractive ⁽¹⁾.

(1) The Quintessence of Islam.

a delight for the eye, a joy for the ear and a very heaven of peace and content for the soul. There are no doubt manifestation of nature in which one fails readily to observe beauty. One finds, for instance, beauty in the song of a nightingale but not in the crowing of a raven. One forgets, however, that music cannot be made with a single note, high or low.

’وان من شيء إلا يسبح بحمده، ولكن لا تفقهون تسبيحهم...‘

(There is not a thing (in the universe) which does not (in its own way) hymn His praise, but you do not understand their (several) hymns) XVII: 44.

Human knowledge and intellect have failed to answer the question why there should be not only construction but beauty in the world. The Qur'an answers that it is because God is 'rahman' and 'raheem' that He is merciful and His mercy is ever active. We are so engrossed in the artificial comforts of life that we overlook the far greater comforts provided by nature. So it is with the all-pervading beauty of nature. We ignore it, but life would be intolerable if it was devoid of beauty or if we were without a sense of beauty.

It is a universal failing in man that he does not value a thing until he has been deprived of it. Water is not valued on the banks of the Ganga but man would soon realise its value if he had to do without it even for a day. Similarly, we do not care to leave our bed in the morning to witness the miracle of dawn, because morning comes every day in all its glory. We do not appreciate the moonlight and its transcendental beauty, because it has become a part of routine, and we stay in closed rooms, but we would be in a desperate state if the moonlight were to disappear from our life. Only those in a cloud-laden cold region

can realise what a great boon the rays of the sun are. Only a bed-ridden sick man can appreciate fully how much the sight of a clear blue sky means in life.

It seems in conceivable that anyone should consider himself poor and deprived who has the supreme gifts of light and colour, fragrance and music. The gifts of nature are indeed so great and numerous that it is impossible to count them or describe their fulness. Nor does nature content itself with dispensing external beauty alone; it also endows its creatures with an inherent balance which awakens the faculties of sense and under standing in animals and lights the flame of intellect and reason in man.

How this comes about is a secret of nature which defeats human comprehension. How does a particular arrangement of matter yield an abstract quality that is beyond matter? How is it for instance, that the insignificant material body of an ant, with a brain hardly larger than the size of a pin point, contains within it such enormous powers of perception and understanding, diligence and perseverance organisation and discipline, arrangement and balance, construction and improvisation? The only possible answer is that it is a quality of Divine Mercy to create beautifully and to give its creation not only external beauty but also internal excellence.

The beauty and excellence of existence, with its continuous progress, could not, however, last if it did not also possess an irresistible force which preserves what is good and eliminates what is not. This force is that of natural selection, and we refer to it as "the survival of the fittest". The Qur'an, however, refers to it as

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYAT

Sha'bân
1385

ENGLISH SECTION

EDITED BY :
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

December
1965

The Quran's Conception of God-VI

By : Moulana Abulkalm Azad

Nature's bounty is also Universal; it ministers to the needs of every creature at the same time. If a rich man in his proud palace can feel that the world is for his benefit, an ant in its humble hole can make the same boast. Is not the Sun there to provide warmth for the ant, rain to provide moisture, wind to carry the smell of food to it and the earth to furnish it with abode in every difficult climate and circumstance? Who dare deny it, and who can reject similar boast by any other creature, for nature tends to all equally and "God's mercy embraces all things"

It is true that the world is also a place of strife and destrubance. There is along with construction, destruction and, along with consolidation, disorder. This apparent destruction, however, is only a step towards construction, and improvement, just as a sculptor breaks and mutilates a stone in order to produce a beautiful figure. No building can be constructed without first 'destroying' or 'Spoiling' many things, such as stone, earth, steel and wood. The comfort and peace of a home are obtained only after

a great deal of hard labour and the discomforts of dirt, noise, etc. So it is with nature. Oceans in storm, rivers in flood and volcanoes in eruption, the snows of winter, the scorching winds of summer and the dark clouds and the inconvenient and even destructive rains of the monsoon are, all of them, uncomfortable and unwelcome and yet they are all necessary for the continuance and betterment of life; without them there would be no new life and the old life would wither away.

Perhaps the greatest gift of nature's bounty is its all-permeating beauty. Nature not only creates and gives form; there is also beauty in everything it creates and shapes, whether one looks at creation as a whole or at its several aspects individually. The twinkling stars and the brilliant sun, the ethereal moon and the vast sky, the kalidoscopic clouds and the refreshing rain, the rolling oceans and the running rivers, the high mountains and the deep valleys, the scented gardens and the singing birds, the smiling dawn and the sky evening, they all bear witness to nature's desire to create and spread beauty, to make every corner of the world



مجلة الأزهري

مجلة شهرية جامعة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
«العنوان»
إدارة الجاسع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
«بدل الاشتراك»
٤٠ في المبرور لعمرية لخمدة
٥٠ ضائع المبرور لخمدة
والمديرين الطلاب تخفيض خاص

تجديد عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر من شهر

الجزء السابع - السنة السابعة والثلاثون - رمضان سنة ١٣٨٥هـ - يناير ١٩٦٦م

سنة الممثلة

المبادئ المثالية في الإسلام

بقلم أحمد حسن الزيات

فالتوحيد ركن من أركان الدين وعنوان من
هناوينه ، وهو من السكلم الجوامع التي وصت
جواهر الإصلاح وسر النجاح لكل مجتمع وأمة ،
وهو توحيد الله ، وتوحيد العقيدة ، وتوحيد
الغاية ، وتوحيد اللغة ، وتوحيد الحكم ، وتوحيد
التشريع ، وتوحيد الدين والدنيا وشواهد التوحيد
مذكورة في كتاب الله لا يختلف في مدلولها أحد .

وفكرة الوحدة الإنسانية هي مزية الدعوة
المحمدية على كل دهوة ، وفي سبيلها صدق الإسلام
بكل دين أنزل ، وبكل نبي أرسل ، ودعا الذين فرقوا
دينهم ، وكانوا شيعا ، إلى خطة واحدة وكلمة سواء ،
ثم وصل الدين بالدنيا ، وكانت اليهودية والنصرانية
تفصلان بينهما ، فالأولى كان هما الصفق والاجترار ،
والأخرى كان سبيلها الرهبانية والتنسك ، ولكن
الإسلام جعل الدين للدنيا كالروح للجسد ، فلا تعطل
إلا بوجسه ، ولا تفسد إلا بهديه ،

هبقرة الإسلام هي ذلك الإشراق الإلهي الذي
انبثق من غار حراء ، فكشف للرسول - صلوات
الله وسلامه عليه - عن أطوار النفس البشرية
في طوايا الغيب ، فدعا دعوته الخالدة إلى تكريم
الإنسان ، وتنظيم العمران ، وتعميم الخير ، وتحقيق
السعادة من طريق التوحيد والمواظاة والمساواة
والحرية والسلام .

فالتوحيد سبيل القوة ، والمواظاة سبيل التعاون ،
والمساواة سبيل العدل ، والحرية سبيل الكرامة ،
والسلام سبيل الرغاء ، وتلك هي الغايات التي ترجو
الإنسانية بلوغها عن طريق العلم والمدينة ، فلا
تشكك أمانها بعد طول السرى وفرط الغوب
إلا عن سحاب خلب ، وسراب خادع

هذه المبادئ الإنسانية التي قصصتها دهوة
الإسلام ، معلومة من القرآن بالنصوص الصريحة ،
فلا موضع فيها لتأويل أو تحميل أو تعسف .



والمستضعفون الذين رحمهم الله برسالتهم لم يكونوا من جنس معين ولا من وطن معين ، إنما كانوا أمة من أشتات الخلق وأنحاء الأرض ، اجتمع فيها العربى والفارسى ، والرومى والتركى ، والهندى والصينى ، والبربرى والحبشى - على شرع واحد هو الإسلام ، وتحت تاج واحد هو الخلافة ، والإسلام الذى يقول شارعہ العظيم : « ولقد كرّمنا بنى آدم » ، لم يخص بالتكريم لونا دون لون ، ولا طبقة دون طبقة ، إنما ربأ بنى آدم جميعاً أن يسجدوا للحجر أو شجر أو حيوان ، وأن يخضعوا مكرهين لجبروت كاهن أو سلطان .

وفى هذه الأصول الإسلامية - كما ترى - أفضل ما فى الديمقراطية ، وأجل ما فى المدنية ، فهى حرية أن تصلح ما فسد من أمور الناس ، وتقيم ما أوج من نظام الدنيا .

ولقد كانت كذلك يوم كان لحماها دولة ولدعائها صوت ولعنتقها يقين ، فلما دالت الدولة وخشع الصوت ، وأراب اليقين ، تمزق المسلمون قطعاناً فى فدادن الأرض ، فلا مرعى مجود ، ولا راح يذود ، ولا حظيرة تؤوى ، ثم كانوا يتخلفهم عن ركب الحياة حجة على الإسلام فى رأى السفهاء من مرضى الهوى أو الجمل ، فصموا عن دعائه ، وعموا عن ضيقه ، فليت شعرى متى يتاح لدهوة محمد من يجدد حبلها وينشر فضلها ، ويقول لأولئك الذين يحاولون أن يرفعوا قواعد العالم على أساس جديد : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم » .

أحمد حسن الزيات

المؤمنين ، ليجتمعوا على المودة ، ويتعاونوا على لاواء العيش ، فلا يبقى قوى ، ولا يخل غنى ، ولا يظلم مظلوم .

بدأ ذلك بالتأليف بين الأوس والخزرج والمواخاة بين الأنصار والمهاجرين ، ثم توفقت عرى الإخاء بين المجاهدين فى سبيل الله حتى صار المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وأصبح هؤلاء القلال الضعاف فى بضع سنين أئمة للناس ، وورثة لعمركم وقيصرو .

كذلك فى سبيل الوحدة الإنسانية والأخوة الإسلامية ، فرض الإسلام الزكاة ، وشرح الحج ، وأمر بالإحسان والبر ، ثم سوى بين الناس على اختلاف أسنتهم وأنوائهم فى الحقوق والواجبات بمحو العصبية الوطنية ، وقتل النعرة الجنسية ، وجعل التقدير والتكريم للتقوى ، فقال الرسول الكريم فى خطبة الوداع :

« إن ربكم واحد ، وإن أبائكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » .

المسلمون وحدهم هم الذين يفهمون الإنسان بمعناه الصحيح ، لأنهم أتباع محمد ، ومحمد وحده هو الذى أعلن حقوق الإنسان بهذا المعنى لأنه أرسله رحمة للعالمين كافة ... أرسله رحمة للذين استضعفوا فى الأرض لفلة المال كالمساكين ، أو لفقد العشير كالموالى ، أو لضعف النصير كالارقاء ، أو لطبيعة الخلقة كالنساء ، فكفّل الرزق للفقير بالزكاة . وضمن العز للذليل بالعدل ، ويسر الحرية للرقيق بالعتيق ، وأعطى الحق للبرأة بالمساواة .

تحية شهر رمضان

لإمام الأکبر الشيخ حسن مأمون
شيخ الأزهر

لا يعبدون صنأ أو وثناً فاطعن إلههم ؛ ولكنه ما لبث أن وجد فريقاً من أتباع موسى يدعون أن عزيراً بن الله وفريقاً من أتباع عيسى يدعون أن عيسى بن الله - قال الله تعالى - وقالت اليهود عزير بن الله ، وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قل قلهم الله أنى يؤفكون . فأنكر هلى الفريقين زعمهم ولم يجد فيه شيئاً من الحقيقة التى يبحث عنها واستمر فى بحثه عن الحقيقة التى ضاهت وسط أصنام تعبدها قريش مكة وادعاءات ألوهية بعض البشر - يقول بها ناس من أتباع موسى وعيسى هليهما السلام والتبس أن يخلو بنفسه بعيداً عن أهله وأن يفكر فى خالق الكون الذى يشاهد بأرضه وسمائه وما فيه من إنسان وحيوان ، وبينما هو غارق فى تفكيره فى إياه من ليالى رمضان جاءه الملك فقال له اقرأ ... فأجاب : ما أقرأ فضمه الملك إلى صدره ضمة قوية حتى كاد يخنقه - ثم يرسله ويكرر عليه أن يقرأ بقوله اقرأ - فيجيب بما أجاب به فى المرة الأولى ويعود الملك إلى ضمة ضمة تكاد تخنقه ثم يرسله ويكرر عليه الأمر (اقرأ) فيجيب الرسول : ماذا أقرأ ؟ فيقول الملك (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) فيقرؤها كما سمعها وقد نقشت فى قلبه كلماتها ثم ينصرف عنه الملك ويتركه إلى ما كان عليه قبل حضوره .

وبعد انصرافه يفكر محمد بن عبد الله بن عبد المطلب

لا يستطيع الإنسان وهو يعيش فى حاضره ويتطلع إلى مستقبله أن ينسى ماضيه القريب الذى عاش فيه أيامه ولياليه ، وما ضيه البعيد الذى عاش فيه آباؤه وأجداده وخلف التأويخ له صوراً وذكريات من حياتهم يشعر براحة كلما أتاحت له فرصة امترجاعها إلى ذاكرته ، واستعادتها إلى نفسه ليجد فيها تسكيناً لحيرته وتهذئة لاضطرابه بعد أن حاول أن يستقرأ الغيب حوادثه وأيامه فججز عن ذلك ، وبقي كما هو فى حاضره حائراً مضطرباً . والمسلم يتطلع كل عام إلى هلال رمضان فتمر به صور لامعة ولوحات مضيئة لماضيه البعيد ويرى ببصيرته أول ما يرى منذ أربعة عشر قرناً صورة كاملة لفتى من أكرم فتيان قريش جالسا فى إحدى ليالى شهر رمضان ليقضى إحدى لياليه منفرداً فى غار مظلم يقع فى أعلى جبل حراء شمالى مكة - صورة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذى هجر كمعادته كل هام بيته وزوجه وأولاده ، وانطلق إلى هذا الغار ليخلو بنفسه ويفكر فى هذه الحياة التى يحياها قومه ومن جاوهم من الأمم القريبة والبعيدة باحثاً عن الحقيقة التى لم يجدها ما ثلة أمامه ولم يكن لفضله الكبير أن يطمن إلى ما كان عليه قومه من عبادة أصنام متعددة يصنعونها بأنفسهم لا تملك لنفسها حركة ولا سكوتا ولا تضر ولا تنفع ، فأنكر على قومه عبادتهم وهزفت نفسه الشريفة عن مشاركتهم فيما كانوا عليه والتبس الحقيقة هند غيرهم فوجد قوما يعبدون الله على دين موسى وعيسى

الإسلام إذ تفضل الله سبحانه وتعالى على عبده محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بابتداء إنزال القرآن عليه فيها إيذاناً برسالة الإسلام في شهر من أكرم شهور السنة : (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) والذي كرمه الله سبحانه وتعالى بفرض صيام أيامه كلها وأحياء لياليه بالذكر والعبادة والتسبيح والحمد والشكر ، ثم تفضلنا في هذا الشهر الكريم صورة الصراع بين الحق والباطل بين المؤمنين وعلى رأسهم رسول رب العالمين ، وبين المشركين من صناديد قريش بمكة حيث التقى الفريقان ببدر (قرية صغيرة تقع على الطريق من مكة إلى المدينة) في الثامن من رمضان في السنة الثانية للهجرة ووقف الفريقان جند الحق وهم قلة أمام جند الباطل وهم كثرة تزيد على ثلاثة أضعاف جند الحق همداء وعدة ، وعند ذلك اتجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى فتأجاه بقوله (اللهم هذه قريش قد أتت بخيلاتها تحاول أن تكذب رسولك — اللهم نصرك الذي وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لن تعبد) وما زال يهتف بهذا النداء ماداً يديه مستقبلاً القبلة وخرج إلى أصحابه ليحرضهم على القتال والثبات في الميدان بقوله (والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً مخفياً مقبلاً غمهم مدبر إلا أدخله الله الجنة) في هذا الجو المؤمن بالله وببصيرته تصارع الحق والباطل وانتهى الصراع بنصر الله لرسوله وأتباعه المؤمنين المخلصين على أعدائهم وأعدائهم المشركين — كافرين — وفي تأييد الله لرسوله نزل قوله تعالى (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فتبثوا الذين آمنوا سألنى في قلوب الذين كفروا الزهب فاضربوا فوق الأعناق

فيما رآه وفيما سمعه فيسأل نفسه هل كان ما رآه من الرؤى التي يراها الناس في نومه ، أو كان ما رآه مسا من الجن أرسيفاً آخرها مما يخاف منه واشتدت حيرته فترك الغار وهام في الفضاء الذى يقع حوله وكلما نظر إلى السماء وجد صورة الملك أمامه فعاد إلى بيته مضطرباً حائراً ، يملأ قلبه الخوف والرهبة بما رأى وسمع إذ لم يكن له عهد بالوحى ، وأفضى بدخيلة نفسه إلى زوجته السيدة خديجة فألقت إليه كلمات هدأت من روعه وأعادت إلى نفسه الشريفة الطمأنينة والسكينة إذ قالت له : ابشر يا بن العم واثبت فالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ووالله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتعين على نوائب الحق — ولما انتهت زوجته من كلامها اطمأن إلى أن ما رآه وسمعه لم يكن رؤيا من الرؤى وإنما هو الوحى الذى يرسله الله إلى أنبيائه ورسله ليبلغهم كلمات الله ، ووجد مما سمع الحقيقة التى طال بحثه عنها إذ وجد أن ربه هو الذى خلق كل شئ وخلق الإنسان من علق .

هذه أول صورة مشرفة يراها المسلم ببصيرته كلما طالعها هلال شهر رمضان ويذكر هذه الليلة المباركة التى حدثنا القرآن عنها بقوله (حم والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين رحمة من ربك إنه هو السميع العليم) والتى أنزل فيها من القرآن سورة القدر (بسم الله الرحمن الرحيم إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر) .

فى هذه الليلة المباركة ظهر إلى الوجود نور

أريقت إلا النذر اليسير حتى لقد هرع غداة يوم الفتح على رجل من هذيل قتلته خزاعة وهو مشرك فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقام في الناس خطيباً فقال : يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام من حرام من حرام إلى يوم القيامة لا يحل لأمرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يمسك دماً أو يعضد فيها شجرة لم تحلل لأحد كان قبل ولا تحل لأحد يكون من بعدى ولم تحلل لى إلا هذه الساعة فعصياً على أهلها ثم رجعت كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد منكم الغائب ومن قال لكم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل فيما فقلوا له إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحللها لكم يامعشر خزاعة ، ارفعوا أيديكم عن القتل فلقد كثر أن يقع . لقد قتلتم قتيلاً لا ودينه ومن قتل بعد مقالى هذا فألم بخير النظرين إن شاءوا فدية قاتله وإن شاءوا فقتله ، - ثم بعد ذلك ودى الرجل الذى قتلته خزاعة - ثم أمر أن ينادى مناد فى أهل مكة (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يترك فى داره صنماً إلا حطمه) وذهب إلى البيت الحرام وحطم كل الأصنام وطهره من آثار الشرك ، وخطب الناس الذين التفوا حوله وتكاثروا فى المسجد وقرأ عليهم قوله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير) ثم سأل أهل مكة بقوله : يامعشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم فقالوا : خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال : اذهبوا فانتم الطلقاء . وهكذا يعفو الرسول صلى الله عليه وسلم عفوا شاملاً عن قريش وأهل مكة بعد أن مكنته الله منهم بفتح مكة من غير حرب أو قتال ؟

محمد مأمور

واضربوا منهم كل بنان ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ذللكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير . فلم تقتلوه ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ، وليبلى المؤمنين منه بلاء حسناً إن الله سميع عليم . ذللكم وأن الله موهن كيد الكافرين) .

وهذا النصر المميع فى غزوة بدر قويت شوكة المسلمين وزاد إيمانهم بنصر الله لهم فى كل موطن وفى كل وقت ما داموا معتصمين بحبل الله المتين مطيعين أوامر الله ورسوله ولا يسع المسلم وهو يرى هذه الصورة ، صورة القتال . . أو الصراع بين الحق والباطل بيدراً إلا أن يذكر بفخر وإعجاب بطولته من قاتل من الأنصار والمهاجرين سواء منهم من استشهد فى هذه الغزوة أو من رجع منهم إلى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتابع معه الكفاح ضد الظلم والطغيان .

والصورة المثالية التى يراها المسلم ببصيرته كلها طالع هلال شهر رمضان صورة ليس فيها قتال ولا دماء إنما هى صورة كلها فرح وابتهاج صورة جيش المسلمين وعلى رأسهم القائد العظيم رسول رب العالمين يدخل مكة فاتحاً بعد أن خرج منها الرسول هو وصاحبه مهاجرين من مكة إلى المدينة ثم يعود إليها بعد سنوات من الكفاح والنضال ظافراً منتصراً مؤيداً من الله سبحانه وتعالى ويدخل الرسول وجيشه إلى مكة بدون قتال أو مقاومة فلم ينقل إلينا التاريخ عن هذه الصورة أن دماء

نظرات في فقه عمر

لفضيلة الأستاذ محمد محمد المدني

- ١٢ -

٣ - وجاء في الموطأ : -

بعضهم من بعض ما دامت لا تضر المالكين ،
وهي نظرة مصلحية تتفق وما نسميه اليوم « بالروح
الاشتراكي » .

وأصل ذلك ما ورد في السنة من « أن رجلاً كانت
له شجرة في أرض غيره ، وكان صاحب الأرض
يتضرر بدخول صاحب الشجرة ، فشكا ذلك إلى النبي
صلى الله عليه وسلم فأمره أن يقبل بدلها أو يتبرع
له بها فلم يفعل ، فأذن لصاحب الأرض أن يقلعها
وقال لصاحب الشجرة : أنت مضار » .

قال ابن القيم تعليقا على هذا الحديث في ص ٢٤٣
من كتابه « الطرق الحسكية » :

« وصاحب القياس الفاسد يقول : لا يجب عليه
أن يبيع شجرته ، ولا يتبرع بها ، ولا يجوز لصاحب
الأرض أن يقلعها ، لأنه تصرف في ملك الغير
بدون إذنه ، وإجبار على المعاوضة عليه ، وصاحب
الشرع أوجب عليه إذا لم يتبرع بها أن يقلعها
لما في ذلك من مصلحة صاحب الأرض بخلافه
من تأذيه بدخول صاحب الشجرة ، ومصلحة صاحب
الأرض ببقائها في بستانه أعظم ، فإن الشارع الحكيم
يدفع أعظم الضررين بأيسرهما ، فهذا هو الفقه
والقياس والمصلحة وإن أباه من أباه » .

وبما ورد في السنة في مسألة الإرقاق أيضاً :

« مالك بن عمرو بن يحيى المازني ، عن أبيه :
أن الضحاك بن خليفة ساق خليجاً له من « العريض »
فأراد أن يمر به في أرض محمد بن مسلمة ، فأبى محمد ،
فكلم فيه الضحاك محمد بن الخطاب ، فدعا عمر محمد
ابن مسلمة ، فأمره أن يخلي سبيله ، فقال محمد : لا ،
فقال عمر : والله ليرن به ولو على بطنك ، فأمره
عمر أن يمر به ، ففعل الضحاك » .

قوله « إن الضحاك بن خليفة ساق خليجاً له
من العريض » : الخليج هو الممر المائي الذي يحتاج
من النهر ، أى يشتق منه ، والعريض : موضع
أو نهر بقرب المدينة ، وكان بين الخليج وأرض
الضحاك أرض لمحمد بن مسلمة ، فأراد أن يمده فيه ،
فدفعه محمد بن مسلمة ، فاحتج عليه بقوله : لم تمنعني
ذلك ولك فيه منفعة : تشرب منه أولاً وآخرها
ولا يضرك ؟ .

وقول عمر : « والله ليرن به ولو على بطنك »
معناه : والله لأنفذني هذا الحكم عليك حتى إنك
لو عصيت وحاربت وأدت المحاربة إلى الاقتحام
عليك وإجرامه على بطنك ، لفعلت ذلك نصرة
للحق » . .

ويتبين من هذا أن عمر رضي الله عنه كان شديد
الإيمان بحقوق الارتفاق التي ينتفع بها الناس

الارتفاق وما يجب من رعاية التعاون ، فيجب حينئذ حملهم على ذلك ، ولهذا يقول أبو هريرة : « والله لأرمن بها بين أكتافكم » - أى لأقرضكم بها كما يضرب الإنسان بين كتفيه بشئ ، يستيقظ من غفلته - وقد رواه بعض رواة الموطأ : « والله لأرمن بها بين أكتافكم » - بالنون الموحدة بدل التاء المثناة ، وهو جمع كسف بمعنى الجانب ، والمعنى : لأصرخن بها معلنا إياها بين جماعتكم ولا أكتمها أبداً ، وكأنه رآهم توقفوا عن قبول هذا الحكم ، كما وقع في رواية لأبي داود أنهم نكسوا رؤوسهم لما سمعوا ذلك

وقوله عليه الصلاة والسلام « لا ضرر ولا ضرار » يدل على تحريم الضرر على أى صفة كان دون فرق بين الجار وغيره ، ودون فرق بين مسألة الجدار وغيرها من مسائل الارتفاق ، وتلك قاعدة من قواعد الشريعة تشهد لها كليات وجزئيات ، وقد ورد الحديث بالوعيد لمن ضار غيره ، إذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ضار أضر الله به ، ومن شاق شق الله عليه » - أخرجه أبو داود ، والفسائى ، والترمذى ، وحسنه - .

• • •

٤ - وروى كتب الأموال والخراج ، وغيرها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان أقطع بلال ابن الحارث المازنى : المقيق - وهو واد قرب المدينة - فلم يستطع عمارتها ، ولما تولى عمر بن الخطاب الخلافة قال : يا بلال ، إنك استقطعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضاً طويلاً هريضة ، فقطعها لك ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يمنع شيئاً يسأله ، وأننا لتطبيق ما في يدك ،

ما رواه الجماعة - إلا النسائى - عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« لا يمنع جار جاره أن يفرز خشبة في جداره » - ثم يقول أبو هريرة : « مالى أراكم عنها معرضين ، والله لأرمن بها بين أكتافكم » .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » ، وللرجل أن يضع خشبة في حائط جاره ، وإذا اختلفتم في الطريق فاجعلوه سبعة أذرع .

قال الفوكانى في شرحه للأحاديث الواردة في ذلك د ص ٢٦٠ ٥٥ :

« والأحاديث تدل على أنه لا يحمل للجار أن يمنع جاره من غرز الخشب في جداره ، ويجهز الحاكم إذا امتنع ، وبه قال أحمد ، وإسحق ، وابن حبيب من المالكية ، والشافعى في القديم ، وأهل الحديث » .

ثم ذكر الفوكانى أن الجمهور يشترط إذن المالك ، ولا يجبرون صاحب الجدار إن امتنع ، ويحملون النهى على التنزيه جمعاً بينه وبين الأدلة التى تقضى بأنه لا يحمل مال امرئ مسلم إلا بطيبة من نفسه ، وعقب على ذلك بأن أحاديث الارتفاق أخص من تلك الأدلة مطلقاً ، فيبنى العام على الخاص ، قال البيهقى : لم نجد فى السنن الصحيحة ما يعارض هذا الحكم إلا عمومات لا يستغنى عن نفيها .

وقول أبي هريرة « مالى أراكم عنها معرضين » أى عن هذه السنة أو عن هذه الوصية النبوية ، وهو يدل على أن طبيعة الحرص على المصلحة الخاصة تحمل بعض الناس على الامتناع من تأدية حقوق

الأرض التي أقطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا، كانت أرضاً عامة مملوكة للمسلمين، وإنما أخذها ليعمرها ويصلحها، فإذا عجز عن ذلك فليس من الرأي أن تبقى في يده معطاة، بل الرأي أن يبقى له ما يطيق، ويتخلى لغيره مما لا يطيق.

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعادى الأرض لله وللرسول، ثم لكم من بعد، من أحيا أرضاً ميتة فهي له، وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين، - رواه أبو يوسف في المحرّاج ص ٦٥ ط السلفية - .

والمراد بعادى الأرض ما انقضض أصحابه وصاؤ ملوكها عاماً، وفي حكمها الأرض الموات التي لم يسبق أحد إلى إحيائها، ولا إلى ملكها، وقد كان عمر رضى الله عنه يستند إلى هذه السنة النبوية ويقول: من هطل أرضاً ثلاث سنين لم يعمرها، فجاء غيره فعمرها فهي له، ومعنى هذا كله أن العمل هو الموعول عليه في ملك الأرض العساة، وأن إهمالها أو العجز عنها يبرران انتزاعها من مالكتها.

محمد محمد المصطفى

فقال: أجل، قال عمر: فانظر ما قويت عليه منها فأمسكه، وما لم تقن، وما لم تقو؛ فادفعه إلينا نقسمه بين المسلمين، فقال لا أفعل وأه، شئ أقطعنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم! فقال عمر: وأه لتفعلن! فأخذ منه ما عجز عن عمارته، فقسمه بين المسلمين - ص ٥٦ من كتاب تحديد الملكية في الإسلام، للسيد أبي النصر أحمد الحسيني - .

والإقطاع المذكور هنا، هو تملك الأرض لمن يقيمها ويعمرها، وكان رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم يفعله رغبة في التعمير والإصلاح، وفعله كذلك الخلفاء من بعده، والجديد الذي فعله عمر في هذا هو أنه لم يترك بلالا وتحت يده هذا الوادى الطويل العريض - كما قال - وهو غير قادر على إصلاحه وتعميره، دون أن يتخذ قراراً حاسماً في شأنه، وهو أن يبقى له ما يقدر عليه، ويأخذ منه الباقي ليقسمه بين المسلمين، وقد فعل ذلك على الرغم من معارضة مالكة وتمسكه بأن هذه منحة منحه إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو يملكها ممن يحق له التملك، وهو يعترض بها، لأنها من رسول الله، لا من خليفة أو حاكم.

ونظريّة عمر رضى الله عنه واضحة، فإن هذه

عمل الخير

عن حذيفة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: تلقت الملائكة روح رجل من كان قبلكم، قالوا: أعلمت من الخير شيئاً؟ قال: كنت آمر قتياني أن ينظروا المومر ويتجاوزوا عن المعسر، قال: فتجاوزوا عنه.

يفحات القرآن

من مساجلات القرآن في الإقناع بالإيمان والعمل به للاستاذ عبد اللطيف التبكي

« قل من يرزقكم من السماء ، والأرض ... » . الآيات

أمر الناس ، وتصريف الأمور مع الله من الجن
أو الإنس ...
وإذا كان عجز هؤلاء جميعاً بادياً لكم ، وليس
لكم من مبرر في تقديرهم ، وتأليهم .

وهذا سؤال مرادف لما سبقه . في تبصير العقول
بما لا بد منه في استقامة الأنفس على هداها ،
وسلامتها من الغواية .

١٢ - « أفنى يهدي إلى الحق أحق أن يتبع ، ؟ »
١٣ - « أم من لا يهدي إلا أن يهدي ، ؟ »

هل الإله الذي يرزقكم ، ويملك السمع والابصار ،
ويبدأ الخلق ثم يعيده ، ويهدي الناس إلى الحق
بما شرع لهم من الدين أو بين لهم من معالم الرشد ،
ومزلات الهوى : هل من ثبقت له تلك المحامد
يكون أحق بالمتابعة لهديه ، والإخلاص في توحيده .
أو الذي لا شيء له من هذا كله ، ولا يستطيع أن
يهدي نفسه إلى خير ، بل لا يميز خيراً من شر
كالأصنام ، والكواكب التي تحسبونها آلهة ...
وكذلك من لا يقدر على هداية نفسه إن كان ذا حياة
كالعزير ، وهيسى إلا إذا هداه خالقه ؟ ؟

وهكذا من تظنون أن لهم جانباً خاصاً في تدبير

وبهذا الجود الإلهي يتن الله على عباده فيقول :
 « أفنضرب عنكم الذكر صفحا أرب كنتم قوما
 مسرفين ؟ » ، يعني : لا تعرض عنكم في الإرشاد ،
 ولا نضن بهديكم بسبب إصرافكم في العصيان ...
 فإن رحمته بعباده قائمة بذاته ، ولا تنفك عنها حتى
 في ساعة غضبه ، فالرحمة منه غالبية .

وهذا معنى قولهم رحمته سبقت غضبه ... يعني
 تغلبت على سخطه ، فكان لطفه بنا دائما سيما قائما
 حولنا - جل شأنه .

وكان من شمول هذه الرحمة لطاعتنا ، وعصاقتنا
 أن يفيض في الاستفهام كما في موضوعنا ، وفي كثير
 من مقامات القرآن للتذكير ، والتنبية من الغفلات .

كما ترى في سورة الروم .. وسورة الرحمن الخ :
 « ولقد صرفنا في هذا القرآن ليعذركوا ، ومع
 كثرة الاستفهامات فليست إسهابا ، ولا زائدة عن
 حاجات العقول : بل هي ضرورة لمقاومة النسيان
 الذي يلبس الإنسان بطبيعته إنسانا .

فليس في القرآن إسهاب بالمعنى الذي يعتبر زيادة .
 بل كل كلمة في القرآن ، وكل حرف من حروفه
 إنما وضع لمعنى يراد .

حتى الحروف التي يسمونها زائدة ... فلها هدف
 خاص ، ولو لزينة اللفظ القرآني .

والزينة اللفظية حليلة للقرآن وحتمية .

فإذا قرأت « فبا رحمة من الله انت لم ، ورايت
 لفظة - ما - زائدة عن أصالة المعنى ... فإنها حليلة
 لازمة وبغيرها تكون الكلمة غير عذبة كما تراها
 الآن ، وهكذا مما يضيق به المقام ؟

عبر اللطيف السبكي

من الخيال ، معنون في الباطل ، والجهالة : إلا من
 تفهم واهتدى ، وثاب إلى رشدته قبل موته ، ومهما
 يكن الظن ماثرا الاعتقاد عند أهله المتجادين في غيهم
 فإنه لا يغني شيئا من الحق الذي دعاهم إليه ربهم ،
 وتوافرت لديهم أماراته في هدى نبيهم .

وكان المتعصبين للباطل في أمان من فضيحة أمرهم
 عند الله ، وفي مأمن من عذابه والشيطان يسول
 لهم ذلك ...

والله تعالى يؤكد الوعيد ، والتهديد بالعذاب
 على هذا كله في قوله : « إن الله عليم بما يفعلون ،
 من الشرور ، وسوء الاعتقاد وتكذيب البراهين .
 وهكذا نجد توجيهات القرآن مقرونة بالأدلة ...
 ونجد الأدلة في سياق يتنوع في لهجاته ، ومن أنواع
 السياق الاستفهامات على نحو ما ذكرنا لك في الآيات
 القليلة ، التي اشتملت على خمس عشرة صيغة ،
 في تفصيل الخطأ ، وبيان المآخذ التي تتعلق
 بالعقيدة ، والأخلاق وما يقترن بها من وعد ،
 ووعيد الخ ...

وذلك كله من تعريف الله في هذا القرآن ليتذكر
 أولو الأبواب .

ومع ما يبدو لنا في هذا المقام من شدة على
 الكافرين خاصة ، فإن في ملاح الاستفهامات رحمة
 من عند الله ... حتى بالكافرين أنفسهم .

وذلك : أن الله يريد بعباده جميعا اليسر ، فهو
 يهدينا إلى الخير بكل ما يسوق في القرآن ولو أراد
 بنا العسر لأعرض هنا .

ولكن تمردنا عليه - سبحانه - لم يحجب فضله
 هنا ... ضرورة أن كرمه ذاتي لنفسه ، فهو الذي
 يفرض على نفسه الرحمة بنا ... وما يفرضه على
 نفسه يكون كما لا نقاب به .

الصوم شريعة عامة بين البشر

للأستاذ بدر المتولى عبد الباسط

عرفت الصوم كشعيرة من الشعائر على اختلاف بينها في كيميته وزمنه وصدق الله العظيم إذ يقول : ولو كان من هند غير الله لو جددوا فيه اختلافا كثيرا ، اختلافا بين آياته واختلافا بين ما أخبر به وبين الواقع .

علاقة الصوم بالتقوى :

وقبل معرفة العلاقة بينهما لابد من تحديد معنى الصوم والتقوى ، فالصوم - لغة - مطلق الإمساك ؛ وهذا المعنى لا يعنيننا كثيرا ، وإنما يعنيننا تحديد معنى الصوم عند المتدينين سواء كانوا أهل كتاب سماوى أو كانوا أتباع دين وضعى والمعنى الجامع بينهم : أنه كف النفس عن مشتهياتها كلها أو بعضها فترة من الزمن طالت أو قصرت ؛ وعند فقهاء الإسلام هو الإمساك عن إدخال شيء إلى الباطن أو ما فى حكم الباطن ، وعن شهوة الفرج من طلوع الفجر الصادق إلى بعيد غروب الشمس بنية التقرب إلى الله تعالى ، وعند المقيدين المخلصين من عبادة المؤمنين هو كف الجوارح عما نهى الله عنه تقربا إلى الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه .

وأما التقوى فاسم مصدر من الانتفاء وهو الاجتناب ، والتقوى فى حرف المتدينين هى اجتناب ما يغضب الرب المعبود بامتنال أوامره واجتناب نواهيه .

إذا عرف هذا فنقول : إن الإنسان هو خليفة الله فى أرضه ، أسكنه فيها ليعمرها ؛ بل لا أكون مغالبا إن قلت : إنه صفوة الله من خلقه فقد سخر له

ما هو السر وراء هذه الحقيقة التى يجعلها القرآن الكريم وأيدها واقع البشرية فى حاضرها وتاريخها فى ماضئها ؛ تلك الحقيقة أن الصوم شريعة عامة إذ يقول الله جل ذكره : وبأىها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ، ولقد أبان القرآن الكريم عن هذا السر الخاطير فى جملة واحدة ذيل بها الآية السابقة فقال جل شأنه - ه لعلكم تتقون ، وكان هذا التذييل الجامع من أدلة إعجاز القرآن الكشيرة وسأحاول - جهدى - أن أكشف العلاقة بين الصوم وبين التقوى ؛ وقبل أن أفصل القول فى هذا المقام أحب أن أقول : إن صدر الآية الكريمة هو - أيضا - دليل إعجاز آخر ففيه إخبار أن الصوم كتب على الذين من قبلنا ، وهذا الخبر يتطلب اطلاعا شاملا على تاريخ الشعوب ودراسة تحليلية لعرائدها وعقائدها : وهذا لا يكون إلا من متخصص يسكاد يسكون متفرغا لدراسة التاريخ وحده ، ونحن نعلم - والبشرية كلها قلم - أن محمدا ابن عبد الله أى نشأ فى أمة أمية لم يجلس إلى معلم قط فن أين له هذا الحكم العام الذى يسكنى فى نقضه وإبطاله أن تكون هناك أمة واحدة لم تعرف الصوم كقربة من القرب وفريضة من الفرائض ؛ هذا ، وبناء فعل ، كتب ، فى قوله جل شأنه : وكما كتب على الذين من قبلكم ، يشير إلى أن فرض الصوم قد يكون من الله جل شأنه ، وقد يكون من غيره من فصبوا أنفسهم لقيادة الأمم ؛ فإن جميع الأمم السكتابية وغير السكتابية ، المعاصرة والمندثرة .

وأصبح الجسد غير صالح للحياة في هذا الكوكب بل عطلوا الروح عن أن تقوم بواجبها في عمارته لأنها بدون الجسد غير صالحة لهذه الحياة ولا أدل على ذلك مما يشاهد في بلاد كالهند من يدين بعض أفرادها بمبدأ تعذيب الجسم وكبت غرائزه ؛ فإنهم وأن ظهرت على أيديهم بعض خوارق العادات لا يصلحون لمهارة الأرض ولا يقدر على الإنسان نفعاً يليق بهم كإناس ، ولقد غر سراب الكبت النفسى بعض شباب الصحابة ؛ وخيل إليهم أنهم بالغوا الغاية التي أرادها الله من عباده إن هم قتلوا في نفوسهم نوازح الجسد فقالوا : نصوم ولا نغفر ونقوم الليل ولا ننام ، ونعتزل النساء ؛ وعلم الرسول صلوات الله وسلامه عليه ذلك ففضب غضباً شديداً وقال ما معناه : « إني أصوم وأفطر وأقوم وأنام وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » ، ويقول في حديث آخر : لا صيام لمن صام الدهر ، فإن كان هذا دعاء فويل لمن دعا عليه النبي الكريم وإن كان خبراً ثقيلاً لمن آتاه نفسه في غير ما شرع الله لعباده .

وقد نهى عليه الصلاة والسلام عن صوم الوصال وهو أن يصل يومين فأكثر صائماً دون أن يتخلل ذلك تناول مغفر أثناء الليل معتقداً أن في ذلك تقرباً إلى الله تعالى بإضعاف غرائزه وتقوية نفسه وروحه الناطقة ؛ ولما قيل له : إنك تواصل الصوم فقال : « لست كهيتكم إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني » فهو لمقامه الشريف وما زود به من طاقات لم يزود بها سواه يشاهد من تجليات ربه ما ينسبه نفسه من غير أن ينال جسده الشريف وهن أو ضعف ؛ وأما غيره فليس له هذه المشاهدات وليس عند هذه الطاقات .

وما في السموات وما في الأرض ، وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، وقد اقتضت حكمته تعالى السامية أن يسكون الإنسان مركباً من نفس ناطقة عاقلة وروح سامية مدبرة ومن جسم مادي يتوره الفناء ويتطلب التجدد حتى يحافظ على البقاء والروح لا تؤدى وظائفها التي خلقت لها إلا بواسطة الجسد ، والمعادلة بينهما هي أسمى ما تطمح إليه البشرية من سمو . فطغيان المادة على الروح الناطقة يجعل الإنسان - وإن كان كائناً حياً - أشبه بالمادة الطاغية في كثافتها وإذا ترقينا به كان كالحیوان الأعجم الذي سلب نعمة النفس الناطقة التي كرمه الله بها وفضله بها على كثير من خلقه ، والروح إذا طغت على الجسد فقد حرمت من نعمة الخلافة في الأرض ولعميرها ، وتسخر ما في السموات وما في الأرض له ولجنسه .

وقد زود الإنسان بغير اثر تحفظ له ولجنسه البقاء إلى الأجل المحدود وتجعله يتجدد في نفسه ونوعه وأهم هذه الغرائز تعود إلى شهوة البطن التي تجده ذاتياً ، وشهوة الفرج التي تجده نوعياً ؛ وهاتان الشهوتان - كما هما في الإنسان - هما في الحيوانات العليا منها والدنيا ؛ والمعادلة بين الروح الناطقة المفكرة والجسد المادي تتطلب أن لا تطغى إحداها على الأخرى ؛ وذلك بالحد من نوازح الاستجابة إلى كل من شهوتي البطن والفرج ، ومن هنا شرع الصوم ؛ بل عرفته الأمم التي لا تدين بدين سماری فقد عرفت هذه الأمم بتجاربها وبما بقي فيها من فطرة الله التي فطر الله الناس عليها أنه لا بد أن يتمتع الإنسان من باقي الحيوانات بالتحكم في شهواته والحد من غرائزه ، ولقد تعالى بعض الناس في ذلك إلى الحد الذي طغت فيه الروح على الجسد ،

الصوم ؛ وذلك أن المسلم إذا ذاق مرارة الحرمان فقرة من الزمن تذكر أو لئلك المحرومين من متطلبات الحياة أزماناً نعطفتهم إليه طائفة الرحمة ؛ وليس كالحرمان يجمع المحرومين ؛ كما عالج هذا الداء بدواء إيجابى هو فرض الزكاة وجعلها حقاً لساكني والمحرورين ، وكذلك عالج الظلم بتشريعات كثيرة غرم على الإنسان التمتع بالثاقل ما يملك من متع الحياة في فترات الصوم ليعرف ألم حرمان الإنسان من التمتع بما سلكه كما حدد طرق الملكية ووضع لها حدوداً تكبح غريزة حب التملك وإن كانت لا تقضى عليها ليبقى التعادل الذى يحبه الله لعباده .

وإذا تعلم الإنسان من الصوم مراقبة الله وتدرب على التحكم فى أهوائه إيجاباً وسلباً فقد تحققت التقوى بكل معانيها وتبين لنا الارتباط الكامل بين الصوم والتقوى .

وإذا كان بعض الناس لا يهذب الصوم أخلاقهم فليس ذلك طناً فى حكمة مشروعيته بل لأنهم غافلون عن المعاني التى يقصدها الشارع الحكيم ؛ فليس لله حاجة فى أن يدع أحداً طعامه أو شراجه أو يعذب نفسه بحرمانها من شهواتها إنما يريد التقوى منا ، وذلك لا يكون إلا بفقه دينه والتعريف لمقاصده من شريعته .

ومع هذا فإننا نشاهد - رغم بعض المظاهر التى لا تليق - أن شهر الصوم هو أقل الشهور شراً وأكثرها خيراً وبراً .

أعاده الله على المسلمين وهم على خير ما يحبون من قوة ويقين ؟

برء المتولى عبد الباقط

والصوم فى نظر الإسلام ليس كتبنا للفرائز الإنسانية ؛ بل هو تعديل لها وكبح لشذوذها ، ولذا شرعه الله أياماً معدودات ، وشرعه فى فترات غير متصلات ليجمع الإنسان بين متطلباته كجسم حتى يحتاج إلى التجدد فى نفسه والتجدد فى نومه وأحل لكم ليلة الصيام الرفق إلى نفسائكم من لباس لكم وأتم لباس لمن علم الله أنكم كنتم تحتلون أنفسكم قتالاً عليكم وعفا عنكم فالآن باسروهم وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخطيط الأبيض من الخطيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ، والمسلم إذا تعود أن يكبح جماح شهوات البطن والفرج فى فترات متفرقة متقاربة فى سره وعلنه ابتغاء وجه الله كان ذلك درساً عملياً وتدريباً نفسياً على اتقاء عارم الله تعالى فى غير هذه الأوقات ، وأهملته هذه التجربة طاعة يستطيع بها أن يتحكم فى غرائزه فيندفع معها حين يحسن الاندفاع ويكبحها حين يحسن الكبح ؛ والإنسان الكامل هو من كانت عنده قوة الدفع ، والكبح متعادلتان ، ولعل هذا هو السر فى حبه صلى الله عليه وسلم على التجميل بالقطور وتأخير السحور .

وإذا كانت غريزة حب التملك ضرورية للإنسان ليدع ويجد ويعمر إلا أن هذه الغريزة إذا قوبلت فيه وتسلط عليه حملته على أن يضن بما بيده حتى يحرم منه غيره من هو فى حاجة إليه بل ربما حملته على التغالى فى الاستحواذ على ملك الغير بأية وسيلة ، وهذه الغريزة هى منشأ كل من البخل والظلم ؛ وقد حارب الإسلام هذين الداءين بما أقام من تشريعات تخادب البخل بدواءين أحدهما سلبى وهو فريضة

لاصوم لبخيل

للأستاذ علي العمري

ولا يبذل معروفه لقريب أو غريب ، ولا يبادر
لفعل الخير حين يهوب به داهي الوطن فلا فائدة
من صيامه وقيامه ، وتعبده وتمجده . بل إن
الاحاديث النبوية الشريفة تؤكد أن مثل هذا بعيد
عن الإيمان الصحيح ، فقد سئل صلى الله عليه وسلم :
أيمكن المؤمن بخيلاً ؟ قال : لا .

وقال عليه الصلاة والسلام : (لا يجتمع غبار
في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً ،
ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً) .
وإذا كان الأمر كذلك - وهو لا شك كذلك -
كان صيام البخيل شجاً لا روح فيه ، وكيف يتبل
صيام مسلم ينفي عنه رسول الإسلام الإيمان .

وقد كان أول ما يبدأ به صلى الله عليه وسلم بعد
صلاة العيد الحث على الصدقة ، فقد روى
أن رسول الله كان يخرج يوم العيد من يوم الفطر
فيصلي بالناس تينك الركعتين ثم يسلم فيستقبل
الناس ، فيقول : تصدقوا . وكان أكثر من يتصدق
الفناء . .

وفيما روى عنه صلى الله عليه وسلم ، واشتهر
على ألسنة الدارسين والواظ ، قوله : (صوم
رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بركة
الفطر) .

وهو حديث صريح في أن صوم البخيل غير مقبول ،
وإخراج الزكاة أول مراتب الجود ، ووراء ذلك
مراتب كثيرة تصل إلى حد ما كان يفعله

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ،
وكان أجود ما يكون في رمضان ، فـرسول الله أجود
بالخير من الريح المرسلة .

ومن صفاته صلى الله عليه وسلم أنه ما سئل
عن شيء قط فقال : لا . إن كان عنده أعطى ،
وإن لم يكن عنده وعد وعدا كريماً . وكان يعطي
عطاء من لا يخاف الفقر .

هذا هو المثل ، والقُدوة الصالحة لكل مسلم
ومسلمة : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة
لمن كان يرجو الله واليوم الآخر .

والصوم عبادة لم تشرع عبثاً ، وإنما شرعت
لغايات نبيلة كريمة ، تهدف إلى خير الفرد ، وخير
المجتمع . فلم تتحقق هذه الغايات فالجدوى قليلة
من هذه العبادة . فكل عمل أريد منه غاية معلومة
كان لابد للاعتداد بهذا العمل أن تتحقق هذه
الغاية . .

ولعل من أبرز الغايات في فريضة الصوم أن يشعر
الغني بحاجة الفقير حين يلذعه ألم الجوع والعطش .
فيرق قلبه ، وتسخر يده ، ويعطى مما رزقه الله ،
وإذا تكرر هذا منه شهراً في كل عام ذاق لذة
الإعطاء ، وأصبح الجود بحجة فيه فيستريح للبذل
كما يستريح للكسب .

أما إذا صام ، وقام ، وتعبد وتمجد ، ثم ظل
عكاً الإقبال على يديه ، لا يشعر بحاجة المحتاج ،

أموالكم إن يسألكمها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله ففكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم .

وهذه الآيات تد نفرت من البخل أبلغ التنفير ، وهي - مع جازاتها - تعتبر أوسع حديث عن البخل في القرآن الكريم .

وقد جاءت هذه الآيات في آخر سورة القتال لتؤكد أن النصر كما يكون ببذل الروح يكون ببذل المال ، وأنه لا فرق بين من يضن بدمه في سبيل الله ، ومن يضن بماله ، وأن الناس إذا لم يطيعوا الله ورسوله ، وينفقوا من أموالهم فقدوا المعنى الذي كانوا به ناسا ، يعمرن هذه الأرض ، ويقيمون دين الله ، وكان حقاً على الله أن يستقبل بهم غيرهم يكونون أطوع لله ورسوله ، وأجود بأموالهم .

والآيات مبتدأة ببيان حقيقة الدنيا ، فهي هوى ولعب ، تضيى سريعة ، ولا يبقى منها في يد الإنسان شيء ، ومختومة بالتوهد من الله بأنه قادر على أن يأتي بقوم آخرين لا يفعلون كما يفعل هؤلاء الذين يبخلون ، ويمصون أوامر الله سبحانه .

وقد أبانت عن أثر خليقة الشح في النفس الإنسانية ، فهي إذا هيجهت دمرت ، فالله - سبحانه - يدعو الناس ، بل يدعو المؤمنين المتقين إلى بذل شيء يسير من أموالهم لأنه يعلم أنه لو طلب منهم أن يبذلوا كلها ، لبخلوا ، وظهرت أحتادهم ، ولو كان البخل غير متمكن من الإنسان هذا التمكن ما وقف هؤلاء من هذه الدعوة الكريمة هذا الموقف : « وإن تؤمنوا وتتقوا . . . لا يسألكم

صلى الله عليه وسلم ، فقد كان يعطى حتى لا يبقى عنده شيء » ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يعيش في نفسه وأهله عيشة الفاقة حتى لم يملك الشجر والشهرين لا يوقد في بيته نار إن هو إلا التمر والماء . . .

وقد رأى بعض العلماء أن أداء زكاة المال تكفى في نفي صفة الشح عن المسلم ، ولكن ذلك يردده قوله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القرب واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس . أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » .

وجه الاستدلال بالآية أن نسقها يدل على أن قوله تعالى : « وآتى المال على حبه » لا يراد به الزكاة ، لقوله سبحانه بعده : « وآتى الزكاة » . فلما عطف الزكاة عليه دل على أنه أواد بالأول شيئاً مغايراً لها ، وهو الصدقة التي قد تكون واجبة وقد تكون مندوباً إليها .

وحديث القرآن الكريم عن الشح والأشحاء ضافى القول ، بعيد المدى ، وهو حديث خفيف ، ينذر هؤلاء بأنهم لا مكان لهم في الأبرار ، ولا مكان لهم عند الله .

وسنكتفي هنا بقطرة واحدة ، ولعلنا نعود إلى الموضوع في فرصة أخرى .

جاء في سورة محمد : « إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم

والشع هو المعنى النفسى الذى يصدر عنه ، وهذا على ما رآه بعض أصحاب الدقائق .

وتصدير الآيات بوصف الدنيا بأنها لعب ولهو منفر أشد التنفير من البخل ، فإن هذا الوصف يتضمن أن الآخرة هى الجدد كل الجدد ، وهى خير وأبقى ، فحين يدهى الإنسان إلى الإنفاق عليه أن يدرك هاتين الحقيقتين فيسارع إلى إجابة ما يدعى إليه .

وكذلك النص هنا على أن ضرر البخل حائد على نفس البخل - على التفسير المشهور - أو صادر عن أزم النفس ، فى هذا الصنيع تقييح للبخل ، وحط منه .

وقوله تعالى : « واقه الغنى ، فيه توبيخ شديد على البخل ، فاقه حين يدهو الناس إلى الإنفاق لا يدعوهم لأنه فى حاجة إلى أموالهم ، فإنه الغنى ، ولا غنى غيره .

وأخيراً هذا التهديد الشديد فى ختام الآيات : « وإن تتولوا يستقبل قوموا غيركم ، .

هذا بعض ما جاء فى القرآن الكريم ، وبعض ما جاء فى الأحاديث النبوية من وذلة البخل ، فهل يأمل البخلاء بعد ذلك أن يتقبل الله منهم صيما ١٤ .

على العمادى

أموالكم ، أى لا يثق عليكم بطلب الأموال كلها ، لأنه إن سألكم إياها كلها ، وأجهدكم بخاتم مع الإيمان والتقوى ، وهذا غير مقبول .

أما ما يدل فى هذه الآيات على أن الشع وذلة بالغة الحد فى الشر ، فقوله سبحانه - أولاً - : « ويخرج أضغانكم ، فـ واء . عاد الضمير فى « يخرج » على الله تعالى ، أو على البخل ، أو على أموالهم أموالهم مع الإجماع فى السؤال ، فالمعنى أن طلب المال كله مدعاة إلى إخراج الأحقاد من النفوس ، وإن يكون الأمر كذلك حتى يكون هذا الطلب مكروها عند النفوس .

وقوله - سبحانه - ثانياً : « ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه ، وأكثر المفسرين على أن (من) هنا حلت محل (على) على معنى أن من يبخل فضرره حائد على نفسه . وقليل من المفسرين من تنبه لدقيقة من دقائق القرآن الكريم ، فأفروا (من) على معناها ، والمراد - كما فهم هذا القليل - أن من يبخل فإنما يبخل عن داعى نفسه لا عن داعى ربه ، ولا عن داعى عقيدته ودينه ، ومعلوم أن النفس أماراة بالسوء ، وأن كل ما يفعله الإنسان من الشرور ليس عن داعى ربه ، فليأذا خص البخل بهذا ؟ اهل السر فى ذلك هو الإشارة إلى أن الشع راسخ فى النفس فيصدر عنه البخل ، ومن هنا نلح المتفرقة بين الشع والبخل ، فالبخل المنع ،

البخل بين الدنيا والآخرة

ما ينسب لعل بن أبى طالب كرم الله وجهه :

« عجت للبخل يعيش فى الدنيا هيش الفقراء ويحاسبه الله فى الآخرة حساب الأغنياء ... »

سر النصر في بدر

للمعيد الركن محمد جمال الدين محفوظ

معروفة حتى إ ذلك الحين ... وكان هذا المبدأ هو الروح المعنوية ، ، ولم يكن هذا القائد ليصل إلى قراره ذلك إلا على أساس من الدراية الكاملة بأهمية القوة المعنوية على طول خبرته الواسعة بالحرب وقيادة الجيوش .

ومنذ ذلك الحين والدارسون للعلوم العسكرية يتعلمون مبادئ الحرب ومن بينها مبدأ الروح المعنوية ...

ثم استقر الرأي في العرف العسكري على أن المقاتل المكفء هو الذي يجمع بين القوة المعنوية والقوة المادية ، بل أصبح من المسلم به أنه لا قيمة للقوة المادية إذا لم تتوفر القوة المعنوية (١) .

واتجه الدارسون بعد ذلك إلى وضع الأسس للقوة المعنوية فقرروا أن يكون أولها الإيمان بالقضية التي يقاتل الرجل من أجلها ، إلى جانب الثقة في النفس وفي قدرتها ، والثقة في القائد وفي قدرته وحكمته ، والثقة في السلاح إلى غير ذلك ...

ثم نظر إلى غزوة بدر الكبرى أولى معارك الإسلام ...

فقه من المسلمين تغلب الكثرة من أعدائهم المشركين !! ما هو السر ؟

ما الذي جعل ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً من المسلمين يغلبون أكثر من ألف من المشركين ؟

في هذه الغزوة حارب النبي هرباً بعدد ... بل قرشين بقرشين . فلا يمكن أن يكون الفضل لقوم على قوم في المزايا الجسدية أو النفسية كما يمكن أن يكون في جيش آخر .

السر هو قوة المسلمين المعنوية النابعة من قوة

يتعلم الدارسون للعلم العسكري أن للحرب مبادئ معينة يسمى كل قائد إلى اتباعها إذا أراد النصر في المعركة ، وقد استخلصت هذه المبادئ من واقع الخبرة الفعلية للقادة العسكريين على مر السنين ووصل إليها الباحثون المدققون من تحليل نتائج الفشل والنجاح معاً ... وفي العصر الحديث بلغت تلك المبادئ درجة من الاستقرار والرسوخ حتى إذا اتخذنا أي نموذج من المعارك الناجحة وأردنا الوقوف على السر في النجاح ألفيناه هو اتباع تلك المبادئ ... وكذلك الحال فيما إذا اتخذنا نموذجاً لمعركة فاشلة وجدنا أن إهمال القائد لبعض تلك المبادئ كان هو السبب في فشله .

من هذه المبادئ- مثلاً ذلك المبدأ الذي يسمى بالحشد ، وهو يقضى بأن يضع القائد أكبر قوة لديه في اتجاه الضربة الرئيسية التي يحددها في مواقع عدوه ، فهذا الحشد ، يضمن له اليد العليا على عدوه ويبلغه النصر الذي يريد ... والدارس للتاريخ الحربى يجد على صفحاته أمثلة لمعارك فشل فيها القائد نتيجة لإهمال هذا المبدأ ، فنراه قد شتت قواته أجزاء صغيرة في اتجاهات مختلفة فكانت النتيجة هي الفشل المحقق .

وإلى همد قريب كانت كل مبادئ الحرب تتعلق بالقوى المادية للجيوش ولم يكن للقوى المعنوية محل واضح فيها ومحدد ... ثم أحس القادة بأهمية القوى المعنوية إلى جانب القوى المادية ، وبعضهم جعل قدرها أعلى من قدر القوى المادية مثل نابليون حين قال : إن نسبة القوى المعنوية في الميدان إلى القوى المادية هي نسبة الثلاثة إلى الواحد .

وفي الحرب العالمية الثانية جاء مونتغمري ليقرر إضافة مبدأ جديد إلى مبادئ الحرب التي كانت

(١) هناك حكمة تقول : « ليست العبرة بالمدفع ، ولكن العبرة بالرجال الذين يملكون عليه . »

فيقول المقداد بن عمرو: يا رسول الله امض لما أمرك الله فنجن معك ، والله لا نقول لك ما قاله بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون . ثم تبلغ القوة المعنوية ذروتها حين يقتل أبو عبيدة بين الجراح أباه وكان من المشركين ، وفي ذلك يقول الله تعالى : لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، وهكذا يعتبر الإيمان هنا معجزة تعد أعظم من أكبر صفة باضها القواد بفضل ما أودع الإسلام نفوس المسلمين من قوة وعزم وصبر وجهاد ، وقد هرف المسلم غاية ليس أسى منها وهي الدفاع عن دين الله ، فإن هو أصابته في سبيلها طعنة وخ أو رمية سهم أو ضربة سيف لقي مولاه راضياً مطمئناً إلى وعده الكريم: ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . لقد عز على خالد بن الوليد أن توافيه المنية وهو على فراشه في بيته ، فزاد يقول في ألم وحسرة : لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها ، وما في موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح ، وهأنذا أموت على فراشي كما تموت العير فلا نأتم أعين الجبناء . إن مبدأ الروح المعنوية قد نشأ في صدر الإسلام على عهد النبي محمد عليه الصلاة والسلام واهتم به وكان عظيم الاعتماد عليه قبل أن يعرفه العالم بثلاثة عشر قرناً من الزمان .

والحق أنه قد آن الأوان لكي نكشف عن أجدادنا العربية والإسلامية ونبين صدق قول الله تعالى فينا : د كنتم خير أمة أخرجت للناس ، ؟

محمد جمال الدين محفوظ

إيمانهم بالرسالة وشدة حماسهم في الدفاع عن الدين والقضاء على أعدائه .

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صبيحة يوم بدر يشاهد قوة المشركين وكثرة عددهم فيشفق على أصحابه ، ويعود إلى هريشه فيتمجه إلى ربه بكل جوارحه فيشده ما وعد ويردد .

اللهم هذه قريش قد أتت بخيلاتها تحاول أن تكذب رسولك فنصرك الذي وعدتني ، اللهم إن تلك هذه العصابة اليوم لا تعبد .

وما زال يدعو ربه حتى رأى نصر الله ، فيقول لأبي بكر دأبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع ، ثم يخرج إلى الناس يحرضهم ويقول لهم :

والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل ، فيقتل صابراً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة .

ونزل قوله تعالى : يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين .

انظر إلى عمر بن حام حينما سمع قول رسول الله وهو يحرض قومه على القتال ، لقد كان في يده بعض التمر يأكله فقال : أما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ؟ . وقذف التمرات من يده وأخذ سيفه وما زال يقاتل حتى استشهد رضى الله عنه .

وقطبة بن عامر ... وى حجراً بين الجيشين وقال لأقر إلا إن فر هذا الحجر ... دليلاً على عزمه الأكيد على الثبات في الميدان .

وتجلى هظمة الروح المعنوية أيضاً حينما استشار النبي أصحابه قبل التقاء الجيوعين وم بدر واشير واهل أيها الناس .

في ذكرى أستاذنا المرافق

للأستاذ محمود الشقوي

في مايو من سنة ١٩٢٨ ، وكانت سنة يوم ذاك ثمان وأربعين سنة ، وضع مذكرته المشهورة لإصلاح الأزهر ، وعرضت على الملك فؤاد فأثارت غضبه ، لأنه كان يريد أن يبقى الأزهر على حاله من الجود ، وأن يبقى رجاله على حالهم من الضعف والضعف والتبعية والانصياع له ، وحاول فؤاد أن يشي الشيخ عن عزمه وتشدده في الموافقة على مذكرته فأبى وقال : إما أن تنفذ مقترحاتي كما هي بلا أي تعديل ، وإما أن أترك الأزهر ، وعرف فؤاد موقف الشيخ وحديثه فسخط أهنف السخط وأعلن غضبه عليه فقال : يريد المرافق أن يجعل طلبة الأزهر كلهم مثل طه حسين ، ويريد إرغامى على تنفيذ مطالبه ولكن الشيخ لم يخف ولم يجزع ولم يتردد ، وانتهى الأمر بينه وبين فؤاد بإصرار كل على موقفه ، فترك مشيخة الأزهر دون أن يفرط فيأراه إصلاحا واجبا .

زواج فاروق :

أما بعض مواقف شجاعته مع فاروق ، فأكثرها غرابة قصة لا تكاد تصدق إلا من فاروق وعجائبه ، فقد طلق فاروق زوجته الأولى : « فريدة » ، وكان غضبا عليها أهنف الغضب يريد أن يكيد لها بكل كيد ، وكان من عجائب تفكيره في هذا الكيد أن يحرم عليها الزواج بعد طلاقها منه ، وتحدث في ذلك إلى بعض مستشاريه ، فكان تفكيرهم وتبريرهم أشد إمعانا في العجب والغرابة والشذوذ . قالوا : ولم لا ؟ إن زوجات النبي عليه السلام حرم عليهن الزواج

الذي يظن أن رجال مصر قبل الثورة كانوا جميعا خلوا من فضائل الشجاعة والإخلاص عظم . ظالم أما أنه عظمي فلأن الوضع لم يكن على هذا الشمول أبدا ، وأما أنه ظالم فلأنه يعمط بعضا من الرجال يعرفهم ويعرف لهم مواقف من الشجاعة والإخلاص . نجد ، من الجحود والظلم ألا نذكرها ونحمدنا ونسجلها في تاريخ وطننا تشريفا وتذكيرا وعبرة وقدوة ولا بد أن غيرنا يعرفهم ويعرف غيرهم أيضا .

من هؤلاء الذين لم تحل نفوسهم من الإخلاص ولا قلوبهم من الشجاعة أستاذنا الشيخ محمد مصطفى المرافق ، الذي نكتب عنه هذا المقال في مناسبة ذكرى وفاته : (١٤ رمضان من سنة ١٣٦٤ / ٢٢ أغسطس ١٩٤٥) .

والشيخ المرافق القاضي والمشرع الفقيه المجدد شيخ الأزهر ، المرافق بأوصافه تلك وأعماله في هذه الميادين ، عرف الناس عنه الكثير وكتب السكاتبون عنه الكثير .

أما حديثي اليوم عنه فسأقصره على بعض صفاته الخلقية وفضائله النفسية .

مع فؤاد وفاروق :

كانت مواقف الشجاعة للشيخ المرافق ، قبل توليته مشيخة الأزهر الأولى ، محدودة الذبوع يعرفها الخاصة ، مثل موقفه القضائي من الحكم في قضية تركه « سكاكيني » . فلما اختير شيخا للأزهر ،

لأن أخبارها كلها كانت أنباء هوائهم الإنجليز وحلفائهم ثم دخل المرحوم الأستاذ عبد الرحمن هزام - أول أمين للجامعة العربية - فأخذنا نتحدث عن الحرب واحتمالاتها ، ولم يخف الشيخ فرحه الكبير بهذه المزام ، وكان عبد الرحمن هزام معروفاً بمحسومته الإنجليز .

وفي هذه الجلسة ، التي لا أذكر أني لقيت المراغي أشد مرحاً وسروراً في يوم ما أكثر مما لقيته فيها . في هذه الجلسة انظر إلى وهو يهز رأسه هزة الرضى ثم قال : اليوم أشهد انفسى بالذكاء .

فقلنا : هذا يشهد به جميع الناس ، فقال : لا ، اليوم هندي دليل جديد على ذكائي وحذري ، وألقيت إليه سمعي ، فقال : سأقص عليك سرّاً من أسرار الحرب : عندما أغارت على القاهرة طائرات المحور طلب مني الإنجليز أن أتي أو أكتب بياناً أحتج فيه على هذه الغارات ، وأن أقول : إنها أقيمت قصداً على الأمنيين من السكان . وأخبرني يحدث أن الاستجابة لهذا الطلب تهم تشرشل نفسه شخصياً ، ولكنني رفضت الاستجابة وقلت : إن هذا عمل سياسي ليس من شأنى كشيخ للأزهر والإسلام ، على أنى لا أجزم بأن المحور قصد ضرب الأمنيين من سكان القاهرة ولم تكن طائراته تضرب الأهداف العسكرية التي اقتوها فيها . ولا تكفي شهادة أحد ولا تقريره وتأكيده . لذا القعد .

وغضبت الحكومة الإنجليزية ورئيسها ورئيس مجلس الحب فيها : تشرشل أشد الغضب لوقفي والعدائي ، هذا .

ثم استأنف الشيخ يقول : واليوم سمعت إذاعة لخطبة ألغاها تشرشل وأعلن فيها على العالم أن

من بعده ، و « أفندينا » هو خليفة المسلمين ومن سلالة الرسول ، فن حقه أن تحرم زوجته على غيره ! وقال « أفندينا » فاروق : الشيخ المراغي يبحث المسألة ويصدر فتوى أو رأياً ! .

وعرف الشيخ ما جرى فكان منه عجب شديد ويخط شديد وإباء شديد في أن يستمع ، مجرد استماع لما يقال في ذلك ، وعرف فاروق ذلك فأخطه وأثار غضبه ... !

لا ناقة ولا جمل :

ومن أشد الأزمات التي أنارها المراغي عنفاً موقفه من الحكومة الإنجليزية إبان الحرب الكبرى الثانية ، فقد وقف يوماً يخاطب فتحوّل من حديث العلم والدين إلى حديث السياسة ، ثم قال كلمة صريحة قاطعة في الحرب التي كانت رجاها تدور طاحنة بين « المحور » : ألمانيا وحلفائها ، وانجلترا وأمريكا وحلفائهما ، فكان مما قال : إن هذه الحرب التي تمس مصر ومصالحها وأهلها وتضر بهم : « لا ناقة لنا فيها ولا جمل » ، وهزت هذه الكلمة - في فترة من أشد فترات الحرب حرجاً - كيان الإمبراطورية البريطانية هزة شديدة وأثارت أعظم السخط عند حكومتها وهند رئيسها « تشرشل » ، وخاصة ، ولكن الشيخ المراغي لم يفرغ ولم يخش شيئاً ، لأنهم تستطلع أن تفعل معه شيئاً .

وكان الشيخ المراغي في ذلك الوقت يكره الإنجليز كراهة شديدة ويعنى لهم الهزيمة :

أشهد لنفسى بالذكاء ... !

زرت يوماً في « العوامة » التي كان يقضى فيها بعض أيام الصيف على النيل في الزمالك ، ودخلت حجرته فألقيته يستمع إلى إذاعة برلين العربية بآدى السرور

وكانت أيامه الأخيرة تلك عليها طابع واضح من الصفاء والروحانية . كانت ليالي رمضان . وكان يشغل فيها بتفسير القرآن الكريم . وقد أكل منه جزء « تبارك » ، والذين سمعوا دروس التفسير التي كان يلقيها المراغي أو قرءوا ما طبع منها يعرفون قيمة هذا التفسير ومنهجه ، لذلك يحزنهم ، ويحزن المتقنين والمسلمين جميعاً أن يعلموا أن تفسير جزء تبارك هذا ، الذي أمته الشيخ المراغي قد فقد . حيث أخذه فاروق يوم وفاته ، وأخذ معه مذكرات الشيخ وأوراقه .

ومن دلائل الصفاء الروحي في هذه الفترة الأخيرة من حياته قصة وقعت قبل موته بيومين : زاره صديق من غاصته . وكان عنده أحد أنجاله وسمع الشيخ وهو مقبل عليهما يقول : « هذا الولد أصبح ميثوساً منه » ، فقال الزائر الشيخ ، ولم يجلس : جئت للسلام على الشيخ المراغي قبل هودق للفسارة . ولكنني إن أجلس . فأجبره الشيخ المراغي على الجلوس ، ثم استأنف حديثه قائلاً : « هذا الولد : فاروق لم يعد يرجي منه خير ولا إصلاح . بل هو ميثوس من صلاحه وتقويته . ولا فائدة من محاولة ذلك . وكل ما أرجوه أن يتولى الله بلفظه هذا البلد : من شر فاروق » ، ثم قال الشيخ المراغي : « أما أنا فسيألف الله بي لأنني لن أكون موجوداً يوم ذاك سأموت » ، كان هذا الحديث في صيف ١٩٤٥ .

وبعد سنوات قليلة توالى الأحداث والنذر بنهاية فاروق ، ولم يكن الشيخ المراغي حياً ، كما أحس ، بل مات بعد هذا الحديث بيومين ؟

محمود الشرفاوي

طائرات المحور لم تضرب من القاهرة سوى الأهداف العسكرية ولم تضرب أهدافاً مدنية أبداً . ونظر إلى والفرح يشع من هنيهة ثم قال : بالله قل لي ، لو كنت أصدرت هذا البيان الذي طلبه مني تشرشل ، ثم جاء اليوم ، فقال ما قال وكذبتني ، فكيف يكون موقفى وماذا يقول الناس والمسلمون هنى ؟ ...

وكانت للشيخ المراغي مواقف رائعة في شرف المحسومة والحرص على كرامة العلماء .

كانت بينه وبين شيخ كبير خصومة وخلاف ، وكان هذا الشيخ دائم الحديث عن المراغي والشكوى منه واتهامه بأنه « يجاربه » ، في كل مرقف وكل مكان . وحدث أن أطلقت إشاعة ظالمة تمس بيت هذا الشيخ ، وكان هذا قد طلب مقابلة فاروق ، وعرف الشيخ المراغي أن هذه الإشاعة الخبيثة الظالمة قد سمع بها فاروق ، فتحدث في تأخير مقابلته لذلك الشيخ ، لأنه خشى أن تعطي على فاروق حماقته وشره فيجابه الشيخ بهذه الإشاعة أو يشهر إليها في حديثه . وتأخرت المقابلة ، فكان الشيخ الكبير ، وهو لا يعرف سر التأخير ، يتناول الشيخ المراغي في مجالسه بقسوة بالغة ويقول : إنه يعاديه ويسعى لمنع المقابلة حسداً منه وغيره ... !

وكان الشيخ المراغي ينقل إليه هذا الاتهام فيسكت ولا يعلق .

صفاء وروحانية :

وقضى أيامه الأخيرة في مصنفات المراساة بأكاديمية . حيث مات فيه .

الصَّوْم... طاعة وتربية

للاستاذ عبد الجليل شلبي

ومن ناحية أخرى نحن نستطيع أن نحصل على حظ أوفى من هذه الماديات بعمل آخر غير العبادة . قد نرغب في الصلاة فنقول : إنما رياضة بدنية ، أو يشمل أداؤها على الأقل حركات رياضية ، تفيد الجسم ، وتكسبه قوة ونشاطا ، ولكنه من غير شك قول ساذج ، ورأى خطير .

فإذا دخل هذا الاعتبار في قصد المصل ، كانت صلاته إذن رياضة بدنية ، وعملا لتنشيط الجسم ، ولا تكون في هذه الحالة عبادة مما يتقرب به إلى الله أو على الأقل لا تكون عبادة خالصة ؛ إذ يشوبها نفع شخصي ، وقائدة دنيوية عاجلة ، وبعد هذا كله نجد في الأعمال الرياضية المنظمة ما يفيد الجسم أكثر مما تفيده حركات الصلاة .

وهذا يعني ما نقوله في الصوم ؛ فإذا نحن صمنا لطلب الصحة ، لا نكون بصومنا متعبدين - وصومنا لهذا الغرض لا يلزم أن يكون يوما كاملا ، ولا في شهر معين والحية حقاً صحة ، ولكنها ليست عبادة . والكثيرون ينسبون إلى الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال : (جوهوا تصحوا) ويوردون هذه العبارة على أنها حديث ، يستندون فيه إلى حكمة تشريع الأيام . ولم أجد هذه العبارة فيما بين يدي من كتب الحديث الصحيحة ، أو على الأصح لم أجدتها في باب الصوم . فإذا صح أنها حديث ؛ فإنها لا تعدو أن تكون دعوة للحمية ، وتحذيراً من التخمّة ، شأن الأحاديث الكثيرة التي جاءت لهذا الغرض . مثل : (نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ؛ فإذا أكلنا لا نشبع) . ومثل : (ما ملأ ابن آدم

كلما تحدث الناس عن حكمة تشريع الصوم ، أو الفائدة التي تعود منه على الصائمين ، اتجهت أفكارهم إلى مزاياه الصحية ، وبحشوا عما يفيد جسم الصائم من هذا الجوع والحرمان ولهذا الاتجاه أسبابه في حياتنا الحاضرة ، فنحن في عصر مادي ، لا يحفل كثير بالمعنويات ، وحياتنا تقوم على المنفعة العاجلة ، والفائدة المحسنة الملبوسة ، ثم إن جسم الإنسان بطبيعة الحال من أئمن ما لديه ، وأعز ما عنده ، فن الطبيعي أن يتلصص له دائماً أسباب القوة ، ويبحث عما يعود عليه بالصحة والعافية . وفي الاتجاه الطبية ما يثبت أن في الصوم فعلا صحة للجسم ، وأنه وقاية من بعض الأمراض ، وطب لبعضها الآخر ، وأنه يفيد الصائم حظاً من القوة والنشاط ولست أريد أن أنفي هذه الفائدة ولا أنناقش في مدى تحققها ، وإنما أنفي أن تكون حكمة لتشريع الصوم ، أو هي المزية الأولى من مزاياه . أرى أن العبادات كلها : صوماً أو غير صوم ، تسمر على العلل المادية ، وتعاليل أية عبادة بعلة مادية كزية أولى لها ، يذهب بما فيها من قيمة روحية ، ويغفل ناحيتها المعنوية ويسلمها آسئ معانيها ، وهو الاستسلام والخضوع لرب العالمين ، فالعبادة عبودية لله وترفع وتسمو عن حقارة الماديات وبهذه المعاني يكون المسلم أكبر من دنياه يسترخسها بجانب معنوياته ، ويضحى بها في سبيل مبادئه ، ومجد منها هوناً على التضحية والبذل ، وإنكار الذات ، فإذا رددنا العبادة إلى غرض ؛ فقد ضاعت كل هذه الاعتبارات هباء .

ينص على أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في شأن مصل يرتكب بعض المحرمات : إن صلاته سقتهاء - والحج وهو المجتمع الأكبر للمسلمين ويقوم جانب عظيم من أعماله على الطاعة والامتثال ؛ حرص الشرع على إحاطته بمظاهر الخلق الكريم ، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ، والزكاة وظيفتها الاجتماعية بارزة واضحة يبطل ثوابها روح التعالي ، أو امتنان الفقير بأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمان والأذى ... ، وإذن فالجانب المعنوي هو روح العبادة - إذ الجانب المادى في الزكاة يتأدى ببذل المال حتى مع المان والأذى ، ولكنها حمل فارغ لا يستتبع مشوبة من الله .

هذا الجانب الخلقى ، وأثره في التربية النفسية وتكوين العادات ، والعواطف النبيلة - أبرز في الصوم مما هو في العبادات الأخرى . فالصوم أمانة فيما بين العبد وربّه ، وإتقانه أو التهاون فيه مرده إلى ضمير الصائم ، وإخلاصه في عبادته .

يستطيع الشخص أن يتظاهر بالصوم أمام الناس ويفعل فيما بينه وبين نفسه ، وقد يمر عمره كله وهو عند الناس من الصائمين ، وعند الله من المفطرين يساعد على ذلك طبيعة الصوم ، وقصر مدته إذ هو فترة محدودة ، وشهر معين بين شهور العام - ولا يتأتى هذا التظاهر في الصلاة التي تتكرر خمس مرات كل يوم ، ومنها ما لا يصح إلا في جماعة ، ومسجد جامع - وكذلك الحج يوم مشهود يجمع له الناس من شتى البقاع ، وله ملابسه وميقاته ، والزكاة على الأقل يطلع عليها الفقراء ويبقى الصوم وحده لا يحتاج حمله إلى إعلان - ولعل في هذا مصداقاً للحديث القدسي الكريم : (كل حمل ابن آدم له

وعاء شراً من بطنه ..) ، إلى أحاديث كثيرة ، وعظات للمحابة والحسب ، ولا علاقة لها بالصوم ، ولا حكمة تشريعه .

فإذا أردت بالجوع الصوم - على بعد هذا المراد - فإن فائدة الصوم لم تنحصر في هذا الجوع .

وقد لاحظت أن الذين تسلكوا على الصوم من الوجهة الطبيعية ، يتحدثون عن ترك الطعام ولم يتعرضوا أبداً لترك الشراب وغيره من المفطرات . وهناك حديث آخر ذكره الطبراني في أوسطه ، وقال السيوطي : إنه حديث ضعيف ، أوردته في جاعه ، بناء على أن ضعف السند لا يقتضي هدم صحة الحديث ؛ بل هو مع هذا يحتمل الصحة ، فأوردته لهذا الاحتمال - وأنص الحديث (الصوم يذوق المصير ^(١)) ويذبل اللحم ويبعد من حر السعير إن لله مائدة عليها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، لا يقعد عليها إلا الصائمون) فإذا افترضنا صحة هذا الحديث فإنه لم يزد على أن ذكر للصوم بجانب الجزاء الأخرى فائدة عاجلة ، من دقة الإحشاء ، وعدم تكرشها ، ومن تخلص الجسم من أضرار السمّة ، أما الجزاء الأخرى فقد أفاض فيه وأجزل .

لا ينبغي بحال من الأحوال أن ننظر إلى هذا الجانب المادى - وإنما تهدف العبادات جميعاً - بعد كونها طاعة لله تعالى واستسلاماً - إلى المعاني الخلقية ، والمزايا التربوية ، التي يظهر لها أثر طيب في سلوك الفرد ، وعلاقته بالجماعات . ونحن إذ ترتب هذا الأثر الخلقى والاجتماعي على أداء العبادات والإخلاص فيها ، لا نقوله بمجرد استنتاج ، وإنما نعتمد على سند قوى من القرآن والسنة . فالقرآن

(١) للم - لاصران - ويدقه بجملة دقيقة ضامراً .

الدرجة عند الله ثانياً - والأداء الشكلى للعبادة إنما هو محل لرفع العقوبة ، أما تحصيل الثواب ، ورفع المنزلة ، فإتباعاً يأتي بإتقان العبادة ، والإخلاص فيها ، بقدر ما تترك في صاحبها من آثار طيبة في سلوكه وأخلاقه ، وتربية ضميره - وعلى هذا فالإمساك عن الطعام والشراب أبسط أنواع الصوم لأنه العمل الصورى الذى يرفع عقوبة المعصية - ويقضى ألا يقنع به من لا يرضون بالدرجة الدنيا من الإيمان .

وإذا نظرنا إلى البيئة الخلقية الواسعة التى هيأها الشرع للصائمين ندرك أنه يقصد منه معنويات أسمى وأرفع من مجرد الكف عن الطعام ، فرمضان موسم عبادة ، وبيئة أخلاق - رغب الشارع فيه في الصدقة طوال الشهر ، وجعل الصوم معلقاً لا يقبل إلا بركة الفطر ، ودعا فيه إلى الإكثار من قراءة القرآن ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أجود الناس ، أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام فيدارسه القرآن . والصائم في كنف الأخلاق العليا لا يؤذى أحداً حتى ولو آذاه الآخرون ، وإن امرؤ سابه أو شاتمه فليقل : إني صائم إني صائم ، كذلك سنت فيه صلاة التراويح لجمع هدى من فرائض الدين ، وأهميات الفضائل كل ذلك ليهيئ للصائم تدريباً عملياً على تقوية الضمير ، ومكارم الأخلاق - فإن وجدت الصيام بعد هذا كله فوائد أخرى مادية : صحية ، أو اقتصادية . - أو غيرها ؛ فهى بما يأتي تابعا وليس أهم أغراضه ولا من أكبر مزاياه .

عبد الجليل سليمي

إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به) ؛ ولعله لهذا أيضاً كانت حلة الصوم في القرآن هى التقوى . د كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، ، والتقوى بطبيعة الحال أسمى مظاهر الاخلاق .

وقد نص الحديث الشريف على أنه (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) ؛ فدل على أن ترك الطعام والشراب لا فائدة فيه ، ما لم يقدر إلى الحق ، ويحمل النفس على التضحية بما تشتهى في سبيل العدل والحق والإنصاف ؟

ويؤيد هذا حادث آخر للرسول صلى الله عليه وسلم فقد أرسل جماعة من أصحابه لغزو ؛ فاحتلفوا ورجعوا قبل أن يغزوا ، أو قبل أن يخرجوا للغزو ، فلما رآهم النبي غضب وقال : ذهبت جماعه وهدتم مشفرقين !! أما والله لأولين هايكم رجلا ليس بأفضلكم ، أصبركم على الجوع وأصبركم على العطش ، فالأكثر صبراً على مشقات الجوع والعطش يؤمله صبره هذا للقيادة ، حتى ولو كان في أتباعه من هم أفضل منه .

ومعروف أن من الفقهاء - بله الصوفية من يرى أن الصوم يفد بمفطرات غير مفطرات البطن والفرج ، ويرون أن منها الاغتياب والكذب وشهادة الزور والسباب ووجهتهم في هذا ، أن الأحاديث نمت هن بعض هذه الأشياء للصائم خاصة ، وعن بعضها حتى لغير الصائمين ، فهى تبطل ثواب الصائم ، وإن لم توجب عليه كفارة ولا قضاء . ونحن نلح في كل العبادات أنها تستتبع شيئين : رفع عقوبة المعصية أولاً ، لأن ترك العبادة معصية تستوجب عقوبة - ، والحصول على المثوبة أو رفع

الصِّمْتُ فِي الْأَدْيَانِ

لِلْمُتَأَذِّلِ عَلَى الْخَطِيبِ

مستعيرين لفظ «آية» من القرآن الكريم الذي قصر - عن هذا اللون - في ذكرها عليه السلام ، وكان قد جرى عليه ذلك . يقول ذكرها عليه السلام : رب اجعل لي آية قال : «آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا ، وكان هذا الأمر علامة على حمل زوجه بولده يحيى عليهما السلام .

وفي سفر حزقيال حادثة من هذا النوع يقصها حزقيال نفسه حين يجيئه هارب من بيت المقدس يخبره بضرب المدينة - وكان - إلى وقت يجيئه - لا يستطيع الكلام حتى إذا أخبره بذلك رد عليه نطقه ، يقول حزقيال : (فافتتح فمى ، ولم أكن بعد أبكم) حزقيال ٣٣ - ٢١ ، ٢٢ وتوضح حادثة حزقيال أنه قضى ليله ذاك لا يستطيع الكلام حتى أتاه هذا الهارب

ثالثها : صمت يؤديه الإنسان عن رغبة ، ولا يقف به عند حدود هفة اللسان عن الناس وهو - بهذين الوصفين : الرغبة ، والشمول - أهم من الأول ، وليس فيه ما في الثاني من جبر . وهذا اللون هو محل بحثنا ، وهو الذي نطلق عليه «صيام الصمت» تسمية ، وهي تسمية لا تأبها علينا مرونة اللغة ويحفظها لنا القرآن الكريم قال تعالى لمريم : «فقرلى إني نذرت للرحمن صوما ، فلن أكلم اليوم لنسيا ، صحيح أن مريم - في حادتنا هذه - أمرت بأدائه ، لكن رغبتها شاركت

كان الصمت شعيرة في أديان سماوية قبل الإسلام ، ولا يزال قائما بين بعض الطوائف من أهل الكتاب إلى اليوم ، وينبغي - لبيان أمره - أن نفرق بين أنواع ثلاثة منه :

أولها : الصمت عن الخوض في الناس ، وهو ضرب من السلوك الاجتماعي يأخذ به الإنسان نفسه فيتنق بذلك سوء الغيبة والبهتان فلا ينال الناس من لسانه فرية سوء ، ويكف عما لا يعنيه فلا يقع منه قطفل ممقوت .

وهذا اللون من الصمت تتفق الشرائع جميعا على اعتباره (أدبا) ينبغي الأخذ به ، وتحفل آداب الأمم بوصايا التزامه ، وفيه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» .

وفيه يقول الإمام النووي : إنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاما ظهرت فيه المصلحة ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه ؛ لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه .

ثانيهما : إلزام الإنسان بالصمت قصرا بأن يحبس الله عليه لسانه دون ما فيه أو يكف ، يفعل الله ذلك به إشارة لحدث أو رمزا لحادثة يكون لهذا الإنسان ضلع فيها ، ويمكن أن نطلق على هذا اللون «آية الصمت» تسمية له ، وفرقنا له بها عن غيره .

يلازمون الصمت في كل خلواتهم السكونية وبخاصة تلك الخلوات التي يمارسونها استسقاء للطهر حتى لا تموت الخلطة ، وهي خلوات تختلف أيامها بين أربعة وثمانية باختلاف سن الكهنة أنفسهم .

ويذكر دكتور وافي في كتابه « الهندودا » ، أن الأفراد منهم في مرحلة التعميد يقضون فترة اعتساف يقيمون فيها على صيام دائم يشارك فيه هذا النوع أحيانا .

وبما كتبه السيدة « بندكت » ، ودكتور « وافي » ، يمكن أن نقول : إن انتشار هذا اللون من الصيام ليس وقفنا على الكهنة ، وإنما يشارك الشعب فيه بنصيب .

وإذا تعدينا هؤلاء البدائيين إلى الوثنيين المتحضرين نجد هذا الصمت بينهم ، وديانات الهند خير شاهد على ذلك ، وبخاصة ديانات البرهمية واليوجية ، ولا تزال مدارج المعابد في الهند وقرأها يجوبها الصامتون في أوضاع جسدية مختلفة .

• • •

وعرفته العرب في جاهليتها ومارسته ، وأطلقت عليه لفظ « الضرس » ، بفتح فسكون وتقول المعاجم إنه صمت يوم إلى الليل ، وظل فيهم حتى قضى فيه الإسلام قضاءه فأوقف أمره .

فن أين للعرب به ؟

لقد كان لهم في جاهليتهم دين ، ولكنهم لم يكن منظمًا ولم يكن ذا طقوس من هذا النوع ، فطقوسه لا تعدو تقديم الأصنام ، أو طوافا بالبيت ، ولم يكن كالكاهن العربي أشد هونا على الناس ، وما حفظ عنه أو اشتهر أنه أمر بصمت أو أخذ به .

في الآداء . وقد أداه حزقيال أيضا عقب موت زوجته شهوة عينيه جاء في سفره ٢٤ : (يا ابن آدم هأنذا آخذ عنك شهوة عينيك بضربة ، فلا تنح ، ولا تبك ، ولا تمزق دموعك تهندها كتنا ولا تعمل مناحة ... إلخ) يقول حزقيال فكلمت الشعب صباحا ، وماتت زوجتي مساء ، وفعلت في الغد كما أرت .

وجاء في المزمور الرابع من مزامير دارد عليه السلام قوله - يبحث بنى إسرائيل على العمل بهذه الشعيرة : - تكلموا في قلوبكم على مضاجعكم ، واستكتموا . كذلك جاء في سفر صفنيا : استكتم قدام السيد الرب ، لأن يوم الرب قريب .

والصامت عندئذ قائم على أفضل عبادة : من ذكر أو فكر دون صوت أو لفظ .

لقد كان صيام الصمت إذن موجودا في اليهودية وسارت به تلك الديانة عبر السنين حتى ظهرت المسيحية ولا تزال طائفة الكاثوليك تقيمه شعيرة بينها ... شعيرة منوطة بالرغبة لرعايا الكنيسة ، وبالفرصة لجال الكهنوت .

ولقد كانت طائفة الترابيست Les Trappistes من أشد طوائف الكاثوليك التزاما له حتى قضت به على أتباعها مدى الحياة ، فكانوا ينزلون بمجرع معين ويقيمون فيه على صمت حتى الموت ، وقد انقضت تلك الفرقة .

• • •

وينبغي أن نلاحظ أيضا أن الصمت - كعبادة - انتشر أيضا بين ديانات بدائية ، وأخرى وثنية متحضرة ، فنذكر السيدة « روث بندكت » في كتابها « ألوان من ثقافات الشعوب » ، أن كهنة البيبلوس

لا جدال - إذن - في أن اليهود أثرا في المعتقدات العربية ، ولا جدال أيضا في أن الصمت لون من عباداتهم فهم إذن أقرب الجاليات - غير العربية في الجزيرة - لنشر الصمت بين من انتشر بينهم من العرب

ثم ظهر الإسلام ، حتى إذا كان يوم الجمعة ، ووقف الرسول صلى الله عليه وسلم بخطب وجد رجلا واقفا دون الناس أجمعين فدأل عنه فقالوا : هذا أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس فلا يقعد ، ولا يستظل ، ولا يتكلم ، ويصوم . فقال عليه السلام : مروه فليتكلم وليقعد وليستظل وليتم صومه ، وأفسد عليه منذ وراته جميعا إلا الصوم . فليس كل ما كان قربة في شريعة يكون قربة في غيرها ، وقال هلى بن أبى طالب كرم الله وجهه ، حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يتم بعد احتلام ولا صمات يوم إلى الليل .

وقد أزال أبو بكر الصديق - وهو خليفة - ما بقى من أثر لهذا الصمت فقد دخل رضى الله عنه هلى امرأة من أحسن يقال لها : زينب فوجدها لا تتكلم فقال : ما لها لا تتكلم ؟ فقالوا : حجت مصمته فقل لها : تكلمى فإن هذا لا يحل ، هذا من عمل الجاهلية . فتكلمت .

يقول ابن قدامه الحنبلى : ليس من شريعة الإسلام الصمت عن الكلام ، وظاهر الاخبار تحريمه ، واحتج بحديث أبى بكر وهلى المذكورين وكانهى الإسلام عن هذا اللون نهى كذلك أيضا من الصمت الذى هو ترك الكلام في الحق لمن يستطيعه .

لقد امتدى العرب إليه عن طريق غيرهم ، وبأثر من ذلك الغير ، فإن قلنا : عرفه العرب عن طريق اتصالهم في الشمال والجنوب بمدنيات زاهرة فما نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين ، وإن قلنا : إن انتشار اليهود في الأوساط العربية هو الذى أشعرهم هذه الشعيرة توالى الأدلة يأخذ بعضها ببعض بعض .

كانت العرب تكن الود لأهل الكتاب ، وكثيرا ما حاولوا الإهتمام بهم في المضكلات ، وهم الذين علوا العرب صيام عاشوراء في الجاهلية ؛ فلم يكن غيرهم يعرف يوم عاشوراء أو يمارسه في الجزيرة العربية بل هم الذين تولوا حساب ذلك اليوم لهم ، فقد روى الطبرانى بسند حسن عن خارجة بن زيد عن أبيه قال : ليس يوم عاشوراء باليوم الذى يقول الناس ، إنما كان يوما تستر فيه الكعبة ، وتقلس (تلبس) فيه الحبشة عند النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يدور في السنة ، فكان الناس يأتون د فلانا ، اليهودى يسألونه ، فلما مات اليهودى أتوا زيد ابن ثابت فسألوه .

وذكر السكلى أن اللات ، كانت صخرة يلت عليها يهودى و السويق ، فاتخذها عرب الطائف إلها لهم ، ويذكر الشيخ نعمان الجارم في كتابه د أديان العرب في الجاهلية ، أن من نساء العرب من سمى بأسماء إسرائيلية رجاء أن يعيى الولد أنه دفعته به إلى السكينة للغرض نفسه ، هلى أن أثر اليهود في اليمن بلغ الذروة باعتناق ذى نواس اليهودية ، واتخاذها إلهها دينيا رسميا لليمن .

رمضان في العالم الإسلامي

دكتور محمد بن الزواوي

د أندونيسيا ، التي لها صفحات مجيدة في تاريخ الإسلام والمسلمين ، وينتشر فيها المذهب الشافعي وتتألف الجمهورية الأندونيسية من آلاف الجزر المتناثرة بين جنوب شرق آسيا وأستراليا ، ولكل جزيرة منها عادات وتقاليد خاصة في المناسبات الدينية ، ومن العادات العامة المشتركة بينهم في شهر رمضان ، أن يستقبلوه بذبح القرابين ابتهاجا بحلوله . وتفتح المساجد طوال الليل للصلاة وتلاوة القرآن الكريم ، وبعد صلاة العشاء تقدم الحلوى من جوز الهند والسكر واللوز ، ثم يبدءون في صلاة التراويح وترين المنازل والمحلات بالفوانيس الملونة ، وتزداد أهمية هذه الفوانيس في الليالي العشر الأخيرة من رمضان ، تبركا ببيلة القدر التي أنزل فيها القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

وتتعلق المعاهد والمدارس الإسلامية احتفالا بشهر الصيام ، ويقام في اليوم السابع عشر من رمضان حفل كبير يشترك فيه رئيس الجمهورية مع الشعب ، احتفالا بذكرى يوم نزول القرآن ؛ ويدب النشاط في جميع البيوت منذ الليلة السابعة والعشرين لاستقبال عيد الفطر السعيد .

الهند والباكستان :

وإذا انتقلنا من أندونيسيا إلى الهند والباكستان نرى المسلمين ، من غروب شمس اليوم الأخير من شعبان يسرعون إلى المساجد والتسكيات التي يجتمع فيها كبار العلماء المحليين وأعيان الأحياء الإسلامية

إن الصيام قد عرفه الإنسان منذ بداية حياته على الأرض ، وجاءت به الملل السابقة ، وكذلك كان صيام شهر رمضان فريضة رئيسية في الإسلام .

فقال تعالى : يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . والمعروف أنه مشروع في جميع الملل حتى الوثنية مثل الديانات الهندية القديمة من البوذية والهندوكية والجمينية ، كما هو مشروع عند اليهود والنصارى وكان معروفا عند قدماء المصريين ، وانتقل منهم لليونان . وأما الصيام فمرز لوحدة المسلمين في جميع بقاع الأرض على اختلاف أوطانهم ولغاتهم وأجناسهم ، فتتجه أنظارهم إلى هلال شهر واحد يبدءون صيامهم لرؤيته ويفطرون عند انتهائه ولكننا نرى العادات والتقاليد الدينية والشعبية تختلف في كل بلد إسلامي عن الآخر ، في استقبال شهر رمضان المعظم ، وصوم أيامه .

وأرى من المناسب ، والأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها تستقبل شهر رمضان المعظم ، وهيد الفطر المبارك ، أن أقدم نبذة عن عادات المسلمين وتقاليدهم ومظاهرهم الدينية والشعبية في هذا الشهر ، راجيا أن تكون هذه الجولة الإسلامية هونا على توثيق ركن التعارف ، وتدعيم أواصر الأخوة بين أبناء الإسلام في مختلف البلدان .

« آسييا »

د أندونيسيا : ويمكن بدء تطوافنا إلى أكبر دولة إسلامية في العالم ، تقع في أقصى الشرق . وهي

الفيليبين :

ومن عادات المسلمين في جزائر الفيليبين الواقعة بين المحيط الهادئ وبحر الصين ، إكثار الاعتكاف في المساجد طوال شهر رمضان المعظم والتنافس بين العائلات في عمل الخير وتقديم المساعدات للفقراء ، فتقضى الأسر الفقيرة أيام رمضان ، ضيوفا على الأسر الغنية من الجيران والأصدقاء بدون حرج . ومن العادات المتبعة في تلك البقعة تناول مشروب خاص يصنع من الموز والسكر وابن جوز الهند في بداية وجبة الإفطار . ويعاد نفس المشروب في السحور مضافا إليه قطيف شعبي مكون من الدقيق والسكر والبيض . ويجمعون زكاة الفطر في شكل جماعي ، ثم يقوم إمام المسجد في كل حي أو قرية بمهمة توزيعها على مستحقيها .

العالم العربي :

ولتسكن جولتنا في العالم العربي من الخليج إلى المحيط . ففي العراق التي تحمل الطابع العربي القديم وتقف كدعامة هامة لصرح العالم الموحد ، نرى المظاهر الدينية المتوارثة ، خلال شهر رمضان المعظم ، مثل حشود المسلمين في المساجد ، وقراءة القرآن في كل مكان بصوت عال ، ويزدحم الناس في حلقات الذكر ومدارس القرآن ، والاستمتاع بالتواشيح الدينية التي تستمر من صلاة المغرب حتى صلاة العشاء حيث تقام بعدها صلاة التراويح ، وتنفق المطاعم والمقاهي في بغداد حتى مدفع الإفطار وتسمع الأطفال في الشوارع في أرجاء العراق يفتنون بعد الإفطار بألحان بغدادية عذبة . وفي صبيحة أول أيام عيد الفطر يجمع رئيس كل أسرة عراقية زكاة الفطر ثم يوزعها على الأسر الفقيرة المجاورة وقد يجالس الأدب والمناظرات في مساجد العراق طوال أيام شهر رمضان .

للعلم بثبوت رؤية هلال شهر رمضان ، وبدء الصيام . ومنذ ثبوت هلال رمضان تتجلى مظاهر الفرح في بيت كل مسلم ، وتمتلئ المساجد بالمصلين . ومن الطريف في عادات مسلمي الهند ، أن من يفطر عائلاتهم يتعرض للعقاب الشعبي من المتحمسين ، وأحيانا يتجمع حوله الأولاد ويلقون في عنقه الأحذية القديمة وقشور جوز الهند حتى لا يقدم أحد على مثل فعله بعد ذلك . وهذه العادة شائعة في منطقة ملابار ، المكتظة بالمسلمين في ولاية كيرالا ، بجنوب الهند .

ومن عادات المسلمين في الهند تأخير تناول وجبات الإفطار إلى ما بعد صلاة المغرب ، ويفطرون عادة على تمرات أو رشقات من الماء ، عملا بالسنة النبوية . وبعضهم يفطرون على المالح الخالص ، ثم يشربون كوبا من المراهبات التي تختلف باختلاف المناطق . وبعد ذلك يتوجهون إلى صلاة المغرب . وفي ليالي رمضان تضاء الجوامع بالأنوار الساطعة ، وتعلق في أبنائها الثريات المضيئة ، وتلقى فيها المواظ والدروس الدينية .

وإذا انتقلنا إلى العادات المتبعة في "سحور نجد" المسحرانية ، يطوفون في كل حي يقيم فيه المسلمون وفي أيديهم المشاعل والطلبول أو الدفوف ، وهم يرددون التواشيح الدينية ، ويواصلون الطرق على أبواب المنازل حتى يستيقظ أصحابها ويمدونهم بالصيام في اليوم التالي .

ومنذ العشر الأخيرة من رمضان يستعد المسلمون لإخراج زكاة الفطر ، ومعظمهم يؤديها قبل الخروج إلى صلاة العيد ، وتؤدي عادة من الأرز وتزدحم الطرق والحارات بأكشاك يبيع الحلوى والملابس المزركشة التي تصنع لأطفال المسلمين في العيد في شتى أنحاء الهند .

ويقوم « المسحراتى » بنفخ الأبواق لإيقاظ الناس للسحور ، وفى أول أيام العيد يحمل شيخ كل قبيلة زكاة فطرها إلى إمام مسجد القرية أو المدينة ليوزعها على الفقراء والمساكين .

ومن عادات المسلمين النيجيريين خلال شهر رمضان ، إعداد أنواع من الأطعمة الرمضانية المسكونة من الفدرة والسكر والدهن ، كما أنهم يأكلون نوعا خاصا من الحسلوى الرمضانية بعد الإفطار والسحور . وإذا وقفنا عند « الصومال » التى تقع على المثلث الذى تنقضى إليه القارة الإفريقية ، بين خليج عدن والمحيط الهندي ، التى ترتبط بالعالم العربى بصلات وطيدة منذ قرون طويلة . نجد من عادات مسلمى الصومال ذبح القرابين وتزيين المساجد والشوارع والمساكن بالأنوار والفوانيس الملوثة ، ترحابا بقدوم شهر رمضان المعظم . ومن المظاهر الإسلامية فى الصومال أن تغلق المقاهى والمطاعم فى أوقات النهار فى رمضان ، وبعد الإفطار يتلى فيها القرآن الكريم . ومن الطريف أن « المسحراتى » فى الصومال يعتبر موظفا من موظفى الدولة ، يتقاضى مرتبا نظير إيقاظ الأهالى للسحور ويستعمل وطيلة ، خاصة تسمى « درمان » ، وأما الأطفال فيخرجون من منازلهم حاملين الفوانيس يرددون الأغاني الشعبية طوال الليل حتى السحور . وتقوم الحكومة بجمع الزكاة فى رمضان من التجار حسب نصابهم ثم يقوم قاضى كل مدينة بتوزيعها على الفقراء والمحتاجين فى اليوم التاسع والعشرين من رمضان ومسكنا نرى مظاهر الوحدة والأخوة تتجلى فى أسمى مظاهرها فى رمضان فى كل بقعة يسكنها المسلمون فى العالم .

بحسب الدين الاسلامي

وإذا تنقلنا من العراق وشاح « الخليج » للعالم العربى إلى الجزائر وشاح « المحيط » نرى عادات رمضانبة يتسلكها أهل الجزائر ، منها قراءة القرآن الكريم قبل صلاة العشاء فى كل مسجد ، واستمرار مجالس الذكر حتى السحور ، وتقام حفلات دينية فى المدارس والمعاهد الإسلامية ونرى أهل الجزائر يفطرون على ثلاث حبات من التمر قبل تناول طعام الإفطار ، فليس هناك ما يعرف « بالمسحراتى » ، وأما وسيلة الإيقاظ للسحور فهو المؤذن . ويتسكون السحور الشعبي فى الجزائر من السفوف الذى هو نوع من الأطعمة المشهورة عند الجزائريين ويؤكل مع اللبن واللوز ، كما أن طعام الإفطار عندهم يتسكون من شربة « الفريك » والبهارات والقهوة بالبن ، وبعد الإفطار يخرج الأطفال فى شكل جماعات يمرحون ويغنون فى الحارات والطرقات . وتستمر الحفلات الدينية طوال الشهر فى الأحياء الريفية كما يقام حفل كبير ليلة السابع والعشرين احتفالا بليلة القدر المباركة

إفريقيّا :

أما بالنسبة لعادات وتقاليده المسلمين فى رمضان ، فى إفريقيا ، التى كانت منهد الحضارات ، وملتقى الأديان واللغات ، نجد عادات وتقاليده الإسلامية متأصلة فى كل بقعة يسكنها المسلمون ، وفى نيجيريا ، المسلمة ، فى غرب القارة الإفريقية ، تحتفل القبائل ثلاثة أيام متوالية قبل حلول شهر رمضان المعظم تيمنا بقدومه ، ومن عادات المسلمين فى نيجيريا عقد حفلات الذكر فى كل المساجد بعد صلاة التراويح ، ويخرج الأطفال بعد الانقراض بالملابس الملوثة يحملون الفوانيس ويغنون الأغاني الدينية ،

مُحَمَّدُ رَسُولُ الْحَرِيَّةِ "ليس كتاب سيرة" للأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي

[سبجد القراء في هذا المقال شيئاً من الخدمة في الجهد منشؤه الدور
بالكرامة والحرس على الدفاع عنها كما وجدوا فيها كتيبه الأستاذ على الدوام
شيئاً من الخدمة منشؤه الغيرة على كتاب الله وتصحيح المفاهيم الدينية
بالألوب القوي يتم من هذه الغيرة وهذا الحرس

وبذلك يلتقي الطمأنينة على معنى يحمده عليه كل منهما ، وهذا هو الذي
فسح صدر المجلة انشر ما كتبه الأول وما عقب به الثاني ، ولكنهما يذكر
كل منهما بقول الله « وجاء لهم بالي هي أحسن » ودوله تعالى « ولا تسوى
الحسنه ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة
كأه ولي حليم » .

مجلة الأزهر

وهي صدر المجلة اسم أستاذ جليلنا هو الأستاذ أحمد
حسن الزيات ، واسم صديق أثير ، علمنا معاً لحماية
شرف الكلمة منذ السنوات الخضر من حياتنا هو
الأستاذ هبد لرحيم فودة . وهو أحد الذين يحملون
رسالة الأزهر المتجددة إلى قلوب الشباب وبسطاء
الناس . والمجلة بعد تفكك الوجدان الديني لآلاف
من القراء في أقطار الأرض .

فأنا لا أستطيع إذن أن أهمل ما يكتب فيها
أو أن أحلك هذه الشئام الموجهة إلى من على منبرها
مع غيرها من الشئام التي تتلقاها في العارقات والتي
لا تستحق هناء الرد . فلقد قال عنى الجملاء لاني
كتبت « الأرض » لحساب الإقطاع و « مأساة
جميلة » لمصاحبة فرنسا و « محمد رسول الحرية » دعاية
لشيوعية الدولة !

كنت أكتفي بأن أبتسم في إشفاق على الذين

قرأت في العدد الأخير من مجلة « الأزهر » الغراء
مقالاً عنوانه « تيارات منحرقة في التفكير الديني
المعاصر الأستاذ على المهارى » - محمد رسول الحرية ،
هذا هو عنوان المقال بالتعديد .

وفي الحق أني لم أكن أتصور أن مجلة نعلق عليها
الآمال ونحترم كل ما يصدر منها ونصدقها يمكن
أن تفسح صدرها لمثل هذا الكلام ! !

كم من الخبر والورق يضيع بلا جدوى !
فالمقال إهدار لآداب الدين واهتزاز متجدد
لقواعد الجدل التي شرعها السلف الصالح ووضع
أصولها القرآن الكريم .

وما كان لي أن أهتم يارد على مثل هذا المقال ،
ولكن المقال منشور في مجلة الأزهر . . المجلة التي
تحمل اسماً عزيزاً على كل ألقوب ما يكاد يذكر حتى
تشرق النفوس بوضاءة تاريخ باهر ، وآمال جلييلة ..

يبدو لي أنني في حاجة إلى أن أنه الاستاذ إلى آداب الدين... ألم يقرأ قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة، فما باله يهزم ويلز ١١٩

ولكن فليقل كاتب المقال . فليقل لنا الأستاذ على العارى أولا .. من الذى منحه سلطان الحكم على نوايا غيره من هذه الأمة ؟ .. وحق العدوان والكيد لعباده .. وحق القذف والسب وتوجيه الشتائم .. لأنه من رجال الدين ؟ .. ولكن الدين أدب معاملة وأدب جدال ، ورجال الدين ينبغي أن يكونوا أحف الناس لسانا وأكثرهم تحرجا وأشدهم تأمنا وأحرام بفهم أصول الدين والتزام روحه ...

ومن أين جاءه أن في الإسلام طبقة من رجال الدين تحكم على هذا المسلم أو ذاك بالانحراف ؟ .. ألا يعرف الأستاذ أنه لا كهنوت في الإسلام ولا جماع كراهة ولا حرمان ولا صكوك غفران . ١١٩٤ .

ثم بأى أصل من أصول الدين يبدأ مقاله بقوله عن كتابي محمد رسول الحرية ، - ألفه أحد العاملين بالصحافة - ١٢

إن هذا أسلوب رخيص في التجميل .. وهو أسلوب مبتذل ينبو به الذوق العام ويجافى آداب الدين . أيزرى بي هو أم يزرى على الصحافة ؟ فلماذا يتعلق بها إذن ويكتب لمجلة الأزهر .. أم أن مجلة الأزهر في رأيه ليست من الصحافة .. ربما .. فلأستاذ رأى عجب في كل ما كتب .

ولكنى أود أن أنه الأستاذ إلى أنني - لسع أحد العاملين في الصحافة - فأنا لم أكتب مقالا في صحيفة يومية أو أسبوعية أو شهرية منذ خمس

يلتقطون من خربات نفوسهم أوحالا يلقون بها على الآمنين .. واسم يعانى الذين يعملون في هذه الحياة من الذين لا هم لهم إلا تهويه الآخرين ! ..

ولكنى لا أستطيع هذا الآن .. فالمقال الذى يقذفنى صاحبه بالحجارة منفور في مجلة أحترمها وأعز بها ، وكاتب هذا المقال ينبغي أن يكون جديراً بأن تنشر له مجلة الأزهر . .. وأنا أثق في حسن تقدير القارئ بالأسر في هذه المجلة ، فلا بد أن يكون لأستاذ العمارى رجلا يمل ما يكتب عنه لا أحد الجهلاء الذين ألفت إهمال الرد عليهم .

على الرغم أن ما في المقال لا يستحق عناء الرد إلا أنني مضطر إلى الرد عليه ، عسى أن أفصح في تنبيه كاتب المقال إلى أنه الكتابة مسئولية وإلى أنه لا يملك أن يعزول فوق قمة باردة من الاستعلاء ويقضى على ضمائر الناس بالضلال أو الهدى ويفهم الأمور من وجهة نظره هو وحده .. ثم يدين من يخالفه .

كتاب محمد رسول الحرية ، ليس كتاب سيرة وهذا واضح لكل من يقرأ وقد نهت إليه في المقدمة ولكن الأستاذ على العمارى يراه كتاب سيرة .. ويهاضى ضمير كاتبه .

ويبدو لي أنني في حاجة إلى أن أنه الاستاذ إلى أمور كان عليه أن يعرفها بحكم دراسته الدينية . وهى أصول لا خلاف لها بالعقل المتحرر أو المتحجر . ولكتها تدور حول الوجدان ويحددها استعداد الرجل إن كان رضى النفس حلو الطبع أم فظا غليظ القلب .

أما قرأت حديثاً ينهى المسلم عن طعن المسلم في دينه؟ .. ألم تقرأ مثل هذا الحديث أبداً؟ .. لكان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرى أن الدين سيمتحن بأمثالك فحمل العزاء بكلماته إلى من سيطعنون وسلك الطاهنين مع الكافرين! .. لو أفنى عاملتك بمنطقك لاعتبرت كافرأ وسكت عنك .. ولكن عفا الله عنك وأصلحك وأضاء لك عقلك وأقالك من هثرات لسانك .

وما بالي أرد عليك وأنت تهمني ، والانحراف عن الدين وتحريف القرآن وتكذيبه وتشويه نصوصه والخط من الإسلام ، .. أى إننى كافر مفسد في الأرض عدو للإسلام .. عفا الله عنك . أهذا كلام يمكن أن يرد عليه ؟

أتعرف لماذا ألفت كتاب محمد رسول الحرية ، ١٩ ألحظ من الإسلام ١٩ بل لأرفع عن شرف القيم الإسلامية ما يحبط عليها من أمثالك .. ثم أعتقد حقاً ، أن ما جاء به القرآن مما يحاول هؤلاء تحريفه أو تكذيبه ، لو جاء من طرق أخرى لآمنوا به ، .. أعتقد هذا حقاً ؟ .. ماذا تريد أن تقول ؟ .. أنا لا أهرق هذه الطرق الأخرى يا رجل الطرق الأولى .. وويل لكل همزة لمزة !

أما إذن منحرف عن الدين مكذب للقرآن (أى كافر) متاجر بالدين ، ألا تلاحظ تناقضك .. فالكافر أن يتاجر بالدين ؟!

أنا هذا كله .. أنت تهمني بكل هذا . لماذا يا أستاذ هل . لأننى قلت : إن الجدهرى فشا في جيش أبرهة عام الفيل؟ .. وتهمنى بأنى أساير المستشرقين .. أنا فى رأيك منحرف عن الإسلام وكأنك له وعط

سنوات .. لقد تركت هذا الشرف ليمتتع الاستاذ بهذا الشرف ثم يرمى على ١١

كتاب ألقه أحد العاملين فى الصحافة !! . ولشككك تناقض الكتاب .. ولا بد أنك قد قرأت اسم صاحبه فلماذا لم تذكره ؟ . من أنت إذن ؟ .. لعل اسم المؤلف لا يستحق منك أن تشرفه بالذكر .. لعلك تظن أن جريمان لسانك أو قلبك بالأسماء تشريف لها ؟! .. أليس كذلك أيها العلم العلامة .. شيئاً من السمو عن هذا الأسلوب ! فإظن أن سنك أو هلك أو مكانة المجلة التى تكتب فيها يسمح لك بمثل هذا عندك .. أهذا من آداب الدين يا أستاذ هل ... ثم .. أمن آداب الدين يا رجل أن تهتم بغير علم ولا دليل لتقول عنى إنى من الذين يرون التأليف حملاً تجارياً أكثر منه تعبيراً عن فكرة ، .. أناجر أنا ، وما هى تجارتى ؟ .. أهو الدين .. أهى المؤلفات الدينية .. عفا الله عنك وأصلحك وأقالك من هثرات لسانك وأدبك بآداب الدين .

لو أنك تواضعت لله قليلاً وأحسنست فهم ما تقرأ من كتب الدين لو فرت علينا وهلى نفسك وعلى قراء المجلة كل هذا العناء .. فما أضيع الوقت الذى نهدره للرد على شتائمك واتهاماتك !

إنى لأعجب لك عجبا لا ينقضى .. كيف تأتى لك أن تحسب نفسك أولى بهذا الدين من غيرك وأحفظ له وأقوم عليه من عدك من المسلمين . بهم تفضلى ؟ .. بهم كنت أكثر غيرة على هذا الدين منى ؟! لا كرامة فى الإسلام يا أستاذ على .. ولئن كنت تظن أنك بحق ذلك المكاردىنال .. فهلا التزمت بحدود الدين .. ألم أنك تحسب نفسك مالكا للحرمان ولتذاكر الغفران ...

أن أتهمك بشئ .. لأنك خالفتني في الرأي .. فلماذا تهمني أنت ؟ أن تعرف لماذا ؟ . لأنك لا ترى من حق أحد أن يكتب في هذا الموضوع .. لأنك تريد أن تمنح حق الكتابة أو تحرمه .. لماذا ؟ . إن الإسلام ليس ميراثك الخاص ، ولا الأزهر .. الحضارة الإسلامية ميراثنا جميعا .. وربما كانت تعاليم الإسلام والأزهر هي ميراثنا نحن .. نحن الذين نريد أن نكشف للذين يتهمون الإسلام بالجمود والتجبر ، مدى ما فيه من طاعة وحيوية أنتجت أعظم حضارة عرفها التاريخ .. لو أنك وفقت الكتاب كله ، لكان هذا من حقه .. فلكل منا فهمه .. ولو إنك فندت ما فيه لكان هذا حقه .. ولكن ليس من حقه أن تشتم أو أن تكيل الاتهامات ...

ثم من قال لك أن الآية لا تقبل التأويل - أستطيع أن تقطع بمعنى كلمة «أبائيل» ، مفردة هي أم جمع .. ألم يختلف عليها اللغويون والمفسرون .. ثم ما هو الفرق بين أن تفسر هذه الآية بظاهر النص أو بالتأويل .. هه ؟ قل : .. هب الأبائيل كانت طيراً ترمى بحجر أو جراثيم (جدوى أو طاعون) كالطير تحترق الجسم كما يحترق الحجر المسنن .. فما هو الفرق على أى حال .. أليست النتيجة واحدة ؟ . فنحن نصل في النهاية إلى فساد كيد أبرمة وتضليله .. أهذا يرر عندك أن تهجر وقار العلم وآداب الدين وتوجه إلى ما وجهت من اتهامات وشتم ..

القرآن والتفسير وكتب الدين يا أستاذ على لا كتب المستشرقين هي ما اعتمدت عليه .. وأنا أطالبك بأن تحسن فهمها بدلا من أن تحملها

من شأنه ويحرف للقرآن ومكذب له ومشوهه .. لأنني قلت هذا ..

ولكني لم أنقل هذا عن المستشرقين كما زعم .. ولو كنت أنت - ههنا الله عنك - تعودت قراءة كتب الدين بقدر ما تعودت التهم لأدركت أن هذا هو ما قاله ابن عباس ، أم أنه هو أيضاً من المستشرقين في وأيك ؟ .. ولك رأى عجب .. وغير ابن عباس يارجل . وأنا لا أريد أن أحيلك على غيره لأضيق نطاق الطعنات والافتراءات والاتهامات والشتم التي قد توجهها إلى السلف الصالحين لا يفهمون الأمور فهمك ..

كل ما في قولك من كلام موضوعي هو اتجماحك المخالف في تفسير الآية ، وأرسل عليهم طيراً أبائيل ترميهم بحجارة من سجيل .. أما بقية المقال فشتائم واتهامات لأن ما أخذني في التفسير لم يعجبك .. لقد كان يسعك أن ترفض هذا الرأي وكفى الله المؤمنين القتال .. يسعك أن ترفض تفسير ابن عباس لإمام المفسرين بإجماع .. دون أن تهمني .. وهذا هو أدب الجدال فيما أعرفه عن الدين .. أم إنك تعرف شيئاً آخر .. قل لنا أفأك الله !!

فهل جعلتها مناقشة موضوعية فتجادل فيها بالحجة الحسنة ، تففيد وتستفيد !!!

إن كتب التفسير مليئة بالإسرائيليات كما لعلك تعرف يا أستاذ على .. ومن المجتهدين من يقع فيها ولم يهتمهم أحد بما انهم متي به ، وأنا لم أتورط في خطأ كهذا .. كل ما في الأمر أنني أخذت بتفسير «طيراً أبائيل» ، هل تأويل الآية ولكنتك تريد أن تفهمها بظاهر النص .. لقد تابعت أنا ابن عباس وتابعت أنت غيره وأنا لا أعطى نفسى الحق

بالموهظة الحسنة ، فهذا خير من أن يشير عوامل الاستفزاز والضغينة .

فحسب ، فهي ليست أسفاراً ولكنها هدى للناس ...

لا تخلق الكراهية يا رجل ، فما بهذا أمرك دينك . واهل أن الذي تطعنه في دينه هو رجل ما كان يعرفك وما كنت تعرفه .. ولكنه إنسان له حقوق وله أبناء يحبونه ويحبون لأبيهم ألا يطعن في دينه .. وأنا أريد لم أن يقرأوا مجلة الأزهر فيصدقوا ما فيها .. اخفض من صوتك وانزل من تعاليك ، والزم بأداب دينك ، وجادل باقي هي أحسن ، واعلم قواك الله أن هلك هو قيدك ، فإن لم يرتفع بك هلك فوق سوقية الجسدال ، فلاخير فيه .. وتذكر أن الدين المعاملة .. وأن السفه والإيمان لا يجتمعان .. فلتسكن كلماتك طيبة كشجرة طيبة .. واحذر أن تكون كلمتك في هذه الحياة خبيثة كشجرة خبيثة !

ثم ما زعمك يا أستاذ على أن الأسلوب القصصى يحى على الحقائق .. وأن الأسلوب القصصى في سرد سير الأنبياء لا يسوغ عندك ! لا يسوغ عندك ؟؟ . تواضع لله قليلاً يا ولى الله .. تواضع لله نفسه .. فبأى أسلوب إذن أنزل الله سير الأنبياء في القرآن .. ألم تحاول أبداً - بدلا من أن تهجم على الناس وتطعنهم في دينهم - ألم تحاول أبداً أن تفهم قوله تعالى : ونحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين .. ألم تحاول أن تدرك مغزى هذه الآية أبداً .. حاول يا شيخ على .. وسيسوغ عندك ما صدر من الله . حاول أن تفهم .. فهذا أجدى عليك من اتهام المسلمين في نواياهم ومن الهمز واللمز . وويل لكل همزة لمزة ..

واعلم أن للكلمة المطبوعة احترامها وجلالها وتقاليدها ، فلا تقوها بما تسخرها له من افتراء وتجريح ، ولا تسيء إلى الناس بالباطل ، أحسن الله إليك ، وقواك على أن تعرف مكانك من هذه الدنيا فتلزمه ، وأمانك على أن تحترم الآداب التي شرعها سبحانه للتعامل بين عباده ، وجنبك الزلل ، وأقالك من هزات لسانك ، وأضاء لك السبيل .. وهذا الله عنك يا أستاذ على بما افتريت ، وبما ضيعت من وقت .

وإذا كان الأسلوب القصصى في سرد سير الأنبياء لا يسوغ للأستاذ على وقد جاء في كتاب الله ، فوارحمناه لنا نحن الفقراء إلى الله .

واسمع أخيراً يا أستاذ على .. ما دمت قد ندبت نفسك للكتابة في الدين - غير مذموم - فاعلم أن الكتابة أمانة ومسئولية .. والكلمة شرف .. فائق الله في شرف الكلمات وارتفع بقلبك إلى مستوى المسئولية وزه لسانك عن الطعن فأنت تعرف ما جزاء هذا هند وبك .. وليكن قلبك مضيقاً

عبد الرحمن الشرقاوي



الجانب العلمي من إعجاز القرآن

تعقيب على تعقيب

لأستاذ الدكتور

على عبد الواحد دلي

اطلعت بعد عودتي من إنجلترا حيث اشتركت في أعمال مؤتمر اليونسكو بكسford لدراسة حقوق الإنسان على تعقيب لفضيلة صديقنا الشيخ عبد الرحيم فودة على مقالنا المنشور بعدد جمادى الأولى بعنوان (حرية التفكير والتعبير في الإسلام) فرأيت من الخير أن أعقب عليه بما يلي :

أراد فضيلة الشيخ عبد الرحيم فودة في تعقبه على مقالنا السابق أن يقرر أمرين :

(أحدهما) أن القرآن قد عرض لبعض حقائق علمية لم يمتد العلماء إليها إلا منذ عهد قريب . ولكنه لم يقدم بين يدي دعواه أى دليل والآيات التي ذكرها في تعقبه لا تدل على شيء مما أراد أن يقرره ؛ وإنما تدل على أن القرآن د تنزيل من حكيم حميد ، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن الذي أنزله يعلم السر في السموات والأرض ،

وأن الذين أتوا العلم يرون أنه هو الحق ويهدي إلى صراط مستقيم ، وأن الله سيري الناس دلائل قدرته في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، . وهذه هي أصول عقيدتنا الإسلامية ، ولكن لا علاقة لها بمطابقا بالموضوع الذي عرضنا له في مقالنا السابق ولا بالموضوع الذي أراد الشيخ فودة أن يقرره .

(وثانيهما) أن تقرير القرآن لبعض حقائق علمية لم يمتد العلماء إليها إلا منذ عهد قريب (على فرض أن القرآن قد عرض لهذه الحقائق) هو مظهر من مظاهر إعجازه ، وهذا فهم غير صحيح لحقيقة الإعجاز . فالإعجاز هو الإتيان بما لا يستطيع

البشر سبيلا إلى الإتيان بمثله في أى عصر ولا في أى مكان ، ويكون مقرونا بالتحدى ، أما تقرير حقائق علمية تستطيع عقول البشر أن تصل إليها وقد وصلت إليها بالفعل فليس من الإعجاز في شيء . وقصارى ما يمكن أن يحكم به على مقرر هذه الحقائق أنه هبقرى قد سبق عصره بعدة قرون . ولو كان مثل هذا إعجازا لحكمتنا على كثير من هباقره العلم والاجتماع أنهم قد أتوا بالمعجزات . فابن خلدون مثلا قد عرض في أصول علم الاجتماع وبعض فروعه نظريات لم يمتد العلماء إلى مثلها ولا إلى كشف حقيقتها وحماتها إلا بعد وفاته بنحو أربعة قرون . فلو كان ما قاله الأستاذ فودة صحيحا لحكمتنا على ذلك بأنه ضرب من ضروب الإعجاز .

أما مقالات صديقنا الأستاذ الغمراوي التي أشار إليها فضيلة الشيخ فودة في تعقبه فيؤسفنا أنه لم يمتدح لنا الاطلاع عليها . ومهما يكن من شيء بشأنها فإن قارئها يستطيع الحكم عليها في ضوء ما كتبناه في مقالنا السابق وفي هذا التعقيب .

دكتور على عبد الواحد دلي

ر . . .

لأستاذ عبد الرحيم فودة

١ - عند ما كتبت تعقبى على مقال الأستاذ العظيم الدكتور د علي عبد الواحد ، لم يكن يدور في خلدي أن أدخل معه في مناظرة أو جدل ، فإن له مقاما في نفسى وفي نفوس القراء الذين تابعوا ويتابعون ما يكتب وما يؤلف من كتب بكثير من التقدير والحرص والاهتمام والاحترام ؛ فإذا أضيف إلى ذلك أن الدافع الذي حمله على كتابة ما كتب فيما يتصل بالجانب العلمى من إعجاز القرآن هو الفهرة على كتاب الله أن بطرح لخدمة نظريات قد تتغير

ركبوا أطباق الجوداروا حول الأرض ، وعرفوا
عن كسب الشفق ، والليل وما وسق ، لو أشرت على
قلوبهم هذه الآيات البيّنات لآمنوا باقه وسجدوا للقرآن .

٤ — أما تعريف الدكتور للمعجزة ، فقد تجاوز
فيه من أمر لا يستقيم تعريف المعجزة مع التجاوز عنه ،
فقد عرفها العلماء بأنها أمر خارق للعادة ، ولا شك
أن القرآن بالنسبة إلى النبي الأسمى الذي يقول الله فيه :
« وما كنت تتلون من قبله من كتاب ولا تحطه بيمينك »
أمر خارق للعادة ، والعلم الذي تلقاه النبي من القرآن
والوحى كذلك أمر خارق للعادة ، وهذه الحقيقة
البسيطة العميقة أشار إليها شوقي حين قال :

كفكف بالعلم في الأسمى معجزة

في الجاهلية والتأديب في اليتيم
أما العباقرة والمخترعون الذين سبقوا غيرهم
أو عصرهم بما عرف لهم من نظريات أو مخترعات
فلا يسمى عملهم معجزة ، لأنه يقوم على قوانين
معروفة مألوفة أو تعرف وتؤلف ، ثم إنهم لم
يدعوا النبوة ، ولم ينسبوا عملهم إلى الله ، والمعجزة
من عمل الله لا من عمل أحد سواء ، ولا يد لنبى
في معجزة ، لأنها أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى
يظهره الله على يد مدعى النبوة ، وقد تحدى القرآن
الجن والإنس أن يأتوا بمثله ، فعجز الإنس والجن
عن أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله ، ولم يقيمه
المثل بأى قيد . بل أطلقه ليشمل الإعجاز كل الجوانب
التي اشتمل عليها القرآن ، فهو معجز في أسلوبه
وبلاغته . وفي تشريعه وحكمته ، وفي قصصه وعلومه ،
وفي كل ما يفهم من قوله تعالى : « لكن الله يشهد بما
أنزل إليك أنزله بعلمه » ، وقوله سبحانه : « قل أنزله
الذى يعلم السر في السموات والأرض » .

٥ — أما الأمثلة التي طالبني الدكتور بعرضها
لتسكون أدلة بين يدى دهورى فلا يسعها ، كتاب ،

أو يظهر بطلانها . كان ذلك - إلى ما له من مكانة
واحترام - اعتبارا آخر له وزنه وتقديره وتأثيره
في نفسى وفى نفوس القراء على السواء ...

٦ — ولكن للسؤال جانبا آخر يشفع لى
ولكل مسلم ولكل متمرس بدراسة القرآن وعلومه
أن يعقب على ما كتبه الدكتور في هذا الموضوع ،
ذلك أن الإعجاز العلوى في القرآن هو الآن أظهر
الأدلة على أنه من عند الله ، وبخاصة بعد أن فسدت
السليقة العربية وفقدت المعايير البلاغية قيمتها التي
كانت لها عند العرب يوم عجز العرب - وهم في أوج
قوتهم البلاغية - عن الإتيان بمثله أو بسورة من
مثله ، ثم إن الإعجاز العلوى - في عصر العلم - هو
وحده الذى يفهم أهداء الإسلام ، ويقطع عليهم
السييل إلى معارضته أو مناهضته ، بل لعله هو الذى
يسكشف من قوله تعالى : « سترهم آياتنا في الآفاق
وفي أنفسهم حتى يقبين لهم أنه الحق » ، بل إنه هو
الذى يلوح لنا من الآفاق العالى الرفيع الذى نتطلع
إليه ونحن نتلو قوله تعالى : « فلا أقسم بمواقع
النجوم . وإنه لقسم لو قلعدون عظيم . إنه لقرآن
كريم في كتاب مكنون . لا يمسسه إلا المطهرون ،
تنزيل من رب العالمين » .

٣ — أما ما أشار إليه الدكتور أو عرض به
من أننى لم أقدم بين يدى دعواى أى دليل فأنا أكل
إلى القراء الحكم على ما أوردته من الآيات التي ذكرها
الدكتور ، وأنكر أنه لا علاقة لها بالموضوع ؛ بل
أكل إليه أن يفسر في ضوء العلم أو في ضوء ما شاء
قوله تعالى : « فلا أقسم بالشفق . والليل وما وسق
والقمر إذا اتسق . لتركبن طبقا عن طبق » ، ثم يفسر بعد
ذلك المناسبة التي مهدت لقول الله بعد ذلك : « فما لهم
لا يؤمنون . وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون ..
وأنا واثق أن رواد الفضاء من أمثال « جاجارين ، وقد

الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا يصح أن تتخذ من ذلك ذريعة لتعطية هذا الجانب المتألق المشرق من عجز القرآن العلى .

٧ - ورحم الله الدكتور محمد عبد الله دراز فإنه يقول في كتابه « النبأ العظيم » وتقرأ القطعة من القرآن فتجد في الفاظها من الشفوف والملاحة والإحكام والخلو من كل غريب عن الفرض ما يتسابق به مغزاهما إلى نفسك دون كد خاطر ولا استعادة حديث ، كأنك لا تسمع كلاما ولغات بل ترى صورا وحقائق ماثلة ، وهكذا يخيل إليك أنك قد أحطت به خبرا ووقف على معناه محدودا . هذا ولو رجعت إليه كرة أخرى لرأيتك منه بازاء معنى جديد غير الذى سبق إلى فهمك أول مرة وكذلك ... حتى ترى للجملة الواحدة أو الكلمة الواحدة وجوها عدة . كلها صحيح أو محتمل للصحة ، كأنما هي فص من الماس يعطيك كل ضلع منه شعاعا فإذا نظرت إلى أضلاعه جملة بهرتك بألوان الطيف كلها فلا تدري ماذا تأخذ حينئذ وماذا تدع ، ولعلك لو وكلت النظر فيها إلى غيرك رأى منها أكثر مما رأيت ، وهكذا تجد كتابا مفتوحا مع الزمان يأخذ كل منه ما يسر له ، بل ترى عيضا مترام الأطراف لا تحده عقول الأفراد ولا الأجيال .

ألم تركب وسع الفرق الإسلامية على اختلاف منازعها في الأصول والفروع ... ؟ وكيف وسع الآراء العلمية على اختلاف وسائلها في القديم والحديث ... ؟ وهو على أيمه للعقول والأفهام صلب متين ، لا يتناقص ولا يقبل . يحتج به كل فريق لرأيه ، ويدعيه لنفسه ، وهو في سمو فوق الجميع يطل على معاركهم حوله . وكأن لسان حاله يقول لسلوالة وهؤلاء (كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) .

عبد الرحيم فودة

ولا يتسع هذا المقال لتفصيل الحديث عنها ، وحسبنا أن نشير مجرد إشارة . لقوله تعالى : « بلى قادرين على أن نسوي بنانه » ، « وأنبئنا فيها من كل شيء موزون » ، وقوله : « كلما فضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب » ، وقوله : « ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا » ، وقوله : « الذى أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين » ، وقوله : « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم » ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » ، وقوله ... وقوله . إلى أقصى ما يفهم من قوله تعالى : « قل لو كان البحر مدادا لسكرات ربى لنفدت البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا » .

وقد قال الإمام على كرم الله وجهه جميع العلم في القرآن ولكن تنقاصر عنه الأفهام ، ونظم شاعر هذا المعنى حين قال :

جميع العلم في القرآن لكن

تنقاصر عنه أفهام الرجال

٦ - وبعد فقد قلت في آخر ما كتبت من تعقيب : ومهما يكن من شيء فالقرآن كتاب الله ، والعلوم السكونية وما تسفر عنه البحوث والتجارب من حقائق لا يرقى إليها الشك نرحب بها على أنها عاصمة للقرآن لا بخدمة به ، وعلى أنه حاكم عليها لا عكسها . وكنت أقصد بذلك - مع الإقرار بالحق الذى اعتقده - أرضاء غير الدكتور على كتاب الله أن تحسب عليه أخطاء بعض الباحثين ، وقد قلت فيما قلت أما ما ذكره الدكتور من آراء وتاويلات ضعيفة أو فاسدة لبعض الباحثين في هذا الأمر فحسوب على الباحث لا على القرآن . كما يحسب كثير من أخطاء المفسرين القدماء عليهم لا على هذا

الحقيقة في مشكلة فلسطين

للكاتب الهولندي ق. ه. ليونارد

ترجمته عن الإنجليزية : محمد حسام الدين

أساس لها . وهو أن يتمتع المسلمون والمسيحيون واليهود بالمساواة الوطنية في فلسطين . فرفضه الاتحاد اليهودي الفلسطيني باعتباره مشروعا خطيرا بل وجديرا بالسخرية .

وقد حاولت بريطانيا أن تردى ثياب البراءة فوضعت مشروعا بمنح قروض لمساعدة الفلاحين العرب في فلسطين وكان مستواهم قد انحدر بسبب الحرب إلى حد البؤس ، فعارضه ايزمان .

واقترح الانجليزى الصهيونى فى زانجويل وآخرون معه أن يطرده العرب من فلسطين ، وراؤهم طريقاً أخصروا أفضل من خطة ايزمان وهى أن يظهرهم في مظهر الاجناس المنحطة .

وفي لحظات نادرة كانت الأصوات اليهودية تغير نبرتها . ففي فبراير سنة ١٩١٩ قالوا : ونحن الذين نقاسى الاضطهاد في كل مكان في العالم ، والذين نطالب بجميع الحقوق الإنسانية لأنفسنا ذاهبون إلى فلسطين لنعكس الدور ، .

إلى هذا الوقت كانت فلسطين ما تزال بلداً عربياً خالصاً وجزءاً من سوريا ، ولا يزال أكثر من ٩١ ٪ من سكانها عرباً وأقل من ٩ ٪ يهود .

ووضع الحلفاء مشروع تقسيم الشام فوقف العرب مسيحيين ومسلمين ضد الحلفاء وضد الصهيونية في أن تقطع فلسطين من أمها سوريا . وأدرك العرب شيئاً من الراحة والطمأنينة على حقوقهم حين استظلوا باتفاق عصبة الأمم مستقدين إلى تصريحات الحلفاء عن فلسطين .

دخلت الوثيقة التاريخ بهذا الاسم ، خطاب فرانكفورت ، ، وقد وصفها السير بويد مهمان المتكلم باسم الهيئة التنفيذية للصهيونية الفلسطينية بأنها : قاعدة للانتداب على فلسطين ، وكان خطاب فرانكفورت بالتالى قاعدة للدولة الحالية إسرائيل ولكنه قاعدة متهزئة لأنه كان مزوراً . وكان المزوران هما الدكتور حاييم وايزمان أول رئيس للدولة التي أقيمت على هذه القاعدة . والدكتور فليكس فرانكفورت عضو مجلس العدالة بالمحكمة العليا بالولايات المتحدة الأمريكية .

وارتفعت أصوات الدوائر الصهيونية بأنها تهدف إلى التعاون مع العرب من أجل تقدم البلد وغيرها . وأنكروا تخطيطهم للسيادة على فلسطين أو لإجلاء العرب عن أراضيهم . وسمعت هذه التصريحات مراراً .

والغريب أن نظرة العرب إلى هذه التصريحات كانت تقسم بالتردد والاستجابة للغش والخديعة وفي نفس الوقت كان الصهيونيون يسرون فيما بينهم أن أسرع السبيل وأيسرها هو انتزاع الأرض العربية ونقل ملكيتها إلى اليهود - وكانت لحسن حظهم ناقصة التسجيل - وذلك لتحقيق وضع البلد كلها في قبضتهم وتنشيط الهجرة إليها واحتضار أكبر عدد ممكن من الشعب اليهودى وضمه إلى ملاك الأرض في دولتهم الجديدة .

وفي المفاوضات العربية اليهودية أصرفيصل على

الرأى العام العالمى ، وحتى هذه الوسيلة لم يكن العرب يملكونها ، بينما كان اليهود يتابعون منهج دهر تزل ، وهو استخدام النفوذ اليهودى فى الصحافة العالمية وفى الدوائر السياسية .

وتتج عن هذا أن أكثر الاسطدامات السياسية انتهت بتعطيل حقوق العرب على يد الصهيونية . إن المذكرة التوضيحية لوعد بلفور ظلت سرا إلى ١٩٥٢ كما أن الغش فى خطاب فرانكفورت بقى خفيا لمدة أربعين عاما . ثم كشف لأول مرة فى هذا المقال .

وفى سنة ١٩٤٧ انتهى التناقض بين ظاهر الانتداب البريطانى وحقيقته فى فلسطين بـ قرار التقسيم الذى أصدرته الأمم المتحدة ، وبهذا تحدد الصراع العربى الصهيونى الإسرائيلى إلى يومنا هذا أما مقاومة العرب للانتداب بوصفه أداة لتحقيق الصهيونية فقد كانت فى أساسها دفاعا ذاتيا عن حقوقهم التى أقرت بها الحلفاء فى معاهداتهم وفى إعلاناتهم وتصريحاتهم واعترف بها ميثاق عصبة الأمم .

وقد سوغ الانتداب البريطانى للصهيونيين المعتدين أن يعضوا حقوق العرب : بل وجعله أمرا مشروعا أما دفاع العرب عن أنفسهم فن الغريب أن يصفه بالعدوان ، وأن تكون الصهيونية فى نظره هى الضحية البريئة ... مما يستتبع أن توصف قواتها المسلحة وأعمالها العسكرية بأنها من وسائل الدفاع .

وضعت الصهيونية خطة التفوق على العرب وحدد خطواتها الانتداب البريطانى . وفى خلال عشر سنوات منه استطاع الصهيونيون أن يملكوا زمام الأرض الاقتصادية جميعها فى فلسطين .

وكان الانتداب يعطى الأرض التى يكتسبها اليهود بعد إجلاء السكان الوطنيين هنا حصانة وسيادة خاصة فلا تخضع لنظم الدولة العامة . وبالرغم من أنها

وكان موقفهم القانونى والشرعى واضحاً لا يقبل الجدل . فإذا قيسوا بمقياس القوة الفعلية كانوا فى غاية الضعف .

جاء فى محاضريوم ١١ أغسطس سنة ١٩١٩ لمؤتمر السلام بعصبة الأمم أن العرب تمسكوا بميثاق عصبة الأمم الذى وصفهم بأنهم أمة مستقلة ومنحهم حق تقرير المصير .

فى حين كان اليهود - استنادا إلى وعد بلفور - يعارضون ميثاق عصبة الأمم وحق تقرير المصير لعرب فلسطين . ويرفضون التصريح الإنجليزى الفرنسى سنة ١٩١٨ ويعارضون السلطة الإنجليزية ذاتها لأنها لم تعلن سياستها التى تتفق فى الواقع مع أهدافهم فى فلسطين .

وما أكثر المصالح الذاتية التى كانت تربط بريطانيا والحلفاء بالصهيونية ، ولأن جعلت مصادر القوة فى جانب الصهيونية ضد العرب الذين استغنى الحلفاء عن خدماتهم بعد الحرب ولم يبق لها غناء كبير .

كان هناك قبل كل شئ بلفور نفسه الذى صنع روابط الحلفاء بالصهيونية ، ثم اتسعت من بعده وتوفقت عالميا ، وعن طريقه حصلت الصهيونية على وسائلها الإيجابية المشروعة وهى الانتداب على فلسطين ، وكان وعد بلفور حقيقا وبجسدا لآمالها .

ومع هذا فقد وصفت الدوائر الصهيونية الانتداب بأنه ليس شرعيا . ولكنه وثيقة سياسية هامة ، وفى رأى ابن جوريون أنه يمثل اتفاقا بين العرب واليهود أمام المنظمة العالمية .

إن من المبادئ القانونية كما وضحها دريغوس ، أن خطأ المنظمات العالمية يمكن أن يرجع ويعاد تصحيح الوضع فيه فى حالات خاصة مثل الوهم والغش ، ولكن هذا يحتاج على الأقل إلى استجابة

والدولة المنتسبة ، فانتقل مركز النشاط السياسي الصهيوني من بريطانيا إلى أمريكا ، إلى مجال أوسع وأرحب ، واتجهت المناورات إلى تحريك الرأي العام في الكونغرس والحكومة الأمريكية ضد الكتاب الأبيض الإنجليزى ، من أجل الدولة اليهودية .

ووقف من كانوا يدهون بالمعتدلين يطايلون علنا بالدولة اليهودية ، وبدأت عمليات إقامتها بالفعل ، ومنها نقل السكان العرب تحت إشراف ضابط ذى رتبة عالية من القوة البريطانية الاستعمارية .

واستدعى اليهود سيدة من سيدات التبشير المسيحي كانت خيرة في عمليات إجلاء السكان وتبادلهم بين تركيا واليونان ، لإلقاء محاضرات في هذا الموضوع وكانت النية واضحة ومؤكدة بين هذه المحاضرات وبين نية إجلاء العرب ، حينما نفسح بريطانيا من فلسطين .

بدأ الإرهاب الصهيوني ضد بريطانيا إثر صدور الكتاب الأبيض وتوقف عند قيام الحرب ، ثم استؤنف في أعقابها .

وكان المهاجرون غير الشرعيين يهربون إلى فلسطين بأعداد ضخمة ، وأخذت مساعدة الصهيونية للاجئين اليهود صورة الحركة السياسية وصرف النظر عن الاعتبارات الإنسانية ، ولهذا فإن وسائل الدعاية الأهداف السياسية شملت العناية بدعوة السفاحين والقتلة من اللاجئين اليهود ، وكانت الأوامر تصدر إليهم من السلطات الصهيونية في فلسطين .

وفي أعقاب الحرب استؤنف الإرهاب الصهيوني وتزايد عنفاً ضد الانتداب البريطانى وظهرت الضوء العلاقة العربية بين الوكالة اليهودية وبين الإرهابيين .

محمد عصام الربيع

مجمع البحوث الإسلامية

كانت مستعمرات صغيرة في المساحة إلا أنها كانت تقع في أخصب المناطق وأقدمها زراعة وممرانا .

ونتيجة لهذا ولقاطعة العمال العرب والمنتجات العربية . نما المجتمع الصهيوني المغلق المتطرف الذى يجرى في دمايته نزعات التمييز العنصرى والإحساس بالتفوق . فتفجرت الاضطرابات وشملت جميع الطبقات الاجتماعية للشعب العربى الذى أحس نفسيا وماديا أنه مهدد بالصهيونية .

لقد أصبح أمام دولة يهودية وسياسية هدوانية يطالب بها المتطرفون في حالتيه . ويستهدفها المعتدلون بطريق ذى مراحل طويلة .

وقبض هتلر على زمام القوة العالمية سنة ١٩٣٣ . وكانت الآسى التى لاقاها يهود أوروبا دوافع لهم على الهجرة إلى فلسطين .

فتزايد فرع العرب حين رأوا فيضانا من الأجانب يغمر وطنهم الصغير . وقد بلغ المهاجرون في سنة ١٩٣٥ وحدها ٦٢ ألفا فتفجرت الثورة العربية المسلحة ضد الانتداب البريطانى واستمرت ثلاث سنوات تقريبا .

وفي سنة ١٩٣٩ ظهرت بوارق حرب جديدة . وكانت تباشير النصر للنازية تحامر نفوس الفدائيين والمغامرين العرب . فأصدت بريطانيا كتابا أبيض يحدد من هجرة اليهود ، ويضيق عليهم في شراء الأرض العربية .

وكان هذا يعنى في نظر الصهيونية أن مهمة بريطانيا قد قاربت النهاية في مراحل تقدمهم الطويل خطوة إثر خطوة في سبيل الغاية المحددة ، ورأوا أنهم لابد لهم من أمرين الأول : الحصول على معونة للانتقال إلى المرحلة التالية . الثانى : التخلص من الانتداب

الاسلام والعلاقات الانسانية في مجال العمل

للأستاذ جمال الدين عياد

- ٤ -

ومن الملاحظ أن من النادر تذكر الظروف التي أحاطت بقصة صاحب فرق الارز بحيث يكون كل = هلك الأجر ، فكان المستأجر ضامنا إذ لم يؤذن له في التصرف فيه : (راجع : ابن حجر ، فتح الباري ٥٥٠ ، ص ١٢) .

ومقتضى هذا الرأي أن جميع ما نتج من استثمار الأجر إنما هو ملك العامل لا للمستأجر ، حيث قد عين الأجر ، فذلكه العامل ، وعليه يكون المستأجر حق المطالبة بما أنفق على استثمار هذا الأجر فهي حقوق مقررة لكل عامل في مال الغير ولو كان غاصبا ، ولكن للمستأجر تنازل عما أنفق وعما يستحق من أجر العمل في مال العامل (أى في أجره المملوك له) ، فتوسل إلى الله تعالى بهذا التنازل . والرأى الثانى : أن الأجير لم يملك أجره ، لأن للمستأجر إنما استثماره يفرق على الذمة لا يفرق معين ، ولما عرض عليه أن يقبضه ما هو مقرر في الذمة من الأجر دون أن يعينه له امتنع ، فلم يدخل في ملكه حيث لم يعينه ، وإنما بقي حقه في ذمة المستأجر (راجع القسطلاني ، إرشاد المارى ، ٤٠ ، ص ٢١٩) .

ومقتضى هذا الرأي أن للمستأجر إنما استثماره مالا مملوكا له لا للعامل ، إذ استثماره مافى ذمته من الأجر ، لا الأجر عينه ، حيث لم يعينه ، وبقي في ذمته ، فسلك ما نتج من الاستثمار إنما ينتج على ملك المستأجر لا العامل . وغاية ذلك أنه أحسن القضاء حين أنه العامل مرة ثانية يطالب بأجره ، فأعطاه حقه وزهادات كثيرة (راجع : نفس المكان) ، ويبدو أن البخارى يرى الرأى الأول حيث ساق الحديث تحت عنوان : « إذا زرع بمال قوم بغير إذنه وكان في ذلك صلاح لهم » وأيا كان الأمر ، فقد أحسن للمستأجر إلى الأجير بصورة ما : إما يتنازل عن أجر عمله ومقدار نفقته في أجره المستثمر ، وإما يمنحه الأجر وزهادات كثيرة .

وبالإضافة إلى ما قدمناه من حقوق تكفلها الدولة للعامل بصفة عامة (١) ، نظر الإسلام نظرة خاصة إلى طائفتين من طوائف العمال وهما طائفة الأجراء ، وطائفة الخدم عامة ، والرفيق منهم خاصة ، فاستوصى بهم خيرا .

فأما الأجراء ، فقد حث على إكرامهم ، والمبالغة في رعاية حقوقهم بما قدمناه من قصة صاحب فرق الارز الذى انصرف أجيره دون أن يأخذ أجراً ، فلم يستكشف بمحفظ أجره سنوات طويلا ، وإنما استثمره له حتى اشترى له بقرأ وراعيها ، ثم دفع ذلك كله إليه .

وطبيعى أن الأجير ليس له الحق في أكثر من أجره ، وأن هذا الذى فعله صاحب فرق الارز إنما هو فضل منه لاحق عليه ، ولكن الرسول عليه السلام أوداه قدوده لمن يستطيع ، فقال : « من استطاع منكم أن يكون مثل صاحب فرق الارز ، فليكن مثله » (٢) .

(١) راجع ما كتبناه في المحدثين السابقين عن « حقوق العمال في الإسلام » .

(٢) مختصر سنن أبي داود ، ٥٠٠ ، ص ٥٧ .
ثمه وأيان في تصرف هذا المستأجر من الفاحية الفقهية : فالرأى الأول يقول : إنه قد عين للعامل أجره ، ومكنه منه فبرئت ذمته بذلك ، فلما ترك العامل أجره ، تصرف فيه المستأجر بغير إذن من العامل ، ولكن تصرفه كان بطريق الإصلاح ، لا بطريق التضيق ، فاعتذر ذلك ، ولم يعد تمديداً ، بل عد قوبة إلى الله تعالى . ومع ذلك فلو =

فهو لك صدقة ، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة ،
وأما أطعمت زوجك فهو لك صدقة ، وما أطعمت
خادمك فهو لك صدقة ، وفي حديث مشابه جعل عليه
السلام الإحسان إلى الخادم في المرتبة الرابعة بعد
الإحسان إلى النفس والزوج والولد على الترتيب
المذكور ، فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : تصدقوا ، قال رجل : عندي
دينار آخر ، قال تصدق به على ولدك . قال هندي
دينار آخر ، قال تصدق به على نفسك . قال عندي
دينار آخر قال تصدق به على خادمك . قال عندي
دينار آخر . قال أنت أبصر .

وعن ابن عباس قال : قدّم علينا عمر بن الخطاب
رضوان الله عليه ، حاجا ، فصنع له صفوان بن أمية
طعاما ، فجاءوا بحفنة يحماها أربعة ، فوضعت بين
القوم ، فأخذ القوم يأكلون ، وقام الخدام ، فقال
عمر مالى أرى خدامكم لا يأكلون معكم إنا أترغبون
ههم ؟ فقال سفيان بن عبد الله : لا والله يا أمير
المؤمنين ، ولسمكنا نستأثر عليهم ، فغضب غضبا
شديدا ثم قال ، ما لفرم يستأثرون على خدامهم ،
فعل الله بهم وفعل ، ثم قال للخدام اجلسوا فاكلوا ،
فقعده الخدام يأكلون .

ولما دعا الرسول إلى إطعام الخادم من طعام
سيده لأنه كما يقول - عليه السلام - ولي حره وعلاجه
وليس من اللاتق أن يوقد ناره ، ويستشق دخانه ،
ثم يحرم منه .

على أن إطعام الخادم مما يطعم السيد وإلباسه بما
يلبس ، إنما هو من باب القرع غيب لا الوجوب
كما أشار ابن حجر ، وكما يتضح من قوله عليه السلام
« فليناوله لقمة أو لقمتين ، في الحديث الذى
نقلناه آنفا .

مستأجر مثله ، على أن فرص إكرام الأجراء
مذمومة . فكل مستأجر لا يكتفى بأداء الحق الذى
عليه قبل الاجير ، وإنما يؤتیه بعد هذا من فضله
ما يستطيع ، يكون قد تشبه بصاحب فرق الارز ،
وأصبح أهلا لمثل ما أكرمه الله به من تفريج
الكروب . وكل إكرام فى هذا المجال إنما هو
استجابة لقوله تعالى : « ولا تنسوا الفضل بينكم » .
وهذه الدعوة إلى إكرام الأجراء تبدو عظيمة
القيمة إذا تذكرنا حقيقة هامة ، أن العرب كانوا
يسمون الأجير حسيفا لأن المستأجر يعسفه فى العمل
والعسف الجور . من ذلك قول أحد الأعراب
لرسول الله ، وقد جاء يستعصيه : « إن ابني كان حسيفا
على هذا وأشار إلى رجل معه ... » . وهكذا فقد
كان الأجراء جديرين بهذه النظرة الرحيمة التى
خصهم بها الإسلام .

وأما الخدم عامة ، فقد أمر الله السلام بالعفو عنهم
إذا أخطئوا ، إذ جاءه رجل يوما وقال : يا رسول الله
كم نعوذ عن الخادم ؟ فصمت ، ثم أعاد عليه الكلام
فصمت فلما كان فى الثالثة قال : دعفوا عنه فى كل يوم
سبعين مرة ، وأتاه رجل آخر ، فقال يا رسول الله :
إن لى خادما يسوء ويظلم ، أفأضربه ؟ فقال عليه
السلام : « دعفوه عنه فى كل يوم سبعين مرة ، يريد بهذا
المبالغة فى العفو عنه .

وقد أوصى عليه السلام بالإحسان إلى الخدم
فى المسأكل والملبس : فقال : « إن اخوانكم
خولكم ، فن كان أخوه تحت يده ، فليطعمه مما
يطعم ، وليلبسه بما يلبس . وقال : « إذا أتى
أحدكم خادمه بطعامه ، فإن لم يجلسه معه فليناوله
لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين فإنه ولي
حره وعلاجه ، ، وقال : « ما أطعمت نفسك

ابن سويد بن مقرن : لطمت مولى لنا ، فدعاه أبى ودعاني ، فقال : اقتص منه ، فإننا معشر بنى مقرن كنا سبعة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وليس لنا إلا خادمة ، فلعلمها رجل منا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعقوها ، قالوا : إنه ليس لنا خادمة غيرها قال . فلتخدمهم حتى يستغنوا ، فإذا استغنوا فليعتقوها .

وهن أبى مسعود الأنصاري رضى الله عنه قال : دكنت أضرب غلاما لي فسمعت من خلفي صوتا : اهل أبا مسعود ، الله أقدر عليك منك عليه ، فالتفت ، فإذا هو النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله تعالى ، وقال أما إنك لو لم تفعل لافعتك النار أو لحقتك النار .

ثم الأحاديث الناهية عن التطاول عليهم ، إذ يقول عليه السلام : لا يقل أحدكم ، اطعم ربك ، وضئ ربك ، اسق ربك . وليقل : سيدي ، مولاي . ولا يقل أحدكم عبدي ، أمتي ، وليقل فتاى ، وفتاى ، وغلاى .

وكذلك الأحاديث الداعية إلى الإحسان إليهم بالتعليم ، وهى واردة فى الإماماء خاصة ، إذ يقول عليه السلام : من كانت له جارية فعلمها فأحسن إليها ثم أعتقها وزوجها كان له أجران ، وإذا كان الحديث ينصب على الإماماء ، فإن الذكور من العبيد والأحرار من الخدم أشد حاجة إلى التعليم من الإماماء ؟

صحاح الربيع عباد

وقد ضرب عليه السلام المثل الأعلى فى الإحسان إلى الخدم ، إذ يقول أنس خادمه : خدمت النبي صلى الله عليه وسلم تسع سنين . فما قال لى لىء فعلته لم فعلت كذا وكذا ؟ وما قال لى لىء لم أفعله ألا فعلت كذا وكذا ، ويقول : : خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين بالمدينة وأنا غلام ليس كل أمرى كما يشئنى صاحبي أن أكون عليه ، ما قال لى أف قط ، ، وكلفه عليه السلام ذات يوم أمرا فخرج إلى السوق يلعب مع الصبيان متباطئا عن أمر الرسول فما زاد عليه السلام أن أتاها وقال وهو يضحك : يا أنيس ، اذهب حيث أمرتك ! وكان عليه السلام لا يضرب خادما قط ، كما كان يعود خدمه عند المرض ولو كانوا من أهل الكتاب .

وكذلك كانت زوجته عائشة رضى الله عنها ، تحسن إلى خادماتها اليهودية ، وتصنع إليها المعروف ، فكانت الخادمة كلما صنعت عائشة شيئا من المعروف دعت لها بالنجاة من عذاب القبر .

فأما الخدم من الرقيق خاصة فقد ورد الأمر بالإحسان إليهم فى قوله تعالى : : واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجارذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ، إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا .

كما وردت أحاديث عديدة بهذا الشأن ننخص منها الأحاديث الناهية عن اطعمهم ، إذ يقول عليه السلام : من لم يعلم غلامه فكفرارته هتفه ، ، ويقول معاوية



الجبال في القرآن الكريم

دكتور سنان الدكتور محمد أحمد النمرى

- ٢ -

آيات الجبال في القصص القرآني :

بقي من الآيات التي ذكرت الجبال فيها بلفظها سبع عشرة آية تتعلق بالجبال فيما دون القيامة أى في دنيا الأرض هذه التي استخلف فيها الإنسان . وقد وردت في ست عشرة سورة هي حسب ترتيب نزول الوحي بها :

ص والاعراف والشعراء وهود والحجر وصبا والغاشية والنحل - آيتان - وإبراهيم والأنبياء والنبا والنازعات والأحزاب والرعد والنور والحج . أما ترتيبها في المصحف فمهل معرفته بالرجوع إلى فهرست للمصحف الشريف .

وآيات الجبال في الست السور الأولى آيات قصص يلتحق بها آية سورة الأنبياء ، فهذه سبع آيات ، ثلاث منها وردت في قصص داود عليه السلام في ص وسبا والأنبياء ، وثلاث في قصص نوح في الأعراف والشعراء والحجر ، وواحدة في قصة نوح عليه السلام في سورة هود .

تسخير الجبال مع داود عليه السلام :

وأول تلك الآيات آية سورة ص يذكر الله فيها معجزة كبرى آتاهها نبيه داود ، أو هما معجزتان في آيتين كريمتين هما قوله تعالى : « لما سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق » والطير محشورة ، كل له أبواب) .

وعظم دلالة هاتين المعجزتين على قدرته سبحانه من ناحية ، وفضل داود عليه السلام من ناحية أخرى ، أعاد الله ذكرهما في إجمال معجز في بعض آية ، إذ يقول سبحانه في سورة سبأ : « ولقد آتينا

داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير » ، وإذ يقول في سورة الأنبياء : « وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير » ، وكنا فاعلين .

ومتأمل الآيات السكينة الثلاث يجد بينها اشتراكا واختصاصا في التعبير ، ولكل دلالة المعجزة .

فالخرف « مع » مشترك بينها وكذلك ضمير الجلالة للتسليم ودلالة الخرف أن داود كان يبدأ التسليم

فتشاركه الجبال ، ولو كان التعبير باللام لما ثبت التسليم إلا للجبال . إما دلالة الضمير فهي أعجب وأعظم . فهو أولا لا يمكن أن يرجع إلا إلى الله عز وجل ، إذ لا يقدر على تسخير الجبال غيره سبحانه ، وهو ثانياً ضمير الجلالة للتسليم ، فدل

بوضوح على أن الآيات القرآنية الثلاث إنما هي من عند الله سبحانه ، لا من عند محمد وغيره كما يزعم المستشرقون ومقلدهم ، وكما غفل عن ذلك أو أغفله المشركون الذين قالوا : إن محمداً افترأ .

وضمير الجلالة مبثوث في القرآن كله لتسكون له هذه الدلالة القاطعة بأن القرآن كله إنما هو من عند الله .

أما عن الاختصاص في الآيات السكينة الثلاث فقد اختصت الآية الأولى وأختها معاً بتفصيل

ما أجل في الآيتين الآخرين ، ومن بين ذلك تبيين الوقت وقت التسليم . واختصت الآية الثانية ،

آية سبأ ، ببدء الجبال وأمرها أن ترجع التسليم مع داود . يا جبال أوبي معه والطير . ونداء

الجبال وأمرها أمر تسخير لا يمكن أن يكون إلا من خالق الجبال سبحانه . واختصت الآية الثالثة ، آية

الأنبياء ، بقوله تعالى : « وكنا فاعلين » ، بعد قوله

في الحجر ، فإنهم هم أصحاب الحجر الذين يقول الله فيها في سورة الحجر : « ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين . وآتيناهم آياتنا فكانوا منها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين . فأخذتهم الصيحة مصبحين . فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون . » وما أظن أحدا من الأثريين الإفرنج قام بهذه الدراسة ، وأجدر الجامعات أن تقوم بها الجامعة الأزهرية ولتتعرف مبلغ الذناب بين عمود وقدماء المصريين في نحت الجبال ، ذلك القشابة المتوقع من قوله تعالى « وفروهون ذى الأوتاد » بعد قوله « وشمود الذين جابوا الصخر بواد » في سورة الفجر . ومتأمل الآيات الثلاث وسيافها يدرك أولا أن التكرار في القصص القرآني ليس مجرد تكرار للمعنى والتعبير بل هو صور من الإعجاز في المعنى والأسلوب . وفي آيتي الجبال في سورتي الشعراء والحجر مثال من زيادة الفائدة في المعنى مع الاشتراك في أكثر الألفاظ : « وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين ، الشعراء ، « وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين ، الحجر . » وسلك من الآيتين في سياقها إعجازا . ففي التعبير مثلا باسم الفاعل (فارهين) إعجاز معنوي عجيب ، لأن الفعل بمقتطف معناه باختلاف بابه : فره من باب كرم معناه حذق ، ومن باب فرح معناه أشر وبطر كما في القاموس . واسم الفاعل يدل على المعنيين جميعا .

ففي آية صالح كان يذكر قومه بصفة أهله عليهم فيما آتاهم من الخلق في اتخاذ البيوت ينحتونها من الجبال ، ويسمى عليهم كفرانهم بتلك النعمة إذ يسيئون استعمالها بالتعالى في تلك البيوت أضرأ وبطرا ، فجمع الله ذلك المعنى كله في لفظة واحدة (فارهين) اسم الفاعل من الفعلين جميعا وما أظن كلمة واحدة في غير العربية كانت نحتت كل هذا .

عز وجل : « وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير » ، وفي ذلك تنبيه إلى عظم المعجزتين ، ونفي لما قد يرد على المخاطر من استبعاد أن يكون التسبيح بلسان المقال ، ومن حمله على التسبيح بلسان الحال المذكور في آية الإسراء : « وإن من من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » ، فدلالة الأشياء على الله بما أودع سبحانه فيها من أسرار وخواص أمر عام للفلاس أجمعين ، أما تسبيح الجبال مع داود عليه السلام فأمر خاص به ومعجزة آتاه الله إياها . الجبال في قصص ثمود :

وآيات الجبال في قصص ثمود تدل على أن ثمود كانوا قوما أولى عمارة وتشيد ونحت مثل قدماء المصريين وأولى الآيات الثلاث ، آية : الأعراف هي أولى آيات الجبال في القرآن حسب ترتيب المصحف ، وثانيها حسب نزول الوحي بها . وقد وردت هي وأختها ، آية سورة الشعراء ، على لسان نبي الله صالح إذ يدعوم إلى الله ويذكرهم بنعم الله عليهم ويحذرهم الكفران . « واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا ، فاذكروا آلاء الله ولا تعصوا في الأرض مفسدين ، الأعراف .

« أنزكون فيما هنا آمنين . في جنات وهميون . وزروع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين . فأنقروا الله وأطيعون ، . » والهاهد هو طبعنا أربعة هذه الآيات الخمس . ويبدو أن ثمود كانوا بقة طاعون الصخر من الجبال ينحتونها قصورا في السهول كما تشهد له آية سورة الفجر : « وشمود الذين جابوا الصخر بالواد ، كما كانوا يتخذون البيوت ينحتونها في الجبال نفسها كما تدل عليه آية سورة الإعراف . ويشهد للأمرين جميعا آية سورة الشعراء . وتحقيق هذا ليس بدرس مساكين ثمود

(١٣٩) (فسكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان أكبرهم مؤمنين ، وإن ربك لهو العزيز الرحيم (١٤٠) مع اشتراك القصتين في المبدأ من حيث الصيغة (كذبت عاد المرسلين) (كذبت ثمود المرسلين) وفي النهاية بالذات : (إن في ذلك لآية وما كان أكبرهم مؤمنين ، وإن ربك لهو العزيز الرحيم) . وفي ضمير الخطاب ، ضمير الرسالة ، في قوله تعالى (وإن ربك لهو العزيز الرحيم) دليل آخر يتطوع بأن هذا القصص ليس من هند محمّد ولكن من عند ربه عز وجل الذي أرسله رحمة للناس .

بقيت من آيات الجبال في القصص القرآني آية سورة هود : (وهي تجري بهم في موج كالجبال الآية (٤٢) وفيها تشبيه رهيب لموج الطوفان الذي أغرق أمة به قوم نوح استدلل الفخر الرازي على أن الطرفان كان مصحوبا لا بد بريح شديدة العصف ، وهو استنتاج صحيح فقد ذكر العالم الرياضي الطيحي أو نجت عن تولد الأمواج بالريح أن الريح لا تحدث أي تغضن في سطح الماء إلا إذا بلغت سرعتها ميلا في الساعة وهو ما يسميه بالأمواج الشعرية ، أما الموج كما نعرفه فلا يبدأ ظهوره إلا إذا بلغت سرعة الريح في الساعة ميلين ، فما ظنك بسرعتها إذا بلغ الموج من العظم أن صار كالجبال ؟ والقصة التي وردت فيها الآية السكرية تكرر فيها ضمير الجلالة للمتكلم في الأول وأثنائها وفي الآخر ، كما تكرر فيها ضمير الرسالة إذ جاء في الوسط مرة : (أم يقولون افتراء قل إن افتريته فعلى إجرأى وأنا برى ، بما تجرمون) الآية (٣٥) وفي الآخر مرات في الآية (٤٩) .

(تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ، فأصبر إن العاقبة للمتقين) فكان في ذلك برهان مضاعف أن القصة كأكوانها إلهام من عند الله محمد صهر الغراري

فمثل هذا سر من أسرار العربية التي أهدمها الله في سابق عليه لتسكون لغة كتابه العزيز الذي أنزله معجزة خالدة للناس .

أما آية الحجر : (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) فأعجازها فيما يبدو هو في الجو الذي يضفيه عليها ضمير الجلالة للمتكلم في الآية قبلها : (وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين) وقضيه عليها الآية بعدها : (فأخذتهم الصيحة مصبحين) بعد الأمن الذي كانوا فيه ودل على استقراره فهم صيغة الحال في كلمة (آمنين) .

وقد يظن أن سياق كل من آيتي الأعراف والشعراء قد خلا من دلالة ضمير الجلالة الظاهر في سياق آية الحجر ، وليس الأمر كذلك : فآية الجبال في الأعراف جاءت عقب قوله تعالى (وإلى ثمود أخاهم صالحا ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) الآية (٧٣) عطفًا على قوله تعالى : (وإلى عاد أخاهم هودا ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) في الآية (٦٥) في مفتتح قصة عاد . وهذه جاءت عطفًا على قوله تعالى : (لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) في مفتتح قصة نوح في الآية (٥٩) وهي أول قصص الأنبياء في سورة الأعراف . فمن الواضح أن التقدير هو : (وإلى عاد - أرسلنا - أخاهم هودا) ، وإلى ثمود أرسلنا - أخاهم صالحا) في الآيتين السكربتيتين (٥٩) و (٦٥) . وحذف جملة ، أرسلنا ، اعتمادًا على ورودها في الأول وإبقاء مفعولها منصوبًا دليلًا عليها في كل من الآيتين هو مثل من الإعجاز القرآني في الإعجاز اللفظي .

أما آية سورة الشعراء (وتنتحون من الجبال بيوتا قارئين) فقد ناب عن ورود ضمير الجلالة فيها وروده في ختام قصة عاد قبلها مباشرة في الآية

فِي نَحْوَاتِ مَجْمَعِ الْبَحْوثِ

التَّأْمِينُ

لِلْأَسَازِ عَلَى الْخَفِيفِ

- ٥ -

وليس يقصد بالتأمين استئجار ولا تنمية وعلى ذلك لا يصعد تجارة كما أنه لا يعد قرارا لما ذكرنا سابقا من أن القمار ضرب من اللعب واليهو يراد منه الحصول على مال من طريق البخت والحظ والمصادفة لا يقصد منه غير هذا حيث تكون نتيجته دائما ربح أحد طرفيه وخسارة الطرف الآخر وإرادة الحصول على المال فيه من هذا الطريق غرض أصلي فيه وهذا بخلاف التأمين الذي هو جد محض لا يقصد منه إلا الأمن والعلمانية والحصول فيه على المال أمر تبعية لتحقيق ذلك الغرض عند نزول الكارثة المؤمن عليها .

والنتيجة أن الاستدلال على منع التأمين بأنه من قبيل أكل المال بالباطل استدلال واه لا قيام له لأنه ينتهي في حقيقة إلى اتخاذ الدعوى دليلا عليها إذ أن موضع الخلاف في أمر التأمين أهو من أكل المال بالباطل أم لا .

ما فيه من الربا ومعنى الصرف : يقول بعض المانعين : إنه محرم لما فيه من الربا ومعنى الصرف أما أنه ربا فلأن الفائدة تعطى في بعض أنواعه وهي تلك الأنواع التي تتضمن التزام المؤمن بأن يدفع إلى المستامن ما قدمه إلى المؤمن من المال أقساطا مضافا إلى ذلك فائدة الربوية وذلك ما يقوم

وقال القرطبي في تفسيره جامع الأحكام من أخذ مال غيره لا على وجه إذن الشرع فقد أكله بالباطل ويدخل في ذلك القمار والحداد وجحد الحقوق وما لا تطيب به نفس ماله كهر البغى وحلوان السكاهن وأثمان الخور والخنازير . وفي تفسير المنار الباطل هو ما لم يكن في مقابلته شيء حقيقي .

ومن مجموع هذه الأقوال يرى أنها تنتهي جميعها إلى أن المراد بالباطل ما كان محظورا في دين الله ولن يتناول التأمين إلا إذ ثبت أنه محظور وذلك محل البحث والنظر لذن فليس يقوم بهذه الآية استدلال على منع التأمين وبخاصة إذا توسعنا في معنى التجارة وقلنا إنها تدل على مطلق المعاوضة بين الأموال فقد جاء في تقرير القرطبي : أعلم إن كل معاوضة تجارة على أي وجه كان العوض^(١) وهي ذلك نتناول التأمين لما فيه ، من المعاوضة ولكن نتناول اسم التجارة لهذا النوع من المعاملة بعيد لأن التجارة لا تدل إلا على تبادل بين الأموال بقصد الربح والاستثمار إما مجرد المعاوضة بدون هذا القصد فلا يعد من قبيل التجارة كضراء منزل للسكنى ،

عليه التأمين على الحياة . وما يشبهه كالتأمين ضد العجز مثلاً . ويقول صاحب هذا الرأي أيضاً : إن فيه ربا من جهة أخرى وهو أن المستأمن يعطى القليل من النقود ويأخذ الكثير .

وأما أنه عقد صرف فلأنه يتضمن التزام المستأمن بإعطاء نقود في سبيل حصوله على نقود في المستقبل والربا حرام وعقد الصرف الحالى من التقابض في المجلس عقد فاسد فيه شبهة الربا فهو أيضا محظور لذلك وعليه يكون التأمين محظورا لذلك ، ذلك قولهم .

والنظر الصحيح في عقد التأمين ومعناه وأساسه وأثره يستوجب رد هذا القول وبطلانه فهو من ناحية الربا يرى أن عقد التأمين بعيد عن الربا وعن معناه بعيد عن شبهته . ذلك أن الربا إنما يتحقق في معاوضة مال بمال إذا تضمنت فضل مال لا يقابله عوض . وهذا ما يعرف بربا الفضل ، وإنما يكون ذلك عند اتحاد جنس البديلين في المعاوضة إذا كانا من الأموال الربوية التي جاء بها حديث الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعر بالشعر والقر بالقر والمكح بالمكح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد . رواه مسلم ، ذلك لأنه عند اختلاف الجنس لا يتصور تفاضل حتى يكون هناك فضل من مال لا يقابل بمال ، أما وبا النسيئة أو النساء فقد يكون معه هذا . وهو يتضمن فضل مال في مقابلة الأجل أى تأخير الوفاء وذلك ما كان معروفا في الجاهلية فقد كان الهائن يقول لمدينه : أوف دينك أو أرب وقد لا يتضمن فضلا وإنما يتحقق بتأخير قبض البديل وذلك لا يكون إلا في الأصناف الستة التي تضمنها الحديث السابق الذكر بشرط ألا يكون أحد البديلين فضة ولا ذهباً ، فإن كان أحد

البديلين منهما أو كان من غير هذه الأصناف الستة فلا يتحقق ربا النسيئة بتأخير قبض أحد البديلين وذلك على خلاف بين الفقهاء فيما ألحق بهذه الأصناف الستة من الأصناف الأخرى وليس المحل محل بيانها وأما الصرف فهو مبادلة لذهب بجنسه أو الفضة بجنسها أو أحدهما بالآخر ويشترط لصحته التقابض بين البديلين في المجلس وإلا كان عقداً فاسداً محظوراً .

وعقد التأمين إن كان مع جمعية تعاونية فهو خال من المعاوضة كما تقدم بيان ذلك وعلى ذلك لا يتحقق فيه صرف ولا ربا وإن كان مع شركة من شركات التأمين فهو أيضا خال من الربا والصرف ذلك لأن المعاوضة فيه معاوضة بين نقود تدفع أقساط للتأمين ومنفعة هي تحمله تبعة السكارة وضمانه رفع أضرارها وتخفيف ويلاتها وعلى ذلك يرى أن أحد البديلين منفعة وهي ليست من الأصناف الستة ولا بما ألحق بها ، وإذن فلا يتحقق معها ربا النساء وكذلك لا يتحقق معها ربا الفضل لاختلاف جنس البديلين كما لا يتحقق كذلك معنى الصرف فيه لأنه لا يكون إلا في مبادلة الذهب بالذهب أو الفضة بالفضة أو أحدهما بالآخر وما قد يدفعه المؤمن للمستأمن من مال ليس بدلا عن الأقساط بدليل أنه لا يدفع في أكثر أحوال التأمين ولا يدفع إلا حيث يقع الخطر وذلك نادر الحصول بالنسبة إلى الأحوال الأخرى ولو كان بدلا لدفع في جميع الأحوال وإذا دفع فإيما يدفع نتيجة لضمان وتحمل التبعة وحينئذ يتقدر بقدر ما يدفع به الضرر ولا يزيد عليه إذ لا يراه بعقد التأمين بالنسبة إلى المستأمنين جميعا ربح ولا تنمية مال ولا مرادبه إلا حياطة أموالهم والحفاظ عليها دون الزيادة فيها ذلك هو أساس التأمين وما أبعد ذلك عن الربا وعن الصرف .

ثانيهما الادخار للمستأمن إن لم يقع الخطر المؤمن عليه فبقي المستأمن حيا لم يفتأ الموت في المدة - ولتحقيقه يعمد المؤمن عند هذا التعاقد إلى أن يراعى في قسط التأمين أن يكون مكرونا من جزئين جزء يراعى في تقديره تغطية الضرر المادى الذى يقع في المدة سواء أكان وقوعه بالمستأمن أو بالورثة عند وفاته والكلام في هذا هو ما سبق أن أشرنا إليه بالذبة إلى أنواع التأمين الأخرى بما سنغنى ببيان حكمه فيما بأتى - والجزء الثانى إنما يعطى ليدخر طيلة مدة العقد لكي يسلم إلى استأمن في آخرها إذا كان على قيد الحياة .

ويلاحظ أن المؤمن في موقفه أمام هذا الجزء الأخير المخصص الادخار بين أمرين : إما أن يجعله ودعة لديه لا يسرها طيلة المدة ليقيم بتسليمها إلى صاحبها في نهايتها دون نقص أو زيادة فيها ، وعند ذلك لا يكون على هذا الرأى اعتراض من الناحية الشرعية وإن كان محل اعتراض من الناحية الاقتصادية لأنه اكتناز دون استئجار ، وإما أن يعمل فيه فيستثمره ، وهذا يجب أن يكون ربحه بين المؤمن لقاء عمله والمستأمن ثمرة لماله على حسب ما يقضى به الاتفاق هاتان حالتان : ففي الحالة الأولى منهما : إذا ما كان التأمين على حياة رجل في الأربعين من عمره لمدة ٢٠ سنة وكان مبلغ التأمين ١٠٠٠ ج ، فإن القواعد والقوانين التى يقوم عليها التأمين تقضى بأن يكون قسط التأمين ٦٥ ج سنوياً - من ذلك ٥٠ ج تدخر للمستأمن ليصير له في نهاية المدة ٢٠ × ٥٠ أى ١٠٠٠ ج وهو مبلغ التأمين المتفق على دفعه في نهاية المدة دون زيادة ولا شيء - وبالقاب ١٥ ج نظير تحمل المؤمن تبعه ما ينزل بالمستأمن من خطر وقد قدر طبقاً لما تقضى به قواعد التأمين وقوانين الإحصاء على الوضع

بقيت بعد ذلك حالة أراها في حاجة إلى البيان إذ أنها أهم ما يتمسك به المانعون للتأمين في هذا الوضع وهى حالة التأمين على الحياة وما يشبهها من الحالات ففهما محدد للتأمين مدة إذا وقعت الكارثة فيها قام المؤمن بدفع مبلغ التأمين للمستأمن إن بقي حيا كما إذا كان التأمين ضد العجز أو الشيخوخة ويدفعه لورثته إذا كان التأمين على الحياة وإذا لم تقع الكارثة قام المؤمن بدفع مبلغ التأمين إلى المستأمن ويتول المانعون : إذا كان المبلغ الذى يقوم المؤمن بدفعه عند وقوع الكارثة قد دفع نتيجة لتحمل تبعه هذه الكارثة وضمان رفع ضررها وشأنه شأن ما يقوم المؤمن بدفعه في التأمين على الأشياء في الحالات الأخرى فإن المبلغ الذى يقوم المؤمن بدفعه إلى المستأمن في نهاية المدة إذا لم يقع فيها الحادث ليس إلا هو جملة ما قدمه المستأمن من الأقساط إلى المؤمن فيها مضافا إليها فائدة ربوية عن مدة التأمين وذلك ما يصور ربا النساء في إحدى حاله أو يصور على الأقل قرضا جر نفعا وكلاهما حرام - ثم كيف يقدر تعويض الضرر في هذه الحالة قبل وقوعه بتحديد مبلغ معين يجب دفعه للورثة عند الموت أو للمستأمن عند إصابته وعلى أى أساس يحل أخذ هذا المبلغ وقد لا يحدث ضرر ذو قيمة .

ذلك أهم ما يستدل به المانعون للتأمين على الحياة وما يشبهه وهو استدلال لا يقرم على أساس سليم ولا على فهم صحيح لهذا النوع من التأمين - ذلك لأن هذا النوع من التعاقد يقوم على أمرين : أحدهما دفع الضرر إن وقع الخطر المؤمن عليه وهذه عملية التأمين وهى لا تفرق في الحكم والتأسيس والتسكين عن غيرها من حالات التأمين على الأشياء

رأس مال ضخم يمكن استخدامه في صالح الدولة بإفشاء المؤسسات وإقامة المساكن والمصانع وإنعاش التجارة وتنميتها ونحو ذلك مما يزيد في الثروة القومية وينمى ويرفع من مكانتها وقوتها الاقتصادية. وبناء على ذلك، فإذا فرضنا أن ذلك العمل لا يسير القواعد الشرعية أو لاحظنا فيه ريبة يجب أن تتق، فإن ذلك لا يحس التأمين في ذاته ولا ينال من وضعه لأنه ليس منه وأيس إلا حملا أضيف إليه وقرن به بناء على رغبة فيه نفسه لا بناء على أنه عنصر من عناصر التأمين.

على أن هذا العمل في ذاته قد يجد له في الشريعة الإسلامية مسوغا وأساسا، فليس الأمر فيه إلا أن - المستأمن قد دفع بعض ماله إلى المؤمن ليستثمره له على أن يكون ربحه مشتركا بينهما، وذلك ما يعرف في الشريعة الإسلامية بالمضاربة أو الإقراض وهو عقد على الشركة في ربح مال يكون من أحد طرفيه والعمل فيه من الطرف الآخر، فالمال المستأمن والعمل على المؤمن، وعلى ذلك يكون عقد التأمين على الحياة مسكوناً من عقدين: عقد تأمين وعقد مضاربة، وهذا المضاربة عقد جائز بإجماع المسلمين وفي جوازه وردت الآثار وكل ما يلاحظ عليه أمران: أحدهما: أن عقد المضاربة يفسده تحديد الربح إذ اشترط في صحته أن يكون الربح فيه مشتركا بين رب المال والمضارب وتحديد الربح قد يؤدي إلى قطع هذه الشركة إذا لم يربح رأس المال إلا القدر المحدد أو دونه بل إن ذلك يتنافى مع أمر محتمل هو الخسارة التي يجب أن تحق من رأس المال دون أن يصيب المضارب منها شيء. - والربح في حالتنا هذه محددة - وذلك ما يقضى بفساد هذا العقد وحظره إذ قد يؤدي إلى ظلم المؤمن بأخذه ماله

الذي أشرنا إليه فيما مضى. وتقدير الضرر الذي سيصيب ورثة المستأمن في هذه الحال بألف جنيهه إنما هو باتفاق بين المؤمن والمستأمن ادخاراً يعطى مثله لورثته تعويضاً يجوز لهم أخذه بناء على التزام من المستأمنين جميعاً بواسطة الهيئة المؤمنة التي تمثلهم والتي أعطيت هذه الولاية في أموالهم التي هي حصيلة الأقساط المدفوعة منهم بل إنه ليس كفى في تأسيس هذا الجواز ما ذهب إليه بعض المالكية من وجوب الوفاء بالوعد وبخاصة إذا كان على سبب كما سيأتي وقد التزم المؤمن بدفع هذا المبلغ فكان التزامه أقوى من التزام الواعد وكان ذلك عن رضا لجاز المستأمن أو للورثة الأخذ لذلك.

وفي الحالة الثانية: حال الاستئجار يرى أن ما يخص المستأمن من ربح هذه العملية حسب الإحصاء والقواعد والسوابق التي وصل إليها المؤمن بتجاربه واستقرائه وبحجته والتي يتخذها أساساً لعمله وتقدير ما هو مقبل عليه يساوى مبلغ ١٥ ج سنوياً أو يقارب ذلك زيادة أو نقصاً، وأمام ذلك فإن المؤمن يكتفي منه بأداء ٥٠ ج فقط لتسكون هي القسط السنوي إذ يرى عبثاً أن يطالبه بأداء ٦٥ ج ليرد إليه منها ١٥ ج مقدار الربح، والمستأمن الخيار والمفاضلة بين هذين الحالين، ولا عليه أمام المؤمن أن يختار إحداهما وإن كان المؤمن سوف لا يرى أن يرغب عن الاستئجار إلى مجرد الحفظ والادخار لما في ذلك من الفائدة له والمصلحة المتصلة بالنفع العام والاقتصاد القوي فيكون ربح المبلغ له جميعه. ومن هذا يبين أن قيام المؤمن بتلك العملية الخاصة بالادخار خارج عن عملية التأمين ولا تعد هذه العملية من عناصرها وإنما اتخذت وسيلة للترغيب فيه والإقبال عليه والوصول إلى جميع

للمستأمنين إلا مقدار يبقى معه للعلماء وللإدارة وللاحتياط ما فيه الكفاية ، وعلى ذلك يرى أن الاشتراك في الربح مكفول مع وجود هذا الشرط وعندئذ لا يوضع في محل التقدير والاعتبار احتمال وجود حالات يكون التحديد فيها حائلا دون الاشتراك في الربح أو وجود حالة تتحقق فيها الحسارة فسوف لا يكون لهذه الحالات في الواقع وجود وعندئذ يكون النص في العقد على تحديد الربح للمستأمن وعدم النص عليه سواء والمعروف أن هذا الشرط وإن لم نعلم فيه خلافا إلا أن أساسه الاجتهاد والاستنباط وما كان محل اجتهاد يجوز أن يتغير الاجتهاد فيه باجتماع آخر بناء على تغير وضعه وتطوره وطروء داعية إليه تمثلت في مصلحة اجتماعية حدثت .

على أنه إذا كان الفرض من خطر التحديد في ربح رب المال أن تتم الشركة في الربح فإن ذلك يتحقق بأن يجعل العقد الذي تضمن تحديداً في حصة الربح التي تستحق عقداً موقوفاً للحكم فيه أو عليه إلى ظهور مقدار الربح وقت قسمته بين المضارب ورب المال ، فإذا ظهر أن مقدار الربح يحقق الشركة فيه بينهما على الرغم من التحديد تبين أن العقد صحيح وإلا كان فاسداً . ومن النادر حدوثاً أن يظهر الربح بمقدار لا تتحقق معه الشركة بل يكاد أن يكون الأمر المقطوع بحدوثه هو تحقق الشركة عند القسمة بسبب وفرة الربح ، والأحكام لا يراها في إلا كثرة الوقوع .

على التخصيص

وإحباط عمله إذا لم يكن من وراء العمل ربح ويرد ذلك أن اشتراط هذا الشرط لم يكن إلا لضمان تحقيق الشركة في الربح لا لشيء آخر سواء ، فإذا كان ذلك الاشتراك مكفولاً ومضموناً من طريق أن ربح العمل في هذا المال يزيد دائماً عما اشترط لصاحبه منه بناء على السوابق والتجارب العديدة التي لم يتخلف فيها ذلك وبناء على أن ما يشترط لصاحب المال من الربح قد روعي في تقديره أن يكون أقل مما يأتي به العمل في المال من ربح - إذا كان الاشتراك مكفولاً بهذا الطريق لم يكن لهذا الشرط أهميته ولا أثره في العقد ما دامت عاقبة اشتراطه مكفولة وهو الاشتراك في الربح والذي يلاحظ هو أن احتمال هدم الاشتراك في الربح عند تحديد حصة منه لصاحب رأس المال إنما يمكن أن يكون له هذا الاعتبار في عقد مضاربة فردي بين شخصين حيث يكون احتمال الحسارة أو نقص الربح فيه من المشتراط منه لصاحب المال احتمالاً له من القوة ما يدهو أن يجعل في محل الاعتبار والتقدير وذلك بناء على ما تدل عليه السوابق على قلتها .

أما إذا كانت المضاربة في رؤوس أموال كثيرة العدد تعدد بعدد المستأمنين ويكون منها حصة ضخمة يقوم استخداها واستغلالها على العمل في أنواع متعددة مختلفة من المشروعات والأعمال التجارية والصناعية والإنشائية فإن ربحها في مثل هذه الحالة - ومنها حالتنا - ربح محقق معروف المقدار على وجه التقريب بناء على السوابق والتجارب كما قدمنا وإذا عرف مقداره على هذا الوضع فلا يجدد منه

التعليم الإسلامى فى إفريقيا

دور النشأة والازدهار

عصر الطرق الصوفية

للأستاذ محمد جمال عباس

فى التعليم الإسلامى ، فلم يبق سوى بعض من أئمة المساجد والألقاعات (معلى الصنية) فى الكتاتيب حفظوا التعليم الإسلامى ، ولكن بالقدر الذى يعرف بالمبادئ الأساسية ، والقواعد الإسلامية فى صورتها المبسطة للغاية ، وكان من آثار الغزو المغربى أيضاً أن توقفت تقدم الإسلام فضلاً عن تدهوره عند المسلمين أنفسهم بسبب كساد الحركة العلمية فأخذت بعض المعتقدات الدينية القديمة تعود إلى حياة حديث العهد بالإسلام وعاد السحر والشعوذة إلى الانتشار بين القبائل ، بل وعاد الكثير من معتقدات تلك القبائل التى كانت تدعى بها قبل الإسلام يظهر إلى الوجود وتشتوب الإسلام بوثنية وخرافات روحية أثرت على صفاته .

وفى الوقت الذى أصاب الحياة الإسلامية فى غرب إفريقيا تدهور ذاتى على هذا النحو كان هناك عامل خارجى يهدد الكيان الإسلامى فى شرق إفريقيا ممثلاً فى الحروب العالمية التى شنها البرتغاليون على سلطنات المدن الإسلامية فى ساحل المحيط الهندى للقضاء على نفوذها وإحلال الاستعمار البرتغالى محل هذه السلطنات الإسلامية ، وكان طبعياً أن يضعف التعليم الإسلامى لانصراف السلاطين والشعوب إلى مواجهة الحروب الصليبية البرتغالية .

تحدثنا فى المقال السابق عن نشأة التعليم الإسلامى فى إفريقية وتطوره ثم ازدهاره فى ظل الممالك الإسلامية الكبرى فى الغرب ، وأوضحنا كيف أن عصر ملوك الصنهاى كان من العصور الذهبية للتعليم ، اتصلت خلاله إفريقية القربية بمراكز الثقافة فى مصر والمغرب ، وعاصره عهد تكوين سلطنات شرق إفريقية التى ازدهرت فى صهدها الإسلام ، وزادت خلالها الصلات الثقافية مع مصر والحجاز .

فترة من التدهور :

انتهت مملكة الصنهاى فى غرب إفريقية بالغزو المغربى الذى قضى على عصر الازدهار العلمى والثقافى الذى عاشته مدن النيجر ، إذ أن السلطان المنصور محمد ملك المغرب حينما أرسل قواده لغزو البلاد أمرهم بأن يأسروا العلماء والمفقهاء ويحملونهم إلى بلاطه لإحياء العلوم والفقه فى مدن المغرب الرئيسية : الرباط وفاس ، وقد نفذ قائده دابن زرقون ، هذا الأمر فحمل إلى المغرب عدداً كبيراً من فقهاء وعلماء تمبكتو ، وجاء ، وجنى ، ومن بينهم الفقيه المؤرخ المالكي أحمد بابا التبكتي .

ولقد أدى الغزو المغربى إلى بداية عصر من الفوضى فى غرب إفريقية صحبه كساد وتدهور

ظهور الطرق الصوفية في إفريقية :

في تلك الظروف القاسية التي مرت بالمسلمين في غرب إفريقية وشرقها لم تنقطع صلتهن بمراكز الثقافة في العالم العربي والإسلامي سواء في آسيا حيث البقاع المقدسة في الحجاز أو بإفريقية الشمالية حيث الجامع الأزهر بمصر ومدارس الزيتونة في تونس والقرويين في المغرب الأقصى وكان الحج عاملا هاما من عوامل حفظ الصلة بين الشعوب الإسلامية في إفريقية وبين مراكز العلم والثقافة العربية الإسلامية ، كما كان استودار العلاقات التجارية عبر الصحراء الكبرى وبين شواطئ المحيط الهندي من عوامل الإبقاء على تلك الصلة بمراكز العلم والثقافة دون انقطاع .

ولقد وفدت إلى إفريقية في تلك الظروف العارق الصوفية العديدة التي وجد فيها المسلمون وسيلة للتجاءم بتأشب إسلامهم من بدع جاهلية وخرافات وثنية ، واندفعوا في الاستجابة لدعوة أهل العارق الصوفية وخلفائهم ومقدمهم ، وتجمعوا حول الروايات التي أنشأها رجال الطرق الصوفية .

وكانت القادرية هي أول الطرق الصوفية التي وفدت إلى إفريقية ، وهي الطريقة التي أسسها عبد القادر الجيلاني في العراق خلال القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري) وانتقلت إلى المغرب ثم اتخذت لها مركزاً في مدينة (والاه) بالصحراء الكبرى وانتقلت منها إلى تمبكتو في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي (التاسع الهجري) على يد سيدي أحمد البكاكي المكنوني والذي استمر خلفاؤه من المكنونيين يرعون الطريق في غرب إفريقية حتى انتقلت خلافته إلى أسرة صنهاجية على يد الشيخ محمد فاضل في أواسط القرن

الثامن عشر الميلادي ، وأخذت منذ ذلك الوقت تنتشر في جميع أنحاء غرب إفريقية .

وفي القرن الثامن عشر الميلادي (الحادي عشر الهجري) أسس أحمد بن محمد التيجاني طريقته الجديدة بعد أن تلقى الطريق على الشيخ الكردي في العراق ، ثم تابع دواسته ونشر طريقته في مصر واستقر به المقام في المغرب حيث نشر طريقته التيجانية بين أهل المغرب ، وانتشرت على يد أتباعه عبر الصحراء إلى موريتانيا ثم إلى بلاد غرب إفريقية الأخرى ابتداء من سنة ١٨١٥ (١٢٠٨ هـ) بعد وفاة سيدي أحمد بن محمد التيجاني الكبير وتولى الشيخ محمد الحافظ الكبير قطب الطريق من بعده ، فانشأ الزوايا في تمبكتو وسيجو وجبال فوتا السنغالية وفي برنو واداي وتشاد ، وقام المقدمون في هذه الزوايا بمهمة تجميع المريدين وأتباع الطريقة التيجانية ، كما أخذوا يجذبون بعض أبناء القبائل التي لم تدخل الإسلام بعد .

وفي أواخر القرن الثامن عشر وخلال القرن التاسع عشر بدأت حركات الانسلاخ من الطريقتين الرئيسيتين في غرب إفريقية ، فانسلخ من الطريقة القادرية طريقة جديدة سميت المريدية التي أسسها الشيخ سيديا وخلفه أحمد ميمبا الذي ابتدع في الحياة الصوفية بدعة جديدة مؤداها أن الشيخ يصل بالنياحة عن المريد الذي يشغل في الأرض التي يملكها الشيخ ، وبرر هذه البدعة بأن العمل في الأرض ملك لله وحده ، كما ظهرت طريقة جديدة سميت الليانية إلى شيخ بدهي دليالاي ، وقد ادعى شيخ الليانية هذا أن النبي تجلى له في مقامه وكلفه ببعض التكاليف وألقى عليه بعض القراءات والأوراد

الوقت ظهرت في السودان طريقة جديدة هي الميرغنية التي أسسها السيد محمد عثمان الميرغني بعد أن تلقى تعليمه على يد شيخ الأدرسية في دنقلة ثم انتشرت على يديه في السودان وبخاصة في شرقه .
الصحة الدينية والتعليمية :

وعلى يد رجال الطرق الصوفية عاد للتعليم الإسلامى نشاطه في الزوايا التي جلس فيها المتقدمون والخلفاء يحج إليهم الطلاب والمريدون لدراسة القرآن وتعاليم الإسلام ولأخذ العهد على يد الخليفة أو المقدم ، وكان لزاما على كل مسلم أن يأخذ له طريقا في هياته يهديه ويبعده عن البدع والخرافات وبالتالي أصبح لزاما على الخلفاء والمقدمين الذين يجلسون في الزوايا لنشر الطريق بين المسلمين أن يلوا ببعض علوم الدين كالتفسير والحديث والفقه والشريعة إلى جانب إمامهم بالسيره وسلسلة الأوراد والأذكار التي يلقونها للطلاب والمريدون وبدأت لتحقيق هذه الأغراض فترة من الصحة الدينية والنهضة التعليمية التي سميتها والتي سارت في ثلاثة اتجاهات رئيسية هي :

١ - تعليم قواعد الإسلام لأبناء القبائل التي دخلت الإسلام حديثا .

٢ - نشر الطرق بين المسلمين .

٣ - تعليم خاص لبدعدين والخلفاء لتأهيلهم لتعليم الغير وقيادة الذكر وإعطاء العهد وتولى سائر الأمور الدينية في زواياهم من فتوى وهداية ووعظ وإرشاد .

وكان إعطاء الطريق في أنحاء إفريقية يمر بمراحل متعددة تبدأ بالتعليم ثم بالاشتراك في الأذكار حتى أخذ العهد ، فقد كان المقدمون والخلفاء مضطرون بإزاء الجهل المنتفش بين المسلمين في تلك العهود أن

لينقلها إلى شعب (ليبو وهو) شعب من الصيادين يعيش على شاطئ المحيط الأطلسي في السنغال .

ومن التيجانية أنسلخت الطريقة المالكية التي أسسها الحاج مالك سى المتوفى سنة ١٩٢٩ وابتدع فيها بعض البدع مثل إسقاط بعض الفرائض عن الاتباع وأن الحج إلى مكره أثناء حياته أو إلى قبره بعد وفاته سبع مرات يغني عن الحج إلى بيت الله الحرام ويشفع للإنسان هندبه في كل الذنوب . أما في شرق إفريقيا فقد كانت أول طريقة صوفية عرفت هناك هي القادرية ، حيث انتشرت بين أهل مصوع وأريتريا في القرن السادس عشر الميلادي (العاشر الهجري) ، كما عرفها أهل (هرر) في القرن الخامس عشر (التاسع الهجري) على يد الشريف أبو بكر بن عبد الله العيدروس ، ثم ذاع صيتها وانتشرت هناك على يد الأمير الهروي عبد الشكور المتوفى سنة ١٧٩٤م (١١٩٩هـ) .

وفي الصومال انتشرت الطريقة الأحمدية التي أسسها السيد أحمد بن إدريس القاسمي (١٧٦٠م - ١٨٣٨م أو ١١٤١ - ١٢٣١هـ) وكان انتشارها هناك على يد حاي ديوروجيا الذي تلقى الطريقة في مكة أثناء حجة سنة ١٨٧٠م (١٢٦٤هـ) وفي نفس الوقت انتشرت الطريقة الرشيدية الأحمدية ، والصالحية والناصرية وجميعها سواها الشاذلية والخلوتية وأصبحت تنافس القادرية في الحبشة وهرر .

وفي السودان وادي النيل ظهرت السمانية التي تعتبر فرغ الخلوتية في إفريقيا الشرقية وقد أسسها الشيخ محمد بن عبد الكريم السمانى ثم نشرها في السودان الشيخ أحمد الطيب بن البشير تلميذ الشيخ السمانى الكبير ، وهي الطريقة التي تلقاها محمد أحمد المهدي قبل أن يقوم بثورته المشهورة ، وفي نفس

يعمل مقدما أو خليفة للقطب في الجهة التي يبعثه إليها لنشر الطريق بين أهلها .

الصوفية وضرورات التعليم العام :

ونظراً لارتباط التعليم في هذه المرحلة بالحياة الصوفية فقد كانت له طبيعة خاصة ميزته عن التعليم في الفترات السابقة ولكنه اختلف أيضاً عن التعليم الصوفي في جهات أخرى من العالم الإسلامي نظراً لاختلاف ظروف إفريقية وتميزها عن تلك الجهات .

فقد كان التعليم الصوفي في جهات العالم الإسلامي - غير الصحراء الإفريقية وما وراءها - فعلياً يتلقاه الخاصة فقط لأنه تعليم روحي لا يقوى عليه ولا يرقى إلى مستواه إلا من بلغ شأواً خاصاً من العلوم والأخلاق ، ولما تطورت وشاهت الطرق الصوفية كان نقلاً الأفكار وتعميقها بالأوراد ولم يتعد ذلك إلى التعليم الديني العام ، أما في صحراء إفريقية وما وراءها من بلاد السودان الغربي وسودان وادي النيل والحبشة والصومال وساحل المحيط الهندي فقد وجد رجال الطرق الصوفية أنفسهم أمام أمة من العوام إن جاز أن نطلق هذا اللفظ على الجهلاء بالدين واللغة العربية من عرفوا الإسلام بالاسم فقط ولم يعرفوا عن قواعده إلا التزذذ المسير فسمح ذلك بتفشي البدع والخرافات كما سبق أن ذكرنا ، ووجدوا أنفسهم أيضاً أمام شعوب وقبائل لم تدخل الإسلام ولم تهتد بنوره ، تعيش في فراغ روحي واعتقادي تتعاطش إلى دين يهديها وعقيدة تجمعها فكان لوأما عليهم أمام ذلك كله أن يسكون محلهم على مستوى الأمة جمعاء ولا يقتصر على خاصة من الأمة ، ومن ثم تعدى نشاط الصوفية في إفريقية

يبدؤوا بتعليم طلابهم أو مريديهم مبادئ اللغة العربية لتمكينهم من قراءة القرآن وحفظه وتفهم قواعده الإسلام والحديث والسيرة ، فإذا ما تلقى المسلم قدراً من الدروس فإنه يشترك في حلقات الذكر ليحفظ الأذكار العنسية والأوراد الرئيسية أو يتمكن من قراءتها قراءة جيدة ، وكان المسلمون الذين ينضمون إلى الزوايا يلقبون في غرب إفريقية بلقب طالبي (تحريف لكلمة طالب) أو مرید أو تلميذ ، وفي شرق إفريقية كانوا يعرفون باسم الدراويش أو الفقراء فإذا ما أخذوا الطريق سمو بأهل الطريق أو الأشهاد أو الخوان (تحريف لكلمة إخوان) .

وكان طلاب الطريق أو المريدون يبدؤون أحياناً بحضور الدروس قبيل صلاة العشاء ويسمح لهم بحضور أذكار الليل بعدها ، فإذا ما وازب الطالب على حضور حلقات الذكر بعد أن يثبت قدرته على القراءة والكتابة ومعرفة بالقرآن والحديث وقواعد الإسلام فإن شيخه أو ذلك الخليفة أو المقدم يلقنه الأذكار الخاصة التي تسمى (الوظيفة) وهي الأذكار والقراءات اليومية التي يسير عليها في صلواته والورد اليومي من صلوات على النبي وركعات خاصة إلى غير ذلك .

هذا بالنسبة لأهل الطريق الذين يأخذون العهد أما بالنسبة للقدمين والخلفاء فقد كان تخريجهم يتم على يد شيخ الطريقة نفسه أو القطب الأكبر أو القطب الرباني ، كما يسمى همد البعض ، وكان مقر الشيخ أو القطب الرباني مركزاً يؤمه الراغبون في الحصول على الإجازة من حصل على العهد من أبناء الأمة ، وكانت هذه الإجازة تسمح لحاملها أن

للمفتوى والتشريع وتعتمد بها جلسات القضاء المحلى وبالإضافة إلى ذلك كانت فى وقت الاستعداد للحروب مراكز للتعبئة ومعسكرات للتدريب .

التعليم الصوفى ومراحله :

أما عن التعليم الصوفى الحقيقى فقد كان يتم على مستويين :

الأول : نشر الطريق بين الاتباع والمريدين أو التلاميذ والطلاب والدراویش بإشرافهم فى حلقات الذكر وتحفيظهم الآوراد وتدريبهم الوصية ثم يأخذون العهد ليصبحوا من أهل الطريق أو (الخوان) أو الأشهاد وكان هذا الجانب من التعليم يتم على يد الخلفاء ، والمقدمين الذين يعتبرون مندوبى الشيخ الأكبر أو القطب الربانى فى المناطق التى توجد بها زواياهم .

والثانى : إعداد المقدمين والخلفاء الذين يتولون قيادة الأذكار وإعطاء العهد نيابة عن القطب وقد كان لإعدادهم يتم على يد القطب أو الشيخ نفسه .

وكان شرط قبول المريد أو الطالب أن يكون عارفا بقواعد الإسلام حافظا لبعض القرآن قادرا على الحفظ أو القراءة فى المصحف أو الألواح ، أما إعداد المقدمين والخلفاء فقد كان يتم على مراحل طويلة وغير يسيرة ، مليئة بالدراسات والتعليم ، يخضع فيها طالب الإجازة لاختبارات عديدة ، وكانت كلها تتم فى مركز القطب الربانى وشيخ الطريق الأكبر وهى يديه وكانت هذه الدراسة تمر بمراحل ثلاث هى :

١ - تلقى ما يسمى ذكر الجلالة وذكر السر فى مجالس الشيخ الخاصة والتى إذا ما أتمتها وثبتت للشيخ اتباعها واتباع أخلاق خاصة وإثبات قدرته على مجاهدات مختلفة لنفسه بتوجيه من الشيخ فإنه

نقل الأفكار وسلسلة الورد إلى لون من التعليم الأساسى تتم على يد المقدمين والخلفاء لتأهيل المريدين إلى تلقى الورد والمفاوكة فى الذكر ببعض من معرفة العربية قراءة وكتابة وبعض من القرآن يحفظ ومن الحديث يفهم ومن السهرة تعرف .

وكان لزاما على مشايخ الصوفية أن ينشروا الإسلام بين القبائل التى مازالت تعيش على دياناتها القبلية فى عصر من الجاهلية . فيرسلون لإيهم الدعاة والمبشرين ثم يقودون الجيوش لإيهم للحرب إذا لم يسدوا أو يسلبوا ، وتبع ذلك أن مشايخ الصوفية الذين تصدوا للدعوة بين غير المسلمين أصبحوا مضطرين إلى تكوين الجيوش وإعداد المعسكرات فى معسكرات خاصة أو زوايا ، وبذلك أصبح تعليم الرماية والمبارزة وركوب الخيل من المهام التعليمية لبعض الصوفية ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها ما كان فى القرن الثامن عشر ، ومنها ما كان فى القرن التاسع عشر مثل عثمان دن فديو فى نيجيريا والحاج عمر القونى فى السنغال ومالى ، ومحمد أحمد المهدي فى السودان والسوسى فى ليبيا ومحمد بن عبد الله حسن فى الصومال ، فقد ارتبط بحركات كل هؤلاء - وقد كانوا أساسا دعاة طريق - استعداد وتدريب للشباب المؤمن من الطلاب والمريدين أو الدراویش للاشتراك فى الأعمال العسكرية .

من هذا يتضح أن التعليم الذى قام به الصوفية فى إفريقيا لم يكن قاصرا على الذكر وتلقين الآوراد وإعطاء العهود والإجازات فحسب بل كان يسبق ذلك فترة من التعليم والتربية وأصبحت الزوايا التى يجلس فيها الخلفاء والمقدمون إلى جانب كونها مركزا للذكر والصلاة تعتبر أيضا مقرا للدراسة وكانت فضلا عن ذلك مراكز إجتماعية ومصدرا

الطبول ودق الدفوف التي جمعت حولهم الإفريقيين وجذبهم إلى الإسلام ، وتختلف عما ورد في كتب المستشرقين عنهم من أنهم أهل سحر وشعوذة وبدع ، وهو ما نقله كثير من كتاب التاريخ عندنا .

وإن كنا لا نبرئ الصوفية براءة كاملة من مثل هذه البدع والخرافات التي شابت نشاطهم بحكم روحانياتهم التي يمتدنون فيها إلا أننا أيضا لا ننكر أنضالهم في حفظ الإسلام ، ولا بسعنا إلا أن نسجل لهم في التاريخ إدراكهم الواهية التي جعلتهم يخرجون بنشاطهم إلى ميدان التعليم العام بين الأمة الإسلامية في إفريقية باعتبارهم أساسا من أسس تقوية إسلام العوام وتنقيته من الجاهلية القبلية ، ونشاطهم العسكري والتبشيري لنشر الإسلام بين من لم يدخل الإسلام من القبائل .

ولا ننسى أن نذكر أن من الصوفية الإفريقيين من تبهر في علوم الدين وخلف وراءه كتباً ومؤلفات فيه مثل كتاب التعاريف للشيخ سيدي المختار الكونتي التي شهدنا نسخها المخطوطة يتداولها أبناء مالي وغينيا حتى يومنا هذا ويتضمن مختصراً لعلوم الشريعة التي يجب أن يعرفها الصوفي والتي تعتبر ضرورة للصوفي ليتمكن من الانتقال إلى علوم الباطن وبجاهدة الروح ، وقد نشر الأزهر الشريف كتاباً آخر لعثمان دن نديو زعيم الصوفي النيجيري المحدد وعنوانه : (إحياء السنة وإخماد البدعة) يتضمن شرحاً لقواعد الإسلام وحرصاً للعادات المستقبحة والبدع الدخيلة على الإسلام في إفريقية وأوردها .

ظل التعليم الإسلامي في إفريقية من واجبات الصوفية خلال ثلاثة قرون تبدأ من القرن السابع عشر وتنتهي بدخول النفوذ الأوروبي في إفريقية والذي ينقل التعليم الإسلامي إلى مرحلة جديدة من الصراح ؟

محمد مهمل عباسي

يعطى العهد الخاص (البعد) أي ما يعسد العهد أو العهد المجدد ويسمح له على ذلك بمواصلة الدرس وتلقى علوم القطب .

٢ — تلقى علوم الظاهر التي تشتمل على علوم التفسير والفقه والحديث والشريعة والفتوى مع إتقانها ، ويقوم المدارس في هذه الفترة بالتقليد الحر أي القيام بمجاهدات للنفس والروح على طريقة الشيخ ولكن دون تكليف أو توجيه منه ، وتنتهي هذه المرحلة بأن يعطى القطب أو الشيخ الإجازة للطالب فيصبح مقدما أو خليفة ويسمح له بأن يعطى العهد نيابة عن الشيخ .

٣ — تلقى الأسرار ، وهذه لا يبلغها إلا بعض المتقدمين أو الخفاء الذين يختارهم القطب لملازمته ويسمون أهل الباطن ، فبهذه لم الشيخ فضلا عن التقليد والمعارف الظاهرة ، أو علوم الظاهر المعارف الصوفية الأخرى وهي العلم الذوقي الذي يوصل المقدم أو الخليفة إلى معرفة الله عن طريق الحب والفناء فيه ، وعلم التأويل الذي يختص به الصوفية وهو تأويل ما وراء المنصوص من تكاليف ومما لا تفسر ولكن يدركها أهل الباطن بذوقهم وروحهم لا بعقلهم فحسب كعلوم التفسير التي يختص بها أهل الظاهر . وبالإضافة إلى ذلك تدرس في هذه المرحلة أسرار الحروف واستخداماتها وينقل الشيخ إلى خاصة تلاميذه هؤلاء البركة التي تؤهل لخلافة القطب أو الشيخ عند انتقاله إلى ربه .

تكوين للصوفية في إفريقية :

هذه صورة سقناها لنشاط الصوفية في ميدان التعليم الإسلامي تكشف عن الخدمات التي أداها الإسلام في إفريقية بمختلف كثير اعماشاع في حديث الناس عنهم من أن نشاطهم اقتصر على الأذكار ، ما يصحبها من قرع

ما يقال عن الإسلام

مظاهر الحضارة الإسلامية

لأستاذ الدكتور أحمد زار الإيهواني

سيسجل له في التاريخ ، هو ترجمته للقرآن ، والتي يحذو فيها حذو المتمعنين بأصول الإسلام من القائلين بعدم جواز ترجمة القرآن . ولذلك قال عنه ترجمة معاني القرآن ، The Koran Interpreted ، في جزأين . وله في إعجاز القرآن وفي ترجمته رأى طريف جدير بالتنويه ، وهو أن إعجازه في موسيقيته ، ولذلك يجب عند نقله إلى لغة أخرى أن يتخذ نفس الهيئة الموسيقية . ومن هنا حاول أن يصوغ ترجمته في أوزان شعرية باللغة الإنجليزية . غير أنه لم يفهم الوثيقة باللغة العربية ، والأدب العربي ، والعالم الإسلام ، أدرك أن هذه المحاولة فاشلة ، فقال بترجمة المعاني ، لأن إعجاز القرآن في أصله العربي ، وكل ترجمة له باغة أجنبية ستظل بلا نزاع بعيدة عن الأصل ، وأدنى منه منزلة ، وغير معبرة عن الروح القرآني المؤثر في النفوس .

ولما كان لا حيلة للؤلؤف الأجنبي الذي يريد تعريف أهل بلاده بالإسلام إلا أن يكتب لهم مظاهر حضارة الإسلام بهذه اللغة الأجنبية ، فلا مناص من ترجمة القرآن ، والأحاديث ، والشعر العربي ، وغير ذلك من مظاهر الثقافة ، حتى يطلع عليها كل من يريد أن يأخذ فكرة عن الإسلام تاريخياً أو حديثاً . وهذا ما فعله الأستاذ أربري في هذا الكتاب ، بداه بمقدمة قصيرة ، ثم بالأدب العربي

التيار الحديث في دراسة الإسلام ، بل في دراسة أي دين من الأديان ، هو النظر إلى حضارة الأمم وصلة الدين بتلك الحضارة . وهذه الصلة لا تتبين لنا إلا في مظاهر الحضارة ، لأن هذه المظاهر هي الجانب الخارجي الملبوس الذي ينعكس عليه الدين من حيث إنه قوة باطنة روحية تدفع المرء إلى لون معين من السلوك . وبعض هذه المظاهر الخارجية : ثقافة ، أي أدب ، وفنون ، وعلوم ، على الجملة ثم الفكر وخواطر الوجدان والقلب ، وبعضها الآخر أمور مادية كالآزياء والملابس والأصنام والآنية والأبنية وغير ذلك .

وفي كتاب حديث جداً - صدر ١٩٦٤ - يقدم لنا الأستاذ أربري مظاهر من الحضارة الإسلامية ، وهذا هو عنوان الكتاب وليس الأستاذ أربري بجهولاً من قراء العربية ، والمشتغلين بالفلسفة والتصوف والأدب ، لأنه مستشرق معروف ، يجيد اللغة العربية قراءة وكتابة وحديثاً . لقيته بالقاهرة منذ بضعة عشرين عاماً في (دكان) أحد الوراقين ، وتحدثنا طويلاً ، فعرفته عن كسب أكثر من مجرد المعرفة عن طريق الكتب . وهو مؤلف غزير التأليف ، له دراسات مختلفة صدرت على التوالي منذ زمن طويل حتى الوقت الحاضر . ولكن يبدو أن المؤلف الذي يعتز به أكثر من غيره ، والذي

التفسيرات ظلت عاجزة عن التعليل الصحيح . فكان لابد من الرجوع إلى العامل المؤثر الفعال ، وهو الدين الجديد .

يقول المؤلف : « إن بلاغة القرآن المعجزة ، مع بساطة تعاليم الإسلام التي جاءت في الكتاب ، هي المفتاح لحل لغز أعظم مد في تاريخ الأديان . ذلك أن الإسلام جاء يدهو إلى حياة منظمة جادة ، حياة جماعة عاهدوا الله أن يحضنوا إرادته في كل أمر ، وأن يجاهدوا في حمل كافة البشر على الإقرار بقدرته وسلوكه . وقد قوى هزائمهم الترغيب في الجنة والترهيب من النار ، والعقيدة البسيطة المنطوية على أسرين هما : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . »

حقا مات محمد رسول الله ، ولكن رسالته بقيت ، حملها معهم المجاهدون إلى أطراف الأرض ، وكانوا جنذاً وفي الوقت نفسه مبشرين بدهوة الدين الجديد وبعد انتصار الإسلام في الدول التي كانت خاضعة للروم والفرس ، واحتناق أهلها من النصارى والبربان الإسلام ، وكانوا قد تعودوا على الجدل الديني في أصول العقائد عندما كانوا يعتنقون المسيحية أو الفلسفة اليونانية ، لم يبطل جدلهم بعد إسلامهم ، وبخاصة النظر في أمر الإنسان أمو حر في أفعاله أم مجبر . ومن هنا نشأت أعظم فتنة في الإسلام ، وهي القول بالقدر ، كما نفا القول بالتنزيه والقشيه من تأويل الصفات أو الغلو في إثباتها .

وقد بدأت الفلسفة اليونانية تقسرب إلى الفكر الإسلامى قبل العصر الأموى ، ضئيلة مما كان يمرره العرب من اتصالهم بالفرس أو الروم ، ولكن الاطلاع الوثيق على العلوم اليونانية وعلى الفلسفة

في الجاهلية ، ثم بالقرآن ، كلام الله ، ثم بالحديث الشريف ، ثم بالحكمة التي أخذها المسلمون من الشرق ، والعلوم التي نقلوها من الغرب ، ثم الحياة الناعمة الرغدة ، وبجاس الفقه والدين ، ونفعات الصوفية ، وأنغام من الشعر الإسلامى ، وتيارات الإيمان والشك ، والفن الفارسى ممثلاً في حافظ شيرازى ، ثم الحديث عن شاعرين معاصرين هما حافظ وشوقى ، وغائمة في ثورة الإسلام الحاضرة .

المنهج الذى اتبعه المؤلف هو اختيار بعض نصوص تمثل العصر الذى يتحدث عنه ، وترجمة هذه النصوص ، مع التمهيد لها بمقدمة قصيرة . ولا ريب أن المؤلف قد أدى إلى قراء الإنجليزية في العالم العربى خدمة جليلة حين قرب إليهم الحضارة الإسلامية ، في هذه اللوحة الفنية التي تمضى مع التساوى منذ الجاهلية إلى نزول الإسلام وانتشاره ، حتى نصل إلى العصر الحاضر . وكل ذلك دون تحيز لمحاولة غمز الإسلام ، أو هوى مع الإسلام . أكثر من ذلك يمكن القول إنه مال مع الإسلام بحكم تذوقه لأدبه ولغته وحضارته ، وطول صحبته لهذا الأدب .

يقول المؤلف في مقدمته : إن هناك كتباً كثيرة ألف في الغرب للتعريف بالإسلام ، ولكن غرضه في كتابه أن يعرض الإسلام من داخله بغير تأويل .

ثم يقول بعد قليل : إن الإسلام لم يكذب ينزل على محمد في قلب جزيرة العرب ، حتى بدأ يغزو العالم بسرعة سريعة أذهلت المفكرين المحللين للتاريخ . وقد حاول المؤرخون المحدثون تعليل هذه الانتصارات الواسعة والفتوحات العظيمة ، بردها إلى عوامل اقتصادية أو حربية ، أو سياسية ، ولكن كل تلك

قال المؤلف : إن انتصار التصوف وشعبيته ، أكثر من علم الكلام ، هو الذى يسر للإسلام أن يتغلب على كارثة الغزو المغولى . ذلك أن ممارسة حياة العزلة والتأمل والأمل فى الوصول إلى الله وتجربة محبته ، أمسك بقلوب المسلمين وأرواحهم فى أثناء تلك المجازر الوحشية التى سادت القرن الثالث عشر الميلادى .

هذه لمحات من الأصول التاريخية لمظاهر الحضارة التى ينقلها المؤلف .

بقى أن ننظر فى طريقته فى الترجمة ، وفى اختيار النصوص التى يقدمها ، مكتفين فى ذلك بالقرآن ، وهو الفصل الذى جعل عنوانه « كلام الله » . وفى أواخر القرون السادس الميلادى وأوائل السابع ، ارتفعت أصوات مختلفة فى قلب الجزيرة العربية ، تعبر عن وجهات نظر مختلفة ولكن أساسها العربية ، كان هناك يهود ، ونصارى ، كما كان يسمع أصوات الجحوش ، والحنفاء الموحدون على قلوبهم ، وأصوات عبدة الأصنام . ونجاة حين كان محمد يتعبد فى غار حراء ، إذا به يسمع صوتاً جديداً يعلن فيه رسالته :

اقرأ باسم ربك الذى خلق

خلق الإنسان من علق

اقرأ وربك الأكرم

الذى علم بالقلم

علم الإنسان ما لم يعلم

على هذا الخط يمشى الأستاذ أبرى . فى عرض نماذج من كتاب الله ، تمثل حقيقة الإسلام . وقد ترجم هذه الآيات شعراً منظوماً بالإنجليزية ، ولمكن شتان بين الأصل الربانى والفعل الإنسانى ؟

أحمد فؤاد الأهوانى

لم يتم إلا منذ العباسيين ، وفى بغداد ، وبخاصة فى عهد الرشيد وابنه المأمون . وعندئذ ترجمت جميع كتب أفلاطون وأرسطو ومدرسة الإسكندرية إلى اللغة العربية . ونافست المدن الإسلامية حتى البعيدة منها بغداد فى طلب الكتب وانتاء العلوم والمعارف ، حتى بلغت بخارى ، تلك المدينة التى نشأ فيها الشيخ الرئيس ابن سينا . وكان الطب ، والعلوم الطبيعية والرياضيات والفلك تمثل المناهج التى يقوم بتدريسها الجامعات الإسلامية .

واستمرت ثروة الامبراطورية الإسلامية فى التزايد مع اتساع التجارة إلى الأطراف البعيدة ، وتركزت الثروة فى يد قلة قليلة أخذت تنعم بالعيش فى قصور نفخة ازدانت بها العواصم الكبرى مثل بغداد ، وبخارى ، وسمرقند ، وبلخ ، وشيراز ، ودمشق ، وحلب ، والقاهرة ، وطرابلس الغرب ، وتونس ، وقرطبة ، وغيرها . وقد صور هذه الحياة الناعمة ، كما كانت تعيشها الطبقة المترفة ابن حزم فى طوق الحمامة . وعلى الرغم من أن الخبز كانت محرمة بنص القرآن ، فإن المحاكم من المسلمين انغمسوا فى بفت الحان إلى الآذان .

وعلى الرغم من الفساد الظاهر ، ومساوى الحكيم ، والاستمتاع بالقوة ، ظل قلب الإسلام ينبض قويا بالحياة . واستمرت دراسة الفلاسفة مزدهرة حتى أوشكت أن تغزو حرم الدين ، واحتدم الصراع بين العقل والسمع ، أو بين الحكمة والشرعية . وفى الوقت نفسه ، ظهر طريق جديد يوصل إلى الله ، ليس هو طريق الشرع ، ولا طريق الحكمة ، بل طريق الذوق والتصوف ، له جذور فى الإسلام نفسه ، ولكنه نما بتأثيرات أجنبية ، وزعم أصحابه أنه الطريق الموصل إلى الحق .

فتاوى مختارة

يقدّمها الأستاذ: شمس الدين محمود

[الإجابة للجنة الفتوى]

السؤال :

أخرى دون تكليف بالطلاق أو التطليق عليه
فله ذلك .

هذا ما يؤخذ من كتب الفقه بناء على الأدلة
الشرعية .

أما اعتبار المجر جرمًا قانونيًا يدخل تحت قانون
العقوبات الجنائية فلا نجد له نصًا صريحًا في المراجع
الفقهية

الجواب :

ويستفاد مما سبق ذكره أن يكون هذا الحكم
في التشريع القانوني مع مراعاة الملاءمة بين إساءة
الزوج بهجره لآسرتة والعقوبة التي تكفي لعودته
إليها كزوج يحسن عشرتها ، والله تعالى أعلم .

السؤال :

مسجد بنى في العهد القديم وتصلّى فيه الجمعة ،
وفي نفس البلدة مسجد حديث فصلى الجمعة فيه لأن
الأول ضيق ولا يسع المصلين في البلدة التي يبلغ
عددهم فيها نحو ٦٠ ألف نسمة وقد ذكر عدد
من الناس أن الجمعة في المسجد الحديث باطلة لوجود
المسجد العتيق - فهل هذا صحيح ؟ وما حكم الصلاة
التي حصلت فيه ؟

الجواب :

نفيد بأن المسالكية مع اشتراطهم المسجد العتيق

هل هناك تعارض شرعي بين فكرة تجريم هجر
الأسرة قانونًا وبين أحكام الشريعة الإسلامية ؟ ،
وهل هناك مانع من استغلال المادة ٢٩٣ من قانون
العقوبات والتي فيها اتجاه نحو تجريم المجر بالحبس
قط ؟ .

أما بعد فنفيد بأن هجر الزوج لآسرتة دون سبب
كما هو الظاهر من السؤال يعتبر إضراراً بالزوجة
وأولادها إن كان لها أولاد ، والإضرار بالغير
على وجه العموم حرام شرعاً ، وخاصة إذا كان الغير
هو الزوجة أو الأولاد لأنهم رعية هذا الزوج
وكل راع مسئول عن رعيته كما هو حديث الرسول
صلى الله عليه وسلم وفضلًا من هذا التجريم العام
ففي هذا المجر المستمر أضرار خاصة تتعلق بالزوجة
من ناحية الصلة الزوجية ومن ناحية التقدير في النفقة
كما هو مستفاد من ظاهر السؤال ، والحكم في ذلك
أن الزوجة لها الحق شرعاً أن تطالب زوجها بالرجوع
إلى فراشها فإن لم يرجع بعد مدة أربعة أشهر فلها
الحق أن تطالب بالطلاق على يد الحاكم ، كما لها الحق
في كل وقت أن تطالب الزوج بنفقة وأولادها
فإن رأى الحاكم أن يعزّر الزوج بحبس أو أية عقوبة

فلم تفدنا هذه المقارنة بقيتنا . وعلى هذا فيجب عليه قضاء هذا اليوم الذى أفتار فيه والله تعالى أعلم .

فى صلاة الجمعة يجيزون صلاتها فى غير العتيق من بقية المساجد إذا دعت إليها الحاجة وعلى ذلك فتصح عندهم الجمعة فى المسجد المستول عنه وفى غيره من المساجد إذا دعت إلى ذلك الحاجة كما يفهم من السؤال .

السؤال :

ما هو مقدار زكاة الفطر ، من الأرز والقمح عن الشخص الواحد على مذهب الإمام الشافعى مقدرا بالكيلو جرام ، حيث أن كتب الفقه ذكرت ذلك مقدرا بالكيلو ، والآن جارى العمل بالكيلو جرام ؟

الجواب :

مقدار زكاة الفطر من الشخص الواحد بالكيلو جرام من القمح أو الأرز بعد الاستفسار من أهل الخبرة يساوى ثلاثة كيلو جرامات ونصف تقريبا باعتبار أن الواجب قدحان ، وفى هذا التقدير بالكيلو زيادة احتياطية كما هو مفاد مذهب الشافعية والله تعالى أعلم .

السؤال :

توفى والدى إلى رحمة الله وكان قد أوصانى بأن أحج عنه مع العلم بأنى سبق أن أدبت فريضة الحج فى الماضى ، فهل يجوز ذلك ؟

الجواب :

نفيد بأن تنفيذ وصية والدهك بالحج عنه واجب عليك إذا كان قد ترك ما ينفق منه فى الحج فإن لم يترك ما لا ينفقك الحج عنه نذوب لك أن تحج عنه والله تعالى أعلم .

أما عند الشافعية والحنبلة وكذلك الحنفية فلا يشترط فى صحة الجمعة المسجدية بل تصح إذا عتها فى غير المسجد إذا كانت فى خطف أبنية أو طان المجموعين كما يجوز التعدد لحاجة بحيث لا يزيد على قدرها والله تعالى أعلم .

السؤال :

كان عليه يوم من رمضان ثم نوى الصيام عن هذا اليوم وهذا الإفطار كانت الساعة الخامسة وخمس عشرة دقيقة فأفطر غالبا على ظنه دخول الوقت ثم تحقق بعد ساعة أن المغرب على الساعة ١٧ ، ٥ دقيقة ، وبعد ذلك قارن ساعته على أخرى فوجد أن ساعته متأخرة دقيقتين وبمجمع الدقيقتين يكون الوقت مضبوطا على ساعته فهل يعيد اليوم أم لا ؟

الجواب :

نفيد بأن الظن يكتفى إذا تبين صوابه أو لم يتبين حاله ، فإذا تبين خطؤه صار غير معمول عليه وهذا قد تبين خطؤه فإنه ظن خطأ أن الغروب على الخامسة وخمس عشرة دقيقة وظهر الخطأ فى هذا ، وبمقارنة إحدى الساعتين بالأخرى أحدثت شكاً فإن إحداها ليست أولى من الأخرى بالصواب

في محيط العالم الإسلامي

● جامعة هربية لبحث سياسة التعليم ، وتدعيم هيئات التدريس بتلك الجامعات ، وتنسيق الأبحاث بينها .

● قررت الحكومة العراقية منع الإضرار العلني طوال شهر رمضان ، ومعاقبة من يخالف ذلك بالحبس مدداً تتراوح بين ستة و عشرة أيام وبغرامة تبلغ أربعة دنانير عراقية .

● ترجم إلى الإنجليزية كتاب (قوميتنا العربية) من تأليف الدكتور عبد الرحمن البراز رئيس وزراء الجمهورية العراقية .

● السودان : أقرت الجمعية التأسيسية في السودان يوم ٩/١٢/١٩٦٥ مشروع قانون بحل الحزب الشيوعي ومصادرة ممتلكاته ، وإسقاط عضوية النواب الشيوعيين من الجمعية على أن ينفذ القانون فور إصداره ، وقد قام رجال الشرطة بإغلاق دار المركز العام للحزب الشيوعي في الخرطوم ، ودار الميدان ، والدور الفرعية في العاصمة والأقاليم ، ومصادرت الشرطة ما وجد بها من ممتلكات كما صودرت الميدان ، صحيفة الحزب ، وشددت الرقابة على جريدة (الطليعة) وصرح السيد وزير الداخلية بأن بقية المنظمات التابعة للحزب مثل « اتحاد الشباب السوداني » و « الاتحاد النسائي » ستحل بقرارات من مجلس الوزراء ، ووافق على الحل مجلس السيادة السوداني .

● أذاعت حكومة جنوب إفريقيا فداء إلى البيض من رعاياها قالت فيه : إن خير هدية تقدم للدولة في عهد الاستقلال هي طفل أبيض ، وتلك أروع طريقة تحتفل بها النساء البيض .

● تحتفل رعاية الشباب بالأزهر الشريف بتلاوة آي الذكر الحكيم بالمسجد الأزهر ليلالي شهر رمضان ...

يقوم بالتلاوة الطلبة الناجحون في المسابقة التي نظمتها إدارة رعاية الشباب بين طلبة المعاهد الدينية في حفظ القرآن وتجويده .

وهذا هو العام الثاني الذي قامت فيه رعاية الشباب بتنظيم هذه المسابقة

● من أنباء الكويت أن وزير الأوقاف أعلن أن بلاده ترحب بانعقاد مؤتمر إسلامي فيها خلال العام القادم وقال : لأنه اقترح على الفقهاء ورجال الإسلام الذين حضروا احتفال الإسراء والمعراج في مدينة القدس بحث هذا الموضوع فوافقوا عليه وينتظر أن تجري اتصالات خلال الأيام القادمة لتحديد موعد لانعقاد هذا المؤتمر .

● استأنفت محكمة أمن الدولة الأولى في بغداد يوم الخميس ١٦/١٢/١٩٦٥ محاكمة تسعة عشر شيوهياً بتهمة إعادة تشكيلات الحزب الشيوعي في مدينة النجف بعد ثورة أربعة عشر من رمضان ، وكانت محكمة أمن الدولة الثانية قد أصدرت حكمها في ١٤/١٢/١٩٦٥ بحبس خمسة عشر شيوهياً مدداً تتراوح بين ستة وثلاثة أشهر بتهمة الانتماء إلى حزب ممنوع وتوزيع الكتب والمنشورات الشيوعية .

● تقرر عقد الاجتماع القادم لاتحاد الجامعات العربية في بغداد في أواخر إبريل القادم . وكان اجتماع الاتحاد الأخير قد بدأ في عمان يوم ٤/١٢/١٩٦٥ ، واشترك فيه ممثلو أربع عشرة

go in. Hesitantly I stepped inside, fully expecting a hord of people to hurl me out, but apart from some curious stares no one said anything and becoming bolder I walked to the steps of the mosque where I asked a person if I might go in, smiling he answered "Yes, but first please take off your shoes". Then for the first time in my life I went into a mosque; it was big, it was bare — no altars, no idols, no paintings. Just a large open hall in which groups of men sat and talked on the soft carpet, it was both delightful and intriguing. I asked the man I had originally spoken to and who had kindly offered to be my guide, if there was someone with whom I could discuss the Islamic faith, he happily greeted my request and said he would take me to a famous man who lived in the city.

Reluctantly leaving the lovely mosque which had given me such pleasure, my companion hurried me through busy narrow streets until we arrived at an old house. Entering we went up some very shaky wooden stairs to the top floor where I was introduced to the man who was to play such an important part in my life, Dr. Ansari Al-Qaderi; he had a most imposing magnetic presence and to my eyes, fresh from the West, he was a figure out of the biblical past with his flowing robes, long black hair and beard, and very courtly manner... his excellent English, however, was of the present.

(2)

When he was told why I had come

he greeted me warmly and soon we were lost in a long discussion on Islam, it's beginning and history, it's principles and beliefs, and of it's great leader Muhammad (may peace be with him); far into the night we talked, and the next night, and the next, often being joined by his friends as we sat facing each other on the cushioned floor. I remember him saying once "Why don't you argue with me more?", but it was impossible for us as he talked it was like listening to my own voice. It was a fantastic experience, as he talked his words were like pearls of truth which had lain hidden in my mind and were slowly being strung into the most precious string — which, if I caught hold of, would become an unbreakable chain between God and I.

He explained how Islam had been introduced by Muhammad (may peace be with him) fifteen hundred years ago in Arabia, who was the last of the prophets, not as a new religion but as an affirmation of all the previous revealed religions of God... Who is called Allah, the One and one alone, to whom we kneel and touch our heads to the ground in humility and worship. He told how the last great prophet suffered and of how this unique man was finally victorious, living to see Islam become an established faith. He showed me the Quran in which are written Allah's revelations to Muhammad, the writing of which has remained unaltered in anyway since it was first written down at the time of occurence... in fact, the true Word of Allah.

(to be Continued)

My Experience of Islam

THE RIGHT PATH (2)

By : Raschid Ansari

(Robert Wellesley)



THE JOURNEY

It was a winter's night in the year 1960 when I left England on board a small ship to explore the unknown, not only of the physical but also of the spiritual, and as the ship slowly headed into the gusty cold darkness of the open sea I stood on deck watching the dim lights on the shore fade away, one by one, until there was only the blown salt spray of the sea in my face ... then I began to feel a little afraid of the lonely task ahead of me and I prayed to God for help, asking Him to hold my hand on this strange journey. As I did so I had the strongest feeling that what I was doing was right and slowly my fears vanished as my heart welcomed His presence.

The ship was a very slow one with only one other passenger and calling at various ports on its long trip to the East, I had plenty of time to think about my future and I used to gaze for hours over the changing sea, thinking, thinking. There was one unforgettable moment just outside the port of Genoa. There was a heavy sea late one afternoon and, though a fine day, a high wind was

whipping the spray from the waves into a haze of minute droplets which hung suspended in the air, as they did so they caught the rays of the sun and reflected all the colours of the spectrum so that I saw a thousand rainbows hovering low over the sea ... it was a fairylike scene and I was just waiting for Oberon and Titania to appear. At this time I was not certain just where to begin my search and all I could do was to leave myself to the will of God, but just after I left England I received an invitation to stay at a monastery in India and this I gladly accepted as a sign from Him deciding that this was where I should start.

On my way to this monastery I stayed in Karachi for a few days, strangely it was in the Muslim holy month of Ramadan when I arrived, and I decided to try and find a Muslim scholar who could speak with me on Islam. I was wandering through the heat of the crowded old city when I suddenly saw a beautiful pink mosque, glancing through the delicately wrought gate I saw fountains playing in a large open court through which many people slowly passed ... I was fascinated and felt I must

but we may be guided in our choice of these principles by mentioning those that have a bearing on the spiritual crisis of Western culture.

a) Islam inculcates the brotherhood of all Muslims recognising no barrier of race, colour or social standing. There is an undefinable secret feeling of happiness when a Muslim knows of another brother Muslim. This feeling of brotherhood amongst Muslims is devoid of any sense of exclusiveness towards other peoples of alien faiths. Appreciating the humanity of others is not lost sight of.

Christian nations practising racial discrimination towards fellow Christians of other races is something unheard of in Islam. The term itself has no equivalent in classical Arabic and modern Arab writers dealing with present African problems have tried hard to coin an appropriate arabic equivalent for the term : racial discrimination.

This sense of brotherhood amongst Muslims is more than an article of faith; it is actually practised in the rites of worship and it is the guiding principle in Muslim institutions.

b) The sense of solidarity amongst Muslims may be considered as the outcome of the principle of brotherhood in Islam. What is termed l'esprit de corps is highly developed in Islamic teachings and practices. A French scholar (Les Grandes Pratiques Rituelles de l'Islam - par G. H. Bousquet - P. U. F., Paris, 1949) is trying in his recent writings about Islam in North Africa to prove the contrary. He claims that public prayers in mosques are quite incapable of creating a feeling of social solidarity amongst Muslims. In fact Islam holds a golden mean between the development

of both the individual and society. The welfare of society does not require the total extinction of the individual. Man is allowed adequate freedom to seek his own self-development within the rules of his faith and the requirements of society to which he belongs. This feeling of solidarity amongst Muslims is further intensified by the institution of fasting and that of pilgrimage to Mecca.

c) Humanitarianism in Islamic culture and tradition based on the teachings of Islam.

d) The spirit of Muslim jurisprudence. The theory of right in Islamic law is bound by ethical and social obligations.

It would take us long to enumerate the principles of Islam. To conclude, we believe that Islam affords appropriate solutions to the various problems from which the modern world suffers. Its miraculous expansion of old has been discovered by Maxime Rodinson a modern Western scholar in an article published by the UNESCO philosophical review "Diogenes" (October 1957 pp. 37 to 64) not to be due to those causes admitted by Western scholars some generations ago like the love of spoils or the desiccation of the Arabian peninsula. There had been other faiths in history which could not secure such a vast expansion as in the case of Islam. This Western scholar in his article struck a new line of approach by stating the fact that the vast expansion of Islam should have been due to certain traits in Islam that could satisfy the spiritual and social needs of the many peoples that embraced Islam. We hope for modern thinkers to realise these facts.

A. A. Hilmy

God's creation. In certain traditions a Muslim is asked to seek knowledge from the cradle to the grave. Application to study is recommended as a religious duty. The pursuit of scientific research had been free during the glorious ages of Islam; nay it had been favoured by influential patrons and heads of Islamic states. Long journeys throughout three continents have been carried out to sit at the feet of a famous scholar reputed for his great learning; an enthusiasm for study that has no parallel in the history of human culture. No serious conflict has ever raged between theology and science in the history of Islam.

By claiming the inability of Islam to accommodate within its frame scientific studies, Western scholars seem to have overlooked the above mentioned historical facts. They have disregarded as well a bigger gap between religion and science in the history of the Christian Church which persecuted up to the 16th century any scientist the results of whose research proved contrary to its established dogma or practice. Ignoring this gap in Western thought can only be explained by having recourse to the cultural heritage of Modern Europe. Two main elements of that heritage as widely divergent have been bequeathed to Europe from the classical world, that is: Hellenism and Christianity. The last one as an embodiment of the main ideals of Hebraism is totally inconsistent with the Greek view of life. Christianity could not secure success in the Greco-Roman world but for the efforts of Saint Paul who attempted to explain Christian ideals in terms of Hellenic culture. Thus Christianity which had been originally a semetic religion has been aryanised.

Somehow the European mind could manage to accommodate the two divergent elements of its cultural heritage: Hellenism and pseudo-Hebraism without ever detecting or questioning their heterogeneity. So, I find it rather surprising when Western orientalists lay such emphasis on what they claim to be a discrepancy between Islam and Science while the main components of their European culture is suffering from a greater lack of harmony!

If Christianity as a semitic religion has been more or less aryanised, no similar process has ever taken place in the history of Islam. Islam as an Arab religion has been embraced by many non-Arab races. There had naturally been some minor and insignificant adaptations in the process, but there had been no indianising, turkifying, sinologising or africanising process on the scale of the aryanization of Christianity. The main tenets of Islam have been kept in all environments without losing their identity. Any distortions of local custom were known to be alien elements and could never be recognized or incorporated within the system of Islam.

So much for these traits testifying to the uniqueness of Islam; they may be helpful in shedding some light on the following Islamic principles of which a mere selection can only be given.

5 — Islamic Principles :

Our attempt to elucidate Islamic principles is more of a restatement than a revaluation, because no forced interpretation of these principles in the light of modern world problems is intruded;

b) The social organization of Islam does not allow the distinction between clergymen and laymen. No religious class is entitled to act as an intermediary between God and man. Every Muslim is required to be well versed in at least the bare practice of his religious duties. Notwithstanding the rich vocabulary of Arabic, there is no word to convey the meaning of laymen. The political structure does not equally admit the dualism of church and state. The religious functions of the head of the Islamic state are confined to the mere enforcing of Muslim law but he is not entitled with an interpretative authority, nor do the learned doctors of Islam. Judgments and interpretations can be given freely and are only considered as binding when they secure the consensus of the community; in which case the Muslim community is deemed infallible. But this consensus cannot be gained through the holding of councils or synods composed of acknowledged authorities on religion to settle religious problems. It is rather left to the free forces of religious development in Muslim society all over the Islamic world. Consensus had been considered by Iqbal as the principle of movement in Muslim religious thought. It has a pronounced democratic trend of great significance in Muslim society especially because it is one of four sources of Muslim jurisprudence, ranging in priority as the third after the Qur'an and the Traditions.

c) There is in the spirit of Islam a certain tendency which inspires Muslims to feel a craving for liberty. This essential trait of Islam cannot be easily explained. The insistent on the unity of God as advocated by Islam, as no other religion does, makes any power other than that of God of an inferior standing. There are certain traditions enjoining

Muslims not to admit submission to any mortal, if this entails disobedience to God. In another tradition they are enjoined, when they behold anything disapproved of by God, to change it with their hands, and if not possible with their tongues, and if not possible with their hearts, the last being considered the feeblest manifestation of faith. A Muslim is also enjoined to be active and energetic and of physical and moral power. But Islam's attitude to force is always tempered by kindness and humanity. Force was meant to establish a powerful Muslim community that is capable of freeing itself from any foreign domination.

Islam had proved unwieldy in modern times when systems of colonial domination had been applied to Muslim countries. It was an impenetrable proof against plans of colonial education and cultural imperialism. It caused serious trouble to the advocates of assimilation policies, so much so that they accused Islam as an obstacle to modern progress; so perplexed with Muslim culture that they tried to distinguish between religious Islam and political Islam which are really one. No wonder that Islam has been a great liberating force.

d) I have to add the attitude of Islam towards scientific research as one of its main traits. It is not easy to explain why Western scholars dwell at length upon this point, emphasising, so they claim, the discrepancy between Islam and Science. History of the development of thought, knowledge and science — with all the connotations these terms mean — proves that Arab culture has made noble contributions. In fact the religious texts of Islam enjoin the Muslim to think and contemplate

by claiming that Islam is the first and last step towards progress that can ever be achieved by an African when he turns Muslim.

3 — A New Line of Approach :

In attempting to explain the main tenets of Islam from an objective standpoint, there is no need to draw on its polemical or apologetic literature, though valuable in itself as representative to the Muslim attitude of mind. Neither do we need to reiterate the articles of the faith of Islam so well known and summed up in catechetical manuals ; or we may add legal systems and Muslim institutions well expounded in elaborate treatises. Only in so far as these elements have a bearing on the welfare of Muslim society can they be mentioned. It may be helpful to scrutinise the main traits underlying the evolution of Islamic culture.

Some points of methodology which scholars have been slow to apply to Islam may secure more fruitful results. It has been shown by new disciplines in anthropological studies that a culture is a law unto itself and that its values cannot be interpreted in terms of an alien culture. This will be a reminder not to dwell at length on comparisons or analogies between Islam and other faiths.

4 — The Uniqueness of Islam :

Islam cannot be ranked with other world religions as merely comprising a certain system of beliefs and practices. It is also an all-embracing system of law, institutions and culture ; in short it is a way of life. Its economic system is equally unique having a type of its own that can hardly be classed under one of the presentday conflicting theories of

economic organization. Islamic culture has also been voluminous and varied that it could satisfy the intellectual, literary and artistic needs of non-Muslims living in the Islamic world without losing their identity.

Some other traits in the Islamic phenomenon can be singled out in the following :

a) Differences of opinion regarding religious matters have been tolerated amongst the members of the Islamic community since the early days of Islam. Nay, they have been regarded, as reported in one of traditions, as a sign of God's mercy. Thus different rites (Madhabs) culminating in the four well-known ones have been deemed to be all orthodox. Various sects have equally arisen, but points of discord have been largely political rather than religious. They clustered round the thorny problem of the Caliphate and related questions of government and administration. Nobody questioned the validity of Islamic fundamentals in belief and practice, or introduced basically diversified interpretations as to rend the community into irreconcilable religious factions. There had been enough of the revolts of the Khawarig, and the quarrels between "Sunnis" and "Shi'as", but all the disputes have been of a political nature. In fact, religious toleration has been, throughout the history of Islam, the guiding principle in both theory and practice. No persecutions or massacres have ever been plotted in the name of religion. While intolerance had been the ruling practice in some world faiths up to quite recent times, Islam during the course of its entire history is privileged with an unblemished record.

But Muslims who think in terms of English culture and to whom this statement is meant, may not consider such references as out of place. They will be met with in many English works dealing with Islam; nay in French and German works as well. As late as June 1956, in an international symposium on Classicism and Cultural Decline in the History of Islam, held under the auspices of the universities of Bordeaux and Chicago, and attended by twenty eminent orientologists of different nationalities, one of the main topics contributed and discussed was whether Muslim orthodoxy has had a part in the decadence of the world of Islam (Paris 1957, pp. 167, 184).

Though easy to detect, these Western prejudices against Islam are interesting to remark; the tracing of their history and the penetrating into their psychological factors still await the investigation of a scholar, the competence of whom requires a mental outlook unswayed by such misconceptions; he might preferably be a believer in the faith of Islam.

No attempt can here be made to enumerate these prejudices, to disentangle the show of scientific postulates worked out to support them as if they were a sort of psychological rationalizations. A few examples may be deemed sufficient as illustrative of their nature and trends.

Certain practices obtained in some Islamic countries, tinged with magical beliefs, obnoxious usages offending to modern taste, customs bearing on the cult of saints and religious orders are sometimes taken to represent the main tenets of Islam. Some parts of Muslim jurisprudence and especially those expounded by jurisconsults of a later age

are commented upon by Western writers as not conforming with humanitarian ideals or with the healthy organization of society. The liberal outlook of Islam is even denied owing to the tradition of despotic rule entertained by certain Muhammedan dynasties as recorded by Muslim chroniclers and historians. Last but not least the claim asserting that the moral demands of Islam are but a few and not exacting. So much for such a formidable stuff of misconceptions that are eagerly exploited by missionaries in their proselytising efforts and in their attempts to make a halt for the rapid propagation of Islam. A synthesis of similar ideas has been worked out by a certain European writer to draw a picture of what he claimed to be the psychology of Musulman; his many pretensions amongst which the empty remark that Islam is an obstacle to progress betrays the frustration of his country in attempting to assimilate the people of North Africa.

Some faint glimpses of more objective verdicts on Islam have occasionally been made by some European scholars, especially those who wrote about the history of Muslim education, its democratic spirit and its insistence on fighting illiteracy. They stated that Islam has been unquestionably a great civilising force in history.

No less similar, is the famous dictum of Renan that Islam is progress to the African who adopts it. One should rightly expect that the fog of prejudice is gradually dissipated by the mutual understanding between Muslims and non-Muslims; but unfortunately new prejudices arise. As regards Renan's afore-mentioned saying, some colonial administrators have commented upon it

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYAT

Ramadân
1385

ENGLISH SECTION

EDITED BY :
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

January
1966

ISLAMIC PRINCIPLES

BY : A. A. HILMY

Assistant Secretary General of the Islamic Research Academy

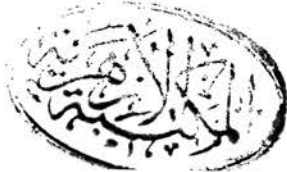
1 — Introduction :

The faith of Islam, its tradition and culture have long attracted the attention of outside observers, some of whom were tempted to probe the strength of its hold on Muslim peoples, and to get an insight into the problems of contact between them and non-Muslims. The academic circles in Europe have also shown an interest in Islamic studies alongside with Sanskrit, Chinese and other alien cultures to make an all-round survey that fits in with the political and economic domination of Europe over all the countries of the world. As to Islam, eminent scholars have dedicated themselves, since the early decades of the 19th century, to the laborious task of mastering classical Arabic to have recourse to the old sources of Islamic literature. Thus, Islam has been subjected to deep research and study, not without some attempts to interpret its values in terms of Western culture. From a Muslim standpoint, these methods of approach to Islam have been various;

ranging, not unnaturally, from undisguised prejudice to pronounced sympathy. Notwithstanding the application of objective methods of study, certain prejudices have lingered on, causing a lot of misunderstandings and misinterpretations. Sometimes certain European writers drew mistaken conclusions by accounting for the state of apathy and backwardness of Muslim countries in the 19th century as due to Islam; thus disregarding a similar case in decadent Europe during the dark ages when Christianity had been supreme. Up to the outbreak of the 1st World War the false notion that Islam is inconsistent with the modern idea of progress and the norms of Western civilization, had been given wide prevalence.

2 — Misinterpreting Islam :

It may not be fitting to start a statement on Islamic principles by making allusions to misinterpretations with which Western literature on Islam abounds.



مَجَلَّةُ الْإِنْهَارِ

مجلة شهرية جامعة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
«العنوان»
إدارة الجاسع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
«بدل الاشتراك»
٢٠ في المبرور لعميرة المنة
٥٠ ضائع المبرورية
والمدرسين الطلاب تخفيض خاص

بَيِّنَةُ مَنْ شَيْخَنَا الْخَزَنَةِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ

الجزء الثامن - السنة السابعة والثلاثون - شوال سنة ١٣٨٥ - فبراير ١٩٦٦ م

سَمَاءُ الْهَارِ

أَمَا أَنْ لَابِنْ آدَمَ أَنْ يَعْقِلَ ؟

بقلم أحمد حسن الزيات

منذ ملايين السنين : هوأ إلهه ، وشهوته شرهه ،
وغريزه دليه ، وقوته هدته ، أما ذكأوه الذى تميز
به نوعه ، فقد سخره فى تسليم يديه بالحديد والنار
والدمار ، لا يقهر كواسر الطير فى الجو وضواري
الوحش فى البر ، ولكن يقهر إخوته لآييه آدم
ليستأثر دونهم برغيف ، أو يستعلي عليهم بموضع .
ولو كان يحوى على منهاج الوحش يقتتل حين
يدافع ، ويفترس حين يجوع ، لقلنا : حب البقاء
طبيعة كل حى ، واسكنه يقتتل وهو آمن ليحتسركر
ويحكم ، ويفترس وهو شجاعان لينخر ويسود .

بدأ العالم منذ أيام سته السادسة والستين من القرن
العشرين . وقد بلغ الإنسان بالعلم ما بلغه آلهة الإغريق
بالخيال من استخدام قوى الطبيعة واستغلال عناصر
المادة ، فاخترع من الآلات وصنع من المعجزات
ما يجعل العيش فعا والأرض جنة لو كان يعالج

مى نفسه إنسانا من الأنس ، وسعى غيره وحشا
من الوحشة ، ومعنى الأنس الاطمئنان والألفة ،
ومعنى الوحشة النفور والمزلة ، وليس معنى جنوح
ابن آدم للأنس أنه لطيف ، ولكن معناه أنه
ضعيف ، ومن طبيعة الحيوان الضعيف أن يعيش
مجتمعا بأفراد جنسه ليعالج بالتعاون ضعفه كما تفعل
النحل والفيل ، ولكنة - واحسرتا عليه - لم
يستطع بمقله وعله وفهمه وقوانينه وأنظمتة
ومدنيته أن يقيم مجتمعه على السلام والوئام والإخاء
والتعاون ، كما فعلت هاتان الامتان بالفريزة وحدها ،
فلا نعلم أن أمة النحل أو أمة الفيل تفرقت شيئا
وقبائل ، لتتخاصم على الأرض ، أو تتقاتل على
القوت ، أو تتنازع على السلطة ، وإنما نعلم أن هذا
الإنسان الذى يزعم أنه قطب الوجود ، وسيد
السكون ، وخليفة الله ، لا يزال يعيش كما كان يعيش



وتثور في رأس (جونسون) نزوة الاستعمار
الكافر فيقرر الهجوم بوابل من النار والدمار
على أهل (فيلقام الشمالية) ليبيدهم جميعا ويفرغ
من أمرهم سريعا .

وتأني أنجلترا أن تتخلف عن أمريكا في تقريب
القربين الآدمية لآلهة الاستعمار في ذكرى مولد
المسيح راعي السلام وحامل الآلام ورسول الرحمة
فتتهدت في التشكيل بالمجاهدين الأحرار في الجنوب
العربي المحتل .

وتوسوس شياطين الاستعمار للأبيض الأول
في روديسيا أن يحكم على أربعة ملايين من السود
الأصلاء ، أن يكونوا هبيد الدهر لما تاتي ألف من
"بيض الدخلاء" ، لأن في يده المال والسلاح والعلم
والباطل ، وفي أيدي الإفريقيين الفقر والمرض
والجهل والحق .

فإذا كان العقل ، كما يقول اللغويون ، قد سمي هفلا
لأنه يعقل صاحبه عن الغر فإن أكثر الناس لم يعقلوا
حتى اليوم ! لأنهم لو عقلوا لادركوا أن مشكلات
الدش الاقتصادية مهما تقدمت وتعضل لا يستعص
حلها على الذنية الحسنة والنفس الخيرة والمنطق
السليم ، وأن هذه الملايين من الروس المفكرة
والأيدي العاملة التي تنتج للحرب لو أنتجت للسلم
لوفرت للعالم كله الغذاء والكساء ، كما وفراقة له الماء
والهواء ، وأن هذه القناطر الممتطرة من الذهب
التي تنفق على الشككات العسكرية والمصانع الحربية
والمخازن الفضائية لو أنها أنفقت على محاربة
الفقر العام لما بقي على ظهر الأرض فقير . وتنازع
القوت هو المشكلة الأزلية للحياة ؛ والفقر هو التكبدة
الأبدية على النظام ، والجوع هو السبب القريب

أموره بالعقل ، ويصرف شتونه بالحكمة ، واسكنه
ابتلى من دون سائر الحيوان بأن يكون له (مستقبل)
ينظر فيه ويعمل له ويخاف منه ، وخوفه من هذا
(المستقبل) المجهول حمله على الاستفثار والادغار
والشع . والطمع هو جماع هذه الخصال جميعا فكل
امرئ يطمع في نصيب غيره ويدفع عن نصيبه .
ومن هذا الهجوم الدائب والدفاع المستمر
نشبت معركة الحياة بين الفرد والفرد ، وبين الأسرة
والأسرة ، وبين الأمة والأمة ، بالقول أو بالفعل ،
وفي السر أو في الجهر ، وكان الظن بالإنسان وقد بانغ
ما بلغ من الرقي أن يحكم العقل فيما شجر بين أفراد
على قسمة الدنيا وغلة الأرض ، ولكن العقل فشل
والهوى تحكم حتى انتهى الحال بالعالم المتمدن إلى
كتلتين هدوتين تتباريان في تدمير هذا الكوكب
على أهله ، وفي سبيل هذه المباراة حولت كل منهما
أموال دولتها ورجال أمتها إلى الإعداد الجهنمي
لإقامة القيامة قبل أجلها الموقوت !

وفي مستهل السنة الميلادية التي يرتل المسيحيون
في ذكرى مولد صاحبها الكريم ذلك القوت
الشعري الجليل ، المجدد في الأعلى وهلى الأرض
السلام وفي الناس المسرة ، يقول صاحب الأمر
في أمريكا : إن البرنامج العسكري في الولايات المتحدة
يستهلك ثلثي الميزانية العامة للدولة ، وإن أربعة
ملايين من الأمريكيين يعملون في الجيش وفي قوة
الدفاع ، ويطلب المزيد من العتاد والاستعداد لينتهى
الشيوعيون حماهم فيه وينجو العالم من فناء ذرى
محقق . فيجيبه من الطرف الآخر ضابط روسي
في جريدة (برافدا) الرسمية يقول : إن لدى روسيا
من الأسلحة الذرية ما يعمو أمريكا من الوجود
إذا فكرت في العدوان على الاتحاد السوفيتي .

المعروف وتتناصرا على المنكر ، وتساعدوا على نشر السلام العالم ؛ وإلى عقد مؤتمر القارات الثلاث في هافانا من أمريكا اللاتينية لينظر في بغى الاستعمار وطريق الخلاص منه ، غيرنا شعور من التقاؤل بأن الله سيستدرك عباده بلطفه ، فيضئ قلوبهم بنور العقل ، ويهيئ نفوسهم لتقبل العدل ، ويجمع الشرق والغرب على المبادئ التي شرعها فكفروا بها ليضعوا لهذه الدنيا المتداورة المتفاحرة سياسة جديدة تجعل أرض الله مضطربا لكل كادح ، وخير الأرض مشاعا لكل مستغل . ويومئذ يكون الفضل بين عالم عاش فيه الحيوان بغرائزه الوحشية ، وعالم يعيش فيه الإنسان بطباعه المدنية ، يعدل بين جنسه وغير جنسه ، ويحب لغيره ما يحب لنفسه ، ويطمس في ذهنه حدود البيت والأسرة ومعلم الوطن والأمة ، ليصبح الناس كلهم أمته ، والدنيا بأسرها وطنه . ويومئذ يستطيع الإنسان أن يتبجح بهيئة العقل والعلم ، ويقول لقافلته المضاربة في مجاهل الأبد وهي لا تملك مشاهرها من القلق والفرق : لقد زال الطمع فزالت العداوة ، ومات الفقر فانت الحرب .

أحمد حسن الزيات

أو البعيد لكل ثروة في تاريخ الأمم ، ولكل جريمة في تاريخ الأفراد .

على أن دول الغرب المصابة بعمى الحرب قد ورد على مسامعها مع التهافت بالسنة الجديدة ، والتهديدات بالأسلحة المبيدة ، أصوات أخرى جبهة بالحق رخيصة بالسلام تبشر بالحب وتنفر من العدوان ، أقواها في الغرب انبعث من روما وهو صوت البابا ، وأقواها في الشرق انبعث من القاهرة وهو صوت جمال عبد الناصر . حمل الأول في رسالته وإذاعته دعوة المسيحية وهي الرحمة والمحبة والغفران ؛ وحمل الآخر في رحلاته وخطبه دعوة الإسلام وهي الحرية والإغاثة والعدل والإحسان والسلام ، وبين في سياسته بالقول والفعل أن أمته التي جعلت تمحيها في الدنيا السلام وفي الآخرة السلام هي وحدها التي تحرر الإنسان من الخوف ، وتقيم الميزان بالقسط ، وتجعل الناس سواسية كأسنان المشط .

فإذا أضفنا ما توحى هذه الأصوات السارية من المعالي الروحية السلبية إلى اتفاق ازراى في القرتين الشرقيتين آسيا وأفريقيا إلى عقد مؤتمرات من أنطاب الرأي فيهما توحيد الخطط المؤدية ، وتعين الأهداف المشتركة ، لتتقارنا على

شوقي والسلام

يا رب لا تنس رعاياك في
جنباية الجبل على أهله
يا رب لا تنس رعاياك في
قديمة ، والجبل بنس الدليل
وليت ظل السلم باق ظليل

كفاح الرسول عليه السلام في سبيل الوحدة والإخاء

للأستاذ محمد محمد المديني

إن الزمان يمر طاماً بهـ عام ، ولا يبقى منه إلا الذكريات ، فهو سجل متلاحق الصفحات ، اصطالح الناس عليه ، وليس له قيمة في نفسه ، وإنما قيمته بمقدار ما يحمل من الأحداث والأعمال ، وما يعتلى به وجوه النشاط والانبعث إلى تحقيق الغاية المقصودة من خلق الإنسان .

وليس التاريخ أن يمر على الناس - أما كانوا أو أفراداً - كذا وكذا من السنين والقرون ، ولكن التاريخ أن يكون لهم ما يذكر ، وما يثبتون به أن هذه الأحقاب مرت بهم وهم مستيقظون ، فباشوها حقاً ، وملأوها حقاً .

ولو أننا فسنا الأعمار بالأعمال والفرائد ، ولم نقسمها بالأيام والساعات ؛ لكان هذا المقياس أصدق حديثاً عن الواقع ، وأدق تصويراً للحياة ، وإذن لراينا العام الزمني لبعض الناس قرناً من الأعمال أو نصف قرن ، ولبعضهم يوماً أو بعض يوم ، بل لعرفنا أن بعض المعمرين قد انقضوا في عهد الطفولة ، لأنهم لم يشمروا ولم يفيدوا الإنسانية شيئاً ، وقد أحسن التعبير عن هذا المعنى أحد الشعراء إذ يقول :

إذا مررت يوماً ولم أقتبس هدى
ولم أستفد علماً فما ذاك من عرى !
فهو يسقط اليوم الحال ، ولا يعتد به ، وقد ضرب الله على آذان أهل الكهف ثلاثمائة سنين

● كانوا شعباً وثناً ، لكل قبيلة منهم وثن تعبده ، فقوم يعبدون الآلات ، وقوم يعبدون العزى ، وقوم يعبدون مناة ، وما كان هذا ديناً ، بل كان انحساراً بالعقل البشري ، والكرامة الإنسانية ،

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو لماذا نجح الإسلام في نقل هذه الأمة من أدنى الحالات في هذا كله إلى أسنى الحالات وأشرفها ، وكان نجاحه في هذه الفترة القصيرة من الزمن وهي لا تزيد عن عشر سنين ؟ .

إن السر في هذا النجاح يرجع إلى ما يأتي :
أولاً : إلى دعوة الإسلام ، فإنها دهوة مثالية تقدمية ، هدفها إصلاحى يسير الفطرة السليمة ، ووافق العقل ، وليس فيها شطط ولا مغالاة ولا تعجيز للمكلفين ، وإذا كانت الدعوة كذلك فإن القلوب تهوى إليها ، والعقول تتقبلها ، وكل معارضة لها لا تلبث أن تضاف ثم تفتى تحت نور الحقيقة والواقع .

ثانياً : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم والقائمين بالأمر معه ؛ كانوا في أنفسهم مثل هداية وإخلاص وتجرد عن الأهواء والغايات والمنافع الخاصة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكافح عن دعوته بضرب المثل من فعله ، وسلوكه بين المؤمنين ، ورحمته بهم ، ورغبته في إشارهم على نفسه وعلى أهله ، ولم يكن يكتفى بالقول يزجيه ، أو بالنصح ينصح به ، فلم يره المسلدون عتجرا مالا ، ولا متمتعا بنعيم ، ولا مستأثراً برفاهية من دونهم ، بل يروى الرواة : أن آل محمد لم يشبهوا من خبز القمح قط وما كان أغلب أكلهم إلا من خبز الشعير .
ثالثاً : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذا حكمة ورحمة في معاملة المؤمنين ، وقد وصفه الله تعالى بقوله : « فبإرحمة من الله كنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » ، وقد ظهر انطباعه بهذه الحكمة وهذه الرحمة حين تألف بعض الناس بشئ من العطاء اختصهم به لمصلحة رأها ، فمأثر

إلى مستوى تقدس الأحجار والأصنام ، فأين هذا من الوحدة الدينية التي دعاهم إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن يعبدوا الله وحده ، ولا يشركوا به شيئاً ، فإنه هو إلههم الواحد ، الذي أنشأهم من أصل واحد ؟

● وكانوا طبقات ينظر بعضها إلى بعض نظار العدو إلى العدو ، وقبائل متحاربة لأنفثه الأسباب وبما دامت الحرب بينهم عشرات من السنين من أجل ناقة قتلت ، وتظن كل قبيلة من قبائلهم أنها أشرف القبائل نسباً ، وأعلىها حساباً ، ويزعم بعضهم أن دماهم أهر وأعلى من دماء الآخرين ، فأين هذا من شعور المساواة الذي غرسه فيهم الإسلام ، حتى رأينا مثل عمر بن الخطاب يقول : أبو بكر سيدنا ، وقد أعتق سيدنا - يعنى بلالا الحبشى الذى أعتقه أبو بكر ، فهو يسوى في السيادة بين أبى بكر الصديق ، وبين بلال العبد العتيق ؟ .

● وكانوا يفترون الآثام ، فأصبحوا يعرفون الحلال والحرام ، وكانوا يكتسبون عيشهم في كثير من الأحيان عن طريق الاغتصاب والتلصص والغارات الليلية ، فأصبحوا يتخرجون من الكسب الحرام ، ومن مخالطة الأيتام في العلم خوفاً من أن يجوروا عليهم .

● وكانوا قبائل شتى لا تجمعهم جامعة ، ولا يربطهم هدف ، وليس لهم حكومة يرجعون إليها ، ولا نظام قانونى حاد مستقر يحتسبون إليه ، وبلغت بهم العصبية القبلية حدّاً خطيراً لا يصلح عليه اجتماع في أمة من الأمم ، ولم يكونوا يعرفون الأخوة في الوطن أو في العقيدة ، أو في الهدف ، وإنما يعرفون فقط أخوة القبيلة والدم .

أعرفون - أيها القراء الكرام - لماذا نجح

المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

المصالح المرسله

والآخرة ، وهذا بعض ما يفهم من قوله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم : وما أرسلناك إلا رحمة
للعالمين ، وقوله في الكتاب الذي أنزله عليه :
يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء
لما في الصدور وهدى ورحمة للذين آمنوا .

ولاشك أن الرحمة - في جانب الله تفسر بما ينشأ
عنها وهو النعمة ، وأن دلالة النعمة على المصلحة
بما لا يختلف فيه اثنان : فمصلحة الفرد والمجتمع
في التزام حدود هذا الدين والعمل بأحكامه والسير
على هداه .

وإذا كانت أنظار الناس تختلف في تقدير
المصلحة تبعاً لاختلاف أهوائهم . ولتأثرهم

الدين كما يعرف عند الأصوليين - وضع للمي
سائق لذوى العقول باختياراتهم المحمود إلى ما فيه
نفعهم أو مصالحهم .

فالمصلحة هي الغاية من الدين بمقتضى هذا
التعريف والله جل شأنه غنى عن كل ما هده فلا
ينفعه إحسان المحسن ، ولا تضره إساءة المسيء ،
« إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده
الكفر » وأن تشكروا يرضه لكم ، ويفهم من قوله
تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليك
نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » أن هذا الدين
هو النعمة التامة والرحمة العسامة ، وأن في الإيمان
بهذا الدين والعمل بمقتضاه مصلحة الناس في الدنيا

(البقية على الصفحة السابقة)

الانصار شعباً لسلكت شعب الانصار ، اللهم
ارحم الانصار ، وأبناء الانصار ، وأبناء أبناء
الانصار .

فلو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب
حين بلغه ما قاله هؤلاء وثارت فائزته لما انتهى
الأمر بسلام ، ولكنه استل بهذا الكلام المؤثر
ما في نفوسهم ، وأعاد إليهم صفاء المحبة ، ووطد
فيهم دعائم الأخوة والوحدة .

محمد محمد المديني

فريق من الانصار بذلك في أنفسهم ، وتكلم به
بعضهم إلى بعض ، فجمعهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال لهم : « أما والله لو شتمت لقلتم : أتيتنا مكذباً
فصدقناك ، ونخذولاً فنصرناك ، وطريداً فأوبناك .
أجزتم يا معشر الانصار في شيء يسير من الدنيا
تألفت به قوماً ليسلبوا ووكلتكم إلى إصلاكم ؛
ألا ترضون يا معشر الانصار أن يذهب الناس
بالشاة والبمير وترجعوا برسول الله إلى رسالكم .
فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ
من الانصار ، ولو سلك الناس شعباً وسلكت

الآخذ بها شروطاً ثلاثة تفهم من تعريفها كما يقول فضيلة الأستاذ محمد أبوهريرة ، في كتابه أصول الفقه ... أولها : التلازمة بين المصلحة التي تعتبر أصلاً قائماً بذاته ، وبين مقاصد الشارع ، فلا تنافي أصلاً من أصوله ، ولا تعارض دليلاً من أدلته القطعية ، بل تكون متفقة مع المصالح التي يقصد الشارع إلى تحصيلها ، بأن تكون من جنسها ليست غريبة عنها وإن لم يشهد لها دليل خاص .

ثانيها : أن تكون معقولة في ذاتها جرت على الأوصاف المناسبة المعقولة التي إذا عارضت على أهل العقول تلقفتها بالقبول .

ثالثاً : أن يكون في الآخذ بها رفع حرج لازم ، بحيث لو لم يؤخذ بالمصلحة المعقولة في موضعها لسكان الناس في حرج ، والله تعالى يقول : وما جعل عليكم في الدين من حرج ، وقد ساق فضيلته أدلة المالكية وذكر كثيراً من الأمثلة قال : إنها مبثوثة في كتاب الاعتصام للشاطبي ، وما هي ذى الأدلة والأمثلة .

أولها : (١) أن الصحابة قد جمروا القرآن في مصاحف ، ولم يكن ذلك في عهد الرسول ، وما دفعهم إلى هذا إلا المصلحة ، وهي حفظ القرآن من الضياع وذهاب تواتره بموت حفاظه عن الصحابة ، وإن ذلك تحقيق لقوله تعالى : ولما نحن نزلنا الذكر وإناله لحافظون .

(ب) قرر الخلفاء الراشدون تضمين الصناع ، مع أن الأصل أن أيديهم على الأمانة ولكن وجد أنهم لو لم يضمنوا لاستأنفوا ولم يقرموا بحق المحافظة على ما تحت أيديهم من أموال الناس ، وقد صرح علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأن الأساس

باعتبارات مختلفة في مناهج تفكيرهم ، فإن المصالح الحقيقية التي اعتبرها الشرع مصالح ترجع - باتفاق العلماء - إلى خمسة أمور ، حفظ الدين ، وحفظ النفس ، وحفظ النسل ، وحفظ العقل ، وحفظ المال ، لأن هذه الأمور هي التي تقوم عليها حياة الناس في الدنيا ، ومن ثم كان الجهاد لحفظ الدين ، والقصاص لحفظ النفس وحده العاروب لحفظ العقل وحده الزاني لحفظ النسل ، وقطع يد السارق لحفظ المال ، فهذه مصالح ضرورية تتوقف عليها حياة الناس ويجب أن تصان بهذه الحدود التي بينها الله ورسوله .

وهناك إلى ذلك مصالح حاجية ، تطلب لرفع المنفعة ، ودفع الحرج كالمصالح التي تتراد من البيع والشراء ، والإجارة والاستئجار ، والشركة وما إلى ذلك من المعاملات المشروعة ، وهذه المصالح كذلك معتبرة شرعاً .

أما المصالح التحسينية وهي ما لا يدخل في النواهي السابقين . بل يكون من قبيل الآخذ بمحاسن العادات فإنها تدخل في مكارم الأخلاق وقد أقرها الإسلام وشرع لها من الأحكام ما يحققها ، كستر العورة ، وتحريم الخبائث من المظنومات وما إلى ذلك ؛ هذه هي المصالح التي اعتبرها الشرع ومن لها ما يناسبها من الأحكام .

أما المصالح المرسلة فهي المصالح الملائمة لمقاصد الإسلام ، ولا يشهد لها أصل خاص بالاعتبار أو الإلغاء ؛ بمعنى أنه لا يوجد لها نص في كتاب الله وسنة رسوله أو لم يستطع الباحثون أن يعثروا على نص منهما يستفاد منه أنها معتبرة مشروعة أو مغلغة باطلة ، وقد أقر الإمام مالك العمل بهذه المصالح وأكثر من العمل بها ، ولكنه اشترط

فيجب الأخذ بالمصلحة على أساس أنها أصل قائم بذاته ، وهو ليس خادجا على الأصول ، بل هو متلاق معها ، غير مناف لها .

الدليل الثالث : أنه إذا لم يؤخذ بالمصلحة في كل موضع تحققت فيه ، ما دامت من جنس المصالح الشرعية كان المستكلف في حرج وضيق ، وقد قال تعالى : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » ، وقال سبحانه : « يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر » ، وقالت عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إنه ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما » .

ومن المسائل التي أخذ فيها الإمام مالك بالمصلحة ما يلي :

(١) إجازة البيعة للفضول . لأن بطلانها يؤدي إلى ضرر وفساد واضطراب في الأمور وفوضى ، وفوضى ساعة يرتكب فيها من المظالم ما لا يرتكب في استبعاد سنين ، وقد أثر عنه أنه قال في هدم عهد عمر بن عبد العزيز بالخلافة من بعده لرجل صالح لها بدل يزيد بن عبد الملك : « لأنه كانت البيعة ليزيد ابن عبد الملك من بعده ، تخاف عمر إن ولي رجلا صالحا ألا يكون ليزيد بد من القيام ، فتقوم فتنة فيفسد ما يصلح » .

(ب) إذا خلا بيت المال ، وارتفعت حاجات الجند ، وليس فيه ما يكفيهم فلا إلام أن يوظف على الأغنياء ما يراه كافيا لهم في الحال ، إلى أن يظهر مال في بيت المال ، أو يكون فيه ما يكفي ، ثم إن له أن يجعل هذه الوظيفة في أوقات حصاد الغلات وحين الثمار ، لكيلا يؤدي تخصيص الأغنياء إلى لمباحش قلوبهم ، ووجه المصلحة أن الإمام العادل لو لم يفعل لضغفت شوكته ، وصارت الديار هرصة

في التضمين كان المصلحة ، وقال : لا يصلح للناس إلا ذاك .

(ج) وكان عمر بن الخطاب يشاطر الولاة الذين يتهمهم أموالهم ، لاختلاط أموالهم الخاصة بأموالهم التي استفادوها بسلطان الولاية ، لأنه رأى في ذلك صلاح الولاية ، ومنعهم من استغلال سلطان الولاية في جمع المال ، وجر المغانم من غير حل فالمصلحة العامة هي التي دفعته إلى ذلك ، ولم يكن فيها ظلم لأنه كان يتعرف أموالهم قبل الولاية ، وبعد الولاية يتعرف هذه الأموال ، فإذا لم يبدوا سببا معقولا سائغا فإنه كان يشاطرهم تلك المشاطرة العادلة في ذاتها الواقية من الظلم في المستقبل .

(د) ولقد أراق عمر رضى عنه اللبن المغشوش بالماء تأديبا للغشاشين ، وذلك من باب المصلحة ، لكيلا يفسدوا الناس من بعد .

(هـ) وقد قرر الصحابة قتل الجاهة بالواحد إذا اشتركوا في قتله ، لأن المصلحة تقتضي ذلك ووجهها أن القتل معصوم الدم ، وقد قتل حمدا ، فإهدار دمه داح إلى منع القصاص ، لأنه يمكن أن يذهب الدم هدرا بإشراك اثنين في قتله إذا قلنا إن الجماعة لا تقتل بالواحد ، فكل من يريد أن ينجو من القصاص يشرك غيره معه فيمتجوا ن معا ، ويذهب دم القتل ، فكانت المصلحة داعية إلى قتل الجاهة بالواحد ، وروى أن جماعة قتلوا واحدا بصنعا فقتلهم عمر رضى الله عنه ، وقال : لو اجتمع أهل صنعا عليه لقتلهم به .

الدليل الثاني أن المصلحة إذا كانت ملائمة لمقاصد الشارع ، ومن جنس ما أقره من مصالح فإن الأخذ بها يكون موافقا لمقاصده ، وإهمالها يكون إهمالا لمقاصده ، وإهمال مقاصد الشارع باطل في ذاته ،

وتحقيق المصلحة لمن يتولاهم ويرعى شؤونهم ، وهذا الباب يفتح الطريق لكثير من المشروعات التي تتفق مع مقاصد الشريعة ، وتعود بالخير والحياة الطيبة على المجتمع .

ولم أشأ أن أعرض وجهة نظر المخالفين في الاخذ بالمصلحة المرسله أصلا مستقلا ، لأن الخلاف يكاد يكون نظريا ، إذ أنهم في كثير من آرائهم يردون المصلحة إلى القياس ، ولا ينكرون الاخذ بالمصلحة بل يرون كل مصلحة معتبرة تدخل في نص أو عموم قياس ، لأن القول بعدم نص أو استحالة قياس يؤدي إلى توهم الفصوص في النصوص القرآنية والآحادث النبوية ، وهذا لا يتفق مع ما يجب أن نعتقه من أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بالتبليغ وبين الشريعة وقال عليه السلام : تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ...

ونخلص من ذلك كله بكثير من الوسائل التي يمكن أن تعالج بها المشكلات الاقتصادية علاجاً اشترائياً كما

١ - فالمصالح الضرورية ... والحاجية ، والتحسينية مصالح معتبرة يشهد لها الدليل من الكتاب والسنة ، وكل وسيلة مشروعة تؤدي إلى تحقيقها تعتبر وسيلة معتبرة .

٢ - والمصالح العامة عند من يأخذون بالمصلحة المرسله ، وعند من يردونها إلى قياس أو نص من مقاصد الشريعة ، وكل وسيلة تتلاءم مع مقاصد الشريعة تعتبر مشروعة .

٣ - أن كل أحكام الإسلام تهدف إلى تحقيق الصالح العام ...

عبد الرحيم فودة

للفتن أو استيلاء الطامعين فيها ، وقد يقول قائل : إنه بدل أن يفرض وظيفة يستقرض لبيت المال ، وقد أجاب عن ذلك الشاطبي فقال : الاستقراض في الأزمات إنما يكون حيث يرجى لبيت المال دخل ينتظر ، وأما إذا لم ينتظر شيء ، وضعفت وجوه الدخل بحيث لا يغني فلا بد من جريان حكم التوظيف .

(ج) أنه لو طبق الحرام الأرض أو ناحية من الأرض يمسر الانتقال منها ، وانصدت طرق المسكيب الطيبة ، ومست الحاجة إلى الزيادة من سد الرمي ، فإنه يسوخ لأحاد الناس إذا لم يستطعوا تغيير الحال ، وتعدر الانتقال إلى أرض تقام فيها الشريعة ويسهل المسكيب الحلال ، أن ينالوا كارهين من بعض هذه المسكيب الخبيثة دفعا للضرورة وسدا للحاجة ، إذ لو لم يتناولوا لكانوا في ضيق وأكبر مشقة ، فكانوا كالمضطر إذا غاف الموت إن لم يأكل من المحرم كالميتة والخنزير ، بل إن لم يأكل يتناولوا منها ما هو فوق الضرورة إلى موضع سد الحاجة ، إذ لو اقتصرنا على الضرورة لتعطلت المسكيب والأعمال ، ولاستمر الناس في مقاساة ذلك إلى أن يهلكوا ، وفي ذلك خراب الدنيا والدين .

ولكنهم لا يتجاوزون موضع الحاجة إلى الترفه والنعيم ، فإن ذلك يعد استمرارا للشر ، ولا يعد علاجاً لحال شاذة غريبة على شرعة الإسلام ، وهي غلبة الحرام على أحد بلدان المسلمين .

هذا القدر الذي ذكرناه في المصالح المرسله يكفي لإلقاء الضوء على ما يمكن أن يعمل به الأمر لرفع الحرج ، أو دفع الضرورة أو تيسير الخير

نفحات القرآن

أضواء القرآن تعشى أبصار المكذبين

للاستاذ عبد اللطيف السبكي

« وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ، ولكن تصديق الذي بين يديه ، وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ، ٣٧ - يونس »

واحدة بعد واحدة ... فكلما افتروا قرية يطفثون بها نور الله كانت محاولتهم طائشة ، ولا تزيد من نفثة ينفثونها بأفواههم ، ثم يحبطها الله عليهم ، ويتم نوره ، ولو كره الكافرون .

وهنا يقول الله سبحانه : « وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ، » .

يعنى : « هذا قرآن بلغ من السمو ، بلغ السكالات في صدق معانيه ، وكال هدايته ، وروعة أسلوبه ، وقوة تأثيره على القلوب الصافية ، والنفوس الحرة . وكتاب هذا شأنه لا يكون صادراً من عند غير الله ، ولا يمكن أن تتعلق به قدرة غير قدرته التي خضعت لها السموات ، والأرض ، وما فيهما من السكائنات جميعاً . »

وإذا كانت للقرآن هذه السكالات التي لا يدن بها الظالمون لأنفسهم من قریش ، فهناك كالات أخرى بجانب ما سلف : وهي أنه مصدق للكتب السابقة فيما جاءت به من أمارات الحق ، وعرفت للأمم الأخرى ، وآمنت بها من قبل .

فالقرآن هلى وفاق معها فى الدهوة إلى التوحيد ،

أما القرآن : فهو نور من عند الله - لا شك - ... ولكن هل النور يكون هادياً لجميع الأبصار ، وكاشفاً لها عن كل ما يصادفها ؟؟

إنما يهتدى بالنور ذو العين المفتوحة ، وذو البصر السليم .

أما من أغض عينه ، أو كانت عينه رمداً فهو محروم من الضوء ... وربما أبغضه ، واستراح إلى الظلام ، وآثر أن يعيش فيه .

ونحن نرى فى كل مقام من مقامات القرآن حينما يتحدث عن الكافرين به ، أو العاصين له دعوته أنه يوقد فى طريقهم المصابيح ليهتدوا ، ويحذروهم من العقبات لئلا يتعدوا ... ومع هذا لا يفتحون أعينهم ، ولا يقبضون من الضوء ، ولو بنسبة ضئيلة الشموع ، ولا يبالون بالعقبات على متن الطريق .

وكانت مقالاتهم التي يجازفون بها دائماً : أن القرآن ليس من عند الله ، وإنما يقره علينا محمد من عنده ، وأنهم لو تأكدوا أن حقيقته من عند الله لكانوا أهدى من الأمم التي آمنت بكتبها من قبل . والله تعالى يرد عليهم تلك الأباطيل ، والجزافات

نعم : يختلف الكتاب الكريم عن الكتب السابقة فيما ورد به من تشريعات ورسوم للعبادة كهيئة الصلاة والصوم والحج ونحو ذلك من نماذج العبادة في شكلها حسبما يلزم كل جيل في زمنه .
وأما أصول العقيدة والأخلاق والأحكام العامة فلا اختلاف فيها ، وهذا كلام مفروغ منه .

وكل ما تهدف إليه أن كتب الله غير متناقضة كما يحاول المفترون على الله أن يصوروا ذلك التناقض ، والله عز شأنه موزع من التناقض بما أنزل على رسوله . ثم تنتقل بنا الآيات إلى مقام آخر ، وهو : مطالبة الكفار بسورة مثله : « قل فأتوا بسورة مثله » ، وقد أفنوا حياتهم فلم يستطيعوا ، فكان عجزهم أماره لدى الملائكة على كذبهم ، وعلى حقيقة القرآن واعتلائه على العقلية مهما بلغت من النضوج .

وكان هذا العجز سارياً مع الأجيال ، حتى يومنا هذا .

وتلك معجزة باقية على الدهر كله ، والتحدى بها قائم . ومع أن التحدى ورد في كثير من آيات أخرى ففي هذه المرة يطالبهم بسورة ، ولو قصيرة ، ويفصح لهم المجال ليستعينوا بمن يستطيعون من أنس وجن وسواهما وسيظل هذا التحدى موجهاً إلى البشرية بل إلى الجن كذلك : « قل إن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً - معيناً » .

وكل زائع عن الحق سيظل مغلوباً على رشده ، ويمارى كثيراً لتبرير عناده بمحاولات كسبية ، لا تنتقل به خطوة من ضلاله ، وكلما عاوده المزممة واح يجر أذياله غير عابئ بحق ، ولا خزيان من باطل ... والعاقبة للمتقين ؟

عبد المظيف العيسى

وأصول الأخلاق ، والآداب ، وما يتعلق بصالح البشرية .

وكذلك ما عرف من تلك الكتب عند أربابها بصديق القرآن فيما جاء به من الحق الذي همودوه في كتبهم ، ولم يتناوله تغيير ولا تبدل فالتصديق حاصل من الجانبين ،

ويقين ذلك للباحث من جديد فيما احتوته كتب الله .

ويتبين كذلك أن القرآن مع مصادقته للكتب السابقة جاء مكملاً لما ينقصها ، وأوفى منها بما كان مدخراً عند الله من أمور التثريب .

أما التوافق بين الكتب فهو الواقع ، ولولا تحريف أصاب التوراة والإنجيل ، لما وجدت فيها شيئاً بعيداً عن القرآن .

وأما زيادات القرآن على ما جاء فيها فأمر تقتضيه طبيعة التطور العقلي في حياة البشرية ، فليس مستغنياً أن يكون مستوى التشريع في عصور الأمم السابقة هو نفس المستوى في عصور الأمم الحديثة .

لذلك جعل الله القرآن حافلاً بكل ما تصلح به البشرية في دنياها ، ودينها منذ استقر تطور البشرية على جانب أقوم وأرقى مما كانت في أزمنة البدائية المتغلغلة في السذاجة .

ثم جعل الله القرآن مفتوحاً لكل ما تحتاجه الإنسانية إلى نهاية دنياها .

ولم تعد الدنيا بحاجة إلى رسول غير محمد ، ولا إلى كتاب غير القرآن : « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ... وينذر الذين قالوا : اتخذنا الله ولداً ما لهم به من علم . ولا آياتهم » كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، لمن يقولون إلا كذبا .

البعث.... والجزاء

للاستاذ عبد الجليل شلبي

انتشار الفيثاغورية بالدورة وتجدد العالم بعد فناءه
وليس فيثاغورس أول قائل بهذه الفكرة ولكنه
أول من هيا لها انتشارا واسعا .

ومن المجمع عليه بين المؤرخين أن أول ديانته
وثنية عرفت البعث بعد الموت والحساب على
الأعمال في هذه الحياة هي الديانة المصرية القديمة ،
والآثار المصرية والأهرامات ومقابر الملوك
وما بها من نقوش ورسوم وكتابات كلها كانت
بسبب هذه العقيدة وكتاب الموتى يذكر تفاصيل
هذا الحساب وطريقة المحاكمة على الآثام ، ومن
المصريين نقلت الديانات الأخرى هذه العقيدة
أخذها عنهم الفرس وعمل المذهب الزرادشتي على
نقلها إلى جهات أخرى ، وكان من الطبيعي أن
تنقل إلى أرض السكمانيين وأن يعرفها الفينيقيون
والفلسطينيون لوقوع هذا الجزء الآسيوي بين مصر
وبلاد فارس ولتعرضه لغزو كلتا الدولتين
وقوعه تحت حكمها ولوجود الصلة القوية بينه وبين
مصر وقد حدث كل ذلك قبل نزول الإسرائيليين
بهذا الإقليم . وهناك ديانات أخرى نقلت هذه
العقيدة بطريق غير مباشر ، ولعله مما يرجح النقل
عن الديانة المصرية لاهن ديانة سموية أن هذا
الحساب الأخرى تدور فيه الصورة الوثنية وتعدده
الآلهة ، ثم إن المحاكمة الزرادشتية واضحة الشبه
بالمحاكمة المصرية .

أما الأديان السموية فلا تتفق ثلاثتها على

الإيمان بالبعث والجزاء على الأعمال في الدار
الآخرة من أهم مقومات السلوك البشري ومن أعظم
الأسباب في راحة النفس وهونها على احتمال الشدائد
في هذه الحياة فالناس يردون أنفسهم عن ارتكاب
الشرور خوفا من العقوبة في الدار الآخرة ،
ويردونها أيضا عن الانتقام والغلو فيه ويحتملون الظلم
من هو أقوى منهم ثقة بعدالة السماء وأطمئنانا
إلى استرداد حقوقهم يوم يقوم الناس لرب العالمين ،
ولولا هذه العقيدة لاستشرى الفساد بين الناس
وتفاقت الشرور .

ومعظم الأديان ، إن لم تسكن جميعها ، قامت على
الإيمان بالجزاء حتى ولو لم تؤمن بالبعث والحياة
الأخرى ولكنها تختلف في تصوير هذا الجزاء
وتفسير قواعده اختلافا كبيرا ، والأديان البدائية
والوثنيات كانت تعتقد أن عيون الآلهة ترقب الناس
وأنها تلاحق باللعنة من يخرج على تعاليم الدين ،
وكانوا لذلك يعزون كل مسكره بئالهم إلى غضب
الآلهة لما ارتكبوا من الذنوب ، فكاوا يسترضونها
بالقرايين ويتعلقون كهنتها بالهدايا رجاء أن
يسترضوها ، وبذلك تحمي ذنوبهم ، وكانوا يعزون
كل مسكره بئالهم في الدنيا إلى ذنب ارتكبوه ،
ولم يفكر معظم الوثنيات القديمة في الحياة
ولاف البعث بعد الموت ، واختلفت نظرتها
إلى نهاية العالم فظن الكثيرون من أتباعها أن حياة
الناس مستمرة وقال آخرون ، وخصوصا بعد

الغرل يدخلونها ومن كان مذنباً من المختونين أضيف له غرة ، وتسمى الهاوية أحياناً شبول ، ولم تكن جهنم معروفة لديهم وما ورد في العهد القديم من اسم جهنم فهو مستجد وفي أصله شبول أو الهاوية .
وأثر العصبية اليهودية واضح في هذه الصورة الأخيرة .

وهناك صورة مبهمة للحياة الأخرى تفيد أن بني إسرائيل وحدهم هم الذين يحيون للسيادة والملك وبعض الأمم الأخرى يحيون ليسكونوا عمالاً لهم وخداماً تحت أيديهم .

وكان اليهود أول أسرهم يعتقدون أن الحياة الثانية هي حياتهم بعد مجيء المسيح المنتظر ، ويفهمون المثوبة على أنها إعادة مملكته في أورشليم ، وظلوا فترة طويلة يفهمون أن الثواب هو نصرهم على الأعداء وخصوصاً الفلسطينيين وقد فسرت التوراة مرات كثيرة نصر الفلسطينيين عليهم بأنه عقوبة لهم من الله على ردتهم وعبادتهم آلهة الأمم الأخرى .

وفي فترة السبي البابلي استفاد اليهود من الجالبية والفارسية وكلاهما استفاد من المصرية من قبل ، وقد ظهر على اليهودية منذ ذلك الحين تغير واسع المدى وبرزت فيها فكرة البعث والجزاء والحياة الآخرة ، ويقول بريست : إن لديه من الأدلة الوافرة على أن التطور الديني الذي بدا على العبرانيين بعد مفاهيمهم كان متأثراً بتعاليم زرادشت وأن هذا النبي المبدى يجب أن يضاف إلى المؤثرات الدولية في حلقات التطور العبراني .

ولا ينبغي أن يحول بخواطرننا أن الإسرائيليين فهموا الحياة الآخرة والجزاء على النحو الذي يفهمه المسلمون أو حتى الذي يفهمه الماهريون - فهذا الشعب الإسرائيلي كما وصفته التوراة صلب الرقبة بطل .

أمر واحد في أمر الحساب والبعث وإنما تختلف الصور فيها بينها اختلافاً واسعاً . ولست بحاجة إلى ذكر ما نصت عليه العقيدة الإسلامية في هذين الأمرين ، ولكن نشير إلى أن الإسلام يفصل بين نهاية هذا العالم وبين البعث من القبور ويوم القيامة والحساب كما يذكر القرآن أنه في هذا اليوم لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يؤخذ منها عدل ولا تنفعها شفاعات ، وأيضاً لا فرق بين أمة وأمة وطائفة وأخرى وفي الحديث لا تأتيني الناس بأعمالهم وتأوتوني بأحسابكم اعمل يا فاطمة فاني لا أغني عنك من الله شيئاً ، ويتضح من هذا سمو الله جل جلاله وعدله وتفرد وحده بالالوهية والجزاء .

والإسلام يركز الجزاء على الحياة الأخرى لأن الدار الآخرة هي الحيوان ، وقد أصيب الناس بما كسبت أيديهم مصارع السوء وقد تنال المحسنين كرامة الله ولكن ذلك كله لا يفنى عن ثواب الآخرة وعقابها .
وأما اليهودية . كما قصورها التوراة - فإنها تخلو من ذكر البعث والحساب هدا سفرين من أسفار الانبياء المتأخرين ، وكانت التوراة تذكر الهاوية وهي اسم لم تحدد معناه تماماً ، وهي أيضاً موجودة في ديانات سابقة على اليهودية وأخرى كانت معاصرة لها والهاوية أحياناً مكان تحت الأرض يعيش الأموات في ظلماته ويعود إلى الحياة منهم من يستحق العودة ويبقى فيه من لا يستحق ويبدو أن الفكرة تحوير لما نادى به فيثاغورس من تناسخ ، وأحياناً أخرى تصور الهاوية بمكان مظلم يعيش فيه المذنبون بينما يوجد مكان آخر للعالمين وليس هناك ما يدل على أن ذلك يكون بعد البعث ، وجاء في التوراة أيضاً أنهم صير الموتى جميعاً ومنزلها لا يصعد رجاء أخيراً أن إبراهيم يقف ببابها يذود عنها كل محثون ، ويدع

فرحون ببقائهم دون الآخرين والنزعة المعنوية ما زالت بادية به والحديث عن الشعب الإسرائيلي وإلى إسرائيل خاصة .

ويصف الإصحاح الخامس والعشرون جزاء الصالحين فيقول : د ويمنع رب الجنود لجميع الشعوب في هذا الجيل وليمة سمان وليلة خمر هلل دردى ويقال في هذا اليوم : هوذا الهنا انتظرناه نخلصنا . ويداس مؤاب في مكانه كما يداس التنين المذبذبة ، فنجد من هذا كله أن اليوم الموعود هو اليوم الذي تنتظره إسرائيل لا تتصارعها على مؤاب وهذا يعود بنا هذا السفر إلى عقيدة إسرائيل وارتقابها عودة أورشليم .

والصورة المسادية في تصوير النعم بوليمة سمان وخمر هي خيال إسرائيل عما كانوا يتحدثون به عن نعيم التيه .

وفي الإصحاح الخامس والعشرين يقول : في ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسي العظيم لوبانان الحية الهاربة ... المتحوية ويقتل التنين في البحر .

فضلا عن الصورة المسادية للرب وأنه يقتل بسيفه الجبار الحديد ترى سمات الأخذ من الباطنية في حديث التنين والحديث لا يفصل بين نهاية العالم ويوم القيامة والحياة الآخرة ، ولا يمكن أن يقال : إن فكرة الجزء والبعث في هذا السفر عما بقي منذ عهد موسى لأن هذا الحديث انقطع طوال هذه المدة ولم يظهر إلا بعد السبي البابلي وظهر بصورة وثنية لا ترضاها رسالة موسى السموية .

وبقيت صورة أخرى من هذا الموضوع في سفر دانيال أوثر أن استبقيا مع الحديث عن الحساب في المسيحية لحديث آخر ؟

عبد الجليل سلمي

التطور يأخذ من الأمم ولكن تبقى معه مصيبتها العنصرية ولهذا لا يتصور جزاء عادلا ولا نعيما لغير بني إسرائيل .

والسفران اللذان يبديان هذا التطور من التوراة هما سفر أشعيا وسفر دانيال ، وقد عاش دانيال أواخر القرن الثامن ق م بوجه التقريب لكن سفره لم يجمع في عهده وإنما تم جمعه في القرن الثالث ق م ، وليس السفر من تأليفه وحده وإنما شارك فيه أشخاص عديدون في زمن متباعد وأضيف إليه أشعيا الثاني وأحيانا يقسم هذا إلى قسمين يسمى ثانيهما أشعيا الثالث وقد دعا لهذا التقسيم تبين الأسلوب ولكن مع هذا لا يجمع وحدة الأسلوب أي كتاب من الثلاثة وحقا أن ذكر الكتاب نهاية العالم وحسابهم بعدالة ودون تفرقة يعتبر مفاعاة في الإسرائيلية ولكن الكتاب يذكر ذلك على أنه نبوة ويعزو نهاية العالم إلى فساد الناس ولا تزال الصورة الوثنية بادية فيه بوضوح ، جاء في الإصحاح الرابع والعشرين من هذه النبوة . هوذا الرب يخل الأرض ويفرغها ويقلب وجهها ويبدد سكانها ، وكما يكون الشعب هكذا السكان . كما العبد هكذا سيده ... لأن الرب قد قد تكلم بهذا القول ... والأرض تدنس تحت سكانها لأنهم تسدوا الشرائع لذلك لعنة أكلت الأرض وعوقب الساكنون فيها لذلك احترق سكان الأرض وبقي أناس قلائل ... وملوك الأرض يجمعون جمعا كأسارى في سجن ويغلق عليهم في حبس .

لذلك في المشارق يحدوا الرب - إله إسرائيل ، الخ والحديث ، كما قلنا ، نبوة ولا تبدو فيه صفة نهاية العالم أو يوم القيامة فما زال هناك ناس أحياء ، وم

الأسرة بين الشريعة الإسلامية والميثاق

للمستاذ محمد إبراهيم عبد الرحمن

على العمى ، لأنها احترزت على معرفة نسبها ، وتمسكت بميتين حسبها ، وهرفت جماعير قومها وشعوبها ، واتحدت برهطها ، وفصائلها وعشائرها ومالك إلى أخفاذاها وبطونها ، ونفت الهدى فيها .

لهذا لا نهج إذا ظل العرب قبل الإسلام ، قبائل مختلفة ، وبطونا متعادية ، قلما تسود بينهم روح المودة ، أو تهدأ في نفوسهم نوازع العصبية ، أو يتحاكون إلى سلطان العقل ، وصوت الضمير فيما يشجر بينهم من خلاف .

أثر الإسلام في الأسرة العربية :

فلما جاءت الشريعة الإسلامية بمبادئها ، وتعاليمها أقرت هذه المعرفة الأنساب ولم ترو في الانتماء إلى الأمر ، والقبائل ، والشعوب ضيراً ، ما دام ذلك لا يؤدي إلى التفاخر والمبالاة ، أو البطش بالضعاف ، واستعباد الفقراء ، ثم بينت الحكمة من هذا الاعتراف بالنسب ، وأنه للتعارف والنألف والتواد والترحم . يأبى الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى . وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وقال عليه السلام : كلكم لآدم وآدم من تراب ، . ليس لعربي على عجمي ولا لقرشي على باهلي فضل إلا بالتقوى .

وكان عرب الجاهلية يتوسعون في معنى الأسرة ، ولا يقصرونها على الأقارب الذكور (العصبية) بل كانوا يدخلون في عدادها : الموالى ، والأدهياء وكان الجميع من وجهة النظر الدينية يؤلفون ما يشبه الشخص الواحد ، حتى إن ثروة الأسرة كانت ملكاً

مقدمة : الأسرة في أبسط صورها مجموعة الأفراد التي تضم الزوجين ، وأولادهما . وهذه الصورة هي الطبقة العاشرة والأخيرة في سلسلة الأنساب المعروفة عند العرب ، والتي كانوا يطلقون على الطبقة الأولى منها لفظة (الجذم) أى الأصل . وقد تطور مدلول الأسرة على مر العصور ، وتغير مفهومها حسب الأماكن ، حتى أصبح هذا المفهوم في الريف غيره في المدن ؛ ففي الريف يتسع بحيث يشمل أقارب الزوج وعصبته ، وفي المدن يضيق حتى يقتصر على الزوجين وأولادهما .

عوامل اهتمام العرب بالأسرة :

وقد عنى العرب بأنسابهم وأسرم بصورة لم تألفها هند غيرهم من الشعوب ، وقد دعاهم إلى الاعتزاز بالأنساب ، وحفظهم لها ، وتهذيبهم لها ، طبيعة الحياة في شبه الجزيرة العربية ، وما كانوا يقاسون في سبيل الحصول على الرزق المحدود والكلال القليل ، والمساء النادر ، واضطراهم إلى التجمع ، والتسابق إلى هذه المواد التي لا تسكد تنفي محاجتهم جميعاً . ثم ما يصعب ذلك - عادة - من الملاحة ، والغشاك بالأيدي ، أو التماسق بالحجارة أو التقاتل بالحرايب .

فإذا أضفنا إلى ذلك ما فطر عليه العربي من حمية النفس ، وسورة العاطفة ، وانفداع إلى الشر ، وقلة مبالاة بالعاقبة - هرفنا إلى أى مدى حرص العرب على أنسابهم ووجد لديهم علماء متخصصون كآبى البركات الجوراني وفي ذلك يقول صاحب نهاية الأرب : ومعرفة أنساب العرب وما اقتخر به العرب

المتصلة بالأسرة هو أن الإسلام ينظر إلى الأسرة نظرتين متكاملتين الأولى باعتبارها وحدة قائمة بذاتها ، لها كيان مستقل ولها مصالحها الخاصة القريبة . والثانية بحسبانها خلية حية في كيان الأمة السكينة ، ولبنية في بناء المجتمع ، عليها مسئوليات وواجبات نظير ما تحصل عليه من مكاسب ومصالح ، وما يدرأ عنها من أضرار وأخطار .

الأسس التي قامت عليها الأسرة :

يذهب علماء الاجتماع إلى أن الأسرة تقوم على مجموعة من القواعد تواضع عليها المجتمع كاتحاد أفرادها إلى توتّم واحد ، يتخذونه رمزاً لهم وهذا التوتّم قد يكون نوعاً من الحيوان أو النبات ، وليس من هذه القواعد صلات الدم والفراش .

أما الشريعة الإسلامية فتراجع هذه الأسس إلى الترابط بالزواج والمصاهرة ، والمتافع والمصالح التي تؤلف بين أفرادها .

على أن بعض هذه الأسس ثابت ، وبعضها مؤقت ؛ فمن النزع الأول صلات البنوة والأبوة ، ومن النوع المؤقت . الموالاة .

وقد ترتب على هذه الأسس قوة علاقة الفرد بأسرته ، أو ضعف هذه العلاقة ، وما يقبض ذلك من قلة حماية الأسرة له ، ومشاركته إياه فيما ينوبه من محن ، وما يلتزم به من غرامات . بل أكثر من هذا اعتبرت الشريعة الإسلامية صلة الدين أقوى من أى صلة ولو كانت صلات القرابة القريبة ، وإنما المؤمنون لإخوة ، وقال عليه السلام : « ترى المؤمنين في توادهم ، وتعاطفهم ، وتراحهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداهى له سائر الجسد بالسهر والحنى » ، « المؤمن للؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » .

مشاعاً لجميع أفرادها ، أو بعبارة أدق : ملصكاً لشخصها المعنوى ، الأمر الذي كان يجعلهم يؤخذون بجميرية أى فرد منهم .

ولكن الإسلام غير من نظام عرب الجاهلية في تحديد معنى الأسرة ، وألغى آثاره فيما يتعلق بالفصاح إذ قرر : « أن النفس بالنفس » ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص ، كما أبقي على القواعد والنظم التي تؤكد تضامن الأسرة ، وتكافؤها في دعم كيانها كما هو الحال في نظم الدية ، ومولى العتيق ، ومولى الموالاة .

والأدلة القرآنية ، والأحاديث النبوية في هذا المقام كثيرة ، وهي في مجموعها تهدف إلى ترابط الأسرة ، ووحدة كيانها في مضمون اجتهاى قوى لتصبح خلية حية متفاعلة في جسم الأسرة السكينة التي تشمل الأمة الإسلامية في مختلف أقطارها ، وتباين لغاتها ، وألوانها : « المؤمنون متكافؤ دماؤهم يسمى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » ، مولى القوم منهم الولد للفراش وللماهر الحجر . وقال تعالى : « ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آبائهم فأخوانكم في الدين ومواليكم » ، وقال : « إنما المؤمنون إخوة » ، وقال : « والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهود إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين . والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين . ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين . والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين » .

والذي يؤخذ من النصوص الدينية الكثيرة

ما تقوم به الأسرة الآن :

والحق أن الدين الإسلامي قد أوفى الأسرة حقها من التقدير والرعاية سواء كانت بمعناها الضيق أو بمدلولها الواسع ، نظراً لوظيفتها الخطيرة في المجتمع ؛ فهي التي تغرس في نفوس الأبناء حب المعتقدات ، والقيام بالتكاليف الشرعية ، وهي التي تتقدم منذ نعومة أظفارهم بتربيتهم وجدانياً ، وخلقياً ، ولغوياً ، وثقافياً ، كما توحى إليهم بحب الوطن ، وتنشئ لديهم الاتجاهات الأولى للحياة الاجتماعية المنظمة . هذا من وجهة النظر إلى معنى الأسرة في صورتها الضيقة القائمة على الزوجين وأولادهما ، وأقاربهما ، والتي توجب على كل فرد فيها واجبات معينة قبل سائر الأھضاء نظير ما ينتفع به من ميزات .

بل نجد الإسلام يوجب نفقة القريب المحتاج هل قوبله القادر على الإنفاق ، وذلك لضمان التكافل العائلي بين أبناء الأسرة ، وتجاههم جميعاً في السراء والضراء ، والمساعدة والشقاء ، في الحاضر والمستقبل . وليس أدل على ذلك من تلك الوصايا الكثيرة التي احتواها القرآن الكريم ، والحديث النبوي الصحيح ، وأفعال الصحابة والراشدين من أبناء الأمة الإسلامية . فالقرآن يقول : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحساناً ، وبذي القربى واليتامى ، والمساكين ، والجار ذي القربى والجار الجنب ، وبقول : « يسألونك ماذا ينفقون ؟ قل : ما أنفقتم من خير فلولو الدين والاقربين ، واليتامى والمساكين ، ويقول : « إن الله يأمر بالعدل ، والإحسان ، وإيتاء ذى القربى ، ويقول عليه السلام : من كان هنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان هنده فضل مال فليعد به على من لا مال له ... » .

فإذا كانت هذه النصوص - وغيرها كثير - توجب على المسلم رعاية أخيه في الإسلام وشريكه في العقيدة ، وتلزمه بمد يد المعونة إليه عند احتياجه ... أفلا يكون بر الأقارب الأدين ، ومعاوهم ، ومشاركتهم وجدانياً عملاً واجباً ، وقياساً لازماً ؟ ؟ .

الميثاق والأسرة :

وقد تناول (ميثاق العمل الوطني) موضوع الأسرة من وجهة النظر الاجتماعية والوطنية في الباب السابع يقول (إن الأسرة هي الخلية الأولى للمجتمع ، ولا بد أن تتوافر لها كل أسباب الحماية التي تمكنها من أن تكون حافظة للتقاليد الوطني ، وتجدة لتسيجه ، متحركة بالمجتمع كله ، ومعه إلى غايات النضال الوطني) .

كما تناول (الطفل والمرأة) وخصهما بمزيد من العناية (فالطفولة صانعة المستقبل ، ومن واجب الأجيال أن توفر لها كل ما يمكنها من تحمل مسؤولية القيادة والنجاح) ، (والمرأة لا بد أن تتسارى بالرجل ، ولا بد أن تسقط بقايا الأغلال التي تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع أن تشارك بعمق وإيجابية في صنع الحياة) .

والمتمثل في هذه النصوص لا يكاد يرى فيها خروجاً على ما دعا إليه الدين في جوهره ، غير أن نظرة الميثاق إلى الأسرة هي نظرة الإعداد الاجتماعي الخاص ليؤدي كل فرد فيها دوره في خدمة الوطن وقت السلم ، وعند الكفاح المسلح . .

وهذا لا يتيسر إلا عن طريق التربية الدينية ، والوطنية ، والاجتماعية ، وتهيئة البيئة الصالحة ليتنفس فيها الطفل تنفساً سليماً ، ولا يلدس إلا نواحي الخير والفضيلة .

محمد إبراهيم عبد الرحمن

دراسات حول القرآن الكريم

للأستاذ محمد محمد الشرقاوى

ترتيب سور القرآن وآياته :

الترتيب الذى استقرت عليه سور القرآن الكريم كما نراها بين أيدينا فى المصاحف المتداولة . مبتدئة بسورة الفاتحة ، ثم البقرة ، ثم آل عمران . . . فالنساء . . إلخ لم يكن من عمل الجامعين للقرآن أو النسخين له . . ولا كان ثمرة اجتهاد فردى ، أو توافق جماعى . . وإنما هو صورة تشرىعية مستمدة من صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم . . بطريق السماع منه ، والتلقى عنه . . فهى والحالة هذه - ليست مجالاً للفكر والنظر . بعد أن حسم أمرها التوقيف والآثر .

ومثل هذا الكلام يقال بالنسبة إلى آيات القرآن الكريم . . فهى فى تسلسلها المشاهد ، وتنسيقها المتلو ، صورة منقولة فى دقة وإحكام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . الذى نقلها بدوره عن جبريل أمين الوحي عليه السلام . ذلك الذى صدع بها عن رب العزة جل وعلا .

وما قررناه بالنسبة لترتيب سور القرآن ، وتفسير آيات تلك السور - نقرره أيضاً لأسماء السور التى وضعت للدلالة عليها . . سواء اتخذت هذه الأسماء صفة الفردية لسورها ، أو التعدد .

وكذلك كان الشأن فيما يختص بتحديد نقطة البدء والختام لكل آية هل حدة - صغرت أم كبرت - ومعرفة أقدارها وفواصلها .

فكل ما تقدم من ترتيب للسور أو تسميتها ، أو تعاقب الآيات ، أو تحديدها . . لم يكن عملاً لاجتهاد الصحابة رضوان الله عليهم . . بمعنى أنه لم يكن فيه لهم عمل حاسم . . وهذا لا يبنى أنه ظهرت لهم فى أول الأمر محاولات فى تفسير السور اتسمت بطابع الجهد الفردى . . ولكن لم يكتب لها البقاء . .

وقد ظهر ذلك جلياً بعد أن لحق الرسول عليه الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى فى السنة العاشرة للهجرة وهى نفس السنة التى عرض فيها القرآن الكريم مع جبريل بمحضر من زيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما . . فقد نشط جماعة من الصحابة إلى المبادرة بجمع القرآن الذى لم تمكن ظروف كتابته ، وأحوال تسجيله فى حياة الرسول - كافية لتأمين نصوصه وحمايتها من الدس أو التفتيش والتزيد ، وشمر كل من أنس من نفسه المقدرة - عن ساعد الجد . . لجمع ما تفرق من القرآن فى مصحف . . وكان لكل جامع طريقته الخاصة فى الترتيب والتنسيق . ومن هنا ظهرت نماذج عدة للمصنف منها مصحف على بن أبى طالب رضى الله عنه الذى بدأ بسورة العلق ثم المدثر ثم نون ثم الزمل ثم تبت ثم التكوثر . إلخ وقد ربط هذا المصنف بين السبق التاريخى للقرآن وبين التصنيف الجديد للمصنف ، وكان من الطبعى تبعاً لذلك أن يتقدم فى مصحف (على) الوحي المسكى ككل . . على الوحي المدنى ككل بعد مراعاة التنسيق فى كل منهما على حدة .

الريقة (والاكتاف) عظام البعير العريضة)
والسعف والرقاع ، والاضلاع وقطع الاديم وأفواه
الرجال ، وكان زيد بن ثابت لا يقبل قرآنا من رجل
إلا إذا شهد به شاهد معه .

ولم يستثن زيد أحداً من هذه القاعدة إلا
أبا خزيمة بن ثابت الانصارى لأن الرسول
صلى الله عليه وسلم جعل شهادته بشهادة رجلين ،
وأخذ عنه آخر سورة براءة ، والآية الكريمة :
« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ...
إلى تبديلا » .

وجمع زيد كل ما توصل إليه من تلك المصادر
ونسخه في صحف من جلد وجريد نخل .. ثم حفظت
هذه الصحف التي لم تحمل اسم المصحف - عند
أبي بكر أولاً .. فلما مات حفظت عند عمر ..
فلما قضى .. حفظت عند أم المؤمنين حفصة
رضي الله عنها .. وإلى هنا برز إلى حيز الوجود
ما سمي في التاريخ « جمع القرآن » ، تألفت المسلمون
حول ما جمع من مصاحف . وكان أبرزها تلك
الصحف والمصاحف الخمسة لعل وابن مسعود
والمقداد وأبي وأبي موسى الأشعري .

يبدو أن هذه المصاحف والصحف .. حلت
في تضاهيفها ظاهرة .. لم يكن من الميسور التفاضل
هنا بعد أن لاحظت نذر الخطر منها على الإسلام
والمسلمين .

فقد بدا فيها اختلاف شاسع بين الأحرف التي
كتبت بها ... إذ تعددت لغاتها .. وإن لم تتناقض
معانيها ، وتعددت تبعاً لذلك أتباع كل لغة وأشياعها ..
فكان في سورتي مصحف أبي بن كعب بأحرفه ،
وفي الكوفة مصحف عبد الله بن مسعود بلفظه
الخاصة .. ولأهل البصرة مصحف أبي موسى

وفي جانب آخر من عمل الصحابة ظهر مصحف
عبد الله بن مسعود يحمل في طياته تنظيماً مخالفاً ..
إذ بدأ بالفاتحة ثم البقرة ثم النساء ثم آل عمران ..
وهكذا على اختلاف شديد .

كما كان هناك في نفس الوقت مصحف أبي بن كعب
الذي اتسم بطابع جديد في التنظيم حيث بدأ
بالفاتحة ثم النساء ثم آل عمران ثم الانعام
ثم الأعراف ثم المائدة .. إلخ على اختلاف شديد
كذلك ..

وهكذا اعتمد في رأى كل جامع توثيق خاص
لسور القرآن الكريم حسب ما هداه إياه رأيه
الخاص ، وتفكيره المستقل ، ووفق ما رأى وسمع ..
وكان هناك إلى جانب هذه المصاحف الثلاثة
مصحف المقداد بن الأسود ، ومصحف أبي موسى
الأشعري وهذه المصاحف الخمسة هي أشهر ما عرف
في ذلك الحين وإن كان معها مصاحف أخرى ..

وفي نفس الحال بدأ الخليفة الأول أبو بكر
رضي الله عنه حركة جمع جديدة للقرآن الكريم ..
بانتراح من عمر ، ومعاونة من زيد بن ثابت ..
في أواخر السنة الحادية عشرة للهجرة وأوائل
الثانية عشرة استدعى أبو بكر زيداً بحضور عمر ..
عقب موقعة اليمامة .. فقال أبو بكر لزيد : إن عمر
أمانى فقال : إن القتل قد استمر بقراء القرآن ،
ولم أخش أن يستمر القتل بالقراء في المواطن ..
فينذهب كثير من القرآن ، وإنى أرى أن تأمر
بجمع القرآن ، وكانت مهمة جمع القرآن التي كلف
بها زيد ، وأخذها على عاتقه - أثقل عليه من نقل
جبل من مكانه لو كلف بقله على حد تعبيره - لأن
زيداً أخذ يقتبص القرآن شيئاً فشيئاً فيما تناثر
من العشب (جريد النخل) واللخاف (الحجارة

في مصحف . وثانيهما نسخ المصحف من تلك الصحف ومن غيرها . . وكان نسخ زيد في المرة الثانية للمصحف معتمداً على مصدرين : المصحف التي سبق له جمعها ، وما صح ثبوته مما لم ينسخ ولو لم يوجد بتلك الصحف . . إذ أن الصحف التي جمعها أول مرة لم تستوعب كل آيات القرآن ، ولذا لم تأخذ اسم المصحف وبقيت في واقع أمرها مصحفاً لا مصحفاً .

وكان زيد بن ثابت رأس لجنة النسخ - التي تكونت منه ومن عبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وكلهم من القرشيين وقد وضع لهم عثمان مبدأ عاماً يحتكمون إليه إذا اختلفوا فقال لهم : « إذا اختلفتم في شيء فاكثبوه بلغة قريش فإنه إنما نزل بلسانهم » .

ولم ينكر الصحابة عملية النسخ هذه التي توحدت بها المصاحف إلا عبد الله بن مسعود فإنه عارض في ذلك . . ولكن انتصر الرأي الأول . . واقعد آثار العجب اختيار زيد بن ثابت لنسخ القرآن دون عبد الله بن مسعود مع أنه حضر العرضة الأخيرة للقرآن كما حضرها زيد وكانت قراءة ابن مسعود تسمى في حرف الصحابة : « الأخيرة » ، ولكن إذا عرفنا أن عملية النسخ ارتكزت أساساً على صحف حفصة رضى الله عنها وأن هذه الصحف كانت في الأصل من عمل زيد . أدركنا أن زيداً أقدر من غيره على استنساخها من جديد ولعل هذا هو السر في اختيار زيد بن ثابت لنسخ القرآن دون غيره .

وبنسخ القرآن في مصحف واحد في حرفه وفي لغته وفي رسمه وصورة ألفاظه توارى شبح الفتنة الرهيبة من أفق الحياة الإسلامية ولا سيما

الأشعرى بميزاته . . ولأهل حمص مصحف المقداد ابن الأسود بخصائصه . . وحينما غزا المسلمون أرمينية وأذربيجان ذر في أفق المسلمين قرن الفتنة بمصعب كل إقليم للغة قرآنه ، وحرفه الذي كتب به ، ورأى أهل كل ناحية أن قراءته خير من قراءة الآخرين وسمعت الكلمة المخوفة : قرآننا خير من قرآنكم .

وأول من تنبه لهذا الخطر الزاحف . . وقدر بفطنته أن مبيض هذا الشر الناشئ سوف يكون وراءه ضرام مدرس - هو القائد حذيفة بن اليمان . . فقد قدم الكوفة وأفضى إلى أميرها سعيد بن العاص بمخاوفه . . ثم رحل إلى المدينة وقرع أجراس الخطر محذراً منذراً قائلاً لعثمان كما روى البخاري عن أنس : « أدرك الأمة قبل أن يختلفوا في اختلاف اليهود والنصارى ، فوجدت تلك الصيغة المتجذرة في قلب الخليفة الثالث صداها . . وجمع عثمان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم واستأصروهم في مشروعه الجديد الذي يستهدف لإخراج المصحف الموحد ، وإعدام ما عداه . ودعا زيد بن ثابت الذي سبق له جمع القرآن أول مرة بأمر من أبي بكر ومشورة من عمر ، وعمل جاهداً في تضمينه صحفاً وضعت أخيراً في بيت أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها .

ولاقى في ذلك عناء ألى عناء . . فأسند إليه عثمان ابن هان مهمة نسخ القرآن في مصحف تجتمع عليه الأقطار والأمصار ويضع حداً للخلاف والاختلاف وما يؤديان إليه من تصدع في وحدة المسلمين ووقوع فساد فيما وقعت فيه الأمم السابقة وهكذا تم على يد زيد بن ثابت مهمتان من أضخم المهمات التاريخية في حياة الإسلام أولهما جمع المصحف

وهذا يحول على أنه نزل بالأميرين معاً .. وأمر النبي صلى الله عليه وسلم شخصين بكتابتها ، أو أعلم شخصاً واحداً مرتين ، وأمره بإثباتهما .. ، ولهذا جرد الخط الذي كتب به المصحف الإمام من النقطة والشكل حتى يكون مطواعاً للمصدرين اللذين استمد منهما القرآن : وهما العرصة الأخيرة التي لم يترك منها حرف واحد ، وما صح ثبوته بما لم ينسخ ولو لم يرد بتلك العرصة - كما حققه ابن الجزري - فيكون اللفظ الواحد بدون النقطة والشكل - دالاً على كلا المعنيين المتلوين .. فتكون دلالة الخط الواحد . كدلالة اللفظ الواحد .

وقد اشتمل المصحف الإمام من الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن - والمقصود بها مترادفات للكلمة الواحدة لا تزيد على سبع غالباً - على ما اتفق مع رسم المصحف العثماني ، وما احتمله اللفظ وطاعته صورته . أما ما خالف هذه الصورة التي كتب بها المصحف فقد تركت .. كما يترك المنسوخ . وقد نقل السيوطي الإجماع على هذا الرأي من علماء الخلف والسلف .

وقد سئل ربيعة .. لم قدمت البقرة وآل عمران في المصحف الإمام ، وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة ، وإنما نزلتا بالمدينة ؟ فقال : « قد قدمنا ، وألف القرآن على علم من أله ، وقد اجتمعوا على العلم بذلك .. فهذا بما ينتهي إليه ، ولا يسأل عنه . »

كما جاء في الإتيان السيوطي : « أن الرسول صلى الله عليه وسلم رتب المصحف ، وألف السور على النحو المعروف لنا ، وقد سمع هذا الرأي من مالك وأبي بكر الأنباري وعليه الجمهور . »

محمد محمد الشرفاوي

بعد أن أرسلت نسخ خمس أو ست أو سبع على الخلاف في ذلك إلى الأمصار ، وبعد أن جمعت كل المصاحف التي سبق جمعها وأحرقت بأمر من عثمان إمعاناً في اجتناب الخلاف من جذوره ، وإبقاء على أسس الوحدة الإسلامية قوية راسخة ، ولقد اقتصر في مصحف عثمان الإمام على اللفظ المأذون في كتابته ، وترك الباقي من الألفاظ التي سبقت كتابتها بها ، وصار هذا الاقتصار كمن اقتصر على خصلة واحدة من خصال الراجب المخير .. لأن الأمر الصادر بقراءة القرآن بالأحرف السبعة لم يكن على سبيل الإيجاب .. بل كان على سبيل الرخصة والاختيار توسعة على الأمة بدليل الحديث القائل : « فاقروا ما تيسر منه ، ... »

قال البغوي : « المصحف الذي استقر عليه الأمر هو آخر العرصات على رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فأمر عثمان بنسخه في المصاحف ، وجمع الناس عليه ، وأحرق ما سوى ذلك .. قطعاً لمادة الخلاف ، فصار ما يخالف رسم المصحف في حكم المنسوخ .. كسائر ما نسخ ، فليس لأحد أن يعدو في اللفظ إلى ما هو خارج عن الرسم . »

ومن أمثلة ما خالف الرسم العثماني ، وترك كما يترك المنسوخ ، إذا جاء فتح الله والنصر ، « أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج ، » « ومن يكرههن فإن الله من بعد لم كرههن غفور رحيم لمن . »

ومع كل هذه الحيلة في جمع القرآن ونسخه فقد وجدت بعض الخلافات البسيطة في مصحف عثمان الإمام ومن أمثلة ذلك : ما وقع في المصحف المسكي « تجرى من تحتها الأنهار ، في آخر سورة براءة ، وفي غير هذا المصحف بدون من ، كذلك ظهرت بعض أورات ولامات وهاءات ثبتت في بعض النسخ العثمانية دون البعض .. »

الفلسفة الجينية

لدكتور محمد الدين الزواوي

- ٢ -

عنده الحق بالبال ، والظن باليقين . ولا يتوصل الإنسان إلى هذه المرحلة إلا بتحصيل العلم الصحيح أى العلم الذى يفرق الأمور الروحانية من الأمور المادية بعناصرها وتفصيلها ومجملها .

٣ - الخلق الصحيح : وهو بلى العلم الصحيح وربة ، ولكنهما متلازمان إلى حد ما ، لأن التعلل بالأخلاق الفاضلة والتخلل عن الأخلاق الوضيعة ، لا يتحقق إلا بعد الحصول على العلم الصحيح ، فإذا تم له العلم الصحيح ، والخلق الصحيح فقد نجا تماما من تقلبات الحياة وتطوراتها ، وتخلص من أدران المادة وغشاوتها السكيفة ، وعندما يصل العارف إلى هذه الدرجة من السمو والصفاء يجد لذة روحية دائمة لا يشعر بها أهل الدنيا مهما بالغوا فى متع الحياة الدنيا وزخارفها .

مبادئ الجينية لتطهير الروح :

ومن أمهات المبادئ الجينية لتطهير الروح :

١ - أخذ العهود والمواثيق ، والدوائيق أثر بالغ فى حجر الاخلاق السيئة ، والتسك بالأخلاق الصالحة حيث تناسب الزهد والتقى .

٢ - التقوى : هى المحافظة على الورع والاحتياط فى الأقوال والأعمال والحركات والسكنات فى جميع مرافق الحياة البشرية ، وتجنب الأذى والضرر لئلا كائن حى مهما كان حقيرا .

٣ - التقليل فى الحركات البدنية ، وفى الكلام وفى التفكير فى الأمور الدنيوية والبدنية خوفا

يقول الفلاسفة الجينيون إن ترى رتنا ، أى الجواهر الثلاثة هى السبيل المثلث لأن تحصل الإفسانية على كمالها ، وتظفر بسعادتي الحيائين ، ولهم بحوث قيمة حول هذه الجواهر الثلاثة ، وهى : (١) الاعتقاد الصحيح ، والذى هو رأس التطهر الروحى وطريق النجاة الأبدية ، وهو الاعتقاد بالصرط المستقيم والمنهج القويم ، وبشكل ما اهتدى إليه العارفون . ولا تتحقق العقيدة السليمة الخاصة هتدم إلا بطريق البهر عن أكدار الحياة الغائية والتخلص من الأدران اللاصقة بها التى تمنع الروح من الصفاء التام ، والاطلاع على مخفيات الأمور والعلم الصحيح ، فيجب أن تكون العقيدة سليمة من كل ريب أو شبهة . وينبغى أن يكون مظهرها الحزم والعزم والثبات والاستقرار التام . وأن عقيدة من هذا القبيل لا تنزعزع ولا تزول عند الملل ومصائب الدنيا الفانية .

(٢) والعلم الصحيح : وهو فى الدرجة التالية للاعتقاد الصحيح ومعرفة السكون من شتى النواحي الروحية والمادية ، وطبقا لهذا العلم ، تختلف درجة الرقى والكمال باختلاف قوة البصيرة ، وصفاء الروح من الاختلاط بالأمور المادية ، ويستطيع الشخص الذى يتدرج فى فصل المادة وأثرها عن قوته الروحية وإشراقها ، أن يرى السكون فى صورته الحقيقية ، وتكشف لديه الحقائق وترتفع عنه الحجب المادية ، وإذا وصل الإنسان إلى هذه الدرجة لا يشته

حقيقة العمل في نظر الجينية :

ترى الجينية أن الأعمال هي التي تحدد مستوى الوجود ارتفاعا وانحطاطا ، ولا يوجد الكمال السكبي أو النسبي أو الروحي أو المادى إلا لأجل الأعمال السابقة التي توجب هذه الأعراض أو تمنعها فلا توجد درجة ما في الكون إلا ويستطاع الوصول إليها بالأعمال الموجبة لها ، وكذلك لا توجد الذلة والمهانة إلا بسبب الأعمال التي تؤدي إليها ، وقسموا الأعمال حسب تأثيرها إلى ثمانية أقسام رئيسية :

الأول : العمل الذي يستر عن الروح اعتقادها الحق .
الثاني : العمل الذي يستر عنها علمها الصحيح .
الثالث : العمل الذي يحث الإنسان على الانغماس في متع الحياة الدنيا وهذا العمل يستر عن الروح سرورها الأبدى .

الرابع : العمل المضلل ، يعنى العمل الذي يضل الإنسان فكريا أو ممارسة ولا يساعده على الاستقامة في الأفكار أو الأفعال بتأثير من نوع هذه الأعمال التي تبعث الإنسان على الانصراف عن الاستقامة في الفكر والعمل .

الخامس : العمل المحدد للأجال وهو العمل الذي يحدد عمر الإنسان طولا وقصرا . فتقتصر الأعمال وتطول حسب هذه الأعمال وتأثيرها في الروح والجسم .

السادس : العمل الجسدى أى العمل الذى يقهر الروح على التعلق بالأجساد ويكون باعتمادا على البناء في ظلماتها السكيفة المادية .

السابع : العمل المحدد لاحتفاظ الروح بملذات الدنيا وزخارفها وهي الأعمال التي تشرف وتؤثر على مقدار الالتذاد والتمتع بالحياة الدنيا .

الثامن : العمل المشخص ، وهو الذى يحدد ويشخص المستوى الروحي ويعين نسبته من هبوط

من ضياع الأوقات النفيسة حتى يستطيع أن يركز همه في الأمور الهامة .

٤ - النفس بمخصال عشر وهي عندهم أمهات الفضائل وأخلاق الكمال : (١) العفو (٢) الصدق (٣) الاستقامة (٤) التواضع (٥) النظافة (٦) ضبط النفس (٧) التقشف الظاهرى والباطنى (٨) الزهد (٩) اعتزال النساء مطلقا (١٠) الإيثار .

٥ - التفكير في الحقائق الأساسية من الكون عامة وعن النفس على وجه خاص ، لأن التأمل والتفكير هما السبيل الوحيد للتوصل إلى حقائق الأمور النفسية والكونية ، فالأمور الكونية منها ما هو ظاهر يمكن الوقوف عليه بالحواس ، ومنها ما هو خاص بالأفكار الذهنية فلا يأتى الوصول إليها ، وإلى الأسرار الكامنة فيها إلا بمناظر التأمل والتفكير ، لهذا جعلوا التأمل في الكون والنفس من العناصر الرئيسية لتطهير الروح ، وتركبة النفس من أدوان المادة وشوائبها .

٦ - السيطرة على متاعب الدنيا وهمومها التي تنشأ من الأعراض الجسمية أو المادية من مشاعر الجوع والعطش والبرودة والحرارة وسائر أنواع الشهوات المادية ، وهليه أن يضرب حصنا متينا على نفسه ليتخلص من هذه الأعراض والحواس والتأثيرها .

٧ - القناعة الكاملة والطمأنينة والخلق الكامل والعلمارة الباطنية والظاهرية ، وتدعى الجينية أن هذه المبادئ السبعة تشرح الإنسان من الوثاق الذى يشده بالحياة الدنيا ويسلب منه الراحة والطمأنينة وإذا اتصف بهذه الصفات السبع فإنها تحرجه من الظلمات التي تحيط به من هموم الدنيا ومشاكلها ، حتى يصير روحه حرة طليقة تسميح في سماء المعرفة فتحيط بالعلوم الربانية والكشف العلماني الباطنى .

على المشاهدة ويحتوى هذا النوع من العلم أى مدى جنانا، على الفهم والمفظ والإحساس ويقولون : إن هذا العلم يستلزم حضور الأشياء المعلومة للحواس أولا حتى يتم الإدراك بها ، هذا هو أظهر أنواع العلوم فى الأذهان والحواس .

١ - العلم بالوجدان وأرواحي جنانا، وهو إدراك الأشياء ذات الصور دون حيولة الباصرة وهو ملكة اكتسابية تختص بها البشرية ، ويوصل إلى هذا النوع من العلم بصل الروح صقلا كاملا ، وهذا الإدراك هو إدراك مباشر الروح بنفسه بدون حائل ما فلا يتعدى هذا الإدراك عن المبصرات .

٣ - العلم الوجداني المحيط - (كوالا جنانا) هو علم وجداني يحيط بالكل من غير واسطة آلة خاصة ، وإذا ظهرت الروح من سينات الأعمال وتبددت السحب الكشيفة عن جوانبها فتشعر بكل شئ ويتجلى للإنسان السكون بأجمعه بصرف النظر عن اختلاف الأزمنة والأمكنة وبدل المسافات وتعدد القارات ولا يفتى من علبة شئ فى السموات والأرض ظاهره وباطنه وبعبارة أخرى لأنه هو انكشاف الحقيقة كما هى بجميع علاقاتها وإضافتها فى الأزمان والأماكن قديما وحديثا ، وإذا طلع نهم هذا العلم فى فلك المعرفة تغرب شمس العلوم الأخرى وتحيط بها الغياهب والظلمات .

٤ - العلم بقرارة الأذهان ، ويعرف بعلم : (منايا ديانا جنانا) ويراد به علم مخفيات الضمائر ، وما فى السرائر ، وهو أيضا من سلسلة الكشف الروحى من غير واسطة أخرى ، ويقول الجينيون : إن هذا الكشف لا يناله إلا الذين قد هجروا الأهل والسكن ، رطهروا نفوسهم من أدان الأعمال بالرياضات الشاقة ، فيدركون به التصورات الذهنية من الأشياء المادية ، وصاحب هذا العلم تنكشف له

وارتفاع ونقص وكال وكل واحد من أقسام هذه الأعمال المذكورة محسوس ومرئى فى رأى الجينية لأن ما ليس مرئى ومحسوس لا ينفى ولا يضر . واكتفوا بمحسوسات الأعمال لا بمدلولاتها ، وجعلوا الأعمال معيار السعادة والشقاوة ويقولون إن الذين سدوا أبواب هذه الأعمال الثمانية وطهروا نفوسهم من أدان المادة يصلون إلى درجة الكمال والمكانة العليا من العلم الروحى والسرور الأبدى والطمأنينة النفسية والروحية . إن الآلهة والنفوس العلوية ليست بكائنات تمتاز وتنفرد تماما عن الاوضاع جنسيا ونوعيا ، وفى رأيهم أنها وصلت إلى هذه الدرجة العليا جزاء ما اكتسبت من الحق والأعمال الصالحة الموجبة لهذه الرتبة السامية ، أما الجواهر المادية وأوصافها اللازمة ، أو خصائصها المميزة فأزلية فوجودها وعدمها من ناحية العوارض والتقلبات فقط ، أما الاعراض القديمة فتجلى محلها أعراض أخرى جديدة بطل كائنة فى طبائعها ومعداتها الخارجية وقرروا وجود جواهر وخصائص مستمرة التقلب والتغير مجتمعة ومتعاونة ، ومنها الدهر ، والطبيعة والعمل ، والضرورة ، والرغبة فى الوجود والبقاء وكل منها - فى نظر الجينيين - قديمة مثل الجواهر السكونية وخصائصها اللازمة . ويقولون : إن القوانين الأخلاقية هى القوانين الطبيعية السكونية نفسها .

العلم - أقسامه وحدوده :

قسموا العلم إلى خمسة أنواع حسب مصادره الضرورية المشهورة ، ووضعوا تعاريف خاصة لكل منها ، وهذه هى تلك الأقسام الرئيسية .

١ - العلم بالحواس (مدى جنانا) هو الإدراك بالحواس والقوة الذهنية معا ويشمل العلوم المخترنة فى المحافظة ، والاستدراك بواسطة الصور المخزونة ، وينطوى على القياس والاستقراء المبنيين

القضايا وأحكامها إلى عدة أقسام حسب اللفظ والمعنى وبحسب المادة والصورة ، وهكذا استقصوا جهات الصدق والكذب في كل القضايا والأحكام ، وحصروا القضايا الممكنة الصدق في سبع قضايا :

- (١) الإيجاب مثلاً (كائن بالإمكان) . (٢) السلب مثلاً (ليس بكائن بالإمكان) الشيء من جهة مادته وصورته كائن ، ومن جهة مادة غيره وصورته ليس بكائن . (٣) الإيجاب والسلب معا (كائن وليس بكائن بالإمكان) مثلاً : الشيء من جهاته الخاصة كائن وليس بكائن بالنظر إلى غير تلك الجهات الخاصة . (٤) الإيجاب والسلب معا مع كونه غير صالح للحكم عليه مطلقاً ، مثلاً : كائن وليس بكائن وغير صالح للحكم عليه بالإمكان ، لأن الشيء يكون كائناً من جهات وغير كائناً من جهات أخرى فلا يحكم عليه بهما معا في وقت واحد . (٥) كون الموضوع غير صالح للحكم عليه سواء كان الحكم إيجابياً أو سلبياً . (٦) الإيجاب مع كونه غير صالح للحكم عليه . (٧) السلب مع كونه غير صالح للحكم عليه . وهذه الصفات كلها إمكانية فإن أحكامها جميعاً تختمل الصدق بدون ضرورة ، ولا يوجد شيء في الكون إلا وهو قابل للتغير والتقلب ، وهما من النواميس الطبيعية وفطرة الخلق ، وكل موجود في الكون مضاف إلى الظروف وقابل لاعتبارات عديدة ، وهكذا يقبل الإيجاب في الحكم أحياناً والسلب نارة أخرى ، وهذا الرأي يوافق تماماً رأي الطائفة الجينية القائلة بأن الأحكام كلها إضافية ، وإن المظاهر والصقل لا يتأنيان إلا بالعلم الصحيح فليست للعلم قيمة تذكر هندهم إلا للاتفاف في عمل الخيرات وتجنب السيئات في مرافق الحياة .

الانفعالات الخاصة والتغيرات التي تحدث عند التأمل والتصور .

٥ — العلم بالوثائق المقدمة (شروتا جنانا) والمراد به المعلومات الحاصلة من الوثائق والمصادر المقدسة المستخرجة من نصوصها ورموزها وعلاماتها وألفاظها وحروفها ، ولا يتأني هذا العلم إلا بواسطة النقوش أو الأصوات الخارجية وقسم الجينيون - كساترطوائف الهندوس - العلم المستخرج من الكتب المقدسة إلى أربعة أقسام : بالمدولة أى (أبدى) وبالتوجه والتركيز أى (بهاونا) وبالفهم أى (أوبانوك) وأخيراً العلم بالمدلولات المختلفة انصوص الكتب ، ويقال لهذا النوع من العلم (العلم غير المباشر) لتوسط الآلات والحواس والكتب بينه وبين المعلومات الحاصلة منها ، وقد ذهبوا إلى أن الإدراك الأشياء ذات الصور ، وعلم مخفيات الضمائر والسرائر ، والعلم الوجداني المحيط بالكل لا يقبل الخطأ ، ولا يهتمل الشبهة والريب ، أما علم الإدراك بالحواس والعلم المستخرج من الكتب المقدسة فيحتملان الخطأ والصواب .

وللجينيين بحث خاص عن الشعور وتعريفه ، فقالوا : إن الشعور ينشأ إما من التصور أو من التعقل ، أما التصور فهو الإدراك البسيط المبهم بدون تفصيل بينما التعقل هو الإدراك المستوعب لأجناس الأشياء وفصولها ، ولم يمتد بحث طويل عن : (درشنا) أى التصور للوجدان النفسى ، و (جنانا) أى التعقل الموضوعات والمواد الخارجية وتذكر الأشياء أحياناً بحقائقها وأوضاعها الحقيقية الأصلية وأخرى بإضافاتها وعلاقاتها ، والأحكام كلها لدى الجينيين إضافية تختمل الصدق والكذب فلا تختمل على أية قضية بالصدق مطلقاً ، وكل حكم يصدق من ناحية يمتثل للكذب من ناحية أخرى ، فقسموا

الأدب الجيني :

الأدب الجيني : عبارة عن الخطب والوصايا والمكالمات التي توارثها الجينيون من الرهبان والفساك جيلا بعد جيل ، فلم تكن مقيدة بالكتابة في أول الأمر . فلما كان القرن الرابع قبل الميلاد عقد زعماء الطائفة مجلساً خاصاً لوضع مستندات مكتوبة للطريقة الجينية ، وتنظيم القوانين الخاصة للديانة المتمدنة ، فجمعوا مجموعة من الإبراب والفصول من تلك الخطب والوصايا في كتاب خاص ، ولكن لم ينجح ذلك المجلس في وضع كتاب يجمع عليه ، فاختلف الحاضرون أنفسهم على بعض ما اختاروه وقرروه من تلك الخطب والوصايا . ويقال : إن القانون الجيني لم يقيد بالكتابة إلا في عام ٥٧ م ، وضاعت ذخيرة هامة من المحفوظات بموت المحفظة الذين كانوا يحفظونها عن ظهر قلب ويلقونها على مريديهم في شتى المناصب . وفي القرن الخامس الميلادي عقدوا مجلساً عاماً في بلدة دولا ، واختاروا مجموعة الأدب الجيني المقدس لآخر مرة . وفي ذلك المجلس جمعوا حوالي أربعة وثمانين كتاباً ووافقوا على أنها مستندات دينهم ومراجع قوانينهم ، ومبادئ طريقتهم المنيعه ، وكانت لغة هذه السكتب والوثائق اللسان المعروف باسم دودماما كدى .

ثم انتخبوا السنسكريتية لغة رسمية للأدب الجيني في القرون الأولى لليلاد .

الفرق الجينية :

تسرب الاختلاف مرتين إلى صفوف الجينية في أيام حياة دهاويرا ، نفسه ، ولكن ذلك الاختلاف لم يدم كثيراً وعادت المياه إلى مجراها الطبيعي بفضل جهود المشرفين عليها ومسايعهم الجميلة ، وبدأت تدرج في الانتشار في شتى بقاع الدنيا

بخطى سرية ثابتة . وكانت مدينة مكدا ، عاصمة الفلسفة ومركز الأدب الجيني ومحط آمال الجينيين ، وبعد وفاة دهاويرا بقرنين تقريباً كان أهالي المدينة يقاسون قطعاً شديداً وبجاعة كبيرة ، فأصبح ذلك العدد الضخم من أتباع الجينية والرهبان ، والنسك ، الذين كانوا يعيشون بالبرعات التي يجمعونها من أهل القرى والمدن وصدقات أصحاب الجود والكرم ، أصبحوا في ضنك من العيش ، فاضطروا للهجرة إلى أماكن أخرى طلباً للرزق ولقلل عدايتهم فيها ، ولينخفف العبء على سكان المدينة نفسها ، فارتحل حوالي نصف عدد هؤلاء الرهبان والفقراء إلى جنوب البلاد تحت رياسة دهدرا باهو ، بينما استقر فيها النصف الآخر تحت قيادة داستولا بهادرا .

وكان هذا الانشقاق بادي بده لاختلاف الآراء في صفوف الجينية ، وبذر بذور الفوضى في النظام الجيني . ومنذ ذلك الحين انقسمت الجينية إلى قسمين رئيسيين : الأول : يدعى دسوتا مبرا ، أي أصحاب الزى الأرضي الأبيض .

والثاني : يسمى ديكامبرا ، أي أصحاب الزى الساوى وهم العراة من الزى . وبعد ذلك تشعب كل من الفريقين إلى عدة فرق وطوائف حسب الاختلافات الفرعية بمرور الزمن وتقلبات الظروف والأماكن .

وبالجملة : أن هاتين الفرقتين من الجينية ، أي دسوتا مبرا ، وديكامبرا ، لا تختلفان من حيث المبادئ والأصول الجينية حسب تعاليم دهاويرا ، ويرجع الخلاف إلى الأمور الشكلية والفرعية فقط . وليست له أيضاً قيمة تذكر من النواحي التاريخية للفلسفة الجينية ورجالها ؟

محى المربع الخلوأى

لا تظلموا ابن عباس..!

للأستاذ علي العساري

قرأت (قالة) في عدد رمضان من مجلة الأزهر ، وما انتهيت من قراءتها حتى وجدت الأسف يتملكني :

وهناذا أكتب هذه الكلمات وأنا كاره أشد الكراهية .

وقبل أن نعاصر (صاحب القالة) الحساب على (ما قامه) فوق صفحات مجلة الأزهر نقف وقفة قصيرة عند الكلمة الوحيدة التي تعتبر - على ضعفها - في الموضوع ، فقد قال إنه (اعتمد على ما روى عن ابن عباس) في تفسير الطير الأبايل ، ولو كان جادا يحترم نفسه ، ويحترم القراء لنقل لنا ما قاله هذا الخبر ، ولكن يبدو أن أحدا لقيه هذا الكلام ، وظن فيه غلصا ، فلما رجع إلى المصادر وجد قول ابن عباس لا يؤيد زعمه ، وهذا إذا أحسنا به الظن ، وتخيلنا أنه فهم ما روى عن ابن عباس .

ولعل من واجبه علينا - كما هو واجب أمثاله - أن نشرح له ما غمض عليه ، فنقول - وبالله التوفيق - اعلم - وفقك الله - وهذاك - أن كتب الحديث والمفسر روت عن ابن عباس في حادثة الفيل روايات ، منها ما رواه ابن سيرين عنه في صفة الطير ، قال : كانت طير ألهما خراطيم كخراطيم الفيل ، وأكف كأكف الكلاب ، وما رواه عطاء عنه أيضاً قال : طير سود جاءت من قبل البحر أفواجا أفواجا .

وأظن أن الذي يصف شيئاً يعترف بوجوده .

أولاً : لأن واحداً من بنى الإنسان لم يستطع أن يضبط أعصابه أمام كلمة حق لم يرد بها إلا وجه الله تعالى ، فراح يذى بكلام أبعد ما يكون عن الحق والصواب .

وثانياً : لأن مجلة الأزهر - ولأول مرة في تاريخها - ومجلة الوقور اضطرت - عملاً بحرية النشر - أن تسود بعض صفحاتها بهذا الغشاء . وما زاد الطين بلة أن هذه المجلة الكريمة علينا جميعاً نشرت ما لم يكن ينبغي أن يفثر في شهر رمضان المبارك .

ولعل المجلة أرادت أن تبين للقراء - وبمنموذج مكتوب - الطريقة المثل في المناقشات العلمية عند هؤلاء الذين يتصدون للقول في تاريخ الإسلام بغير علم .

وقد خطر لي - بادي ذي بدء - أن أعفو عن صاحب هذه (القالة) فلا أنقل على قلبي ولا على القراء بتذكر ما كتب ، ولكنني ذكرت أن الموضوع يتصل بالدين ، وليس من حق أن أسكت عن بيان وجه الحق فيه ، وذكرت - ثانياً - قول شاعرنا شوقي - ويبدو أن تذكره ضروري في بعض الأحيان :

عنهم الفيل . وهكذا فر أبرهة عائداً إلى صنعاء
بفول جيش ممزق يتخاطف الوباء والموت من يقي
من رجاله . فيتهادون على الطريق كمصف
ما كول) .

والواضح من العبارات الأولى أن الوباء جاء مع
جيش أبرهة ، وأنه أصاب أهل مكة بعد مجيء هذا
الجيش ومن الثانية أن الوباء سبق جيش أبرهة وبدهى
أن المؤلف لم يفتن لهذا التناقض .

ولكن الذى يذبحى أن يفتن له أن كلام من
العبارتين يجعل ما أصاب جيش أبرهة وباء لا صلة
له بالطير الأبايل .

فعل (صاحب القالة) لا يتمسح بعد ذلك
في ابن عباس ، ولا في غيره من العلماء ، ولعله
لا يجيء ليملنا أن ابن عباس إمام المنصرين
بالإجماع .

وقد كان يمكننا أن نقول له شيئاً لا يعرفه ، وهو
أنه لم يصح - عند العلماء - عن ابن عباس إلا مائة
حديث على كثرة ما روى له ، ولكننا آثرنا أن نعلم
له أن ما قاله ابن عباس في هذه الحادثة صحيح عنه ،
ثم نضع يده على التفسير الصحيح .

ومن مغالطات المؤلف - أو من عدم إدراكه
لا أدري - أن يدعى أن الخلاف بيننا على تأويل
آية (الطير الأبايل) فهو يقول : كل ما في الأمر
أنى أخذت بتفسير (طيرا أبايل) على تأويل الآية
ولكنك تريد أن تفهما بظاهر النص ، لقد تابعت
أنا ابن عباس ، وتابعت أنت غيره .

وهذا كلام يراد منه إيهام القراء بأن (صاحب
القالة) يعترف بوجود هذه الآية في حين أن كلامه
واضح في أنه يتجاهلها ، فأين في كلامه الذى نقلته
(تأويل الآية) لقد قال إن الوباء جاء مع جيش

وكل من أنكر ذلك يذبحى ألا يكلم ، بل إننا نتهم
حقولنا إذا خطر لنا أن نجادله .

أما الرواية التى لقنها (صاحب القالة) وظن أن فيها
غشاً ، فما رواد عكرمة بن ابن عباس لما أرسل
ألفه الحجابة على أصحاب الفيل لم يقع حجر على أحد
منهم إلا نفض جلد ، وثار به الجدرى وعلينا
أن نشرح (للؤلف الكبير ، والعالم النحرير)
متبسطين ما أمكن حتى يفهم ، فنقول : يا هذا
في العبارة المروية ثلاث جمل في كل منها فعل وفاعل ،
وفي الأولى منها مفعول (لم يقع حجر على أحد
إلا نفض جلد ، وثار به الجدرى) . يقع فعل ،
وحجر فاعل ، و (على أحد) في مكان المفعول .
وطبعاً القتل يقع من الفاعل ، وهكذا في الجملتين
الأخريين . فإذا - هنا حجر وقع ، وإنسان وقع
عليه الحجر . ونتيجة لهذا الوقوع ، وهو نفض الجلد
وثيروان الجدرى . فالجدرى نتيجة لوقوع الحجر .
ولئن فابن عباس لم ينكر أن حجرا وقع - بل لقد
روى عنه في وصفه حديث - ولم يجعل الجدرى
طاراً مع جيش أبرهة ، ولم يجعله عاصفا بأهل مكة
قبل مجيء هذا الجيش .

ولكى بتأكد القراء أننا لم نتجن على (صاحب
القالة) نعيد مرة أخرى ما كتبته في هذا الشأن :
قال في صفحة ٢١ من كتاب : (ولكن مكة بلد
يشهه الوباء . . . جاء الوباء مع أبرهة ملك
الحبشة الذى أراد أن يستولى على مكة ، ويهدم
الكنيسة) .

وقال في صفحة ٢٢ من نفس الكتاب : (ولم
يكذب جيش أبرهة بتقديم حق عصف برجاله الوباء
الذى كان يصعب بمكة ، فإذا رجال أبرهة يتساقطون
مرضى بالجدرى ، ومهم أبرهة نفسه ، وما أغنى

يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ، وهو يفهم - إن كان عنده أدنى فهم - ما أعني بهذا الكلام .

لقد هلك الآمدى (صاحب كتاب الموازنة) هل بيت لأبي تمام ، ولما ضاقت نفسه بما في البيت من غثاء صاح : فيامعشر الشعراء والبلغاء ، وبأهل اللغة العربية - ألا تسمعون ١٩ . ألا تضحكون ١٩ .

ونحن - واقع - قد غثيت نفوسنا بما في كلمة (المذهب جداً) فأردنا أن نقول كما قال الآمدى ولكننا وجدناه دون ما نريد أن نقوله بكثير .

أظن أن المؤلف بعد ما قلنا - إن كان فهمه - لا يستطيع أن يعيد مرة أخرى أن هذا الذي جاء في كتابه رأى لابن هباس ، أو لأحد من علماء المسلمين . ولم يبق إلا أن نخلف له بالله أن ابن هباس مظلوم معه ، ومع أمثاله من لا يفهمون !

ثم لنعد إلى ما أطال به من سخافات :

أول ما طالعنا به أن كتابه ليس كتاب سيرة ، ثم عاد ليؤكد هذا مرة أخرى . فإمضى هذا ؟ هل معناه أنه إذا لم يكن كتاب سيرة فلا بأس بالانحراف فيه ؟ هل معناه أنه إذا لم يكن كتاب سيرة فلا بأس أن يقول صاحبه عن أصحاب محمد الذين شهدوا بدرًا وأحدًا ما لم يقله أشد المتعصبين على الإسلام وإني لأثقل هنا بعض ما قاله كارها ، آسفًا ، خجلًا من المسلمين في كل مكان تقرأ فيه مجلة الأزهر . قال - غفر الله له - : (كثيرًا من المسلمين هربوا إلى الجو الصاخب في بيوت اليهود بعد الانهيار النفسي في غزوة أحد - وروح محمد

أبرهه ، أو كان يعصف بمكة قبل مجيء الجيش فهل يفهم من ذلك أن الوباء نتج من رمى الطير بالحجارة ، ومن ومت يا ترى ، جيش أبرهه ، أم أهل مكة ١٩ .

ويعود للغالطة مرة أخرى فيقول : ما هو الفرق بين أن تفسر الآية بظاهر النص أو بالتأويل . وأقول له : إن معنى التأويل أن تنظر في اللفظ فتؤوله أما أن تتجاهله كلية فليس هذا من التأويل ، ولا من التفسير .

وإني لأعجب عجبًا لا ينقضي من تبججه ، وادعائه أنه اعتمد على القرآن والتفسير وكشف الدين وإني لأؤكد له أنه لم يفهم إلى الآن الفرق بين تأويل آية ، وبين إهمالها ، ولم يفهم كلام ابن هباس على وجه الصحيح لأنه لا يريد أن يفهم إلا ما كتبه المستشرقون .

إن تأويل الحجارة بأنها (الجرائم) وإن كان تأويلًا فاسدًا غير إنكار الآية ، فالقول يضع النص أمامه ثم يقول في فهمه ما يشاء من علم أو عن جهل أما تارك النص فهو الذي يقول عن شيء صنعه الله بجيش أبرهه أنه جاء مع الجيش ، ومعنى هذا أن الله لم يرسله عليهم ... وشفتان بينهما .

وما بال (صاحب القالة) لم يرحع عنده في تفسير الآية إلا ما ارتضاه المستشرقون هل يستطيع أن يفتينا ما وجه الترجيح ، وهل جاء ذلك التفسير في القرآن أو في كتاب من كتب التفسير أو كتب الدين التي اعتمد عليها - كما يزعم - .

أعتقد أن الجواب هناك عند كلامه على غزوة الأحزاب ، وهدم التفاته أية التفاته إلى قوله تعالى

المقال الذي يدافع عن القرآن ورسول الإسلام
إهدار لآداب الدين فآداب الدين يا هذا ؟ .

أمن آداب الدين أن تأتى لتدافع عن نفسك
ما دفعتك به من كلمة عمقة بهذا الهدر الذى لا يمكن
أن يستسيغه ذوق سليم ؟ .

أمن آداب الدين أن تعتبر التفسير الصحيح
لآية قرآنية كريمة شتائم توجه إلى من تجاهل هذه
الآية ؟ أمن آداب الدين أن تقول عن حمزة ما يقيد
أنه كان يفجر بفاتنات إسرائيل ؟ .

أمن آداب الدين أن يقول عن (كثير) من صحابة
الرسول بمن شهدوا بدرًا وأحدًا أنهم كانوا يجهلون
أحلاما مريضة بالغنى والمتاع ؟ .

أمن آداب الدين أن تصف من يرشدونك
إلى الحق بأنهم (جهلاء) ؟ .

أمن آداب الدين أن تعتبر من يكتب فى مجلة
الأزهر بأسلوب واضح لا لبس فيه ولا غموض
أنه يهمل ويلز ؟ .

ولكن لا رقتى بك قليلا . إنك تقول : (بأى
أصل من أصول آداب الدين يبدأ مقاله حتى بقوله
عن كتابي ألفه أحد العاملين فى الصحافة) طبعا
لم يؤلمك إلا تجاهل اسمك الكريم وسأرشدك
إلى أن هذا القول صدر عن أصل عظيم من أصول
آداب الدين .

لقد تعودت - يا ذاك - فى كل ما كتبت أن أذكر
اسم المؤلف أو صاحب المقال حين أثنى على كتابه
أو مقاله ، وأن أطوى هذا الاسم حينما يكون
فى الكتاب أو المقال ما يؤخذ دينيا عليه ، حتى
لا أعرضه لقالة السوء من القراء ، فليس من قصدى

من مناظر الرجال الجواسل الذين ناضلوا معه فى بدر
وأحد ينحدرون الآن فى بأس قاتل . فإيفيق الواحد
منهم من الخمر ، ما يغادر أما كن القرار إلا ليستمتع
بالحدى المغنيات أو الراقصات اليهوديات ...
ولا شئ بعد يملا القلب والفكر غير الرغبة فى
الفرار من الواقع المعذب ... غير أحلام مريضة
بالغنى والمتاع ، والبحث المضطرب عن العزاء (١)
فى صفحتي ٢٢٧ - ٢٢٨ من كتابه محمد رسول
الحرية طبعة دار الهلال .

هكذا يصور المؤلف الذى اسما (أكثر غير
منه على هذا الدين) وهذه عبارته ، يصور أصحاب
محمد بعد أحد : خمر - قمار - تمتع بالراقصات
اليهوديات - أحلام مريضة بالغنى والمتاع .

ألا يجد هؤلاء الذين يكتبون عن صحابة الرسول
بمثل هذا الأسلوب من يقول لهم : (كنخ يا واد) .

والحق أنى لم أفهم وجه دفاعه بأن كتابه ليس
كتاب سيرة كما لم أفهم من قبل تعليق صديقنا
المفضل الشيخ عبد الرحيم فوده حين كتب معتذرا
عن (صاحب القالة) معلقا على مقالى الأول بقوله
(ذكر المؤلف فى مقدمة كتابه أنه لم يكتبه
للسليين كما ذكر ذلك لبعض من لاموه على ذلك
من أصدقائه)

فهل معنى هذا أن الكتاب ما دام لغير المسلمين
يصح لمؤلفه أن يصوغ حقائق الإسلام كما يشاء ،
وأن يتجنى على القرآن والرسول والصحابة كيف
أراد ؟ .

ويقول (صاحب القالة) : (فالمقال لإهدار
لآداب الدين ، واستهتار متجد لقواعد الجدل) .
ما شاء الله ! .

ومل تظن - يا ذاك - أن شعرة في رأسى تشعرك
حين تصيح بأن المقال لا يستحق عناء الرد ؟

أن أسىء إلى أحد ، وإنما كل ما أهني به أن أناقش
الافتكار والآراء .

إني لم أكتب المقال ، ولا كتبت يوماً مقالا
من هذه المقالات التي أبنت فيها عن زيف كثير
في الكتب المؤلفة في الدين ، وأنا أنتظر من الذين
كشفت هوارهم أن يرجعوا بما أكتب ، فليس
جديداً على أن تقول فيما أكتب ما ينتظر أن يقول
مثلك فيه :

وإذا كنت تريد مما قلت أنك أرفع من أن ترد
كما يفهم من مقدمة (قائلتك) فإنى أقول لك المثل
العربي : (ألقرق كرا إن النعام في اقري) وأحيلك
على صديقنا وصديقك الشيخ فودة ليشرح لك
هذا المثل :

(صاحب القالة) يزعم أننا رميناه في مقالنا
(بالكفر) وهى دعوى لا دليل عليها ، فكلمة
التكفير لم يخطأها قلى ، ولكن يبدو أنه مسكين
لا يستطيع أن يفرق بين الانحراف والكفر ،
وكل ما ورد في مقالى الأول عن كتابه قولى عن
إسماعيل أدهم إنه كان مسلماً ، ولكنى لست مبتدئاً
بهذا وإنما أنا ناقل ، فأدهم ألف كتاباً عنوانه :
(لماذا أنا ملحد) فلم أتجاوز حكاية ما وصف به
نفسه .

فنحن لم نكفر المؤلف ، ولا حاجة بنا للتكفيره
ونحن نعرف رهبة هذه الكلمة ، وبذلك لم نحكم
على ضميره - كما يزعم - وإنما حكمتنا على ما كتب ،
فقلنا إنه متابع للمتشركين وأنه انحرف في التكفير
الدينى ، ولم نقل إنه انحرف في العقيدة ، ولكن
صاحب القالة أراد أن يستثير شفقة القراء ،

أرايت - أيها المجهنم - المتأدب بآداب الدين
هن أية نية حسنة صدره عن اغفالى لاسمكم (الشهير)
فيما كتبه عن كتابكم (العظيم) . (المبرأ من كل
عيب إلا سب الصحابة وأشياء أخرى) .

و (صاحب القالة) يرى أن ما في المقال
لا يستحق الرد وهو أسلوب ألفتاه من لا يستطيعون
أن يقولوا شيئاً يصلح أن يكون رداً هليماً صحيحاً ،
وقد تأبد هذا بمسلك الكاتب المغم ، فما في كلمته
شئ يمكن أن يوصف بأنه رد ، الكلمة الوحيدة
التي موه بها تبين أنه لا يدرك ما وراءها .

وكيف خلا المقال بما يستحق عناء الرد ،
والمؤلف قد اهتزت له أعصابه ، وطار صوابه ،
وأدرك أن (شرف الكلمة) ليس في أن يقول كل
من هب ودب ما شاء ، ولكن في أن يقول
الإنسان فيما يستطيع أن يقول فيه ، وأن الحرية
الحقيقية ليست أن يتهم الكاتب على وصول
الإسلام ، وعلى صحابته ، في صورة التاريخ لم ، بل
أن يلتزم الأدب مع هؤلاء الذين دفعوا راية
الإسلام ، وكانوا كما قال الرسول : (أصحابي
كالهجوم بأهم اقتديتم اهتديتم) .

وكيف خلا المقال بما يستحق الرد وصاحب القالة
لم يستطع أن يرد حرفاً واحداً منه إلا بما تستر به
من الاستغلال الكاذب بظل ابن عباس .

ولا أشك أنه وقع في تيهام مظلة حين قرأ المقال
فلم يدرك كيف يأخذ طريقة ، فراح يدعى أن المقال
لا يستحق الرد .

طبقة من رجال الدين - لا كهنوت في الإسلام -
لا مجامع كرادلة ، ولا حرمات ولا صكوك
غفران .

ونسأل أطفال السكتاتيب ... واعتقد أنهم
يحسنون الجواب - هل من يرد مطاعن وجهه
إلى الإسلام ، ويحكم عليها بأنها انحراف يسكون
(كاردينا لا) ؟ أو من رجال (الكهنوت) ،
وما دخل صكوك الغفران في مثل هذه المناقشات
العلنية ؟ وسيميجيون موفقين بأن كل ذلك هراء
لا راد به إلا الاحتماء خلف هذه الألفاظ ليقولوا
ما يشاءون .

لأنك - يا ذاك - تستعدي علينا جماعة المتحررين
من القيم الدينية ، ونحن لا نخجل بهؤلاء شيئا ،
ومن قبلك ردد هذه السكتات أناس فاجدوا من
جمهرة المثقفين إلا السخرية والاستهزاء .

والسلام طويل ، وحديث الأفاضل طويل المدى
كما يقول شاعرنا شوقي وسأقف ، ولكني أوجهكم
إلى أبيات من الشعر إذا كنتم سمعتم بها فذاك ،
وإلا فأسأل عنها أهل المعرفة ليقفوك على البيت
الأخير منها . هذه الأبيات التي مطلعها .

قد تبحر العقرب في أرضنا

لأمرحبا بالعقرب التاجرة

ثم أخيرا لا أدري أتشكر مجلة الأزهر أم نتقم
عليها لأنها مكنت الرأى من صفاء الثغرة كما يقول
العرب - ولا تزال في الزوايا خبايا ، ولكن
كما يقولون : ما استقصى كريم قط ، ونحن سنكون
معك كرماء ؟

على العمادى

وأن يظهر بمظهر الحل المظلوم ليهيئ لنفسه الجو
الذى (يبقى) فيه ما يريد أن (يقيته) من الألفاظ
لا تصدر من إنسان يحترم نفسه .

وقد نسي (سيادته) أن قرأ مجلة الأزهر كلهم
مسلمون ، وكلهم حريص على إسلامه ، وأنهم
يفتخرون على كتبهم المقدس ، وعلى سلفهم الصالح
كما يفارون على أعراسهم ، وأنهم قرأوا ما كتبناه
وبعضهم قرأ كتابه ، وكتب لينا يلومنا على أننا
رفقنا به في مقالنا .

وقد تبجح صاحب المقالة فاستند إلى أن القرآن
الكريم قص علينا قصصا ، وما دام قد فعل فلا
بأس عليه أن يكتب سيرة الرسول في أسلوب قصصى
وإذا كان الله قد قص فإيمنع عبد الرحمن الشرفارى
أن يقص - وما قد جرى اسمك على قلبنا يا سيد
عبد الرحمن - .

الله يقول : ونحن نقص عليك نبأهم بالحق ، ،
فهل فهمت كلمة (بالحق) هذه ؟ أما أنت فتقص
علينا ، ما أشرت إليه في مقالين سابقين ، وفي هذه
الكلمة من تهجم على القرآن ، وعلى مقام الرسول
ومقام كبار صحابته ، فهل نقول لك : شتان لا والله
ولسكننا أردنا أن نبين لك خطبك وخطبك وأن
نرشدك إلى الأدب مع الله ، ومع الناس .

بقيت كلمة نحب أن نقولها اسكل من يحاول
أن يصيد في الماء العسك ، ولنبين له أن بعض
العبارات قد تآكلت من كثرة الترداد ، وأنهم لم تعد
تخيف أحدا .

فقد ألفنا (منهم) ، أن يرددوا كلمات يظنون
أنها تمجدهم ، يقولون : من أين جاء أن في الإسلام

لقاء

في زيارة وفد السودان لمصر في ديسمبر ١٩٦٥

للشاعر محمد التهامي

حانقته وارتمت في أحضانها
فأجابني عنه بريق هيونه
ومضى يبت غرامه وهيامه
من يا أخى يرضى فراق حبيبته
من عاش في نار البعاد هنيئة
وأجابه هنى عتاب مسدله *
من قال: إن أبا العصبية والهوى
فأخى لدى السودان بعض حشاشتي
نبتت على النيل الحبيب حياتنا
وتظل أرحام لنا موصلة *
سل واهب الوادى الحياة كريمة *
إنا بنوه إخوة في أخوة
مهما تباعد شملهم فسألهم *
كم راح الاستعمار يزرع بيننا
ويصب في كأس الأحبة هلقا
ويقيم بين ديارنا وديارنا
حتى تزلزل حصنه ورمى به
فضى يجر إلى الوراء قوله
وصحت قلوب الظالمين وعادها
فشى يدير الحب صفراً خالصا
لما أتانا الركب قلت: رأيت
يحتال وضاح الجبين مظفراً
النصر كل النصر من خدامه
ولواء الاستعمار تحت لوائه *
رسأله عنه وعن سودانه
ثم انهمار الدمع من أجفانه
ويطيل فيما ذاق من تحمضانه
يوما ولا يهتز من أشجاناه؟
ضافت بها وسعت رحيب جنانه
يشكو العذاب المر من هجرانه *
يفسى ويرضى العيش في نسيانه؟
وأنا هنا في مصر بعض كيانه
وترهرعت أصلا على شطآنه
حتى يكف النيل عن جريانه *
سل شعله والحلو من غدرانه
والمرء مشدود لى لإخوانه
لأبهم يحبون في أحضانها *
شوكا تهاب الجن من غشيانها
أجراه بما سال من ثعبانها
سدا ترد الريح عن جدرانها
قدر لنا ما كان في حسبانها
ورمى ستار الزيف من بهتانها
شوق أطال الدهر في حرمانها
ويدور في لطف هل خلانها
هذا هو المهدي في فرسانها
في أرج قوته وفي إيمانها
وجميع جند الله من أعوانها
يهوى بعض هل أسيف بنانه *
محمد التهامي

أبعاد في الأدب العربي

للاستاذ على الخطيب

والتي بيت ، وبطلها ومسرح حوادثها ... كلاهما لا علاقة لهما بالإنجلترا ، فييوولف بطل من الغوت . والمساكن قصر لـ « هرنجار » ملك الدنمارك وتروى القصيدة : أن هرنجار الملك يقطن قصره « جرنندل » وهو شيطان في صورة إنسان يقتحم - على الملك - صالة في قصره الرحيب ، فيهب بيوولف الفارس الجليل في كوكبة من رفاقه ويشق بك مع « جرنندل » في معركة حامية يتمكن خلالها من انتزاع إحدى ذواعي جرنندل .

وفي الجزء الثاني من القصيدة تهب أم جرنندل تطلب نار ابنها ، فيلاحقها بيوولف حتى ينتميا إلى مغارة تحت البحر ، وهناك يمكنه أن يقضي على الشيطانة ويحطم أضلاعها .

وفي الجزء الثالث يصبح بيوولف ملكا ، ويحكم مدة طويلة حتى إذا طعن في السن يحتاج لمملكته تنين ينفث النار من فمه ، فيندفع بيوولف - إنقاذاً لشعبه - نحو التنين ، وينازله حتى ينتصر عليه ، ولكنه - بدوره - يجرح جرحاً قاتلاً فيموت .

والقصيدة بعد ليس يسلم واضعها ، ويختلف « بول دوتان » و « إيفور إيفانز » في زمن الوضع وإن اتفقا على أن الرهبان أو الشمامسة قد لعبوا فيها دوراً كبيراً ، ومن رأى دوتان أن أحد الشمامسين اقتبسها في القرن العاشر من أسطورة دأيموكية قديمة . وليس يقطع أحد باسم واضعها ، كما لا يبدو أنه واحد ، وهابارة إيفانز تعطي ذلك صراحة إذ يقول عن الفاتحين إنهم « أفرغوها في قالب شعري حوالى

الذين ولتمسون للأدب الإنجليزي ماضياً عتيقاً يعبرون أهوام النصف الأخير من القرن الرابع عشر الميلادي ويتكون « جيفري تشوسر » - ١٣٤٠/١٤٠٠ م - أبا الشعر الإنجليزي ، ويضمنون بحثاً في بطون القرون عن مخلفات الليالي ، وهناك بين السلالات البربرية ذات الأصل الألماني التي توالى غزوها لإنجلترا في القرنين السادس والسابع حتى أمكنها في نهاية القرن السابع أن تستولى على إنجلترا كلها عدا المناطق الجبلية في الشمال والغرب ، هناك حيث عاش الغزاة من غوتلاند وساكنون وإنجليز ، ومعهم قصصهم الساذج ذو الطابع الروحي والتخلف العقلي . ظهرت للوجود أقدم قصيدة يؤثر القوميون من الإنجليز أن يعدوها من أدهم . تلك هي قصيدة « بيوولف » ، وردت قصة بيوولف إلى إنجلترا مع الغزاة ، ثم أفرغت في قالب شعري نحو القرن السابع ، وفي سنة ٧٠٠ م تم نظمها (ص ٥ ، ٨ موجز تاريخ الأدب الإنجليزي - إيفور إيفانز) ولقد تم هذا النظم بعد أن تحول كثير من الفاتحين إلى المسيحية فقد قدم « أوغسطين » من روم سنة ٥٩٧ م وبدأ في تحويل الغوت في « كنت » إليها ، ولعب الرهبان والشمامسون دوراً كبيراً في نظمها حتى أصبحت ألفاً مسيحياً وقمته أوتار وثنية ، يقول « دوتان » : إن أدب هذا العصر - العصر الساكسوني - ، « وليد رهبان هلساء وبرابرة مطاوع » ، (١ ، ٥ الأدب الإنجليزي . بول دوتان) .

تقع قصيدة بيوولف في اثنين وثمانين ومائة

إلى بول دوتان إذ يقول : إنها جافة صخرية تسود فيها الأحرف الحرساء تنفجر وتفرقع ، ويتطاوّل بعضها على بعض ، فكأن هذه اللغة وجدت لتدوى في أرجاء قاعات واسعة باردة ، ، كذلك لم تكن هذه اللغة الإنجليزية اليوم ، أو الإنجليزية شكسبير بل ولا الخليط الذي تحدث به (تشومر) بل كانت مكتوبة بلهجة نورمندية كما يقول (برتون راسكو) صاحب عمالة الأدب العربي ، فأما مستواها الفني فيتحدث عنه راسكو بلهجة ساخرة : « لقد أعفانا المغفور له أستاذنا السير آدمند جوس E. Gosse من جميع معاصر الاحترام نحو هذه المملحة حتى لم يعد يحظر ببالنا أن نقيم لها وزناً ، ونفعل من السير آدمند جوس أمير الشعر الإنجليزي كما يسميه - حديثاً غصصراً عن كتابه (مزيد من السكتب على المساعدة) حيث يقول : (وإذا حكمنا على بيوولف بمقاييسنا الحديثة وجدنا أن النفس الذي اختاره لها ناطقها نسق مربك إلى آخر حد الإرباك ، والظاهر أن الشاعر لم يكن يميز أى تمييز بين ما هو حقيق وما هو غير حقيق) ، ولا يتردد بوتان في الحكم عليها بأنها (أدب هجين) ص ٥ - الأدب الإنجليزي .

ثانها : واقعية الأدب العربي :

إذا كانت الخرافة لحمة وسدى لبيوولف فير الواقعية هي نسيج الأدب العربي ، وإذا كان لسلك شعب - ومنه الشعب العربي - خرافاته ، فإن الخرافة العربية - وقد وردت في الشعر - لم تكن بقاء في قصيدة وإنما هي البيت أو البيتان يذكران الهامة أو (السعال)^(١) ذكرًا عاطفًا لا يلبث أن

القرن السابع الميلادي ، وفي سنة ٧٠٠ بعد الميلاد تم نظمها ... » .

إننا على ضوء بيوولف - وليس ما يمنع من استخدام شحنة في متحف الفن - يمكن أن نرى بوضوح أبعاداً عظيمة لأدبنا العربي الخالد .

لقد كان يصحح في أجوائنا وقت أن تم نظم (بيوولف) بلابل لها قوة النور من أمثال : الفرزدق ، وجرب ، وجليل بن معمر ، وكثير ، وإيل الأحميلية ، وعمر بن أبي ربيعة ، والسكيت ابن زيد وغيرهم كثير ، طرّفوا بالشعر كل آفاقه ، وتقنوا به فوق كل روايه ، وجالوا به وصفاً ونشراً وحباً وحرّاً ، واجتماعاً وسياسة ، ومدحاً وهجاء ، وحكمة ورثاء .

وإذا كان بيوولف قد تم في منتصف العصر الأموي ، وتم ولده لم يستوف بعد كل أسباب قوته ، فإن الشعر العربي كان قد استوفى قوته قبل ذلك الحين بأكثر من ثلاثة قرون ، ونحن لا نعود إذا تخطينا العصر الأموي إلى ما وراءه ... إلى امرئ القيس - إلا بفنون من الشعر العربي قد فضجت وبانت ذخائر نفيسة نادرة المثال ، فإذا تخطينا الإنجليز عصر ما قبل (بيوولف) عادوا صفر اليدى .

ومع ذلك فـ « بيوولف » يفتح أعيننا على أبعاد أربعة للشعر العربي حتى عصره :

أولها : أصالة الأدب العربي :

فالأدب العربي أدب العرب وحدهم : ألفاظه هربية ، وأفكاره هربية . ومسرح حوادثه هربي ، وهو على مستوى فني عال يمثل طرفاً نقيضاً لبيوولف بشهادة أهله ، فظاهر أن مسرح بيوولف والبطل ليسا إنجليزين ، ونزع الحديث عن لغته

(١) جعلوا الهامة طيراً يصوت فوق قبر الفقيل حتى يؤخذ بئاره ، والسعالى جمع سملاء قالوا : إنها أخبت الفيلان .
يقول للمهل :

الجمائع أو فراش المكردون لا يحيدوها أفاقة الاختيار أو ترودهما ملاحه في الطلب .

رابعها : العمق :

نحن تنساق بيوولف على هذا الفسج الذي قدمنا فتخلو من جمال اللفظ ، وقوة المعنى ، ونبوغ الابتكار ، وتفتقر إلى التجربة ، نجم - ند الشعر العربي قبل ذلك الحين بمائتي سنة على الأقل . قد خبر صراع النفوس ومثرب سلاف الحياة ، وعرك أحوالها ، وحذر منها وأنذر فظموت الحكمة ، في لسانه ، واستضاءت بها بصيرته في حرب البسوس يقول الفند الزماني :

وبعض الملم عند الجهل للذلة إذعان

وفي الشر نجاة حين لا ينجيك إحسان

وهذه أبيات لجارية يرويها أبو تمام ، وكانت قد أضرت بها زوج أبيها بعد وفاة والدتها تقول :

فلو يأتي رسولي أم سعد

أتى أمى ومن يعنيه حاجي

ولكن قد أتى من بين ودي

وبين فؤاده خلق الزناج

ومن لم يؤذه ألم برأسى

وما الرئمان إلا بالانتاج (١)

وبعد :

فهذا هو الشعر العربي أدب أمة فضيحة ، فكانت خهر أمة تغنت بالشعر من أمد بعيد ؟

على الخطيب

يصود الشاهر بعده إلى واقعته ، ولا نسوق في بيان هذه الحقيقة من أبيات تعاصر بيوولف ، وإنما نمضي إلى ما قبل ذلك بقرنين لنطالع المعلقة أو غنقات أيام العرب فلا نرى أمامنا إلا واقعا يتحدث عن نفسه تنساق في طياته عواطف الإنسان الحية وآماله وآلامه . فهو أدب لا ينقصه صدق التعبير عما يحيط بالشاعر في بيئته الطبيعية والاجتماعية . أدب يعبر عن الحياة تعبيراً كاملاً ، ولا زالك هو اطفنا تشارك (جارية بنت مرة) جليل مصابها في إخلاص ونحن نطالع قصيدتها التي قالتها عقب مقتل زوجها بيد أخيها وطردها من مأتمه بينما لا تزيد قصيدة بيوولف في رأى بعض النقاد الإنجليز عن قصة خرافية عن الوحوش والقتل ، أما القصيدة العربية فقد ترك الواقع لحظة وتغلو في الوصف لكنها أبدا لا تمرف .

ثالثها : كثرة الإنتاج القوى :

يعتبر الشعر العربي قوة في كثرة الإنتاج الأدبي القوى ، وقد حفل هذا الشعر - حتى في جاليتته - بالنقد هذا النقد الذي انعقدت له أسواق فكان معينا ثرا بدوره لإنهاء القوة في الشعر العربي . حتى كان من الشعراء من تراجع قصيدته حولا كاملا . فلم يكن هذا الشعر بين أربابه ونقاده سقط متاع ، وإنما هو الجوهر النفيس الذي غولى في إحكامه ، فإذا وجدنا منه - بعد ذلك - غثا أو هزلا فإنما هو القليل النادر ، فأما (بيوولف) فقد كانت طعام

== سماييا يحمل من تغلب

فيان صدق كلبوث الطريق

ويقول امرؤ القيس :

أيقنني وللشرق مضاجعي

ومستونة زرق كأياب أغوال

(١) تريد بالرمضان الرحمة والخير يقول : إنها لا يكونان إلا بالولادة . أي مما نتاج الأمومة .

واجبات العمال في الإسلام

للأستاذ جمال الدين عياد

ومن جهة من يطبه تلف العضو أو النفس أو ذهاب صفة ، فهذا لا ضمان عليه اتفاقاً .

ضرورة الأخذ بالأسباب التي تبقى على العامل قوته :
ومن واجب العامل إذا ولي محلاً هو له أهل أن يظل آخذاً بالأسباب التي تبقى عليه قوته ، لأن العمل - كما قدمنا - لا يجوز لغير القوى ، وسيان في هذا أن يكون الضعف قبل أن يلى العمل أو بعده .

وقد أشار ابن قدامة إلى وجوب الأخذ بأسباب القوة في فصل عقده عن المرضعة ، إذ يقول : « وعلى المرضعة أن تأكل وتشرب ما يدر به لبنها ويصلح به ؛ وللسكترى مطالبتها بذلك ، لأنه من تمام التمكهن من الرضاع ، وفي تركه أضرار بالصبي . »

وربما جاز لنا أن نقول : إن مثل كل عامل كمثل المرضعة في هذا الشأن ، مهما تختلف طبيعة العمل ، فعليه الأخذ بأسباب القوة التي رشحته للعمل أصلاً ، فإن كان عمله يستلزم قوة البدن حافظ على قوته ما استطاع ، وإن كان يستلزم العلم تابع كل جديد في ميدانه ، وهكذا .

وقد رأى بعض الفقهاء أن للمستأجر الحق في فسخ عقد الإجارة إذا حدث في العين المستأجرة عيب يؤثر في المنفعة ، فإذا استأجر رجلاً للخدمة فرض مرضاً ينقص من عمله ، فالمستأجر بالخيار إن شاء أمضى العقد وإن شاء فسخه .

وربما جاز لنا أن نقول : إن الفسخ إذا جاز لنا أثر

لا يجوز للعامل أن يتقدم لعمل لا يقوى عليه : إن ما تقدمناه عن القوة والأمانة يفرض على العامل واجبات ، ويحمله تبعات . فلا يجوز للعامل أن يتقدم لعمل لا يقوى عليه ، لأنه به ذا يغش المسلمين ، وقد برى عليه السلام من كل غاش ، وبسبب لم أضراراً بالغة ربما بلغت حد الظلم في حالة القضاء ، وهلاك النفس في حالة الطب ، وضياع الدولة بأسرها في حالة القيادة أو الولاية ؛ وكل ضرر يصيب المسلمين حرام حرام ، فلا ضرر في الإسلام ولا ضرر ، فضلاً عما في هذا من مخالفة لما أشار إليه القرآن من تولية القوى وما تردد في أحاديث الرسول من تحذير لمن يوسد الأمر إلى غير أهله .

ومن أجل هذا كان العامل الدعي ضامناً لما يتمنخض منه عمله من ضرر ، إذ يقول عليه السلام : من تططب ولم يعلم منه الطب قبل ذلك فهو ضامن . وقد حلق ابن القيم على هذا الحديث بقوله :

« وقوله صلى الله عليه وسلم من تططب ولم يقل من طب لأن لفظ التفعل يدل على تكلف الشيء والدخول فيه بعسر وكلفة وإنه ليس من أهله ... (والحديث يفيد) إيجاب الضمان على الطبيب الجاهل ، فإذا تعاطى علم الطب وعمله ولم يتقدم له به معرفة فقد همم بجهله على إنلاف الأنفس ، وأقدم بانهور على ما لم يعلم فيسكون قد غر بالعليل فيلزمه الضمان لذلك ، وهذا إجماع من أهل العلم ... (وهذا بخلاف) الطبيب الحاذق الذي أعلى الصنعة حقها ، ولم تجن يده ، فتولد من فعله المسأذون من جهة الشارع

بغير خلاف ، مثل أن ينام عن الساعة أو يغفل عنها ، أو يتركها تقاعداً منه ، أو تغيب عن نظره وحفظه ، أو يضربها ضراً يسرف فيه ، أو في غير موضع الضرب ، أو من غير حاجة إليه ، أو سلك بها موضعاً تتعرض فيه للثف ، وأشباه هذا مما يعد تفریطاً وتعدياً فتتلف به فعلية ضمانها لأنها تلفت بعدوانه .

وكذلك كل عامل ، سواء أكان أجيراً خاصاً أو مشتركاً - فإنه يضمن ما تسبب في إتلافه بتقصيره وإهماله ، تماماً كما يضمن ما تمعد إتلافه لأن الإلتلاف لا يختلف ضمانه بالعمد والخطأ ، إذ المفروض أن يتقن العامل عمله ، ويأخذ حذره ، ويتجنب الخطأ باليقظة والانتباه ، فلا يصح الخطأ عذراً له .

فأما إذا وفي الصنعة حقها ، واحتاط لعمله ، ثم حدث حادث من قضاء أو قدر لا يملك دفعه ، فلا يضمن في أغلب الأقوال وأظهر الآراء .

وهكذا ، فإن العامل مسئول إذا ولى عملاً لا يقوى عليه ، فأتلفه بجهله ، أو إذا كان أهلاً للعمل الذي أئتمن عليه ، ثم خان أمانته عمداً أو خطأ بتقصير أو إهمال .

ولا يقتصر الجزاء على تضمين العامل في الدنيا ، وإنما يمتد إلى عذاب النار في الآخرة ، فلقد قال الرسول عليه السلام (للقضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة ، فرجل علم الحق وقضى بخلافه ، فهو في النار ، ورجل قضى بين الناس على جهل ، فهو في النار ، ورجل علم الحق وقضى به ، فهو في الجنة .

وربما جاز لنا أن نقول : إن كل عامل ألتف عملاً بجهله كالمتهلّب ومدعى الصنعة أباً كانت يقاس

المنفعة بشئ خارج عن إرادة العامل كالمرض ، ففسخها أول بالجواز إذا تسبب العامل في منع المنفعة أو نقصها بإهماله الأخذ بأسباب القوة التي رخصته للعمل أصلاً .

أداء العمل على أكل وجه يستطيعه العامل :
ومن واجب العامل أن يكون أميناً على العمل بالمعنى الذى قدمناء للأمانة ، وهو أداء العمل على أكل وجه يستطيعه العامل ، إذ يقول تعالى : ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ، ولم يقل بالتى هي حسنة - كما أشار ابن تيمية - ليكون التصرف بالأصلح فالأصلح وتتحقق الأمانة في العمل .

وكل تقصير أو إهمال من جانب العامل إنما هو خيانة لأمانة العمل الذى ائتمن عليه ، والله تعالى يقول : يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون .

والعامل مسئول عن كل تقصير وإهمال ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (كلكم راع ومسئول عن رعيته : فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل في أهله راع وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيته ، والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته ، فكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته .

ومن أجل هذا يفوق الفقهاء بين الضرر الناشئ عن تقصير أو إهمال أو خيانة لأمانة العمل ، والضرر الناشئ بسبب خارج عن الإرادة ، فالضرر الأول يضمنه العامل ، والضرر الثانى لا يضمنه ، فالراعى مثلاً - كما يقول ابن قدامة - لا ضمان عليه فيما ألتف من الماشية ما لم يتعد . فأما ما تلف بتعديده فيضمنه

أن الاستنابة جامدة فيما يختلف بالأشخاص إذا اختار العامل من يعرف الناس منه أنه أكفأ منه أو مثله في المكفأة .

ومن واجب العامل أن يتفقه في الدين بالقدر اللازم لأداء عمله

ومن واجب العامل أيضاً أن يتفقه في الدين بالقدر الذي يعينه على أداء عمله على الوجه الذي يرضى الله ، فلقـد حدث زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي بن هـلهم الرضوان أن رجلاً أتاه فقال : يا أمير المؤمنين ، إني أريد التجارة ، فادع الله لي . فقال له علي : أوفقت في دين الله ؟ قال أو يكون بعض ذلك ؟ قال : ويحك ! الفقه ، ثم المتجر . إن من باع واشترى ولم يسأل في دين الله ارتطم في الربا ثم ارتطم . وعن حمـر قال (لا يبيع في سوقنا هذا إلا من تفقه في الدين) .

وربما جاز لنا أن نقول : إن هذا الفقه ألزم ما يكون في التجارة والمعاملات المالية خاصة ، لما ورد من نهي الرسول عن ألوان متعددة من البيرع والمعاملات إتقاء لشبهة الربا ، ودفعاً لاختطار الغرر ، بحيث يلزم التاجر الوقوف عليها حتى لا يرتطم بجهله في المحذور .

مجموع الـربيع هـ

على قول الرسول في الحديث (ورجل قضى بين الناس على جهل) كما أن العامل الحاذق الذي يخون أمانة العمل يقاس على قوله عليه السلام (فرجل علم الحق وقضى بخلافه) فكلا الفريقين في النار ، ولا يسلم إلا القوى الأمين .

لا يجوز للعامل الاشتغال بعمل آخر يضر بعمله الأول

ومن واجب العامل ، رعاية لأمانة العمل الذي اتـمـن عليه ، ألا يشتغل بعمل آخر يضر بعمله الأول ، فإذا فعل سقطت أجرته في رأى البعض ، أو سقط منها بقدر المدة التي عملها للغير كما قرر البعض . ولا يجوز له استنابة من هو دونه في المكفأة

فما يختلف بالأشخاص

وقد لاحظ الفقهاء أن العمل قد يختلف بالأشخاص لاختلافهم في المكفأة ، وفي هذه الحالة لم يجزوا لأجير العيين أن يكل العمل إلى غيره (ممن هم دونه في المكفأة) ، فإذا وكله إلى واحد من هؤلاء سقطت أجرته ، وكان عليه أن استنابة أجره المثل ، وضمن ما أصاب المستأجر من ضرر ، فإذا كان العمل مما لا يختلف بالأشخاص جاز للعامل الاستنابة دون أن تسقط أجرته أو تنقص ، ومفهوم هذا القول

مصادر البحث :

- (١) مجلة الأزهر جادى الأولى سنة ١٣٨٠ (اختيار العمال في الإسلام) .
- (٢) السياسة الشرعية لابن تيمية . (٣) زاد المعاد لابن القيم .
- (٤) الفتاوى لابن قدامة (٥) نهاية المحتاج للرملي . (٦) الفتاوى على المذاهب الأربعة .
- (٧) فتح الباري لابن حجر . (٨) سبل السلام لمحمد بن إسماعيل الأمير .
- (٩) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للسكاساني .
- (١٠) شرح الأزهاري لابن الحسن بن مفتاح .
- (١١) الوضوء للتبشير لشيخ الدين الحـمـين .

أثر الأزهر في الحركات الشعبية للدكتور إبراهيم على شعوط

الأزهر :

فكرة ، ومسجد ، وجامعة :

أما الفكرة : فكانت في أعماق الخليفة المعز لدين الله الفاطمي ، ألقاها إلى قائده دجور الصقلي ، حين قدومه إلى مصر فاتحاً وغازياً .

وهذه الفكرة هي نشر المذهب الشيعي على الصعيد المصري ، وحمل المصريين جميعاً على اعتناقه . أما المسجد : فهو شعار كل دولة إسلامية جديدة ، قامت على أنقاض دولة أخرى بحيث يكون هذا المسجد - كما كان المسجد الأول للسليدين - هو مركز النشاط الديني ، والتوجيه الفكري ، ومكان القيادة ، ومعهد التعليم ، ودار القضاء .

وأما الجامعة : فقد بدأها الخليفة المعز بالله الفاطمي ، حين بنى مساكن الطلاب حول الأزهر ، وأجرى عليهم الرواتب ، وأمددهم بالسكتب وأدوات الدراسة .

ولم يمض غير قليل من الزمن حتى ماتت الفكرة ، وبقي المسجد والجامعة ، ماتت الفكرة لأنها لم تجد الحقل الذي تنمو فيه . وترعرع على سطحه ، فلم تكن عقلية المصريين . ولا عقيدتهم الدينية لتقبل مذهباً غير مذهب أهل السنة والجماعة ، رغم حجم الشدي لآل البيت واحتفالهم بأعياد موالدهم ، والمباغة في تشييد أضرحتهم ، والسخاء في المنذور التي تنفق بأحدهم ، والتبرك بزيارة قبورهم .

وبقي المسجد : لأنه بيت عبادة ، ومكان درس ، زادت العناية به على مر الأيام ، فأضيفت إليه مساحات

واسعة ، وعنى بأمر عمارته ، وزخرفته ، حتى صار المسجد الجامع والمدرسة الكبرى في الشرق كله .

وبقيت الجامعة : بما أتيسر لها من توجيه سليم في المجال العلمي ، وما خرجته من قادة كانوا بحق مثلاً وائماً للعالم العامل الذي يفرض إرادته على أهل زمنه ، بالحجة والبرهان والقوة الحسنة والمثل الكريم ، ثم انتشر ذكر جامعة الأزهر في العالم فأقاموا هنا في مصر ، ينهلون من نبع الأزهر الصافي ، ويثقفون عقولهم بما يشلقون من كافة العلوم ، وصنع الأزهر من هؤلاء العلماء أطواداً شاذية ، تقاوم تيارات الإلحاد والانحرافات والمذاهب الهدامة ، والحلات التبشيرية ، ودعاة الفوضى والانهلال في كل زمان ومكان .

هناك عوامل جعلت للأزهر الهيمنة الكبرى على عقول الجماهير ووجدانهم . وهذه العوامل حملت الأزهر أمانة الرعاية ومسئولية التوجيه ، وخطورة التمردى للكل الجامح .

نستطيع أن نعتبر من هذه العوامل الأمور الآتية :

- ١ - أن المثانة الأزهرية كانت ولا تزال ذات أثر كبير في خلق شخصية الأزهريين .
- ٢ - مناهج التعليم في الأزهر - من حيث التطبيق العملي لها - ربطت بين الطالب في معهده وبيئته في قريته وموطنه ، فأصبح الأزهرى - بالعاطفة الدينية ، والثقافة العلمية - أهلاً لقيادة الحركات الشعبية إذا دعت الدواعي ، كما أن طلائع

لأنما كانوا يدرسونه ليطبقوه تطبيقاً هامياً في المواقف التي تستدعي الجهاد طمعاً في شرف الشهادة ، وقُدوة عملية لجاهدين المسلمين .

من أجل كل هذه الصفات أصبح علماء الأزهر أمام مسؤولية كبرى ألغياها على عاتقهم مركزهم الذي وضعهم الشعب فيه . فصار لزاماً عليهم أن يقفوا في وجه الظلمة المستبدين من الحكام ، فليس غريباً أن نجد في كثير من حالات الظلم التي كان ينشأ منها الشعب طوائف الرجال والفساء والضعفاء يتجهون إلى الأزهر يستصرخون علماءه ، ويستعجدون بهم من ظلم الحكام ، ثم إذا اشتد كرب المكروبين وزحام المظلومين انبعثت أصوات الاستغااث من مآذن الأزهر ومنابره فيضطرب العلماء أن يفوضوا حلقات العلم ليمسحوا في أحداث الظلم والاضطهاد .

وهنا يقوم علماء الأزهر بواجبهم في نصرة المظلوم ومحاربة الظالمين ، خروجاً بالجهاد من معناه النظري إلى واقع العمل ، منفذين القول الخالد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » فتتجه وفود العلماء - وجهاً للضعف من ورائهم - إلى قصور الحكام والأمراء يهددونهم بالثورة المدمرة ضد الظلم والاستبداد .

وأمام هؤلاء العالقة المؤمنين ، يضطر المظلوم أن يرجعوا عن ظلمهم صاغرين هناك على صفحات التاريخ سجلت مواقف عالة لسكبار العلماء وشيوخ الأزهر ، أثارت عواطف الشعب المصري ، وأشعلت نار الحقد على كل ظالم أو مستعمر .

ونذكر على سبيل المثال قاضي القضاة وشيخ الشافعية والعز بن عبد السلام ، الذي عاش في عصر الظاهر بيبرس في القرن السابع الهجري ، وجعل من نفسه قياً على تصرفات المالك مع الشعب ،

طلاب الأزهر في كل قرية ومدينة ، يمثلون الصورة الصادقة للقاعدة الشعبية الواعية . ومن هذه القاعدة الشعبية تصدر دائماً الحركات السياسية لتحرير الشعوب الإسلامية من سيطرة خصوم الإسلام سواء كانوا همياً متبررين أو مسيحيين مستعمرين .

٣ - هذا العدد الضخم من أئمة المساجد ، الذين يقف كل واحد منهم في قربه أو في الحى الذي يسكنه أمام السكان جميعاً ليصلى بهم ، ويتحمل مسؤولية عبادة هذه الجوع أمام الله ، ثم يدير - بحكم الأمانة مستشاراً للبصليين خلفه في كل ما يهمهم من شئون الدنيا والدين .

وكذلك الوعاظ من العلماء في المحافل والجماعات ، ومدى سيطرة المحدث البارع باسم الدين على كل من يستمعون إليه .

من هذه المظاهر . نستطيع أن ندس أثر الأزهر الواضح في التهيئة الروحية ، ثم الواعية الشعبية ، فليس عجباً أن يصبح آلاف الأئمة في المساجد يمثلون الأزهر في التوعية الدينية والسيطرة الروحية وليس عجباً أيضاً أن نرى الوعاظ والمرشدين ، الذين أخذوا على أنفسهم نشر الوعي الإسلامى ، ورسم طريق الحياة الإسلامية ، وتطبيق أحكام الدين ، وشحن النفوس بمعانيه وأهدافه ، حتى صارت لهم على الناس سيطرة روحية ، وهيمنة دينية وأصبح هؤلاء الأئمة والوعاظ - بحكم مراكزهم هذه - مرجعاً لجاهدين الشعوب الإسلامية ، يرجعون إلى رأيهم ، ويحرصون على فتاويهم في شئون الدنيا والدين .

في التاريخ : أنه كثيراً ما كان العامة يلجئون إلى علماء الأزهر ، لم يكونوا يدرسون الجهاد في سبيل الله والوطن دراسة نظرية بين جدران الأهر وكفى

ظهرت فيها شجاعتهم واستماتتهم في الدفاع عن حقوق الشعب ودفع الظلم عن الرعية بشتى الوسائل ، فهذا الشيخ الدريد كبير علماء الأزهر في عهد الجبرتي يصل إلى علمه جور أحد الحكام المسمى د حسين بك ، الشهير باسم د شفت ، ونهبه أهوال الرعية ومقاعهم ، ويستصرخ به الشعب ، وتاجاً الجماعير المظلومة إلى الجامع الأزهر ، فيركب الشيخ الدريد جواده ليقود مظاهرة شعبية تهاجم بيوت الأمراء ، لتسقط ما نهبوه من الأموال ويضطر الأمراء إلى إعلان التذم والتوبة ، ويرغمهم الشيخ على رد الحقوق لأصحابها صاغرين .

ولقد انتزع العلماء ثقة الشعب بهذه التصرفات ، وتحملهم المسؤولية أمام الحكم حتى أصبح كل مصري في القرية والمدينة لا يجد من يلجأ إليه في حالة الظلم والعسف سوى العلماء .

ويحدثنا التاريخ أن عدواناً رقع من المالك على الفلاحين من أهل بليس سنة ١٢٠٩ هـ الموافق سنة ١٧٩٥ م ، وكان شيخ الإسلام في هذا الوقت هو الشيخ عبد الله الشراقى ، خضر إليه وفد من فلاحى مدينة بليس يشكو إليه ظلم الحكم وجورهم فغضب الشيخ الشراقى ، وذهب إلى الأزهر ، وعقد مؤتمراً من العلماء ، قرروا فيه الإضراب العام وذهبوا إلى بيت الشيخ محمد السادات من كبار العلماء ، وطالبوا بإقامة العدل ورفع الظلم ، والعمل بأحكام الشريعة ، وإبطال الضرائب الفادحة ، فوافعت فرائص إبراهيم بك ، وأخذ كل واحد منهما يلقي التبعة على زميله ، ويرى نفسه عما نسب إليه من التهم والسلب . ولم يجد مراد بك خلاصاً من هذا المرقف إلا بأن يرد كل الأموال التي أخذت من أهالى بليس ويعتذر عما وقع من الاهتداء .

العلماء يعلمون وثيقة حقوق الإنسان سنة ١٧٩٥ م :
وبالرغم من إعلان مراد بك وإبراهيم بك الرجوع

فلما رأى بذخ الأمراء وإسرافهم ، منع الشعب من الاستجابة لرغبات المالك ، فلما أرادوا أن يبطشوا به ، وقف الشعب ساجداً له من كل أذى ، وأعلن الشيخ ابن عبد السلام أن حكم المالك في مصر حكم غير شرعى ، لأنهم أرقاء ولا بد من بيعهم ، وإعلان هتفهم ، ليتم تحرير رقابهم .

ونمت هذه القوة الشعبية تمت لإجراءات البيع والعق بجمرفة شيخ العلماء وقاضى القضاة ، وترك هذه الشعبية الجارفة أثرها في نفس السلطان الظاهر بيبرس ولم يستطع أن يعبر عن هذا التأثير إلا بعد وفاة العزيز بن عبد السلام حين شهد موكب جنازته فوجد أن القاهرة كلها خرجت لتشييع جنازة عالمها وقاضيا فقال كلمته المشهورة الآن طاب لى الملك ،

وهناك مثل آخر من الأمثلة الناطقة الدالة على مدى تأثير العلماء في نفوس الشعب بالقدره الصالحة والمثل الكريم ، هذه صورة العلامة ابن تيمية عالم مصر والشام تتمثلها في مشاركته الفعالة للجيش في حومة القتال مع السلطان الباصر محمد بن قلاوون في معركة من أهم المعارك في تاريخ المسلمين وهى معركة د مرج الصفر ، بين التتار والمالك فكان الشيخ ابن تيمية يشق صفوف المقاتلين ، ليحرضهم على القتال ، وبأمرهم بالصبر ويحملهم على الفطر في شهر رمضان ، لتتوفر لهم القدرة على القتال ، ثم يفطر هو أمامهم حتى لا يكون هناك حرج على أحد إذا جاهر بالفطر أثناء المعركة ، وكتب انه النصر للمصريين على التتار في عام ٧٠٢ هـ في شهر رمضان من هذا العام .

ونحن إذا سرنا فى ركب الأزهر مع الزمن ، نجد الرأية فى يده ، ولواء القيادة الشعبية معقوداً للأزهريين دائماً ، فهوى الجبرتي فى تاريخه أحداثاً كثيرة تدل على بطولات فذه لشيخ الأزهر ،

فن حق الشعب أن يعزله وأن يخلعه ولو كان الخليفة نفسه ، واضطر السلطان العثماني أن ينزل على رغبة العلماء ، ويعزل خورشيد باشا لظلمه وسوء سيرته وانتصرت قوى الشعب على سيطرة الطغاة .
جهود الأزهر في مقاومة الحملة الفرنسية :

كان الأزهريون هم الفئة الواعية الرشيدة في مصر ، وكانت لهم على الشعب هيمنة روحية ، فكان من الطبيعي أن يتضح موقف العلماء من الغزو الفرنسي ، وكان لابد لهم من إعلان رأي الدين في غزو المسيحيين لبلاد الإسلام ، كما كان من الطبيعي أن تشتمل جذوة الوطنية لتتخلط في قلوب المصريين مع العقيدة الدينية ، ويصبح الجهاد فرضاً على كل مسلم ومسألة ليخرج الفرنسيون من مصر مهما كان الثمن .

ولم يكن يخفى على نابليون وحاله مدى سيطرة العلماء على مواطني الشعب ووجدانه فحاول عبثاً أن يستميل العلماء بكافة الوسائل ، كما لجأ إلى تزوير المنشورات على لسان العلماء ليهديء من غضب الشعب وانفعالاته ، ولكن هذه المحاولات ذهبت مع الريح ، وبقي الشعب في غليانه ، يستمد طاقاته من تحرير العلماء ودعوة الدين إلى الجهاد ، والتضحية ، واستعملت السلطة الفرنسية كل وسائل العنف والشدّة مع العلماء ، فقتلت هداً كبيراً منهم ، وبجنت وشردت كل من كانت تخاف نفوذه من رجال الأزهر .

ولما لم يقض ذلك كله على تجمع الثوار في الأزهر اقتحمت الجنود حى الأزهر ، ووطئت صحنه سنابك الخيل الفرنسية ، وسلطت على جدرانها المدافع شروطاً في هددهم لأنه أقص مضاجعهم وعجزوا عن إخماد الثورة التي عمدها الأزهر بوقوده من الخطاب المؤثرة والقيادة الصادقة .

المركنور إبراهيم على شعوط

عن سياسة الظلم والاضطهاد ، فإن العلماء ورجال الأزهر لم يبقوا بهذه العهود ، وأصروا على وضع نظام يكفل العدالة ويضرب على أيدي الظالمين ، وعقدوا اجتماعاً حضره الشيخ السادات ، والسيد عمر مكرم والشيخ الشرفاوى ، والشيخ البحكرى والشيخ الأمير ، وحضر الاجتماع أيضاً مجموعة من أراء المالك ، وبعد أن عرض نوار الأزهر مطالبهم ، وأقنعوا بها حكام مصر ، أصدر هذا المجلس الذى يعتبر مجلس قيادة الثورة في ذلك الحين وثيقة لإعلان حقوق الشعب، متضمنة هذه الأغراض :
 ١ - ألا تفرض ضريبة مهما كانت نوعها ومقدارها إلا إذا أقرها مندوبو الأمة .

٢ - أن ينزل الحكم على حكم القضاء الذى تصدره المحاكم .

٣ - ألا تمتد يد أحد من الأراء إلى أى فرد من افراد الدولة إلا بالحق والشرع .

ثم وقع على هذه الوثيقة والى العثماني ، وإبراهيم بك ومراد بك بوصفهما شيخى البلد المنصرفين نيابة عن والى .

القوة الشعبية من الأزهر تعزل والى العثماني

سنة ١٨٠٥ م :

لما لم يحترم خورشيد باشا نصوص هذه الوثيقة اضط السيد عمر مكرم ومعه طائفة من العلماء أن يقرروا مظاهرة شعبية . ويحاصروا والى العثماني (خورشيد باشا) في القلعة ، وأعلن العلماء عزل هذا والى الظالم ، فلما ضاق الحصار على والى أرسل إلى العلماء وسولا يقول لهم : كيف تعزلون من ولاه السلطان عليكم وقد قال الله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ؟ فأجاب السيد عمر مكرم بقوله : « أولو الأمر العلماء وحملّة الشريعة والسلطان العادل . فإذا كان الحاكم ظالماً

الأدب الإسلامي حقائق ونماذج

للاستاذ مصطفى عبد الواحد

والإيمان ، ويحذرونهم من ضعف البناء الفنى إن ارتبط
أدبهم بالخير والحق .

وحقيقة الأمر أن الأدب العربى قد تأثر بالإسلام
منذ فجره الأول ، منذ اعتنق الإسلام شعراء
وأدباء عرب ، وأصبح الأدب الإسلامى يتصدر
معركة الإسلام ضد الكفر والظلم فى الطور
المسكى ، قبل أن يواجه ذلك الأدب المعركة الحربية
فى دور الجهاد والغزوات فى المدينة .

والأدب الإسلامى فى الطور المسكى يعبر عن المحنة
ويصور الاضطهاد الذى لاقاه المسلمون من أعدائهم ،
وكان أبرز موقف واجبه المسلمون الآرون موقف
الهجرة إلى الحبشة ، فقد كان أمراً مؤلماً
أن يضطروا إلى فراق ديارهم وأهلهم فراراً بدينهم
من الأدنى .

لذلك يجل الأدب الإسلامى هذا الموقف وصور
مشاعر المهاجرين إلى الحبشة ..

فقد كان بما قيل من الشعر فى الحبشة أن عبد الله
ابن الحارث بن قيس بن عدى بن سعيد بن مسهم
حين أمن المسلمون بأرض الحبشة وحمدوا جوار
النجاشى وعبد الله لا يخافون على ذلك أحداً قال :

يا راكباً بلغن عنى مغلفة

من كان يرجو بلاغ الله والدين

كل امرئ من عباد الله مضطهد
يبطن مكة مقهور ومفتون

لنا وجدنا بلاد الله واسعة
تنجى من الذل والخزاة والمون

فلا تقيموا على ذل الحياة وخز
ى للسات وغيب غير مأون

نقصد بالأدب الإسلامى الأدب الذى تستعلن
فيه روح الإسلام والذى يعبر عن أهدافه ويتجه
إلى غيائه .

ولا نقصد به ما يسمى بالأدب الدينى ، من القصائد
التقليدية المعزولة عن الحياة المحصورة فى نطاق ضيق
من المدائح أو الابتهالات .

بل نقصد النظر فى أثر الإسلام فى الأدب العربى :
هل استطاع الإسلام أن يصدر الأدب عن توجيهه
وأن يحركه فى خدمة الدعوة الإسلامية والتعبير
عن نظرة الإسلام للكون والحياة ؟

ونبدأ فنقرر أن الإسلام ، وهو حركة إبداعية
شاملة ومنهج كامل متوازن كان لابد أن يؤثر
فى الأدب العربى وهو أدب أول أمة اعتنقت
الإسلام وتأثرت به ، وقد كان هذا التأثير فى شكل
الأدب وجوهره ، أى فى الألفاظ والمعانى
والأغراض .

ولكن الغريب أن مؤرخى الأدب لا يبرزون
تأثير الإسلام فى الأدب ولا يسمون له صورته
الأممية الصادقة ، بل يكتفون بذكر أمثلة هزيلة
لتأثير الأدب العربى بالإسلام ، تفيد أن الأدب
العربى لم يستفد من الإسلام إلا بضعة ألفاظ وردت
فى القرآن والحديث ، وأنه لم ينطبع بالإسلام
إلا شعر حسان وأمثاله من النفر المعدودين
من شعراء الصحابة ، حتى شعر حسان رأوا أنه رقى
فى الإسلام وضعف ، وأن الشعر لذلك نكد يقوى
فى الشر ويضعف فى الخير ١١ .

وكانهم بذلك يذودون الأدباء عن طريق الخير

وحدث جعفر بن أبي طالب المشهور وأمام النجاشي
يعتبر مثالا للثبات الإسلامي ، وقد استطاع جعفر
أن يرسم صورة صادقة للإسلام وصورة صادقة
أيضا لظلام الجاهلية ، وأن يبين حقيقة موقف
المشركين ، مما اجتلب به عطف النجاشي وحمايته .
فقد قال : « أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهلية
نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع
الأرحام ونمسي الجوار ويأكل القوي الضعيف ،
فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف
نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده
ونعبدوه ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه
من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث
وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف
عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول
الزور ... إلى أن قال : « فصدقناه وآمنا به واتبعناه
على ما جاء به من الله . فعدا قومنا علينا فهدبونا
وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان
من عبادة الله وأن نستحل ما كنا نستحل
من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا
وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك
على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا ألا نظلم
هناك أيها الملك . »

هكذا تحدث جعفر مدافعا عن عقيدته ومبينا
لللمحة التي تواجهها تلك العقيدة ، وهي أيضا قطعة
من الأدب الإسلامي الخالص لا عهد لأدب الجاهلية
بها ولا قدرة له عليها .

وهذه النصوص من المرحلة الأولى للإسلام ،
تنبئ عن أن الأدب الإسلامي ولد مع الإسلام
وعاش معه معبرا عن أغراضه مؤرخا لكفاحه
مناخا عنه في شتى الميادين .

مصطفى عبد الوارث

إنا تبعنا رسول الله واطرحوا
قول النبي وعلوا في الموائد
فاجعل هذابك بالقوم الذين بغوا
وطائفا بك أن يملوا فيطغفوني ؟
فهل كان يوسع الأدب العربي أن يمتد إلى هذه
المعاني في جاهليته ؟ إنها صورة إسلامية صنعتها الحقنة
وانطقها الاضطهاد .

وعبد الله بن الحارث أيضا هو الذي يقول :
وتلك قریش تجدد الله حقه
كما جددت عاد ومدين والحجر
فإن أنا لم أبرق فلا يسعني
من الأرض بر ذو فضاء ولا بحر
بأرض بها عبد الإله محمد
أبين ما في النفس إذ بلغ النقر
وأشعار المهاجرين إلى الحبشة كثيرة ، وكها
تتعلق بالحنق على قریش وما صنعتهم بالمسلمين ،
وتؤكد استمساك المسلمين بالحق وصبرهم على دينهم .
وكان منها جانب يخاطب الجاهليين بلغتهم ويستثير
فيهم العصبية والنخوة ، مثل قول ابن مظهر يعاتب
أمية بن خلف ، ابن عمه ، وكان يؤذيه في إسلامه :
أخرجتني من بطن مكة آمنا

وأسكتتني في صرح بيضاء تنزع
ريش نبالا لا يواتيك ريشها
وتبرى نبالا ريشها لك أجمع
وحاربت أقواما كراما أعزة
وأهلكت أقواما بهم كنه تفرع
ستعلم إن نابتك يوما ملسة
وأسلبك الأوباش ما كنت تصنع
وإذا كان الشعر قد صور الحقنة وجابه المعركة
فإن النثر أيضا قد ساهم في الدفاع عن الإسلام
في طوره الأول .

فِي نَحْوِ جَمِيعِ الْبَحْثِ

التَّامِيَّةُ

لِلْأَسْتَاذِ عَلَى الْخَفِيفِ

- ٦ -

ولذا نرى أنهم يذكرون من أنواع الشرط الصحيح ما جرى به عرف الناس في التعامل من الشروط الفاسدة ويمثلون لذلك بأن يشترط المشتري على البائع إصلاح الآلة المشتراة إذا أصابها الفساد في مدة معينة أو أن يشترط عليه حملان السلعة المشتراة إلى منزله - ولا شك أن اشتراط حصة محددة من الربح في عمليات الاستثمار بطريق المضاربة قد شاع شيوعاً بجملة عرفاً حتى أننا لا نكاد نرى استثماراً من هذا النوع إلا على هذا الأساس تأمينا لأرباب الأموال وبعدها بهم عن أن يسيثوا الظن بأرباب التجارة والأعمال فيقبضوا أيديهم وفي ذلك شلل التجارة والصناعة وعليه فنستطيع أن نقول إن هذا الاشتراط وإن كان فاسداً فيما سلف من الزمن فقد انقلب صحيحاً وهذا إذا أغفلنا النظر عما قد مناه من أن أساس اعتباره شرطاً فاسداً أنه يؤدي إلى عدم الاشتراك في الربح في بعض الأحوال وأن هذه الأحوال إن توجد أو هي نادرة بناء على ما شرحتناه فيما سبق رأته لهذا أن يؤدي اشتراطه إلى عدم اشتراك في الربح .

على أن المستامن إذا ما أراد أن يستعير لهينة ويتقن احتمالاً بعيد الوقوع كهذا فلا عليه أن

وقد نص الفقهاء على أنه إذا جعل لرب المال من الربح ألف جنيه إن وصل الربح إلى ألفين مثلاً أو زاد عليهما وإلا كان الربح مناصفة بين رب المال والمضارب كان العقد صحيحاً لأن ذلك الشرط لا يحول دون المشاركة في الربح .

وعلى هذا يكون الحكم على هذا العقد بأن الحكم عليه موقوف إلى تبين الأمر كالحكم على عقد المكروه عند زفر رضى الله عنه إذ يرى أن الحكم موقوف على إجازته من المكروه بعد زوال الإكراه فإن أجارة صح رنفت وإلا بطل - ويصح أن يكون حكم هذا العقد أنه فاسد فساداً يرتفع بزوال سبب الفساد كالعقد الذي يفسد لجهالة أجل العوض فيه فإن الفساد يرتفع ببيان الأجل أو يفسد لاشتراط الخيار دون مدة أو لمدة تزيد على ثلاثة أيام عند أبي حنيفة فإن الفساد يرتفع ويصح العقد باستعمال الخيار في مدة الأيام الثلاثة الأولى التالية للعقد وعلى هذا فليس ما يمنع من أن يكون عقد التأمين فاسداً فساداً يرتفع بزوال المفسد فيصح بظهور ربح تتحقق فيه الشركة مع هذا التحديد على أن من المقرر في فقه الحنفية أن الشرط الفاسد إذا ما تعارف الناس اشتراطه انقلب شرطاً صحيحاً -

ولأنه يرى ما يترتب على التأمين وما يؤدي إليه من مصالح اجتماعية قومية أشرنا إليها فيما سبق وإذا ما كان العمل ما منافع أكبر من ضرره ، كان جائزا وذلك أصل من أصول الشريعة الإسلامية الذي تقوم عليه أحكامه ، بل هو أصل عام في جميع الشرائع السليمة ويتفق ومقتضى العقل والفطرة .

وعلى ذلك يظهر أن ليس لما احتج به المانعون على حظره من أن فيه ربا أو شبهة أساس .
ما فيه من الغبن :

ذكر بعض الممانعين للتأمين أن بما يحميه ما فيه من الغبن إذ قد يستحق به مال عظيم في مقابلة مال حقير ولعلنا نعلم أن الغبن في عقد بين عاقلين رشيدين صدر عن رضاها يصاحبه سببا للحكم بفساده وحظره وليس الغبن في عقد بأشد ضررا على المغبون من تبرعه بمثل ما غبن فيه وذلك أمر جائز ، ثم إذا بحثنا عن الغبن في عقد التأمين لا نجد متصورا إلا بالنسبة إلى المؤمن الذي قد يلزم بدفع مبلغ التأمين بينما أنه لم يتسلم إلا قسط واحد من أقساط التأمين ، أما المستامن فهو الغائب الظاهر في جميع الأحوال التي يتسلم فيها مبالغ التأمين ، أما في غيرها فقد قنع بالسلامة والإمان وذلك ما كان يرجوه من عقد التأمين وعلى أية حال فكل الطرفين قد أقدم على هذا العقد وهو مقدر لجميع نتائجه فأنع بها راض عنها طالب لها وهو عاقل رشيد له حق التصرف في ماله فإذا وجد مع هذا الوضع غبن لم يلقفت إليه ولم يكن له أثر في العقد .

ما فيه من تحدد للقدر الإلهي وبخاصة إذا كان على الحياة :

ونرى أن هذا السبب لا موضع له في التأمين إلا إذا كان الغرض منه ألا يقع ما قدر الله وقوعه -

يشترط في عقده مع الشركة المؤمنة أن تكون حصته من الربح كذا في المسألة من رأس المال المدفوع أو مبلغ كذا إن زاد الربح على ذلك فإن نقص كان الربح كله له - وعند ذلك يكون العقد مضاربة صحيحة إن زاد الربح عن المقدار المشروط ويكون بضاعة الربح فيه كله لرب المال إن لم يزد عليه وكلاهما عقد جائز ولا يضير شركة التأمين إن يكون الاشتراط في العقد على هذا الوضع فإنه وضع لا يغير من نتيجة العقد المعروفة الآن وإن - نجى - حال يكون الربح كله فيها للمستامن .

ثانيهما : أن المؤمن قد يستغل ما يأخذه من الأقساط في معاملات ربوية محرمة وعلى ذلك يكون التعامل بعقد التأمين إثمًا له على الاستمرار في ارتكاب المحظور كما يكون الربح من هذه المعاملات وبها غير طيب لا يطيب لأحد أخذه وفي سبيل الإجابة عن هذه الشبهة وردها نرى أن استثمار المؤمن لما يأخذه من الأقساط في معاملات ربوية أمر غير مقطوع به ، لأننا نراه يستثمر في معاملات تجارية وصناعية مما لا ريب فيه ، وقد يعطى هذه الأموال لاستثمارها في إثمات المذنبات والمصانع وما يشبهها من الأغراض ، ومن اليسير على المستامن دفعا لأية شبهة أن يشترط على المؤمن ألا يستغل ما يأخذه من المال في معاملات ربوية ، ويعزم عليه في ذلك فإن عالف فإثم ذلك عليه لا على المستامن الذي لم يكلفه الله بحثا ولا تجسسًا عليه بعد ذلك ، ثم هو إذا خالف يخرج من أمانته وعن نيابته عن المستامن فيفتنى أن يقرض المحظور بالأذن منه .

والنتيجة أن هذا الاستدلال يقوم على الشبهة ولا يكون للشبهة أثر إذا ما تعارضت مع المصلحة

وهذا التدايل إنما يقوم على أن نظام التعاهد في الإسلام يقصر الناس على أنواع معينة من العقود المسماة المعروفة في صدر الإسلام من بيع وإجارة وهبة ورهن إلى غير ذلك من العقود الأخرى التي ورد لها ذكر وأحكام في مصادر الشريعة ولا يذبح للناس لإيجاد أنواع أخرى لا تدخل في أحد الأنواع السابقة المذكورة ولكن الأمر الذي يكاد يكون معروفاً في الشريعة بالضرورة أن هذه العقود المعروفة كانت متداولة عند العرب قبل الإسلام يتعاملون بها ويقومون حياتهم عليها حين دعت إلى ذلك حاجتهم ورتبوا عليها أمورهم وجرى العرف بها بينهم ثم جاء الإسلام فأقر ما كان منها صالحاً وكل ما كان ناقصاً وحرم ما كان ضاراً وحد لها الحدود وفصل لها الأحكام على وضع يتحقق به النفع العام للناس ويتقضى به الضرر فبينما يرى أنه قد أقر عقد الزواج حرم أنواعاً منه تؤدي إلى إمتنان المرأة أو قطيعة القرابي كما حرم العقود الربوية لما فيها من أكل المال بالباطل في حين أنه أقر من المعارضات ما ليس فيه ذلك المعنى وإن قام الجميع على الرضا .

ومن هذا يتبين أن الشريعة الإسلامية حين ظهرت إنما نظرت إلى المعاملات بين الناس نظرة لإصلاح وتهذيب وتعرف لما تتطلبه الحاجة من أنواعها من حيث إنما طرقت لإقامة مجتمع سليم صالح تتوافر فيه أسباب عبادة الله تعالى وتقديسه واتباع أوامره واجتناب نواهيه . وعلى هذا يرى أن العقود لم تشرع إلا للحاجة والمصلحة العامة وحيث تتحقق المصلحة العامة فثم شرع الله وحكمه ولم تشرع ابتداءً للتقرب والعبادة وذلك ما يدل عليه وجودها قبل الإسلام وما يتفق مع طبيعتها ويقضيها إقرار الشارع لها

وما كان التأمين في يوم من الأيام ولا في حالة من الحالات ضماناً لعدم وقوع الخطر المؤمن عليه حتى يكون تمهيداً للأقدار ، وإنما يقدم الناس على التأمين لتفقيت آثار الأخطار أو لتزيمها إذا وقعت وذلك بتحويلها عن ساحة المستأمن الذي قد يعجز عن تحملها إلى ساحة جماعة تخفف فيها وطأتها بسبب تجزئتها وتوزيعها بين أفرادها إلى درجة ضئيلة لا يكاد يستشعرها واحد منهم وذلك على الوضع الذي سبق شرحه .

أنه عقد مستحدث لا ضرورة إليه :

حارل بعض المأمنين للتأمين أن يجعل من أسباب منعه أنه عقد مستحدث وقد إلتينا من الغرب ونشأ فيه نتيجة لتفاعل مجتمعه مع واقع حياته في نطاق عقائد وتقاليده ، فكان عقداً غريباً عن واقعنا الإسلامى أريد به حين وفد إلتينا أن يكون أساساً لزور معاملات أجنبية في محيطنا الإسلامى على بعد ما بيننا وبين منشئه من تارق العتائم وأصول التشريع والأذواق والتقاليد ، فليس لنا أن نتخذة مع هذا أمراً مشروعاً بيننا يقوم عليه نظامنا وتقضى به محاكمنا إذ لم ينشأ نتيجة حكم إسلامى ولا حكم لإله وليس لمسلم مهما بلغ شأنه أن يتولى ذلك إلا أن يكون اجتهاداً فيما أنزله الله على رسوله ولم يكن التأمين نتيجة لاجتهاد فيما أنزله الله ولا فيما أثر عن رسوله فكان لذلك أمراً ممنوعاً محظوراً - وكثيراً ما رأينا في الفقه الإسلامى أن بطلان بعض العقود معلل بأنها عقود لم يرد فيها أثر ولم يصح لها قياس وأن ذلك يظهر كثيراً فيما ذهب إليه الخنفيه والشافعية ، وعقد التأمين عقد مستحدث لم يرد به أثر ولم يصح له قياس فكان لذلك عقداً باطلاً محظوراً - ذلك قولهم في منع هذا العقد من هذه الناحية .

وبذلك يثبت سقوط ما ذهبوا إليه في ذلك من الاستدلال على منع عقد التأمين .

هذا ما استدلل به المانعون فيما نعلم وليس فيما قرأنا دليل آخر لم يدل على ذلك ، ومن عجب أن نجد بعضهم أجاز جميع أنواع التأمين التي تراولها الجمهورية العربية المتحدة بناء على أن ذلك ضرورة اقتضتها حالة طارئة وأنه سيذوب تدريجياً وينتهي إلى لا شيء وهو أمل نرى له أساساً ، فطبيعة نظام التأمين تقتضي البقاء ، وإذا كانت الضرورة التي يزعمها أصحاب هذا الرأي قد سوغت ما يروونه حراماً من التأمين ، فإن الحال التي نشأت عن انتشار شركات التأمين وقيام المشروعات الضخمة الكثيرة على أموالها وتوقف استمرارها والتوسع فيها على بقائها وتقاضى أقساط التأمين ضرورة تستوجب جواز هذا العقد وبقائه حتى لا تتعرض تلك المشروعات لجشاعة إذ في تفويضها تخريب مؤكد لاقتصاد الأمة وقد ألمعنا فيما سبق إلى ما للتأمين من مزايا وما يحقق من مصالح عامة .

ذلك ما ذهب إليه المانعون لثقة التأمين بجميع أنواعه وما استدللوا به وفيما يلي آراء بعض الباحثين الذين منعوا بعض أنواعه دون بعضها الآخر .

آراء المانعين لبعض أنواعه :

ذهب بعض المناظرين في التأمين إلى أنه جائز في بعض أنواعه - لحلولها من أسباب الخطر التي ذكرناها - ممنوع في أنواعه الأخرى لتحقيق هذه الأسباب أو بعضها فيه ومن هؤلاء الأستاذ محمد أبو زهرة إذ ذهب في التعليقات الذي ألقاه في أسبوع الفقه بجامعة دمشق إلى أن التأمين التعاوني والاجتماعي حلال لأنه لا شبهة فيها وأنه لا يستحل عقود التأمين الأخرى للأسباب التي ذكرها وهي لا يخرج مما

وهذا ما تفيدته نصوص الشريعة إجمالاً وتفصيلاً ومقتضى ذلك أن الشارع الإسلامي لم يحصر التعاقد في موضوعات معينة يمتنع تجاوزها إلى موضوعات أخرى ، وليس في نصوص الشريعة ما يوجب تحديد أنواع العقود أو تقييد موضوعاتها إلا بأن تكون غير منافية لما قرره الشارع من أصول عامة وقواعد كلية في المعاملة والتعاقد ، ولذا جاء قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، أمراً عاماً وإلى هذا ذهب فريق من العلماء وخالف فيه أهل الظاهر وقالوا : لا يجوز إحداث عقد لم يرد به شرع لأننا إن أحدثناه ولم نجعله ملزماً لم يكن ذا أثر مفيد وإن ألزمنا به أنفسنا فأوجبنا على أنفسنا المضى فيه فقد أحدثنا في الدين ما ليس منه وأوجبنا على أنفسنا ما لم يوجبه الله عليها وذلك رد .

وفي الحق أن هذا استدلال لا يفيد لأن الله قد أمرنا أن نوفي بالعقود على وجه العموم دون حصر إلا ما يقضى به العقل وينص عليه الدليل فوجب الوفاء بكل عقد إلا ما حرمه الله ولذا كان ما ذهب إليه الآخرون من إطلاق الحرية للناس في إحداث ما يحتاجون إليه من العقود في نطاق الأصول الشرعية هو الحق - وليس في عقد التأمين نص يوجب تحريره كما أنه لا ينافي أصلاً من أصول الدين على ما سنبين ذلك عند كلامنا على أن الأصل في العقود هو الإباحة الشرعية .

أما قولهم : إنه عقد لا ضرورة إليه فليس يلزم في إحداث عقد أن تدعو إليه ضرورة وإنما حدثت العقود نتيجة للحاجة وإقدام الناس عليها وبيعها وانتشارها دليل الحاجة إليها ، ولا شك أن عقد التأمين عقد منتشر ذائع في جميع النواحي الاقتصادية والصناعية وليس يحدث ذلك من غير حاجة .

و كذلك يرى كثير منهم في التأمين أنه جائز إذا ما قامت به الحكومة وأن ما سنته الحكومات من نظم التقاعد والمعاش لا يختلف في شيء عن نظام التأمين ، ولذا كان في الواقع نوعا منه وقد أقر كثير من علماء الشريعة هذا النظام وعملوا به ورأوا أنه يحقق مصلحة عامة يقوم عليها نظام خدمة الدولة والعمل لها ، ويقولون في تأييد ذلك والاستدلال له : إن قيام الحكومة بذلك عندما تقوم به ليس إلا من قبيل كفايتها لرعاياها وللعاملين في خدمتها ، وذلك ضرب من ضروب ولايتها وهيمنتها على جميع شئون أفرادها ، واضطلاعها بسد حاجتهم ورفع الضر عنهم ومحو عنهم في مفارمهم وفي تحمل آثار ما ينزل بهم من نوازل وما يصيبهم من كوارث ، وذلك خير ما تقوم به الدولة لرعاياها ولها في سبيل ذلك أن تفرض الضرائب وأن تسن النظام السكفيلة بتحقيق هذه الأهداف دون هنت أو إرهاق ، وعلى هذا فإن ما تأخذه لهذه الغاية من المال ليس لإلزام قبيل الوظيفة أو الضريبة التي تفرضها على من يريد أن يتمتع بهذا النظام ، وليس عوضا ولا بدلا عما سيمعطى لمن قام بدفع هذا المال ، وهذا الوضع والبيان يقتضي أن يكون من قبيل المراهنة والمقامرة أو أن يكون فيه غرر محظور أو أكل للمال بالباطل وجملة القول : إن ما تأخذه الحكومة من الأموال في هذه السبل إذا ما رأت الأخذ إنما تأخذه ليكون عوناً لها في قيامها بمهمتها في شتى المرافق التي تضطلع بها ، شأنه شأن الضريبة تفرضها ، وأن ما تعطيه لأفرادها في هذه السبل إنما تعطيه من مال الدولة ولذا ترى أن له حقا فيه ، وأن ذلك بما يجب عليها أن تقوم به إذا ما توفرت سبله على الوجه الذي تراه تلك آراء من لم يمنعه بمجيبات أنواعه ، وذهب

ذكرناه في أسس الحظر ومنهم الأستاذ محمد بن الحسن الحجوى في كتابه « الفسك الساسى » فقد ذهب إلى أنه جائز حلال في جميع أنواعه ما عدا التأمين على الحياة لعدم مسيس الحاجة إليه ، وذلك ما يشعر بأنه إنما أجاز ما عدا هذا النوع للحاجة إليه ولو مست الحاجة إلى هذا النوع لأجازه ، ويرى الأستاذ أحمد طه السنوسى في بحثه الذى نشر بمجلة الأزهر بالمجلد ٢٥ أن التأمين من المستولية جائز شرعا قياسا على جواز عقد الموالاة ولم يتعرض لغير هذا النوع من التأمين ويرى الأستاذ عيسوى أحمد عيسوى ما رآه الأستاذ محمد أبو زهرة من جواز التأمين الاجتماعى والتعاونى دون غيرهما من الأنواع الأخرى وذلك في بحثه الذى وضعه في التأمين ، وبني رأيه هذا على أن التعاونى والاجتماعى خاليان من شبهة الغرر والقمار والربا وأكل المال بالباطل فكانا جائزين لذلك .

وجمة القول أن أكثر المعارضين في التأمين يرون جواز التأمين الاجتماعى الذى تقوم به هيئة تعاونية مكونة من المستأمنين أنفسهم بناء على أنهم على التعاون بين أعضائه هذه الهيئة وأن ما يدفعه كل منهم من الأقساط تبرع منهم وجهوه إلى هذا الوجه من وجه البر والخير عن رضا منهم واختيار وليس في ذلك معنى من معانى القمار والمراهنة والربا ولا غرر فيه ولا جهالة ولا أكل للمال بالباطل ويستمرى عندئذ أن يكون التأمين على الأشياء أو على الحياة لأن ما يعطى للمستأمن إنما يعطى إليه تبرعا من المجموع ولا يضير أن تقدر ما يعطى في أنواعه كما في التأمين على الحياة قائما على نسبة مئوية يتبع في حسابها ما يتبع عند استئجار المال على أساس الفائدة ما دام أن الإعطاء قائم على التبرع ، وصنعود إلى هذا الموضوع فيما يأتى فزيدة بياناً وإيضاحاً .

في التعاوانى تختلف عن طبيعته عندما تكون الحكومة هي الفاعلة به كما تختلف عن طبيعته كذلك عندما تقوم به شركة مساهمة أنشئت لغرض الربح وجمع المال .

فإذا قام بالتأمين جمعية تعاونية تضم جميع المستأمنين وأقامت من بينها هيئة تمثلها لتقوم بكل ما تتطلبه أعمال التأمين من تعاقد وإدارة وتفاض للأقساط واستثمار المال بالطرق المشروعة التي تراها ودفع التعويض لمن ينزل به الخطر وغير ذلك من أعمال التأمين فإنه في هذه الحال يحتقن معنى التعويض في عقود التأمين معها لأن المؤمنين هم المستأمنون أنفسهم فكان الالتزام وتحمل تبعه الخطر المحتمل منهم جميعا ممثلين بالهيئة التي عينوها وما يدفعونه من الأقساط حينئذ إنما يدفعونه جميعا ليكون حصيلة وصيدها يدفع منه التعويض لمن نزل به الخطر المزمع ضده وهو خطر يتعرضون له جميعا - وبناء على هذا يخلو العقد من شبهة الربا ومن معنى الخطر والغرر ومن جميع الشبهات التي أدت ببعض الباحثين إلى القول بحظره ويكون موضوع العقد حينئذ هو التزامهم جميعا ممثلين في الهيئة التي عينوها ، بتحمل تبعه الخطر الذي ينزل بأحدهم ودفع ضرره بواسطة التعويض الذي يدفع من أموالهم لهذا الغرض .

وليس ينبغي أن قيام الهيئة باستثمار ما يجمع من الأموال في هذه الحال أمر خارج عن معنى التأمين وعن موضوعه وعلى الهيئة أن تستثمره بالطرق المشروعة فإذا حادت عنها فالإثم عليها نفسها .

والعقد على هذا الوضع كما يرى عقد جديد مستحدث لم يكن معروفا في عهد التشريع ولا يتناول له عقد من العقود المعروفة التي جاء ذكرها في المكتاب

إلى جوازه في بعضها ، ولم تخرج أسباب منعه لبعضها الآخر من الأسباب التي ذكرناها فيما سبق ولينا أنها لا تصلح حجة للنوع .

رأى المجوزين :

لبيان رأيهم وموقفه نرى أن نعرض للحالات ثلاث يكون عليها عقد التأمين وذلك لاختلافها في الحكم لدى الناظرين في عقد التأمين الباحثين عن حكمه شرعا ، ولأن العقد فيها قد يرى أن طبيعته تختلف فيها اختلافا قد يكون هو المؤدى إلى اختلاف الرأي في حكمه ولبيان ، ذلك نعرض للحالات ثلاث .

الأول : أن عقد التأمين قد يكون مع جمعية تعاونية تضم جميع المستأمنين ولها شخصية معنوية ويمثلها هيئة يعينها المستأمنون ، وتقوم هذه الهيئة بكل ما يلزم لهذا العمل من إدارة وتعاقد مع من يريد الانضمام إلى الأعضاء وتقاضى جميع الأقساط وتقوم على حفظ المال وجمعه واستثماره بالطرق المشروعة التي تراها ودفع المال لمن نزل به الخطر وغير ذلك مما تتطلبه هذه العملية - وإذا جنحت في استثماره إلى طرق محظورة فإثم ذلك على مقرره وعلى من يرضى به وهو لئلا يتصل بموضوع التأمين ولكنه لئلا انحرف في العمل في ماله وذلك ما لا يمس موضوعه ، وفي هذه الحالة يحتقن معنى المعاوضة في عقد التأمين ، ذلك لأن المؤمن فيه هم المستأمنون أنفسهم فالالتزام وتحمل التبعة منهم جميعا ممثلين بالهيئة التي عينوها وما يدفعونه من الأقساط .

القول في جوازه :

قد يرى الناظر في التأمين أن طبيعته في بعض أحواله تختلف عن طبيعته في بعضها الآخر فلطبيعته

والإخصائيين ومصاريف الإقامة في المستشفيات والعمليات الجراحية والبحوث والتحاليل الطبية كما تصرف الهيئة للعامل المصاب خلال تخلفه عن العمل معونة مالية تعادل أجرة المدة المسددة عنها الاشتراك .

وفي حالة العجز السكلى الدائم أو الوفاة بسبب مرض مهني أو إصابة عمل يصرف معاش على أساس ٨٠ ٪ من متوسط الأجر في السنة الأخيرة . أما إذا نشأ عن الإصابة عجز جزئي دائم تبلغ نسبته ٣٥ ٪ أو أكثر من العجز السكلى فإنه يصرف للمصاب معاشا يوازي نسبة ذلك العجز . وإذا كانت نسبة الإصابة تقل عن ٣٥ ٪ فيصرف للمصاب تعويض معادل لنسبة ذلك العجز مضروبة في قيمة معاش العجز السكلى من أربع سنوات ويصرف التعويض دفعة واحدة .

والاشتراك الواجب دفعة ٣ ٪ من أجر كل عامل يلزم بدفعه صاحب العمل .
٢ - التأمين الصحي .

والغرض منه علاج العامل والقيام بنفقات ذلك العلاج ويشمل ذلك أجور الأطباء والإخصائيين والإقامة في المستشفيات والبحوث والتحاليل الطبية المختلفة وثمان الأدوية .

ويصرف للعامل أثناء مرضه في حالة تخلفه عن العمل معونة مالية تتراوح بين ٧٥ ٪ و ٨٥ ٪ من أجر العامل بحيث لا تتجاوز ٨٠ يوما في السنة الميلادية .

ويشمل التأمين الصحي رعاية المرأة العاملة في حالة الحمل والوضع ويصرف لها بجانب الخدمات الطبية معونة مالية مقدارها ٧٥ ٪ من أجرها وديها الهيئة من مدة إجازة الحمل والوضع .

أو على السنة الأئمة المجتهدين - وهو عقد يؤدي إلى خير لا شك فيه ويحقق مصلحة اجتماعية تقوم على التعاون الذي أسرقه به إذ يقول وتعاونوا على البر والتقوى ، فوجب لذلك أن يكون عقدا جازما وأجبا الوفاء لقوله تعالى دياها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، وقد ذكرنا فيما سبق أنه يجوز للناس أن يتحدثوا من العقود ما تدهوا إليه حاجتهم بما لا يتعارض مع أصول الدين فكيف بالعقد يؤدي إلى ما أمر به الدين .

وكذلك الحال في التأمين الاجتماعي الذي تقوم به الحكومة مباشرة بواسطة ما تسنه من قوانين وهو في الجمهورية العربية المتحدة يتناول ما يأتي :-
أولا : نظام المعاشات والمكافآت التي تعطى عند ترك الخدمة أو انتهائها ، وهو نظام ينظمه قانون المعاشات ويقوم هذا النظام على جمع حصصية من المال يسهم فيها الموظفون بما يستقطع من رواتبهم والحكومة بما تضمه إلى ذلك من أموال تؤخذ من ميزانيتها على أن تدفع الحكومة من هذه الحصصية إلى من يترك الخدمة أو إلى ورثته عند وفاته معونات شهرية يستعينون بها في تحمل أعباء المعيشة وتكاليف الحياة وذلك طبق نظام مسنون تكفل ببيانه قانون خاص يسمى قانون المعاشات .

ثانيا : التأمين الاجتماعي ويشمل الأنواع الآتية :-

١ - تأمين إصابات العمل :

والغرض منه رعاية العامل في حالة إصابته بأحد الأمراض المهنية أو حال إصابته نتيجة حادث أثناء تأدية العمل أو بسببه .

وتتولى الهيئة العامة للتأمينات الاجتماعية علاج المصاب ونفقاته ، ويشمل ذلك أجور الأطباء

بواقع ١٪ مقابل أداء مكافأة نهاية الخدمة للهيئة .
والحد الأدنى للمعاش ٣٦٠ قرشاً شهرياً .

والحد الأقصى ٧٥٪ من متوسط الأجر
أو ١٠٠ ج أيهما أقل .

(ب) معاش العجز والوفاء :

يستحق هذا المعاش إذا حدث للعجز البكلى الدائم
أو وقعت الوفاة خلال مدة خدمة العامل . ويحسب
المعاش على أساس ٤٠٪ من متوسط الأجر
الشهرى الذى سدد منه الاشتراك خلال السنتين
الآخرتين أو بواقع ما يستحقه من معاش الشيخوخة
أى المعاشين الأكبر .

(ج) التأمين الإضافى :

ملاوة على معاش العجز أو الوفاة تصرف الهيئة
إلى المؤمن عليه أو إلى ورثته مبلغ تأمين إضافى
يقدر على أساس نسبة مئوية من متوسط الأجر
السنوى تختلف النسبة تبعاً للسن .

والاشتراك الواجب دفعه :

١٤٪ من أجر كل عامل على صاحب العمل

٨٪ على العامل

وعليه تكون جملة الاشتراك فى التأمين الاجتماعى
بأنواعه كما يأتى :

والاشتراك الواجب دفعه ٤٪ من أجر كل عامل
على صاحب العمل ١٪ من أجر كل عامل على العامل

٣ - التأمين ضد البطالة :

ويقضى بصرف تعويض عن بطالة العامل بواقع
٥٠٪ من الأجر الذى سدد على أساسه الاشتراك
ويستمر صرف التعويض إلى اليوم السابق لالتحاق
العامل بعمل . ويصرف التعويض أسبوعياً خلال
فترة التعتل بمقد أقصى ٢٨ أسبوعاً .

والاشتراك الواجب دفعه : ٢٪ من أجر كل عامل
على صاحب العمل ١٪ من أجر كل عامل على العامل
٤ - تأمين الشيخوخة والعجز والوفاء :

(ا) عن الشيخوخة :

يستحق معاش عن الشيخوخة عند بلوغ العامل
سن الستين كما يستحق هذا المعاش عند إصابته بعجز
كلى دائم أو فى حالة وفاته بشرط أن تبلغ مدة
اشتراك العامل فى التأمين ٢٤٠ شهراً على الأقل .
ويحسب المعاش على أساس متوسط أجر المشترك
خلال السنتين الأخيرتين بواقع ٢٪ من هذا المتوسط
من كل سنة من مدة اشتراكه فى التأمين . أما المدة
السابقة على الاشتراك فى التأمين فيحسب منها معاش

المحالة	اشتراكات صاحب العمل	اشتراكات العامل	المجموع
تأمين إصابات العمل	٣٪	—	٣٪
التأمين الصحى	٤٪	١٪	٥٪
ضد البطالة	٢٪	١٪	٣٪
تأمين الشيخوخة والعجز والوفاء	١٤٪	٨٪	٢٢٪
	٢٣٪	١٠٪	٣٣٪

على التقدير

ما يقال عن الإسلام

الفكر السياسي في الإسلام

لأستاذ الدكتور أحمد زكي الإبراهيمي

ونحن نرى من هذا التقسيم أن المؤلف استعرض معظم التيارات في الفكر السياسي، سواء التيار الإسلامي الأصيل أو المستمد من الفكر اليوناني.

ومن الواضح أن المؤلفات السياسية التي تبحث في نظرية الحكم قليلة في الإسلام. ولذلك فيما نرى سبيان، الأول: أن القرآن - وهو ديوان المسلمين - فيه المبادئ العامة لنظرية الحكم، وبخاصة إذا عرفنا أن السياسة والأخلاق لا ينفصلان، وأن كلا من السياسة والأخلاق يقومان على أساس من الدين ولذلك أثر عن النبي عليه السلام أنه سئل عن وصية فقال: تركت فيكم أمرين إن تعضوا بعدهما، كتاب الله وسنتي. والسبب الثاني: أن نظرية الحكم بطبيعتها متغيرة بحسب الظروف والأحوال، حتى إن الخلفاء الأربعة تولى كل منهم الحكم بطريقة مختلفة. وسار كل منهم في سياسته بطريقة مختلفة حقاً، البيعة، أساس هام في نظرية الحكم، ولكن عمر بن الخطاب لم يتول الخلافة ببيعة عامة، بل بعهد من أبو بكر نظراً للظروف العصية التي كان المسلمون يجتازونها في ذلك الحين.

ومن الواضح كذلك أن المؤلفين المسلمين الذين تناولوا هذا الموضوع السياسي هم إما فقهاء وإما فلاسفة، وإما أدباء أو مفكرون أحرار. فالماوردي

الاتجاه الحديث عند المستشرقين نحو مباحث ثلاثة: الحضارة والعلوم والسياسة. تكلمنا عن رأيهم في الحضارة وعرضنا أكثر من كتاب في هذا الموضوع، ولما نمرض بعد الناحيتين الآخرين، والآن نبدأ بكتاب هام في الفكر السياسي في الإسلام ألفه الأستاذ الدكتور روزنتال الأستاذ بجامعة كمبرج. وهناك مستشرقان [محملان نفس القلب] روزنتال، أحدهما هذا الذي نتحدث عنه وهو «أروين»، والآخر اسمه «فرانز»، له أيضاً مباحث في الفلسفة الإسلامية ودراسات عن السكندرية بخاصة. وقد نشر «أروين» روزنتال، كتاب الفكر السياسي سنة ١٩٥٨ في طبعته الأولى، وسنة ١٩٦٢ في طبعته الثانية الشعبية. ويتألف من بابين كبيرين الأول في الدساتير الشرعية والتاريخ الإسلامي في أربعة فصول: الأول في تحصيل السعادة، والثاني في نظرية الخلافة ووظيفتها عند الماردي والغزالي وابن جماعة وابن تيمية، والثالث في الحكومة بحث فيه آراء ابن طباطبائي ثم آراء بعض الأسماء والأدباء، والرابع في سلطة الدولة ورأي ابن خلدون أما الباب الثاني فيبحث فيه التراث اليوناني في الإسلام عند الفارابي، وابن سينا، وابن باجة، وابن رشد ثم الدواني.

والمتلصصة ، وقطاع الطريق ، وإقامة الجمع والاعياد .. إلخ . فإن قيل : إن المتكلمين والفقهاء كلاهما يوقع على أنعام واحدة ، ولا خلاف بينهما في نظرية الحكم ووظيفة الحاكم ، إلا أن المتكلمين يلتزمون مبررات عقلية لآرائهم تعد سنداً لها . ونرجو أن يتدارك المؤلف ما فاتته في طبعته المقبلة .

يستعمل المؤلف الكتاب ، وفي أول سطر من المقدمة ، قائلاً : « إن الإسلام هو أحدث الأديان الكبرى العالمية ، وأن بلاد العرب إذا كانت مهد الإسلام ومصدر إلهامه فإنه يدين بكثير من عقائده إلى اليهودية والنصرانية ، وأن طريقته في الحياة التي تتركز في شريعته الشاملة المنظمة لهذه الطريقة لها كثير من الملامح المشتركة مع الطريقة اليهودية في الحياة . وقد نشأ محمد النبي الذي أسس هذا الدين حتى بلغ سن النضج وهو على صلة يومية باليهود والنصارى . ومع أننا نجد عناصر يهودية ومسيحية في تعاليم محمد وفي الطقوس والشريعة الإسلامية ، فإن الإسلام ليس مجرد مجموع تلك العناصر الأجنبية ، لأن محمداً طبع شخصيته على ما رآه وسمعه وجادل فيه .. »

وحاصل الكلام السابق أن الإسلام لم يأت بمجديد إذ هو تأليف للديانتين السابقتين ، وأن الإسلام ثمرة شخصية محمد ، بما يترتب عليه أن القرآن ليس كلام الله ولا هو تنزيل من رب العالمين ، بل هو من ابتكار محمد . وهي فرية ليست جديدة ، إذ سجلت الهمة في القرآن نفسه ، ونزل الوحي الأمين بالرد عليها .

فإذا صرفنا النظر عن هذه الملاحظة الأخيرة ،

صاحب الأحكام السلطانية هو أبو الحسن علي بن محمد ابن حبيب ، نشأ بالبصرة ، وكان من الشافعية ، كتب تفسيراً للقرآن ، وكتاباً في النبوت وعدة رسائل في الأخلاق ، تولى القضاء في خلافة القائم بأمر الله ، وبعد كتابته الأحكام السلطانية مزجها من آراء السلف وثمره لأصول الفقه من الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وانعكاساً لأحداث عصره السياسية .

ومن الواضح ثالثاً أن المؤلف تتبع النظريات السياسية بحسب ما جاءت إما عند إلقاء أهل السنة أو عند الفلاسفة . ولكنه أغفل النظريات عند الشيعة ، وقد أشار إلى ذلك في مقدمته قائلاً : إن الشيعة يدينون بالولاء لعلي بن أبي طالب ، ويفترقون مذاهب شتى بحسب تسلسل الإمام . وأغفل كذلك رأى المتكلمين ، وهم في نظر بعض المستشرقين ، إن لم يكن معظمهم ، أصحاب الفلسفة الأصلية في الإسلام . وآراء المتكلمين جديدة بالعرض والاهتمام . وهي عند المتقدمين منهم في غاية الأهمية نظرياً ، وإن كانت مؤلفاتهم فقدت ، إلا أنه تسنى الكشف عن بعضها أخيراً حين نشر كتاب المغنى للناضى عبد الجبار المعتزلى ، وفيه جزء خاص من الإمامة يطبع الآن ويصدر قريباً . ولم يكن للؤائف عذر في إغفال المتأخرين من علماء الكلام ، وهذا مثلاً كتاب « العقائد النسفية » لنجم الدين عمر النسفى الذى يتداوله طلبة الأزهر الشريف بشرح الفتاوانى ، يقول فى آخره : « والخلافة ثلاثون سنة ثم بعدها ملك وإمارة . والمسلسون لابد لهم من إمام يقوم بتنفيذ أحكامهم ، وإقامة حدودهم ، وسد ثغورهم ، وتجهيز جيوشهم ، وأخذ صدقاتهم ، وقهر المتغلبة ،

عن الماوردي أو ابن تيمية ، إلا أن الطائفة الأولى كانت تطالب بالتطرف في المشايمة ، على حين أنه قيد نفسه بالواقع ، وبخاصة الناحية الحضارية التي يسميها العمران . وللعمران مطالب مادية ، ومراعاة قوانين اقتصادية واجتماعية قد تكون بعيدة بعض الشيء عن المبادئ الدقيقة لتعاليم الإسلام .

حتى إذا تناول المؤلف التراث اليوناني في صلته بالنظريات السياسية وجدنا أنه يتحدث حديث المتمكن من موضوعه . وقد بدأ ذلك الحديث بالفارابي ، الذي أسس هذا العلم . وكان يجدر بالمؤلف أن يرجع إلى الوراء قليلاً فيتسكلم عن الإسكندر فيلسوف العرب ، ولكن حذر المؤلف واضح وهو قد صدقنا معظم مؤلفات الإسكندر على الرغم من أنه كتب في السياسة ، وكان على صلة بالخليفة المعتصم بالله ، كما كان مؤدباً لابنه أحمد .

والفارابي هو صاحب « المدينة الفاضلة » ، ومؤلف كتب أخرى كثيرة لها صلة وثيقة بالعالم السياسي ، مثل : تحصيل السعادة ، والسياسات المدنية ، وغير ذلك . وكان الفارابي يعرف أفلاطون معرفة جيدة فأخذ عن الجمهورية ، وهي المدينة الفاضلة ، كما ألخص النواميس والغاية من « المدينة » هي السادة ، سعادة الفرد والمجتمع على السواء . والسعادة ليست اللذة بل هي كمال الإنسان من حيث هو إنسان حافل ، من جهة المعرفة والنظر ، ومن جهة العمل . والمدينة هي الدولة باللغة الحديثة ، وهي المثل الأعلى للسياسة عند اليونان ، تعكس

وهي مشتركة عامة بين كل المستشرقين حتى ملنا سماها ، فلا ريب أن البحث بعد ذلك جيد في بابها ، سائر على منهج سليم . وبعد فائمه لا يعدو كونه تلخيصاً بارعاً لسلسلة من الكتب الرئيسية المؤلفة في السياسة . فهو يلخص كتب الماوردي والغزالي وابن جماعة ، حتى يصل إلى ابن تيمية في كتابه « السياسة الشرعية » ، وابن تيمية حنبلي ، متمسك بالسنة إلى حد التطرف ، يبدأ كتابه بوجوب التوحيد ، وبأن تكون السياسة إلهية ، ويستشهد بالآية الكريمة « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولو الأمر منكم » ، ولكن الطاعة تعتمد على العدل فإذا لم يحكم أولو الأمر بما أمر الله ، وجب على المسلمين أن يرجعوا إلى كتاب الله وسنته . وأولو الأمر هم الموظفون المدنيون والحرييون والفقهاء الذين يعدون المشيئين لأوامر الله لدى البشر . والعدل هو حجر الزاوية في السياسة سواء في هذه الحياة الدنيا أم في الآخرة . والعدل هو سر ازدهار الأمم . ومن أجل ذلك أرسل الله تعالى رسوله وكتبه حتى يحكم الناس بالقسط .

وقد عالج المؤلف رأى ابن خلدون في فصل خاص جعل عنوانه « الدولة القائمة على القوة » ، ذلك أن ابن خلدون بعد أن ميز الدول في نشأتها واكتماها وسقوطها ، بعد النظر إلى التطور التاريخي ، وجد أن « القوة » هي سند الحاكم في الوصول إلى الحكم . ولم ينقص ابن خلدون من قدر الدين في إقامة الملك ، فقد عرف استقرار التاريخ الإسلامي من جهة ، ومن النظر إلى الأحوال التي كانت سائدة في المغرب من جهة أخرى ، أن السياسة الشرعية « مثالية » ، وأن الواقع السياسي بعينه . هنا . فهو لا يختلف

والتجربة الفعلية السياسية التي مارسها ، إذ أنه تولى الوزارة لشمس الدولة بن بويه ، وأخذ يصرف شئون الملك ، نظير السياسة عن كتب ، واكتوى بحلها ومرها . ودون هذا كله في آخر كتاب الشفاء في قسم الإلهيات . حقا : المقدار الذي كتبه لا يتناسب مع ما ينبغي أن يقدمه فيلسوف غزير التأليف ، طويل النفس ، مثل الشيخ الرئيس ، إلا أنه أودعه كثيراً من الأصول المهمة التي ينبغي على الحاكم اتباعها لصالح حال المدينة . وقد نصح ابن سينا بأمر يعد فيها سابقاً لزمانه ، أو هي من فضائل الحضارة الإسلامية التي سجلها وأقرها ، منها وجوب العناية بالمرضى والمعوزين والفقراء ، وإيجاد عمل لكل فرد في الدولة حتى تمتنع البطالة التي تعد مدخلا إلى الشر والفساد .

ولكن النظريات السياسية التي نادى بها الفلاسفة لم تجد في قلوب المسلمين صدى ، لأنها صادرة عن الفلاسفة أولاً ، وكان بين الفلاسفة والدين هداه شديد ، ولأن نظرية الفارابي والتي تبعه ابن سينا فيها عن النبوة لم يقبلها أهل السنة وعدوها خروجاً على تعاليم الإسلام . ولهذا السبب انتصرت جهة الفقهاء وأهل السنة ، وظلت نظرياتهم في الخلافة والإمام والحاكم الصالح ووظيفة كل صاحب سلطة في الدولة هي السائدة ، وهي القائمة على مبادئ ، من الشرع ، منذ الماوردي إلى ابن تيمية إلى الوقت الحاضر لكل من يكتب عن السياسة في الإسلام .

حياتهم التي كانت واقفة بالفعل ، لأن الوحدة السياسية عندهم كانت المدينة لا الأمبراطورية . ومن أجل ذلك هذا الفارابي حذو اليونانيين ، فذهب إلى القول بالمدينة والسياسة المدنية . وكان الإنسان في بلوغه المعرفة النظرية التي يصل إليها الإنسان إما متفرداً وإما اجتماعياً ، ولكنه في حالة الاجتماع والتعاون تكون حياته أكمل ، وسعادته أتم . وهنا يفرق ابن باجة ، وهو أبو بكر ابن الصائغ ، عن الفارابي . ذلك أن ابن باجة يذهب ، كالمعلم الثاني ، إلى أن رئيس المدينة لابد أن يكون واحداً ، هو الإمام أو الفيلسوف ، ولكنه لا يعيش منعزلاً ، على حين يزعم ابن باجة أن هذا الرئيس هو المتوحد ، ولذلك سمى كتابه في السياسة : تدبير المتوحد . والمتوحد فيلسوف ينزل بنفسه عن الناس والمجتمع ، ويصل إلى رتبة الكمال بالمعرفة النظرية حين يتصل بالعقل الفعال . وهذه هي نظرية الاتصال المشهورة التي كان لابن باجة فيها رأى خاص ، أثر بدوره في ابن رشد ولاين رشد تفسيراً لجمهورية أفلاطون والكتاب مفقود في العربية ، موجود في ترجمته العبرية ، وقد نشره ووزنتال مع ترجمته إلى اللغة الإنجليزية .

أما الشيخ الرئيس أبو علي ابن سينا فقد افترق عن الفارابي من جهة . وعن ابن باجة من جهة أخرى ، فلم يكن سياسياً نظرياً متأثراً خطئ اليونانيين في الأغلب ، ولكنه استوحى البيئة التي كان يعيش فيها ، والحياة العاصفة التي مر بها ،

أحمد فؤاد الأهواني

الكتاب

لأستاذ : تحسين عبد الحى

المسلم والمسلمون في شرق إفريقيا :

تأليف : الدكتور عبد الرحمن ذكى

لا شك أن هناك بعض النقاط والقضايا التي تفرض نفسها اليوم على صعيد فكرنا العربى المعاصر من هذه القضايا بل من أخطارها فى رأى قضية العروبة والإسلام ، فهل يمكن فصل العروبة عن الإسلام ؟ وإذا كان الوطن العربى الواحد الذى ندعو إليه يمتد من المحيط إلى الخليج ، فما هى مقومات هذا الوطن ؟ وبمعنى آخر ، ما نوع الأيدولوجية ، العقائدية التى تحكم سلوك أفرادها فى حركتهم العربية الواحدة ؟ قضايا كثيرة وهامة ولكن ما يعنى هنا هو أن أركز على شيئين :

أولها : أن العرب قد أكتسبوا الحضارة العربية الإسلامية فى عصور ازدهارها لغة الدين والعلم ، ولهذا نجد الفارسى أو التركى حتى فى وقت متأخر حينما كان يريد أن يشتغل بالأدب ، لم يكن يفكر فى أن يعارض العربية كلغة أولى للثقافة فى أنحاء العالم الإسلامى - واللغة العربية هى المعبرة - دون منافسة من كل الثقافة الإسلامية فى عصور ازدهارها فلقد كان لها الصدارة ، وكان لها التفصيل لدى العلماء ، ولقد ظهر كثير من العلماء لم يكونوا من أصل عربى خالص وكتبوا باللغة العربية وفضلوا هؤلاء العلماء لهم مكانتهم العلمية فى العالم ولهم أسماء لامعة فى سماء العلوم

والفلسفة والفنون ، ومن بين هؤلاء ابن سينا والفارابى ، حتى إننا نجد حركة الشعوبية الثقافية التى ظهرت فى العصر العباسى الأول والتى كانت تهدف إلى إظهار قيمة تراث الشعوب الإسلامية وحضارتها أمام حضارة العرب لم تجد هذه الحركة وسيلة للتعبير عن نفسها إلا باللغة العربية ، ولعل هذا نستطيع ، ونحن معلمون ، أن نسعى الثقافة الإسلامية الكبرى التى ظهرت فى عصور الازدهار الإسلامى ، بالثقافة العربية ، وإننا فى ذلك لا نعلى هذا المصطلح المعنى العنصرى ، بل نقصد بذلك - ناحية اللغة والثقافة التى كانت الأساس الذى قامت عليه الحضارة العربية الإسلامية بمختلف نواحيها - .

وثانيهما : أننا إذا كنا ندعو إلى وحدة عربية شاملة ، فإننا نعنى بها أكثر من أنها وطن عربى واحد ، فدللتنا العربية الموحدة هى بالدرجة الأولى الظهير القوى للعالم الإسلامى الذى ما زالت تسيطر على معظم دوله الجبهة الاستعمارية العالمية بوسائلها المختلفة ، وإذا كنا فى حركتنا الوحدية نحارب الاستعمار على أرضنا ونحاربه فى الكونفرو وروديسيا ، وقبرص ، وفى كل مكان ، فإن ذلك يتم بالضرورة لاعتقادنا بأن الاستعمار وخططه وأهدافه كل لا يتجزأ ضد العالم العربى والإسلامى فى آسيا وإفريقيا ، وإذا كان شعبنا يتحمل مسؤولية

هذا لم تحقق ما تريده ١ ومهما يسكن من شيء فإن عملية التقدم المستمر ترد على هؤلاء الذين حاولوا القول بأن الإسلام دين محلي ، وأنه دين سيف ، وأنه دين الصحراء أصلاً ، والسهول فرعا وأنه من الاجتهاد بحث لا يستطيع تسليق المرتفعات في أي مكان توجد فيه لاهي ولا غيرها من مناطق السفانا والغابة .

ولكننا نجد الحقائق تعارض كل هذه الدعاوى فنجد أن الإسلام في إفريقيا قد اكتسح السهل وتعلق بالمرتفعات ، صحيح أن تغطيته للصحراء والسهول كانت جافة ، ولكن هذا يرجع إلى تلك القبائل البدوية التي كانت تغطي هذه المناطق.

ومن المقرو أن الإسلام لم ينتشر تماماً حين شهر السيف ، ولكن حين رفراف السلام أخذ الإسلام يمد أجنحته على شرق إفريقيا ، ثم يتغلغل بهذه الأجنحة إلى الداخل بحيث أصبح حقيقة مقررة فصل ما بين موزمبيق وسفالة ، ونياسالاند وهضبة البحيرات وأوغندا ، وكنيا ، والسكونغو بالإضافة إلى تنجانيقا ، وهكذا كانت المساجد تلف هذه المناطق لفناً في القرن الثامن هجر . بحيث أصبح مما لا شك فيه أن الإسلام قد انتشر بالسلام أكثر مما انتشر بالمعارك المتلاحمة خلال أربعة قرون ، لفت المنطقة بغبارها وتوتراها ، بالهراع الذي لم يكن يهدأ إلا ليثور .

ولنعد الآن إلى كتابنا - الإسلام والمسلمون في شرق إفريقيا - إذ يقول المؤلف :

لقد استمدت الدهوة الإسلامية في إفريقيا حيويتها الدينية من :
الأزهر الشريف .

المواجهة الصريحة للقوى الاستعمارية والصهيونية في فلسطين ، بحمايته للدخول الشمالي الشرقي لقارة إفريقيا من الزحف الصهيوني الاستعماري الجديد فإنه في نفس الوقت يؤمن بأن هذه المسؤولية فضلاً عن كونها تتصل بمقومات وجوده ، فهي رسالة إنسانية لحياة إنسان النصف الثاني من القرن العشرين في إفريقيا وآسيا من خطر دعوة دينية عنصرية بغضنة .

وكتابنا لهذا العدد - الإسلام والمسلمون في شرق إفريقيا - يتحدث عن السكيفية التي تم بها انتشار الإسلام في هذه المنطقة وقبل أن ندخل في موضوع الكتاب يجدر بنا أن نلقي نظرة عابرة على حركة الإسلام الدينية والحضارية في إفريقيا لأنها كانت من التشابك والتلاق في بعض الأحيان بالدرجة التي يمكننا بها القول إنها انفتحت جميعها في نشر الإسلام وتدعيمه ، إن أحداً لا ينكر تلك الوحدة التي حققها الإسلام للقبائل الإفريقية ، والتي أحدث بها نوعاً من الرخاء بسبب التجارة وفتح الأسواق ، ولقد اهتم الإسلام في كل مكان حل فيه بالقراءة والكتابة والنظافة النفسية والجسمية ، كما أنه أبطل شرب الخمر ، وأكل لحوم البشر ، والاختلاف بالثأر بالإضافة إلى أنه دعا إلى احترام الذات واحترام الحياة ، وحقن نوعاً من الانسجام بين الإنسان ونفسه ، وبينه وبين مجتمعه ، وبين المجتمع والعالم كله ، ومن هنا أعطى الإفريقي الإحساس بالكرامة وبأنه مسئول عن العالم كله .

ولقد حاول بعض أن يربط بين ظاهرة الانتشار الإسلامي والصحاح بتعدد الزوجات ، ولكن يرد عليه بأن المسيحية في بعض المناطق في إفريقيا سمحت بهذا ، بل لم تقف بالعدد عند أربع ، ومع

وحيل التجار الفينيقيين والمحجازيين إلى الحبشة . وكان من بينهم جماعة من قريش من سلالة هذيل بن أبي طالب ، قد سكنوا في جبرت ، و « أوقات » ، من أراضي زيلع ، وسبوا بعد ذلك بالجزيرية ، وقام هؤلاء بإنشاء أول دولة إسلامية في الحبشة ، وأخذ نفوذهم يمتد ، حتى إذا جاء القرن الرابع عشر كان قد تم لهم تأليف سبع ممالك زاهرة .

سميت : « الطراز الإسلامي » ، على سواحل الحبشة وهي : مملكة أوقات ، ودوارو ، وأرابيني وهديا ، وسرخا ، وبالي ، ودارة . ومنذ ذلك التاريخ والحرب بين الأحباش المسيحيين والعرب والأحباش المسلمين تدور سجالاً بين الفريقين إلى أن بدأ التدخل البرتغالي في المنطقة ... وكان من أثر تدخل البرتغاليين في شئون الحبشة ، هقب معاونتهم الأحباش ، أن تشأ فضال عنيف بين مسيحي الحبشة وأعلن بعض القادة صراحة أن من الخير لهم أن يخضعوا للمسلمين ولا يظلوا على مخالفة البرتغاليين وسرعان ما اتخذت الحركة شبه الدينية وشبه الوطنية التي استقرت هناك مثل هذه الخطوات الواسعة التي أدت حوال عام ١٦٣٣ إلى طرد البرتغاليين وإخراج المسيحيين الأجانب من البلاد ، ثم يبدأ طور جديد في العلاقات بين الأحباش والمسلمين بظهور الدعوة المهدية في السودان إلى أن يتولى « ليج ياسوع » ، حفيد منليك الثاني الحكم سنة ١٩١٣ سنة ١٩١٦ .

وكان هذا الملك الشاب مصراً بالاختطاف المحدقة ببلادته من طريق بريطانيا وفرنسا ، فأسكر الدين المسيحي ، وتزني بزى المسلمين ، ونقش على العلم الحبشي : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، بل إنه فكر في إعلان الجهاد والقضاء على المسيحيين ،

وزوايا المغرب العديدة ومدارس فاس ومراكش ثم من مدارس طائفة الغادوية في تمبوكتو ومن بعض زوايا طائفة التيجانية .

ثم من زوايا السنوسية في جغبوب وغدامس مفتحياً جهات بحيرة تشاد ، وبه أصبحت وإداى وبرنو مراكز إسلامية تتأجج فيها حماسة الدعوة . ثم من مراكز الدعوة الإسماعيلية في الساحل الشرقي ويقوم به الهنود والبالكستانيون من الساحل إلى أوغنده ، وإلى المناطق التي يقطنها (البانتو) في الكونغو .

وبعد أن يتحدث الكتاب عن دور مصر كنقطة الانطلاق الأولى إلى الدعوة الإسلامية في إفريقيا ، وكذلك عن كيفية انتشار الإسلام في السودان وعن المذاهب الدينية السائدة فيه يصل بنا إلى موضوع الإسلام في الحبشة ...

وبين حدة الإسلام والمسلمين بالحبشة في سنوات الأولى ثم يعطينا بعد ذلك التسلسل التاريخي لهذه الصلة منذ قامت أول سرية من المسلمين متوجهة إلى الحبشة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب في العام العشرين للهجرة بقيادة هلقمة بن محرز المدلجي ، وفي عام ٨٣ هجرية أغار الأحباش على جدة ، وأثروا على تجارة مكة ، مما كان له رد فعل عند العرب ، فقرروا حماية متاجرم في البحر الأحمر أن يحتلوا جزائر دهلوك ، المواجهة لميناء مصوع ، وبذلك أقام المسلمون رأس جسر يعينهم فيما بعد على احتلال قواعد على ساحل الحبشة ، تمهيداً للتسلل التدريجي في داخل البلاد ، فاستولوا على مصوع وزيلع وجزء كبير من الساحل ، واستطاعوا العمل على نشر الإسلام بين القبائل الوثنية دون قتال وكان من أثر تبادل التجارة بين اليمن والحبشة

تدرجية في المقاطعات الغربية التي يوجد فيها ثمانية سلاطين من المسلمين .

ثم يتناول الكتاب توزيع القبائل المسلمة في تنجانيقا ونياسالاند (مالاوى) وموزمبيق وبعد ذلك يعرض لنا طبيعة الإسلام وفسادته العديدة في الجزر الإفريقية ، في كل من أرخبيل دهلك التي يقطنها غالبية من المسلمين وجزيرة بريم وكل سكانها من المسلمين ثم جزيرة قران وكل سكانها مسلمون ... وجزائر كثيرة غير هذه .

أما بعد : فلا يستطيع أحد أن ينكر عمق التغيير الإنساني والحضارى الذى قامت به الحضارة العربية الإسلامية في إفريقيا ، وإذا نظرنا إلى الإحصائيات الحديثة لمسلمى إفريقيا نجد أن هدهم اليوم بين ٨٥ و ٩٥ مليوناً من المسلمين ، أى بنسبة ٢٤ أو ٢٥ ٪ . تلك النسبة التى تكاد هى وجـه التقريب تبلغ حوالى ثلث سكان القارة ، والدول الإسلامية التى يتخلفها الإسلام طابع الأغلبية المطلقة والذى يصبح فيها تلقائياً - الدين القومى - كثيرة تبلغ اثنتى عشرة دولة مستقلة في إفريقيا الشمالية .

لأننا نحتاج الآن أكثر من أى وقت مضى إلى مزيد من الدراسات الواعية لطبيعة الحياة المعاصرة في داخل إفريقيا ، بأبعادها المختلفة ويدخل في نطاق ذلك مزيد من الدراسات الاقتصادية والاجتماعية ، ولقطاعات المجتمع الإفريقى وطبيعة تلك العلاقات . حتى نستطيع من طريق هذه الدراسات أن نفهم ونعى بعق وأصالة - حقيقة المسألة التى يعيشها الإنسان الإفريقى ، لىكنى تناضل به ومعه من أجل حريته المنفردة ؟

محمد عبد الحى

وأعد جيداً لتنفيذ خطته ، ونروى في عام ١٩١٦ أن يتبع البلاد لتركيا فى الشئون الدينية ، فتدخلت الدول الأوروبية وأرغمته على الزول من العرش ، وعمل خلفاؤه على دعم المسيحية ، والحسد من النفوذ الإسلامى .

ولا يزال الإسلام ينتشر في أنيوبيا ، وخاصة بين سكان الأقاليم التى أخضعها أنيوبيا فى القرن العشرين ، سواء أكانوا مسيحيين أم وثنيين ، وقد بلغت سرعة انتشار الإسلام فى هذه الأقاليم درجة اقضت مضاجع كثير من المبعوثين المسيحيين فى أنيوبيا .

ثم ينتقل الكتاب بعد ذلك إلى كيفية انتشار الإسلام فى الصومال موضحاً تلك الجهود الجبارة التى بذلتها الطرق الصوفية فى نشر الإسلام فى الصومال هذه الطرق التى دخلت إلى الصومال بفضل اليمينين والحضارمة الذين استقروا فى قديهم وزيلع وغيرهما من المدن الصومالية ، ومن أم هذه الطرق ، الطريقة القادرية التى نسب إلى مؤسسها د عبد القادر الجيلانى (١٠٧٧ - ١١٦٦ م) ، واستطاعت القادرية أن تتوغل إلى داخل البلاد حوالى عام ١٨١٩ عندما أسس الشيخ إبراهيم حسن جبرو مركزاً لها مكان بلدة برديرة ، الحالية ، ثم نشر الشيخ عيسى بن محمد البراوى هذه الطريقة فى جوبا العليا ، وبني مسجداً وزاوية فى قرية د توججلة ، عام ١٩٠٩ .

وعن الإسلام فى أوغندا يذكر الكتاب أنه على الرغم من أن الديانة السائدة هناك هى الوثنية إلا أن عدد المسلمين هناك يزيد على ثلاثمائة ألف نسمة بتقدير المبشرين أنفسهم ، وهو ينتشر بصورة

إنشاء وإدارة

• مساعد أستاذ ، إلى درجة ، أستاذ ، وستة عشر مدرساً إلى درجة ومساعد أستاذ .

• تقرر لإنشاء فروع جامعة الأزهر في جميع عواصم الجمهورية العربية المتحدة ، وبعض عواصم العالم العربي ، وسينفذ هذا المشروع في الحطة الخمسية الثانية . من ذلك لإنشاء فروع في محافظات البحيرة والغربية وسوهاج . وفي مدينة القدس بالأردن .

وسوف يصحب تنفيذ هذا المشروع إنشاء مدينة أزهريّة دينية ، في كل محافظة ، وتضم هذه المدينة كليات الجامعة ، ومعهداً دينياً نموذجياً ومسجداً ومدينة سكنية للطلبة ، وقاعة للمحاضرات .

أما تنفيذ المشروع في عواصم العالم العربي فقد جرت اتصالات هامة للبدء فيه ، وفي أثناء زيارة مدير جامعة الأزهر للأردن أخيراً بحث مع المسؤولين في الأردن موضوع إنشاء كلية طب أزهريّة في مدينة القدس تكون نواة لإنشاء هذه الجامعة ، وتم الاتفاق فعلاً على التفاصيل المبدئية للمشروع كما اختتم أحد مساهمات القدس ليكون مقراً للملكية العالمة الأزهريّة في الأردن

• قررت إدارة المعهد العالي للدراسات الإسلامية والعربية التابع لجامعة الأزهر تدريس كتاب « تاريخ الأدب العربي » للأستاذ أحمد حسن الزيات .

• قال فضيلة الأستاذ أحمد حسن الباقوري مدير جامعة الأزهر في ندوة نقابة المعلمين يوم ١٣٨٥/٩/٢١ . إن الذين يحاولون تلحين القرآن الكريم لا ينتهكون حرمة دينية فقط ، ولكنهم أيضاً يعتدون على شعيرة مقدسة ، ويريدون لهذا التقديس أن ينعدم ، ومن الواجب أن تقاوم هذه المحاولات بكل ما نستطيع .

إن القرآن ليس من كلام الشعراء ، وإنما هو دستور حياة تمثل فيه العبرة ، وهذا ينفر كل النفوس من محاولة التلحين ، ويتنافى أيضاً مع الواقع الواجب للقرآن ، ويتنافى أيضاً مع قول الرسول الكريم : إذا أحببت أن أناجي ربي قرأت القرآن ، ومع قوله أيضاً : إذا قرأنا القرآن فلتبك ، وإذا لم نبك فلتنبك ! .

• أصدر مجلس جامعة الأزهر برئاسة الشيخ أحمد حسن الباقوري مدير جامعة الأزهر قراراً بتخصيص جميع كراسي الاستاذية ، ودرجات الاساتذة المساعدين ، الحالية والتي تخول مدة ثلاث سنوات ، لعلماء الأزهر الاعضاء في هيئات التدريس بكليات القانون والشريعة الإسلامية واللغة العربية ، وأصول الدين . ومنح التعمين أو الترقية عليها من خارج الجامعة .

وقد اعتمد المهندس أحمد عبده الشرباصي نائب رئيس الوزراء هذا القرار الذي بدأ تطبيقه عقب عطلة عيد الفطر بترقية ستة عشر عالماً من درجة

ولو دقت من حوله الموسيقىات بأطيب النغمات .
هلى أن طرق أداء القرآن المنزل بها قد جمعت أعذب
التعبيرات وجذبت إليه ، دون هذه المحدثات ، أشد
الخلق نفورا . وأعظمهم جحدا ونفورا ، وعلام
نبعد ألم تستمع إلى القراء المجيدين كيف تأخذ
قراءتهم بالأبواب .

إن تلحين القرآن الكريم يصرف الذهن عن
معانيه . لانشغال سامعيه حينئذ بما يصاحبه من
نغمات ، وألحان وترديدات فوق أن التلحين يخرج
به عن قواعد التجويد والقراءات ليوافق هذه
الألحان وتلك النغمات . وهو تحريف وتبديل
لكتاب الله : « يريدون أن يبدلوا كلام الله »
(يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما
ذكروا به) .

إن أبواب الفكره يظنونها خطوة تقديمية تخدم
الدين . مع أنها فكرة مضلة . أخطاها
لا تحمد . واضواها لا تعد وستثير علينا حفاظ
من حولنا ، وتهميج ضغائن المسلمين من كل مكان ،
سيقولون هنا : لما نعت بكتاب الله لاذسلكتنا
به مسلك التمثيليات ، وبذا يمدق قول من أنزل
عليه صلى الله عليه وسلم (أيلعب بكتاب الله وأنا
بين أظهركم) فمدعونا من هذه الفكرة الوافدة
وأفعلوا عنها فإلها من نصير ، وما تغنى من قطنير
والله لا يرضاه ورسوله بأباه . ولتطلبوا فكرة
سواها . وكفى ما فى التمثيل من فساد ، والله ولى
التوفيق والسداد !

محمد عبده الرسول

وكيل معهد القراءات

● أنشئ معهد جديد خاص باللغات الأجنبية
بجامعة الأزهر بقبس لإداريا ، كلية اللغة العربية
وشعب الدراسة فيه خمس أضم بعض اللغات الشرقية
بجانب الإنجليزية .

● يعكف الأستاذ الدكتور محمد الهبى وزير
الأوقاف السابق على تأليف تفسير للقرآن الكريم
منذ أول رمضان ١٣٨٥ .

● فاجأنا الإذاعة فى برنامج « لانه فى يوم »
الذى يقدمه ضياء الدين بيبرس ، والذى تبناه السيد
مكارى المالحن عارضا فيه تلحين القرآن الكريم
مصاحبا بأدوات المنفى والموسيقى ، بادئا بقصار
السور السكريمه ثم تطاولها مستجمعا (السكورس)
من فتيات وقتيان مرددا كل فريق آية من سورة
الصمد بطريقة أثارت المم والسكد حيث غنى
القرآن المقدس كما تغنى أى مقطوعة ملحنة أو آية
أغنية مقسمة على السلم الموسيقى بصورة أخرجهما
عن جلالها ، وغطت على جمالها وقديستها .

ترى أيتجه الذهن إلى الاستماع لألفاظها وتدبر
معانيها . أم يتجه إلى الاستمتاع بالموسيقى : ألحانها
ومعانيها أم أن هذا خاطئ بين لحو الحديث وكلام الله
لنضل عن سبيل الله بغير علم ، وتخذ آياته
هزوا .

لأنهم سيقولون : ما أردنا هذا إلا الحسنى ، وأن
ندعوا الناس إلى دين الله بالطريقة المعاصرة المثلى
ليقبلوا على الله ، ولسكننا نقول لهم من يرد الله
أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله
يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء

في محيط العالم الإسلامي

● رابطة العالم الإسلامي تنعى الشهيد أحمدو بللو :

بهزید الآسی والحزن العمیق تنعى رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة علماً من أعلام الإسلام وركناً من أركان هذه الرابطة هو الشهيد الحاج (أحمدو بللو) عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ورئيس وزراء نيجيريا الحالية ورئيس جمعية الإسلام فيها الرجل الذي نذر نفسه أكثر الدهرة الإسلامية في القارة الإفريقية مضجياً بكل غال وثمين في سبيل إرضاء الله ولقد كان ماضياً في مسعاه بالنجاح إلى أن انسحبت يد الإثم والفرد والحيانة فطعن قلب الكبير الذي كان لا يام خلف في هذا البلد يردد قوله : إن المسلمين لن يستقيم لهم حال ولن يقوم لهم مجد إلا إذا جمعهم أخوة الإسلام وبغير ذلك سيقولون مغلوبين على أمرهم يتحكم فيهم أعداء الله جميعاً لقد صدق الشهيد إذ أدرك أن طريق الدهرة محفوف بالخطر ، وأن الأعداء لها بالمرصاد ولكن هذا الدم الذكي الذي أريق على أرض نيجيريا المسلبة سيفتت أغراساً طيبة تعمل بهدى الله ورسول الله والمخلصين من هبّاء الله الشهداء والصادقين والصالحين ، وإن الدهرة ماضية في أمرها وهذا أول شهيد لها نوجو أن يكون مسكنه جنات عدن مع الخالدين ، هذا الرجل الذي فقدته العالم الإسلامي تغمدته الله برحمته وألمهم المسلمين بالقارة الإفريقية خاصة والعالم الإسلامي عامة الصبر والسلوان وصدق الله العظيم إذا يقول : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » وإنا إليه راجعون . الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي

● حملت أنباء ١٠/٣/١٣٨٥ هـ ، أن المؤامرة التي وقعت أخيراً في نيجيريا . وقد تخلصت من كافة زعماء الشمال المسلمين بقتلهم جميعاً ، الأمر الذي أدرت نفوس المسلمين أسى والمأساة ومرارة على رجال قضوا بلا ذنب أو جريرة ، أيديهم بيض على وطنهم ، وأنفاسهم هبيرة الحرية لديارهم ، ماتوا فنت معهم عضد لقضايا الإسلام وسند لحق العروبة وسهم في إسرائيل .

فإلى رحاب الله الطيبة تلك النفوس الزكية التي صعدت إلى بارئها برح المسك من دماها ، والسلام الأمين الذي تشهد به قسوة التمثيل بأبدانها .

عليك سلام الله ورحمته أيها الأمين أحمدو بللو ، وسلام على أبي بكر باليو ، وهل الشهداء الأبرار وسلام على نيجيريا ، وليحفظها الله .
(مجلة الأزهر)

● ليبيا : يعقد يوم ١٣/١١/١٣٨٥ هـ في طرابلس مؤتمر لوزراء التربية والتعليم والتخطيط الاقتصادي في الدول العربية ، ويستمر المؤتمر ستة أيام ، ويستهدف بحث السياسة التعليمية وعلاقتها بالشئون الاقتصادية ، وذلك بربط الخطة التعليمية بخطة التنمية الاقتصادية في الدول العربية .

● السعودية : في أنباء ١١/٩/١٣٨٥ هـ أن جلالة الملك الفيصل ملك السعودية قد أمر بتشكيل محكمة خاصة لمحكمة خمسة وستين شهوياً ، وقد سبق الحكم على تسعة عشر شهوياً آخرين اتهموا بتهديد أمن الدولة .

masters and classes of slaves. This situation came to an end when the Revolution worked hard to achieve social justice and to raise the standard of living. This aim was not known before Revolution, but it became now the main goal of our people. This turn obliged us to give more attention to our national sources which will increase our income.

About Birth control, one of the great 'Imam of Muslims, 'Al-Ghazali, said, nine centuries ago, that: "If a wife became afraid of her nimbleness by more pregnancy, so that would affect her relation with her husband, then she would be allowed to control her birth to maintain close relation with her husband".

So, if a wife was permitted to resort to birth control to save her nimbleness she should be allowed to maintain good relations with her husband by control her births, in order to reduce his burden of heavy expenditure on him. By this she could, also, be able to give good care to her children.

It is reported that some of the close companions of the prophet Muhammad said: "We were resorting to 'Coitus Interruption' in the life time of the

messenger of God". This is the healthiest method to control births and is much better than contraceptive drugs. The Muslim Jurisprudents added the condition of the consent of wife to practice 'coitus Interruption', considering the freedom of woman. We established the Girls college at Al-Azhar university so that the Muslim girls could be acquainted with the details of Muslim laws.

It is wrong to give reasons of livelihood for practising birth control; Muslims believe that God guaranteed livelihood of people. We could give reasons of disability to look after the children or maintaining wife's health, for control the birth.

Q: Is wearing turban a traditional necessity in Islam ?

A: Islam is not bind to a special form of dress. People are free to wear whatever they like. Environment has its own rules in this affair. Could one imagine that the residents of the 'Equatorial' Regions, for example, walk with 'naked heads'? or do sudanese and the people living in hot regions feel comfort with neckties in summer months? In fact, Dresses will conform to weather and environment rather than to rules and legislations.



"Repel (Evil) with what is best. Then will he between whom and thee was hatred, become as it were, they friend and intimate. And no one will be granted such goodness except those who exercise patience and self-restraint".

(Qur'an, XLI - 34 - 35.)

AL-Azhar and the Message of Islam

By : H. E. Sheik Ahmed Hassan Al-Baqouri

RECTOR OF AL-AZHAR UNIVERSITY

The Middle East representative of "Los Angles Times", Mr. Joe Alex Morries, held an interview with his Excellency Sheikh Ahmed Hassan Al-Baqouri, Rector of Al-Azhar University, recently. Answering the questions he explained the role of Al-Azhar in the spreading of the message of Islam and also he answered questions concerning the Muslim Women's education and the Birth control etc. The following is an English version of the interview.

Q : What is the message of Al-Azhar University and the reason for its establishment and the role it has ?

A : Before I answer this question, I would like to give a brief introduction. Our social needs and the nature of our country cannot do without religion. University of Al-Azhar was established as a centre for the service of Islam.

Islam has two sides. Spiritual side and material side.

The first one will serve the spiritual side of man. And the second will serve the material side of him i.e. the social, agriculture, health and engineering etc.

Al-Azhar University was contenting with the spiritual side only. But, when the revolution occurred and it started a complete and perfect reform in the country, it paid due attention to Al-Azhar. The first man who took interest in the establishment of the 'new' Azhar University and opening the new Faculties was President Gamal Abdul-Nasser. By his guidance and instruction these Faculties were established which will serve the material side of man.

One of the main aims of the university is to provide educational facilities for Muslim girls, thus the Al-Azhar has established a girls college with its different branches of studies i.e. Islamic studies, medicine, arts, Philosophy, Psychology and simultaneous translation. We hope that this college will be the nucleus of a 'Muslim university for Girls'.

The basic aim of the university is to co-ordinate the relations among people in the light of religious principles.

Q : I have noticed that the Premier Zakaria Mohieddin has referred, in his address to the U. A. R. Parliament, to the question, of family planning and birth control; what is the secret of this sudden interest ?

A : There is no secret or surprise in that; because the sphere of interest about these problems was limited before Revolution, but after the Revolution the scope of education has widened and it became within reach to all sections of people, so the cost of education has raised. Also there was a great deal of class differences among the people, but there were classes of

(4)

It was another life, another time, yet it was the living now of me... slowly I became conscious of soft swaying sounds around me, the murmur of voices, the faint creak of leather harness. It was night and the scent of the desert wind caressed my face. As I looked at the star strewn Eastern sky I dimly saw familiar shapes of men and camels around me and knew I was travelling in a desert caravan. Then gradually I became aware of a terrible feeling of impending disaster, I did not know what, but I felt very afraid and that somehow I must escape. So towards dawn, I and three companions, headed our horses into the desert in search of the unknown help I knew was waiting there.

We rode through the morning as the sun rose high over the hot sand which gradually changed into broken stone and there, sheltering in the shade of a huge rock from the fierce heat, we saw two men. We asked who their leader was and they reverently replied "Mohammad". The name meant nothing to me and I turned from them to see a figure approaching whom I knew was their leader. I dismounted from my horse to meet him and as we drew near each other I saw he was a man of regal stature yet with an aura of great kindness, he had the most beautiful eyes which looked compassionately into mine as, coming close, he took my hands in his. Then he embraced me and as he did so my body seemed to blend and melt into his... it was the strangest of happenings, for a while I no longer existed as I, for I was Mohammad..

I saw with his eyes, thought with his mind and felt with his body. The sense of power was unbelievable, there was a strength and knowledge that enfolded the stars and I knew, without any doubt, that this was Mohammad the Chosen of Allah, the Last Prophet. I felt a terrific wave of happiness and love as I surrendered myself completely to him, becoming oblivious of all else.

I opened my eyes to find myself lying on my bed, yet I was no longer the same person for there was a deep change in me. There was a feeling peace and contentment I had never had before, as if a certain climax in my life had passed irrevocably altering my inner being and my heart knew a gratitude that overwhelmed me; sending me on my knees in worship of Allah, my Adored, who had answered my prayer. As I knelt I felt his love around me and knew my fate had been decided... I was a Muslim. Rumi expresses it beautifully, "Into my heart's night I groped, and lo! a wonderful world of day".

Later I told the Abbot of my decision and left the monastery shortly after for the new life which lay ahead of me, where it would lead me, I did not know but I trusted Allah to guide and protect me, whom He had blessed beyond all deservance. When I left the dawn was just near and as I walked away down the steep dark path the sun slowly began to appear over the surrounding mountains, its warm rays falling on me as if in understanding of the mixed feelings in my heart, for my stay there had been a decisive point in my life and I knew I would never forget that gentle monastery of Kurisumala.

When I told my friend of this, for such he had now become, he understood and gave me his blessing when I sadly left to continue my journey to India.

(3)

India, it is a name which means much to many. To me, who saw it by plane, train, bus and even tonga, meeting every class and caste of people, it spelt both beauty and poverty - the two were inextricably entwined and I was both enthralled and horrified in turn by this curious country of contrasts. However, when I first arrived in India I was not interested or concerned in anything for I was hit by what is vulgarly termed "Bombay Belly" and my stomach was absolutely miserable until I reached Madras. There, the horror and refusal of the booking-clerk when I naively asked for a third class ticket, I went by train far south until I found myself high in the hills of Kerala where my destination, the Monastery of Kurisumala, lay on a tiny plateau. This was only reached by a bus which jolted and panted hot steam at the twisting and turning road, which went through shady tea plantations higher and higher, until with a final jerk of gears it came to a shuddering halt... but still there was further to go and before I knew it someone grabbed my bag and set off at a fast pace up yet another steep hill... up and up, sweating and out of breath I climbed the steep track until a sudden bend showed the monastery just ahead of me.

It was delightful, built large and low of white stone it lay in a sheltered

hollow on the edge of an escarpment; the vast view it commanded was magnificent and alone worth any wearisome journey. The Abbot who had seen me coming, was kindness in person and had a bath prepared with tea waiting for me afterwards, all of which I needed very badly. Here I stayed, in this haven of peace, living in the most simple manner possible. All I wore was a long cloth round my waist and shoulders, I went barefoot, I slept on a reed mat placed over a board bed (which at first my hip found very painful!), and I learned to eat meatless food with my fingers; to my amazement I was content. The Abbot, Dom Bede, was a charming and learned man with a vast knowledge of Eastern religions, on which we talked for many hours, and I was very happy to find an excellent library and often climbed to the close by top of the mountain to spend the day just looking at the indescribable grandeur of the panorama around me. Far, far below lay the plains stretching way into the distance to meet the silvery sea on the edge of the horizon and on either side the sweeping mountains faded away into the mist of clouds. To me it was a Temple of God in which He always dwelt.

Living such a life of simplicity and devotion, I felt the shrouding dross of the physical world fall about me as I prayed to God for enlightenment and one night, after spending a long time in meditation, I had a dream. While I am conversant with the psychiatric interpretation of dreams, I am certain this dream went beyond such mundane realms for it was too real... I know I lived a vision.

My Experience of Islam

THE RIGHT PATH

(3)

By : *Raschid Ansari*

(Robert Wellesley)



He told me of the "Pillars of Islam", the pillars of faith and wisdom. How in the Seven pillars of Faith the first pillar is belief in Allah, the Eternal and One God who has no equal; the second is in His angels, of whom we are each said to have our Guardian Angel; the third is in the Books sent from Allah for our guidance, of which it is a fact that the Koran is the only one to retain it's original purity; the fourth is in all the prophets of Allah, such as Moses, Abraham, Jesus and Mohammad (may peace be with them), who brought the message of Allah to the peoples of the world; the fifth is in the Hereafter, of the continuation of life after the body dies; the sixth is in the ultimate will of Allah, that though we must do our best in every way we must always surrender ourselves to His will; the seventh is in the Day of Judgement, when we will face our Lord for His mercy. Then in the Five Pillars of Wisdom the first pillar is the belief in the one God alone, Allah, and in His last prophet Mohammad (may peace be with him) who was yet the first; the second is the practise of obligatory prayers five times during the twentyfour hours, when one must be in a state of ritual cleanliness; the third

is Zakat, this primarily means giving a percentage of one's income to the State for the welfare of its citizens; the fourth is fasting during the month of Ramadan, at this time all Muslims must fast from dawn to dusk, abstaining from any sexual activity; the fifth is the Hajj or pilgrimage to Mecca, often causing great sacrifice it is a bond for thousands of Muslims all over the world. These are the faultless pillars which later became the pillars of my life and in them lies the strength of being a Muslim.

All these things, the fundamentals of Islam, and other points gave me an intellectual conviction by their simplicity, purity and logic, of the truth of the Islamic faith and through this an approach to His presence. It answered all my questions, questions I had been asking men of various faiths for years without any satisfaction and, most of all, it asked no compromise for in its entirety it is a complete religion, a true theocracy. Unfortunately, though my mind accepted this faith, this was not enough for me, I needed a spiritual conviction also, for without the two an acceptance of faith could not be an honest and complete one on my part.

Quran) is the light of clear reason and a guidance and mercy for those who believe" (XLV : 20), "O mankind, there has come to you an exhortation and direction from your lord, a healing for the (diseases) in your hearts, a guidance and a mercy for believers" (X : 57). "And we sent thee (Muhammad) not but as a mercy for all creatures" (XXI : 107).

In the material world we see the constant operation of the natural law of selection. What is it but a manifestation of God's mercy, which preserves what is beneficial and eliminates what is harmful, such as scum and forth? The Quran uses, in this connection, the terms 'true' and 'false' (or vain), for the true remains and the false is eliminated, and this applies not only to material things but also to man's inner life.

« بل نقذف بالحق على الباطل فيدمنه فإذا هو زاهق » .

We hurl the Truth against falsehood, and it doth smash its head, and lo ! (falsehood) doth perish) XXI : 18. This is the unalterable law of nature, and if we do not see it clearly it is only because of our shortsightedness.

The effect inevitably follows the cause, though the process is sometimes so gradual as to be almost indiscernible. When heat is applied to water, the latter does not boil at once, but (boil it does) if heat is applied to it in sufficient intensity and sufficiently long. If heat is reduced or withdrawn before the water reaches the boiling point, what appeared to be inevitable will be warded off and the water will return to its original low temperature. So exactly it

is with man's conduct. The sure results do not reveal themselves at once but they follow inexorably, unless man's conduct alters before the process has gone too far. In other words, both in material and spiritual matters, man is given plenty of time and numerous chances to reform and find the right path. If one would but reflect, this apparent delay in the working of the law of cause and effect, of deed and desert, is but the leniency of Divine Mercy. Another way of stating the same truth would be to say that man is given the opportunity to derive the fullest benefit from this life and to enrich it by his conduct.

So it is that the code of religious belief and conduct which the Qu'ran presents to man is based entirely on mercy and love, for man's spiritual life is not separated from but an integral part of the natural order and the entire basis of that order is Divine Mercy. There are over three hundred places in the Qu'ran dealing with mercy, and if we take into account the passages dealing with the other related attributes it can be said that the Qu'ran is, from the beginning to the end, nothing but a message of Divine Mercy.

This emphasis on the quality of mercy is a pointed message of God to man, for man is, in a manner of speaking, God's 'viceregent' or 'Shadow' on earth. His very nature and existence demand that he should cultivate divine qualities and practise them in his relations with fellow men, and the most fundamental divine qualities are those of justice and mercy.

This law of difference is also evident in the different stages of man's life from infancy to old age, and also in his manifold desires sentiments and emotions, thus giving variety and sustained interest to life. It is also evident in the different stages of social development; they not only enrich human life by their variety but also goad man to fresh activities and enterprises and thus not only turn the rigours of his labours into pleasures of effort and joys of fulfilment but also ensure human progress. In accordance with His wise and beneficent plan, God "has made you successors on the earth (of those who went before you) and has exalted some of you in rank above others, that He may try you by (the test of) that which He has given. He is indeed swift in punishing (misdeeds), but verily He is also forgiving and merciful " (VI : 165).

Just as the Quran argues from the facts which clearly reveal the existence of a Nourisher and Preserver, so it also repeatedly argues from the equally clear manifestations of Divine Mercy. Since in every thing we see not only an organisation and order but also signs of grace and mercy, it is impossible to avoid the conclusion that there must be a gracious and merciful intention and force behind it all. " Behold ! In the creation of the heavens and the earth, in the alternation of the Night and the Day in the ships which run upon the sea for the profit of mankind, in the rain which God sends down from the sky, thereby giving life to an earth that is dead, in the beasts that He disperses upon the earth, and in the ordinance of the winds and the clouds which trail obediently between the sky

and the earth — (in all these) are signs for those who understand" (II : 164).

Divine mercy manifests itself further in the beauty and perfection of all creation. The appropriateness and right proportion of everything around us call for reflection and it is impossible to resist the conclusion that it has not all happened haphazardly but that there is a purposeful force behind all creation and that that force is a merciful one.

«الذى خلق سبع سموات طباقا ، ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت .. الآية .»

He "hath created the seven heavens in harmony, one above another. No want of proportion wilt thou see in the creation of The Beneficent Most Gracious. Look again. Canst thou see any flaw ? Then look again and yet again. Thy sight will return discomfited and worn out, (without being able to detect any rift or flaw)" LXVII : 3 - 4.

It is from this quality of mercy that the Quran also argues the inevitability of a life hereafter..

Do they not understand that God, Who created the heavens and the earth, has power to create (men) like them (anew)?) XVII : 99 — and the need for divine revelation. The Quran asks how it is possible to imagine that the Mercy and Grace which manifest themselves in every nook and corner of the universe and have provided everything necessary for the physical well-being of man have nothing to offer for his inner guidance and spiritual benefit. So it is that revelation, the gift of the Book and the assignation of prophets are referred to over and over again as a mercy from God. "This (the

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYAT

Shawwāl
1385

ENGLISH SECTION

EDITED BY :
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

February
1966

The Quran's Conception of God - VII

By : Moulana Abul Kalam Azad

Nor is it only kinship which gives life its interesting and attractive character. Differences make a contribution no less important. Man's nature is such that it soon tires of same or even similar things and seeks variety. This variety is to be found in all the creatures and phenomena of nature, in time and season, day and night, summer and winter, land and water, hills and plains, green forests and arid deserts and then again within each kind. Every animal is different from another in shape and form and in all other respects. Every plant differs from another in size and shape, in colour and smell, in taste and in all its other properties. So it is also with minerals and all material objects.

Another aspect of this natural law of difference is what may be called the law of pairs. Every thing is in pairs; there is nothing odd. For every night there is a day, for every evening there is a morning for every masculine being there is a feminine match. It is this law of nature which has divided mankind into two sexes

and filled them with such instincts of action and interaction, sensation and emotion, that one sex has a natural and irresistible attraction for the other, and it is this mutual attraction which leads to and sustains a complete social life. This is so, says the Quran, in order that there may be love and contentment and that partnership and comradeship may render the labours and trials of life easy and bearable.

« ومن آياته أن خلق من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها
وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم
يفكرون . »

(And among His Signs is this, that he created for you helpmates from among yourselves that you might find rest and peace in them, and He ordained between you love and mercy. Lo! herein are indeed signs for those who reflect). (XXX: 21). And from this relationship between man and woman flows a series of other relationships which link the past with the future generations, projecting the individual far beyond himself and linking him with others of his kind in an ever widening circle.



مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

مجلة شهرية جامعة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
«بدل الاشتراك»
ج. في المبرور العربية لعمدة
٥٠ ضاحج المبرور
والمدريين الطلاب تخفيض خاص

تَبَصُّدٌ رُحْمَى شَيْخِنَا الْأَخْزَرِ فِي (أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِيٍّ)

الجران التاسع والعاشر - السنة السابعة والثلاثون - ذو القعدة وذو الحجة سنة ١٣٨٥ هـ - مارس ١٩٦٦ م

سَمَاءُ الْمَدِينَةِ

ح ١٢
ع ١٢٢٢٦

الحج فريضة اجتماعية دورية

بقلم أحمد حسن الزيات



فيه الروح إلى موضع الإلهام ، ويسكن الوجهدان
إلى منشأ العقيدة ، وينبسط الشعور بذلك الإشراف
الإلهي في هذه الأرض السارية . وكان الحج
ولا يزال موعد المسلمين في أقطار الأرض على
« هزقات ، يتصافقون على الوداد ، ويشأ لفون على
البعاد ، ويقفون سواسية أمام الله حاسري الرؤوس ،
خاشعي النفوس ، يرفعون إليه دعوات واحدة ،
في كلمات واحدة ، تصعد بها الانفاس المضطربة
المؤمنة تصعد البخور من مجامر الطيب ، أو العطور
من نوافح الروض ! هنالك يقف المسلمون في هذا
الحشر الدينوي حيث رثف صاحب الرسالة ،
وحواريو النبوة ، وخلفاء الدعوة ، وأمرأ العرب ،
وملوك الإسلام ، وملأين الجميع من مختلف
الألوان والألن فيمزجون الذكرى بالذكر ،
ويصلون النظر بالفكر ، ويذكرون في هذه

الحج والوكة هما الركنان الاجتماعيان من أركان
الإسلام . يقوم عليهما الأمر بين الفرد والفرد ، وبين
الفرد والجماعة ، كما يقوم على ثلاثة الأركان الآخر
الأمر بين المرء وربه . وبين المرء ونفسه . فالوكة
تقيم نظام المجتمع على التعاطف والرحمة ، والحج
يقيم على التعارف والألفة ، فيحقق الأول معنى
الإخاء بنفي العقوق ، ويحقق الآخر معنى المساواة
بمحو الفروق . والإخاء والمساواة شعار الإسلام
وقاعدة السلام ، وملأ الحرية ، ومعنى المدنية
الحق ، وروح الديمقراطية الصحيحة .

كان الحج ولا يزال مطهر الدنيا . ترحض فيه
النفوس عن جوهرها أوزار الشهوات وأوضار
المادة ، وكان الحج ولا يزال ينبوع السلامة ، تبرد
عليه الأكباد الصادية ، وترفض لديه الأعصاب
الوانية ؛ وكان الحج ولا يزال مثابة الأمن ، تأنس

البطحاء التي درج على رمالها قواد العالم وهداة الخليفة !

• والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا . أما شرط الاستطاعة فقد بطل اليوم ، وأصبح الحج فريضة حين لا تحول عن أدائها عقبة ، ولا يسوغ في تركها معذرة ؛ فأنت تستطيع بالمال اليسير وفي الزمن القصير أن تحج على الباشرة أو السيارة أو الطائرة ، دون أن تعرض حياتك للموت وثروتك للتهب ومحمدك للرض !

لقد كان الحج لرحقه الشديد وجهاده الجاهد يكاد يكون مقصوراً على الطبقات الخمسة من الزراع والصناع والعملة . أما الناعمون المترفون من أولى الأمر وذرى الرأى وأصحاب الزعامة ، فما كانوا يقدمون عليه ولا يفكرون فيه ، فظل جدهاء على المسلمين ضئيلاً ، لا يتعدى الحدود الخاصة من قضاء المناسك وأداء الزبارة ، فذاذ يمنع الكبراء والرحماء اليوم أن يتوافوا على ميعاد الله ما دامت شركتنا الملاحية والعايران العربيتان قد تحملتا عنهم أعباء السفر ، وضمنتا لهم وسائل العيش ، وفرتا عليهم أسباب الرقاهية حتى لا يكتفى المسافر بحقيبة ثيابه ؟ إن في حج سراة العرب والمسلمين لإعلاء شأن الملة ، وإغراء بأداء الفريضة ، وسمياً لجمع الكلمة ، وسبيلاً إلى لوحدة المرجوة .

وإن مقام إبراهيم الذي أنشئ منه النور ، ونزل فيه الفرقان ، وانتظم عليه العمل ، لا يزال مناراً للأمة ومشاراً للهمة ومشرق الأمل الباسم بالمتجمع الإسلامي الجديد ؟

أحمد حسن الزيات

البقعة المحدودة ، وفي هذه الساحة الموعودة ، كيف اتصلت هنا السماء بالأرض ، ونزل الدين على الدنيا ، وتجلى الله للإنسان ، ونبتت من هذه الصحراء الجدبية جنات المرق والغرب ، وثمرات العقل والقلب ، وبيئات الهدى والسكينة !

الحج مؤتمر الإسلام العام يحدد فيه حبله ، ويتمهد به أهله ، ويؤلف بين القلوب في ذات الله ، ويؤاخي بين الشعوب في أصل الحق ، ويستعرض هلائق الناس كل عام فيوشجها بالإحسان ويوثقها بالنضام وينضج من متابعه الأولى على الآمال الداوية فتتضر ، وعلى العزائم الحافية فتذكو . ثم يجمع العسكري المختلفة من شغاه المنكوبين بالسياسة المادية ، والمدنية الآلية ، والمطامع الغربية ، فيؤلف منها دماء واحداً تجاربه النفوس المظلومة جواراً تردده الصحراء والسماء !

وما أحوج المسلمين اليوم إلى شهود هذا المؤتمر ! لقد حصرهم المستعمرون في أوطانهم المغصوبة ، ثم قطعوا بينهم الأسباب ، وحرروا عليهم التواصل ، وفصلوا حاضرهم عن الماضي الملمهم والمستقبل الواعد بطمس التاريخ ، وقتل اللغة ، وإطفاء الدين ، فلم يبق لهم جمعة إلا في هذا الموسم .

إن في كل بقعة من بقاع الحجاز أنراً للفداء ورمزاً للبطولة . فالحج إليها إيماء بالهزة ، وحفز إلى السمو ، وحث على التحرر ... هنا غار حراء ، مهبط الوحي ، وهنا دار الأرقم ، رمز التضحية ، وهنا جبل ثور ، منفاً المجيد . وهذا هو البيت الذي احتجى بفنائه أبو بكر وعمر وعلي وعمر وسمد وغالد . وهذا الشب وذاك بحر أذبال الغطاريف من بني هاشم وبني أمية . وتلك هي

أَسْبَابُ الْخُلُودِ وَالْحِفْظِ فِي الشَّرِيعَةِ زَاتِيَّةٌ

لِلأَسْتَاذِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدِ الْمَدَنِيِّ

بعض رجال العلم والدين الإسلامي يهولهم ما يوجه إلى الشريعة المطهرة من مطاعن ، وما يركز على أحكامها من هجوم ، ويقولون : إن أساليب الدعاية في العصور الحديثة لها أثر كبير في تقدير المعاني وتشيئها ، فإذا ألحت الدعاية على شيء فإنها كفيلة بعد فترة تطول أو تقصر من هذا الإلحاح أن تحول الانظار إلى ذلك الشيء ، وتملأ به قلوب الناس وعقولهم ، وعلى العكس من ذلك إذا أرادت الدعاية أن تصرف عن شيء ، وتنفر منه ، فإنها تصل إلى ذلك ، متى نظمت وفسقت وثابتت على مهاجمته ونقده ، سواء أكانت في هذه المهاجمة على حق أم على باطل ، ومن ثم يقين أن خطر الدعاية ضد الشريعة ومبادئ الحق والعدل والإصلاح التي قامت عليها خطر كبير ، إذا لم يتداركه أهل العلم والدين بدعاية مضادة ، وهجوم مقابل ، فإنه يهددها بالزوال ، وقد يطول الأمد إلى ذلك أو يقصر ، ولكنه سيكون حتماً ، وسيساعد على قرب يومه هذا السير العالمي السريع في ركب الحضارة المادية ، وهذه النزعات الإلحادية ، أو الوجودية ، أو الانحلالية البهيمية .

١ - إن الحرب المجهوية التي وجهت إلى الإسلام ، عقيدته وشريعته ، ليست بفت اليوم ، وإنما هي حرب صحبت الإسلام منذ أول عهده إلى اليوم وستظل دائرة الرحي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ذلك بأنها حرب بين الحق والباطل ، بين الإيمان والكفر ، بين الصلاح والفساد ، بين الخير والشر بين العدل والظلم ، بين النظام والفوضى ، بين الإنسانية والبهيمية ومن ظن أن التهادن يمكن أن يقع في عصرنا بين هذه المتناقضات المتقابلات

هذه هي النظرة التي ينظر بها بعض رجال العلم والدين إلى المعركة الدائرة بين الدين والإلحاد وبين التقيد بالمثل والانطلاق من قيودها ، وبين الإيمان بكال الشريعة ووفائها والشك في ذلك السكال ، وفي ذلك الوفاء .

٢ — ولقد تنقلت الثقافة الإسلامية في مختلف العصور من دولة إلى دولة ، ومن يد إسلامية إلى يد إسلامية :

عاشت في الحجاز حينما من الدهر ، ثم ضعف عنها الحجاز ، فانتقلت إلى العراق ، ثم انتقلت إلى الشام ، ثم انتقلت إلى الأندلس ، ثم إلى المغرب ، ثم إلى مصر برعاية الأزهر ، فلم يأت همد من اليهود أو قرن من القرون ، إلا وصولجان الثقافة الإسلامية في أيد إسلامية هنا أو هناك ، وما زلنا نرى هذه السفة مضطردة في شأن الإسلام ديننا وهذا فقد تضعف أو تهزل عنه دولة في شعب من شعوبه فتمسك بعلمه الخفاق دولة أخرى أو دول أخرى في مختلف الشعوب ، فهو كالشمس المشرقة إن غابت عن أفق طلعت في أفق ، أو كنور البدر إذا انهمر من موطن أشرق في موطن .

ومن أراد أن يقتبص هذا الامداد العجيب تقبعا تاريخيا ، ويدرس أمثله في مختلف الحقب ؛ وجد ذلك ميسورا ، ورأى فيه دلائل الحفظ الإلمى لهذا الدين ، ولهذا الشريعة .

٣ — وحفظ الله تعالى لهذه الشريعة أساسه ، هو قيامها على دعائم ثابتة لا تتأرجح ، وأنها معصومة عن أن تميل إلى باطل ، أو انحراف ، بمقتضى تكافل أحكامها ومبادئها على نفي كل باطل ، وكل انحراف ، فانه سبحانه وتعالى حفظها عن طريق أحكامها وإتقانها حتى لا يخالفها غيرها ، ولا يداخلها التغيير ولا التبديل .

وفي ذلك يقول الإمام الشاطبي :

« إن الله عز وجل وفر دواعي الأمة للذب عن الشريعة ، والمناضلة هنا بحسب الجلة والتفصيل : أما القرآن الكريم فقد قبض الله حفظه ، بحيث

فهو خاطئ ، فلو أن هذه وضعت لتلك ، أو سلبت وتقبلت البهانة ، اسكان ذلك هو نهاية الدنيا وبدء عالم جديد ، هو عالم الآخرة بقوانينه الثابتة القائمة على العدل المطلق ، والحق المطلق ، والصالح المطلق والخير الذي لا يعرف الشر .

ولكن الدنيا هكذا : لا بد فيها من هراك ومعركين ، ولا يمكن أن تخلو ميادينا في كل جانب من جوانبها ، من ذلك التطاحن وما جاء الإسلام إلا لتنظيم الدفاع والمناضلة وتأييد القوى التي تعمل على تحطيم الشر والباطل والفساد ، حسب الإمكان وفي نطاق التقليل لا في نطاق المنع التام والمحو الشامل . ولذلك ندرس كل عصر من العصور ، أو كل مائة عام من مئات الأعوام التي مر بها التاريخ الإسلامي فنجد الحرب سجلا بين موجات التدين وموجات الإلحاد ، أو بين تيارات الإيمان وتيارات الجحود والنكران ، ولكفنا نجد دائما أن العاقبة هي للإيمان والحق ، وأن الهائرة هي على الكفر والباطل ، ولو أننا أخذنا بما يبدو في تاريخ الإسلام من تألف القوى على حربه وتجميع الأعداء في ميادين التشكيل بمبادئه وبأهله — لو أخذنا بالمنطق فيما يبدو من صور ذلك ، لكان الإسلام قد زال منذ زمن طويل ، ولسكان أهله ومعتقوه قد بادوا مع البائدين ، ولسكنه سلم وسلم أهله ، بل سمحت جذوره ، وبسقت فروعه ، وظهرت نبالة تعاليمه ، ومئاته قواوده ، ودارت الحضارات والمدنيات في نطاقها قاصدة أو غير قاصدة ، وبجملتها تلك التعاليم والمبادئ فيما يختص بحقوق الإنسان في أحدث الدساتير والاتفاقيات العالمية ، واتجه أهله إلى أن يكونوا قوة مرجحة يحسب العالم حسابها ، ويطلب رضاها ويخشى إغضاها .

ويدفعون الشبه ببراهينه ، فنظروا في ملكوت السموات والأرض ، واستعملوا الأفكار وأذهبوا من أنفسهم ما يفسد عليهم عن ذلك ليلاً ونهاراً ، واتخذوا الخلوة أنيساً ، وفازوا برهم جليسا ، حتى نظروا إلى عجائب صنع الله في سماواته وأرضه ، وهم العارفون من خلقه ، والواقفون مع أداء حقه ، فإن عارض دين الإسلام معارض ، أو جادل فيه خصم مناقض غيروا في وجه شبهاته بالأدلة القاطعة ، فهم جند الإسلام ، وحماة الدين .

وقد حكى أبو عمرو الداني في « طبقات الفراء » له ، عن أبي الحسن بن المنتاب قال : كنت يوماً عند القاضي أبي إسحق إسماعيل بن إسحاق ، فقبل له : لم جاز التبديل على أهل التوراة ، ولم يجوز على أهل القرآن ؟ فقال القاضي : قال الله عز وجل في أهل التوراة : « بما استحفظوا من كتاب الله ، فوكل الحفظ إليهم ، لجاز التبديل عليهم ، وقال في القرآن : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ، فلم يجوز التبديل عليه . يريد أن أسباب الحفظ راجعة إليه ، إذ الكتاب : عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . « أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، فهو مزود في نفسه بما يدرأ عنه كل باطل - قال علي : فضيت إلى أبي عبد الله الهاملي فذكرت له الحكاية فقال : ما سمعت كلاماً أحسن من هذا .

فيا أهل الإسلام : شدوا عزائمكم ، وثقروا بأنفسكم : « ولا تنهوا ولا تحزنوا وأنتم الأهلون إن كنتم مؤمنين ،

محمد محمد المدني

لو زيد فيه حرف واحد لأخرجه آلاف من من الأطفال الأصغر ، فضلاً عن القراء الأكبر ، وهكذا جرى الأمر في جملة الشريعة ، فقيض الله بكل علم رجالاً يحفظه على أيديهم :

فكان منهم قوم يذهبون الأيام السكثيرة في حفظ اللغات والتسميات الموضوعة على لسان العرب . ثم قيس رجالاً يبحثون عن تصاريح هذه اللغات في النطق فيها رفعاً ونصباً ، وجراً وجزماً ، وتقديماً وتأخيراً ، وإبدالاً وقلباً ، وإنباعاً وقطعاً ، وإفراداً وجمعاً ، إلى غير ذلك من وجوه تصاريحها في الإفراد والتركيب ، واستنبطوا لذلك قواعد ضبطوا بها قوانين الكلام العربي على حسب الإمكان ، فسهل الله بذلك الفهم عنه في كتابه ، وعن رسوله صلى الله عليه وسلم في خطابه .

ثم قيس الله سبحانه رجالاً يبحثون عن الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن أهل الثقة والعدالة من الثقة ، حتى ميزوا بين الصحيح والسقيم ، وتعرفوا التواريخ وصحة الدعاوى في الأخذ لفلان عن فلان ، حتى استقر الثابت المعمول به من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكذلك جعل الله العظيم إيمان البعثة عن البدعة ناساً من عباده يحشوا عن أغراض الشريعة كتاباً وسنة ، وعما كان عليه السلف الصالحون ، وداوم عليه الصحابة والتابعون ، وردوا على أهل البدع والأسماء ، حتى تميز أتباع الحق عن أتباع الهوى ...

ثم قيس الله تعالى ناساً يناضلون من دينه ،

أمّ القري

للأستاذ إبراهيم شعوط

(والله إنك لخير أرض وأحب أرض إلى الله تعالى) .

(ما أطيبك وأحبك إلى) . (حديثان شريهان رواهما الترمذى)

هى دعوة لإبراهيم عليه السلام ، وشوق وحب من محمد عليه الصلاة والسلام .

فأما دعوة إبراهيم فقد سكبها فى قلوب الناس سكبا فى الأحماق وفرضها فرضا على كل ذى فؤاد فقال فى ضراعاته لمولاه : « بنّا إني أسكنك مع ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة . فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرونا » .

دعا إبراهيم لمكة بالأمن لأن أرضها مصدر الرعب ومظنة القلق لأن الخوف يكنى فى جبالها وشعابها ومقارضاها ، ولأهلها بالرزق لأن الوادى يجذب فقال : « رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات » ، ولقد كلف إبراهيم ببذل الجهد فى أم القرى مكة والقيام فيها بأعمال جليلة لعمير المكان الخال وتأميناً للبيعة الخيفة بقول الله تعالى : « ولإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئا وطهر بيتى للطائفين والقاتمين والركع السجود » ، ويقول تعالى : « والذين كفروا يصعدن عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم » ..

وما زال إبراهيم عليه السلام وإسماعيل وهما يزاولان عملية رفع قواعد البيت يدعوان ربهما لنفسيهما ولذريتهما ويسألان مولاهما أن يبعث فيهم رسولا منهم فى تلك الصورة الضاربة المخاشعة

مع نسبات الحجاز فى موسم الحج ، ونسبات الأمل فى الوصول إلى الأرض المقدسة تهفو قلوب وتنهمر عبرات ، وتكاد الأفئدة تقفز من صدور أصحابها لتلقى بنفسها فى أحضان البيت ، وبين جوانبه ؛ إحساس ديني ، وانفعال نفسي ، وانذاع من الأعماق يستوى فيه القرب والبعد ويتساوى إليه من يعرف لغة هذه البلاد ومن لا يعرفها . كل من سكن الإسلام فى قلبه سكن معه حب مكة والشوق إليها سر عجيب أودعه الله فى أم القرى ، وخصها وحدها بمخاض لا تدرك إلا بالروح ولا تتذوق إلا بالإحساس والوجدان .

أما هى من حيث طبيعتها وموقعها وتخليطها الجغرافى هى منطقة جبال صماء ملساء ، بين سوداء وحمراء لا يطالع الذهاب إليها سوى جبال متقاربة جداً تختلف فى الارتفاع والانخفاض بينهما وديان تختلف أيضاً فى الضيق والاتساع فتتجم بالجبال مساحات الرمال التى تنبت الشوك والقيصوم والعشر شديدة الحر حتى ليصبح العديد من أهلها وحجاجها صرعى من ضربة الشمس شديدة البرد حتى يهون أمام شدته ما يعانيه الناس من حرها .

فى أهلها غلظة وكثير من الجفوة فهى ليست فى أرضها وأهلها مقصد المتزهدين ولا أمل المترفين .

فأى شيء نيك يا أم القرى يجذب القلب ، ويغلب اللب ، وينزع الشوق انزعاء ، ويدفع هذه الملايين دفعا إليك رغم الصعوبات والعقبات والمشقات ؟

وجامع القول وموضع البحث تتجه خيوطه كلها إلى قوله «قياماً»، فتسلط الأضواء على مدلول هذه الكلمة لتعرف مكانة الكعبة وأثرها في استقامة الناس: قال المفكرون: قياماً أى صلاحاً ومعاشاً لأمن الناس بها، وعلى هذا يكون قياماً بمعنى يقومون بها وقال بعضهم: قياماً يقومون بشرائعها وقرأ طاهر وطاسم «قياماً»، وقيل «قياماً»، فأى معنى هو المقصود أفضل من أن الكعبة بيت الله هي قوام حياة الناس. بدونها لا تقوم لهم حياة فاضلة فهى قوام الحياة الروحية، ثم هى أيضاً قوام الحياة المادية.

فأما أثرها في تقويم الناس روحياً فلنحوظ في حنين رسول الله إليها وعشقه لها وتمنيه على ربه في قلبه وجهه له في هليائه أن يوجهه إلى ما يرضيه ويشبع روحه فكان جواب المولى جللت قدرته لحبيبه عليه الصلاة والسلام «قد نرى قلب وجهك في السماء فلمؤينك قبلة ترضاها»، فلماذا كان يرضاها رسول الله؟ لأن متاعه الروحي هناك ووجهة قلبه عندها منذ عرفها وطاف بها وهرف أنها ملاذ وحى وملجأ للخائفين المفزعين الذين لا يجدون عند أحد أمهم ولا في مكان أطمئنانهم لأن صاحب البيت هو الذى يحضى العائدين به والاجتهاد إليه، وأولم يروا أننا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم.

من أجل ذلك عظم الله البيت الحرام في قلوب العرب والمسلمين وأوقع في نفوسهم دميته وأعلن بينهم حرمة فكان من اضطهد من خصومه محمياً بالسكون إليه مطمئناً إلى قوة القادر الذى يحميه. أما أثر الكعبة المباركة في تقويم الناس مادياً ففي تلك الحاية من المكروه وفي الحيلولة بينهم وبين شهوتهم للثأر والانتقام وإسكات غضبهم وكسر حدة حتى يثوب العقل ويؤوب الهجا ويحل التروى

«وإذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسلاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم».

أما حب محمد عليه الصلاة والسلام لهذه البقعة من الأرض وحنينه إليها فيتحلى في خطاب الله سبحانه وتعالى لحبيبه ورسوله بقوله «قد نرى قلب وجهك في السماء فلمؤينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره» ثم يعود فيكرر له تأكيد استجابته لرغبته وتحقيقه لأمله في جعل قلبه إلى المكان الحبيب إليه في مكة فيقول «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك» ثم يكررها مرة أخرى بأسلوب آخر فيقول «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة».

اختار الله لنبيه القبلة التى يرضاها ويتوق إليها قلبه ويشده إلى الانجاء لها حنينه فكانت القبلة إلى الكعبة التى هى أول بيت وضع للناس بمكة ويقول القرطبي: سميت كعبة لأنها سبعة وأكثر بيوت العرب مدورة أو لأنها نائمة وبارزة فكل تتوء بارز كعب، مستديراً كان أو غير مستدير، ومنه كعب القدم وكعب القناة.

هذه الكعبة جعل الله لها شأنًا وسراً وحكمة تبدو كلها في قوله تعالى في سورة المائدة «جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شئ عليم».

بصائرهم حتى لا يخيل إليهم أنهم لو مدوا أيديهم
لتعلقوا بأستارها تماماً كالنجارين لها والطائفين
حولها . . .

يا أم القرى - قدس الله سره وطهر أرضك
وربط قلوب أصفياؤه بك لجعل فيك يا أم القرى
أماكن يبسط فيها الرحمن يده لعباده . يتجلى فيها
بالقرب الذي بينه في قوله : وإذا سألك عبادي
عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان ،
وقد عهد العلماء مواضع الاستجابة في مكة فبلغت
ثلاثة وخمسين موضعاً منها مكان الطواف جميعه
وعند الملتزم وتحت ميزاب الرحمة ودخل السكبة
وعند زمزم وفي مقام إبراهيم وعلى الصفا والمروة
وفي المسمى بينهما وفي عرفات وفي مزدلفة وفي منى
وعند الجرات .

فأى أرض أطهر من أرضك يا أم القرى
بعد أن وطأتك أقدام رسول الله ومرغ جنبه
على ترابك .

وأى موى يلجأ إليه العائدون من ذنوبهم
الفارون من معاصيهم سوى بيت الله فيك ؟ وأى
نشد يدطرب إليه الجمع ويخشع القلب من نشيد
العبد الراجع إلى ربه وهو في طريقه إليك في موسم
الحج حين يتجرد من كل امتيازاته المادية ويمحو
الفوارق الدنيوية بينه وبين إخوانه ويحمل كفته
على كتفه ذاهباً إلى ربه تائباً من ذنبه ونشيد الحالد
المأثور للخائف المذهور (لبيك اللهم لبيك .
لبيك لا شريك لك إن الحمد والتعنة لك والمملك
لا شريك لك) .

إبراهيم شعوط

الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية

حل الطيش فتصان الدماء وتحفظ الأرواح ويتفرغ
أهل الثأر أنفسهم للعمل والإنتاج فيستقصر القوم
روح السكينة وبرد الراحة والسعادة .

ثم ماذا فيك يا أم القرى من خصائص جعلت
رسول الله لا يبغى بك بدلا في محرابه أو تسكيناً
لاضطرابه ؟ ألائك أرض الابتلاء والفداء والنداء
ابتلاء في قول لإبراهيم لابنه : يا بنى إنى أرى
في المنام أنى أُنحىك ، وفداء بعثه الله للصابر الطائع
وفديناه بذبح عظيم .

ونداء إلى العبد المستجيب لربه في أروع موقف
تتحطم فيه هواظف الوالد وتموت طبيعة الأبوة
وبغنى العبد في المعبود فتصبح لذة العبد في طاعة
مولاه الذى ناداه ، ونادينا أن يا إبراهيم قد صدقت
الرؤيا .

ألهذا كان سيدنا رسول الله يقابل وجهه في السماء
ضاحوا إلى ربه ليوجهه إلى الوجهة التى يحبها
ويرضاها ؟ .

أم لهذا ومعه مواطن الرضا ومواضع استجابة
الدعاء وتجلى المولى على الصارحين هناك حيث أبواب
سمائه مفتحة وسحاب رحمة منهلة على عبادته الذين
قصدوه في أرضه التى قدسها ومواضعه التى طهرها
ودعا أحبابه إليها ؟ .

هذه الخصائص لا توجد في الدنيا كلها إلا في مكة
حيث التقت الوجوه مع ربها في بيته وظهرت الحكمة
من توحيد القبلة لأهلها في المغافهم حولها والتصاقهم بها
تطوى المسافات كلها عندها وتعرف منازل
الصالحين عند ربهم بمقدار ما لها من مكانة في قلوب
المتجهين إليها .

فالذين اشتد حبهم لها وتعلقهم بها وتصورهم
لموقعها ترفع لهم من بعيد قراها قلوبهم وتذكرها

من آداب الحج

للككتور محمد محمد أبى شنبه

النساء ، والقبلة ، والغزوة ، وأن يعرض لها بالفحش من الكلام ونحو ذلك ، فشكل ذلك منهى عنه بل المباشرة ولو كانت للزوجة مبطله للحج بإجماع العلماء ، والحاج الذى لا يراقب الله فى المحافظة على أعراض أخواته المسلمات ، والترويع عن سفاسف القول ، ولا يقطع نفسه عن الهوى والشهوة أولى به ألا يذهب إلى هذه البقاع المقدسة ، ومثله ليس له من حجه إلا المشقة والتعب ، والحجبة وسوء المنقلب .

وأما (الفسوق) فببطل هو السباب والمشاقة ، وفى الحديث الصحيح المتفق عليه يقول النبي صلى الله عليه وسلم : سباب المسلم فسوق ، وقوله كفر ، وقال الضحاك : الفسوق : التنازع بالألقاب كأن يقول لأخيه المسلم : يا أعمى ، يا أهور ، يا أعرج يا قبي . ونحوها وكأنه أخذ تفسيره الفسوق بهذا من قول الله سبحانه : يا أيها الذين آمنوا لا يستخر قوم من قوم هنى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يسكن خيرا منهن ، ولا تذرُوا أنفسكم ، ولا تنازعوا بالألقاب بأسماء الفسوق بعد الإيمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون .

والصحيح أن الفسوق شامل لجميع المعاصى من سباب ونبذ بالألقاب ، وإيذاء باليد أو اللسان أو الجوارح وارتكاب ما نهى عنه فى الإحرام كقتل الصيد ، وحلق الشعر ، وقلم الأظفار ، والمعاصى وإن كان منها عنها فى جميع أيام السنة إلا أنها فى الأشهر الحرم ، وفى حال الإحرام أشد وزرا وأعظم ، وأما (الجدال) فهو المراء والمخاصمة مع الرفقة والأصحاب ، ومع الخالين والمساكين ، ومع الباهة والتجار ، وأيام الحج ليست أيام مراء

من محاسن الإسلام أنه يحيط شرائعه وتكاليفه بحدود وآداب تحقق الغرض الذى قصده الشارع الحكيم من هذه العبادات ، وترتفع بمؤديها إلى درجات من السمو النفسى والخلقى والاجتماعى ، فجعل للصلاة التى هى عمود الإسلام وسنانه آدابا وسننا ، وللزكاة التى هى رأس العبادات المالية آدابا ومعالم ، وللصيام الذى هو نصف الصبر آدابا وفضائل ، وكذلك جعل للحج الذى هو الإرث الخالد عن أبى الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام آدابا وشعائر تحقق الحكم السامية التى أرادها الله من هذا الأصل من أصول الإسلام ، ولا عجب فالإسلام هو الدين العام الخالد الذى جاء لإكمال ما نقص من الديانات السابقة ، وإتمام ما قصر من التشريعات الماضية ، والذى لا يختص بجنس دون جنس ، ولا بشعب دون شعب وصدق الحق تبارك وتعالى حيث قال فى الكتاب الكريم : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، وقوله عز شأنه : وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، وقوله صلوات الله وسلامه عليه : وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعث إلى الناس عامة ، زواة البخارى ومسلم .

فن آداب الحج ما ذكره الله سبحانه فى قوله : الحج أشهر معلومات ، فن فرض فيه الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله .

و (الرفث) كلمة جامعة تشمل مباشرة النساء ، ودواعيها ومقدماتها ، والتكلم بما يستجن من فحش القول سواء كان ذلك فى حضرة الرجال أم النساء روى على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال : د الرفث غشيان

غاب عن هؤلاء هذا التأديب الإلهي ، والحج من مقاصد الوحدة لا الفرقة لا التباعد والشبهة ١١
ومن آداب الحج أن يتزود الحاج بما يقيه
ذل السؤال والحاجة فلا يكون كلا على الناس روى
الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال : « كان
أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون : نحن
المتوكلون ، فإذا قدموا مكة سألوا الناس فأنزله الله
تعالى : « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون
يا أولي الألباب » والمراد بالتقوى ما بقي الإنسان
السؤال والتكفف فعلى هذا تكون الكلمة قد جاءت
على أصل معناها اللغوي وهي الوقاية ، وفي اتحاد الزاد
وقاية من السؤال وذل الحاجة ، وفيه حفظ الحياء
وصيانة الدين والروء ، وقد روى عن ابن عمر
رضي الله عنه أنه قال : « إن من كرم الرجل طيب
زاده في السفر ، ولعل في هذا من دجرا هؤلاء الذين
يتخذون من موسم الحج وسيلة لبيع الأموال بالسؤال ،
والإلحاف فيه ، وهم بفعلهم هذا يهدرون كرامتهم
الإنسانية والله سبحانه لم يكلف بالحج إلا المستطيع
قال سبحانه « وقه على الناس حج البيت من استطاع
إليه سبيلا ، فمن لا استطاعة له فلا عليه لو أقام ببده
ورضى بما قسم الله ، وصان نفسه من هذا الابتذال
ولاسيما أن من مقاصد الحج الإنفاق والبذل لا التمسك
واكتناز الأموال ، أو العيش عالة على الناس ، وليس
هذا بتوكل وإنما هو تواكل وضمة والتوكل الحق هو
الاخذ في الأسباب مع الاعتماد على الله ، وسيد المتوكلين
سيدنا محمد كان يأخذ معه زاده وهو يتعبد في نار حراء
فلو كان ترك الزاد توكلًا لتركه وما أحسن ما قال الإمام
أبو الفرج بن الجوزي : « وقد لبس إبليس على
قوم يدعون التوكل فخرجوا بلا زاد وظنوا أن هذا
هو التوكل وهم على غاية الخطأ ، وقال رجل للإمام
أحمد بن حنبل : أريد أن أخرج إلى مكة على التوكل

ومخاصمة ومشاحنة ولكنها أيام تهليل وتكبير ،
وسلام وأمان ، ومن المراء أن يدعى الحاج لنفسه
البكال في أداء المناسك ومحاولة تنقيص غيره ، عن محمد
ابن كعب القرظي قال : كانت قریش إذا اجتمعت
بمنى قال هؤلاء : حججنا أتم من حجكم وقال هؤلاء :
حججنا أتم من حجكم فهوا من ذلك . وفي الكتاب
السكريم : « فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى » والمرام
شر كله ، وكثيرا ما يؤدي الجدال بين الإخوان
إلى السباب والمخاصمة ثم إلى القطيعة والمجران .
فمن وفق من الحجاج هذه الثلاثة ، ووقف عندهذا
الأدب القرآن في الحج ، فقد تقبل الله حجه ونسكه ،
وغفر له ذنوبه حتى يعود من حجه أبيض الصافية ،
ميمون النقية ، حسن الأخلاق في الحديث الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من حج هذا البيت
فلم يرفث ولم يفسق رجعت كيوم ولدته أمه) رواه
البخاري ورواية مسلم بلفظ (من أتى هذا البيت)
وهي أعم لأنها تشمل الحج والعمرة ، وروى الإمام
أحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قضى نسكه ، وسلم
المسلمون من لسانه ويده غفر له ما تقدم من ذنبه) .
وإذا علمنا أن الحج هو المؤتمر الإسلامي الأكبر
الذي يجتمع فيه ألوف المسلمين من الرجال والنساء
من كل قطر ومصر مع ما هم عليه من اختلاف
الطبائع والمعادات والنزوات أدركنا سمو هذا
التأديب الإلهي ، وحاجة هذا الجمع الحاشد إلى أمثال
هذه التأديبات والتوجيهات الإلهية .

إن مما يؤسفنا حقاً أن بعض الحجاج يذهبون
إخوانا متصاحبين ، فإذا بهم يعودون أوزاعا
متفرقين ، ومتخاصمين ومفشاحين لأجل شيء تافه ،
أو كلمة نابية ، مع أن في رحابة صدر المسلم ، وسمو
أخلاقه ما يغفرها وأكثر منها ، ولا أدري كيف

بغير زاد فقال له الإمام : اخرج في غير القافلة فقال لا إلا معهم فقال له : فعل جرب الناس توكلت . وقيل في قوله تعالى : (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) أن المعنى فإن خير زاد الآخرة هو التقوى فالتقوى على معناها الشرعى الشامل ، ومن التقوى التزود عند الخروج إلى الحج وذلك أن الله سبحانه لما أمرهم بالنزود للسفر في الدنيا ناسب أن يذكر الزاد الباقي الحقيقي الذي لا ينفد وهو زاد الآخرة ، وهو من الاستعدادات البدئية في القرآن المعجز ومثل ذلك قول الله سبحانه و يا بنى آدم قد أنزلنا عليك لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ، فإنه سبحانه لما ذكر اللباس الحسى الذى يستر العورة ، ويزين به نبيه إلى اللباس المعنوى : لباس التقوى فهو خير وأبقى وأنفع ومن آداب الحج أن يأخذ نفسه بالرفق بإخوانه الحاجاج ولا سيما النساء والضعفاء من الرجال وأن يكون لبن الجانب ، سهل العريكة ، معوانا على الحبر ، وأن يسير على هيئته فلا يؤذى أحدا بمنكبته إن كان راجلا ولا بدابته أو سيارته إن كان راكبا ، وقد كان من هدى الرفيق الرحيم صلى الله عليه وسلم أنه كان يسير السير الوسط فإذا وجد فرجة ومتسعا أسرع بدايته ، ففي الصحيحين عن أسامة بن زيد أنه سئل : كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دفع يعنى من عرفة قال : كان يسير العنق فإذا وجد فرجة نص وروى البغوى بسنده عن ابن عباس (أنه دفع مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة ، فسمع النبي زجرا شديدا ، وضربا للإبل فأشار بسوطه إليهم وقال (أيها الناس عليكم السكينة فإن البر ليس بالإبضاع يعنى بالإمراع ، ولعل في هذا هظة للذين يغترون بقوتهم البدنية فيزاحمون ويكفأون الناس على وجوههم ، أو يطرحونهم على ظهورهم ، أو الذين يسرعون بدوابهم

وسياراتهم رغبة في السبق فيؤذون إخوانهم ، وربما يزهقون أرواحهم فيتمرضون لغضب الله ورسوله . إن أكثر ما يشته الزحام في الطواف وعند إرادة تقبيل الحجر الأسود وعند الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة ومنى وأحب أن أقول للحجاج : إن الإقلال من الطواف حول البيت من غير إيذاء خير من الإكثار مع الإيذاء ، وإن تقبيل الحجر ليس بواجب عند كل شوط يكنى المسلم أن يقبله ولو مرة ، فإن لم يستطع تقبيله فليلمسه بعضا في يده مثلا ، فإن لم يستطع أشار إليه بيده وكبر وهذا هو الثابت من هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم والإفاضة من عرفات إلى المزدلفة ثم إلى منى وقتها موسع ولكن الناس يعجلون ، وكل يريد أن يصل قبل الآخر ، و ببعض من التؤدة والإيثار تسير الأمور على خير ما يرام . ومن آداب الحج أن يدعو الحاج بما يشاء من خيري الدنيا والآخرة ولا سيما المأثور ولا يقتصر على مرغوبات الحياة الدنيا . عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان ناس من الأصحاب يجيئون إلى الموقف فيقولون : اللهم اجعله عام غيث ، و عام خصب و عام ولاد ، ولا يذكرون من أمر الآخرة شيئا فأنزل الله فيهم : ه فن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق ، وكان يجي . بعدهم آخرون من المؤمنين فيقولون : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا هذاب النار فأثنى الله عليهم وقال : وأولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب .

وبعد ، فهذه أيها الحاج أهم آداب الحج فخذ بها يكن حجك مبرورا وكنت من الذين وهدم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)

وكتوب محمد أبو

من رحلات الحج في العصور الوسطى

للكنور عباس حلمي اسماعيل

اهتم الايوبيون بالحج وشئون الحجاج ليؤدوا شعائره ، ويعقدوا أعظم مؤتمر للمسلمين ، يتعارفون فيه ويتشاورون ، ويواجهون باتحادهم مؤامرات أعدائهم من الصليبيين بالرأى الشديد ، والاستعداد التام ، والتدبير الحكيم ، وقد آمن السلطان صلاح الدين بأهمية مبدأ الشورى كأساس من أسس الحكم ، وكثيرا ما عقد المجلس الذي كان يسمى بالمشور ، ليستضىء بأراء ذوى العقل والخبرة والإخلاص ، فيشركهم فيما أجه من الأمر يتصرفون نواحيه ، وبقبوله على شق وجوهه ، حتى يتبينوا وجه الصواب والسادد فيه ، وبأمنوا الزلل .

وفي سبيل تيسير الحج على المصريين ، ألقى السلطان صلاح الدين المكوس والضرائب عن الحجاج بمكة ، وكان مقدارها سبعة دنانير ونصف دينار من الدنانير المصرية عن الحجاج الواحد ، وكان يحبس من يعجز عن أدائها فيفوتوه الوقوف بعرفات ، وقد هوى صلاح الدين أمير مكة وهو (مكش بن هيسى بن فليحة الحسنى) عن المكوس التي ألغاه بمكة بأثنى دينار وألف أرب قح في كل سنة سوى إقطاعات بصعيد مصر واليمن كما قرر للدجاوين بمكة أيضا غلات وصلات تحمل إليهم .

ومن المسلمين الذين حجوا على عهد صلاح الدين الرحالة العربي الشهير ابن جبير الأندلسي ، غادر ابن جبير مدينة غرناطة بالأندلس ، واجتاز مضيق جبل طارق حتى وصل إلى (صبتة) على شاطئ المغرب ومن هناك وفي يوم الخميس ٢٩ من شوال ٥٧٧ هـ

(٢٤ فبراير ١١٨٢) ركب سفينة إلى الإسكندرية بلغتها بعد مغاطركشيرة يوم السبت ٢٩ من ذي القعدة ٥٧٨ هـ (٢٦ مارس ١١٨٣) ، وهنا طلع أمنا المراكب من قبل الحكومة لمصر جميع ما جلب فيه فاستدعى جميع من كان فيه واحدا واحدا وكتبت أسماؤهم وصفاتهم وأسماء بلادهم ، وسئل كل واحد عما لديه من سلع أو نقود ، ليؤدى زكاة ذلك كله ، ثم استدعى الأمنا شخصا من أهل كل طائفة ليسأله عن أبناء طائفته ، وطافوا به على نائب السلطان أولا ، ثم على القاضي ، ومن بعد ذلك على ديوان الجرك ، ثم على جماعة من حاشية السلطان ، ويسأل في كل مرة عن أبناء طائفته ، ثم يستدعي أمنا المراكب أبناء كل طائفة واحدا بعد واحد ، ويفقهونهم ويحفظونهم على القرآن ، خشية أن يكون معهم غير ما وجدوه .

ونزل ابن جبير في فندق الصغار بالإسكندرية ، وأقام به عدة أيام ، نهض فيها بجولات بين آثارها ومرافقها وأسواقها ، وشهد منارة الإسكندرية ، واستهوت مدراس الغرباء ، ومدى ما يلقونه من اهتمام ورعاية ، فيلقى كل واحد منهم مسكنا يأوى إليه ، ومدرسا يعلمه الفن الذي يريد تعلمه ، ومرتباً يقوم به ، وحاماً يستعج فيه .

ثم رحل ابن جبير عن الإسكندرية مارا بدمهور وبعض قرى الوجه البحري إلى أن دخل طنطا أو (طندا) كما كانت تسمى ، وأضى بها عيد الأضحي ، ذلك أنه قد فاته الحج في هذا العام ، وأخيرا وصل

ويتلاقى هذان الطريقان على مقربة من ماء دنقاش وماء شاغب .

والواقع أن الأيوبيين قد عبدوا طريقة للفوافل من قوص إلى عيذاب على البحر الأحمر عبر الصحراء الشرقية ، لأن الحجاج كانوا قد عدلوا منذ شبت الحروب الصليبية عن طريق ميناء القلزم (السويس) وميناء الجار ثغر المدينة المنورة ، بمسار سقيلا الصليبيين على بعض حصون الشام القريبة من طريق القوافل المتجهة إلى الحجاز ، وركن الحجاج المسلمون في أثناء تلك الحروب إلى طريق بعيد عن ويلاتهما فكانوا يركبون النيل من ساحل مدينة القسوط إلى قوص ويفتحهم عمال الزكاة في منية ابن الحصيب كما كانت تسمى المنيا وفي أخيم وقوص .

ثم اتجه ابن جبير مع رفاقه إلى الصحراء الشرقية على ظهور الجمل ووصف سفر الأغنياء في الشقاف ، التي يصنعونها على ظهور الجمل فيقول : « هي أشباه المحافل ، يوصل منها الاثنان بالحبال الوثيقة ، وتوضع على البعير ، ولما أذرع قد حفت بأركانها ، يكون عليها مظلة ، فيسكون الراكب فيها مع هديله في كن من لفع الهاجرة ، ويقعد مستريحاً في وطائه ومتسكناً ويتناول مع هديله ما يحتاج إليه من زاد وسواه ، ويطالع متى شاء المطالعة في مصحف أو كتاب ، ومن شاء - بمن يستعجز اللعب بالفطرنج - أن يلاعب هديله تفكهما وإحما بالنفس لآعبه ، وبالجملة فإنها مريحة من نصب السفر ، وأغدق الأيوبيون الأرزاق على أولاد العجار من قبيلة عقبة ، ليعنوا بأمر الحجاج في الطريق .

وعندما وصل ابن جبير إلى عيذاب ، تحدث عن ذلك الثغر المصري الصغير الذي كان له أهمية تجارية كبرى في العصور الوسطى ، حيث كانت

إلى القاهرة ثم اجتازها إلى القسوط ، فأقام بفندق أبي الثناء في ذاق القناديل بمقربة من جامع عمرو ابن العاص ، وشهد آثار القاهرة والقسوط ، ورأى القلعة ، والقناطر الضخمة التي أنشأها السلطان صلاح الدين غرب القسوط ، والمدرسة الناصرية بجوار مشهد الإمام الشافعي ، رآها كأنها بلد مستقل بذاته ، بإزائها الحمام ، إلى غير ذلك من مرافقها وشهد المارستان وخزانة العقاقير به وأسرة المرضى وحلم بوجود جناح خاص للنساء بالمستشفى .

حقاً أن ابن جبير لم يهجم هذا العام ولكنه شهد منافع كثيرة له في طريقه إلى البلاد المقدسة وتزود بألوان من المعارف ، ورأى معالم التهوؤ في مصر الأيوبية على عهد السلطان العظيم صلاح الدين الأيوبي وهقد الصداقة مع أناس تألفت نفسه مع نفوسهم وتقارب مشرب مع مشاربهم ، فتبادلوا جميعاً الخبرات والمنافع فيما بينهم ، وصم ابن جبير على أن يحكي لمواطنيه بالأندلس ما شاهده من عمران ونهضة بمصر ، ليسهموا بدورهم في بناء بلدهم مثلاً بنى صلاح الدين في مصر ، لأحدى أجزاء الوطن العربي الكبير .

أمضى ابن جبير في القاهرة خمسة وعشرين يوماً ثم ركب إحدى المراكب النيلية التي كان يطلق عليها « السكبك » متجهاً إلى قوص من بلاد قنا ، وذكر أن قوص ملتقى الحجاج المصريين والمغاربة ، وأنها حفيلة الأسواق ، لكثرة ما بها من التجار البنيين والهنديين والأحباش ، وأورد ابن جبير أن الحاج بعد أن يصل إلى قوص يمسد أمامه طريقين إلى (عيذاب) أحدهما يعرف بطريق العبيد وهو قصير وقد سلكه هو نفسه ، والآخر بالقرب من قنا ،

ثم وصل إلى القادسية التي ذكرته بانتصار العرب على الفرس ، ومنها إلى (الحقة) ثم إلى بغداد حاضرة الخلافة العباسية ، وبالقرب من الموصل شم رابعة النفط المنبعثة من العيون القارية وهي ما يعرف بآبار البترول ، وغادر ابن جبير العراق إلى بلاد الشام حتى وصل إلى حلب حيث شهد قلعها الشهيرة القائمة على نحر من الأرض وسط المدينة ولما دخل دمشق رأى مسجدها الأموي الكبير وأبوابها ومدارسها وأسواقها ، واستوقفه بلبنان طبيعته الجميلة ، وجباله الخصبة ، ومياهه الطردة وفاكهته اللينة ، وظلاله الوارفة ، وأدرك ابن جبير بعد هذه الجولات أن الوطن العربي بخير ، وأن يوم النصر على الصليبيين قريب .

وتعلم ابن جبير من رحلة الحج أن العزة في النقل وكأنه أراد أن يطوف بالعالم كله ، فركب من ميناء هكسافية كبيرة إلى جزيرة صقلية التي كان للعرب فيها ملك وسلطان ، استمر طويلاً ، ورأى ابن جبير هناك مساجدهم وأسواقهم ، وتحدث عن ملك صقلية : (وإيم) الذي سماه غليام ، فذكر أنه شديد الثقة بالمسلمين ولاهم المناصب العالية ، واتخذ منهم بعض خاصته ، وأضاف ابن جبير أن هذا الملك عرف اللغة العربية قراءة وكتابة ، واتخذ شعاره : الحمد لله حق حمده ، كما كان شعار أبيه : (الحمد لله شكراً لأنعمه) وينتهي المطاف بابن جبير عند غر فاطة التي يعود إليها بعد غيبة 'ستغرق سبعه وعشرين شهراً .

ثم قام ابن جبير برحلة ثانية إلى بلاد الشرق العربي عندما زفت إليه الأنباء بانتصار صلاح الدين على الصليبيين في موقعة حطين سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) واسترداده بيت المقدس ، بعد أن قتل أوطا

السفن ترد إليه من الهند واليمن والحبيشة ، بحملة بمختلف السلع والبضائع وشهد ابن جبير الغواصين الذين يصطادون اللؤلؤ من حول جزر بحر عيذاب التي يذهبون إليها في الزوارق ومن بعد ذلك ركب مع رفاقه البحر الأحمر في مراكب كانت تسمى 'الجلاب' ، إلى جدة ثغر مكة . وقد ربح أهل عيذاب أرباباً جمّة ، إذ كان لهم على كل حل يحملونه أجرة مقررة ، وقال ابن جبير : دلاهل عيذاب في الحجاج أحكام الطواغيت ، وذلك أنهم يشحنون بهم الجلاب ، حتى يجلس بعضهم على بعض ، وتعود بهم كأنها أقفاص الدجاج المملوءة ، يحمل أهلها على ذلك الحرص والرغبة في الكراء ، حتى يستوفى صاحب الجلبة منهم ثمنها في طريق واحد ، ولا يبالي بما يصنع البحر بها بعد ذلك ، ويقولون علينا بالالواح ، وعلى الحجاج بالارواح ، هذا مثل متعارف بينهم ، ^(١) ومنذ وصل ابن جبير إلى جدة بدأت جولاته في تلك الرحاب المقدسة التي أتى إليها ساعياً من الأندلس ، فأمضى أشهراً ، يملأ عينيه وقلبه من بيت الله الحرام ، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، والروضة الشريفة ، ويزور المقدسات في تلك البقاع الطاهرة ، بروح طاهرة ونفس صافية سامية النزوات ، داعياً الله أن ينتقم من الصليبيين الذين حاولوا نبش قبر الرسول في الموسم الماضي . وأدرك ابن جبير بعد أن حضر مؤتمر الحج الكبير ، الذي تناول فيما تناول مشكلة الحركة الصليبية ، أن عليه أن يزور أقطار الوطن العربي ، ليتعرف بنفسه على إمكانياته وموارده ، التي سوف تكفل لأبنائه النصر على الصليبيين ، وهنا أثر ابن جبير أن يتجه إلى بلاد العراق ، فقطع صحراء العرب ،

مياه البحر الأحمر فامتنع اعتداء الصليبيين على قوافل الحجاج ومرآكهم ، وتيسر الحج كذلك بفضل فترات السلام التي تخللت الحروب الصليبية ومن تلك الفترات الفترة التي أعقبت المعاهدة السكلمية الفردريكية سنة ١١٦٢ (١٢٢٩ م) إميل السكالم بن العادل الأيوبي وفردريك الثاني إمبراطور الألمان للسلام .

وشعر الحجاج العرب بأن البلاد العربية التي يتجولون فيها هي بلادهم ، لعدم وجود حواجز جغرافية ، وما يوجد في الوطن العربي من أنهار وبحار ومضايق ، لا تعتبر عوائق تفصل بين أجزائه ، إذ أنها تربط بينها ، ومثال ذلك الصحراء الغربية في مصر التي تمتد غربا إلى المغرب العربي وبادية الشام التي تعتبر امتدادا لصحراء شبه الجزيرة العربية ، ونهر النيل الذي يربط بين مصر والسودان والبحر الأحمر الذي يعتبر بجهة عربية ، وما شعر الحجاج العرب بالغربة في أثناء رحلاتهم وجولاتهم في ربوع الوطن العربي ، لأنهم وجدوا قوما يتكلمون اللغة العربية مثلهم ، فضلا عن تشابههم في كرم الضيافة وحسن الاستقبال والمروءة ، مما شجع على الزواج والتناحر ، فاشتركوا بهذا في الأنساب ولذا كانت فريضة الحج من العوامل التي قوت الولاء القومي لهذه الأرض العربية ، هذا الولاء الذي دفع ابن جبير إلى القيام برحلتين أخريين بعد رحلة الحج الأولى ليشهد بنفسه الفرحة التي عاصه وجوه إخوانه بعد انتصار صلاح الدين والثانية بعد وفاة زوجته وعاتكة ، على يحد في أسفاره بعض السلوى والعزاء بين قوم يحبهم ويحبرونه ؟

الأمير الصليبي الذي حاول منذ خمس سنوات نبش قبر الرسول عليه الصلاة والسلام ، ونقل جثثاته الطاهر إلى بلاده ، ليدفنه الصليبيون عندهم ، ويجعلوا من ضريحه وزيارته منبعا للإيراد .

وحرص المسلمون على أداء فريضة الحج حتى في أيام المحن ، فنجح الراهظ المؤرخ سبط بن الجوزي سنة ١٢٠٤ هـ (١٢٠٧ م) وكان بمكة إذ ذاك الطاعون فرأى من الموتى ما أذهله ، ومشى ثلاثة أيام في الأموات على قوله " ، وخشى سبط أن يصيبه الطاعون ، ففجّل بالسفر إلى دمشق ، ثم حج حجة أخرى سنة ١٢١٣ هـ (١٢١٦ م) وفي هذه المرة أعطاه الملك المظلم عيسى بن العادل الأيوبي ناقته ، كما أعطاه الملك الأشرف بن العادل سبيلا طمعا في الثواب . وفي المحرم سنة ٦١٤ هـ (أبريل ١٢١٧ م) زار سبط قبر الخليل ببيت المقدس ، ليجمع بين الزيارتين في عام واحد ، ووهظ سبط المسلمين قتال على يديه الكثير ، وحرص على الجهاد ضد الصليبيين فاستجاب له كثير من المسلمين .

واستطاع المؤرخ الفقيه شهاب الدين أبو شامة أن يحج مرتين متتاليتين سنتي ٦٢١ هـ و٦٢٢ هـ (١٢٢٣ - ١٢٢٤ م) لرخص الأسعار وامتداد الأمن في الحجاز ، بفضل الجهود التي بذلها الملك المسعود بن السكالم الأيوبي صاحب مكة واليمن وقتذاك ، ولأن الملك المعظم هدى قد مهد الطريق من الشام إلى الحجاز وزود حجاج الشام بالآون .

وما تمكن أولئك الرحالة من أداء فريضة الحج في أمان وطمأنينة إلا بفضل انتصارات الأيوبيين على الصليبيين ، وسيطرة الأسطول المصري على

فُحَايَةُ الْقُرْآنِ

الدُّنْيَا كَأَرْضٍ نَزَرَهُمْ تَقْفِرُ عَلَى غَيْرِ انْظَارٍ

لِلْأَسْمَاءِ وَغَيْدِ اللَّطِيفِ التَّبَكِّي

« حتى إذا أخذت الأرض زخرفها ، وازينت ، وظنى أهلها أنهم قادرون عليها . . . أنها أمرنا ليلاً أو نهاراً . . . فجعلناها حصيداً ، كأن لم تغن بالأمس . . » ٢٤ - يونس

ترى حديث القرآن عن الدنيا في بعض مقاماته حديثاً معسولاً جذاباً ... حتى كأنها الأمل الحق الذي نتملئ به ، أو هي الخير الذي نطمح إليه .

ثم ترى حديثه عن الدنيا في مقامات أخرى تصغيراً لما فيها وصرفاً عن التعلق بها .

والقرآن لا يتضارب في توجيهاته ، ولا يتناقض في حديثه ... فكيف يمتدح لنا الدنيا ؟ ثم كيف يذمها ، وينتقصها ؟ ؟

تلك أهداف تنوع ، واتجاهات مقصودة . والقرآن يجمع لنا مقاصده في مسالك من البيان الحق ، يحيط علينا بما نحتاجه : من ثقافة وتهذيب .

فإن القرآن - كما أراد الله - مرجع البشرية في الاهتمام . فهو واقف أمام الإنسانية موقف الراشد المثابر على دعوته فيما يتصل بالدين ، وبالدنيا جميعاً .

ولهذا كانت للقرآن جولات في القصص المستمد من الواقع .. واتجاهات إلى ضرب الأمثال بتصوير

هذه الآيات تصور لنا - الدنيا - بما فيها من مباحج متنوعة ، وملاخ مقشاة ، وغير مقشاة - في صورة أرض كانت هامة ، ليس فيها حياة ، ولا تحملها زينة ، ولا رواء ... ثم نزل عليها الماء وابلا ، فرطب جفافها ، وأحيامواتها ، واختلط فيها الماء بالنبات ، فاهتزت بالحياة ، وأنبتت من كل زوج بهيج .

ذلك تشبيه الدنيا في صورة واقعية .. ومن خلال هذا التشبيه يتضح شأنها لمن يعيشون فيها ولا يفتنون لمجيرها .

فإن تكن الحياة فيها نعيمًا عند أناس ... أو شقاء عند آخرين : فهذا مداها في البقاء ، ومآلها في الزوال والحظ فيها غير مقيم ، واليأس فيها ينقشع ، ولا يستقيم .

ثم يستقبل الناس بعدها حياة خالدة ، يحصد فيها كل امرئ ما زرع ...

وفي الحديث القدسي : يا عبادي ... إنما هي أعمالكم ، أحصيا عليكم ، ثم أوفيكم جزاءها ، فن وجد خيرًا فليحمد الله تعالى ، ومن وجد غير ذلك ، فلا يلومن إلا نفسه ، .

هذا : وحديثنا عن الدنيا وما اقتبسناه من الآيات قد يصرفنا عن الجنوح إليها ، ويهون من شأنها ... مع أن الله يمن علينا بما خلق لنا فيها من خير كثير - كما نوهنا بذلك من قبل .. والله تعالى بعدد نعمها فيما يذكره : من تخيل ، وأعتاب ، وثمرات مختلفات ، وجنات معروشات وغير معروشات .. ثم يحضننا على السير في مناكبها والاكل من رزقه ، ويأمرنا بالانتشار في الأرض - بعد الفراغ من الصلوات - والابتغاء من رزقه ، وأنواع فضله : فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ، .

فالدنيا في القرآن مدحومة ومذمومة ... وكيف يفهم الإنسان الساذج قيمة الدنيا بين ما ورد في مدحها ، وفي تحقيرها ؟؟

وهنا نقول : إن الدنيا بما فيها : مظهر لوجود الله . وأمانة على قدرته ، وقد استخلف الله الإنسان فيها ليعمرها بمواهبه ، وبجهوده ،

أصبحت الأرض حافلة بالزروع ، والأزهار ، والأشجار ، والثمار : مما يأكل الناس والالعام وهذا مظهر أمام العين ، يتعشش الأمل بروعته ، وتهتز المشاعر بهيجته ، ويتعلق به العلموح إلى المزيد .

وتخيل للإنسان في ابتسامته دنياه أنه أصبح ماسكًا لحظه ، قادرًا على الاستزادة من متاعها ، وينسى أن كل نعمة مهددة بالزوال كما أن كل نجم ينحدر إلى أفول .

فما يلبث المرء في نعمته : حاحبًا أنها في حزم من الآفات : حتى يفعأه البلاء الماسق ، فيهلك ثمرة ، ويحتاج زرعه ، ويجذب أرضه ، فتصير كأن لم يهزم الماء الروى قبل يومها ، ولم تكن غنية بنضارتها ، وزينتها في أحسها .. ولم يبق من مفاتنها غير ذكريات ، وحسرات .

ذلك مثل الدنيا في حياة الأفراد ، وهو مثلها فيما تقول إليه بعد أن يسود فيها الإنسان بجهاذه ، وسلطانها ، ويسيطر عليها بعلله ، وإبداعه فإذا هي في طيات الفناء ، وخبر من الأخبار مما كان .

وكم رأت العين من زروع خضراء ، وروضات غناء ، ثم وأنها تربة يابسة ، وجرداء عابسة ، وانقضى ما بين أولها ، وآخرها : كما تنقضى لمحات الزمن : دون عودة إلى هذا الوجود ...

ذلك مثل الدنيا كما صورها القرآن في الآية ، وكما صورها مرة أخرى في إيجاز لهذا التشبيه واضرب لهم مثل الحياة الدنيا : كما أنزلناه من السماء ، فاختلط به نبات الأرض ، فأصبح هشيًا ، تذروه الرياح ، وكان الله على كل شيء مقدرًا ، الكهف هـ .

لما بين الناس من روابط الحياة في معاملات ، وقضاء ، وسياسة ، ومصاهرات الخ .

فإن هذه - كما هو الواقع . . وكما نذكرنا ، وذكرنا سوانا غير مرة - هي الوشائج الجامعة بين الناس في دنياهم ، ولا بد من السير فيها على مناهج مستقيمة .

والقرآن هو الدستور الحافل بتلك المناهج ، وبجانبه سنة الرسول : بيانا ، وتفصيلا لما يحتويه القرآن . ومادام القرآن هو الكتاب الجديد ، والدستور

الساوي الأخير . . وهو الراوية الصادق لما جرت عليه الأمم السابقة ، والمنتهى لما يجرى على غيرها من أقدار الله : فهو الفرصة الباقية أمام البشرية ، لتتخذ منه الإنسانية دليلا فيها تتجه إليه .

ثم المرء بخير النظير لنفسه حسب ميوله ... وإن وراء ذلك الاختيار مسؤولية وطائفة ، والله لا يظلم الناس شيئا .

وإن نظرة واهية إلى ما عليه المجتمع المعاصر لتتفكك - في غير جهد - بأن كل مسلك شذ عن مناهج القرآن كان شقاء لا هناء فيه ، ونقصا لا ملطع في تداركه إلا بالرجوع إلى القرآن . . وبقدر ما يكون بيننا وبين القرآن من تباعد يكون تصدع النظام ، وشقاء العيش في جنبات الدنيا .

وإذا أقيمت للمرضين ظلالا في حياتهم الدنيا . فلا تحسبها ظلالا مباركة بمدة ... وإنما هي سحب تتفشع ، وتصرح إلى ذوال .

وحينما تهتدى إلى تصحيح فكرتك نحو القرآن في توجيهاته الدين والدنيا تكون وضعت يدك على الدواء ، لعلاج الداء ، وهكذا يفصل الله آياته لينفع بها من خلقه من يتفكرون ؟

عبد اللطيف البكري

ولبرز أسرارها ، ويتمتع بغيراتها . . فإن الله لم يعلما أن تكون خرابا ، أو يجبس متاعها عن هذا الوجود .

ومن هذه الناحية تكون دنيانا متاعا ، وهناءة للإنسان والحيوان ، بكل ما فيها من ألوان المتاع الملائم لسائر الأحياء .

ومن ناحية - ثانية - هي سبيل إلى معرفة الله ، ومزرعة للأخرة ، وقنطرة إلى حياة الخلود ... فهي مقدمة للحياة مرموقة .

ولكن الإنسان اتجه إليها من زاوية ضيقة ... وتعلق بها من أقرب نواحيها . . واستطاب متاعها في خاصة لذاته ، وتغاضى عن هدفها الأصح ... فسكثرت ذلاته ، وهو دائب على تعثره في خطاه وراء دنياه من أول همدته بالحياة .

فكان من رحمة الله بعباده أن يذكرهم بما أسبغ عليهم من خير الدنيا . . وأن يذكرهم كذلك بما انصرفوا إليه في استخدامها لغير ما يراد بها . لينتدركوا أنفسهم في الجلع بين نعيمها ، وحسن التصرف فيها .

وذلك هو القصد في ذم الدنيا التي افتنوا بها . . وفي مدح الدنيا التي غرهم نعيمها ، ووجب عليهم شكرها ... ففي ذمها توجيه إلى الحذر من قنيتها ... وفي مدحها توجيه إلى حسن التصرف في نعمها ... وفي ذلك اعتدال . والاهتدال وسيلة إلى الخلود في النعيم المقيم .

ومهما يكن من حديث القرآن عن الدنيا ، وما يضربه من الأمثال في شأنها ، فإنه لا يقف بنا في الجانب الروحي وحده ، ولا يدهو إلى الانكشاف عن الجانب الدنيوي . . بل يمتد حديثه ، وتوجيهه

السلام في الإسلام

للأستاذ محمود النواوي

ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ... فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ... وما يلقاها إلا الذين صبروا . وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم .

وفي سبيل هذه الغاية الرحيمة وتلك الدعوة السلية الكريمة تتواصى تعاليم الإسلام جميعها . . وتتواكب تشريعاته كلها في الأخذ بنصحية الحياة نحو آفاق رحبية من التسامح وسماوات فسيحة ولقد بعث الله سبحانه رسله إلى الناس بالهدى من الإنسانية .

ودين الحق ليرتفعوا بهم من حمأة الرذيلة إلى مستويات الغضبية ، ومن ضعة البغى والشر إلى مراقب البر وروابي الخير .

ولاشك أن السلام هو هتاف الإنسانية وتفريدها منذ آلاف السنين فلقد بحث العقل كثيرا عن حقيقة الخير في هذه الحياة ، وانتهى به مطافه الطويل ورحلته الشاقة إلى إدراك أن الخير هو ماحق السلام إذ أن السلام قاسم مشترك في كل صنوف الخير وألوان الرغد والسعادة !

ولما كانت الحياة الدنيا أشبه بمقدمة حياة أخرى تقوم فيها مقدرات البشرية جمعاء كان السبيل إلى تحقيق ذلك الترابط هو السلام بمعناه الكبير ومفهومه الواسع العميق !

السلام الذي اتخذ الإسلام شعاره الإنسانى السابغ السلام الذي يرجى أن يتم به المؤمن بعض صفات الإله !

السلام الذي هو غاية الحياة الخالدة الأبدية !

السلام لإسم من أسماء الله تعالى وضعه بين عبادته ليتقيا وأظلاله وليسعدوا في رحابه بحياة كلها رحمة وأمان . قال أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه: السلام أمان الله في الأرض . .

ولقد ورد السلام في القرآن أسما لله تعالى : وهو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن . . وكذلك سميت به الجنة . قال الله تعالى : . والله يدعوى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، !

فالإسلام إذا جد حريص على تحقيق هذا السلام بين أتباعه ومريديه . ضرورة أن الإسلام دين السلام بالدعوة الجاهرة إليه في ربوع هذه الحياة . . قال الله تعالى :

يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير . قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ، والإسلام الذي يحرص كل الحرص على تحقيق مفاهيم السلام وتطبيق معاني الأمن ، ونشر ألوية التراحم بين الناس جميعا ليمتد "بغى ويحارب العنف . ويتبع أسباب نشر بالاستئصال والاجتثاث ويدعو إلى العفو والمغفرة والمصالحة والدفع بالحسنى قال الله تعالى :

ومن أحسن قولاً من دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين . . ولا تستوى الحسنة

من هؤلاء المساهرين الذين أوقدوا نار الفتنة والبنى والحروب مستترين وراء الصليب في زحف صليبي عارم أغزو الشرق واستلاب خيراته ١١

وإنه لتوجيه كريم إلى انتهاز سبل السلام وتفصى دواعيه أن يصف الله رسوله بمثل ما يصف به نفسه من الرأفة والرحمة إذ يقول سبحانه :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما هتم حريص عليكم بماؤمّنهم رؤوف رحيم ، ومن هنا نجبه هؤلاء المرجفين الموقين الذين يتقولون على الإسلام بأنه قام على السيف بقصد تشويه مبادئه والنيل منه ... ولو علم هؤلاء المكابرون بأن السلام من معتقات الإسلام لفظاً ومعنى اثابوا إلى رشدكم . وأنى لم ذلك وقد وان الله على قلوبهم وأعمى بصائرهم ... وصدق الله القائل :

« فإنما لا تعمى الأبصار ... ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ، ٢١١ .

على أن الإسلام لم يأذن لاتباعه بالوقوف في صف أو الانتظام في زحف ، إلا دفاعاً عن العقيدة وصوتا للنفس ، واستجابة لنصرة مظلوم ونجدة ملهوف . وهذا صريح القرآن .

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا . وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله للناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، ولينصرن الله من ينصره إن الله أقوى هرز .

فانظر كيف أذن الله في القتال للذين يقاتلون أى يبدؤون بالقتال ، ومقتضى التعبير بالإذن ، أنه كان مسبوقاً بالحظر مما يدل على أن التشريع السماوى يمنع القتال إلا عند إرادة الدفاع ومنع الظلم والاعتداء كما يقول سبحانه .

السلام الذى ترتبط به الحياتان . ويتسق عن طريقه الوجود الإنسانى على نحو ما تطامح إليه المشاعر السكرية في الجنس البشرى العربى ١

والدعوة إلى السلام ومشتقاته من أول ما تعنى به الأديان ويهتف به القرآن ..

قال تعالى : ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات .. وأولئك لهم عذاب عظيم ، ١١ ولقد دعا الله سبحانه رسوله عليه السلام إلى إشار السلام .. ثم كفّل له النصر والتأييد إذا فكر أحد في خصومته . قال تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله . إنه هو السميع العليم ، وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله ، هو الذى أيدك بنصره وبماؤمّنين ، وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم لأنه عزيز حكيم ، ١ .

كما أخبرنا سبحانه في كتابه الكريم بأنه أرسل رسله بالبينات ليقوم الناس بالقسط وأنه أنزل الحديد فيه بأس شديد لمن لج به طغيانه وهربد عليه عدوانه قال الله تعالى :

« لقد أرسلنا ولسنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، ١ والقيام بالقسط من أكبر دعائم السلام .

واقه سبحانه بمس السيد المسيح وجعل في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ، فمن ادعى أنه من أتباع عيسى عليه السلام وليس عنده رأفة ورحمة فليس من أتباعه أبداً مهما تشدق بالرأفة أو لبس مسوح الرحاء ، وما أكثر هذا الصنف المدعى الكاذب

منكم أمة يدهون إلى الخير وبأسرون بالمعروف
وبهنون عن المنكر . وأولئك هم المفلحون .. ولا
تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم
البينات وألئك لهم عذاب عظيم ، ١
فقد جعل سبحانه الإفلاح خاصا بمن يدهون إلى
الخير وبأسرون بالمعروف وبهنون عن المنكر ..
كما جعل العذاب العظيم نتيجة مقربة على الاختلاف
والتفرق الذي هو من عوامل الفساد ومعاول الهدم
والتخريب بين العباد والبلاد ١١

وقد وضع الله سبحانه المظلوم مرتبتين كلاهما
جدير أن يحفظ السلام ويوافق الفطرة السليمة ،
أو يرتقى بصاحبه إلى مرتبة من الكمال تستوجب له
أجرا كريما من الله ، يقول الله سبحانه : « وجزاء
سيئة سيئة مثله . فمن عفا وأصلح فأجره على الله ،
لأنه لا يحب الظالمين ، ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك
ما عليهم من سبيل إنما السبيل على الذين يظلمون الناس
ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك ، لهم عذاب أليم .
ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ، ١
فقد جعلت هذه الآيات من حق المعتدى عليه أن
يدفع البغى عن نفسه ، ولا شك أن هذه لفظة
إلهية كريمة ، وانجاء إلهي يعمل على حفظ السلام .
ولهذا يقول الله ، ولحكم في الفصاح حياة يا أولى
الالباب لعلمكم تتقون ، ١

على أن القرآن الكريم يدهو إلى التزام العائلة
هذه الرغبة في القصاص أو الانتقام فيقول : « وجزاء
سيئة سيئة مثله ، ثم يرغب في العفو عن المظلوم ،
وترك الظالم لعذابه الله وهما بذلك يتحدث في
النفوس أثرا كبيرا ، ويحبها من براكين فائزة
إلى يتابع من الرحمة والحنان ، « ومن أحسن قولا
من دعا إلى الله وعمل صالحا ، وقال إنني من المسلمين

« فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ، .
قال جمهور المفسرين : إنه المسلمين كانوا حينما
يؤذهم كفار مكة يرجعون النبي صلى الله عليه وسلم
ويطلبون الإذن لهم بمقاتلتهم فكان صلوات الله وسلامه
عليه يوصيهم بالصبر ويقول لهم : إن الله لم يأذن له
بالمقاتلة ... فلما تمت الهجرة إلى المدينة نزلت هذه
الآية ، وأنها أولى الآيات النازلة في القتال .

والواقع أن القرآن كان يأمر النبي والمؤمنين
بالصفح والعفو والصبر والغفران ، وإن الساعة
لآتية فاصفح الصفح الجميل ، ... « ولمن صبر وغفر
إن ذلك لمن عزم الأمور ، ... « قل للذين آمنوا
يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما
بما كانوا يكسبون ، ١١ .

وانظر كيف وعدم الله بالنصر . ثم التمس لهم
المبرر المقتضى للقتال : بأنهم أخرجوا من ديارهم
وأموالهم بغير حق : إلا أن يقولوا ربنا الله ..
مع بيان أن الله يدفع ظلم العباد بأيدي العباد أيضا
ولولا ذلك لهدمت المناثر وسقطت المشاعر وتعطلت
الصلوات وأفقرت دور العبادة .. ثم أكد الله
أن قتال المعتدين وحرب الباغين نصر له سبحانه
يقابل بالنصر والتأييد ، ولينصرن الله من ينصره
إن الله أقوى عزيز ، ١

وأى شيء أدهى للسلام وأقوم في تطبيق الأخلاق
العملية أرفع في نشر ألوية الرحمة والهداية من قول
الله في وصف عباده المظلومين : « الذين إن مكناهم
في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة . وأسروا
بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ١ فهم لا يريدون علوا
في الأرض ولا فسادا وإنما يشهدون عبادة الله
والدهوة إلى الخير استجابة لقوله تعالى : « ولتكن

رأى العقاد في العقيدة الدينية

مناسبة ذكره الثانية

للأستاذ أمين أمين بدر

هناك علاقة وثيقة تربطه بكل ما في الكون من ألوان الحياة ، وهذه العلاقة تدفعه إلى البحث عن سر وجوده ، وتجعله يتخيل وجود قوة تحرك الكون كله ، وتسيطر عليه وتخضعه لنظام ثابت لا يتغير وهذه القوة هي هذا الاعتقاد عند الإنسان وقد يرى بعض العلماء والباحثين أن الباعث على الاعتقاد هو الأساطير التي سادت بين الهجج وجعلتهم يتوهمون قدرة خارقة لبعض مظاهر الطبيعة مثل الشمس والقمر وقد يشارك الهجج في هذا الاعتقاد بعض

أهل خير ما يمثل رأى العقاد في العقيدة الدينية كتابه القيم « الله » ففيه توضيح لأفكاره ، وتأكيده لمعتقداته ودفاع عن آرائه في العقيدة بعد أن نصحت واستقامت على خير ما تكون عليه الآراء والمعتقدات وهو في هذا الكتاب يرى أن العقيدة الدينية متأصلة في طبائع بني الإنسان من أقدم عصور التاريخ لأن العقيدة هي ترجمان الصلة بين الكون والإنسان ...

فالإنسان منذ بدء الخليقة إلى الآن يشعر بأن

و بقية الصفحة السابقة ،

والإعراض عن الجاهلين ، بما يدل على أن الدعوة إلى مقابلة العدوان بمثله قد تكون من نزغات الشيطان ليوقع بين الناس العداوة والبغضاء حين يغريهم بالإسراء في الانتماء والاختذ بالثأر .

وما أكثر الحث في كتاب الله وتعاليم الشريعة الإسلامية على التغلغل بأخلاق القرآن في معاملة الناس واستئذان السنة الحسنة التي تظهر من ثناياها وترسم بين أطرافها صورة الإسلام وبشرها بها نبي الإسلام والذي وصفه الله بالرافة والرحمة في كتابه العزيز :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ، ا

محمد النواوي

ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، وما يلها إلا الذين صبروا ، وما يلها إلا ذو حظ عظيم ، وما أجل ما يدهو إليه الإسلام من معاني القساح ومفاهيم العفو ومبادئ الصفح والغفران .

قال تعالى :

« خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ، وقال تعالى :

« وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله أنه سميع عليم ، ا

ويلاحظ أن هذه الآيات الكريمة كلها مكررة المعنى مع آيات الدعوة إلى مقابلة السيئة بالحسنة ، وآية الدعوة إلى الأخذ بالعفو والأمر بالعرف

من الانبياء والدعاة وهم أقوىاء ذوو بأس وقوة وخلق
متين . . ص ١٩

كل هذه الآراء وغيرها مما يشبهها غير كائنية
للإنتفاع في رأى العقاد ، وعنده أن العقيدة الدينية
هى مظهر الصلة بين العالم الأكبر والعالم الأصغر
ويمكن أن تسمى بالوعى السكونى عند الإنسان .

ومع أن الانسان يعرف هذا الوعى الذى يربطه
بالسكون وبخالفه من قديم الزمان فإنما تراه يتخبط
فى الوصول إلى اقه فلا يتدى إلا بعد لآى وشك
ولإنكار . ما السر فى هذا التخطى ؟ ؛ السر فى رأى
العقاد أن الحقيقة الكبرى لا تظهر للإنسان دفعة
واحدة وقد تعب الإنسان فى الوصول إلى أسرار
الصناعة ووسائل الرقى أفيممكنه الوصول إلى معرفة الله
دفعة واحدة ؟ .

ومن الطبيعى أن الإنسان يشعر فى قرارة نفسه
بميل إلى الإيمان بالله خالق ، ومن الشذوذ أن يناقض
الإنسان طبيعته فيلجأ إلى الجحود والنكران .

وقد يتكرر كثير من العلماء والباحثين وجود اقه
معتقدين استناداً إلى أبحاثهم وتجاربهم أنه لا توجد
قوة غير مادية فى هذه الحية وأن المادة هى كل شئ
ويرد العقاد على هذا الإنكار مستنداً إلى رأى
الأستاذ هـ . د . لويس فى كتابه د تجربتنا عن الإله
Aur Experience of God وإلى الحقائق التى
يقررها العلم لا تدعو أن تكون حقائق نفسية ،
أو حقائق بالإضافة إلى غيرها ولكنها لا تثبت
للذهن بغير قياسها إلى حقيقة أبدية مطلقة تحيط بها
جميعاً وهى الحقيقة الإلهية . ص ٨

ومع ذلك فالباحثون فى تركيب المادة يثبتون
أنها جميعاً موجودات بالنسبة إلى غيرها ويحتملون
وجود كائنات لا مادية فى بعض العوالم الأخرى

الشعوب الراقية إذ كانوا يتوهمون وجود قوة خارقة
وراء هذه الأشياء .

ويرد العقاد على هذا رأى بقوله : وإن هناك
أساطير كثيرة لم يتخذها الإنسان أساساً لاعتقاده ،
ولم تلزمه بالطاعة والولاء ، وقد يتدين الإنسان
بالعقيدة من غير أن تحتلط بالأساطير ، وقد توجد
عقيدة بمنزلة بالأساطير ، ولا يلزم أن تكون
الأساطير أساس الاعتقاد ،^(١) ويرى البعض أن ملكة
الاستحياء هى أصل الاعتقاد بالآرباب ، ومعنى
الاستحياء أن يخلع الإنسان الحياة على الجاد ،
كالنجوم والرياح أو يتوهم وجود أرواح تنفع
وتضر فيخلق عليها صفة الآلهة ويسترضيها بالصلاة
والدعاء . يقول العقاد : وإن المميج لا يجهلون أن
الأرواح التى تحوم حولهم فى طاب الطعام والشراب
تحتاج لإهم ولا تستغنى عنهم فلماذا يعبدونها ؟
ولو كان المميج يعتقدون فى كل هذه الأرواح
لعبدوها وثابت أن أقوام لآربقيا الوسطى يؤمنون
برب عظيم فوق الآرباب وهم مع ذلك فى غاية
الجهالة ، ص ١٧ .

ويرجح بعض الباحثين أن السحر هو أصل
العبادة مع أن السحر لا يخلق الآلهة وإنما يخلقه
السحرة والكهان ، ونحن نعرف أن السحر يتصل
بالأمور الخبيثة بخلاف العبادة ؛ فإن فيها توسلا
إلى الخير ورجاء فى كرم المعبود .

ويرى آخرون أن العقيدة الدينية مردها إلى ضعف
الإنسان بين مظاهر السكون وأهدائه فيه من القوى
الطبيعية فيحتاج إلى سند يطمئنه ويحميه ، ولو كان
هذا الزعم صحيحاً لما صدرت العقيدة الدينية

(١) ككتاب الله ص ١٦ دار المعارف الطبعة الثالثة .

وقد يترض على هذا الدليل بأن الموجودات كلها ناقصة وأن الكمال يتحقق في الكون كله . والرد على هذا يسير لأن معناه أن مجموع النقص كمال وهذا محال وقد يقول الماديون إنه لا مانع أن يكون المحرك الأول مادياً وأن يكون وجوده أزلياً لأن قدم العالم أمر لا يأباه العقل .

ونرى بعضهم يقول : إن المصادرة وحدها كافية لتفسر كل نظام ملحوظ في الكائنات وبجيب العقاد على هذا بأن هؤلاء الماديين يستجيزون الكمال المطلق في كل عنصر من عناصر الكون إلا عنصر العقل فلماذا لا يكون هناك عقل كامل أزلي في الوجود هو عقل إله ؟ ولماذا نفترض وجود المصادفات ولا نفترض وجود قوة وراء هذه المصادفات لكي تنظمها وتجعلها تسير بحسب مرسوم ؟ . ١٢

وبرهان الغاية في رأي العقاد أشبه بتفصيل لبرهان الخلق لأنه يتخذ من المخلوقات دليلاً على وجود الخالق مع وجود قصد في تكوينها وحكمة في تسييرها وتديرها .

وأقوى رد على هذا الاعتراض قول العقاد : ما العالم الذي يتخيله المعترضون وأفيا بالتصديق برا بحكمة الله ؟ هو عالم لا نقص فيه فلا حدود فيه ، وكيف يوجد الناس بلا حدود ؟ لماذا يوجد الألوف ومئات الألوف نسخة واحدة ؟ إذن خلق الإنسان واحد يحقق معنى الإنسانية كلها ولا يكون فيه نقص ولا تعدد ولا بداية ولا نهاية فذلك إله آخر مستمتع بكل صفات الدوام والكمال ص ٢٣١ ، وإذا كان برهان الإثبات أقوى من برهان الإنكار ففيه الكفاية لأن برهان العقل لا يمكن أن يستوهد الوجود الإلهي كل الاستيحاء .

فالإيمان بالمحسوسات ينقص على أيدي التجارب العلمية ليحل محله إيمان بالغيب المجرد .

ولكن ما الأدلة العقلية التي يرتضها العقاد لإثبات وجود الله ؟ قبل كل شيء يعترف العقاد بأن وجود الله مسألة وعي يتيقن بالوجود الأعظم ، وهذا الوعي لا يناقض العقل لأنه مستمد من كيان الإنسان كله ، والبداية العقلية لها قيمة كبيرة لا تقل عن قيمة المنطق ، واعتقاد الإيمان على الوعي أعظم من اعتقاده على البراهين العقلية لأن العقل قد يخطئ القول في بعض الأشياء لأن له حدوداً لا يتعداها . ما حقيقة الوعي الذي يعتمد عليه العقاد اعتماداً كلياً في إثبات وجود الله ؟ الوعي هو إحساس الإنسان بما في الكون من جمال ونظام وأسرار وألغاز وغيوب . وإذا ظهرت لبعض الناس وخفيت عن بعض فهذا لا يمنع وجودها فالعيب في الوسطة لا في الحقيقة .

وقد تعب الإنسان كثيراً في اعتقاده على البراهين العقلية ومع ذلك فاعتقاده على الوعي الكوني أسلم وأعظم . ص ١٢٢

وكل ما في البراهين العقلية أنها ترجع جانب الإيمان على جانب الإنكار وإن كانت لا تغني عن الوعي الكوني في الإيمان بالله .

والبراهين الشائنة هي : برهان الخلق ، وبرهان الغاية ، والاستكمال وازع الضمير .

وبرهان الخلق ، أقوى البراهين ، لأنه يقول : إن الموجودات لا بد لها من موجد لأن كل موجود منها يتوقف على غيره من غير أن تعرف ضرورة توجب وجوده لذاته ولا به لهذه الموجودات من سبب يوجبها ولا يتوقف وجوده على سبب سواء .

في معرفة جميع الحقائق رجعنا إلى المخلوقات المشابهة في السكال وبغير حدود في المعرفة ص ٢٣٢ .
والقرآن الكريم بوصفه كتابا للعقيدة والقوانين ييسر هذه البراهين بسطا في ثناياه مع توضيح شامل وتديل بارع جاعلا الهدى من الله ولكن عن طريق العقل والإلهام ، قال تعالى « قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » .

« قل : إن الهدى هدى الله » ، « وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله » .

وبرهان الخلق : توضح هذه الآيات البيئات وأمثالها في القرآن كثير ، ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين .

« ألم نجعل الأرض مهادا ، والجبال أوتادا ، وخلقناكم أزواجا ، وجعلنا نومكم سباتا ، وجعلنا الليل لباسا ، وجعلنا النهار معاشا ، وبينا فوقكم سباعا شدادا ، وجعلنا مناجيا وهاجا ، وأنزلنا من المصبرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجمعات أنفا » .

ومن المؤكد أن هذه الآيات وغيرها تصلح لبرهان الغاية والقصد والنظام ؛ ومن الآيات التي تصلح لبرهان السكال والاستعلاء ، والمثل الأهل قوله تعالى : « ليس كمثل شيء . وهو السميع العليم » ، « وقه المثل الأهل » ، « وفوق كل ذي علم عليم » .

على أن براهين القرآن هي أقوى البراهين التي تبطل القول بقيام السكون على المادة العمياء دون غيرها . فإذا كان العالم مادة لزم أن المادة أزلية لا أول لها ولا آخر ولا معنى إذا أظهر الحياة في كوكب دون كوكب وفي زمان دون زمان . وأما أن الحياة من صنع خالق مريد يعلم ما أراد ويقدر زمانا دون

والبرهان الثالث هو برهان الاستكمال والاستعلاء أو برهان المثل الأعلى وخلاصته : أن العقل الإنساني يتصور دائما كالا فوق كل كمال إلى أن يصل إلى السكال المطلق وهو الله سبحانه وتعالى ، وهو لا بد موجود لأنه لو لم يكن موجودا لما كان كاملا كالا مطلقا .

ويعترض المعترضون ومنهم الزاهب جـونلو Gaunilo « وعائول كانت ، قائلين : إن تصور جوية كاملة لا يستلزم وجودها .

ويجيب العقاد أن تصور الجوية لا يستلزم وجودها في الحقيقة ولكننا لا يمكن أن نتصور كالا مطلقا ثم نتصوره في الوقت نفسه نقضا مطلقا لأنه معدوم .

والبرهان الرابع هو : برهان الوازع الأخلاقي أو الضمير . وعنده أن البرهان على وجود الله إنما يثبت بوجود علاقة في النفس لا يمكن وجودها بغير وجود إله ، وهي علاقة الوازع الأخلاقي أو علاقة الضمير ، ودليله على هذا أن الإنسان يعتقد دائما بوجود سلطة عليا تحاسبه على ما يفعل

ويعترض البعض فيفسرون السبب في وجود هذا الوازع بالعادة الاجتماعية ، ولكن العقاد يقول : إن معرفة السبب لا تبطل الغاية أو الحكمة فلماذا نشأت العادة الاجتماعية ؟ وقد يجيبون : المصلحة الاجتماعية .

ولماذا كانت المصلحة الاجتماعية هلة للعادة الاجتماعية ولا تحتاج هي إلى تعليل ؟ ويستدرك العقاد فيقول : ولماذا يجوز لنا الله إلى البراهين لإثبات وجوده ؟ لماذا لا يظهر للعيان فيعرفه كل إنسان ؟ والجواب عنده : أنه لا يدري ، ولكن إذا تجملت الحقيقة الإلهية لسكل موجود وتساوت العقول

مؤمن وضحه عطل من الإيمان ، ولكنّه يبلغ غاية حدوده ثم لا ينكر ما وراءها لأنه وراء تلك الحدود وهنا يترك العقل دوره للوعى الدينى لأنه ضرورة لا بد منها .

وفى النهاية يرجع العقاد إلى إبداء رأيه بصورة أخرى فى مشكلة الخير والشر التى كانت سبباً للقول بالتثنية وتعدد الوسائط بين الله وعالم المادة ويوضح المشكلة فيقول : كيف يتفق كمال الله وما نحسه فى هذا العالم من النقص والشر والعذاب .

والجواب أن الكمال المطلق صفة الخالق لا صفة المخلوقات وكل مخلوق محدود وكل محدود لا بد فيه من نقص على أية صورة من القبح أو الشر والعذاب ومن لنا أن النقص الذى لا يرضينا هو أقرب إلى الكمال من النقص الذى نرضاه ؟ أليس حافز الالم هو وسيلة الشوق إلى الكمال .

إن الآلام وسيلة الارتقاء وتنازع الأحياء ووسيلة الازدياد فى نمو فضائل الإنسان .

والأمر واحد من ثلاثة : إما إله قادر على كل شيء ولا يخلق شيئاً . وإما إله يخلق إلهاً مثله فى جميع الصفات ، وإما إله يخلق كوناً محدوداً يلم به النقص الذى يلم بكل محدود وهذا هو الغرض الوحيد المأمول ص ٢٩٧ .

خلاصة الرأى عند العقاد أنه لا مفر من أن يشترك الحس والعقل والوعى والبدنية فى الإيمان بالذات الإلهية إيماناً رشيدياً غير ناسين أن لكل من هذه الآلات حدوداً لا ينبغي أن تتعداها حتى لا تقع فى الضلال ؟

أصبح أصبح بدر

دار المعلمين ببور سعيد

زمن يقوم على الاختيار ، والعقل يؤكد هذه الإرادة . يخرج الحى من الميت ، . وبرهان القرآن على وحدة الخالق بضارع برهان الخلق قال تعالى : لو كان فيما آلهة إلاة لفسدنا ، فوجود إلهين أزليين مستحيل وبلوغ الكمال المطلق فى صفة من الصفات يمنع بلوغ كمال مطلق آخر فى نفس الصفة والتعدد لا يتحقق فى موجودين كلاهما يطابق الآخر ويريد ما يريد الآخر .

بعد هذه الرحلة الطويلة فى كتاب العقاد يجب أن نوضح العقيدة الدينية التى يؤمن بها العقاد مع إيجاز لا يخل بالوضوح .

أولاً : يرى العقاد أن التوحيد أشرف العقائد الإلهية وأجدرها بالإيمان فى أرفع حالاته العقلية والخالقية ولكن الإنسان لم يصل إلى هذا التوحيد الخالص إلا بعد أن تطور فى الفهم والمعرفة . ص ٢٩١ .

ثانياً : الإله ذات لأن ترتيب درجات الكمال يؤكد أن السكائن الأكبر لن يكون مجرداً من الذات فالعقل يعقل وجوده ومتى عقل وجوده فهو ذات ص ٢٩٢ .

ثالثاً : الله يدرك ذاته - ولا صحة لما يقال من أن الله ليست له صفات متعددة ، أو أن ذاته مقيدة بصفة من الصفات أو أنه لا يريد ولا يعلم الجزئيات لأنه يعلم أشرف المعقولات وهو ذات الله .

وكل ما نعلمه أن الله كمال مطلق وأن العقل المحدود لا يحيط به .

رابعاً : هناك صلة بين العقل والإيمان ، فالعقل الإنسانى لا يستطيع التفرقة بين عقيدة الشرك وعقيدة التوحيد ، ويستطيع التفرقة بين أدلة الإيمان وأدلة التعطيل ، ويستطيع التفرقة بين ضمه

في مقارنة الأديان : قصة الطوفان

للأستاذ عبد الجليل شلبي

التي نادى بها . هيراقليطس ، في فلسفته المعروفة . ويظهر أنها لم تحدث لديهم إلا مرة واحدة . وتربط القصة من جهة أخرى بما كان لديهم من فكرة تعدد الآلهة ، وارتباط الأحداث ومصائر الناس بالسكواكب والبروج ، ولذا فقد تكونت القصة من اثني عشر فصلا كل فصل منها يرتبط ببرج من أبراج السماء ، وتقوم القصة على شحنتين أحدهما (زستور) الذي له مكانة الإله أو هو أصبح من الآلهة بعد أن نجا من الطوفان فارتفع إلى السماء وعاش هناك . والثاني (اسديبار) الذي صنع السفينة فعبر بها بحر الموت وقد حفظ في السفينة النبات والحيوان والبذور وأيضا بذور الحياة وأجناس الوحوش ، وكان طول السفينة ستائة قدم وعرضا ستين وكانت محكمة الإغلاق فحفظت عنه وهرم مع سيل السماء ورشاش الأمواج وبرد العواصف وارتفع الماء حتى بلغ عذان السماء فسات كل ماعل وجه الأرض ولم ينقطع النوء إلا بعد ستة أيام وست ليال ، ثم انحسر الماء واستوت السفينة على جبل نيزار ، وأرسل (اسديبار) حمامة تستطلع وجه الأرض فلم تجد مكانا لقدمها وعادت وأرسل سماناة عادت بائسة أيضا ثم أرسل الغراب فراح يلتم أجسام ألوتى ولم يعد .

وخرج أسديبار من السفينة فبنى على رأس الجبل مذبحا وقرب القرابين للآلهة فاجتذبتها رائحة القثار والريحان فتهاقت عليه واستمتع بمنظرها ورؤيا كبيرها ، وحيثما في الأفق أقواس السحاب ... إلخ .

يرى الباحثون في أصول الأديان والمعتنون بمقالاتها أن هناك موضوعات تسكد تكون عامة فيها جميعا ، سواء في ذلك الديانات السماوية وغير السماوية ، وكثير منها ما تناولته الفلسفات وفصلته من وجهة نظر أصحابها تفصيلا دقيقة ، ولكن لم تنفق الديانات ولا الفلسفة على تفاصيل مسألة واحدة ، بل يذهب كل واحد منها جميعا مذهبا يفرد به ، ولا نحصى كل هذه المسائل التي اتحدت في كونها موضعا للبحث في معظم الأديان واختلفت تفاصيلها ووجهة النظر إليها ، ومنها على سبيل المثال قصة بدء الخليقة والعنصر الذي ابتدأ وجودها منه ، ونهاية العالم ، والحياة الثانية ، والجزاء على الأعمال ، والخير والشر وضرورة وجودهما معا ، والممركة الدائرة بينهما إلى الأبد ، والوحى والمعجزات ، والضحايا البشرية والطوفان ... إلخ . كل هذه الأشياء وغيرها مما جاء في معظم الديانات واختلفت في تفاصيله .

وقد جاءت قصة الطوفان في ديانات كثيرة أشهرها البابلية ، واليهودية ، والإسلام وتربط هذه القصة في البابلية بالجزاء على الأعمال ، فالمعروف هناك أن مرتكبي الآثام ومن يتعمدون فعل الشر تنقاهم السكورات في أبدانهم أو أموالهم أو يصابون فيمن هم أهوا لديهم من الأحبة والأهلين . ولكن إذا فشا الشر وشاغت المتسكورات بأقرباء عام أو طوفان يطهر الأرض من الناس جميعا فلا يبقى مذهب ولا برى . وهي في هذا قريبة الشبه من دورة الحياة

فخرج مترددا حتى نشفت المياه . ثم أرسل الحمامة فلم تجد مقرا لرجلها . وبعد سبعة أيام أرسلها فعدت وإذا ورقة زيتون في فمها . . ثم أرسلها فلم ترجع أيضا . . . وبني نوح مذبحا للرب ... وأصعد محرقات على المذبح فتنسم الرب رائحة الرضا وقال في قلبه : لا أهود ألعن الأرض من أجل الإنسان ولا أهود أميت كل حي كما فعلت (١) .

وندع المواجهة بين القصةين ، وليس العيب الأكبر في قصة التوراة هو الصورة الوثنية ولا التضارب في ذكر الأزمنة وإنما هو تصوير الرب بهذه الصورة من قة العلم والندم على ما يفعل من أخطاء - وقد جاءت أقواس السحاب في القصةين .

وجاءت قصة نوح وطوفانه في القرآن في أكثر من سورة ولحمها ذكرت بصورة أوفى في سورة هود . وهي في كل الحالات التي ذكرها القرآن لم تكن بذكر جزئيات لا عظة في ذكرها ، والغرض الذي سيق له قصة نوح هو الغرض الذي سيق له قصص الأنبياء جميعا ، وطوفان نوح لا يفترق عن الرجفة التي أهلكت نوحا ، أو الصيحة التي أتت على قوم هود ، أو الرجس الذي أهلك قوم لوط - كلا أخذ الله بذنبه ، وكل أخذوا بما كسبت أيديهم ، وكان في قصصهم عبرة لقريش وغير قريش ولم يتعرض القرآن لطول السفينة ولا ما كان بها من مساكن وكوى ، ولا عدد الأيام التي غمر الطوفان فيها الأرض ، ولا المسكن الذي استقرت به السفينة . فكل ذلك مما لا يحق غرضه أن يكون سببا للهداية . وأمام الإيجاز الذي عرض فيه القرآن هذه الصورة انفسح المجال لخلافات المفسرين فيما لم يأت به حديث يوضحه ، وقد ذهب الكثيرون إلى أن الطوفان لم يكن عاما ، ولم يأت على كل من في الأرض ،

ولم تعرف تفاصيل هذه القصة إلا من الحفائر التي كشفت عن ألواحها في القرن التاسع عشر وهي ألواح مسمارية محفوظة في المتحف البريطاني ضاع بعض منها وعمرت قراءة أجزاء مما بقي ، وتبين علماء الآثار أن القصة أقدم من تاريخ الألواح بأكثر من ألف عام وأنها وجدت عند أمم كشيرة غير البابليين بصورة تشبه ما لديهم ، ولا يعرف أول من نقلت عنه . وليست الصورة التي جاءت في التوراة بعيدة عن هذه الصورة - فالطوفان فيها أيضا عقوبة على فشو الشر حتى (حزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه فقال : أحوه من وجه الأرض الإنسان الذي خلقته . . مع بهائم ودبابات وطيور السماء لأنني حزنت أني عملتهم) (٢) .

وأمر الله نوحا فصنع فلكا طوله ثلثائة ذراع ، وعرضه خمسون وارتفاعه ثلاثون وله كوة وباب وبه مساكن علوية ووسطى وسفلية . . ودخل الفلك نوح وبنوه وأمه وأبناءه ونساء بنيه ، وحمل معه من كل حي اثنين ذكرا وأنثى من جنسه ، من الطيور والبهائم ودبابات الأرض ومن كل طعام يؤكل (٣) . وقد حدث الطوفان وعمر نوح ستائة سنة . وانفجرت ينابيع الفجر العظيم ، وانفتحت طاقات السماء وظل المطر على الأرض أربعين يوما وأربعين ليلة ، وتعاظمت المياه فغطت جميع الجبال الشاخنة ومات كل ذي جسد كان يدب على الأرض من الطيور والبهائم والوحوش ... فانمحت من الأرض وتبقى نوح ومن معه في الفلك وتعاظمت المياه على الأرض مائة وخمسين يوما . واستقر الفلك في الشهر السابع على جبل وأرارات ، وفي أول الشهر العاشر ظهرت ودوس الجبال . . وبعد أربعين يوما أخرى فتق نوح طاقة الفلك التي كان فيه عملها وأرسل الغراب

(١) تكوين ص ٧ ، ٨ .

(٢) (٢) ١٤/٦ ، وما بعدها . (١) تكوين ص ٦/٦ - ٨ .

المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

التأمين

لم تعرف كلمة التأمين في اصطلاح عرب قديم ، ولكن معناها كان معروفا حين عرف الناس الإسلام ، وكان يعبر عنه بكلمة مال المسلمين ، وكلمة الحى ، والوقف الخيري : وليس معنى ذلك أن معاني هذه الكلمات مرادفة لمعنى التأمين مساوية له في مفهومه ومضمونه ولكنها تلتقي معه في معنى الملكية العامة لأن معنى التأمين نقل ملكية المشروع أو المصنع أو الشركة أو أى أداة من أدوات الإنتاج إلى الأمة بتعويض يدفع لأصحابها الذين كانوا

يمسكونها ويتصرفون فيها كما يشاءون وتشاء لهم أو أوامهم ومصلحهم الخاصة .

والتأمين بهذا المعنى يلتقي مع ما كان يفهم من كلمة المرافق العامة ، كصلحة البريد والسكك الحديدية وما إلى ذلك من المصالح التي كانت تملكها الدولة أو الحكومة وتدير أجهزتها ، وتقتفع برمجها ، وتتحمل خسارتها .

فبدأ التأمين من هذا الجانب كان موضع اتفاق ولكنه حين لمس مصالح بعض الفئات والهيئات

(البقية على الصفحة السابقة)

لإذ كان نوح وقومه في بقعة معينة وقد استعصت عليه هداية قومه بعد طول العمر وتماقبات الأجيال وكان لابد من إهلاك الضالين المعاندين ، فلا داعي إذن لإهلاك من لم يروا نوحا ولم يعملوا بدعوته ، وقد يكون في غير هذه البقعة أنبياء وقوم يؤمنون برسالتهم ، ولإذن فالطوفان إنما كان في بقعة معينة هي التي بها نوح وقومه .

وأي آخرون أن نوحا لم يحمل معه كل أنواع المخلوقات وإنما حمل الحيوانات التي يحتاج إليها بعد أن يعود إلى الأرض ولا حاجة به إلى الحيوانات الأخرى وخصوصا الوحوش من أمثال السباع والفيلة وما إليها .

أما سبب اشتراك عدد من الأديان في هذه القصة أو في غيرها ثم اختلافها بعد ذلك في تفاصيلها فقد كان مجال اختلاف بين الباحثين ، وهم يعمنون أنفسهم مشقة كبيرة في البحث عن السابق واللاحق وأي العقيدتين أخذت من الأخرى ، ولا داعي

لهذا كله ، فالقصة حقيقة واقعة ولا ريب . ولا بد أن يتناقلها الناس وتختلف تفاصيلها ، ثم أنه لا مانع أن يذكرها أنبياء متعددون ولا مانع أن يكون لكل أمة من هؤلاء جميعا نبيها . وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ، والكتب الدينية ليست كتب تاريخ ولا أوصاف و طبوغرافية ، وإنما رسالتها الأولى هي التنذير وبعث العظمت ، ومن العالبيعي أن يخلو القرآن من كل ملامح الوثنية التي جاءت في البابلية وفي التوراة ، وانفرد عنهما بذكر ابن نوح وأنه لم يطمعه ورفض ركوب السفينة فكان من المفارقة ، وهي حالة تؤكد العدل الإلهي وأنه لا يجدى على الشخص قرابة الأنبياء ، ولا يملك له شفاعاة إذالم يكن له عمل صالح وقلب سليم ، ومناجاة نوح ربه كما جاءت في القرآن غاية في الإخلاص والإناابة والاستسلام ؟

عبد المجيد سليم

وردها إلى صاحبها الطبيعي وهو الشعب كان لنا أن نعتبر هذا العمل حركة تحرر ضرورية فوق أنه حركة اقتصادية تستهدف الصالح العام وتيسير أسباب الخير والرغاء للجمتمع لا لفئة قليلة من أبناء المجتمع، وقد تناول موضوع التأمين في الإسلام المغفور له الدكتور مصطفى السباعي، في كتابه «اشتراكية الإسلام»، فقال يمرض بعض النصوص والمبادئ المقررة في الشريعة الإسلامية ليتضح منها موقف الإسلام من هذا الموضوع كما قال :

١ - لقد ذكرنا في «بادئ التملك» قول الرسول صلى الله عليه وسلم : «الناس شركاء في ثلاث ، الماء والكلا والنار» ، وهذا يفيد أن كل إنسان له حق الاستفادة من هذه المواد الطبيعية لحاجة الناس جميعاً إليها ، وقد قرر الفقهاء أنه لا يجوز أن يستأثر بها إنسان دون بقية الناس إلا بعد إحرازها في الآنية أو ما أشبهها فإذا أدت المصلحة الشخصية لهذه الأشياء إلى أن تحبس عن الناس أو يتحكم فيها مالكها في ثمنها أو توزيعها بحيث يتضررون من ذلك وهم في حاجة إليها ، كان الدولة أن تحول دون هذا الاحتكار ، وجاز لها أن تتخذ الوسائل الكفيلة لإشراك الناس جميعاً في الاستفادة منها تحقيقاً لمعنى (الشركة) الواردة في الحديث ، وذلك يعني «التأمين» ، أو تدخل الدولة في تحديد الأسعار ... ولا شك أن النص على تلك المواد الثلاث ليس للحصر بل يلمح بها كل ما كان ثباتها في حاجة الناس جميعاً إليها بدليل إضافة المالح، إليها في بعض الروايات ، وهذا يعني أن كل ما كان ضرورياً للناس من طعام أو غيره يأخذ ذلك الحكم وهو «جواز التأمين» ، من الناحية التشريعية .

٢ - ومن المعلوم أن الوقف جائز في الإسلام ، بل هو مرغوب فيه للحاجات الاجتماعية التي نحددنا هنا في قوانين التكافل الاجتماعي ، والوقف كما عرفه الفقهاء هو :

الخاصة ، وقليل من الأفراد الذين كانوا يعيشون على الاستغلال وانتهاز الفرص واحتكار أدوات الإنتاج لقي منهم الامتناع منه والاعتراض عليه وإن لم يسع لم صوت بين ترحيب الأمة به وهتافها له ، لأن الغرض الذي يراد منه هو نفع الأمة في مجموعها لا منفعة بعض أبنائها على حساب بعض ... فثلاث كانت شركة السكر تحتكر إنتاج هذه المادة الضرورية ، وتتحكم في سعرها فتبيعها للمستهلكين وهم سواد الشعب بل كل الشعب بأسعار مرتفعة لا تناسب بينها وبين تكاليف إنتاجها ... ثم تستأثر بأرباحها الفاحشة وتوزعها على حملة الأسهم وهم عدد قليل لينفقوها فيما تهوى أنفسهم بمصر أو خارج مصر ، أما بعد تأمين هذه الشركة بنقل ملكيتها إلى الأمة وتعويض أصحابها عما فقدوه من ملكية خاصة فإنها تستهدف في الإنتاج مصلحة المستهلكين فلا تستغل حاجتهم إلى هذه المادة اللازمة الضرورية وترفع أسعارها إلى المستوى الذي يرهقهم . ثم هي إذا حصلت على ربح فإنه يرد إلى الشعب في صورة خدمات أو منشآت أو مشروعات أخرى من المشروعات العامة التي تستهدف تحقيق الكفاية والعدل وهما هدف الاشتراكية العربية .

من ذلك نرى أن موضوع التأمين يدخل في باب المصالح المرسله ، كما يدخل في باب سد الذرائع من حيث يراد القضاء على الاحتكار وما يتصل به من التحكم في الأسعار واستغلال حاجة المستهلكين إلى السلع المحتمكة برفع أثمانها والحصول على أرباح غير عادلة من هذا الطريق الآثم الظالم ... فإذا أضيف إلى ذلك أن التأمين الذي قامت به الجمهورية العربية حرر كثيراً من الشركات والبنوك والمؤسسات الاقتصادية من السيطرة الأجنبية

والمجتمع ، وفيه من المبادئ أن أصحاب الحاجات والأثروات القليلة أولى بالانتفاع بالمصالح المؤتممة ، من أصحاب الثروات الكبيرة ، وأنه لو لم يفعل ذلك لمسكت روس الاموال الصنفرة ولزم الدولة أن تكفيهم وعوائلهم ، وأن المصلحة التي تصيب هؤلاء وهم سواد الشعب تتحقق بتحمل ضرر بسيط يلحق أصحاب الحق في المال ، المؤمم ، وهو أفضل من تحمل ضرر أكبر بإلزام خزانة الدولة وإعالة تلك العائلات ... وهذا تطبيق لماهدة ، يتحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى ، .

٤ - ومن المقرر في الفقه الإسلامي أيضاً أن الاحتكار غير جائز ، وأن المحتكر الذي يمتنع عن بيع الناس ما احتكر يجبره الماضي على بيع ما زاد من قوته وقوت هياله ، وإذا أتى أن يبيعه للناس إلا بسعر فاحش يثقي عليهم . بأسره القاضي ببيعهم بسعر معتدل الربح وفق تقدير الخبراء ، فإذا أتى في الحايين انتزع منه ماله ، وباعه عليه بسعر معتدل . فإذا اقتضت مصلحة المجتمع اليوم انتزاع ملكية الأرض من أصحابها جاز ذلك كما جاز في الاحتكار . ه - كان اسمرة بن جندب نخل في حائط (بستان) رجل من الانصار . فكان يدخل عليه هو وأهله فيؤذيه ، فشكا ذلك الانصارى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مايلقاه من سيرة ، فقال الرسول اسمرة : بهه ، فأبى ، قال : فاقطعه ، فأبى ، قال : هبه ولك مثله في الجنة ، فأبى . وكان يظن أن الرسول يقول له ذلك على سبيل النصيح لا على سبيل القضاء والإلزام . فقال له رسول الله : أنت مصار ، وقال الانصارى : اذهب فاقطع نخله . فهذا انتزاع ، الملك جبراً عن صاحبه ، حين أدت ملكيته إلى ضرر جاره فكيف إذا أدت إلى ضرر المجتمع .

(إخراج العين الموقوفة من ملك صاحبها إلى ملك الله) أى أن تكون غير مملوكة لأحد ، بل تكون منعها بخصصة الوقوف عليهم ، وهذا هو التأميم . ٢ - ومن المتفق عليه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حى أرضاً بالمدينة يقال لها 'النقيص' ، لترعى فيها خيل المسلمين ، وحى محرراً بالربذة وجعلها مرعى لجميع المسلمين ، فجاء أهلها يقولون : يا أمير المؤمنين ، إنما بلادنا قاتلنا عليها في الجاهلية وأسلمنا عليها في الإسلام هلام نحملها . ؟ فأطرق محررهم قال : المال مال الله ، والعباد عباد الله ، والله لولا ما أحل عليه سبيل الله ما حيت من الأرض شبراً في شير . وظاهر أن الحى ، هو اقتطاع جزء من الأرض لتكون مرعى عاماً لا يملكه أحد ، بل يتنفع به سواد الشعب ، وقد أوضح عمر حين قال لحنى لما استعمله على حى الربذة : يا هنى ! اضمم جنحك من الناس واتق دهوة المظلوم فيها مجابة ، وأدخل رب الصريمة والغنمية . أى مكن صاحب الإبل القليلة والغنم القليلة من رعيها في تلك الأرض . ودهنى من نعم ابن عفان ونعم ابن عرف . أى من أصحاب الاموال الكثيرة . فإنهما إن ملكك ماشيتهما رجما إلى نخل وزرع ، وإن هذا المسكين . أى صاحب الإبل أو الغنم القليلة . إن ملكك ماشيته جاءنى ببنيه يصرخ : يا أمير المؤمنين (أى يطلب مبعونة الدولة لأن له حقه في بيت المال حين يفتقر) أفتركه أنا لا أبالك ؟ فالسكندر أيسر على من الذهب والورق . الفضة . وإنها لأرضهم قاتلوا عليها في الإسلام ، وإنهم ليرون أنى ظلتهم ، ولولا النعم التي يحمل عليها في سبيل الله ما حيت على الناس شيئاً من بلادهم . وهذا صريح في تأميم الأرض لضرورة الدولة

تقوم عليه الاشتراكية العربية بمجد له مبررا آخر وهو التمييز العادل الذى يقدم لمن انتزعت ملكيتهم . فليس مصادرة الاموال أو بعضها بل هو كما جاء فى الميثاق : وليس إلا انتقال أداة من أدوات الإنتاج من مجال الملكية الخاصة إلى مجال الملكية العامة للشعب ، وليس ذلك ضربة للبادرة الفردية كما ينادى أعداء الاشتراكية ، وإنما هو توسيع لإطار المنفعة . وضمن لها فى المجالات التى تقتضيها مصلحة التحول الاشتراكي الذى يتم لصالح الشعب .

وقد عرض رحمه الله إلى ما قد يعترض به على التأميم من أن نصوص الشريعة الإسلامية تقضى باحترام الملكية وبأنه لا يجوز أخذ المال إلا برضى من صاحبه . وأجاب عن ذلك بقوله :

« إن تلك النصوص ليست على إطلاقها بإجماع الفقهاء ، فإفعله الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم عمر والخلفاء من بعده من (حى) بعض الأرض هو انتزاع للحق من أصحابه بغير رضاهم . وجواز أخذ الطعام عند الحاجة من ليس محتاجا إليه هو أخذ المال من غير رضا صاحبه .

وإجبار الحاكم على بيع ما احتكره ، ويومه عليه . لذا أبى هو انتزاع المال وبيع القاضى مال المدين سدادا لديون الغرماء - على رأى جمهور الفقهاء - هو انتزاع المال من غير رضا صاحبه .

وأخذ الشريك ما باعه شريكه من عقار مشترك بينهما بحق الشفعة هو انتزاع للمال من غير رضا صاحبه . والاستملاك للنفقة العامة كما تفعله البلديات ، اليوم وهو جائز فى الشريعة انتزاع للمال من غير رضا صاحبه .

وأمثال هذا كثير فى الفقه الإسلامى ؟

عبد الرحيم فودة

٦ - وقد قاسم عمر ولانته نصف أموالهم ومن كبار الصحابة كأبى هريرة وعمر بن العاص وابن عباس وسعد بن أبى وقاص ، وهذا انتزاع للمال حين اقتضته المصلحة .

٧ - وسيأتى معنا فى قوانين التكافل الاجتماعى فى قانون الإسعاف . وقانون الطوارئ وقانون الكفاية ، انتزاع جزء من أموال الأغنياء لمصلحة المجتمع ، وفى هذا ما يرشد إلى جواز (انتزاع) الملكية بطريق (التأميم) لمصلحة المجتمع أيضا .

٨ - وتقدم لنا أن الشريعة تحارب الظلم وتسمى للعادل ، وأنها تراعى مصلحة المجتمع ، فإذا كانت ملكية الأفراد تؤدى إلى ظلم الشعب أو فئة منه كان من المصلحة انتزاع هذه الملكية أو تحديدها ، وكان الأخذ بذلك (استصلاحا) تفعله الدولة من قبيل (السيادة الشرعية) وهى حق الدولة فى فعل كل ما فيه مصلحة للناس .

وخلاصة القول : أن (التأميم) وقع فى الإسلام تشريعا كما فى (الوقف) ووقع فى تاريخ الإسلام (عملا) كما فى (الحى) وأن نزاع الملكية رغما عن صاحبها وقع من الرسول (قضاء) كما فى قصة سمرة ابن جندب ، فإذا كانت المصلحة العامة تحتم (التأميم) وفيه دفع الظلم والضرر عن الناس أو عن فئة كبيرة منهم كان التأميم (واجبا) فى تلك الحالات .

احترام الملكية الشخصية :

هـ - هذا ما عرضته الدكتور مصطفى السباعى من المبادئ التى استقن إليها فى الحكم على (التأميم) ، نقلته بنصه أراء للأمانة . وإحياء لذكره . وترحمنا عليه . وإن كانت بعض هذه المبادئ لا تتصل بموضوع (التأميم) إلا من ناحية انتزاع الملكية كما فى قصة سمرة مع الانصارى ، ثم إن التأميم الذى

كل ما في البخارى صحيح

للكاتب الحسينى عبدالمجيد هاشم

أعرض للأمانة العلمية فقرات الكاتب وفهمه ثم أتبعه بالرد عليه :

فبعد أن ذكر من الأحاديث الموضوعة التي مثلنا لها قال مباشرة : « ليس هذا فقط فإن في صحيح البخارى وغيره من كتب الحديث ما هو أذى من ذلك وأمر في مخالفة ما أمر الله به عباده ، وأنزله في محكم كتابه قال تعالى : « ويسألونك عن الخيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في الخيض ولا تقر بهن حتى يطمرن ، وهذا أمر صريح في الأقرب الرجل زوجته وهي في الخيض ولكن البخارى وأصحابه ، صاحبهم الله وغفر لهم ، ينسبون إلى السيدة عائشة أنها قالت : « كان النبي بأمرني فأنزرفيهاشرفي وأنا حائض ، ونسبوا ذلك إلى ميمونة إحدى زوجات الرسول فما الذي يفهمه الناس من هذه الأحاديث إلا أن الرسول كان يباشر زوجته في فقرات حيضهن خلافا لما أمره الله به . فهل يرضيك هذا أو يرضى أحداً من المسلمين ؟ وهل يعقل أن يصدر هذا الفعل المنكر من النبي بل من سيد الأنبياء ، انتهى كلام الكاتب الكبير ، ولقد نقل هذا الحديث وحده نقلاً صحيحاً إلا أنه لم يوفق في فهمه فكذبته على هذه الصورة مستمكراً أن يعرفه أحد المسلمين .

وما علم بأن إجماع المسلمين بما فهم الأئمة الأربعة الشافعى ومالك وابن حنبل وأبو حنيفة رأيهم بخلاف ما فهمه الكاتب لأنهم علوا بأن المباشرة ليس المقصود منها الجماع كما تروم الكاتب بل الاستمتاع بالاتقاء فيما فوق السريرة وتحت الركبة أى بعيداً عن منطقة الفرج والخيض التي عليها الإزار وهذا يفهم من قولها كان بأمرني فأنزرفيها والإجماع منعقد على حل ذلك .

قال إمام المحدثين البخارى : « ما أدخلت في الجامع إلا ما صح » .

وقد أشرت مجلة العربى السكوبية مقالاً للاستاذ عبد الوارث كبير ، في عدد فبراير سنة ١٩٦٦ ص ١٢٨ بعنوان « ليس كل ما في صحيح البخارى صحيحاً ، وليس هذه الأحاديث مفتراة غصب ؛ بل منكورة » . والواقع أن الكاتب لم يكن موقفاً حق في صياغة عنوانه فعبارة « وليس هذه الأحاديث مفتراة غصب بل منكورة » . تفيد أنه يبالغ في ذم الأحاديث من سى ، بوصفها مفتراة ، إلى أسوأ بوصفها منكورة . مع أن العكس هو الصحيح ؛ إذ الوصف بالافتراء أشد نكايه وأسوأ من الوصف بالإنكار ، ولو كان عند الكاتب فكرة من اصطلاحات المحدثين في التجريح ومراتبه لعلم بأن المبالغة في الافتراء والسكذب أعلى مراتب التجريح وأقساها ، ثم يأتي في الدرجة الخامسة مرتبة المنكر بعد مرتبة الضعيف . ثم من الغريب أن يأتى ليدل على دهاء هذه بعدة أحاديث : منها المخالف للقرآن صراحة كقوله « اختلاف أهلى رحمة » ، ومنها ما يدعو إلى السخرية مثل « هليكم بالقرع » ، فإنه يزيد في الدماغ ، ومنها غير ذلك ، ثم أجد أن كل ما جاء به ليس في صحيح البخارى منه سوى حديثين أحدهما : لم يفهم معناه فظن بأنه يخالف لكتابات الله . والثاني : ذكر جزءاً منه لم يذكره البخارى وترك بقية الحديث :

ثم رتب ، نتيجة لذلك ، حكمه بأن أحاديث البخارى مفتراة ...

وحتى يكون القارى ، الذى لم يظفر بقراءة مقال الكاتب على يئنة ولا يظن بأنى مبالغ فى الأمر ،

أنا كنا في سفر أنا وأنت فلم نصل، وأما أنا فتمكنت فصليت فذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن كان بكفيفك هكذا فضرب النبي بكففيه ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكففيه، فقد اجتهد الصحابة وبين لهم الرسول صلى الله عليه وسلم. أما بقية الأحاديث التي ذكرها الكتاب فلم ترد في البخاري، وطلقا ولا أدري لم جاء بها؟ إن كان يعلم بأنها في البخاري فهي ليست فيه وإن كان يعلم بأنها ليست فيه فلم جاء بها؟ وما هلاقتها ومناستها في التذليل على هوانه؟ وما هلاقة البخاري حتى يكون مستثلاً عنها؟

وأخيراً أقول للكتاب: إن البخاري إمام المحدثين وأين نحن منه حتى ننقده وقد عرض كتابه على أئمة الحديث والنقد مثل هلي بن المديني ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل فشهدوا له بالصحة.

يقول المقدسي في الرجل الذي يخرج عن نفسه في الصحيح: هذا جاز القنطرة، يعني بذلك أنه لا يلتفت إلى ما قيل فيه.

وكل نقد ورد في رجال حديث مقابل بتعديل البخاري صاحب الصحيح ومؤلف التاريخ الكبير والصغير والأوسط فلا يلتفت إلى ذلك النقد.

ثم إن كل من حديث ورد عليه نقد في رجاله جاء من طريق آخر صحيح فصحت جميع المتن. وقد نقلته الأئمة باقبول وأصبح المصدر الأول في الحديث فاتفقوا أنه أيها المرددون لنزوات المسنفين من غير روية ولا فهم ونحتم المقال بقول الذهبي:

«وأما جامع صحيح البخاري فأجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله، فلو رحل الشخص لساعه من ألف فرسخ لما ضاعف رحلته».

المرحوم محمد بن عبد المجيد هاشم

مدرس الحديث بكلية أصول الدين

ولذا فصححة إسناد الحديث ومتمته لم يلتبس هل أحد من العلماء مطلقاً لا في القديم ولا في المحدثين ولم يلتبس على أحد بأنه مخالف لآية الحيض التي لم يغفل عنها البخاري بل صدر بها كتاب الحيض وفهمها على وجهها الصحيح بأن المراد من الآية وجوب الاغتسال وعدم القرب بالجماع ولو كلف الكتاب نفسه بالاطلاع على شرح الحديث أو بالنظر عقلًا في مفرقاته في قولها: أنز، أو وقع به مرد على الرواية التالية للحديث مباشرة وفيها «وأيمك يملك إربه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك إربه»، لعلم بأن المقصود بالمباشرة غير الجماع الذي تحرره الآية وكان هلي الكتاب قبل أن يفعل بكل ذلك وينشره في مجلة كبرى ويورط نفسه أن يبحث ويفهم الدين كما يفهم المسلمون.

أما الحديث الثاني: فقد جاء منه بما لم يذكره البخاري، وترك بقية الحديث أو ترك ما ذكره البخاري وجاء بما لم يذكره. وعمل كهذا مخالف للأمانة العلمية وللتدقيق العلمي قال الكتاب ويقول الله في حكم الظاهرة من الجنابة «أو لاستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً، إلى آخر الآية» ويقول للبخاري: إن رجلاً أتى عمر فقال: إني أجنب فلم أجد ماء فقال عمر لا تصل، ا هـ.

وأقول للكتاب: إن البخاري لم يغفل عن آية التيمم كما حسب بل صدر كتاب التيمم في صحيحه بآية للتيمم وبوب ذاكر آ حكم التيمم للجنب فقال: «باب إذا خاف الجنب على نفسه المرض أو الموت أو خاف العطش تيمم»، وذكر كيفية التيمم. ولم يذكر قول عمر لا تصل، كما رويت وصحة الحديث الوارد في البخاري، ولعلك قصدته، روى البخاري في صحيحه بالسند المتصل عن عبد الرحمن بن أبي نعيم قال جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال: أجنب فلم أصب الماء فقال عمر بن ياسر لعمر بن الخطاب: أما تذكر

لَحْنٌ لَمْ يَتِمَّ

للاستاذ علي الخطيب

حلفت بما أسلفت في المهد من يد
وأوليت جثمانى من المنة العظمى

وقبر منسوط بالجلال مقلد
تليد الحلال الكثير والطارف الجنا
وبالعاديات الصاقيات نزيله
من الصلوات الجنس والآى والاسما

لما كان لي في الحرب رأى ولا هوى
ولا رمت هذا الشكل للناس واليتا

مضى شوقى إلى الأندلس .. إلى بلد همق إحساسه
بالمأساة ... فما من شك أن شوقى بعيداً عن مصر
كلا أندلس بعيدة عن العرب ... والاستعمار الأثيم
الذى طرده من مصر هو رثم الصابينية التى أنكرت
على آباءه مر بهم بالأندلس ، ومشائق دنشواى على
يد الإنجليز لا تفرق عن أخايد النيران لحاكم
التفتيش .. قضية واحدة ، وهداء واحد أحرق
بالأمس الآباء ، وفجار اليوم على الأبناء .. فليس
عجبا أن تقع المأساة بكامل طاقاتها في فؤاده ،
فلا يملك أن يفصل القضية إلى شطرين أو يعدها صنفين :

يانا نأخ الطلح أشباه عوادينا
نشجى لواديك أم نأسى لوادينا
ماذا تقص علينا غير أن يدأ

قصت جناحك جالت في حواشينا
وشوقى شاعرا لا يضيع في حمى شعره ماضى إسلامه ،
ومجد هروبوته في الأندلس :

لها حق وللأحباب حق
رشفت وصالم فيها حبابا

ومن شكر المناجم محسنات
إذا التبر انخلى شكر الترابا
ومن هنا ترك في ديوانه آثاراً أندلسية .

كل دار أحق بالأهل إلا
في خبيث من المذاهب رجس

فأما خبيث المذاهب ، ورجس المبادئ فهو
الاستعمار ، هذا الاستعمار الذى حرم دشوقى ، أمير
الشعراء داره وقضى بنفيه ، وفصل البلبل عن
دوحه .. يقول : « نفانا حكام عجم ، أهوان على
العدوان والظلم ... ضربونا بسيف لم يطبعوه ...
ولم يملكوا أن يرفعوه أو يضعوه . ساعهم في حقوق
الأفراد ، وسامحوه في حقوق البلاد ، وما ذنب
السيف إذا لم يستحى الجلاد ١٤ ، ٢٩ أسواق الذهب .
كان والده قد مات منذ زمن طويل ؛ فإن مرثيته
لوالده كانت عام ١٨٩٧ م ، ولم يبق له - بعد أهله -
إلا والدته ، وقد حالت الظروف دون اصطحابها ؛
فتركها مقيمة بمحلوان في رعاية الله .

كنز به محلوان ، عنده الله نطلبه
خير الودائع من خير المؤدينا

واختار الأندلس لنفسه منفى مصطحباً معه أهله .
وكانت والدته مثيراً يحرك شجنه شوقاً لمصر حتى
يراها ، وشاء الله أن تموت دون ذلك ، وأن يحمل
له البرق نعيها ، فبكائها في مرثية جمعت تخمان قلبه ،
ويقال : إن تلك القصيدة لم يسكن شوقى يستطيع
قراءتها لصدة تأثره ، وإحساسه أن نفيه كان
- بدوره - لا عجباً حزن بالأم فؤادها .

لك الله من مطعونة بقنا النوى
شهيدة حرب لم تقارف لها لثما

وفي تلك القصيدة يبرىء نفسه من تلك الالتم التي
كألها له الاستعمار . ويجتمع في دفاعه همق إنسانيته
وشغفه برحة الله أن تهمل على هذا القبر بالرضوان :

وأندلسيات شوق ثلاث في الشعر واحدة في النثر :
 (أ) أبيات تنتثر في ديوانه بين قصائد لم تعقد الأندلس.
 وتنزل بها تدها المعاني ، وأروع تلك الأبيات
 بيته الذي جعل الأندلس فيه حكمة ١ ص ٢٨٤ :
 ويبيت الزمان أندلسياً
 ثم يضعي وناسه أعجم
 وتصل هذه الأبيات إلى نحو عشرين بيتاً موزعة
 بين الجزء الأول ، والثاني والرابع وبين كتابه :
 دول العرب وعطاء الإسلام ، بعضها نص في
 الأندلس يذكرها على التخصيص ، وبعضها تنطوي
 فيه ذكراً فتشملها ما سكت الغرب ، .
 في الشرق والغرب بنت أمية
 سلطنة ليس لها سمية
 أو تذكر مجد المسلمين وتتحدث عن علم ، منهم :
 فورثوا قيصر في المشارق
 وأخذوا الغرب بسيف وطارق ،
 (ب) قطع تبلغ عشرين أبياتاً أو تزيد أو هي دونها :
 ١ - واحدة منها تندمج فيها ، الأندلس ، مع
 أدنة ، من مقدونيا وفيها يجعل أدنة أختاً
 للأندلس ١ ص ٢٧٢ :
 يا أخت أندلس عليك سلام
 هوت الخلافة حنك والإسلام
 ومنها :
 جرحان تمضي الامتان هليهما
 هذا يسيل وذاك لا يلتام
 بكما أصيب المسلمون وفيكما
 دفن اليراع وغيب الصمصام
 ٢ - في نفس القطعة خمسة أبيات تبدأ بالبيت
 السابع والعشرين ، ويذكر فيها الأندلس وشيئاً
 من التاريخ في عموم ، انظر الأندلس الجديدة ، .
 ٣ - جزء من قصيدة دمشق ٢ ص ٨٨ ،
 والحديث ينزع عنها ضرورة إلى الحديث هن

في أمية فقال فيهم أبياتاً تبلغ العشرة منها :
 بالأمس قت على الزهراء ، أندبهم
 واليوم دمعى على الفيماء ، هتان
 ومنها :
 لولا دمشق لما كانت طليطة ،
 ولا زهت بي في العباس بغداد
 ٤ - أبيات في ختام قطعه : دولة بني أمية ،
 ص ٧٣ تبلغ ستاً تبدأ من قوله :
 حق إذا قيل : خلعت مروان
 وذهب السلطان والأهوان
 وفيها :
 صقر قریش منعوه ، جلقاً ،
 فطار في قرطبة وحلقاً
 (ج) قصائد في الأندلس منها :
 ١ - بعد المنى ... وفيها وداع حار الأندلس
 ١ ص ٦٦ وتقع في ستين بيتاً مطلعها :
 أنادى الرسم لوملك الجوابا
 وأجزيه بدمعى لو أنابا
 وفيها يقول :
 مغرب آدم من دار عدن
 قضاها في حاك لي اغترابا
 شكرت الفلك يوم حويت رحلى
 فيا لمفارق شكر الغرابا
 فأنف أرحتني من كل أنف
 كأنف الميع في النزح انتصبا
 ٢ - سينيته التي تقدمتها كلبه تحت هدوان :
 الرحلة إلى الأندلس ، ص ٥٤ ٢٠ وتقع في عشرة
 ومائة بيت مطلعها :
 اختلاف النهار والليل ينسى
 أذكرا لي الصبا وأيام أنسى
 ٣ - قصيدته أندلسية ص ١٢٧ ٢٠ في أربعة
 وثمانين بيتاً مطلعها :

العلم،^(١). وهذا الجانب ليست خسارته على المسلمين وحدهم ، بل هو ودة في تقدم الإنسان وتختلف في خسارته فهو خسارة إنسانية عامة .

فإذا نظرنا بعد ذلك إلى التراث الأندلسي لشاهرا نجد أنهم ما فيه القصائد الأربع ، فأما الأخيرة . صقر قریش . مع المسرحية فهما عالستان للأندلس .

وأما القصائد الثلاث الأولى : فليصر في بعضها نصيب الأسد ، وتشارك في الباقي بنحو النصف ثم هي جميعا تعطى الجانب الأول حقه ، وتأسى له وتندب نهايته ، ولكنها - بعد ذلك - تقف في هذا الأفق .. ولا تشرق الجناح نحو آفاق الجانب الانساني على خطره ... ومكنا حلفت شاعرية أمير الشعر إلى أفق محدود وغنت قيثارته شجنا كان لحنا لم يتم ... ولكنه كان حكا عدلا إذ ودع المزموعين بلا شفقة .. فإن الذين يبيعون أوطانهم لا يستحقون الرثاء .

ركبوا بالبحار نعشا وكانت

تحت آياتهم هي العرش أمس

لمرة الناس همه لا تأتي

لجبان ولا تسنى لجبس

وإذا ما أصاب بذيان قوم

وهي خلق فإنه وهي أس

على أننا نجد ملاح ، الجانب الانساني ،

في قصيدته ، الأندلس الجديدة ، ففيها يحمل

هل الصليبيين حلات منكرا لجيشهم :

تمشى المناكر بين أيدي خيله

أنى مشى والبني والإجرام

ويحشه باسم السمكة أفسه

نشطوا لها وفي الكتاب حرام

ثم لا شيء - بعد - من خسارة العالم بملك المنكسة

في أدرة ، كما لا شيء منها في الأندلس ؟

على الخطيب

يا فائح الطلح أشباه عوادينا

٤ - صقر قریش عبد الرحمن الداخل ، وهي

موشح أندلسي وقع بالديوان في الجزء الثاني

ص ٢١٤ وفي دول العرب ، ص ٧٨ ويضم اثنين

وثلاثين ومائة بيت مطعنه .

من لنصويتهزى الماسا روح الشوق به في الفلاس

فأما قصيدته ، ابن زيدون ، فهي في ابن زيدون

وليس الأندلس فيها نصيب ، وهي في الجزء الرابع

د . وله في الأندلس نثرا - مسرحيته ، أميرة

الأندلس ، اختار لها زمنا مشارف النكبة التي نزلت

على المعتمد . ثم انتهى به أسيرا في (أغمات) .

هـ . وباستثناء عبارته (فقبلك ضاقت ، أغمات ، على

بجيمتها) الواردة ص ١٠٦ من قطعة ، الأصدق حديقة

الحيوانات ، لا نجد ذكرا للأندلس أو ما يتصل بها

في أسواق الذهب وبعد :

هذا التراث من فحاحات شوقي . هل كان كافيا

في الإلمام بمأساة الأندلس ... ؟

شوقي - رحمه - الله أكبر من انتهى له بالتقصير ،

وهو قلة لا ينطرحها إلا وهل مأفون . ولقد قدم لنا

- في تراثه الأندلسي - ما ملكك قريحته .

والذي لا لشك فيه أن الأندلس جانبين : جانباً

سياسياً ينتهي بانتهاء حكم الإسلام في الأندلس

وهو يخص المسلمين . وخسارته عليهم وحدهم .

وجانباً إنسانياً يبدو واضحا كما هو أيضا أثر

مباشر للحكم الإسلامي العربي أعني به تلك الركيزة

التي خلفها الإسلام هناك حيث تقررت : حرية

الفكر ، وكالعدالة ... وهما أمران لم ينتهما

بانتهاء حكم الإسلام ، ولم يكن بد - لدى الصليبية

من تجريد حملاتها الإرهابية للقضاء على آثار الحكم

الإسلامي ، وحملات بشورة الراهب دوتوركاند ، أنفشت

محاكم التفتيش واشتدت في طلب المجرمين طلاب

عوامل انتشار الإسلام في القارة الهندية

د. سَازِ مَحِيي الدِّين الأُلُوْكَ

ولعل التطواف السريع الآتي يأتي ضوء على بعض الوسائل والعوامل التي ساعدت على انتشار الإسلام في تلك البقاع . نذكر في مقدمة ذلك العوامل التي ساعدت على انتشار دعوة الإسلام في الشعب الهندي ، أولاً : الوضع الذي كان سائداً في البلاد حينذاك من نظام الطبقات ، والوثنية ، والمعادن الخرافية ، وعدم المساواة في الفرص وأسباب التقدم والرخاء ، وساعدت هذه الحالة على تغلغل التعاليم الإسلامية ، في قلوب الملايين من الطبقات المضطهدة ، فوجدوا في الإسلام نظاماً إنسانياً أصيلاً يوفر كرامة الأفراد والجماعات وينور عقولهم بنور المعرفة ، والعقيدة الصحيحة . وثانياً : إخلاص العلماء الذين كانوا يعملون لنشر الدين الحق في وسط عادات وتقاليد وشعائر تناقض كل التناقض روح الدين الخفيف ، وتعاليمه النقية الطاهرة . فوقف التوحيد والشرك وجهاً لوجه ، وأتى وقت امتحان الدعاة المصلحين وقالوا لعبد الآوثان - كما قال إبراهيم عليه السلام لآبيه - أنتخذ أصناماً آلهة إنى أراك وقومك في ضلال مبين ، وقال : يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ، فأنف خلقت سميماً بصيراً ، وآثار الكمال فيك أكثر من هذه الأصنام .

ولما استمع عبد الآوثان ، والسكواك وغيرهم إلى نداء التوحيد تحركت قلوبهم ، واهتزت فطرتهم ، لأن الوثنية تحالف فطرة الله التي فطر الناس عليها ،

إن للبحث عن الإسلام في الهند جانبين مستقلين يختلف كل منهما عن الآخر كل الاختلاف ، فالأول جانب يقنول تاريخ الفتح الإسلامي للهند وتاريخ إمبراطورية المسلمين فيها ، والثاني يقنول جانباً إسلامياً محضاً من حيث دخوله إلى تلك البلاد ، ومن حيث الجهود التي بذلت في سبيل نشره ، وذكر الشخصيات التي قامت بالدعوة إليه ، وهذا الجانب الإسلامي أعتمق أثراً في تاريخ الهند . ولا يرجع فضل الانتشار الواسع للدين الإسلامي في طول الهند وعرضها إلى الملوك والباطرة والغزاة ، فإن الإسلام قد دخل في الهند سلبياً بأيدي دعاة من المسلمين العرب بذلوا جهوداً جبارة في سبيل نشر الإسلام ، وقد بدأت هذه الجهود الفردية قبل الفتح الإسلامي الأول الذي قام به محمد بن القاسم الثقفي في نحو ٩١ من الهجرة النبوية في مقاطعة السند بشمال القارة الهندية .

ونعمة نتائج تظهر من البحوث العلمية والوقائع التاريخية ... : أولاً : أن قدوم المصلين إلى الهند لم يكن حركة استعمارية أو نتيجة لموجات الغزو العسكري ، وثانياً : أن الجماعات الصغيرة التي وفدت إلى الهند كغزاة فاتحين لم يكونوا من العرب اللهم إلا مجموعة من فاتحي السند مع جيش محمد بن القاسم الثقفي . وثالثاً : أن الإسلام لم ينتشر في أية بقعة من جهات الهند إلا بوسائل سلبية وبفضل الدعوة والإرشاد .

بفضل هؤلاء العلماء والمشايع الذين وقفوا أنفسهم للدعوة والإرشاد، ولقنوا أهلهم مبادئ الدين الحق، وعلوهم آداب الإسلام، فتأثر أهل البلاد بأخلاقهم الفاضلة وبجياهم الحميدة، واختاروا الإسلام ديناً لهم عن طيب نفس، وانشرح صدر، وهذه الحقيقة التاريخية تفند المزاعم التي حاكها أعداء الإسلام والهند، بأن الإسلام قد انتشر في الهند بأيدي أباطرة وملكوك وغزاة وفاتحين عن طريق حروب وقنوحات، وبقوة الدولة والصولة. مع أن جميع الحروب والغزوات، التي يحدث التاريخ بوقوعها بين الحكام المسلمين وغيرهم في الهند، ما هي إلا حروب سياسية لتوطيد ملك بعضهم ضد بعض، وما اهتموا بدعوة الإسلام في قليل ولا كثير، وإلا كان الأمر على غير ما هو عليه اليوم، وتبدلت الأرض غير الأرض.

وبما هو جدير بالتسجيل في هذا المقام - مع الأسف الشديد - أن الملوك والحكام الذين دخلوا الهند غزاة وفاتحين لم يكن لهم علم حتى بمبادئ الإسلام ولا بقوانينه الاجتماعية ولم تنسرب قلوبهم نور الإيمان كما ينبغي، فكيف نقول عنهم: لأنهم كانوا دعاة للإسلام دخلوا الهند لتلقين أهلها مبادئ هذا الدين وتزويدهم بعلمه ١٩. وأمامنا وقائع تاريخية ثابتة تقول: إن كثيراً من هؤلاء الملوك، من المغول والأتراك كانوا عراقل في سبيل الدعوة الإسلامية، وسيرها على المنهج القويم السليم، ومن ناحية أخرى كانت حكوماتهم، حكومات فردية (أرستقراطية) لا تستند إلى الشريعة الإسلامية، ولا تتقيد بقوانينها وأحكامها، وكان جل مهمهم أن يروا مصالحهم ومطلة الأركان، وينقاد لهم الأهالي، سواء ارتفع

والتوحيد فطرة يولد عليها كل مولود، قبل أن تمجسه أو تهوده أو تنصره العادات والتقاليد الموروثة من آباءه وأجداده. وبدأوا يفكرون في مبادئ الدعوة الجديدة، فهدى الله على أيديهم في فترة وجيزة من القرنين وعباد الشهابين والقردة، والأبقار عددًا كبيراً إلى هدى الدين القيم، والصراط المستقيم، وثالثاً: القدوة المثل التي وضعها الدعاة المخلصون أمام القوم، فقد كانوا عاملين بمتضى المبادئ الإسلامية السمحاء، والأخلاق القرآنية الغراء، واتخذوا القرآن رائد، والرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم قائمهم، وعملوا بما علوا، من غير إفراط ولا تفريط، فكانوا نبراساً للحاشرين، ومهارة الفضالين، وأسوة حسنة للبعثين. ورابعاً: تزهدهم في الدنيا، وتجردم من متاعها أو شهواتها وفوائدها، وكان كل منهم الدعوة إلى الله وإعلاء كلمته، وإرشاد عباده، ونشر المحبة والأخوة في الجنس البشري كله، لا يبغيون من وراء ذلك جزاء ولا شكوراً، فاستمعوا لهم، وتقبلوا دعوتهم، المبنية على الإخلاص والمحبة، والمساواة والأخوة. ولعب الصوفية دوراً هاماً في نشر الدعوة الإسلامية في ربوع الهند، وإن السر الكامن وراء نجاح دعوة الصوفية في أوساط الطبقات المختلفة في الأمة الهندية، هو في ابتعادهم عن مآرب الدنيا، وتطهير قلوب أتباعهم من أدران الغنوب وشوائب الرذيلة، ونظرهم إلى الحياة الدنيا بمنظار قوله عز وجل: دكاه أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح، فكانوا بمنجاة من غرور الدنيا الخلاب وسراجها البراق..

وهكذا ازدهرت الدعوة الإسلامية في الهند

(٢) كان العلماء المتأخرون، والمشايع المتصوفون الذين جاءوا إلى الهند في عهد الملوك المسلمين، وخلفوا سلفهم الصالح، معتمدين كل الاعتماد على العلوم الفرعية، والسكيب الفقهية، فإكانوا يعنون بفهم القرآن، ومبادئه، والسنة النبوية وإرشاداتها، كما كان سلفهم، فانقطعت صلتهم بروح الإسلام، وأكبوا على خلاقات وشبهات، لا تسمن ولا تغنى من جوع، واستبدلوا بالباب الفشور، وبالأصول الفروع ففشلت مهمتهم.

(٣) دحائس ومكائد أهواء الهند والمسلمين، من الذين أتوا من البلدان الاستعمارية، لكي يضعفوا مركز البلاد وشعبها، معنوياً، فإدأ، لأن الإسلام كان بمثابة شعله وهاجة لتحريض العقول وتنوير القلوب، وإيقاظ الهمم، وبناء الوطن، ولم تشمل المواطنين. ولما رأى المستعمرون الغربيون من البرتغاليين، والهولانديين، وأخيراً الإنجليز تقدم الإسلام وشوكته في الهند تيقنوا أن السبيل الوحيد للتوغل إلى أراضيها وامتصاص دماء شعوبها هو القضاء على شوكة الدعوة الإسلامية في الهند، وإيجاد الفرقة بين صفوف المسلمين والهندوس، وتشويه سمعة الدعوة الإسلامية في داخل البلاد وخارجها، وبليلة أفكار الدعاة، وهرقة سييلهم بوسائل شتى، فلاقى الدعوة الإسلامية بسبب ذلك كله انحطاطاً في تقدمها وركوداً في انتشارها وتحولاً خطيراً في طريق سيرها . . .

ولما آل الأمر إلى تلك الحالة، قبض الله رجلاً لا تلهيهم تجارة ولا سياسة، ولا تغفلهم مآربهم الخاصة عن نصر دين الله، وإعلاء كلمته، ونشر دعوته، وهذا موضوع مقال آخر إن شاء الله.

محى الدين اللواتى

لواء الإسلام أو انتكس، وأنفقوا أموالاً ضخمة في القرف والبنخ ومتع الحياة بينما كان الشعب في فقر مدقع، ودهوة الحق قد فقدت النصير، ولو أنفقوا في سبيل الإسلام وإغاثة الفقراء والمساكين عشر معشار ما أنفقوا، وأحققوا شيئاً يسيراً من العدالة الاجتماعية التي تدهو إليها الدعوة القرآنية لسكان تاريخ الإسلام في الهند غيره اليوم، ولكنهم كانوا في واد والدعوة الإسلامية في واد آخر ١١ لها رجال آخرون . . جنود مجهولون إواقه عليهم محماتى الأور وذوات الصدور .

• • •

ثم تسرب الوهن والضعف إلى صفوف الدعاة المسلمين في الهند؟ فإ الأسباب التي أدت إلى ركود الدعوة الإسلامية فيها بعد أن لاقى ترسباً وتقدماً في عصورها الأولى، وكيف توقف تيار التوحيد أمام الوثنية الموجهة؟ .

هذه أسئلة تخطر ببال كل من يهتم بالدعوة الإسلامية وتاريخها في الهند، ويبحث حاضر الإسلام والمسلمين فيها، وفيما يلي ناقى نظرة عامة على هوامل تسرب الركود إلى حظيرة الدعوة الإسلامية. ومن أسباب التقهقر والتسكيب عن المنهج القويم في الدعوة الإسلامية في تلك البقعة الشاسعة :

(١) إفلات زمام الدعوة الإسلامية من أيدي دعاة مصلحين متوردين، إلى أشخاص تسكدورت عقائدهم بأوساخ البدع والخرافات، وبأدران التقاليد والخرعبلات وابتعدت عقولهم عن المعين الصافي للتعاليم القرآنية والأخلاق النبوية، حتى فقدت سيرتهم قيمة الأخلاق الزكية، والسجايى العالية، بعد أن كان أسلافهم قدوة حسنة، ومثلاً علياً لمن خالطهم وعاشروهم .

تصوير المعارك في شعر البارودي

للأستاذ محمد محمد خليفه

هالها ليمتخذة قوسا يحارب به مناوئيه كما يسلبها
أنجمها ليمتخذها نبالا له في معاركه ، ثم يفرق
في تصوراته فيمدعي أنه لا ينقسم لأب كما ينقسم
الناس وإنما هو ابن الوغى والحيل والليل والظبا
وسمر القنا كما أنه ابن الرأى والعقد والحل (والولد
صورة أيه) فيقول :

إذا راعت الظباء غيري فإنها

هلال الدجى قوسى وأنجمه نبلى

أنا ابن الوغى والحيل والليل والظبي

وسمر القنا والرأى والعقد والحل

وهو ينزع في بيته الثانى منزع أستاذ المقتني حين

يقول على لسان بعض التتوخين :

أنا ابن اللقاء أنا ابن السخاء

أنا ابن الضراب أنا ابن الطعان

أنا ابن الفيافي أنا ابن القوافى

أنا ابن السروج أنا ابن الزعان

ولقد طغى شعر البارودي ببطولته ومواقفه على

إبراز البطولات التي اشتعلت بعزيماتها لموات ذلك

اليوم العاصف الذي مزقت فيه سنابك الحيل وجه

الأرض فنتاير النقع وعقد فوق الهامات غمامة لها

وبلها المنهر من العاهن السائل فهو سرعان ما ينزع

إلى الحديث عن نفسه فيذكر اقتحامه لذلك اليوم

فرداً وكأنه ليس معه مغاوير لهم شجاعته وبأسه بل

معه النصل وحده الذي يطلب به النصر فهو يلوى

عليه كفه ليحكم الطعن ويطلق به ساعده لينال

خصمه ثم يفرق في شيوخه فيأمر الدهر أن يمضى

على وسله لأنه لا يبعث الغارات إلا سيفه المطبوع

من حديد الهند ولأنه ليس بين غمار المعركة من

إن أدق صور المعارك تلك الصور التي يخطها قلم
الهاجر الفارس الذى يعيش في واقع المعارك
وحقائقها ، ويخوض غمراتها بين اشتجار القنا
وبريق السيوف ومثار النقع ترتب حينها أنواء
الجرارات القانية ، وتسمع أذنان صليل السيوف
وقرقع الهامات وصياح النكاة ، نهاره في قلب المعركة
يدير رحاها ، ويدور مع رحاها ، ويتقى طي مدارها
كما يتقى أنياب البوار وهي تصر من حوله حتى إذا
جن الليل وهجعت ثورات الشر ، ووقدت المنايا تجتر
ما التهمت أجوافها من لحوم البشر تنفس الشاعر ،
واستجمع شوارد الخواطر ، وأبقت شاعريته
لترسم تلك الخواطر وتبرزها صوراً معبرة أصدق
ما يكون التعبير عن المعارك تحكي البلاء ، وتقدم
مواقف البطولات ، وتعلن عن مواطن الفخر ،
وما أكثر ما يفخر أولئك الشعراء الفرسان حين
تفتخ أوداجهم من الزهو بشجاعتهم وقتسكهم .

والبارودي كما هو في التاريخ (رب السيف والقلم)
فهل أجاد في تصوير المعارك كما أجاد هنتر وغير
هنتر من الشعراء الفرسان أم طغى غره على تصوير
معاركه فكسا شعر معاركه أثواب بخاره فراح
يقدم في كل معركة صوراً لبطولاته هو ولوى كشحه
عن كل الصور التي تزدحم ببطولاتها المعركة بل عن
صورة المعركة نفسها إلا من حيث تتكشف صورته ؟
على أن هنتر وغيره لم ينصوا غرهم ببطولاتهم
ولكنهم أبدعوا في تصوير المعارك والبطولات
إلى جانب غرهم بأنفسهم .

إن البارودي (الفخور) يرى أن قلبه ليس
كقلوب الناس الذى تروهم الظلمات بل إنه يسلبها

فما زلت حتى بين السكر موقني
لدى ساعة فيها العقول قغيب
لبن غدرة حتى أتى الليل والقتي

على غيب من ساطع النقع غيب
وهو في هذه الأبيات لا يصور عباب الهيجاء
والخيل والظبا والهل والغباء إلا ليكشف بين كل
ذلك صورته هو وهو يكر في موطن تغيب فيه
العقول ولم يصور لنا الصرعى الذين تساقطوا
تحت سنايك جواده ولا السكاة الذين تركهم نهب
السباع أو الذين قسمهم بينه وبين الطير والوحش
والخيالة كما قسم غيره فقال :

لى النفوس وللطير وللحوم

وللوحش العظام وللخيالة الساب
وايته كشف عن صورة كى صرعه أو مدجج
مزقه سيفه كما فعل الشاعر الفارس عنزة بالمدجج
الذى كره السكاة لقاءه فلا قام وصور في دقة موقفه
منه حتى تركه جزر السباع في قوله :

ومدجج كره السكاة نزاله

لا بمن هربا ولا مستسلم
جادت يداى له بعاجل طعنة

بمشف صدق الكعوب مقوم
فشككت بالرخ الأصم ثيابه

ليس الكريم على القنا بمحرم
فركته جذر السباع ينشئه

ما بين قنة رأسه والمعصم
أوليت البارودى فعل ما فعل عنزة بالمعلم
حاشى حقيقته المستتر فى درعه السابقة حين أبدى
نواجذه وصرح بالشر فتهتك فترة فزوج درعه
بالسيف ثم طعنه بالرخ ، ثم هلاه بالمهند فأبرز
صورة ثانية من بطولته إذ قال :

يحتمل الأهوال ويركب الأخطار لإفاقى مثله فهل
كان يؤمن بوجود مثله أم جره الفخر إلى جعد
المائل وذلك حيث يقول :

ويوم كان النقع فيه غسامة
لها أثر من سائل الطمن كالوبل
تقحمته فردأ سوى النصل وحده

وحسب الفتى أن يطلب النصر بالتصل
لويت به كفى وأطلقت صاهدى
وقلت لدهر : وبك فامض هلى وسل
فما يبعث الفئارات إلا مهندى

ولا يركب الأخطار إلا فى مثلى
والقصيدة بعد هذا فى غفر البارودى بأخلاقه
وقوته حيث تكون الكريمة ، وبوقاره وصبره
حين يغلى مرجل الحرب وبشغفه بالفلا واثبات
الخيل عن المدن والقرى والأهل وخلال ذلك
يرسل الحسكة كلما واتته ، وقد شغل كل ذلك هن
إبراز الصورة الحقيقية للمعركة .

ومذه الروح النزاعة إلى الفخر والحديث عن النفس
وحول تلك المعانى التى ساقها فى تلك الأبيات تحدث
فى قصيدة أخرى عن مجرم من الهيجاء شق خصمه الزاخر
ولا حاصم له من أمواجه وأنوائه إلا سيفه العريض
المنشط ثم اتجه إلى تصوير موقفه هو فى المعركة
وقد توسط بحر الهيجاء حين التقت الخيل بالخيل
وبدت بيض السيوف ثم غابت فى الهجمات ، وقد
كشف كره العنيف عن مكانه فى ساعة غابت
من حولها العقول وقد امتدت من الغداة حتى التقت
ظلمة الليل بظلمة النقع الذى أثاره صخب المعركة
فقال فى أبيات من قصيدة :

وبجر من الهيجاء خضض هبابه
ولا عاصم إلا الصفيح المشطاب
توسطته والخيل بالخيل تلتقى
وبيض الظبا فى الهام تبدو وتغرب

ومشك سابعة متكه فروجها

بالسيف من حاشى الحقيقة مدلم

لما رآنى قد نزلت أريده

أبدى نواجذه لغير تبسم

فقطعتة بالرخ ثم هالوته

بمهند صافى الحديدية مخنم

مهدى به مد النار كأنما

خضب البنان ورأسه بالعظم

ليته نحا هذا المنهى فقدم صورة بيئة لهولاته

التي صارح فيها الأبطال فأرداهم وإليك حديثه

عن المعركة التي كانت بين الأتراك والروس عام

١٢٩٤هـ والتي أرسلت فيها مصر (كولايه نابعة لتركيا)

جيشاً لمساعدتها . وكان البارودى بين قوات

ذلك الجيش المصرى الذى غاض تلك المعركة .

ولقد وضع البارودى تحت الأبصار لوحة مخيفة

في إطار من الرعبه المفزعه ، فصور أرض المعركة

الشاسعة التي يحار فيها القضا وبخافها الجن ، وصور

الغلات المتزامية الجوانب التي يموت بها (سايك)

من الإهياء على الرغم من أنه كان يطلب الخيل

فيدركها وتطابه فلا تدركه ووصف صياح الأبطال

وتحدث عن الجو المشحون بالرماح والقواضب ،

والأرض الغاصة بالفرسان والخيول ، وشبه جيشه

بالأسد يرصدون الغارة ثم وضع تحت الأبصار

تخطيط المعركة فالمدافع منصوبة ، والمشاة وقوف

والفرسان على الصافيات الجياد ، ثم مؤخرة الجيش

التي تقيه من الخلف إن صاح صائح الشر ، ثم وضع

صورة لإجالية لما تلم به العين من السكاة البواسل

والجرد التي تخوض المنايا ، وأخيراً وصف الروس

بأنهم الأبطال وأن الجيش التركى يغير عليهم في الصباح

فإذا أقبل الليل أوى الأتراك إلى الأدغال يتقون بين

أشجارها فتكات الروس وفي كل تلك الصور التي ساقها

عن أرض المعركة وعتادها وتظيمها لم يقدم

البارودى شيئاً عن المعركة إلا قوله : (وجردا

تخوض الموت ، وتغمر على الأبطال) وهذه هي الآيات

التي تتصل بالمعركة من بين قصيدة طويلة :

وأصبحت في أرض يحاربها القضا

وترهبها الجنان وهي سوارح

بعيدة أقطار الدياميم لو عدا

سايك بها شأواً قضى وهو رازح

تصيح بها الأصدا في غسق الدجى

صياح الشكالى هيجهما النوايح

مهالك ينسى المرء فيها خليله

ويندر عن سوم العلى من يتافع

فلا جو إلا سهرى وقاضب

ولا أرض إلا شمرى وسايح

ترانا بها كالأسد نرصد غارة

يطير بها فتق من الصبح لائح

مدافعنا نصب العدا ومشاتنا

قيام تلها الصافيات القوارح

ثلاثة أصناف تقهر ساقه

صيال العدا إن صاح بالشر صائح

فلسك ترى إلا كجاة بواسلا

وجرداً تخوض الموت وهي ضوايح

تغير على الأبطال والصبح بامم

وتأوى إلى الأدغال والليل جانح

وفي كل ما تقدم لا نقف للبارودى على صورة

بارعة لمعركة يختلب القلوب رسمها ويتقاط فيها

الأبطال حين هب عليهم رياح البأس والقوة .

محمد محمد خليفة

اليهود في الأندلس

للأستاذ محمود محمد شاكر

بكل خيرات البلاد ، وهي طبقة الاشراف ورجال الدين ، وقد فقد القوط خلاصهم الحرية ونسوا فنون القتال وضاعت شجاعتهم نتيجة لانغماسهم في النعيم والترف وإخلاصهم للراحة والدعة ولم يعودوا يهتمون بالجيش بل إن الجيش نفسه كان يتكون من عناصر مضطهدة مغلوقة على أمرها حاقدة على الحكام وكان أشباه الأرقاء في الجيش يزيدون على عدد الأحرار فيه مما جعل الرغبة في الدفاع عن البلاد ضعيفة بل معدومة وكان ذلك مما سهل للسلبين مهمتهم في قمع الأندلس ، أما وضع اليهود في المجتمع الأندلسي فقد كان وضعاً شاذاً شائناً بعيداً كل البعد عن الكرامة والحرية ، فقد اضطهدهم رجال الدين وساموهم كل أنواع الذل والخسف ، وقد كان اليهود فئة كبيرة يسكنون أحيانا مدناً كاملة مثل أليسانة وألبيرة ، ولقد تمكن اليهود كعادتهم من جمع المال والتحكم في المرافق الاقتصادية للبلاد وقد استجاب القوط لرأى رجال الدين وألزوا بهم ضروبا لا تخص من المهانة والذل ولم يكن القوط في حاجة إلى من يوجههم إلى هذه الناحية فقد كانوا بطبيعتهم من أقى الناس على مخالفتهم في الدين . ولقد أخذت الجماع الطليطلية توجهه الضربات إلى اليهود حينما تمكن رجال الدين من ناصية الحكم فأصدر المجمع الطليطلي الثالث قرارا بتعميد أولاد اليهود الذين يولدون من زيجات يهودية ثم أصدر ششبو سنة ٦١٣ قراراخير اليهود فيه بن اعتناق النصرانية أو مغادرة البلاد وأيد بجمع طليطلة الرابع هذا القرار فكانت النتيجة أن هاجر الكثير من

كانت الأندلس قبل الفتح الإسلامي تعيش في فوضى واضطراب وكان المجتمع الأندلسي مجتمعا منحللا تجمع أفراداه رابطة ولا يسوده نظام مجتمعا قائما على أساس الفوارق الاجتماعية ونظام الطبقات ، فقد كان الشعب يعاني من الفقر والحرمان والبؤس ويواجه كل ألوان الظلم والعسف ويتحمل وحده الضرائب الفادحة والعمل الشاق المضى في ضياع الاشراف ورجال الدين ، مصلوقة منه كل حرية وإرادة ، وذلك أن القوط حينما دخلوا البلاد وأجلوا عنها الروم والوندال ، ترفعوا عن الشعب ولم يحتلوا بسكان البلاد الأصليين بل أقاموا الحواجز والفوارق وعاشوا في أبراج عاجية واعتبروا أنفسهم جنسا أشرف وأرفع وطائفة ممتازة لا يليق بها الاندماج والامتزاج بأهل البلد ، وكان الشعب ينقسم إلى طائفتين : الأولى طائفة العبيد ، وهم الذين يملكون ويكدهون ويزرعون الأرض لسيادهم وكان القانون يعطى للسيد الحق في قتل العبد وتعذيبه حسبما يريد ، وكان العبيد وحالاتهم يعتبرون ضمن ثروة المالك بحيث إذا انتقلت الأرض من مالك إلى آخر انتقلوا مع الأرض إلى المالك الجديد .

أما الطائفة الثانية : فهي الطبقة المتوسطة وهم الأحرار الذين كانوا يسكنون المدن ولم تكن حالتهم خيرا من حالة العبيد إذ كانت الضرائب تثقل كاهلهم وتستنزف أموالهم حتى يتمتع بها الاشراف والحكام ويبرهنونها على شهورهم وملازمتهم والواقع أن الفئة التي كانت تعيش في ترف ونعيم وتمتع

وتوسم العدالة والخير في الفاتحين ، فقد كان اليهود يذلون المسلمين على عورات البلاد وثلمات الأسوار ويقدمون لهم ما يساعدهم على الفتح ولذلك أطمأن إليهم المسلمون وكانوا إذا فتحوا بلدا ضموا يهود ذلك البلد إلى جملة الحرس مكافأة لهم .

ولقد وجد اليهود في كنف المسلمين كل تقدير واحترام فقد رفعوا عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فأرسلوا شعائهم في حرية تامة فقد كانت لهم بيعة التي تقام فيها صلواتهم ولم يكن لهم تشريعات خاصة فقد كانوا مقسارين مع بقية السكان ، وكانت العلاقة بين المسلمين واليهود علاقة الود والتفاهم المطلق من كل قيد ، الأمر الذي جعل اليهود ينتمون في المجتمع الإسلامي ويتعلمون لغة العرب ويتزويون بلباس المسلمين ويغفلون مناصب مختلفة حتى لقد رقي بعضهم إلى مرتبة الوزارة ، والحقيقة التي لا ريب فيها أن الأندلس كانت الجنة التي استمتع فيها اليهود بكل ألوان الترف والنعيم .

ولكن هل حفظ اليهود المسلمين هذا الصنيع وقدروا لهم هذا المرفق النبيل ؟ لقد انضم اليهود إلى النصارى ووقفوا إلى جوارهم عندما بدأ الصراع بينهم وبين المسلمين على صير أسبانيا وقد دعوا لهم نفس المساعدات التي قدموها للمسلمين ، وإذا نحن فسرنا مساعدتهم للمسلمين بما أصابهم من ظلم القوط ، فبماذا تفسر مساعدتهم للنصارى وخيانتهم للمسلمين ولم يلقوا منهم إلا الإحسان والخير ؟ ولكن النصارى تكفوا بسداد الدين للمسلمين ولم يحفظوا لهم صنيعهم كما حفظ المسلمون ، فأكاد يستتب الأمر لهم حتى كان جزاء اليهود منهم جزاء سنار وما زالوا وراءهم حتى قطعوا دابرهم واستأصلوا شأفتهم ومن نجا منهم بحياته فر إلى المغرب ونواحي البحر الأبيض

اليهود واعتنق البعض الآخر المسيحية ويا وتظاهروا ثم قرر الجمع الطليطلي تعديدهم مرة أخرى وتقديم لهم الخنزير لياكلوا مئة امتحانا لنصرانيتهم ثم حرم عليهم إقامة الشعائر الدينية اليهودية وقد استطاع القوط تنقيح اليهود والتضييق عليهم حتى تركوا (أريونه) .

ولقد استمر ذلك الاضطهاد موصولا متتابعاً حتى قرر الجمع الطليطلي الثامن عشر لإرغام اليهود جميعاً على اعتناق النصرانية أو مغادرة البلاد في مدة سنة فترتب على ذلك القرار زيادة عدد اليهود المستقرين . كما حاولوا الاتصال سرا بإخوانهم يهود أفريقيا وكان ذلك قبل الفتح الإسلامي بسبع عشرة سنة فلما اكتشفت المؤامرة سنة ٦٩٤ تقرر مصادرة ممتلكاتهم واعتبار اليهود جميعاً أرقاء وتوزيعهم على المسيحيين وعدم جواز هتقمهم كما تقرر فصل أولادهم عنهم بعد بلوغهم سن السابعة وتربيتهم تربية مسيحية وتحريم زواج اليهودي من اليهودية وإذا أراد الزواج بعد أن صار عبداً فعليه أن يتزوج من أمة مسيحية على أن تتزوج اليهودية من يهود مسيحي .

هذه صورة الظلم والاضطهاد الذي عاياه اليهود أيام القوط نستبين منها مدى ما كانوا فيه من مهانة وذل واستعباد . لذلك لا غرابة إذا رأينا اليهود يرحبون بالفاتحين المسلمين ويرون فيهم ملائكة أرسلتهم العناية الإلهية كي يخلصوهم مما هم فيه ويستشفقوا في رحابهم هدير الحمرية ونسيم الحياة وتعود إليهم آدميتهم وكرامتهم بعد ليل طويل من التشريد والتعذيب والعبودية والعيشة التي هي بعيشة الحيوان أشبه ، ومن الواضح أن ترحيب اليهود بالمسلمين لم يكن مبعثه الرغبة والحب وإنما الذي دفع إلى ذلك الحب هو التخلص من ظلم القوط

يستقر في أذهابهم إلا القضاء على العرب والمسلمين ولم يحسن إليهم أحد في التاريخ بمثل ما أحسن العرب والمسلمون .

لأن اليهود قد نقلوا كل ما تلقوه من عنصرية واضطهاد في أوروبا إلى العرب واستطاعوا الاعتماد على فلسطين وإخراج مليون من الأمنيين الوادعين من ديارهم ظلما وعدوانا، إن مذابح إسرائيل الغادرة وإرهابها الدموي في دير ياسين وكنفوقاسم وغيرها تزرى بكل حمامات الدم وغرف الغاز المنسوبة إلى هتلر ، وكما يقول توينبي : إن الخطيئة التي ارتكبتها اليهود ضد العرب أكبر من الخطيئة التي ارتكبتها النازي ضد اليهود .

وإذا كانت إسرائيل قد خيل لها أنها استقرت في فلسطين فهل تضمن البقاء والخلود وإلى متى يقدم لها أسلحها ومن أقاموها وأنشأوها ومعاوناتهم ومساعداتهم ومن حولها الشباب العربي الباسل الذي يتدفق حرية وحيوية ويتحرق شوقا للحركة الفاصلة من أجل فلسطين وتحرير فلسطين كما جاء في ميثاقنا الوطني .

ولقد وصل القاصر الاستعماري إلى حشد انتزاع قطعة من الأرض العربية في فلسطين قلب الوطن العربي واغتصابها دون ما سند من حق أو قانون لصالح إقامة فاشستية عسكرية لا تعيش إلا بالتهديد العسكري الذي يستمد أخطاؤه الحقيقية من كون إسرائيل أداة الاستعمار والجمهورية العربية المتحدة بالتاريخ والواقع هي الدولة العربية الوحيدة في الظروف الحالية التي تستطيع تحمل مسئولية بناء جيش وطني يكون بمثابة القوة الرادعة للخطط العدوانية الاستعمارية الصهيونية .

محمد محمد سبيل

ولا زالت أسبانيا حتى اليوم تذكر اليهود وتحذرهم وتقطع كل سبيل للاتصال بهم فقد جاء في جريدة الأخبار الصادرة بتاريخ ١١/١٠/١٩٦٥ أن أسبانيا لم تعترف بإسرائيل والجغرافال فرانكو يؤكد أن بلاده لن تعترف بدولة الصهيونية ما دام هو باقيا في منصبه ويقول وزير خارجية أسبانيا : إن بلاده تحرص على تنمية علاقاتها بالدول العربية والحكومة الأسبانية تقرر منع السفن الإسرائيلية من الرسو في موانئها وترفض لإنشاء قنصلية لإسرائيل في لشبونة أو مكتب سياحي في مدريد ، أو حتى مكتب أسباني في تل أبيب خشية أن تطالب إسرائيل فيما بعد بالمثل .

وهكذا نرى أن اليهود دائما أبعد الناس عن سماحة الطبع وكرم الخلق وحسن المعاملة ، وأن من ينظر في كتبهم وتعاليمهم يرى أن القدر والحياة وحسب الانتقام وإراقة الدماء صفات تأصلت فيهم وامتزجت بلحمهم ودمهم لا يستطيعون منها فككا ، فقد جاء في العهد القديم : حين تغرب عن مدينة لتجاربها ادعها إلى الصلح فإن أجابتك وقتحت لك فكل من فيها ، مستخرلك ومستعبد ، وإن لم تسلمك وحاربتك فحاصرها ، فإذا دفعها الرب إليك إلى يدك فاضرب ذكورها بحداسيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة فهو غنيمة لك ، وهكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هذه الأمم التي هنا ، وأما مدن هذه الشعوب التي يعطيك الرب إياها فلا تستبق منها نسمة بل أهلكتها إهلاكا (سفر التثنية ٢٠/١٤) وتنفيذاً لهذه التعاليم المهلكة المدرسة نسي اليهود كل ما قدمه لهم العرب من تسامح وإحسان في مختلف العصور والبلدان في الأندلس وغيرها ، فسواكل ذلك بل فسواكل ما قدمه لهم العالم الغربي من مساوات وإهانات ، ولم

التأمين

للأستاذ علي الخفيف

- ٧ -

للحكومة وقائمة مقامها في ذلك وعاملة لمصلحة الأمة بأمرها لا لمصلحة أفراد معينين - وقد رأى بعض الباسحاتين الماندين للتأمين أن التعاقد معها على التأمين بعد هذا الوضع جائز لضرورة افتتحتها فترة الانتقال من النظام الرأسمالي إلى النظام الاشتراكي وهي ضرورة الإبقاء على المشروعات الكبيرة التي أسست بأموال تلك الشركات ورتب نموها والتوسع فيها على الأقساط الباقية إذ أن في إلغائها تقويض تلك المشروعات وذلك على استحالته عملياً تخريب لاقتصاد الأمة وقواعد الدين تأتي ذلك .

كما أن آخرين منهم لم يابجئوا في جوازه إلى الاستناد لهذه الضرورة ؛ بل رأوا أن دفع الأقساط من المستأمنين يعد مساهمة منهم في تدبير المال الذي تدفعه الحكومة إن ينزل به الخطر من المستأمنين على أن يكون ما تدفعه الحكومة إلى المستأمنين في هذه السبيل معونة وتعويضاً من مال الدولة لا نتيجة معاوضة بينهما وبين ما يؤدي من الأقساط وإذا قيل : إن هذا لا يتسق مع التعاقد السابق على التأمين واستمراره بعده بل ولا مع التعاقد الذي تم أو يتم بعد التأمين فالرد عليه أن تطبيق نظام عقود المعاوضة عليه وترتيب آثارها مسألة هي أقرب إلى الشكل منها إلى الحقيقة والواقع حتى يكون لعقد التأمين في مجال العقود مركز قانوني تستمد منه أحكامه القانونية وترتكز عليه آثاره وبذلك يقرب أن يكون تطبيقاً افتراضياً لا يغير من الواقع والحقيقة ذلك رأيهم ولكنهم فيما أرى بعيد عن إرادة المستأمنين عند التعاقد وعن الدافع لهم عليه إذ لا تتجه إرادتهم

وقد نظم القانون رقم ٦٣ لسنة ١٩٦٤ ذلك كله وهو يقضى بأن يساهم جميع الأشخاص الذين تلقوا ولم أوامره وتتوافر فيهم شروطها في إيجاد ما يتطلبه تحقيق هذه الأغراض النبيلة من مال وعلى ذلك قد يرى أن ما يؤخذ في هذه السبيل من مال إنما يمثل في واقع الأمر ضريبة فرضتها القوانين لكي تتمكن الحكومة من تحقيق هذه الغاية السكرية . وللحكومة من الولاية والسلطة ما يسوغ لها شرعاً فرض الضرائب في سبيل المصالح الاجتماعية العامة وبهذا الوضع لا يكون هذا النوع من التأمين قائماً على تعاقد بين المستأمنين والحكومة وإنما بعد معونات تدفعها الحكومة من مال الدولة لمن تتوافر فيه شروط استحقاقها التي تتحقق معها في نظرها الحاجة المستوجبة للمعونة من الدولة . وقيام الحكومة بهذا النوع من المعونة ليس إلا تدبيراً اجتماعياً يدخل في نطاق ما يطلب من الحكومة أن تقوم به من الأعمال في سبيل إفراد النظام وتدبير وسائل العيش والرفاهية والأمن للأفراد وليس يتصور أن يكون في مثل هذا حظر وإلثم وقد أصدرت الجمهورية العربية المتحدة القانون رقم ١١٧ لسنة ١٩٦١ قاضياً بتأمين ما نص عليه فيه من الشركات ومنها جميع شركات التأمين في الجمهورية العربية المتحدة وتعد كانت شركات مساهمة تقوم بالتأمين لحسابها ورأت الحكومة أن مصلحة الدولة العامة تستوجب تأمينها فأتمتها لذلك بمقتضى هذا القانون الذي قضى بأن تستمر هذه الشركات بعد تأمينها وصيرورتها إلى الدولة في مباشرة أعمالها على الوضع الذي كان لها من قبل باعتبارها تابعة

من ماله نظير التزام بتحمل تبعات ما ينزل به من الخطر يقوم له به قادر عليه دون مساس به أو ضرر .
 وهم الجماعة الذين انتهى أمرهم إلى الاتفاق على التعاون بينهم في دفع ما ينزل بأحدهم من ضرر والزام ذلك منهم بواسطة الهيئة التي تمثلهم .
 وعلى هذا فإن فكرة التأمين وأساسها وحكمها كل أولئك في الجواب عن السؤال الآتي :

١ - هل يجوز للإنسان شرطا أن يدفع جزءاً من ماله نظير ضمان أو تحمل تبعه لما قد ينزل به من خطر يقوم به له من هوقادر عليه من غير ضرر يلحقه من ذلك ؟ وبعبارة أخرى : هل التعاقد على هذا تعاقد شرعى مألوم ؟ .

والإجابة على هذا السؤال تقتضى البحث فى النقاط الآتية :
 ١ - إن العقد كما يبدو ، وكما قدمنا ، عقد جديد مستحدث لم يكن معروفاً من قبل فى زمن التشريع .
 وعليه فهل يجوز إحداث عقد لم يكن معروفاً من قبل ؟
 ٢ - هل الضمان وتحمل التبعة مما يجوز أن يقابل بالمال ؟ .

٣ - هل الضمان يجوز أن يتناول ما هو غير قائم ، وعلى خطر الوجود ، وهل يصح بما هو مجهول ؟
 ٤ - الأساس الشرعى الذى يقوم عليه جواز التأمين .

٥ - هل ما يصاحب التأمين من إرادة الادخار أو استثمار ماله فى أعمال ربوية له تأثير فى نفس فكرة التأمين من ناحية الخطر ؟ .

١ - عن النقطة الأولى : إحداث عقد جديد سبق أن بحثنا هذا الوضع وبيننا آراء الفقهاء فيه ورأينا أن أصح هذه الآراء وأقربها إلى أصول الشريعة هو القول بجواز ذلك بشرط ألا يتنافى ذلك مع أصل من أصول الدين ولا يخافى أسرارته وحكمه وقد بينا فيما سبق جميع ما نسب إلى عقد التأمين

فما يظهر إلا إلى معنى المعاوضة وعلى كل حال فالنظر فى حكم هذا النوع لا يختلف عن النظر فى حكم التأمين بالتعاقد مع الشركات كما يتبين ذلك فيما يأتى :
التأمين بالتعاقد مع الشركات :

إذا أردنا أن نصل إلى حكم صحيح فى التأمين وجب علينا أن ننظر إليه مجرداً عما يصاحبه من صفات خارجة عن جوهره وموضوعه أى أن نبحث فكرة التأمين - أو نظرية التأمين إن أردت هذا التعبير فنحدد كمها ونجمل حقيقةها ونبرز صورتها على وضعها ثم نستنبط ما يجب أن يكون لها من حكم استناداً إلى قواعد التوزيع وأصوله ودلائله وحكمه وأهدافه مع التطبيق السليم والبعيد عن التعسف وتجنب الهوى والميل السقيم .

إن فكرة التأمين تقوم فى أصلها على أن أحداث الزمن ونوازله كثيرة متعددة ولها عند نزولها أضرار آتية تصيب البدن فتضعفه وتؤلمه وتصيب المال فتفقده وليس يقوى عليها الشخص ينزل بساحته الحادث فيصاب به بل ينوء بأضراره ذو القوة والجلد فى كثير من الأحوال فتفسد عليه حياته ويضيق بها عيشه ويضيع معها سعيه ويفقد بها أملة ولكن إذا ما وسعت ساحتها وامتد نطاق أثرها تضم العديد الكثير من المتعاونين الذين يقتسمون هذه الأضرار المالية فيسهم كل منهم بحصة من ماله فى سبيل تخفيفها أو رفعها لم يكدر يضررها بها أحد ولم يكن لها أى أثر فى تغيير حياة من نزل به الحادث ولا فى صده عن عمله ولا فى منعه بأمله والإنسان مأمور بالتبصر فى أمره مطالب بالحذر وبالحيطة فى مستقبله وهو إلى ذلك معرض لمثل هذا الخطر أن ينزل به ومن اليسير عليه أن يحتاط لأضراره وأن يحذر منها وذلك بالتعاون مع غيره فى دفعها إذا نزلت إذا ما استطاع ذلك وتيسر له أو بدفع قليل

٢ - عن النقطة الثانية : جواز المعاوضة عن الضمان وتحمل التبعة .

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الضمان لا يجوز أن يقابل بعوض يدفع إلى الضامن - جاء ذلك في فتح القدير على الهداية وفي منتهى الإرادات ص ١٦٧ وفي كشف القناع ج ٢ ص ١٨٢ للحنابلة وفي المستصفى للغزالي ج ١ ص ٧٥ .

وجاء كذلك في منح الجليل من كتب المالكية بأن الضمان معروف ولا يجوز أخذ عوض عن المعروف أو الخير كما لا يجوز أخذ عوض عن الصلاة وغافل ذلك الشيعة الجعفرية فجوزوا الكفالة مع اشتراط جعل للكفيل فيها يلزم به المدين وذلك دليل أنهم يرون جواز أخذ عوض عن الضمان هو ذلك الجمل ، راجع تحرير الأحكام ج ١ ص ٢٢٥ .

هذا ولم يعلم أنه قد جاء في كتاب الله ولا في سنة وسوله بيان كلى لما يجوز أخذ العوض فيه وما لا يجوز أخذ عوض فيه - وما ذهب إليه الفقهاء من أحكام في ذلك نتيجة للاجتهاد والرأى والعرف ولذلك اختلفت آراؤهم في كثير من أمور جواز بعضهم أخذ عوض عنها فأجازوا فيها المعاوضة وخالف فيها آخرون فلم يجوزوا أخذ عوض عنها ورأوا فساد المعاوضة فيها وذلك مثل حق التعلل أجاز المالكية الاحتياض عنه فجوزوا بيعه استقلالاً ومنعه الحنفية فلم يجوزوا بيعه استقلالاً وكذلك حقوق الارتفاق لم يجوز بعض الحنفية التعاوض فيها بالبيع والشراء لأنها ليست بمال هندم وذهب آخرون إلى جواز بيع كل من حق المرور وحق الشرب دون حق السيل لتعارف الناس ذلك فكان كل من حق المرور وحق الشرب مالا دون حق السيل وليس لذلك أحاس سوى العرف الذى قضى بشمول الحقين الأولين دون الأخير وأجاز المالكية

من شبهات قيل : إنها تتعارض مع أصول الدين ونفينا وجود تلك الشبهات وتبين خلوه منها كلها وبذلك ظهر أن هذا العقد لا يخالف أصلاً من أصول الدين وإن هذا العقد إذا لم يكن مندوباً إليه ديناً من ناحية ما يترتب عليه من مصالح وما يندفع به من أضرار وما يودى إليه من معونة على البر فلا أقل من أن يكون عقداً مباحاً لم يرد فيه نص خاص أو عام يقضى بحظره والأصل في الأشياء التى لم يرد فيها طلب ولا حظر ولا ضرر فيها أن تكون مباحة ذلك لأن الضرر محظور بقوله صلى الله عليه وسلم : لا ضرر ولا ضرار ، ذهب إلى ذلك جمهور الحنفية والشافعية بل ادعى بعض الأصوليين الإجماع على ذلك وقد قسم الفقهاء المباح ثلاثة أقسام : (١) قسم لم يتعرض له الشارع فلا حكم من الشارع فيه . فهو مباح بحسب أصله لقوله صلى الله عليه وسلم من حديث أخرجه ابن ماجه والترمذى عن سلمان الفارسى قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السم والجن فقال : لا الحلال ما أحله الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكته عنه فهو مما عفا عنه ، وقوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه البزار والمحاكم وصححه من حديث أبى الدرداء : ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن لينسئ شيئاً ولا قوله تعالى : وما كان ربك نسياً ، وقسم صرح فيه الشارع بالتخيير ، وقسم لم يرد فيه خطاب من الشارع بالتخيير ولكن دل دليل على نفي الخرج في قوله وهذا يبقى على الإباحة الأصلية وبناء على ذلك فكل عقد لم يعرض له الشارع بنص عام أو خاص عقد مباح لا خطر فيه . ومن ذلك ما يجد من عقود تدعو إليها حاجة المتعاقدين - غير أن ما يجد منها إذا أدى إلى مصلحة اقتضته كان مطلوباً من الشارع إذ حيث توجد المصلحة فثم حكم الله .

يبيع هذه الحقوق كلاً استقلاً فكانت من المال عندهم وإلى هذا ذهب الحنابلة وكشاف القناع ج ٢ ص ٢٠٠، وهكذا يرى الخلاف بين الفقهاء فيما يجوز الاحتياض عنه وما لا يجوز ونرى أن رد ذلك إلى اجتهادهم أو إلى أعرافهم لا إلى نص صريح أثر في ذلك - وعلى هذا يرى أن القول بأنه لا يجوز أخذ عوض نظير الضمان وتحمل التبعة مرده إلى الاجتهاد ولذا علل في كتاب التاج بأن الضمان خير أى من عمل الخير ولا يجوز أخذ عوض عن عمل الخير كالمصلحة غير أن هذا التذنيبه أو القياس يوحى ويدل على أن الخير الذى لا يجوز أخذ عوض عنه هو الخير الواجب على فاعله أما ما لا يجب على فاعله فلا يقاس على الصلاة، والضمان ليس من المعروف الواجب فعله فيجوز أخذ العوض عنه كما جاز أخذ عوض عن الطعام يعطى لجامع لا يجمده وهو من الخير لا ريب وكما جاز لمن أخذت درهم في توسعة المسجد الحرام في هدم عمر وعثمان رضى الله عنهما أن يأخذوا قيمتهما حين أداها إليهم عمر وعثمان رضى الله عنهما وجعل القول: أن المناطق في جواز أخذ العوض في نظر الفقهاء هو أن يكون في نظير ما تموله الناس فأتخذوه مالا وعوضوا عنه وبه لما رأوا في ذلك من الفائدة والمصلحة .

والمالية تثبت بتمول الناس كما نص على ذلك بعض الفقهاء وقد رأينا أن الشيعة الجعفرية كذلك قد جوزوا أخذ العوض عن الضمان والظاهر أنهم إنما جوزوه لذلك فلا علينا إذا جوزناه ولأنه أمر تدعو إليه المصلحة ولم يرد بمنعه نص من كتاب أوسنة فكان على أصل الإباحة التى سبق الكلام عليها، وعلى هذا فإن أخذ العوض عن الضمان وتحمل التبعة أمر مباح بالإباحة الأصلية وجاز بناء على ما فيه من مصلحة مرسل .

٣ - من النقطة الثامنة: هل يتداول الضمان ما يكون على خطر الوجود؟

يقتضى وجود الدين المكفول به عند كفالاته وعلى ذلك نص الفقهاء على أنه لا يجوز ضمان دين معدوم ولا كتبنا نراهم مع ذلك قد أجازوا كفالة الدين قبل وجوده في كتبهم من الحالات فأجازوا الكفالة بالدين الموهود به قبل وجوده وإن لم يكن موجوداً عند الكفالة فأجازوا الكفالة فيما إذا قال: أن أقرضت فلاناً فأنا كفيل بما تقرضه، وفيما إذا قال: بايع فلاناً وأنا كفيل بما يتابعه به، ذهب إلى ذلك الحنفية والمالكية والحنابلة والأشاعرة في القديم وجوهو الزيدية وخالف فيه الشافعية والجديد والشيعة والجمعونية وأهل الظاهر وكذلك أجاز كثير من الفقهاء الكفالة بالجعل في الجملة كما إذا قال شخص: من اخترع كذا فله منى ألف جنيه، فيكفل شخص هذا الجاعل فيما ذكره من جعل أجاز ذلك الحنابلة والمالكية والشيعة والجمعونية وبهذا جاء قوله تعالى في سورة يوسف في شأن رد صواع الملك المفقود، ولما جاء به حمل بعير وأنها به زعيم، والكفالة في هذه الأحوال كفالة لما فيه خطر الوجود في حال ما إذا قال شخص لآخر: إن أقرضت فلاناً فأنا كفيل لك بما تقرضه إياه قد يحدث ذلك فيقرضه وقد لا يقرضه أبداً ثم إذا أقرضه فقد يقرضه مالا عظيماً وقد يقرضه مالا قليلاً وكذلك الحال عندما يقول شخص لآخر: أنا كفيل بمائة قرضه فلان أو أقرض فلاناً وأنا كفيل بما تقرضه وقد يحدث أن يقوم شخص باختراع ما جعل الجعل فيه وقد لا يحدث ذلك في كل هذه الأحوال يجوز الكفالة على ما فيها من خطر يرجع إلى الوجود وإلى المقدار وبناء على ذلك وعلى ما تقدم من أن هذه الأحكام مردها إلى الاجتهاد وإلى الفرق في المعاملة بدليل ما وجوهها به صحة الكفالة في الأحوال السابقة بدهاية المصلحة وحاجة الناس إليها فليس ما يحول دون القول بأن الضمان أو تحمّل التبعة لما قد يحدث من أخطار، جائز قبل حدوثها .

على التخصيص

أَبُو مَعِشَرٍ الْبَلْخِيُّ

لِلْإِسْتِاذِ الْكِنُوزِ أَعْمَرِ بْنِ إِدْرِيسَ

المائة ، وتوفي سنة ٢٧٢ هجرية ، ولم يشتمل الفلك إلا بعد السابعة والأربعين .

له عدة مؤلفات معظمها مفقود ، منها كتاب الألو ف ، كان معروفا في الزمن القديم واستفاد منه كثير من أصحاب تراجم الحكماء مثل : الففعلى وابن أبى أصديعة ، ومثل صاعد الأندلسى قبلهما . وقد نقل الأستاذ نللينو في كتابه ، دلم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى ، وأيه في الفنى . ، أى كبس السنين القمرية مما كان يستعمله العرب في الجاهلية ، وله كذلك كتاب د الامطار والرياح وتغير الأموية ، أنه على مذهب حكماء الهند ، فقد أصله العربى ويوجد في ترجمته اللاتينية ، وفيه يتكلم عن منازل القمر بحسب قسمة فلك البروج أقساما متساوية ، أخذها من الهنود ، وله كذلك كتاب الأنوار اتبع فيه مذهب البيروني ، وقد ذكر الففعلى جملة تفأيفه فلا حاجة لإعادة ذكرها . واسكن الذى يهنا كتابه د المدخل الكبير إلى علم أحكام النجوم ، له مخطوطات كثيرة متفرقة في مكتبات العالم ولم يطبع بعد ، وقد لحصه أبو معشر في مختصر سماه د المدخل الصغير ، وهو مفقود في الفنة العربية ، وقد ألف أبو معشر المدخل الكبير في بغداد سنة ٢٣٢ هجرية (٨٤٨ ميلادية) .

وبعد ثلاثة قرون من الزمان تقرىبا بدأت الحروب الصليبية ، أخذ الباحثون من اللاتين يحسون بالحاجة الشديدة إلى التزود من ثقافة الشرق وذلك في مطلع القرن الثانى عشر الميلادى واضطلع بهذا الأمر (أولاد الباني) الفياسرف الإنجيزى الذى جاب أقطار البحر الأبيض

الإسلام نظام شامل لسكل ناحية من نواحي الحياة ، وليس الدين فقط ، وقد قلنا من قبل : إن الإسلام سلوك في الحياة ، وإنه حضارة ، وهذا المعنى الأخير عنى المسلمون بالعلوم المختلفة من حساب وهندسة وفلك وطبيعة وحيوان ونبات وكيمياء وطب ، وأسهموا في تطوير هذه العلوم ولما كان الإسلام نابضا بالحياة فيه حيوية الشباب الدافعة ، احتضن العلوم المختلفة ودفعها إلى الأمام ، وعناية المستشرقين الآن هى الكشف عن التراث العلمى الإسلامى ، وأثره في أوروبا في العصر الوسيط .

ومن هذه الدراسات الجادة العميقة ما قام به المستشرق د ريتارد لوماى ، هن د أبو معشر والأرسطية اللاتينية في القرن الثمانى عشر ، . كان ذلك موضوع بحثه في الدكتوراه سنة ١٩٥٨ بجامعة كولومبيا ، ثم طبع البحث سنة ١٩٦٢ ، وكان غرض الباحث الكشف عن فلسفة أرسطو الطبيعية من خلال علم الفلك العربى وبالذات بالرجوع إلى أبى معشر .

وأبو معشر هو : جعفر بن محمد بن عمر البلخى انتقل إلى بغداد ، وكان في ابتداء أمره من أصحاب الحديث ، وكان يسكن في الجانب الغربى من بغداد بباب خراسان ، وكان يضاغن الكندى الفيلسوف وبغرى به العامة ، ويشنع عليه بعلم الفلاسفة ، فأراد الكندى أن يصرفه عن السكيد له ، ففس عليه من حسن له الفطر في علم الحساب والهندسة فتعلمهما دون أن يحسبهما ، وعدل إلى علم الفلك وأحكام النجوم فبرع فيها ، وانقطع شره عن الكندى وكان أبو معشر منجمها الدوفى أخى المعتمد عاش حتى بلغ

لم يكن أبو معشر أول من كتب في علم الهيئة ، وعلم أحكام النجوم ، وإنما سبقه إلى ذلك جماعة من المؤلفين أخذوا عن علم الفلك الهندي والفارسي ونحن نعلم أن المنصور استعصر المنجمين عند إنشاء بغداد لتبني حاصنة العباسيين في أسعد الأوقات وأنسبها قال اليعقوبي في كتاب البلدان ما فواه : إن المنصور لما ابتداء بناء مدينة بغداد سنة ١٤٥ هجرية (٧٩٢ ميلادية) وضع أساس المدينة في وقعة اختاره (نوبخت المنجم) (وما شاء الله) المنجم اليهودي ، حتى إذا جاء السكندى تقدم علم الفلك على يديه خطوة أخرى ، ولكن هؤلاء المنجمين كانوا أكثر ميلا إلى العلم الرياضي منهم إلى العلم الطبيعي ، وحذوا حذو أفلاطون وبطليموس أكثر من أرسطو والمشائين ، ونحرم نعلم أن السكندى كان يقدم الرياضيات على الفلسفة ويجعلها مدخلا ضروريا لدراستها ، على عكس المأثور عن المشائين الذين كانوا يقدمون المنطق ، ويجدون فيه غناء وكفاية ، وقد نعى السكندى في بعض كتبه على الذين يغفلون العلم الرياضي ، ولعله كان يقصد أبا معشر . ثم إن التراث الفلسفي عند العرب أخف ميل نحو المشائية ، أى نحو العلم الطبيعي ، حتى انتهى الأمر بأن تكون الفلسفة كلها بمثابة الشيوخ الرئيس مشائية خالصة ، وكانت بداية هذا الاتجاه عند أبي معشر ، الذي كان يعتبر علم الفلك علما صحيحا أساسه قائم في العلم الطبيعي ويمكن البرهنة عليه بالتجربة ، بل إنه أعلى العلوم الطبيعية لأنه يسمو على الملاحظة الحسية البحتة ، وفي الفصلين الثامن والرابع من كتاب المدخل الكبير يثبت مقبعا في ذلك أرسطو : أن حركة الأجرام السماوية مصدر كل فعل في الكون الطبيعي ، وأن الأجسام في العالم الأرضي لها ميل طبيعي لتأثيرات من العالم العلوي ، ويقسم أبو معشر بحسب ما جاء عند أرسطو الكون إلى عالم ما فوق فلك القمر ، وعالم

وبلاد الشرق ، وترجم أصول أفلاطون من اللغة العربية ، كما نقل كثيرا من المؤلفات العربية ومنها : المدخل الصغير في علم أحكام النجوم ، ترجمه إلى اللغة اللاتينية وهكذا كان (أدلارد) أول من قدم أبا معشر إلى اللاتين باعتباره أعظم علماء الفلك عند العرب فلما ترجم المدخل الكبير كان اسمه مألوفا عند الأوروبيين . والمدخل الصغير عبارة عن القواعد الأساسية في علم الهيئة دون برهان عليها وفيها بيان لدائرة البروج الاثني عشر ، واسم كل منها ، ومنازل الكواكب ونفي المدخل الصغير من علماء أوروبا كل تقدير وإعجاب ، حتى إن (جيرار الكريموني) كان يستخدمه مرجعا في دروسه بمدينة طليطلة عن علم الفلك .

أما المدخل الكبير فقد ترجم مرتين إلى اللغة اللاتينية ، الأولى ترجمة حررية قام بها يوحنا الأشيبلي سنة ١١٣٣ م ، والثانية نهض بها (هرمان أوف كارتليا) وهو تلميذ (تيري أوف شادرت) ، وهذا المدخل الكبير على عكس الصغير يحتوي معلومات في الفلسفة الطبيعية مستمدة من أرسطو ، وبالذات من كتبه في الطبيعة ، والسماء والعالم ، والكون والفساد ، والآثار العلوية ، والنفس ، والميتافيزيقا ولكن هذه الآراء الأرسطية نجدها مزججة بعضها ببعضها الآخر ، وبالآراء الفلسفية بحيث يصعب تبين الأصل الأرسطي منها .

وليس أرسطو المصدر الوحيد الذي أخذ عنه أبو معشر ، ولكنه أخذ كذلك من بطليموس ، ومن هرمس ، ومع ذلك فإن جملة ما أخذه من بطليموس بطليموس ضئيل جدا . فضلا عن ذلك أخطأ أبو معشر في قوله إن كتاب المقالات الأربع ليس لبطليموس لخالفه ما فيه من آراء لما جاء في المجموعتي ، وهذا غير صحيح ، ثم إن أبا معشر يزعم أن بطليموس كان أحد ملوك مصر ، مما يدل على جهله بتاريخ صاحب الكتاب .

ولذلك كان السكون والفساد دائمين في العالم الطبيعي . ولما كان عالم السكون والفساد متعدد الصور ، وجب أن يكون هناك تعدد بمائل في العلة المحركة . من أجل ذلك كانت علة التعدد قائمة في اختلاف مسار الجرم السماوي عن الجرم الآخر ، وهذا ما قال به أرسطو في كتاب السماء وكتاب السكون والفساد . وأخيراً فإن الحركة السكونية التي تفصل الأجرام السماوية مشتقة من مصدر وحيد لا يتحرك ، ويذهب أبو معشر إلى أنه هو الله ، على حين يقول أرسطو بأنه جذب كلي في الفلك الأقصى ، وهو فلك النجوم الثابت . يريد أبو معشر أن يقول : إن كل حركة في العالم لا تخرج عن تغييراته وبحكم إرادته . ومع ذلك فإن تدخل الإرادة الإلهية لا يخل بنظام الأسباب والمسببات في عملية السكون والفساد ، وهي عملية تعتمد اعتماد كلياً على النجوم . وهكذا يبدو أبو معشر فيلسوفاً إسلامياً ، ألبس آراء أرسطو رداء الإسلام . ولم يسكد المدخل الكبير ينقل إلى اللغة اللاتينية حتى طبع الفسكس الغربي في الفلك بطابع لا يمحي . ومن المعروف أن مؤلفات أرسطو قام بنقلها عن العربية (جيرار الكريموني . توفي ١١٨٧ ميلادية) ، ولكن آراء أرسطو كانت قد عرفت قبل جيرار عن طريق ترجمة مدخل أبي معشر . وثمة إشارات لدى بعض المؤلفين اللاتين منذ سنة ١١٢٠ تنص على آراء أبي معشر ، أي في مطلع القرن الثاني عشر . يتبين من هذه الدراسة التي قام بها (ريشارد لوماي) ووازن فيما بين ما جاء عند أبي معشر وما أورده أرسطو في كتبه ، منزلة هذا العالم العربي وأثره في الفكر الغربي من جهة ، كما يكشف الستار عن البدايات الأولى لدخول المشائية إلى أوروبا عن طريق العرب ؟

أحمد فؤاد الأهواني

ما تحت فلك القمر ، وهو عالم السكون والفساد ، ويقول أبو معشر : إن جميع الفلاسفة الأقدمين الذين تسكلموا عن الموجودات العالمية متفقون على أن طبيعتها مغايرة للعناصر الأربعة ، لأنها لو كانت مركبة من العناصر الأربعة لخصعت للسكون والفساد والزيادة والنقصان ، ولذلك ذهب الفلاسفة إلى أن كرة السماء وما فيها من كواكب مركبة من عنصر خامس هو الأثير ، وتمتاز الأجرام السماوية بثلاث خواص هي أنها مستديرة ومضيئة ، ومتحركة بحركة طبيعية ، وهذه الخصائص الثلاث الأساسية هي التي يذكرها أرسطو في كتاب السماء .

صفوة القول : أن النظرية الرئيسية في طبيعيات أرسطو ، وهي نظرية السكون والفساد ، نجدتها عند أبي معشر في كتابه المدخل إلى علم أحكام النجوم . وهو في بعض الأحيان يصرح بأنه استقى آراءه من أرسطو ، ولو أنه في أحيان أخرى لا يشير إلى المصدر . وقد أخذ عن المعلم الأول : أن العنصر مركب من كيمييتين ونحن نعلم أن العناصر أربعة : النار والهواء والماء والأرض ، توازيها كيميائيات أربع : الحار والبارد والرطب واليابس . فنصير النار مركب من الحار واليابس ، وعنصر الهواء من الحار والرطب ، وعنصر الماء من البارد والرطب ، وعنصر الأرض من البارد واليابس . وهو يأخذ من أرسطو كذلك أن مجموع الأجسام الأولية المركبة من العناصر الأربعة تؤلف مادة كلية لجييع السكاكنات الطبيعية . وفي هذه المادة الأولية تظهر الصور المميزة لمختلف الجواهر بسبب حركة الأجرام السماوية التي تحدث السكون فتأخذ صوراً متميزة وتركبها في المادة .

ولما كانت الأجرام السماوية مركبة من العنصر الخامس فهي في حركة دائمة ، وتؤثر تأثيراً دائماً ،

الكتاب

للاستاذ : تحسين عبدالحق

قادة الفتح الإسلامي

قادة فتح بلاد فارس "إيران"

تأليف : اللواء الركن محمود شيت خطاب

العظام - من الناحية العسكرية البجته فبدأ بدراسة
واحية لسيرة مؤسس الجيوش العربية الإسلامية
المظفرة ، الرسول القائد ، نبي الإسلام محمد بن عبد الله
صلوات الله وسلامه عليه ، فهو أبو الجيش الإسلامي
الأول ومؤسسه وقائده ورائده ومنظمه ومسلحه
ومدربه ، وباعث كيانه ، ومولد أركانه ، ورسم
أهدافه ونظمها ، وذلك في كتابه عن «الرسول القائد»
وتلا ذلك كتابه عن الفاروق القائد ، سيدنا حمزة رضي
الله عنه الذي كان أحد خريجي مدرسة الرسول القائد
صلى الله عليه وسلم في ممارسة فنون الحرب ومعاونة
أهوالها دفاعا عن حرية نشر الإسلام ، ثم أصدر
بعد ذلك سلسلة كتبته الفرادة عن قادة الفتح الإسلامي ،
حيث بدأها بكتابه «قادة فتح العراق والجزيرة»
الذي قدم لنا فيه سيرة الثقيف بن حارثة الشيباني ،
وغالب بن الوليد الخزوي ، وأبو عبيدة بن مسعود
الثقيف وغيرهم من قواد ورواد شعبنا الأبطال . وقد
تجاوز المؤلف الناحية العسكرية إلى النواحي الأخرى
الهامة في حياة هؤلاء الرواد ، فلم يقتصر على دراسة
الأعمال الحربية فحسب ، بل حرص على أن يقدم
صورة كاملة متكاملة لحياة كل قائد ، من خلال شتى
مواقفه ومواقعه ويختلف أقواله وأفعاله لكي
تكتمل الملامح ، وتظهر السمات لشخصيته . .
قائداً وإنساناً ، يؤمن بفكرة ويعتق رسالة ويدود

لقد كان سيدنا عمر رضي الله عنه وأرضاه يرى أن
العرب هم مادة الإسلام ، ومادة الفتح الإسلامي قادة
وجنوداً ، وقد انطلق العرب المسلمون ، من حيث بدأت
الدعوة ، يغيرون أطراف الأرض ، ليصل الإسلام بهم
إلى الناس جميعاً ، اندفعوا إلى ما جاورهم من قبائل
وأقاليم وأمم ، غايتهم نشر الإسلام ، لا تدرهم من تلك
الغاية الحروب فيخوضونها وهم قلة ، يقيمنا منهم بأن
غايتهم منتصرة وانتصر العرب وانشر الإسلام .
وعندما غاض رواد شعبنا العظام معاركهم البطولية
من أجل تأمين حرية انتشار الإسلام . كانوا يؤمنون
إيماناً مطلقاً بعدالة قضيتهم وسمو عقيدتهم ، فمن هؤلاء
الرواد ؟ وكيف استطاعوا أن يصلوا إلى ما وصلوا
إليه ؟ وكيف كانت خططهم الحربية (الاستراتيجية) ؟
وكيف كانت وسائلهم المبتكرة لحماية خطوط
مواصلاتهم الممتدة على جبهات طويلة تباخ أحياناً آلاف
الأميال . . وفي حدود وسائل النقل المتاحة لهم في ذلك
الوقت - كلها أشياء كان يجب أن يتمرن لها بالدراسة
والتحليل كل من يهمه أن يعرف أبناء شعبنا سيرة
هؤلاء شعبهم وقادته الفاتحين العظام ، بدلاً من التعرض
لمعارك نابليون وموقعة واترلو وغيرها من المعارك
والشخصيات الأوروبية !
ولقد أخذ اللواء الركن محمود شيت خطاب على كاهله
أن يقوم بدراسة علمية منظمة لسيرة هؤلاء الفاتحين

المؤلف دائماً في : هل كان هذا القائد صحابياً ، وهل نال شرف الجهاد تحت راية الرسول القائد أم لا ؟ وكان هؤلاء القواد من نالوا شرف الصحبة ونالوا شرف الجهاد مع الرسول ، إلا بعضهم فقد نالوا شرف الصحبة ولم ينالوا شرف الجهاد ، وقد ذكر المؤلف لكل شيء سببه إما لأن بعضهم أعلم متأخراً ، أو لصغر سنهم وقت إسلامهم مثل سرافة ذو النور ابن عمرو ففتح باب الأبواب .

ثم يذكر المؤلف بعد ذلك وبدئة متناهية عدد الأحاديث التي تلاها بعض هؤلاء القواد العظام عن الرسول القائد ... فيذكر أن حذيفة بن اليمان العباسي قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ما في حديث وخسة وعشرين حديثاً ص ١٣ ، ثم يذكر المؤلف فضل حذيفة على الإسلام إذ أنه هو الذي حث سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه على جمع القرآن الكريم ص ١٧ ويذكر أن البراء بن عازب الأوسي الأنصاري قد روى عن الرسول ثلاثمائة وخسة أحاديث وروى أبو موسى الأشعري عن الرسول ثلاثمائة حديث وستين حديثاً ، كما روى عن الخلفاء الأربعة ... ومعاذ وابن مسعود وأبي بن كعب وعمار بن ياسر ص ١٨٦ وهكذا إلى آخر هؤلاء القادة العظام ... والمؤلف بذلك يريد أن يبين لنا أن هؤلاء القادة لم يكونوا قواداً عسكريين فقط بل كانوا من المتفهمين في الدين والعلم ... متحلين بكل ما يجب أن يتحل به المؤمن من قوة وتواضع وعلم وإيمان ، وصدق وتقوى . ولقد اشترك هؤلاء القادة العظام في ميزة حرية وقيادة مشتركة ... فقد كانوا شجعاناً إلى حد البطولة النادرة ، وكانوا محبوبين من جنودهم ببادلوهم نقة بشفة وحبا يحب ولديهم الاستعداد لتحمل المسؤولية كاملة ، ثم قابليتهم الممتازة لوضع الخطط المناسبة وتطبيقهم (المبادئ المباحثة) (والتعرض) وكانوا يعملون دائماً

من عقيدة ، في بطولة إنسانية وفدائية عقائدية قل أن يكون لها نظير . وبنفس المستوى العلمي ندم لنا المؤلف بعد ذلك كتابه ... عن قادة فتح بلاد فارس (إيران) وهو كتابنا لهذا العدد .

وكتب قادة فتح بلاد فارس كما أسلفنا يدرس سير قادة فتح بلاد فارس ، الذين نشروا الإسلام في ربوعها وجعلوا منها قاعدة أمامية للفتح الإسلامي الذي امتد إلى الصين شرقاً وإلى سيبيريا شمالاً وإلى البحر العربي جنوباً . ويقع السكيب في أربع صفحات من القطع الكبير ، وقد قسمه المؤلف إلى عشرة أقسام هي إيران في عهد الساسانيين وقادة فتح الجبل ، ونذكر منهم ضراو بن الخطاب الفهرى ، والنجمان بن مقرن المزني . وفعيم بن مقرن المزني ، والبراء بن عازب الأنصاري ، ثم قادة فتح الأهواز ، ونذكر منهم : حرمة بن مريرة التميمي وحر قوص بن زهير التميمي ، وزر بن عبد الله الفقيمي ، وأبو موسى الأشعري ، ثم قادة فتح طبرستان ، ومنهم : سويد بن مقرن المزني ، ثم قادة فتح أذربيجان ، ونذكر منهم : بكهر بن عبد الله الليثي ، وسرافة ذو النور بن عمرو ثم قادة فتح فارس ونذكر منهم : العلاء بن الحضرمي وعثمان بن أبي العاص الشنقي ، ثم قادة فتح سجستان كعاصم بن عمر والتميمي ، ثم قادة فتح كرمان ومكران . ومنهم الحكم بن عمير التغلبي ، ثم قادة فتح خراسان : ومنهم الأحنف بن قيس التميمي ، وقد اختتم المؤلف دراسته هؤلاء الرواد بدراسة لقائهم هؤلاء جميعاً الفاروق القائد عمر بن الخطاب . وأول ما يسترعى الانتباه في هذه الدراسة الشيقة أن المؤلف بعد أن قدم لنا سيرة هؤلاء القواد العظام العسكرية وخبرتهم الميدانية المتصورة كان يصرد دائماً على أن يقدم لنا كل قائد منهم بصفاته الإنسانية وشجاعته المنة لخدمة النظرية أمام رؤسائه ، ثم يبحث

الرؤساء يورد موثقاً قوياً للأحنف بن قيس التميمي فاتح قاشان وخراسان في مواجهة معاوية بن أبي سفيان .. فيقول في صفحة ٢٣٠ ولما استقر الأمر لمعاوية بن أبي سفيان دخل عليه الأحنف يوماً ، فقال له معاوية : « والله يا أحنف ما أذكر يوم صفين إلا كانت حرازة في قلبي إلى يوم القيامة » فقال الأحنف : « والله يا معاوية ، إن القلوب التي أبغضناك بها لن يصدورنا ، وإن السيوف التي قاتلناك بها لن يأتيناها ، وإن تدن من الحرب فترأى منها شبراً ، وإن تمش إليها نهرول إليها » ثم قام وخرج .. وهكذا كان هؤلاء القادة الرواد عظماء في حياتهم ، أئمة في الفقه وكانوا مثالا نادراً للحلم والأمانة وقوة الشخصية ، ورجاحة العقل - لقد كان كل واحد منهم . كما قال المؤلف في الأحنف بن قيس التميمي - رجلاً في أمة ، وأمة في رجل .. وكان كل واحد منهم مفخرة من مفاخر التاريخ العربي الإسلامي ولم يحاول المؤلف أن يذكر الجوانب المضيئة فقط في تاريخ بعض هؤلاء القادة لأننا نراه بعد تقديمه ولحرق قوس ابن زهير التميمي السعدي ، فاتح سوق الأهواز كأحد الذين نالوا شرف الصلبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد . نراه يعتب على حرق قوس انضمامه للخوارج واشترائه في معركة (النهران) قائداً للشاة ضد سيدنا علي بن أبي طالب ، فيقول في صفحة ١٥١ : كان حرق قوس بمن خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، كان عملاً صالحاً في قيادته ، فالتاريخ يذكر له فتح مدينة (سوق الأهواز) وكان عملاً سيئاً في تعارفه الشديد لأن هذا التطرف كان من عوامل تفرقة الصفوف وإشعال نار الفتنة الكبرى - وأخيراً أدى به هذا التطرف إلى امتشاق الحسام وقتل إخوانه المسلمين . ودافع المؤلف عن أبي موسى الأشعري في موقفه أمام عمرو بن العاص أيام الفتنة حيث خلع الأشعري

هل (تمشيد قوائمهم) قبل البدء في القتال ، ويضعون مبدأ (الأمن) نصب أعينهم حتى يحافظوا على قواتهم ويديموا معنوياتهم قبل المعركة وأثناءها وبعدها . وعن بطولة هؤلاء القادة العظام يذكر المؤلف كيف دعا النعمان بين مقرن المزني ربه أن يكون شهيداً في معركة (نهاوند) ... يقول النعمان ص ١٠٤ ... بعد أن يتقدم رجاله إلى الحرب ... اللهم أعز دينك وانصر عبادك واجعل النعمان أول شهيد اليوم هلي أعز أزد دينك وانصر عبادك ، وبعد أن يستشهد النعمان في المعركة يأتيه أخوه معقل بن مقرن المزني ... فيقول له النعمان . وكان به رمق ... « ما صنع المسلمون ؟ » فيرد عليه . أبشر بفتح الله وانصره ، فيقول النعمان « الحمد لله اكتبوا لعمر ، ثم يسلم الروح .

ولقد كانت معركة « نهاوند » من معارك الفتح الإسلامي الحاسمة . فكما أن معركة القادسية فتحت أبواب العراق العربي للمسلمين ، فإن معركة « نهاوند » فتحت أبواب فارس للمسلمين ، ولقد ربح النعمان « نهاوند » ولكنه خسر نفسه لذلك خلده التاريخ ولو أنه خسر المعركة من أجل الحفاظ على نفسه لأهمله التاريخ . ويتعجب المؤلف في ص ٢٨٥ .. وهو الرجل العسكري كيف استطاع عاصم بن عمرو التميمي هو ورجاله أن يعبروا نهر دجلة فوق ظهور جيادهم لكي يحاربوا الفرس ولكي يفتحوا الطريق أمام قوات المسلمين لفتح المدائن .. لقد تقدم عاصم على رأس « كتيبة الأهوال » واقترع النهر أمام رجاله . وهو يقول : أتخافون هذه النطفة ؟ ثم تلا قوله تعالى : (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً) .

ويعلق المؤلف على ذلك قائلاً : إن عبور عاصم ورجاله نهر دجلة ، يعتبر معجزة عسكرية يقف العقل والقلب معاً أمامها وقفة إعجاب وإعجاب . وعن شجاعة هؤلاء الرواد الأدبية في مواجهة

ص ١٢١ . الصحيح أن البراء لم يشهد غزوة أحد كما جاء في الإصابة ، لـ كان هو وابن همر وأسامة ابن زيد في عمر واحد ، ولم يشهد عبدة يوم (أحد) كما لم يشهد أسامة وقد استشهد المؤلف بالإصابة وجوامع السيرة لابن حزم وطبقات ابن سعد .

وقدم المؤلف تفسيرات واجتهادات شتى في تعريفه لبعض الأماكن مثل . . لأذربيجان . . ص ٢٠٥ حاشية ٢ وطخارستان ص ٢٢٢ حاشية ٤ . وجزيرة بركوان ص ٢٦٣ حاشية ٢ وتفسيره لقصة نداء همر بن الخطاب من فوق منبر مسجد المدينة المنورة . ياسارية بن زعيم . . الجبل . . الجبل . . وطالب المؤلف بالعودة إلى الأعداد رقم ٤٩٢ ، ٤٩٥ من مجلة الرسالة - لتوضيح وتثبيت وجهة نظره .

إلى آخر هذه التفسيرات والاجتهادات للمؤلف - ونحن إذ نشيد بهذا الجهد العظيم للمؤلف في إخراج هذه السلسلة . . التي تحتوي - خلاف ما ذكرناه - على كتب تتحدث عن قادة فتح أرض الشام ومصر ، وقادة فتح المغرب العربي والاندلس ، فقادة فتح المشرق الإسلامي ، فقادة فتح أوروبا . فقادة فتح البحار . . سواء ما صدر منها أو لم يصدر بعد .

فإننا نثق بأنه قد توفر لمؤلفنا الكبير من الثقافة العسكرية العالية والثقافة التاريخية والنفسية الواعية ، فضلاً عما عمر به قلبه من عقيدة وإيمان وحفل به تاريخه من كفاح وأفضال . توفر له من هذا كله ما أهانه ويعينه على أن ينهض وحده بهذا العمل الضخم العظيم . . الذي يربط فيه بيننا وبين تاريخنا الحافل بعد انفصال دام كثيراً وما زال مستمراً بفعل المخططات الاستعمارية الأجنبية التي ما زالت تسكتب لنا تاريخنا - والعسكري منه بالذات - حتى اليوم .

تحسبي عبد المحي

صيدنا على وثبت عمرو بن العاص معاوية . . يقول المؤلف ص ١٨٥ . كان أبو موسى الأشعري يحرص أشد الحرص على إخماد نيران الفتنة بين المسلمين ، ولست أشك أنه كان يعمل لآخرته أكثر مما كان يعمل لدنياءه ، وكان راغباً عن الفتنة كارها لقتال المسلمين ، وكانت حجته الواضحة لتبرير موقفه ، هو أنه لا يمكن أن يقاتل قوماً يؤمنون بالله ويصدقون وسوله ، ولا عمل أبداً لهم بعض المؤرخين أن أبا موسى كان مغفلاً لا علم له بالسياسة ، لذلك غدر به عمرو بن العاص ، ولكنه كان يريد الله بكل أعماله ، وما أصدق الحسن في قوله : « كان الحنك أبو موسى وعمرو بن العاص ، وكان أحدهما يبتغي الدنيا والآخر يبتغي الآخرة » .

ولكن رغم هذا الدفاع الحار نحمد المكاتب يذكر في صفحة ٢٣٧ قول الأحنف بن قيس التميمي لعلي بن أبي طالب ، وهو يبيد رأيه في أبي موسى الأشعري مثل علي في التحكيم . « يا أمير المؤمنين ! إن أبا موسى الأشعري رجل يمان وقومه مع معاوية ، فابغضني معه ، فواقه لا يحل لك عقدة إلا عقدت لك أشد منها فإن قلت : إنى لست من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، فابغض ابن عباس وابغضني معه » .

ولكننا رغم ذلك نميل إلى رأى المؤلف الأول في دفاعه عن أبي موسى الأشعري . وإلى جانب هذه الدراسات الممتعة لسيرة قوادنا العظام قام المؤلف ببعض التحقيقات العلمية وذلك لتصحيح بعض الوقائع التاريخية أو تصحيح بعض الأسماء والأماكن . . من ذلك مثلاً ، تصحيحه لاشتراك البراء بن هازب الأوسي الأنصاري في بعض غزوات الرسول . وخاصة غزوة أحد . . فيقول في حاشية

انبناء وإنشاء

أما الغرض الاساسى للجامعة فهو توثيق العلاقة بين الناس في ظل الدين .

وقال المنذوب : لاحظت أن رئيس الحكومة السيد زكريا يحيى الدين أشار في خطابه أمام البرلمان إلى تنظيم الأسرة وتحديد النسل . فإسرها هذا الاهتمام المفاجئ ؟ .

ج - ليس هناك سر ولا مفاجأة فإن الاهتمام بهذه الجوانب قبل الثورة كان ضيق الحدود . أما بعد الثورة فإن التعليم توسع وأصبح العلم متاحاً لجميع أبناء الشعب فتضخمت نفقاته .

كذلك كان هناك قبل الثورة فروق ضخمة بين الطبقات فطبقة سادة وطبقة هيبه ، وهذه الصورة انتهت بعد قيام الثورة التي عملت على تحقيق العدالة الاجتماعية ، ورفع مستوى المعيشة لم يكن معروفاً قبل الثورة أما بعدها فقد أصبح هدفاً رئيسياً فزادت احتياجاتنا مما اضطرنا إلى العناية بمواردها ليزيد دخلنا .

أما عن تحديد النسل فإن إماماً من أئمة المسلمين وهو حجة الإسلام الغزالي ، قال منذ حوالي تسعة قرون : « إذا كانت الزوجة تحشى على رشاقها من كثرة الحمل بما قد يؤثر على علاقتها بزوجها فلها ديناً أن تحدد نسلها وذلك لكي تظل العلاقة بينها وبين زوجها وثيقة » .

كذلك فإن كثرة الأولاد ترهق الزوج بكثرة المطالب فإذا أبيع للزوجة أن تحدد النسل لحفظ رشاقها فإن لها أيضاً أن تحافظ على علاقتها بزوجها بتحديد النسل لكي لا ترهقه ولكي تتمكن من تنشئة أولادها تنشئة سليمة .

حديث لفضية الأستاذ الباقوى مع مندوب جريدة أمريكية :

فيما يلي نص حديث فضيلة الأستاذ أحمد حسن الباقوى مدير جامعة الأزهر . للسيد Joe Mouiz مندوب جريدة Los Angles Times الأمريكية . قال المنذوب : ما هى رسالة الجامعة وما الغرض من إنشائها والدور الذى تقوم به ؟ .

ج - أحب أن أهد للحدث من جامعة الأزهر بمقدمة موجزة تخلص فى أن بلادنا وحاجتنا الاجتماعية وطبيعة أرضنا لا تستغنى عن الدين . وجامعة الأزهر أنشئت لتخدم الإسلام .

والإسلام له جانبان : جانب روحى ، وجانب مادى . الأول يخدم الناحية الروحية فى الإنسان ، والثانى يخدم الجانب المادى للإنسان من النواحي الاجتماعية والزراعية والصحية والهندسية ... إلخ . وكانت الجامعة تقتصر على خدمة الجانب الروحى فلما جاءت الثورة وشرعت فى إصلاح كل الجوانب تناولات الأزهر ، وأول من اهتم بإنشاء جامعة الأزهر الحديثة وفتح البكليات العملية بها كان الرئيس جمال عبد الناصر وبتوجيهات سيادته أنشئت البكليات التى تخدم الجانب المادى الإنسان من زراعة وهندسة وطب ... إلخ .

ومن أكبر ما اهتمت به الجامعة تنشئة الفتاة المسلمة فأنشئت كلية البنات بشعبها المختلفة من علوم إسلامية وطب وأدب وترجمة فورية وفلسفة وعلوم تربوية وعلم النفس وتأمل أن تكون هذه الكلية نواة لجامعة إسلامية للبنات .

ولكن الفتوى كانت بحاجة إلى شيء من التحري قبل إصدارها وظهورها .

ونفرتها مجلة الأزهر في عدد رجب وشعبان وفي الفتوى المنشورة أن الزكاة في أسهم الشركتين هي ربع العشر وذلك صحيح .

ولكن السهو الذي وقع هو تحديد الزكاة بعام واحد فقط قبل القبض لاعتبار الأسهم ديناً وذلك هو السهو الذي وقع والصواب أن الزكاة واجبة عن الأسهم كل عام لأنها من قبيل عروض التجارة

المعدة للاستثمار وليست من قبيل الدين وأقّه تعالى أعلامه .

* * *

تصحيح نسبة بيت :

لفت نظري القارئ الفاضل الطاهر أحمد مولانا ، إلى أن البيت الذي ذكرته في موضوع الجانب العلوي للقرآن من إعجاز القرآن الكريم نسب خطأ إلى شوقي وهو للإمام الجوصيري رحمه الله والبيت :

كفكف بالعلم في الأبي معجزة

في الجاهلية والتأديب في اليتيم

عبد الرحيم فودة

وزير لشئون الأزهر :

● أصدر الرئيس جمال عبد الناصر القرار التالي :

يتولى السيد / عبد الفتاح حسن وزير الدولة مسئوليات وزير شئون الأزهر المنصوص عليها في القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ د وهو القانون الخاص بإعادة تنظيم الأزهر والهيئات التي يشملها ، وصدر القرار برئاسة الجمهورية في خمسة عشر من شوال سنة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ / ٢ / ٥

وقد روى عن بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وم أولئك الذين كانوا مقربين إلى الرسول) قولهم : كنا نعمل على عهد رسول الله ، وهذه أصح طريقة لتحديد النسل وهي خير من المستحضرات الطبية المعدة لمنع الحمل .

والفقهاء يشترطون في العزل رضا الزوجة مراعاة لحرية المرأة .

ومثل هذا أنفأنا كلية البنات بجامعة الأزهر لتفهم المطالبات الحقائق الفقهية .

ومن الخطأ أن فعلل تحديد النسل بأسباب تتعلق بالرزق فالسلبون يؤمنون أن الله حين إعطاء الناس . ويمكننا أن فعلل تحديد النسل بعدم القدرة على تربية الأولاد أو المحافظة على الزوجة . أما بالنسبة للطعام فعليتنا أن نهاجر إذا ضاق (لم يكن متوفراً) الرزق .

س - هل من تقاليد الإسلام ضرورة لبس العمامة ؟

ج - الإحلام لا يتقيد بزي خاص فالناس أحرار فيما يلبسون والبيئة لها حكمها في هذا الشأن فهل يتصور أن سكان خط الاستواء مثلاً يمشون عراة الزموس ؟

وهل يستريح رجال السودان والمناطق الحارة لرباط الرقبة في شهور الصيف ؟

إن الأزياء تتبع في الحقيقة الجو والبيئة أكثر مما تتبع الأحكام والشرائع .

تصحيح في فتوى :

تلقت لجنة الفتوى بالأزهر سؤالاً عن زكاة أسهم جمعية البرول وكذلك أسهم الشركة القومية للأسمدة . وقد كتبت للجنة فتواها في هذين الأمرين ،

● صرح الدكتور سليمان حزين وزير الثقافة بأنه تم الاتفاق على إنشاء مؤسسة عربية للطباعة والنشر في المنطقة الحرة بمدينة بورسعيد برأس مال مشترك بين الجمهورية العربية المتحدة والكويت قدره مليونان ونصف مليون جنيه مناصفة بين البلدين لإنفا. مطابع على أحدث النظم العالمية .

وستكون مطابع المؤسسة في خدمة البلاد العربية ، والاشتراك فيها مفتوح لهذه البلاد لتستطيع أي دولة عربية المهمة بزيادة رأس المال . ومن أهم أهداف هذه المؤسسة خدمة المتعلمين والمتفهمين في البلاد العربية والإفريقية ونشر التراث العربي وإعداد المعاجم والأطالس على مختلف المستويات . وسيشرف على المؤسسة مجلس إدارة مشترك من الكويت والجمهورية العربية المتحدة .

● تضمنت الخطة الخمسية الثانية للجمهورية العربية المتحدة اعتماد مليون ومائة وأربعين ألف جنيه لمشروع المؤسسة العربية الإسلامية ، ويهدف هذا المشروع إلى تحقيق التوسع في تعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية في بلاد آسيا وإفريقيا كما يهدف أيضاً إلى مساعدة أهالي تلك البلاد بتيسير علاجهم . وسينفذ هذا المشروع الضخم من طريق إقامة مبنى في البلد الذي يقع عليه الاختيار للتنفيذ على أن يتضمن المبنى مسجداً ومعهداً دينياً ووحدة صحفية ومكتبة . وسيتم تمويل المشروع من الأموال الموقوفة على التعليم والعلاج .

● كذلك يدرس المسؤولون مشروعا بإنشاء مراكز دائمة لتحفيظ القرآن الكريم في بلاد العالم الإسلامي لتخرج أكبر عدد من حفظة القرآن من أبناء هذه البلاد وذلك عوضاً عن إيفاد القراء الذين يحيون شهراً واحداً في العام هو شهر رمضان .

● تم إعداد اللائحة الجديدة لقانون تطوير الأزهر . وستحدد اللائحة اختصاصات الأستاذ الأكبر ، ووزير شؤون الأزهر ، ومدير الجامعة الأزهرية ، والأمين العام للأزهر وكبار المسؤولين كما ستضمن قواعد جديدة للعمل بها في المعاهد الأزهرية وجامعة الأزهر ، وتشمل كذلك حلا للشكلات التي واجهت العمل في بعض الإدارات منذ صدور قانون التطوير .

● استقبل الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وفدا من جنوب إفريقيا ، وقد أخبروا فضيلته بإعلان إسلام عدد كبير من مواطنهم ، وعلموا فضيلته أن يمدم بكتب إسلامية باللغة الإنجليزية ، وقد وعدم بطبع كتب إسلامية بالحجم الصغير لتناول جميع الفرائض لتوزع في إفريقيا .

● رعاية الشباب والتربية الاجتماعية بجامعة الأزهر نظمت مسابقة في القراءة الحرة هذا العام بجميع السكليات ، وقد فاز خمسة وأربعون طالبا بجوائز بلغت قيمتها الألف جنيه .

● بدأ في ١٥/١٠/١٣٨٥ برنامج تعليم اللغة العربية بالإذاعة ويوجه إلى المتكلمين بالإنجليزية في الهند وباكستان وإفريقيا الشرقية والغربية ، وقد تم توزيع خمسة آلاف نسخة من الكتب المعدة لهذه الدراسة أرسلت بالطائرة إلى مختلف البلدان الموجهة إليها .

● أعد المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية مشروعا لكتابة السيرة النبوية مفصلة بتوسع كاف وذلك للانتفاع بها في مختلف أنحاء العالم الإسلامي وترجمتها إلى مختلف اللغات الحية ، وقد قسمت السيرة إلى واحد وعشرين قسما . سيصدر كل قسم في مجلد .

يرتكز عليها البحث في هذا الموضوع الخطير هو أن تنفيذ هذا الاقتراح معناه إمكان دخول المملكة السعودية بجواز سفر لإسرائيل.

● أجري «تون عبد الرازق»، نائب رئيس وزراء ماليزيا محادثات مع المسؤولين اللبنانيين لبحث وسائل تعزيز العلاقات بين البلدين خلال زيارته للبنان التي تمت في رمضان ١٣٨٥ هـ.

● افتتح في مدينة فاكن بارو عاصمة منطقة ريو في جزيرة سومطرة كلية تربية لتعليم الشريعة الإسلامية واللغة العربية. وبالمدينة نفسها كليتان للحقوق والعلوم الفقهية تدرس فيهما اللغة العربية والعلوم الإسلامية.

بعد افتتاح كلية التربية اعترفت الحكومة الأندونيسية بأن هذه الكليات تشكل جامعة سومطرة الإسلامية إحدى جامعات أندونيسيا.

● اعترفت الحكومة المحلية في مونترغال بالمركز الإسلامي. وأدى ذلك إلى منح المسلمين حرية أداء الشعائر الدينية.

● تظفر المكتبة العربية بعهد «السياسة، والادب، والأخلاق، لأرسطو بترجمة والدراما، من مؤلفات الفيلسوف الكبير يقوم بالترجمة أحد أساتذة الأدب الإنجليزى بأداب القاهرة.

كذلك يصدر كتاب «تثقيف اللسان، لابن مكي الصقلي». تحقيق الدكتور عبد العزيز مطر، ويتناول الكتاب الكلمات العامية ومقابلها في اللغة الفصحى، كما يتناول المصطلحات التي شاعت في عصر ابن مكي.

● طلب سفير الجمهورية العربية المتحدة في الجزائر إمداده بشروح تعاليم الإسلام باللغة الجربية، وذلك بعد أن تقدمت خمس فتيات مجريات برغبتن في اعتناق الإسلام.

● اعتمدت وزارة الأوقاف ثلاثين ألف جنيه لتزويد مكتبات المساجد بالمكتب الجامعية والمراجع العلمية والمؤلفات النادرة حتى يتيسر لطلبة الجامعات مراجعة دروسهم، ويجدون فرصاً أوسع للاستذكار وينفذ المشروع أولاً بمدينة القاهرة في مساجد: الإمام الحسين رضى الله عنه، وصالح الدين بالمنيل، وعمر مكرم بميدان التحرير.

وقد تم اختيار مكتبات هذه المساجد بعد أن أعدت قاعاتها للتلائم حاجة المطالع على هذه الكتب كما زودت بالفنيين في فهرسة المكتبات والأمناء المختصين والإضاءة الملائمة.

● التطوع بنقل الدم تجزئه لجنة الفتوى بالأزهر: أجابت لجنة الفتوى بالأزهر عن سؤال وجه إليها من أمانة الهلال الأحمر عن رأى الشرع الإسلامى فى التطوع بنقل الدم ... قالت: إن التطوع بنقل الدم جائز بشرط أن تكون صحة المنقول منه قوية، وأن يكون الدم خالياً من الأمراض المعدية حتى لا تنتقل العدوى إلى غيره.

● بعثت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بمذكرة إلى حكومات الدول الأعضاء تطلب فيها سن تشريعات خاصة بحجج الأمية في كل منها بما يتناسب وظروفها ثم إرسالها إلى الجامعة العربية في موعد غايته ربيع الآخر من العام المقبل حتى تستطيع الأمانة العامة أن تنسق بين هذه التشريعات قبل بدء الحملة الخاصة بحجج الأمية بالبلاد العربية التي ستبدأ في رجب القادم.

● يجرى مؤتمر أجهزة فلسطين بحثاً في مسألة السماح للمسلمين من عرب فلسطين المقيمين في إسرائيل بتأدية فريضة الحج مثلاً يسمح للمسيحيين في إسرائيل بزيارة الأماكن المقدسة في القدس. والنقطة التي

فهرس أبجدي عام

لموضوعات المجلد السابع والثلاثين

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٤٤	إلى أى مدى تتغير الأحكام الشرعية	(١)	
٣٠٥/٢٤٤	بتغير الأزمان	١٤٧	الإنسان بين طموحه وجموحه
٤٣٣	أما آن لابن آدم أن يعقل ؟	٤٦٦	أبعاد في الأدب العربي
٥٠٢	أم القرى	٣١٧	ابن رشيقي الناقد الشاعر
(ب)		٥٤٧	أبو معشر البلخي
٢٧٢	بحث في الإيمان والإسلام	٢١٥	إثنين دينيه : ناصر الدين
٤٤٤	البعث والجزاء	٤٧٢	أثر الأزهر في الحركات الشعبية
١١٥	بعيدا عن جلسات المؤتمر	٥١	أثر الحضارة الإسلامية في رقي البشرية وسعادتها
٢٧٩	بكورة الفتنة «فتوى»	١٥٤	أثر المسلمين في القانون الدولي
٣٦٢	بناء المسجد يحجز من غير مسلم «فتوى»	١٩٠	اختيار العمال في الإسلام
(ت)		٢٣٦	الأخوة الفتيان صورة من اشتراكية الإسلام
١٧٠	تأثير التوايع والروايع في رسالة الغفران	٥٠٥	آداب الحج
١٥٦/٧٩	التأمين	٣٤١	الأدب بين قديما وحديثهم
٣٥٣/٢٦٨		٤٧٦	الأدب الإسلامي حقائق ونماذج
٤٧٨/٤١٦		٢٣٣	الأدب الفاحش
٥٤٣		٣٠٢	الأديان السابوية والنقد الحديث
٢٨٤	التحرر من الجوع	٣٤٥	الأزهر بين القديم والحديث
٢٧١	تحفة شهر رمضان	٤٩٩	أسباب الخلود والحفظ في الشريعة ذاتية
١٨١	تراثنا الإسلامي	٢٢	استثمار الأموال في الإسلام
٣٩	تربية الشباب على مبادئ الإسلام	٤٤٧	الأسرة بين الشريعة والميثاق القومي
٥٣٧	تصوير المعارك الحربية في شعر البارودي	٤١٠	الإسلام والعلاقات الإنسانية في مجال العمل
٤٢١/١٩٦	التعليم الإسلامي في أفريقيا	١٦٨	الإسلام والمجتمع
٢٣٤	تقلبات الإنسان في سرائره وضرائره	٤٩٠	الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا «كتاب»
٤٩٥	تلحين القرآن	٢١٨	أصداء الدين في الشعر المصري الحديث «كتاب»
٦٨	تنظيم النسل	٤٤٢	أضواء القرآن تعشى أبصار المسكدين
١٢٣	توصيات الفترة الأولى (مؤتمر)		

المصنعة	الموضوع
٣٩٦	رمضان في العالم الإسلامي
٢٠٥	الروحية الحديثة تلبس من الشيطان
(ز)	
٤٣١	زكاة الفطر من الشخص الواحد (فتوى)
٤٦٥	زيارة وفد السودان لمصر (قصيدة)
(س)	
٣٨٥	سر النصر في بدر
٥١٥	السلام في الإسلام
٢٣٠	سلطة الشعب في رأى مهر
(ش)	
٣٣	شبابنا المثقف أمام الإيمان والتمدين
٢٢٢	الشيوعية المائدة (فتوى)
(ص)	
٢٦٠/١٧٦	الصراع الأدنى (كتاب)
٩٠	الصدقة في الإسلام
١٨٣	صقلية والنشاط العلمى
٣٩٣	الصمت في الأديان
٢٧٩	الصوم شريعة عامة بين البشر
٣٩٠	الصوم طاعة وتربية
(ط)	
٢٨٨	الطريقة الحديثة اعرض الأدب
(ع)	
٣١٩	هجرية إمام (أبى حنيفة)
١٥١	هظمة المهاجرين والأنصار
٣٤٨	العلم لا يفنى من الدين
٥٣٤	هوامل انتشار الإسلام في الهند
(ف)	
٣٦٣	الفاروق الفزائد (كتاب)
١٦٥	فجر الفكر الإسلامى فى مصر

المصنعة	الموضوع
(ج)	
٤٠٤	الجانب العلمى من إعجاز القرآن الكريم
٤١٣/٢٤٠	الجمال فى القرآن الكريم
٢٨١	جزيرة الروضة فى التاريخ
٢٧٩	الجن فى القرآن الكريم ، فتوى
(ح)	
٤٩٧	الحج فريضة اجتماعية
١٣٨	حرية التفكير والتعبير فى الإسلام
٢٠٩	الحضارة العربية
٣١٢/٢٤٧	حقوق العمال فى الإسلام
٢٩٦	الحقيقة فى مشكلة فلسطين
٤٠٧	للكاتب الهولاندى . ف . ه . ليونارد
٢٠١	الحياة الأدبية فى مصر سيف الدولة الحدادى
(خ)	
٢٢٤	الختان وقاية من أمراض سرطان الرحم (نبأ)
(د)	
٣٥	الدراسات الإسلامية وعلاقتها بالنشريع القانونى
٤٥٠	دراسات حول القرآن الكريم
٤	الهدوء إلى المؤتمر
٥١٢	الدنيا كأرض تزدهر ثم تقفر على غير انتظار
(ذ)	
٢٢١	الذبح بالآلات الحديثة جائز (فتوى)
(ر)	
١٢٩	رأى الإسلام فى جرائم « الإخوان »
٥١٨	رأى العقاد فى العقيدة الدينية
٥٠٨	رحلات الحج فى العصور الوسطى
٣٠٨	رجال الجسوف فى الأرض الخراب

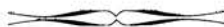
الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٤٣٨ ...	الاجتماع الاشتراكي في ظل الإسلام	٢٥٣ ...	الفراغ النفسي عند الشباب
٣٢٩ / ٢٥٧ ...	محمد رسول الحرية	٢٦٥ ...	الفكر الديني في مصر
٣٩٩ ...	محمد رسول الحرية ايس كتاب سيرة	٤٨٦ ...	الفكر السياسي في الإسلام
٣٨٧ ...	المرأى في ذكراه	٦١ ...	فلسطين وإسرائيل
٤٢٧ — — —	مظاهر الحصار الإسلامية	٤٥٤ / ٣٢٤ ...	الفلسفة الجينية
٢٨ — — —	للعاملات المصرفية المعاصرة		
٤٣ — — —	مقومات الحضارة الإسلامية	(ق)	
٢٥١ — — —	مكانة الأسرة في الإسلام	١٢٥ ...	قرارات وتوصيات الفترة الثانية لل مؤتمر
١٠١ — — —	مناقشات المؤتمر	٥٢٣ ...	قصة الطوفان
٢١٤ ...	من الامام الأكبر إلى حكومتى الهند وباكستان	١٦١ ...	قضية المرأة
٢٥٦ ...	من تطلب الحاجات (قصيدة)	(ك)	
٣٧٧ ...	من مساجلات القرآن في الإقناع بالإيمان والعمل به	٤٣٦ {	كفاح الرسول عليه السلام في سبيل
٢٣٦ ...	المواسم الإسلامية وصدائها في الشعر الحديث		الوحدة والأعلاء ...
(ن)			كلية الامام الأكبر في افتتاح المؤتمر الثاني
٣٧٤ / ١٣٥ — — —	نظرات في فقه عمر	١١ ...	كلية فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الله غوشة
٣٥٨ — — —	نظرة جديدة في الفلسفة الإسلامية	١٢ ...	كلية السيد الدكتور الأمين العام للجمع
٢٩٣ — — —	نعم الله علينا نقضى الإيمان به	١٩ ...	كلية السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية
(هـ)		٥٢٩ ...	كل ما في الجبارى صحيح
		١٣٢ ...	كيف مهد الأدب للشورى وبشر بالوحدة
		(ل)	
هبة المرأة نفعا لرجل ليست زواجا شرعيا		٢٧٥ ...	لا لاء الفعر (ديوان شعر)
٢٧٨ — — —	(فتوى)	٤٥٩ ...	لا تظنوا ابن عباس
٢٢٢ ...	هل سبى النبي صلى الله عليه وسلم وأحد، بعد وفاته	٥٢١ ...	الحسن لم يتم
٢٨٨ {	هيئة الأمم في رأى الأستاذ الأكبر بمناسبة	٣٨٢ ...	لا صوم لبخيل
	عيدها العشرين	٢٢٥ ...	لماذا يقدر المصريون الحبيب؟
(و)		(م)	
٤٦٩ ...	واجبات العمال في الإسلام	١ ...	المؤتمر الثانى لجمع البحوث الإسلامية
(ى)		٢٨٦ ...	مالا بدسه للفقيه
٥٤٠ ...	اليهود في الأندلس	٣٦٩ ...	المبادئ المثالية في الإسلام

thought to greet the new day with an open mind and a strong heart. The Light of Islam is shining through the mists of a fresh dawn and it is this very light which has given inspiration to the enslaved peoples of the world, encouraging them to set themselves free from the influence of dominating foreign powers and the evils of iniquity. Islam is not a dead religion as some would have us believe, but a live and vigorous faith just awakening to its true destiny, the destiny of a world religion. . . for Islam is not for one race or one people, one country or one continent, but for the entire world. Islam holds out its arms to everyone and welcomes all in a warm embrace of love, a love that recognises every people as the sublime creation of Allah, The Magnificent and Only God.

With a new day comes new ways, which to the older and orthodox people, may seem unsuitable for a Muslim but if these ways do not go against the teachings of the Qur'an and Mohammad (may peace be with him) then how can they be wrong? For in the Qur'an lies the answer to man's every need and Mohammad is the perfect example, for all to follow. By new ways I do not mean a laxity of morals or how men, after having worn basically the same

dress satisfactorily for over three thousand years, suddenly want to change it as being impractical. Or such things as the continual shortening of women's skirts just for the sake of fashion so that when a woman sits down she often shows an expanse of thigh, this is in the worst of taste and quite un-Islamic. In woman's sweet flush of freedom she is now no longer the woman of mystery but has become an open secret to all. Here lies a great danger to Islam as for thousands of years the

important role of woman, as that of man, has been understood and they have been a perfect balance for each other, destroy this natural balance of nature and you destroy society — men and women were created by Allah as compliments to each other, om and mega, but not the same. Equality of *rights* is essential, equality of sex is an impossibility. Physiologically, anatomically and psychologically the 'two sexes' are completely and utterly different. In their fight for liberty women lose sight of this unescapable fact and the slogan becomes simply "Equality of Sex", when and if this happens there is sexual chaos as both men and women are forced out of their natural sphere to wander in a negative land artificially created.



knowledge of this lies in the Quran which is humanities only hope of sanity after wandering so far from a spirituality and into a mad materialness leading to nuclear oblivion. Some people ask why should we believe in the Quran or how do we know it is true, these are honest questions and the answer can be arrived at by simple logic.

Accepting that Allah is the One God, we must also accept that He is both transcendent and immanent. Transcendent in the fact that He is complete and whole apart from us, whether we exist or not makes no difference to His being, we neither subtract nor do we add to His majesty. He is One, independent of all known things to man, above and beyond all conceptions of man... for how can the infinite be held by the finite mind? As Allah created us and gave us life He is, therefore, immanent too; for as nothing can exist without His will then it follows that we are contained in His will. Thus His holy presence must pervade everywhere and in everything.. for All matter is a form of life.

Granting these things, we must also grant that Allah must have love for us for why should He create something that is hateful to Him, and if He has love for us then is it not reasonable to suppose that He would try to help us in some way? Does not even a mere man help his son? Thus we can understand why the Qur'an was given to us through the Prophet (may peace be with him), for if we wish to know something pertaining to the arts and science then we consult the appropriate book, this is the natural thing to do

and we consult the book we know is written by the best authority on the subject. . . so if we wish to know about Allah, then what better book could there be than the Qur'an and what better authority than what has been revealed to Mohammad.

The Qur'an is not a static monument to a dead past but a living source of truth originating in an Arabic era that gave us a magnificent inheritance, an inheritance that should not be lightly cast aside as worthless. The words of the Qur'an are as full of meaning today as they were for our forefathers, they are the Words of wisdom sent from Allah for all peoples. . . as such they are beyond time for they were conceived out of time for all time. Then the world opens up before us as, being one with life, it welcomes us as part of it and not alien to its nature. Mohammad (may peace be with him) attained this stage, and far more, becoming the last greatest prophet of all and though a man he he was such a man like there has never lived and never will. . . for he is the chosen and most blessed from all men through whom Allah purified His worship with the religion of Islam.

(4)

Islam, today, is like a man awaking from a deep sleep and in truth it has been a long dark night for Islam, but now the dawn is here and once more Muslims are holding their heads high in freedom and independence of all, except Allah. For many years Islam has lain dormant but now has risen up from its bed of captivity in rigid

them as there is much that is harmful and dangerous, the Western people have lost a lot in their struggle forward and their society is now unbalanced and out-of-phase with the natural way of life, they have luxury but not contentment. I think this is mainly due to the last two wars, the industrial revolution, the equality of sex and, most of all, the loss of faith in the Christian Church... it is a poor fact that most people go to church three times in their life, once to be christened, once to be married and the last time to be buried. Without roots a tree will fall and so will any civilization, no matter how advanced they may be, that rests on shifting sands of doubt and disbelief. But Islam has strong roots in Allah's soil and if we study their immortal principles then from these roots will spring forth the Tree of Eternal Faith deep within our souls, its beauty will refresh us, its strength shelter us, its fruit be food for our spirit and its spirit our strength.

This is why every Muslim of every country should study and know their religion but also their language, Arabic; for Arabic is part of our heritage as well as being the language of the Quran. A holy language, for was it not in this that Allah revealed the Qur'an? The two are an inseparable key to understanding the world about us and with this the barriers between are broken down, casting out suspicion we come to really know each other in unity and brotherhood and on this sound base can be built the towering edifice of Islamic science. All Muslims have a common faith and a common language, which equals a common purpose - Islam; and

if we know our purpose we know how to lead full lives fitting to Allah's creation and therefore, pleasing to Him.

Throughout the years man has sought knowledge and he learned well, one has only to look at the old monuments and manuscripts still in existence to see this fact, they are an inspiration to us all as they were to the men of that day and we can still learn from these wise men... though many of their secrets are buried with them they bequeathed to us the superb spirit of enquiry. To ask WHY? This is the important little word that opens the universe to man - but only if he is fit enough to take it, for it is true that man must first know himself before he can know. It is no good having knowledge if we do not know how to use it, the most brilliant scholar is lost against the wise man who lives within the harmonious rhythm of life - for this man has an understanding which is beyond the bounds of the scholar's comprehension.

(3)

To attain this state one must have faith, which is something often lacking in the world today, but it is a necessity for without it man is lost in a labyrinth of such complexity he will never find his way out. In man's mad rush into the realms of science he has ignored the most important realm of all, the realm of the spirit. It is here that Islam stands supreme. Man must learn that the material and the spiritual go hand in hand, without the one the other is helpless, together they form the perfect pair... a pair which all men must obtain. The

To visit the ancient land of Egypt has always been a desire of mine, it's historic story has long fascinated me for there is so much of man's past here and the whole world knows of Egypt's fabulous treasures, indeed the entire country is one land of treasure. The wonder of the Pyramids is famous and when I first saw them I felt a strong sense of timelessness; so many years have passed since they were built and still they stand, 'mid sand and sun, a majestic and mysterious monument of a lost age that built with heaviest stone as if it were lightest floss. Now I found a modern Egypt, The United Arab Republic, fast building it's resources so that once more it is a strong nation and a fitting partner in the Arab world. It's President, Gamal Abdul Nasser, has proved himself a supreme leader of his nation by winning the respect of all. Allah willing, the U. A. R. cannot fail in its mighty surge forward to prosperity and peace... for its people have a will forged over the years in their fight for freedom.

I arrived in the U.A.R. at port Said, the scene of bitter fighting between our countries, and from the moment of landing I found only kindness from all I met - really, I felt I was coming home. The friendliness of the Egyptian people is overwhelming and I found a special and dear friend in H. E. Al - Sheikh Bakouri. The first time we met I felt rather shy for his fame and reputation preceded him, but his kindly informal greeting soon made me respond and I felt a great attraction towards this warm personality; indeed he has proved himself a true friend and I shall always be grateful for the honour of knowing him.

Egypt has such a long history that one cannot fail to learn just by being in the country, but the centre of learning is Al-Azhar, this oldest university in the world has been known for over a thousand years as the focus of Islamic thought and its name is renowned for the part it has played in Islamic history. From every Muslim land come men and women to study here and I, too, came to study the Arabic language, theology and philosophy from its learned men. It is not easy and there is much to learn, but if one has the will, then all is won, Allah willing, and one has the wonder of learning something new about the oldest religion of man.

(2)

Al-Azhar and other universities offer us a great deal, we must take what they offer and learn well for knowledge brings power and this we must have if we are to survive in a mainly hostile world, for life is an endless fight in which the weak are at the mercy of the unscrupulous. It is knowledge which gave the West their great strength and while much of what we learn comes from them, we should always remember that what they have is based on what Muslim scholars gave centuries ago when Europe was going through the so called "Dark Ages". At that time it was to the Muslim universities European students came to drink from the fountain of knowledge and learn what they could not find in their own countries and, it was on that knowledge only, their present civilization has grown to its fantastic strength.

If we would progress we must also use discrimination in what we learn from

My Experience of Islam

THE RIGHT PATH

(4)

By : Raschid Ansari

(Robert Wellesley)



Before I left I wrote to Karachi telling of my decision and accepting their invitation to stay and study Islam if ever I became a Muslim, while I waited for a reply I lived with some good friends in Mardas and it was there I had the pleasure of meeting my first Egyptian, Prof. Ahmed Sharkawi of Al-Azhar University, to whom I told my story. One day as we were walking to the mosque, where he had shown me how to pray in Muslim fashion, he suggested it was an appropriate time for the ceremony of accepting me into the Muslim faith and so, in front of the Chief Khazi and gathering of people, I nervously recited in Arabic "There is no God but Allah and Mohammad is His prophet"; then I stumbled through the opening chapter of the Qur'an, "The Fatihah", and became from then on Raschid Al-Ansari, a Muslim. My heart was far too full to speak as they all crowded round to congratulate and welcome me into Islam, it was a moment of joy that comes rarely in a man's life and, in a way, I felt that was what I had just become... a man.

The Ending

(1)

Really there is no ending, one can but bring to a close certain events. In 1963 I returned to England only to find I was a stranger in my own country, I was no longer an Englishman... I was a Muslim, and I thought and acted like one. Too much had happened since I had been away for me ever to return to the normal Western way of life, I was not at ease and always my ear was listening for the "Azan", the call to prayer, but all I heard was The Beatels or some outlandish group of juveniles wailing a prehistoric melody. It was both strange and sad, my mother was my consolation when she became a Muslim with the name of Miriam and when I told her I was returning to the East she wanted to come very much, unfortunately her delicate health made such a journey impossible. So once more I left England and came to the East, but this time as a Muslim returning to his own people.

be a mark of the begining encircling Ka'aba. The next step is running between Safa and Marwa seven times begining with Safa and ending with Marwa. Then the pilgrim starts for going to 'Arafah or Arafath', provided he reaches his distination on the ninth day of the Dhul-Hijjah. The devotion of standing at Arafath is the most important of all pilgrimage actions, so that the prophet is reported to had said : « الحج عرفة » (Pilgrimage is standing at Arafah). When the pilgrim leaves Arafah, he passes by the place known as "Al-Muzdalifah" which is referred to in the Holy Quran as the Holy Monument. The pilgrim reaches the area of 'Mina' on the morning of the tenth day of the month Dhul-Hijjah which is called "Yawm al-Nahr" or the slaughter Day, in which the pilgrim casts seven stones known as "Jamrat al-Aqaba."

Throwing these stones, the pilgrim now is allowed to shave or cut short his hair. He is able to slaughter his offering if that is required of him. Then, he goes round Ka'aba in seven circuits called Tawaf al-Ifada. But when the pilgrim intends to go back home he has to go round Ka'aba again as a farewell to the Sacred House. It is called : « طواف الوداع » (The Farewell circuits). By farewell circuits the pilgrimage ends and the pilgrim returns back home whith heartfelt pleasure and satisfaction.

« وما تفلحوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الأبواب . »

(And whatsoever good ye do Allah Knoweth it. So make provision for yourselves (hereafter) ; for the best provision is to ward off evil. Therefore keep your duty unto Me, O men of understanding).

(Continued from page 8)

would be to make others share the attributes of God and to lose the basic conception of the Unity of God.

What ever may be the degenerate practices in the Muslim world today, the Quran strictly forbids such appeals for help to any god or angel or intercessor, and Muhammad himself proclaimed over and over again that he was but an ordinary being, like everyone else, and no more than a mere messenger of God, as there had been innumerable messengers before him. Just before his death also he uttered a severe warning against worship of his grave. And a reminder of this was given dramatically by

Abu-Bakar, Muhammad's successor as the head of the Muslim community, when Muhammad died. Even those who should have been fully enlightened by their long association with Muhammad were naturally prostrate with grief and desolate. Abu-Bakar himself was no exception, but he also realised the danger to the young Muslim community from an undue feeling of helplessness at the loss of the leader, who was Prophet. He therefore pulled himself together and addressed those present. "Let him", he said, who worshipped Muhammad know that Muhammad is dead ; and let him who worshipped God remember that God will never die".

Pilgrimage, moreover, may be considered a world conference for all Muslim nations; a Congress that is called for by God, the Almighty, for the noble purposes. There around and inside the Sacred House, the Muslim meet his brothers-in-religion from all world continents. There will be no distinction between the one and the other. Differences of colour, race and nationality are levelled off, and the real bond between the muslims is sincere brotherhood.

In the congress of pilgrimage Muslims forget all national and international disputes. The Scholars of Islam realized the opportunity of their gathering for pilgrimage to exchange ideas. Caliphs, in the past used the season of pilgrimage to meet their subjects from remote places and investigate their problems. This pilgrimage is to be performed in the first nine days of Dhul Hijjah. The Holy Quran honours the months of pilgrimage and calls them the Sacred months because fighting, war and aggression were prohibited in these months since the building of the Sacred House.

« الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج » .

(The pilgrimage is (in) the well-known months, and whosoever is minded to perform the pilgrimage therein (Let him remember that) there is (to be) no lewdness nor abuse nor angry conversation on the pilgrimage). The months of pilgrimage are Shawwāl, Dhul-Qa'dah, Dhul-Hijjah and Muharram. This tradition was meant to give security to the pilgrims and visitors to Mecca. The Holy Quran Says :

« إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم » .

(Lo ! the number of months with Allah is twelve months by Allah's ordinance in the day that He created the heavens and the earth. Four of them are sacred : that is the right religion...) 9 : 36.

Besides this temporal sacredness, there is a sacredness regarding the locality of the sacred House "Ka'aba" and the Sacred town "Mecca" which extends over to include even the trees and animals of the area. So these sacred months are considered as a "truce" for all humankind.

There are basic actions and devotions to be performed in pilgrimage according to the order and system which was performed by the prophet. The first thing to be done in pilgrimage is the entry into the state of pilgrimage or "Ihram." Ihram has two aspects: the first is to declare the intention to perform pilgrimage for the sake of God. The intention combined with casting off all seamed and sewen clothes, shaving the head and shunning all kinds of luxury, ornamentation, obscene talk and offences. The second aspect of Ihram is the call of Talbiya'. Entering the state of ihram the pilgrim shall raise his voice and say :

« ابيك اللهم ليك » (here I am, O my Lord at your presence). This is a sign of obedience to show that the pilgrim is resigning himself completely to the ordinances of God; that He, the Almighty is the sole Owner of kingdom and favours and that to Him only is the praise and gratitude. When the pilgrim reaches Mecca, goes to the sacred Mosque and goes round it seven times for salutation beginning from the side of the Black Stone. This stone is an ordinary one put by the prophet Abraham in its specific place to

THE SIGNIFICANCES OF "HAJJ"

By : A. M. Mohiaddin Alwaye

Pilgrimage, is a unique journey through which the muslim reaches, with his soul and body, "the land made safe" (Mecca). There the visitor goes round the sacred House (Ka'aba), which is the symbol of the unity of Islam and Muslim. Every muslim should face the direction of "Ka'aba" every day in his prayers, and should visit and go round it once in his lifetime.

"Ka'aba" or the ancient house, as it is sometimes called in the Quran, is the first place of worship for mankind. It was built by the prophet Abraham, and his son the prophet Ismael. Abraham is known in history as the first enemy to polytheism, the destroyer of idols, the symbol of unitarian faith, and the father of the upright religion "hanifiyya". No wonder that Abraham is linked to the Muslim nation with strong bonds. The Holy Quran Says :

« ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن حنيفا مسلما وما كان من المشركين » .

(Abraham was not a Jew, nor yet a Christian, but he was an upright man who had surrendered (to Allah), and he was not of the idolaters) III : 67. Under such spiritual and historical considerations which attach Muslims to the Sacred House and its first builder Abraham, God, the Almighty, enjoined pilgrimage on every Muslim who is able to perform it. The Quran Says :

« إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين .

فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمنا ،
ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ... »

(Lo ! the first sanctuary appointed for mankind was that at Becca a blessed place, a guidance to the peoples. Wherein are plain memorials (of Allah's guidance); the place where Abraham stood up to pray ; and whosoever entereth it is safe. And pilgrimage to the House is a duty unto Allah for mankind, for him who can find a way thither...) III : 96,97.

The pilgrimage was enjoined in the ninth year after Hijra. The first objective of all kinds of worship is obedience and gratitude to God. They are prescribed for our happiness here in this life and in the life to come. The Quran Says :

« وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ... »

(And proclaim unto mankind the pilgrimage. They will come unto thee on foot and on every lean camel, they will come from every deep ravine. That they may witness things that are of benefit to them, and mention the name of Allah on appointed days...) XXII : 27,28

Pilgrimage is a spiritual provision for the Muslim. It fills his soul with obedience, fear of God, repentance from sins, love for the memory of the prophet and the early believers who helped him, and brotherly feelings. Pilgrimage also is a real education by travel, and thus it adds to man's knowledge and experience.

worship and who is deserving of worship. The unity of God is thus finally and firmly established and worship of anyone other than the One God is barred once for all. A common form of worship is to bow and to place one's forehead on the ground. The Quran restricted this to worship of God alone and severely forbade its practice in relation to anyone else. That those who call themselves Muslims do prostrate themselves today at tombs of saints all over the world is merely a sad commentary and how far we have strayed from the teaching of the Quran and what a sorry and distorted picture of Islam we present to the world.

The conception of Unity to be found in different religions of the world can be classified into three kinds :

1 — Unity of Being'. God is one and unique.

2 — Unity of Worship'. God is entitled to worship and we must all bow before Him.

3 — Unity of Attributes'. Not only is God one and entitled to worship, but all the attributes through which God manifests Himself belong to Him alone and none else shares those divine attributes. To make anyone else share any of those attributes with God is to give God partners and to destroy His unity.

Unity of the first two kinds was found in all the older religions, but the third kind was peculiar to Islam. By emphasising the Unity of Attributes, the Quran perfected the conception of Unity. Many gods were worshipped but there was also allegiance to a Supreme God. It did not occur to one to ask how it

was possible to worship more than one God because the Unity of Attributes did not form part of the conception of Unity. This was the case with Arabs also before Islam was revealed to them. If they were asked who created the world and the heavens they had no hesitation in replying that it was Allah. Nevertheless they also worshipped not only numerous gods but also men in high spiritual authority, not because the latter were gods but because they were the 'go-betweens' through whom alone one could reach God. Just as one could not approach a king directly but had to go through several other persons, it was felt that there must also be channels for approaching God. These channels or sponsors were referred to as angels among the Semitic races and as gods among Aryans. Men in high authority, Saints and priests, who were supposed to be the means of communication with God, were also considered worthy of worship. The Quran by emphasising the Unity of Attributes, swept aside all these notions and proclaimed that man needed no sponsors or intercessors to reach his God; He answers all who call upon Him with a true and faithful heart.

It is therefore not only unnecessary but a denial of the Unity of God and of Divine Mercy and Guidance to beg for any spiritual help except from God. There often comes a time in one's life when one has exhausted all avenues of material assistance and feels helpless. It is at such times that man intuitively calls upon gods, angels and saints for help and comfort. The Quran Says that such assistance must be asked for from God and from no one else, for to do so

(Continued on page 11)

So, just as man needs the protection of God the Preserver and the grace and bounty of God the Merciful, he cannot do without the divine quality of justice, which makes for organised good life and eliminates, or at least minimises, the elements of harm and mischief.

What is justice but the avoiding of excess? There should be neither too much nor too little, hence the use of scales as the emblem of justice. What is existence but the coming together of certain elements in exactly the right proportions? What is body but physical matter in right proportion? Good health depends upon moderation in the sense that there is not too little nor too much of anything which contributes to the existence of the body; any slight deviation leads to sickness. Similarly, beauty is a state of moderation and correct proportion. It is this which makes the human form beautiful and a flower attractive, shapes a building into a Taj Mahal and transforms sound into music. We see the same law operating throughout the entire universe. The planets have their place and movement fixed by a correct balance between their respective gravities. If that balance were to be disturbed by ever so little the planets would crash into each other.

« والسماء رفعها ووضع الميزان »

(And the sky He hath uplifted; and He hath set the measure) LV : 7. If the entire universe is based on this balance of justice, it cannot be that human thought and action are outside that law.

« أفنسير دين الله يفسدون ، وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون » .

(Do thy seek other than the religion of Allah, when unto Him submitteth whosoever is in the heavens and the earth, willingly, or unwillingly, and unto Him they will be returned) III : 83. Contrariwise, the Qur'an refers to every misconduct and evil as a departure from justice or balance or proportion.

This attribute of justice completes the Quranic conception of God, and if it is mentioned after His attributes as the Preserver and the Merciful, it is to indicate the natural stages in the development of man's thought and his search for truth and reality. It is a Preserver that man's existence needs most visibly and immediately and to whom his thought turns first. Once this need is fulfilled and the conception of a Preserver firmly fixed, human thought moves forward and perceives the mercifulness of the Preserver. With the recognition of the Preserver who is also Merciful, man moves on to the last stage in his search and realises that there is an all-pervading Justice, without which indeed both Preservation and Mercy would be incomplete and defective.

« إياك نعبد وإياك نستعين »

"Thee (alone) we worship and Thee (alone) we ask for help".

The basic conception of Islam is the unity of God. This conception is common to many religions, but the peculiar contribution of Islam is the emphasis upon and the full development of this conception. The Quran does not merely say that we worship God or that God is entitled to our worship. It goes further and says that it is God alone whom we

The Quran's Conception of God-VIII

By : Moulana Abul Kalam Azad

«مالك يوم الدين»

(Lord of the Day of Judgment)

The next attribute of God which is referred to is that of justice, and He is addressed as the Lord of the Day of Judgement.

The current religious beliefs had invested God with the characteristics of an absolute and moody monarch who, when he was pleased, showered gifts all around him or, when he was displeased, inflicted dire punishment. Thus arose the custom of offering sacrifices to appease God's wrath and win His favour. The Quran's conception of God, however, is not that of an arbitrary ruler who governs according to his moods and whims. On the contrary, the law of divine reward and retribution is a natural law and merely another form of the law of cause and effect which has universal application. We see its operation in the physical world around us all the time and should therefore have no difficulty in understanding its operation in relation to our spiritual conduct. If we understand that the quality of fire is to burn, that of water to cool and that of poison to kill, and if when we sow wheat we are certain that what we shall reap can be nothing but wheat, how is it possible to imagine that the 'harvest' of a good deed can be anything but good and that of an evil act anything but evil. So it is that the Quran frequently uses the word "earn" for human conduct.

«كل امرئ بما كسب رهين»

(Every man is a pledge for That which he hath earned) LII : 21.

«لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، لها ما كسبت وعليها

ما اكتسبت . . . »

(Allah tasketh not a soul beyond its scope. For it (is only) that which it hath earned, and against it (only) that which it hath deserved...) II : 286. This message is frequently reiterated and it is made clear that if man is asked to do good and avoid evil, the object is not to appease a wrathful God but only to avoid self-injury and self-destruction and to attain grace and salvation.

«من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك

بظلام للعبيد . »

(Whose doeth right it is for his soul, and whoso doeth wrong it is against it. And thy Lord is not at all a tyrant to His slaves) XLI : 46. Man's limited intelligence has often failed to understand natural calamities and attributed them to the wrath of a terrible God, and thus fear and error wrongly came to be associated with the conception of God. These 'terrible' manifestation of Divine Mercy, for if nature did not provide such correctives justice would be disturbed and the entire existence would be disorganised. It is not an arbitrary rule that makes destruction, in some measure and form, an essential prerequisite to beautiful construction.

« ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين »

“ Had we sent down unto thee (Muhammad) writing upon parchment, so that they could feel it with their hands, those who disbelieve would have said : This is naught else than mere magic.”(9)

The subtle distinction between Qur'anic prophecy and Biblical prophecy—that the former means news of the Ghayb (The unseen world of God), and the later means prediction (10) — made by Professor Izitsu is easily refutable. As he knows well, the Book of Genesis speaks of the “Angel of God” (11), the appearance of God in person to Moses which caused him to hide his face, fearing to look at Him, (12) and God's direct communication with Moses, when He passed to him the ten commandments. Here we have three types of revelation in one book. Where, then lies the difference between the Qur'anic revelation and the Biblical revelation ?

I do not wish to divert my discussion to theology. But I would like to ask, did not the New Testament speak of the “Angel of God” and the “Holy Spirit”(13) and Christ's prayer to God(14) and Christ's address to God(15) ? A scrupulous critic fails to see the distinction our learned professor alluded to.

(9) Qur'an 6, 6.

(10) God and Man in the Koran.

(11) 3/2.

(12) 3/6.

(13) 1/20

(14) 6/9

(15) 26/39

For those who are interested in pursuing this subject in Islamic literature, I recommend Sh. Mustafa Abd ar-Raziq's work “Religion, Revelation and Islam” available in Arabic and English.(16)

It should be said, in conclusion, that accusing the Prophets of insanity can only raise doubt as to the full sanity of the person who makes such an accusation. For, indeed, the Prophets, judged by the scriptures, were heroes who sacrificed their lives for the uplifting of the human society, and who suffered for the happiness of others. This is the least that one can say about them. The teachings and sayings of these men are the only reliable data for analysis and drawing conclusions. And no sane person can claim that the teachings of the Bible and the Qur'an are devised by mentally ill people.

We are imperfect people compared with Moses, Jesus and Muhammad, to whom humanity is indebted for the noblest and brightest aspect of its life. Thousands of years have elapsed during which millions of people have been repeating their names, more than once a day, as a symbol of their deep affection and respect.

Time has not come to rely completely on our minds in order to discover the secrets of this Universe. What is the human mind compared with the absolute mind, and what is our earth compared with the whole Universe ? In the field of the spirit, we shall continue to be guided by the Prophets, and we shall continue our march in the way of God.

I. M. Husaini

مصطفى عبد الرزاق، الدين والوحى والاسلام، القاهرة ١٩٤٥ (16)

all the prophets must have suffered from mental deficiency, since Muhammad could not have been the only exception.

Further, such an accusation must necessarily lead to denial of Judaism and Christianity, since all Biblical prophets supported their message by miracles and revelations which can not be proved scientifically and in laboratories.

Furthermore, Mohammad, in particular, enjoined the believers, in many verses in the Qur'an, to resort to reason as a means to believe that this Universe could not have been accidental. The Qur'an asserted often that the signs كآيات of God are discernible everywhere in the Universe. Would an insane person call upon his people to accept reason as arbiter?

Lastly, this accusation leads to atheism, anarchy and destruction of spiritual heritage of mankind, a loss which our generation, may all generations, can not afford, without a heavy loss of the most sublime aspect of our lives.

III

What Is Revelation ?

I confess, right from the beginning, that I do not possess a formula for mysticism, which is a simpler term in the field of theology. These terms belong to the sphere of the spirit, and it is an error to treat them in the same way we treat materialistic terms, just as it is an error to analyse the behavior of a dog in the same way we analyse the behavior of a human being. It stands to reason that a spiritual concept should be treated within its own field, and that it is not susceptible to materialistic tests. The prophets are the only ones capable of explaining what "Revelation" is, and, indeed, they did so, in their own ways.

Also, it is only the mystics who are capable of expounding mysticism. Is it possible to translate the singing of a bird into our own languages? Could we interpret the feelings of a bird when it sings? Similarly, we are incapable of explaining the experience of a very holy man, unless we elevate ourselves to the same level as his, and attempt to live his own experience. The question whether anything can be known must be decided, as Bacon says, not by arguing, but by trying.

The theologians define Revelation as: "God's disclosure or manifestation of Himself or His will to man, as through some act, oracular words, signs, laws, etc."

When we are to accept this definition — and it seems that the followers of the Holy Scriptures do — then the only prerequisite is belief in God. Once the existence of God is admitted, then communication between God and man becomes, through Prophets and highly spiritual individuals, feasible, if not necessary.

The statement that "no linguistic communication can occur between A & B when there is this kind of ontological discrepancy between the two" (8) is unsound. The conclusion which the author tried to draw is unsound too. This statement could be accepted from an atheist who does not comprehend the nature of God.

Indeed, it leads to renunciation of all prophecies. In this connection, it is appropriate to quote the Qur'an :

(8) God and Man in the Qur'an p. 167

spiritual life. Islam combines between the two phases : the law and the spiritual.

Further, the human elements in these religions widen the gap. Whereas Jewish and Islamic interpretation of God is based on His transcendency, the Christian interpretation is based on His incarnation. But the reality of God is one and only one, and the human interpretation can not change it.

It is quite true, also, that some of us incline to search everywhere, in the lines, between the lines, and in our own minds, for differences among these religions. And the moment we get a grain we make a mountain out of it. Some of us do that out of their profession, others out of their own minds. But the eternal fact remains unchanged : God is God and we are His children.

Further had Muhammad been possessed — or suffering from schizophrenia or epilepsy as some writers assert — the symptoms would have appeared in his sayings and conduct. All his companions, and later his followers, would have been more than fools to accept his leadership.

Muhammad was not only a prophet, he was a statesman, a legislator, a teacher and a leader, and as such he achieved a unique success. Would a mentally diseased person lead his people from success to success, in all these spheres, without being caught once as an insane person ? One might argue that he was accused by the pagan Arabs of "tajnin", and the Qur'an refuted the accusation, which is in itself, "an evidence that such was the actual

situation at Mecca". The answer is that the very accusation must be directed against Noah and Moses, for both of them have been accused by their people of "Tajnin"(7). The second part of the statement is quite absurd. Otherwise Muhammad should have proved his sanity by admitting that he was insane, which is ridiculous.

Muhammad's personality as a leader, a husband, a father, and a friend, proves that he was a man of integrity. His sincerity, affection, mercifulness, forgiveness, and nobleness have been admitted by many non-Muslim scholars. All his companions agreed that he was a man of the highest caliber, and they all loved him and respected him.

Ever since the rise of Islam, thousands of millions of Muslims, amongst them persons of great achievements in science, philosophy and theology, read the Qur'an and were thrilled by its content and style. Did they all fall under the spell of an insane man ? Are the 500 million Muslims of today equally deceived by a maniac ? and the few writers — who find it cleverness to slander one of the greatest leaders of all times — the only people who have spotted the deception ?

Now, what are the logical consequences of this accusation ?

The denial of "Revelation" must necessarily entail the denial of the theist concept of God, for all the Biblical prophets were inspired by Him. They all communicated a message in a form of revelation. It must follow, also, that

(7) cf. Sura 23-24 and 26-27.

each other with regard to the order of being, for God stands above representing a far lower level of being, then the linguistic communication is a logical impossibility, under normal conditions. (2)

Secondly, the learned author made extensive use of the Pagan Arabs' accusation of Muhammad of being possessed- although the author discarded the fact that the accusation was not against Muhammad, but also against Noah and Moses - and concluded with the statement: "The very fact that the Kor'an stresses constantly that the Prophet Muhammad has nothing at all to do with demoniac possession, that he is not a man "possessed by a Jinn" in itself the strongest evidence that such was the actual situation at Mecca". (3) The learned author must have read the verse :

«هل أتيتكم على من تنزل الشياطين، تنزل على كل أفك أئيم»

Shall I inform you upon whom the devils descend? They descend one very sinful, false one". (4)

Thirdly, the learned author maintained that Muhammad showed in moments of prophetic inspiration signs of intense physical pain and mental sufferings. "So here was, they thought, another Shâir - a man possessed by a jinn, this was their natural immediate conclusion". (5) It is noteworthy that the learned author quoted, in support of this view, a verse in the Qur'an which refers to Noah and not to Muhammad - a confusion which is very astonishing.

(2) cf. Ibid p. 166.

(3) Ibid p. 172.

(4) Qur'an 26:221.

(5) God and Man in the Qur'an, p. 172.

Fourthly, the learned author analysed the style of the Qur'an, and supported implicitly the Pagan's view that Muhammed must have been a kahin - soothsayer - on the ground of his formal, stylistic characteristics. (6)

II

Was Muhammed possessed, and what are the consequences of such an accusation ?

The only reliable criterion which stands to all tests, scientific and psychological, is the Qur'an itself. what symptoms of "tajain" are discernible in the Qur'an ?

As a humble student of the Holy scriptures, the Bible and the Qur'an, I maintain that the moral teachings of these books are basically identical. There is nothing in the Qur'an which contradicts the Mosaic code or the ideals incorporated in the New Testament. What is more important is that the central point, the core of these religions is one. They all revolve around one God. They are monotheistic religions which attract the minds and the souls of the believers towards one Almighty, Merciful God, and free them from worshipping lower creatures.

It goes without saying that there are differences among these religions. Indeed, these differences are the only justification for their existence. Yet these differences are less fundamental than the common principles which bind them together. There are differences in shift of emphasis. Judaism stresses the law and the rituals. Christianity stresses the

(6) cf. p. 175.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL-ZAYAT

Dhu'l-hijja
1385

ENGLISH SECTION

EDITED BY :
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

March
1966

WHAT IS REVELATION ?

By : Dr. ISHAQ MUSA AL-HUSAINI

Professor Toshihiko Izutsu, Professor of philosophy at Keio University, Japan, brought to his ultramodern laboratory a super-classical term, "Revelation", and after long tests and investigations, came out with the following statement: "Now, if we stop at this stage - and the pagan Arabs did stop at this stage and obstinately refused to go any further - and look at the matter from the 'Jāhili' point of view, then the whole thing would appear to be just the very familiar phenomenon of possession (Tajnin), which is, in no way peculiar to the Arabs or the Semites, but something of the widest occurrence throughout the world and generally known in modern times under the name of shamanism. Some invisible supernatural being, whether a spirit or divinity, suddenly possesses an ecstatic person momentarily, and utters through him impassioned words, mostly in verse, which the man could never compose by himself in ordinary, i. e. non-ecstatic, moments". (1)

In other words, Professor Izutsu said that the Prophet Muhammad was possessed by demons, an epithet which we have almost forgotten in this age of atomic energy and space discoveries, since it used to be current often in the middle ages, and later in the works of certain bigots.

It might be argued that the learned professor attributed the statement to the pre-Islamic Arabs who were heathen, and that he himself did not share their view.

The truth of the matter is that the learned professor in spite of his subtlety and oriental politeness drove his reader to the contrary conclusion.

First of all, the author proved conclusively - as he thought - that no linguistic communication could take place between two parties who belong categorically to two different beings. And since God and Muhammad are quite different from

(1) God and Man in the Koran, Tokyo 1964, p. 168.



